٣٠١٠٢٠٠٠٠٤٩٨٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليـــم العالـــي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

دراسة تاريخية - حضارية - وثائقية

من واقع دور أرشيف القاهرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

أحمد هاشم أحمد بدرشيني

إشـــراف الدكتور

سليمان بن عبد الغني مالكي

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

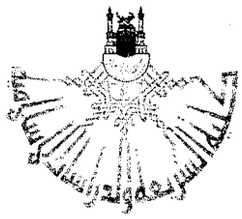

الرقم :
التاريخ :
المرفقات :

نموذج رقم ((٨))

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراءات التعديلات

الاسم رباعي	أحمد بن هاشم أحمد البدر شيني	كلية	الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم	الدراسات العليا التاريخية والحضارية	التخصص	تاريخ إسلامي
الأطروحة المقدمة لنيل درجة	الدكتوراة		

عنوان الأطروحة / أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي ((٦٤٨ — ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ — ١٥١٧ م))
دراسة تاريخية حضارية وثائقية من واقع دور أرشيف القاهرة))

الحمد لله رب العالمين والسلام والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصبح أجمعين . وبعد فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه تمت مناقشتها بتاريخ ٢٢ / ٣/١٤٢٥هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكور أعلاه .

والله الموفق ،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف :	المناقش :	المناقش :
الاسم : أ.د / سليمان عبدالغني مالكي	الاسم : د . سعد سعد الحميدي	الاسم : د . عدنان فائز الحارثي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

أ . د / عبدالله سعيد الغامدي

((يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة))

مكة المكرمة ص . ب : ٣٧١٥
هاتف مباشر : ٥٢٨٠٧٠٧ ، فاكس : تحويلة (٦)
سنترال : ٥٢٧٠٠٠٠

Makkah Al Mukarramah P .O.B : 3715
Tel No : 5280707, Fax : 6
Tel No : 5270000

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخـــص الرسالـــة

تناول موضوع الرسالة "أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي" وأوضح إهتمام الحكومات الإســـلامية المتعاقبة بالحرمين الشريفين لما لهما من أهمية تاريخية ودينية ، فقد كان البيت الحرام في مكة مقصـــد الـــناس منذ القدم ، وقد تعددت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل الحج والزيارة ، لذلك حرصت الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم المشرق الإسلامي على أن يكون الحرمان الشريفان تحت حمايـــتهما لأهميـــتهما الدينية والتاريخية . وقد تطلع المماليك في مصر للسيطرة على الحرمين الشريفين لإهـــتمامات دينية وسياسية وإقتصادية ، وقد حرص سلاطين وأمراء المماليك على رعاية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة عن طريق نظام الوقف الذين وجدوا فيه سبيلا لتحقيق رغبتهم في فعل الخيرات ، فكثرت الأوقاف على مختلف الأغراض الدينية والمدنية وعلى مجتمع الحرمين الشريفين وما يحتويه من مؤسسات خيرية وإجتماعية وتعليمية ودينية .

وقد أعتمد الباحث على مجموعة من الوثائق المملوكية ينشر معظمها لأول مرة قدمت معلومات قيمة عـــن الحرمين الشريفين في عصر المماليك من النواحي التاريخية والحضارية ، وقد توصل البحث إلى أن حجج الوقف كانت من المصادر الهامة لدراسة تخطيط المدن وجغرافية البلاد والأقاليم في البلاد الحجازية مـــن خـــلال وصـــفها للمباني الدينية والمدنية والطرق والآبار والمحطات والمسافات والقرى التي تشملها الأوقـــاف . كذلك إهتم البحث بإبراز أهمية الوثائق في الإشارة الى طرق الحج والإهتمام بالمحمل وكسوة الكعـــبة والحجـــرة النـــبوية ، وأشار إلى أن الوثائق المملوكية تلقي أضواء على ميناءي جدة وينبع طوال عصر المماليك .

وقـــد أوضحت الوثائق المملوكية ظهور المدارس لأول مرة في مكة المكرمة في الربع الأخير من القـــرن السادس الهجري لينتشر بناء المدارس وتزدهر حلقات العلم في مكة والمدينة . كذلك خلص البحث إلـــى إزدهـــار العلـــوم والدراسات الطبية من خلال إشارة الوثائق إلى بناء البيمارستانات التي كانت مكانا لعلاج المرضى ولتدريس العلوم الطبية .

الطالب	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
أحمد هاشم أحمد البدرشيني	أ. د. سليمان بن عبدالغني المالكي	د. سعود بن إبراهيم الشـــريم

Thesis in brief

The subject of the Thesis dealing with the Two Holy Mosques (THM), endowments at the ages of "Mamluk" and it explained the previous interest of the Islamic governments a bout the (THM) as they have historical and religious importance so the (THM). In Makkah was a destination for people since an ancient time, therefore many Qur'anic verses and Prophet sayings to number in having the best of the pilgrimage and visit. Therefore the previous Islamic countries which follow through ruling the oriented Islamic preferred on keeping the (THM) under their protection for the religious and historical significant. However Egyptian Mamluk regarded the rule of the (THM) as a religious, political, and economical importance, and the Mamluk sultans and princes concentrated their effort to care about the (THM) at Makkah and Al-Madina by establishing endowments to carry on doing good bountiful as they wish. Thus a lot of endowments have been done at a various religious and civil purposes and for a community of the (THM) which include beneficent, social, educational and religious establishments.

The researcher depends on collection of documents from the Mamluk ages a lot of it published for the first time and it shows essential data about the (THM) during the time of Mamluk from the points of historical and civilization views. And the research reached that the muniments of the endowment was and important sources for the cities planning study and the geographical and regional of the country of Al-Hijaz through it description of the religious buildings, civilian, streets, wells, stations, distances, and the villages which included at the endowments.

Thus the research highlights important of the documents for signalizing ways of pilgrims and consider seriously about "Almahmal" and the covering of the Kaaba and Prophetic Room. And it indicates the Mamluk documents shows Jeddah and Yanbu ports during the Mamluk ages.

The Mamluk documents explained the starting of schools for the first time at Makkah in the last quarter of the sixth century H, and the spread of school and science groups began to grow at Makkah and Al-Madina.

Therefore the research concluded there was prosperity of science and medical studies through indicating documents on building 'Pymarstanat" which was a place for treating patients and teaching medical science.

Student name

Ahmad Hashim A. Al-bdrshien

Supervisor name

Prof. Suliman Bin Abdu-Alghani Al-Malki

Dean
Faculty of Islamic Studies

Dr. Suad Bin Ibrahim Al-Shureim

الإهـــــداء

إلى والديَّ اللذيْن أحسنا تربيتي، وغرسا في نفسي حب العلم منذ الصغر..

وإلى زوجتي وأولادي، الذين تحملوا معي سنوات من الصبر والجهد، بذلتها في البحث العلمي..

وإلى إخواني الذين قدموا لي كل عون ومساعدة..

وإلى مولدي ومهد طفولتي، عاصمة الإسلام الأولى على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، طيبة الطيبة..

ثم إلى كل إنسان يجعل رسالته في الحياة: طلب العلم النافع، والعمل به..

أهدي هذه الدراسة..

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده وبعد

فـإني ، وقـد منّ الله عليّ بإتمام هذا العمل العلمي ، أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى سعادة أ.د .سـليمان عبدالغني المالكي المشرف على هذه الرسالة، والذي يرجع إليه الفضل في حسن إرشاده وعظـيم توجيهه، والذي أفادني في إنجاز هذا البحث ،بما تمتع به من خبرة وحسن دراية، منذ كان فكرة حتى صار حقيقة.

وكذلك شكري وتقديري وامتناني لسعادة د٠عدنان الحارثي ، الذي تفضل مشكورا بالموافقة علي الاشتراك في لجنة الحكم والمناقشة ،وقد استفدت من مؤلفاته وبحوثه التي تتصل ببحثي من قريب أو بعيد ، فجزاه الله خير الجزاء .

وكـذلك شكري وتقديري وامتناني لسعادة د٠سعد بن سعيد الحميدي ،الذي تفضل مشكورا بالمـوافقة علي الاشتراك في لجنة الحكم والمناقشة ، علي الرغم من أعبائه ، وتحمل مشقة السفر من أبها إلي مكة المكرمة ، ولن أنسي استفادتي من كتبه ومؤلفاته في هذا البحث ، فجزاه الله خير الجزاء .

كما أقدم شكري إلي د٠ عبد الله حافظ ،وكيل الجامعة بالمدينة المنورة .

والشـكر موصـول لسـعادة د ٠عبد الله دمفو عميد كلية التربية بالمدينة المنورة ، ولسعادة د٠ يوسف بن حوالة رئيس قسم العلوم الاجتماعية بالكلية نفسها ، ولجميع الزملاء بالقسم .

وشـكري أيضـا لمديـري ومشـرفي دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ،ولوزارة الأوقاف المصرية ،ووزارة الأوقاف السورية ،و "الأرشيف " العثماني بتركيا .

كما أقدم شكري لمعالي مدير جامعة أم القري سعادة أ.د. ناصر بن عبد الله الصالح ، ولسعادة وكـيل الجامعـة للدراسـات العلـيا أ٠د٠ محمـد بـن علي العقلا ، ولسعادة عميد كلية الشريعة د٠ عابـد بـن محمـد السـفياني ، ولسعادة رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية السابق أ.د. يوسـف الثقفـي ، و لرئيس القسم الحالي سعادة د٠ عبد الله بن سعيد الغامدي . ولجميع الزملاء بالقسم علي ما قدموه لي من خدمات أفادتني في بحثي.

ولأبي وأمي شكر أعجز عن التعبير عنه ، لما قدما لي من خير و دعاء .

وشـكر خاص لزوجتي الوفية ، التي تحملت معي عناء البحث ومشقاته ، وكانت لي نعم الرفيق طوال اشتغالي بهذه الدراسة .

وفي الختام أشكر كل من قدم لي عونا أو مساعدة في هذه الرسالة ، وأدعو الله لهم بخير الجزاء .

ومـع تقديمـي لهـذا الجهد المتواضع ، أتوجه إلي المولي عز وجل أن يتقبله ، وأن يحظى بتقدير اللجنة الموقرة . وعلي الله قصد السبيل ، وله الحمـد من قبل ومن بعد ،،

المقدمة

للحرمين الشريفين أهمية تاريخية ودينية، وقد كان البيت الحرام مقصد الناس للحج منذ القدم، ثم تعددت الآيات القرآنية في فضله، ووردت الأحاديث النبوية في فضل الحرمين الشريفين، ومن هنا أصبحا مهوى أفئدة المسلمين. كما أن للمدينتين المقدستين أهمية تاريخية، لوقوعهما على طريق القوافل القديمة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس.

وعلى الرغم من أن مكة والمدينة، لم تكن أي منهما عاصمة لأي دولة إسلامية بشكل مستمر، فإن جميع الدول التي تعاقبت على حكم الشرق الإسلامي، حرصت على أن يكون الحرمان الشريفان تحت حمايتها، لأهميتهما الدينية والتاريخية والتجارية .

ولما قامت الدولة المملوكية في مصر عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، تطلعت إلى السيطرة على المدينتين المقدستين، لاهتمامات سياسية ودينية واقتصادية، وكانت الظروف مهيأة لبسط هذه السيطرة، بسبب النزاع بين الحكام الأشراف، وما إن نجح المماليك في ذلك، حتى بدأت حقبة تاريخية جديدة من تاريخ مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ارتبطت المدينتان فيها بمصر ارتباطاً وثيقاً، لمدة زادت على قرنين من الزمان.

وقد عرف نظام الوقف قديما، ولما جاء الإسلام شرع الوقف، ثم عرفته الدولة المملوكية من دولة الأيوبيين التي سبقتها، فتأثر نظام الوقف عند المماليك بما كان سائداً في العصر الأيوبي، وتسابق السلاطين إلى الوقف وكذلك الأمراء والأعيان وأهل الخير من المسلمين ، لأنهم وجدوا في الأوقاف سبيلا لتحقيق رغبتهم في فعل الخيرات، فكثرت الأوقاف على مختلف الأغراض التي تعود بالنفع على الأفراد والمجتمع الإسلامي عموماً، وعلى مجتمع الحرمين الشريفين، وأهاليهما والوافدين إليهما على وجه الخصوص. وغالباً ما أقاموا المؤسسات المتنوعة في هذا الاتجاه كالمدارس لتعليم الصغار والكبار، والمكاتب لتأديب وتعليم الأيتام، و المستشفيات "البيمارستانات" لعلاج المرضى، ويسّروا طرق الوصول إلى المدينتين المقدستين بكل وسيلة ممكنة، كحفر الآبار والبرك لتوفير المياه، وقد وقفوا على كل تلك المؤسسات الخيرية ما ينفق من ريعه عليها، ضماناً لاستمرارها في أداء رسالتها، وبذلك غدت الأوقاف الدعامة الكبرى للخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والدينية في المدينتين المقدستين.

وازدهر نظام الوقف في ظل المماليك ، تبعاً لعصرهم الذي يمثل التقدم الحضاري في مجتمعي مكة والمدينة، وفي مصر بلاد السلاطين أنفسهم. وزاد حجم الأوقاف إلى درجة كبيرة، حتى ذكرت بعض المصادر أنه جاء وقت كانت فيه معظم دور حوانيت ورباع مصر وأراضيها الزراعية موقوفة على أعمال البر والخير، والجزء الأكبر من هذه الأوقاف خصص لمصالح الحرمين الشريفين، وأهاليهما، والوافدين إليهما.

وحرص الواقفون على وضع الشروط الكافية لضمان حسن التصرف في الأوقاف، بما يضمن بقاءها ويحقق استمرارها، وقد ارتبط كل وقف بوثيقة توضح أهدافه وأغراضه، وقدره، وكيفية الاستفادة منه، وتحدّد المستفيدين وصفاتهم وأعدادهم، وغير ذلك من النواحي التي يحتاج الواقف إلى النص عليها، وفي ضوء النظام العام للوقف في ذلك العصر.

وهذا كله مكّن نظام الوقف من الإسهام بقدر كبير في ازدهار كل جوانب الحياة في المدينتين المقدستين.

ومن المهم هنا ، الإشارة إلي بعض الدراسات التاريخية الوثائقية التي أفادت الباحثين ،والتي تناولت بعض وثائق العصر المملوكي ، ومنها الدراسة التي قام بها د. عدنان الحارثي في رسالته للدكتوراه بعنوان :" عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي "، ودراسة د. راشد القحطاني في رسالته للماجستير بعنوان : " أوقاف الأشرف شعبان علي الحرمين الشريفين " .

ومما كان مرشدا في هذا البحث من الناحية الوثائقية ، ما كتبه د.عبد اللطيف إبراهيم ، ود. محمد أمين ، ود. أحمد دراج . وغيرهم من المهتمين بالدراسات الوثائقية .

أما عن الوثائق التي نشرت بعد طبع هذه الرسالة ، فسيتم الاطلاع عليها وإثبات بياناتها الجديدة ، عند إعادة طبع هذا البحث بإذن الله .

أهمية البحث ، وأسباب اختياره، والصعوبات التي واجهته:

أ – الأهمية وأسباب الاختيار:

يستمد البحث أهميته من أهمية الحرمين الشريفين، وما يميزهما عن سواهما من سائر المساجد الإسلامية، ومالهما من مكانة في قلوب المسلمين

عامة، فكل ما يتعلق بالحرمين الشريفين له أهمية كبيرة، ومن ذلك الأوقاف عليهما، وهو موضوع البحث.

ودراسة الوقف في ضوء وثائقه، تلقي – بلا شك – أضواء على هذا النظام، وعلى مجتمعي مكة والمدينة، وأهاليهما، والوافدين إليهما، في تلك الفترة، وبذلك يتمكن الدارس من الحصول على المعلومات التي لا توجد في مصادر التاريخ المألوفة، المطبوعة منها أو المخطوطة عن العصر المملوكي.

وتقدّم الحجج الوقفية معلومات قيّمة تفيد كثيرا في معرفة أحوال الناس، ومدى تمسكهم بالدين الحنيف، وهي صورة صادقة للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في دولة المماليك.

وهذه الوثائق احتاجت إلى مثابرة في الحصول عليها، وهي في معظمها تنشر لأول مرة، تقدم للدارسين معلومات مفصلة عن الوظائف المختلفة في ذلك العصر، المتعلقة بالأوقاف، وعن مهمة كل موظف في المدرسة، أو السبيل ، أو المكتب، أو "البيمارستان" ، أو الرباط، وشروط تعيين العاملين ومرتباتهم وإجازاتهم، وغير ذلك مما لا تسعفنا به المصادر الأخرى، كما أنها تعرّف بالوظائف العامة في الدولة، العسكرية منها والإدارية والفنية. والخاصة بأمير الحج وما يتبعه من وظائف.

وبالوثائق الوقفية معلومات عن النقود التي كانت متداولة في تلك الفترة، وعن أسعار العقارات والأراضي، وأحوال الأفراد في تعاملهم الشخصي، وفي طريقة فض منازعاتهم.

وتعدّ حجج الوقف مصدراً في دراسة تخطيط المدن، وجغرافية البلاد والأقاليم، من خلال وصفها الدقيق للعمارات الدينية والمدنية، والطرق والآبار والبرك والمحطات والمسافات، والقرى والمساحات التي تشملها الأوقاف.

هذه الثمرات الطيبة للاعتماد على الوثائق في دراسة تلك الفترة، تستحق من الباحثين عناية فائقة، لأداء جزء من حق هذه البلاد المقدسة العزيزة على الجميع، وفي إخراج الحجج إلى حيز الوجود، وإتاحة الفرصة لها كي ترى النور، فائدة كبيرة يجب بذل الجهد من أجلها، وتحمل الصعاب والمشقات في التنقيب عنها ونشرها.

وهذا ما دعا إلى تتبع هذه المجموعة النادرة من الوثائق النفيسة، لأوقاف

هذا العصر على الحرمين الشريفين ، وعدم البخل – في سبيل الحصول عليها ، ثم دراستها - بوقت أو جهد، لأنها الأساس للدراسات الوثائقية التاريخية الحضارية، وقد جُمعت من "أراشيف" القاهرة المختلفة.

مصاعب البحث:

لم تكن الكتابة في "أوقاف الحرمين الشريفين في الدولة المملوكية " سهلة ميسورة، لاحتياجها إلي الدقة في الإلمام بروح العصر ، ومع المضي في الدراسة تبين أن الطريق إلى إكمال الموضوع ليس مفروشاً بالورود والرياحين، ولكن الاستعانة بالله، والابتهال إليه أن يجعل الصعب سهلاً، ثم العمل المتواصل الدءوب، والصبر الذي ل لا يعرف الملل، ومحاولة اكتساب الخبرة التي تتيح فك رموز الوثائق ، واستجلاء غامضها، واستكمال ما بها من نقص لتآكل أجزاء بعضها، بعد مرور السنين الطويلة على كتابتها، كل ذلك خفف من مئونة البحث.

ويحتاج التعامل مع الوثائق إلى التأني، حتى يتسنى الربط بين سطور الحجج الوقفية، والموازنة بين محتوياتها، حتى تجيء النتائج صادقة في النهاية داخل إطار واضح، يتناسب مع التأريخ لأوقاف الحرمين الشريفين في تلك الفترة.

وبعد بذل الجهد والوقت والصبر في جمع الوثائق، تم اختيار الطريقة المناسبة للموضوع في تناولها، وهي دراسة ملامحها العامة، وجزئياتها الدقيقة، على أساس من النظرة "الببليوجرافية"، مع الإشارة إلى مقاس الوثيقة وحالتها، وترك نوع المادة التي كتبت عليها، وشكلها ولون مدادها ونوع خطها، وبدايتها وخاتمتها، وغير ذلك من دراسات "دبلوماتيقية" ، تخص المعنيين بالدراسات الوثائقية البحتة.

وزاد من صعوبة البحث أن المصادر التاريخية المتداولة، ركّزت جُلّ اهتمامها على النواحي السياسية، وعند إشارتها إلى وقف أحد السلاطين أو غيرهم في تلك الفترة، فإنها تتحدث عن الوقف باعتباره وجهاً من وجوه البر فقط، ولا تقدم ما يشفى الغلّة عن دور الأوقاف البارز في حياة المجتمع بجوانبها المتعددة.

واكتفت الكتب الفقهية بالأحكام الشرعية للوقف، وذكر أركانه وشروطه ومسائله، وهذا بالطبع ما يخصها، ولا يُطالبها أحد بأن تضيف إلى مادتها الفقهية

ما ليس منها.

وبعد الوثائق جاء الدور لتتبع ما ورد في المصادر التاريخية من شذرات عن موضوع الدراسة، أما الكتب الفقهية فلزم الرجوع الرجوع إليها فقط في تعريف الوقف، وأقسامه، ومشروعيته وأركانه، لأن التعمق الفقهي ليس في مجال هذه الدراسة.

وكان الأساس في البحث هو الرجوع إلى المصدر الخصب الأصيل، وهو الحجج والوثائق، التي أعان الله على الحصول عليها من: أرشيف وزارة الأوقاف المصرية(الدفتر خانه) ، ودار الوثائق القومية المصرية، ودار الكتب المصرية ، ووزارة الأوقاف السورية بكل من دمشق وحمص وحلب ، و" الأرشيف" العثماني بتركيا .

دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث:

أولاً – الوثائق:

تعد الوثائق المصدر الأول للبحث، فهي التي توضح العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والدينية في تلك الفترة، وتبين الوظائف وحياة أربابها، وبها معلومات قيمة عن الأفراد، وألقابهم، وملابسهم، وأطعمتهم، ومعاملاتهم، ونقودهم، وتذكر أنواع الصناعات وأسعار الأراضي، والعمائر الدينية، وغير ذلك ،وقد تم الاعتماد علي مائة واثنتين وعشرين وثيقة تمثل المصدر الرئيس للدراسة[1]، وقد سبق الحديث عن أهميتها في أثناء شرح الصعوبات التي واجهت الباحث.

أما الوثائق التي حظيت بالدراسة– وهي قليلة – فقد أفادت في كيفية دراسة الوثيقة، والحصول على المعلومات منها، وتعدّ نماذج لمن يريد أن يتخذ من الوثائق ميدانا لبحوثه، ويأتي ضمن هذه الوثائق:

أ – وثيقة أوقاف الأشرف شعبان على الحرمين الشريفين، رقم الوثيقة (٤٩) مؤرخة في ٣ من جمادى الآخرة (٧٧٧هـ) دار الوثائق القومية بالقاهرة.دراسة ونشر

---

(1) تم نشر ١٧ (سبع عشرة) وثيقة من هذه الوثائق بأرقام ٨٨٢ ق ،٨٨٤ ق ،٨٩٠ ق ، ١٨٨، ٢٧، ٢٥،٣١، ٣١٩٥، ٣٠، ٣٩، ٤٢، ٤٤ ،٨٨٠،٤٩ق ، ٢٢٣، ١٠١٩، ٨٨٢ أما باقي الوثائق فلم تنشر . راجع ملحق رقم (٤) فهرس وثائق وحجج الحرمين الشريفين في ملاحق هذه الدراسة .

وتحقيق: راشد سعد القحطاني، الصادرة عن الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وهي وثيقة شاملة تعددت أوجه الصرف فيها، بما يشمل أمراء الحرمين الشريفين وأهاليهما، وقراء القرآن الكريم، والحديث الشريف، ومدرسي المذاهب الأربعة، والمؤدبين، والمؤذنين، والأئمة، والمكبرين خلفهم، وقاضي الحكم، ومشايخ المذاهب، وسدنة الكعبة، ومباشري عمارة الحرمين، والفراشين، والسقائين، والمبخرين، وصائدي الهوام والحشرات، والبوابين، والكناسين، والوقادين. كما اهتمت الوثيقة بالصرف على البيمارستان والميضأة، والعاملين فيهما، وبالصرف على توفير الماء في طرق الحج، وعلى غسل الموتى وتكفينهم.

وهذه الدراسة لها قيمتها الوثائقية، وتمد الدارسين بالمعلومات من واقع الوثيقة، أما ما حولها من تعريف بالموقوف عليهم، وأثر الوقف على جوانب الحياة المختلفة في فترة الوثيقة، فيبدو أن الدراسة لم تشتمل عليها بل تركتها للمتخصصين في التاريخ العام.

وقد استفادت منها هذه الدراسة ، لكونها وثيقة جامعة ضمت كل أوجه الصرف، وكانت عائدات وقفها سخية ، بحيث وفرت الحياة الطيبة لكل من انتفعوا بها، وبرزت درجة الاستفادة منها في الفصلين: الثاني والرابع من هذا البحث .

ب – وثائق وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون، دراسة ونشر وتحقيق: محمد محمد أمين، كلية الآداب، جامعة القاهرة، والوثائق مستخرجة من كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب الحلبي ، الجزء الثاني، وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢م، وأرقام الوثائق هي :

(٢٧) محفظة رقم (٥) ، و(٣٠) محفظة رقم (٥) و (٢٥) محفظة رقم (٤)، و (٣١) محفظة رقم (٥) ، بدار الوثائق القومية.

وقد استفادت هذه الدراسة من الوثيقة رقم (٣٠) ، لأن أوجه الصرف بها شملت: المنقطعين في الحرمين الشريفين برسم الزاد والرحلة.

ج – وثيقة وقف مسرور بن عبدالله الشبلي، الجمدار، رقم (٣٩) دار الوثائق القومية محفظة رقم (٦) المؤرخة في ١٤ من شوال (٧٦٠هـ/١٣٥٨م) دراسة ونشر وتحقيق: عبد اللطيف إبراهيم ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، مجلد رقم ٢١،

ج ٢،سنة ١٩٥٩م.

ومن أوجه مصارفها: الصرف على مصالح الحرمين الشريفين، وأهاليهما، واشتراط الواقف عدم دخول الزيدية الروافض في أوجه الصرف.

د – وثيقة الأمير صرغتمش، وهي رقم (٣١٩٥) أوقاف، نشرها: عبد اللطيف إبراهيم، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلة كلية الآداب، المجلدان: (٢٧) و (٢٨) مايو – ديسمبر ١٩٦٥م، ومايو – ديسمبر ١٩٦٦م، وقد حددت أوجه الصرف بها على طلبة العلم، وعلى خزانة الكتب، وعلى القائمين بالنظام الإداري بمدرسة صرغتمش التي وقفها، وعلى كسوة الأيتام، ومؤدب الأطفال، ورواتب المدرسين، وقد استفاد ت هذه الدراسة منها في الكتابة عن التنظيمات الإدارية الدراسية.

هـ - وثيقة الأشرف طومان باي ، ورقمها (٨٨٢) بتاريخ ٢٣ من شعبان (٩١٩هـ) نشرها : عماد بدر الدين أبو غازى، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم الوثائق والمكتبات، ١٩٨٨م، رسالة علمية بعنوان: " دراسة وثائقية في أوقاف الأشرف طومان باى".

وجهات الصرف في هذه الوثيقة إلى أهالي الحرمين الشريفين، وقراء القرآن والحديث، وتسبيل المياه، وقد أستفادت منها هذه الدراسة في تحديد المبالغ التي تصرف في الأوجه السابقة.

و- وثيقة قاني باي قرا الرماح أمير آخور كبير ، رقم الوثيقة (١٠١٩ق) مؤرخه في العاشر من رمضان عام (٩٠٨هـ) ، ونشرها أحمد عبد الحليم في ملاحق رسالته للدكتوراة ، بعنوان : "آثار الأمير قاني باى قرا الرماح ، بالقاهرة ، دراسة أثرية معمارية" ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، ١٩٧٥ م .

وجهات الصرف في هذه الوثيقة علي أهالي الحرمين الشريفين ، وقراء القرآن والحديث علي صحيح البخارى ، وتسبيل المياه بالحرمين الشريفين بالسوية ، وقد استفادت منها هذه الدراسة في تحديد المبالغ التى تصرف في الأوجه السابقة .

ثانياً: المخطوطات:

اعتمدت الدراسة على عدة مخطوطات من أهمها:

١ - الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لنجم الدين عمر بن فهد الذي ولد بمكة عام ٨١٢هـ، ١٤٠٩م، وتوفي عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م [١]، وله العديد من المصنفات من أهمها هذه المخطوطة وهي ذات قيمة علمية كبيرة، حوت سجلاً حافلاً بتراجم الرجال والنساء الذين ينتمون إلى عصور وطبقات مختلفة، من أشراف مكة، وسلاطين مصر، والقضاة والعلماء والشيوخ، والقادة، والأعيان، و شملت تراجمه الكثير من المكيين والمكيات .

وقد استهل تراجمه بالمحمدين ثم الأحمدين، ثم عرض التراجم حسب حروف الهجاء، وبلغت تراجمه قرابة ثلاثة آلاف ترجمة، متحرياً الدقة، والأمانة العلمية لمن يترجم له، وقد تعرض في تراجمه لذكر الرحلات العلمية لصاحب الترجمة والمناصب التي تقلدها ومآثره إن وجدت، ويختم بذكر السنة التي توفي فيها كلّ منهم.

وبالإضافة إلى هذا فقد اشتملت المخطوطة على معلومات سياسية وتاريخية واقتصادية واجتماعية عن أحوال مكة وحكامها، وعن سلاطين مصر، والعلاقات التي بين الأشراف والسلاطين ، ومؤسسي الأربطة والمدارس، وقد وردت هذه المعلومات في سياق التراجم، وقد أفادتني هذه المخطوطة في معرفة علماء وأشراف مكة ،وسلاطين مصر ، والقضاة والعلماء والشيوخ ، والقواد والأعيان ،وخاصة أن المخطوطة انفردت بالترجمة لكثير من أفراد المجتمع الذين أغفل الفاسي المكي ذكرهم مع أنهم كانوا في عصره[٢] .

٢ - بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، لعبد العزيز بن عمر بن فهد المشهور بالعز ابن فهد الذي ولد بمكة عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، وتوفي عام ٩٢٢هـ/١٥١٧م، وتميزت حياته بكثرة رحلاته في طلب العلم، فزار المدينة المنورة، ومصر والشام وحلب وحماة والقدس، ونال مكانة عظيمة في العلم والحديث، ولم يتول بمكة مناصب شرعية

---

(١) محمد الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن الثالث الهجري ، الطبعة الأولى، مكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٤م، ص ١٤٧.

(٢) إبراهيم بن حمود المشيقح، تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد، الطبعة الأولى، القصيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٢١٠.

غير وظيفة خازن للكتب بمرســـــوم سلطاني ورد عام ٩١٧هـ/١٥١١م .

وتعدّ هذه المخطوطة من المصادر التاريخية المهمة التي تتحدث عن أحوال مكة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية، فهو يؤرخ للبلد الحــرام مــن بدايــة شهر رمضان ٨٨٥هـ/١٤٨٠م شهر وفاة والده، حتى ربيع الآخر من عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م أي قبل وفاته بأيام مرتباً حسب الشهور والسنين [١]. ويزيد من أهمية هذه المخطوطة أن مؤلفها شاهد على أحداثها، وهو وإن كان بعيداً عن أصحاب السلطة فإنه كان على اتصال بعلماء مكة وأهلها، لذا جاء مؤلفه حافلاً بالمعلومات النادرة، التي صاغها في لغة واضحة، وأسلوب سهل ، فأعطي صورة مميزة عن حكام مكة الأشراف، وعلاقاتهم بسلاطين مصر، والوظائف الدينية في مكة، وصدقات الحرم وتوزيعها، وأحوال ميناء جدة الاقتصادية، كما عاصر أحداث مهاجمة الفرنج للبحر الأحمر، فكتب عنها بإسهاب، ووضح تأثير هذا كله على الحالة الاقتصادية بالحرمين الشريفين، وقد أفادت هذه المخطوطة في الكتابة عن الحالة الاقتصادية وأحوال ميناء جدة والوظائف المتعلقة بهذا الميناء.

ثالثاً: المصادر المطبوعة:

أ ـ الموسوعات:

١ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبادة البكري المشهور بالنويري ، توفي عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م[٢]، وقد اشتملت هذه الموسوعة على واحد وثلاثين جزءاً مطبوعاً، وتكمن أهميتها في أن مؤلفها حظي بمكانة رفيعة وسامية لدى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، حيث اشتغل بالكتابة في ديوانه، وتقلد عدة وظائف أخرى[٣] ، وقد اشتملت موسوعته في الجزء التاريخي والسياسي منها على كثير من أحداث إمارة مكة السياسية، والمناصب الدينية، والحملات العسكرية الواصلة إلى مكة، وقوادها من المماليك، فكانت تلك الأخبار مكملة للأحداث التي كتبها مؤرخو مكة، وقد غطت هذه الموسوعة بعض الجوانب السياسية المتعلقة بنواحي هذه الدراسة.

---

(١) محمد الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، ص ١٧٢.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م، ص ١٩٨.

(٣) الصفدي، (صلاح الدين خليل أيبك) الوافي بالوفيات، إحسان عباس، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٧ ، ص ٦٥ ، ومصطفي الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، لبيروت ،١٩٩١ م ص ٧٤٥.

٢ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لشهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي، توفي عام ٨٢١هـ/١٤١٨م، وعرف بالقلقشندي نسبة إلى قلقشندة، إحدى قرى محافظة القليوبية بمصر[١] ، وتقع هذه الموسوعة في أربعة عشر جزءاً مطبوعة، وهي سجل عظيم لمختلف أنواع المعرفة، وقد جمع القلقلشندي في موسوعته الكثير من الوثائق الرسمية والمراسلات السياسية، والتقاليد والمناشير والتواقيع، والوظائف والألقاب، وقد تحقق له كل هذا الطرح من خلال وظيفته كاتباً للإنشاء عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م، ومعني هذا أن كل ما كتبه كان واثقا من صحته، فموسوعته تعد سجلاً ضخماً للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، خلال العصور الوسطى، وهي صورة حية لحضارة العصر المملوكي، ولابد لدارس هذا العصر من الرجوع إليها، حيث تضم معلومات قيمة عن طبيعة حكم الأشراف في المدينتين المقدستين، والمعاملات المالية بهما، وتقسيمات الحجاز الإدارية، وطرق الحج البرية والبحرية من مصر إلى المدينتين المقدستين.

ب - كتب التاريخ:

١ – الروض الزاهر، في سيرة الملك الظاهر، لمحيي الدين بن عبد الظاهر (٦٢٠- ٦٩٢هـ/ ١٢٢٣ – ١٢٩٢م)، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦ هـ، ١٩٧٦م. وضم هذا المؤلف سيرة الملك الظاهر بيبرس ، وقد أفاد هذا الكتاب في تغطية ما يتعلق بالظاهر بيبرس من أحداث تاريخية في هذه الدراسة.

٢ – نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، لموسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ت ١٣٥٨/٧٥٩م) تحقيق ودراسة أحمد حطيط ، مطبوعات عالم الكتب ، بيروت، ١٤٠٦هـ،ط ١، وهو مصنف في السنوات وأحداثها، في الفترة من سنة ٧٣٣ إلى سنة ٧٣٨هـ ، وقد استفادت هذه الدراسة من الكتاب في كل ما يتعلق بالملك الناصر محمد من أحداث تاريخية حصلت في عهده.

٣ - تاريخ الدول والملوك، لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات المتوفى عام ٨٠٧هـ/١٤٠٥م المصري الحنفي المذهب[٢] ، بيروت، ١٩٤٢م، ولهذا الكتاب أهمية في الناحية السياسية والاقتصادية للمدينتين المقدستين، حيث اشتمل على معلومات

---

(١) مصطفي الشكعة ، مناهج التأليف ، ص ٧٤٥ .

(٢)أحمد عبد الرزاق أحمد، دراسات في المصادر المملوكية المبكرة، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت ١٩٨١م، ص ٢٠ – ٢١.

قيمة عن منازعات الأشراف على السلطة، كما أورد أخباراً عن ازدهار ميناء جدة، وقد استفادت الدراسة منه في الكتابة عن تلك الجوانب.

٤ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لتقي الدين الفاسي، ولد بمكة عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣هـ ، وتوفي عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م[١]، وفي عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، بدأ رحلاته العلمية إلى القاهرة ودمشق وبيت المقدس، ودرَّس بالحرم المكي عام ٨٠٠هـ/١٣٣٧م، وبعد سبع سنوات كان في قضاء المالكية بمكة وقد تولاها مدة عشر سنوات متتالية، ثم تولى التدريس والإفتاء بالحرم المكي ومشيخة بعض المدارس، ويتألف كتابه شفاء الغرام من جزءين؛ يحتويان على مقدمة وأربعين باباً وخاتمة، ويعد من أهم الكتب التاريخية التي ألفها الفاسي عن مكة، حيث يضم معلومات قيمة عن أشرافها ، ومدارسها وربطها، وعن مواسم الحج، وما فيها من أحداث، وأخبار المعاملات المالية بمكة والغلاء والرخاء، وهو مرتب حسب المواضيع وقد استفادت الدراسة منه في تغطية الجوانب المتعلقة بالمدارس والأربطة الموقوفة.

٥ - السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي الشافعي المقريزي، المولود بالقاهرة عام ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م، والمتوفى عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، ويعد هذا الكتاب من أشهر مؤلفاته، فهو من المصادر المملوكية المتأخرة، وقد انفرد بذكر أحداث وأخبار لاتوجد في غيره، وكثير من الأخبار الواردة فيه تعدّ مفسرة أو مكملة لأخبار مكة الواردة عند من أرّخوا لها في تلك الفترة، وقد جمع المقريزي سعة الأفق السياسي، وعمق الوعي الاجتماعي، مع اهتمامه الفائق بتوضيح الأحوال الاقتصادية.

والكتاب يتألف من أربعة أجزاء، كل جزء منها يشتمل على ثلاثة أقسام، مرتب على النظام الحولي، والإحاطة بما يشتمل عليه من معلومات تستلزم قراءة الأجزاء بكاملها بدقة وعناية.

٦ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، للمقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة

---

(١) تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) العقد الثمين ٨ أجزاء ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ج١ ص ٣٣١ ، و الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٩٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٧، ص ١٩٩.

والنشر، ١٩٩٥م، وهذا الكتاب يؤرخ لكل من حج من الخلفاء والملوك ، وقد بدأ المؤلف بالتأريخ لحجة الرسول ﷺ ،ثم قسم الكتاب قسمين ، وتحدث عن كسوة الكعبة، وعن المحمل، وعن الحالة الاقتصادية والمساعدات والصدقات التي كانت ترد للمدينتين المقدستين، ضمن حجات السلاطين والملوك.

وقد استفادت الدراسة مما ورد به من المعلومات القيمة عن حجة السلطان الظاهر بيبرس والسلطان الملك الناصر والسلطان الأشرف شعبان.

٧ – إنباء الغمر بأبناء العمر، للعسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، الشهير بابن حجر، المتوفى سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٩م) تحقيق: حسن حبشي ٣ أجزاء ، القاهرة، ١٩٦٩م.

وقد خصص ابن حجر هذا الكتاب للحوادث والوفيات التي وقعت منذ ولادته في سنة ٧٣٣ حتى سنة ٨٥٠هـ، أي قبل وفاته بسنتين، وقد شمل الكتاب الحوادث التي وقعت في تلك الفترة في أنحاء العالم الإسلامي، لكنه توسع في أخبار مصر والشام، وبه معلومات مهمة عن المدرسين في الحرم المكي ، وعن الحياة العلمية في مكة ، ومن برز فيها من العلماء، وقد استفدت من تلك المعلومات في هذه الدراسة.

٨ – السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، لبدر الدين العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، حققه فهيم شلتوت، وراجعه محمد مصطفى زيادة ، من مطبوعات دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

وقد تطرق هذا الكتاب إلي ذكر الملوك العظام، وإلى دول الخلافة الإسلامية، ثم بدأ في سرد الأحداث التاريخية من سنة ٨١٦هـ إلى سنة ٨١٩هـ في سلطنة الملك المؤيد شيخ، وقد استفادت منه هذه الدراسة في تغطية أحداث هذه الفترة التاريخية .

٩- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، لنجم الدين عمر بن فهد، واسمه: محمد بن محمد تقي الدين بن فهد الهاشمي المكي المتوفى عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، ج١، ٢، ٣، بتحقيق فهيم محمد شلتوت، ط١ مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وج٤ بتحقيق عبد الكريم علي باز ، ط١، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ويعدّ هذا الكتاب أقدم الحوليات في تاريخ مكة، فقد رتبه مؤلفه على السنين الهجرية مبتدئا بالسنة الأولى للهجرة، ومنتهيا بسنة وفاته، عارضاً للأحداث في كل سنة، ثم للوفيات.

وهو مصدر أساس في تاريخ مكة، وبه معلومات تفصيلية مهمة عن النواحي السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والعلمية، والكتاب في أربعة أجزاء، ولم يتعرض لتحليل الأحداث ودوافعها ونتائجها، بل إنه لم يعلق عليها، واكتفى بأن بذل جهودا مضنية في جمع المعلومات وتتبع الروايات وترتيب الأحداث. ولم يخرج الكتاب عن أحداث مكة، إلا فيما له صلة بها، واهتم بأخبار البيت الحرام، وأحوال مكة، وحج الخلفاء والسلاطين، والأعيان، وأمراء وقضاة مكة، والحملات العسكرية الواصلة إليها من مصر، وهو صورة واضحة وتفصيلية، عن مكة، وبهذا ينفرد عمن أرخوا لها.

١٠- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ولد بمصر سنة ٨٣١هـ وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، ودفن ببقيع الغرقد، نشره أسعد طرابزوني الحسيني في ثلاثة أجزاء (١٣٩٩هـ،/١٩٧٩م)،دار الكتب المصرية بالقاهرة، وهذا المصنف يشتمل على تراجم لرجال من أعلام المدينة النبوية وهو مرتب على حروف المعجم، وقد ابتدأه بسيرة نبوية مختصرة، وتحدث عن المسجد النبوي وما به من أبواب، وعن الروضة والحجرة النبوية والمنبر، وعن المدارس، والأربطة، والآبار، والمساجد، ثم تطرق لأئمة المسجد النبوي والخطباء والقضاة والخدم والفراشين والنظار والمحتسبين، وقد استقت منه هذه الدراسة معلومات كثيرة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وتراجم أهل المدينة وأمرائها وعلمائها وقضاتها والمجاورين بها.

١١- التبر المسبوك في ذيل السلوك، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة(ب. ت)، وقد رتبه المؤلف تاريخيّا على حسب السنين للدولة المملوكية، بدءاً من سنة (٨٤٥هـ) حتى شهر ربيع الأول سنة (٨٥٧هـ) ، وبه فوائد جمة عن العلاقة بين أشراف مكة وأمراء الحاج المصري خلال تلك الحقبة ، وقد أفاد هذا المصنف في تغطية جوانب تاريخية عديدة في هذه الدراسة بالإضافة إلى الأحوال الاقتصادية.

١٢ - بدائع الزهور في وقائع الدهور، لأبي البركات محمد بن أحمد بن إياس

الحنفي، المتوفي عام ٩٣٠هـ/١٤٢٤م، ج١، وج٢، بولاق ١٣١١هـ، وج٤، وج٥، ط٢ تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهو من المصادر المهمة لدراسة عصر المماليك الجراكسة وأوائل العصر العثماني، فقد عاش طوال هذه الفترة في القاهرة وعاصر وشاهد ما يرويه من أحداث وأخبار، وقد قسم كتابه المكون من خمسة أجزاء إلى عهود مستقلة، تبدأ بتولي كل سلطان جديد، وأشار إلى السنين بعناوين واضحة، ولكنه لم يرتب الوفيات بكتابتها في نهاية كل عام، وإنما أشار إليها حين وقوعها في شهور السنة، ويغلب على أسلوبه الإيجاز في كثير من الأحداث، ويعدّ مصدراً لدراسة الأحوال السياسية والاقتصادية، في إمارة مكة في أواخر العصر المملوكي، وينفرد بمعلومات مهمة عن دور البرتغاليين في تدهور مكانة جدة في التجارة العالمية في أواخر العصر المملوكي، كما أورد الكتاب الكثير من أخبار المكوس والضرائب في ميناء جدة.

١٣ - درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، لعبد القادر بن محمد الحريري المتوفى عام ٩٧٦هـ/١٥٦٨م، تحقيق حمد الحاسر، الرياض، جزءان ، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ومؤلف هذا الكتاب عمل مع أبيه في وظيفة كاتب ديوان إمرة الحاج، واستقل بتلك الوظيفة بعد وفاة والده ، ومن هنا جاءت أهمية كتابه المكون من جزءين، إذ يُعد الكتاب من أهم المصادر التي وصفت بالتفصيل طرق الحج من مصر، والشام، والعراق، واليمن إلى المدينتين المقدستين، وتحدث عن العربان الذين تقع منازلهم على هذه الطرق، ومن هنا جاءت أهميته في تقديم المعلومات عن هذه الجوانب من الدراسة.

ج - كتب التراجم:

تضم كتب التراجم الكثير من الجوانب الحضارية التي قد لا تتوافر في كتب التاريخ العام، لذا فهي ذات قيمة مهمة في هذا الجانب بالإضافة إلى تعريفها بالمترجم لهم، ومنها:

١ – المقفى الكبير ، للمقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي، توفي سنة (٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تحقيق، محمد البلادي، طبعة دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.

وهو كتاب تراجم، لمختلف الشخصيات الإسلامية، منذ بداية تاريخ الإسلام حتى وفاة المؤلف، وقد رتبه على حروف المعجم، وبه معلومات وافية عن عدد كبير من أمراء الحاج المصري، وبعض الشخصيات المهمة مما يفيد في هذه الدراسة.

٢ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للعسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، الشهير بابن حجر، المتوفى سنة (٨٥٢هـ/١٤١٩هـ)، ٥ أجزاء ط٢، القاهرة ١٩٦٦م.

وهذا الكتاب يترجم لرجال القرن الثامن الهجري، ويذكر أحوالهم، وقد أورد مؤلفه أسماء من ترجم لهم من العلماء، والمحدثين، والفقهاء، والمؤرخين والشعراء والوزراء والسلاطين والصلحاء والأمراء، ورتبهم ترتيباً أبجديّا، واعتمد ابن حجر في شطر من تراجمه على من سبقوه، ثم أضاف أكثر التراجم من عنده. وبالكتاب معلومات مفصلة عن المجاورين في مكة والمدينة، وعن العلماء والقضاة في المدينتين المقدستين، مما يفيد في هذه الدراسة.

٣ – عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين محمود العيني المتوفي سنة ٨٥٥ هـ/١٤٥١م، ويعتبر هذا الكتاب من أشهر مؤلفاته ، حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م في ثلاثة أجزاء ، وهو مرتب على السنوات من بداية عصر سلاطين المماليك (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) إلى (٧٠٧هـ/١٣٠٧م).

وقد استفادت منه هذه الدراسة في المعلومات التاريخية والتراجم .

٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، ١٢ جزءاً ، بيروت، مكتبة الحياة، وهذا الكتاب يضم تراجم لحكام المدينتين المقدستين وغيرهم من الأشراف، فضلاً عن أعيانهما، وبه تراجم لكبار أمراء المماليك الذين كان لهم دورٌ مهم في حياة المدينتين.

٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي، المتوفى عام ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م، ٨ أجزاء، بيروت ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٩م، ويعدّ هذا الكتاب من أضخم وأهم مؤلفات الفاسي التاريخية، جمع منه بالأحرف الأبجدية تراجم عدد كبير من أشراف المدينتين المقدستين، وقضاتهما، وعلمائهما، والمشاهير بهما

من المجاورين، عدا ما تناوله عن الخلفاء والسلاطين والأمراء، كذلك ترجم لمن وسّع المسجد الحرام أو عمّره، أو عمل شيئاً من المآثر الحسنة فيه، كما تعرض للأربطة، والمدارس، وغير ذلك. ويتألف الكتاب من ثمانية أجزاء كلها تنقل لنا صوراً حية لمكة في النواحي السياسية، والإدارية والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية.

وتتميز كتابات الفاسي بالدقة والموضوعية والوضوح وعدم التحيز ، والاهتمام بالكثير من التفصيلات المفيدة، لذا يعد كتابه العقد الثمين من أهم كتب التراجم في تاريخ البلد الأمين وقد استفادت منه هذه الدراسة.

د- كتب الجغرافيا:

١- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي الفضل عبد الله ياقوت الحموي البغدادي،المولود ببلاد الروم عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م، والمتوفي عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.

وكان قد أحضر أسيراً إلى بغداد حيث اشتراه تاجر بغدادي فنسب إليه، وتعد المادة الجغرافية التي يقدمها مصنفه مادة شاملة، تقدم صوراً جغرافية واضحة عن المواقع التي يعرف بها، مما يفيد في هذه الدراسة .

هـ - كتب الرحلات:

كتب الرحلات من الكتب المهمة في التاريخ الحضاري، حيث إن مؤلفيها شهود عيان لما كتبوه ووصفوه، لذلك امتازت كتاباتهم بالوصف الدقيق للمدن، والمنازل والطرق، والأحداث التاريخية، ومظاهر الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية، ومن هذه الكتب:

١- رحلة ابن جبير، لأبي الحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي الأصل، الغرناطي الاستيطان، المتوفي عام ٦١٤هـ/١٢١٧م بالإسكندرية[١]، وعلي الرغم من أنه متقدم عن العصر المملوكي، فإن رحلته فيها الكثير من المعلومات الاقتصادية عن المدينتين المقدستين، وخاصة عن مكة وعن السلع التجارية الواردة إليها، وكذلك النشاط التجاري في البحر الأحمر، والمكوس.

٢- مستفاد الرحلة والاغتراب، لأبي القاسم بن يوسف السبتي التجيبي،

---

(١) زكي محمد حسن ،الرحالة المسلمون في العصور الوسطي ،القاهرة ،دار المعارف ،١٩٤٧م، والسيد عبد العزيز سالم ،التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٢٢٠ .

المتوفي عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م،تحقيق : عبدالحفيظ منصور، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، والتجيبي من الرحالة المغاربة الذين وصفوا أحوال مكة الاقتصادية والسياسية والتاريخية وتجار الكارم والعادات الاجتماعية بها، وذكر أئمة الحرم المكي وعلماءه والعلوم التي كانت تدرس في الحرم المكي، وكان شاهداً ومعاصراً لكل ما سجله، ومن هنا جاءت أهمية كتاباته.

٣- رحلة ابن بطوطة، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي، المولود في مدينة طنجة عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، والمتوفى عام ٧٧٩هـ/١٣٧٨م، وعرف باللواتي نسبة إلى قبيلة لواته البربرية التي انتشرت بطونها على طول ساحل أفريقيا حتى مصر[١]، تعتبر رحلته سجلاً حافلاً لمشاهداته في المدينتين المقدستين، فقد عنى بتسجيل ملاحظاته الخاصة بأحوالهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما تحدث عن أهمية كل من ميناء جدة وينبع، ولهذا استمد البحث من رحلة إبن بطوطه ، الكثير من المعلومات عن المدينتين المقدستين.

واقتضت طبيعة الدراسة أن يشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة، ثم الملاحق، والفهارس.

وتتناول المقدمة، موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، والصعوبات التي واجهته، ثم تقدم عرضاً عامّا لفصول البحث ومباحثه، وأهم المصادر التي اعتمدت الدراسة عليها، والدراسات السابقة، مع تحليلها ونقدها.

ويشتمل التمهيد على تعريف الوقف في المذاهب المختلفة، ومشروعيته، وأنواعه وأركانه، ثم إشارة عامة موجزة إلى الأوقاف منذ فجر الإسلام حتى العصر المملوكي، ونبذة مختصرة عن وجوه صرفها وأهدافها، مع الربط بين النظام العام للوقف في الدولة الأيوبية، والدولة المملوكية التي خلفتها.

وعنوان الفصل الأول: اهتمام المماليك بأوقاف الحرمين الشريفين، و يتناول بالشرح والتفصيل المباحث التالية:

أولاً – الاهتمامات السياسية للمماليك بالحرمين الشريفين، وفيه الحديث عن أوضاع مكة المكرمة السياسية في ذلك العصر، ثم الأوضاع السياسية في المدينة المنورة في الفترة نفسها، ثم الحالة العامة في العالم الإسلامي،

---

[١] كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج ١ص٤٢٢،وحسين مؤنس،إبن بطوطة ورحلاته ، دار المعارف ١٩٨٥م ص ١٠ .

وطمع الحكام في السيطرة على الحرمين الشريفين، ليؤكدوا زعامتهم، ويساندوا شرعيتهم وأحقيتهم في حكم المسلمين.

ثانياً – الاهتمامات الدينية للمماليك بالحرمين الشريفين، ويعلل هذا المبحث لرعاية سلاطين المماليك لطرق الحج، ولاحتفال بالمحمل وحرصهم على المظاهر والمراسيم المتعلقة به، كما يقدم شرحاً للجهود التي بذلها المماليك لتقديم كل التسهيلات للحجاج الذين يسلكون طريق الحاج المصري، وأيضاً للقادمين إلى مكة والمدينة عن طريق الحاج الشامي. ويتحدث المبحث عن كسوة الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة، وعن حجات السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة ونسائهم، وعن الحافز على كثرة الصدقات والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين.

ثالثاً– الاهتمامات الاقتصادية للمماليك بالحرمين الشريفين: ويعالج هذا المبحث الأعطيات والصدقات والأوقاف على أهالي الحرمين من الناحية الاقتصادية، وأثر نفقات الحجاج في مجتمع مكة والمدينة، ويشير إلى المكوس، ومراسيم السلاطين في الحرمين، ويشرح دور ميناءي جدة وينبع في إنعاش الحالة الاقتصادية، ويبين أهمية الميناءين لمكة والمدينة، والوظائف الإدارية في كل من الميناءين، ثم يعلل لانهيار ميناء جدة وميناء ينبع اقتصاديّا، ثم يتحدث عن الأزمات الاقتصادية، التي كانت تحدث بين حين وآخر، في المدينتين المقدستين، في فترة الدراسة.

رابعاً– الاهتمامات الاجتماعية المماليك بالحرمين الشريفين: ويبين هذا المبحث ما قام به المماليك من إصلاحات ومنشآت في الحرمين الشريفين، ويشمل ذلك: المدارس في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، والأربطة في كل من المدينتين، وبيمارستان مكة. وبيمارستان المدينة، ثم الخدمات المدنية في المدينتين المقدستين.

والفصل الثاني بعنوان: أوقاف الحرمين الشريفين في مصر وفي المدينتين المقدستين:

وتم تقديم المعلومات عن هذا الموضوع، في مباحث ثلاثة :

أولاً – الأوقاف التي رصدت لشئون الحرمين الشريفين، وقُسّمت إلى: أوقاف من السلاطين، وأوقاف من الأمراء الأعيان.

ثانياً - الأوقاف التي خصصت للصرف على الأشراف وأهالي الحرمين الشريفين، سواء من السلاطين، أو الأمراء و الأعيان.

ثالثاً – الأوقاف التي يذهب ريعها إلى الخدمات العامة على الحرمين الشريفين، سواء وقفها السلاطين، أو الأمراء و الأعيان، ومما يميز هذا الفصل أن اعتماده الأكبر كان على المصدر الأول للبحث، وهو الحجج والوثائق الوقفية.

أما الفصل الثالث: فقد خُصّص لدراسة التنظيمات الإدارية للوقف في الدولة الملوكية، للمدينتين المقدستين:

وجاءت مباحثه كالتالي:

أولاً : الأوقاف العامة (الخيرية – الحكمية)

ثانياً : الأوقاف الخاصة (الأهلية – الذرية).

ثالثاً : تنظيمات الوقف والإشراف عليه.

رابعاً : ديوان الأحباس.

خامساً : تدهور الأوقاف.

والفصل الرابع والأخير عن: أثر الأوقاف على الحياة العامة في المدينتين المقدستين:

والمبحث الأول هو: أثر الأوقاف على الحياة الدينية:وبه حديث موسّع عن الشعور الديني وعمقه في النفوس، ثم شرح للوظائف الدينية في المدينتين : مكة، والمدينة ومنها: القضاء، والخطابة والإمامة، وسدانة الكعبة، وخدمة المسجد الحرام والحجرة النبوية الشريفة، والأذان في الحرمين الشريفين، ويتواصل الكلام على الوظائف ليشمل: السقاية في الحرمين والوقادة، والفراشة، والبوابين، وفي ثنايا ذلك تأتي وظيفة ناظر العمارة، والنظارة على الحرمين الشريفين.

والمبحث الثاني عن: أثر الأوقاف على الحياة الاجتماعية، ويقدم هذا المبحث صورة مضيئة عن : توفير الحياة الكريمة لكل طبقات المجتمع في مكة والمدينة، سواء كانوا من الأمراء أو العلماء وأرباب الوظائف، أو الأهالي والمجاورين.

وفصّل هذا المبحث الرعاية الصحية التي نعِم بها كل من عاش تحت سماء المدينتين المقدستين ، وبه أيضاً: تعريفات بالوظائف الطبية التي تكاملت على أيدي القائمين بها الرعاية الصحية على أفضل وجه، ولم يغفل المبحث الحديث عن توفير المياه في داخل المدينتين المقدستين، وفي خارجهما مما يتصل بهما.

والمبحث الثالث عن: أثر الأوقاف على الحياة الاقتصادية، وفيه بيان لازدهار الحياة الاقتصادية، باعتبار ذلك إحدى ثمرات الأوقاف، ثم حديث عن أثر الأوقاف في تخفيف أعباء الحياة على مجتمع مكة والمدينة، في أثناء الأزمات الاقتصادية التي كانت تحدث بين حين وآخر، نتيجة لأسباب طبيعية أو بشرية.

والمبحث الرابع بعنوان: أثر الأوقاف على الحياة العلمية ، ويتحدث هذا المبحث عن ازدهار الحياة العلمية في المدينتين المقدستين، في فترة المماليك، ويبدو ذلك واضحاً من كثرة العلماء، كثرة الطلبة، وتزايد المؤسسات والمنشآت العلمية، وتوافر خزائن الكتب والمكتبات في مكة والمدينة.

وتجيء الخاتمة بعد الفصل الرابع ، لتقدّم أهم نتائج الدراسة، يليها الملاحق وتتكون من :

الملحق رقم (١): ويشتمل على جدول بأسماء سلاطين المماليك وفترة حكم كل منهم.

الملحق رقم (٢): (أ) ويشتمل على جدول بأسماء أمراء مكة المكرمة في فترة هذه الدراسة.

(ب) ويشتمل على جدول بأسماء أمراء المدينة المنورة، في فترة هذه الدراسة.

الملحق رقم (٣): (أ)جدول أهم الوظائف في العصر المملوكي والتعريف بها .

(ب) طائفة من المصطلحات الحضارية في العصر المملوكي

الملحق رقم (٤): جدول فهرس الوثائق.

الملحق رقم (٥): (أ) نماذج من نصوص الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(ب) نماذج من نصوص الوثائق المحفوظة بالدفتر خانه بوزارة الأوقاف بالقاهرة.

الملحق رقم (٦): صور من لوحات الوثائق :

أ – دار الوثائق القومية.

ب – وزارة الأوقـاف.

ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

وأخيراً : فهرس الموضوعات.

ومن الوثائق التي سبق الحديث عنها ، ثم من المصادر المخطوطة التي تقدمت، والمطبوعة التي ذكرت، ومن كل المراجع التي تتصل بموضوع البحث، والمثبتة في قائمة في آخر الرسالة، كانت مادة هذه الدراسة نفع الله بها. ، وهو الموفق والمعين.

التمهيـــــد

معنى الوقف:

الوقف لغة: الحَبْس ، ووقَفَ الأرض على المساكين ، أو للمساكين: حبسها، وتقول: وقفتُ الشيء أقفه وقفا. ولايقال فيه: أوقفتُ إلا على لغة رديئة [1].

والحُـبُس ، بالضم: ما وُقف ، وحبَّس الفرس في سبيل الله وأحبسه: وقفه، وفي الحديث: ذلك حبيس في سبيل الله، أي موقوف على الغزاة يركبونه في الجهاد.

والحُبُس: جمع الحبيس: يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرّما لايورث ولايباع من أرض ونخل وكرم ومستغلّ ، يحبس أصله وقفا مؤبّدا، وتسبَّل ثمرته تقربا إلى الله عز وجل، كما قال النبي ﷺ، لعمر في نخل له أراد أن يتقـرب بصدقته إلى الله عز وجلّ ، فقال له: حَبِّس الأصل، وسبِّل الثمرة، ومعنى تحبيس الأصل أن لايورث ولايباع ولايوهب، ولكن يترك أصله، ويجعل ثمره في سبُل الخير، وفي حديث الزكاة: أن خالداً جعل رقيقه وأعتُده حُبسا في سبيل الله ، أي وقفا على المجاهدين وغيرهم.

وفي حـديث ابن عباس: لما نزلت آية الفرائض قال النبي ﷺ : لا حَبس بعد سورة النساء، أي لايوقـف مال ولايزوى عن وارثه، إشارة إلى ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من حَبْس مال الميت ونسائه، كانـوا إذا كـرهوا النسـاء لقبح أو قلة مال حبسوهن عن الأزواج، لأن أولياء الميت كانوا أولى بهن عندهم [2].

الوقف في اصطلاح الفقهاء:.

عند الأحناف:

أ – عـرّفه الإمام أبو حنيفة بأنه: (حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة)، وهذا التعريف ينطبق على الوقف غير اللازم، ولايشمل الوقف على النفس ثم على الفقراء، أو على الأغنياء ثم الفقراء، ولذلك أضاف إليه بعض علماء المذهب كلمة (حكم) ، وعبارة (ولو في الجملة) فأصبح التعـريف : حـبس العين على (حكم) ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة، (ولو في الجملة) ليكون التعريف جامعاً مانعاً [3].

ب – عرّفه الصاحبان (أبو يوسف ومحمد) بأنه: حبس العين على حكم ملك الله تعالى: وصرف منفعتها،

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب، مادة (وقف) المجلد التاسع، ص ٣٥٩، ٣٦٠، دار صادر ، بيروت، .

(٢) المرجع السابق، مادة (حبس) المجلد السادس، ص٤٤، ٤٥.

(٣) ابـن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، الشهير بابن عابدين، حاشية رد المختار شرح تنوير الأبصار، ط٢، ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م، مطبعة الحلبي، ج٤، ص ٣٣٧

على من أحبّ ولو غنيا فيلزم [١].

ج ـ عرّفه السرخسي بأنه: حبس المملوك عن التمليك من الغير[٢] .

٢ ـ عند المالكية:

الوقف: إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا[٣] .

٣ ـ عند الشافعية:

الوقف تحبيس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته يصرف في جهة خير تقربا إلى الله تعالي [٤].

وعـــرفه بعضـــهم: بأنه حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود. [٥]

٤ ـ عند الحنابلة:

الوقف: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة [٦].

ويرى الإمام محمد أبو زهرة أن "أجمع التعاريف لمعاني الوقف عند الذين أجازوه، أنه حبس العين وتسبيل ثمرتها، أو حبس عين للتصدق بمنفعتها، أو كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: إنه قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة، فقوام الوقف في هذه التعريفات المتقاربة: حـــبس العين فلا يتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة ولا تنتقل بالميراث . والمنفعة تصرف لجهات الوقف على مقتضى شروط الواقفين" [٧]

ويتفق مع هذا الرأي صاحب كتاب: الوقف الأهلي، إذ يقول: "إن أصح تعريف في نظري هو ما ورد في قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه : حبّس الأصل وسبّل الثمرة، لأنه يبين ما هية الوقف من حبس الرقبة والتصدق بالمنافع"[٨].

---

(١) حاشية ابن عابدين، ج٤ ، ص ٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) السرخسي: أبوبكر محمد بن أحمد: المبسوط، مطبعة السعادة، القاهرة، ج ١٢ ص ٢٧..

(٣) الحطاب: أبو عبد الله محمد بن محمد المغربي (ت٩٥٤هـ)، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج ٦ ص١٨ .

(٤) محيي الدين يحيى النووي، تصحيح التنبيه، مطبوع بهامش التنبيه ١٣٧٠هـ/١٩٥١م

(٥) محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، مطبعة الاستقامة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م،٢/٣٧٦

(٦) أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، (ت٦٢٠هـ) المغني ، مكتبة الجمهورية العربية، ٥/٥٩٧

(٧) محمد أبو زهرة ، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٣٩.

(٨) طلال عمر بافقيه، الوقف الأهلي، ط١، جدة. دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٤٩، ٥٠

مشروعية الوقف:

لم يـــرد في القرآن الكريم نص صريح علي الوقف ، ولكن وردت آيات كثيرة تحث على فعل الخير ، والتعاون على البر والتقوى ، والوقف يدخل في ذلك .

قال تعالى: ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾[١]

وقال عز وجل: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾[٢].

وقال جل وعلا: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾[٣].

وعلي هذا فالأصل في مشروعية الوقف السنة المطهرة ، والإجماع من الصحابة وفيما يلي بعض الأدلة علي ذلك :-

أولا - من السنة:

- روى الـــبخاري ومســـلم عن نافع بن عبدالله بن عمر قال: أصاب عمر أرضا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يارسول الله ، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منها، وقد أردت أن أتقرب به إلى الله عز وجل فما تأمرني به؟ فقال رسول الله ﷺ " إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بثمرتها" فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث.
- روى الإمـــام الـــبخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه قلت: يارســـول الله، إن من توبتي أن أنخلع عن مالي صدقة إلى الله ورسوله ﷺ قال: (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك)، قلت: أمسك سهمي الذي بخيبر[٤].
- روى الإمـــام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة : جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٤) الإمـــام البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، هامش الفتح، مطبعة الحلبي، ج ٥ ص ٣٨٦، وقد عقد الإمام البخاري ترجمة لهذا الحديث وهي باب إذا تصدق أو وقف بعض رقيقه أو دوابه فهو جائز.

وقد حبس رسول الله ﷺ في السنة الثالثة للهجرة سبعة حوائط وكانت ملك مخيريق اليهودي من علماء بني النضير، أسلم يوم أحـــد وأوصى بماله لرسول الله يضعه في سبيل الله ، والحوائط هي: الصافية، والأعواف، والدلال، والميثب، والبرقة، وحسنا، ومشـــربة أم إبراهيم، انظر: الطرابلسي: برهان الدين إبراهيم، (ت ٩٢٢/ ١٥١٦هـــ)كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة(د – ت)، ص ٦.

والصـــدقة الجارية هي الوقف كما فسرها الإمام النووي السنوسي وغيرهما رحمهم الله ،في شرحهم علي صحيح مسلم[١] .

ثانياً - إجماع الصحابة:

وقـــد حبس صحابة رسول الله ﷺ ،وأحباسهم مشهورة[٢]، ويقول جابر رضي الله عنه: (لا أعلم أحداً كان له مال من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالاً من صدقة جارية مؤبدة لا تشترى ولا توهب ولا تورث).

وبـــناء على ثبوت الوقف بالأدلة الصحيحة من السنة والإجماع من الصحابة رضوان الله عليهم، جاءت مذاهب الأئمة الكرام بمشروعيته[٣].

وقـــد اتفق علماء المسلمين وفقهاؤهم على جواز الوقف بشروط محددة ولكنهم اختلفوا في الرأي حول العين الموقـــوفة، ومنشـــأ هذا الاختلاف هو الخشية من انحراف الواقف عن هدف الوقف وغايته الشرعية إلى أهداف دنيوية كحـــرمان الورثة، أو التهرب من دين، أو الخوف من تبديد الورثة للمال، أو غير ذلك فهذه الذرائع لا تتفق والحكمة مـــن الوقف. وهذا ما حدا ببعض الفقهاء ومنهم أبوحنيفة وشريح القاضي إلى القول بعدم مشروعية الوقف، واستدلوا بـــبعض أدلة منها ما رواه ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ بعدما أنزلت سورة النساء يقول: (لاحبس عن فرائض الله سبحانه وتعالى وإن منع التصرف في العين)[٤].

ومـــا تقـــدم من الأدلة ومن تاريخ الصحابة يتبين أن الوقف في الإسلام اعتمد على أربعة أصول رئيسية: أولها: فكرة الصدقة الجارية، الواردة في الحديث عن النبي ﷺ

والثاني: ما أثر عن النبي ﷺ من صدقات قبض عنها.

والثالث: الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن نافع بن عبدالله بن عمر، بشأن وقف عمر بن الخطاب في السنة السابعة من الهجرة، وهو أول من وقف من الصحابة.

---

(١) **الإمام مسلم**: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم،القاهرة،ج٦ص٧٣ ،
الـــنووي :أبـــو زكـــريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـــ ١٢٧٧م) ، شرح صحيح مسلم ،المطبعة المصرية القاهرة، (د-ت).
السنوسي: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٨٩٥هـــ)،تكميل إكمال الكمال،ط١٣٢٨،١هـــ،ج٤ص٣٤٦.

(٢) ابـــن حـــزم، أبـــو محمد علي بن احمد (ت ٤٥٦هـــ / ١٠٦٤ م) جمهرة أنساب العرب،تحقيق عبد السلام محمد هـــارون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩م ، يقول في ص ١٢٣:صدقات الصحابة بالمدينة أشهر من الشمس ، لا يجهلها أحد.

(٣) الطرابلسي ، الإسعاف، ص ٧.
وقد وقف عمر رضي الله عنه وجعل ريعه على ذوي قرباه وأقره النبي ﷺ، كما حبس عثمان بن عفان رضي الله عنه وكذلك معـــاذ بن جبل وسعد بن أبي وقاص، كما حبست عائشة رضي الله عنها وأختها أسماء، وأم سلمة، وأم حبيبة، وصفية زوج النبي. انظر: الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٦١ هـــ) كتاب أحكام الأوقاف، ط١ ، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية ١٣٢٢هـــ ، ١٩٠٤م ص ١٥-١٩.

(٤) ابن الهمام: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، فتح القدير، ط ١، بولاق، ١٣١٦هـــ، ج٥، ص ٥٤٢.

والرابع: ما ثبت من أن الصحابة قد وقفوا، ومنهم: عثمان، وعلي رضي الله عنهم [١].

أنـــواع الوقـف:

ينقســـم الوقـــف من حيث من ينتفعون به إلى نوعين: خيري وأهلي ، وهذا التقسيم لم يكن موجـــوداً في صـــدر الإسلام . بل إن الوقف كان يسمى صدقة ، إلا أن مفهوم هذين النوعين كان موجوداً وإن لم يطلق عليهما: الأهلي والخيري.

تعريف النوع الأول (الخيرى):

هو ماجعل ابتداء على جهة من جهات البر ولو مدة معينة، يكون بعدها وقفاً على شخص معين من أقارب الواقف أو غيرهم.

تعريف النوع الثانى (الأهلى):

الوقـــف الأهلـــي أو الذري هو ماجعل ابتداء لشخص معين أو أشخاص معينين، سواء كانوا من أقـــارب الواقف أو لا، مع تعيين جهة من جهات البر تستحق الوقف بعد انقطاع الشخص أو الأشخاص الذين سماهم[٢].

وبدراســـة أنـــواع الوقف في العصر المملوكي يمكن القول إن هذا العصر شهد ثلاثة أنواع من الوقف:

(الأول) ديوان الأحباس[٣]

وكـــان يشـــرف عليه الدوادار[٤] وناظر الأحباس[٥] وعدد من المباشرين والكتاب، ويتولى صاحب ديوان الأحباس توزيع الصدقات من ريع الأرض الموقوفة على المؤسسات الدينية.

---

(١) محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠هـ - ١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، ط ١، دار النهضة العربية – القاهرة ، ص ١٥-٢٠.

(٢) عبد الغفار إبراهيم: أحكام الميراث والوصية والوقف في الفقه الإسلامي، القاهرة (دت) ،ص ٢٢٦.

(٣) **ديـــوان الأحباس**، أي ديوان الأوقاف ولفظ الديوان عرف في الدولة الإسلامية أولاً بمعنى السجل، وأول من دون الدواوين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي سجل إيرادات الدولة، ومصروفاتها، وأول من رتب الدواوين الخليفة عبد الملك بن مروان. انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ٢ ص ٥٤١.

(٤) **الدوادار**: وردت هذه الوظيفة في كثير من الوثائق وتتألف من كلمتين (دواة) العربية وهي ما يكتب منه (ودار). الفارســـية بمعنى ممسك والمعنى الكلي (ممسك الدواة، أو الموكل بالدواة) ويقصد بذلك الموكل بدواة السلطان أو الأمير، وقد عرفت هذه الوظيفة في عصر العباسيين ،و تطورت في العصر المملوكي ، وكانت من الوظائف التي يشغلها عسكريون وأمراء. انظر: القلقشندي (أبو العباس أحمد)،صبح الأعشي في صناعة الانشا،دار الكتب المصرية القاهرة (د.ت) ،ج٤ص١٩ ،وحسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة، القاهرة، ج ٢ ص ٥١٩، ٥٢٠.

(٥) **ناظـــر الأحباس**: هو ناظر الوقف وهو اسم وظيفة مكون من لفظة (ناظر) والناظر في عصر المماليك كان موظفاً من كتاب الأموال، والأحباس : الأوقاف ، جمع حبس ، ويقع علي كل شئ وقفه صاحبه محرما لا يورث ولايباع،يحبس الأصل وتسبل الثمرة تقربا إلي الله تعالي ، ابن منظور،لسان العرب،جـــ٦ ص٤٤ ،وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١١٩٨.

ويختص صاحب ديوان الأحباس بالإشراف على المؤسسات الدينية من جوامع ومساجد وأربطة وزوايا ومدارس إلى جانب الإحسان إلى المحتاجين، ومما يدل على ذلك ويؤكد عليه ما أشار إليه المقريزي، أنه حين فوض الناصر محمد وظيفة نيابة السلطنة إلى الأمير بيبرس كان من ضمن اختصاصاته الإشراف على ديوان الأحباس[١].

النوع الثاني (الأوقاف الخيرية الحكمية) [٢]:

ويشمل الرباع الموقوفة على الحرمين الشريفين وعلى الصدقات وعلى طلبة العلم، والفقراء والمعوزين، وعلى الأسرى، ويشرف عليها قاضي قضاة الشافعية، ويعرف باسم (ناظر الوقف)[٣] وله نائبان يشرف أحدهما على أوقاف القاهرة، والآخر على أوقاف مصر، ويعين كل منهما نائباً عنه يكون مباشراً لأوقاف الحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة[٤].

النوع الثالث (الأوقاف الأهلية الذرية) [٥]:

ولها ديوانها، وناظر خاص بها، وهذا الناظر إما أن يكون من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان، أو القاضي.

ويستفاد من النصوص والمصادر المملوكية أن هذا النوع من الأوقاف وجد بصورة رئيسية ليكون مصدراً ثابتاً للرزق في الأسرة حتى ينتهي النسل تماماً وينقطع، فيتحول إلى وقف خيري ، للصرف على المساجد ولمساعدة المحتاجين والفقراء وغير ذلك من جهات البر[٦].

---

(١) المقريزي: (تقي الدين احمد بن علي) (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٨ م ، ج ٢ ز اقسم الأول ، ص ٧٥ – ٢٦٩.

(٢) هو الوقف علي جهات البر والخير ،كالوقف علي المساجد والعلماء وطلاب العلم ،والفقراء ،والمساكين،والأرامل، واليتامي ،دون الأغنياء.،انظر الخصاف، أحكام الاوقاف ،ص٣٢٤ ، وطلال عمر بافقيه، الوقف الأهلي ، دار القبلة ط١ ،جدة ،، ص ٥٩.

(٣) **ناظر الوقف:** أو متولي الوقف أو المشرف عليه ويرعى مصالحه ويقوم بتعميره وتنميته ويدير أموره، ويراقب موظفيه ويحصل إيراده ،ويقوم بمصالحه حسب شروط الواقف . ، القلقشندي ،صبح الأعشي، جـ١٢،ص ٣٤٣ ، وحسن الباشا ،الفنون الاسلامية ، جـ٣ ص ١٢١٥ ، وفي الفصل الثالث من هذه الدراسة ،كلام موسع عن الوظائف الوقفية بالإضافة إلي جدول (أ) أهم الوظائف التي وردت في البحث في الملحق رقم (٣) في آخر الرسالة .

(٤) **ومن الوظائف التابعة لناظر الوقف:** مباشر أوقاف الحرمين الشريفين، والمباشر هو الموظف المكلف بإدارة العمل والإشراف عليه، وكان يعين للأوقاف مباشرون يعنون بمصالحها، ويقيدون المتحصل من ريعها، والمنصرف على مرافقها، وكان يشترط في مباشر الوقف أن يكون أميناً عارفاً بصناعة الكتابة وتنظيم الحسابات وضبطها. انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ٣ ص ٩٨٤.

(٥) هو ما كان نفعه خاصا منحصرا في ذرية الواقف ،ومن بعدهم أي جهة من جهات البر التي لا تنقطع ، بافقيه ، الوقف الأهلي ، ص ٥٩ .

(٦) المقريزي: أحمد بن علي (ت ٨٤٥/١٤٤٢م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٩٥٩م، ج ٢ ص ٢٩٥.

أحكام الوقف وأركانه وشروطه:

الوقف عمل صادرٌ عن إنسان مكلف شرعاً، لذا وجب أن يتصف بحكم من الأحكام الشرعية، والحقيقة أنه قد تتوارد عليه عدة أحكام، فقد يكون مباحاً: يثاب على فعله إذا كان بنية التقرب إلى الله تعالى كالوقف على الأغنياء، أو على ذريته، ومن بعدهم على الفقراء، رغبة من الواقف في المحافظة على الموقـــوف وعدم تمكين الورثة من التصرف فيه بعد موته، أما دون انعقاد نيته على التقرب إلى الله تعالى وطلـــب مثوبـــته فلا ثواب له، وكذلك وقف الذمي لأن نية القربة منه لا تصح، والوقف ذاته لابد أن تـــنوي به القربة وتارة يكون مندوباً فيثاب على فعله، ولا يعاقب على تركه، وذلك أيضا إذا نوى به الواقـــف التقـــرب إلى الله تعالى ولو كان على ذريته، وذوي قرابته، وتارة يكون واجباً فيثاب على فعلـــه ويعاقـــب علـــى تـــركه، إذا كان منذوراً، لقوله تعالى: ﴿وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتـــيق﴾ [1]، وتارة يكون حراماً، فيعاقب على فعله، إذا قصد به الضرر كإيذاء دائنيه، أو بعض ورثـــته، فالإضـــرار بالغير حرام، وحرمته لا تنفي صحته، ولا تبطل مشروعيته عند الحنفية، كالبيع وقـــت صـــلاة الجمعة، أو صلاة الفرض في ثياب مغصوبة، فعلى الرغم من حرمة لبسها فإن صلاة الفرض فيها تجزئ وتصح شرعاً، وذهب مالك رحمه الله تعالى إلى أن الوقف إن لابسته معصية يكون بـــاطلاً ، كالوقـــف علـــى أولاده دون بناته، ولو اشترط في الوقف على بناته أن من تزوجت منهن خرجت من الوقف ولا تعود إليه ولو تأيمت، يكون باطلاً[2].

---

(١) سورة الحج، الآية (٢٩).

(٢) الدردير، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٤، ص ٧٩، وعبد الجليل عشوب، أحكام الوقف، ص ١٣ ، ١٤، منشورات المكتبة الحديثة - طـــرابلس، لبنان (د.ت)، والكبيسي، الوقف في الشريعة الإسلامية، ص ٨ ، ١٠ ، ١٤، وقد اتفق الصاحبان أبو يوسف ومحمد على أن الوقف سواء كـــان عامّـــا أو خاصّـــا (خيريًا أو أهليا) إذا صدر مستوفيا شرائطه يكون لازما في حياة الواقف، أو بعد مماته، فلا يجوز له الرجوع في وقفه كله أو جـــزئه، وإذا اشـــترط الرجوع في وثيقة وقفه كان باطلاً لمنافاته حكم الوقف، ولا يجوز له أن يغير في مصارف وقفه وشروطه إلا إذا اشترط ذلك في حجـــة وقفـــه، وبعد وفاته لا ينتهي وقفه، ولا ينتقل الموقوف إلى ملك ورثته، ولا يحق لهم إبطاله كله أو بعضه فيبقى بعد وفاته كما كان في حياته، وذهـــب أبو حنيفة، إلى أن الوقف، سواء كان عامّا أو خاصاً (خيريًا أو أهليًا)، إذا صدر مستوفياً شروطه، لا يكون لازما لا في حياة واقفه ولا بعد مماتـــه، وعلـــى ذلـــك فـــيجوز للواقف أن يرجع في كل وقفه أو بعضه سواء اشترط ذلك في وثيقة وقفه أو لا، ويجوز له أن يغير في مصارف وقفه وشـــروطه ســـواء توافر هذا الشرط في وثيقة وقفه أو لا، لأن من ملك الرجوع في الوقف ملك التغيير في مصارفه وشروطه من باب أولى، وبوفاته ينتهـــي وقفه، وينتقل الموقوف إلى ورثته سواء رجع عن وقفه في حياته أو لا، واتفق أبوحنيفة والصاحبان على أن وقف المسجد يكون لازماً في حياة الواقـــف، وبعد وفاته، فلا يجوز الرجوع ولا التغيير في وقف المسجد =حتى لو اشترط ذلك، ولا ينتهي وقفه بموته بل يظل مسجدا أبدا بمجـــرد وقفـــه صار لله خالصاً لعبادته، والرجوع ينافي خلوصه لله، عبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، مطبعة النصر بالقاهرة، ط٣، ١٣٧٠هـــ - ١٩٥١م، ص ٢٩ - ٣١.

وعـــن أركان[١] الوقف وشروطه[٢]، تفيد بعض المصادر أن كل ركن من أركانه الأربعة التي تشمل الواقف، والموقوف، والجهة الموقوف عليها، وصيغة الوقف، تشترط فيه على الوجه الشرعي شرائط لا يصـــح الوقف ولا يترتب عليه حكمه إلا بتوافرها، فمن شرط الواقف حتى يكون وقفه صحيحاً، أو لازمـــاً بالنسبة لغيره: ألا يكون محجوراً عليه للدَّين، وألا يكون مريضاً مرض موت بحيث تتحقق أهليـــته للتـــبرع، وهي بلا شك أهلية الأداء الكاملة، وأهليته هذه لا تتحقق إلا إذا كان حرّا، لأن الوقـــف إســـقاط ملـــك، والرقيق وما في يده ملك لسيده إلا إذا أذن له مولاه بالوقف، وكان غير مســـتغرق في الـــدَّين، فيصـــح منه حينئذ وقف مازاد على دينه، ولا يصح وقفه وإن أذن له سيده إن كان مستغرقاً في الدين[٣].

وباشـــتراط العقـــل للواقـــف، فقد خرج المجنون الذي لا يصح وقفه، ففاقد العقل غير مميز، وبالضـــرورة فلـــيس أهلاً لأي تصرف أو إبرام عقد، ولا وقف أيضاً للمعتوه[٤] لنقصان عقله، وما شـــابهه كمـــن اختل عقله لكبر، أو مرض، أو مصيبة فاجأته، لعدم سلامة عقله، وإذا كان من شرط الواقـــف الـــبلوغ فلا وقف لصبي لم يبلغ لأنه غير مميز، والمراد بالبلوغ شرعاً: بلوغ الحُلم لا بلوغ الرشـــد، والصبي سواء كان مميزاً أو غير مميز، مأذوناً له بذلك أو لا، وقفه غير صحيح شرعاً، ومن شـــرط الواقف ألا يكون محجوراً عليه بسفه[٥]، أو غفلة، فلا يصح وقف المحجور الذي اتصف بهما، فالوقـــف تـــبرع والحجـــر بواحد من هذين يجعل المحجور غير أهل للتبرعات، إذ الحجر عليه لأجل المحافظة على ماله، وهو لا يملك التبرع بشيء منه، أما إذا وقف المحجور المذكور على نفسه، ثم على جهة لا تنقطع، فقد صح ذلك على قول أبي يوسف القائل بصحة الوقف على النفس، وهو الصحيح

---

(١) ركـــن العقـــد: هو جزؤه الذي لا يتكون ولا يتحقق وجوده إلا به ، كأركان الإسلام الخمسة، والوقف كذلك لا يتحقق وجوده إلا بواقف، ومال يوقف، وجهة يوقف عليها، وصيغة ينشأ بها، خلاف، أحكام الوقف، ص ٢٤.

(٢) الشرط عند علماء اللغة هو العلامة، وشرعاً ما تتوقف عليه صحة الشيء وليس جزءا من حقيقته، عشوب، أحكام الوقف، ص ١٥.

(٣) برهان الدين الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص ١٠ وفي هذه الصفحة ذكر الطرابلسي "بناء على قول أبي حنيفة رحمه الله"، وعشوب، أحكام الوقف، ص ١٥، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٤٢.

(٤) الفـــرق بـــين المجنون والمعتوه، أن الجنون خلل في العقل تجري معه الأقوال والأفعال على خلاف ما يقتضيه العقل، أما العته فهو نقص في العقـــل، وكلامـــه مختلط، بعضه يشبه كلام العقلاء، وبعضه يشبه كلام المجانين، وكذلك باقي أموره وأفعاله، وعلى ذلك فلو كان الواقف مجـــنوناً جنوناً متقطعا، ووقف في حال إفاقته وتمام عقله، ثم طرأ الجنون بعد الوقف صح وقفه لتوافر شرط العقل حين الوقف، ووقف المعتوه كوقف المجنون في هذا الحكم، الطرابلسي، الإسعاف ، ص ١٠، وعشوب، أحكام الوقف ص ١٥.

(٥) الســـفيه هـــو: المبذر الذي لا يحسن التصرف، أو المتلف الذي ينفق أمواله في وجوه لا يرضاها شرع ولا عقل، وذو الغفلة هو السليم القلب الذي يغبن في المبايعات، ولا يهتدي إلى الرابح من التصرفات، وليس السفه والغفلة من أعراض فقد العقل أو نقصه، وليس السفيه مجـــنوناً ولا معتوهاً، وذو الغفلة أيضاً، وإنما حجر عليهما مع أهليتهما بالبلوغ والعقل محافظة على أموالهما، ودفعاً للضرر عنهما، كما حجر على المدين مع أهليته بالبلوغ والعقل محافظة على حقوق دائنيه، وقد عرف السفه بأنه خفة تعتري الإنسان فتحمله على العمل في مالـــه على خلاف مقتضى الشرع والعقل مع قيام أهليته، الطرابلسي، الإسعاف، ص ١٠، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٤٣، وهامشها رقم (٢)، ومحمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ص ١٢٠ - ١٢١.

عند المحققين إذا حكم به حاكم، وذلك لأنه ممنوع من التبرع، والوقف على النفس لا يعتبر تبرعاً، بل فيه زيادة حفظ للموقوف، واستحقاق الغير له إنما هو بعد وفاته فلا يضر[١].

أما الموقوف وهو الركن الثاني، فهو محل الوقف الذي يرد عليه العقد، وهو المال الموقوف على التأبيد، وقد ذهب إلى ذلك أغلب فقهاء الأحناف، وعلى غير التأبيد كما رأى غيرهم من المالكية، ومن شروط الموقوف أن يكون ثابتاً لينطبق عليه حكم التأبيد، ولذلك قالوا يشترط في المال الموقوف أن يكون عقاراً، أو ملحقاً بالعقار، وأن يكون الموقوف معلوماً للواقف وقت الوقف، فلو وقف شيئاً من أرضه، ولم يبينه وقت الوقف، أو قال وقفت هذه أو هذه على المساكين لا يصح الوقف لجهالة الموقوف، ويكون الوقف مملوكاً للواقف وقت الوقف ملكاً محضاً ولو بسبب فاسد[٢]، ولا يصح وقف المنقول إلا إذا كان تابعاً للعقار، أو يكون وقفه قد جرى به عرف كوقف الكتب والمصاحف، فإن العُرف مصدر فقهي معتبر عند الأحناف، والموقوف سواء كان عقاراً أو منقولاً اشترط المالكية فيه ألا يتعلق به حق للغير، فلا يصح وقف مرهون أو مؤجر في أثناء تعلق حق الغير به، بل يصح عندهم وقف المنفعة كدار استأجرها مدة معلومة، فله وقف منفعتها في تلك المدة، وينقضي الوقف بانقضائها، لأنه لا يشترط فيه التأبيد[٣]. ومن شروط الموقوف أيضاً أن يكون مفرزا لا مشاعا إذا كان مسجداً أو مقبرة فالشيوع فيهما يبطل وقفهما اتفاقاً، أما غيرهما فليس الإفراز شرطا فيه، ولا يشترط في الموقوف عدم تعلق حق الغير به، فيصح وقف المؤجر والمرهون[٤].

أما عن شروط الموقوف عليه، أو الجهة الموقوف عليها، فيشترط أن يكون صرف الغلة إليها قربة في ذاته، أي من حيث النظر إلى ذاته وصورته قربة بحكم الشرع، بصرف النظر عن اعتقاد الواقف،

---

(١) ابن عابدين، ج٣، ص ٥٥٦، وعشوب، أحكام الوقف، ص ١٧، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٤٤، وزاد البعض أن وصية السفيه إذا كانت في حدود الثلث فهي جائزة، فالحجر عليه لصيانة ماله، وليس في هذه الوصية ضرر عليه، الشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص ٣٨١، وابن قدامة، المغني، ج٦، ص ٣٩، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٤، ص ٧٧، ومحمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ص ٨٢ وما بعدها.

(٢) يصح وقف ما اشتراه الواقف شراء فاسداً، كشرائه دارا بثمن معين على أن يدفع ثمنها متى وجد عنده، وبعد أن تسلّم المبيع - أي الدار - وقفه، فإن هذا الوقف يكون صحيحاً، لأن المبيع بيعاً فاسداً يُملك بالقبض، ويجب على المشتري دفع قيمة المبيع للبائع لا دفع الثمن، ومثل ذلك ما إذا وقف الموهوب له هبة فاسدة بعد قبضه، إذ هي تفيد الملك بالقبض، ولو كان الوقف قبل استلامهما لم يصح لعدم ثبوت الملك فيهما، وهذا بخلاف ما إذا كان البيع صحيحاً، فوقف المشتري العقار المبيع قبل قبضه واستلامه صح وقفه وإن كان قبل دفع الثمن، لكنه إذا لم يدفع، ولم يكن لديه مال كان للبائع حق طلب نقض الوقف، واستيفاء الثمن من المبيع، الطرابلسي، الإسعاف ص ١١ ، ١٣، وعشوب، أحكام الوقف، ص ٢٢ ، ٢٣، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٥٦ .

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٤، ص ٧٦، وعشوب، أحكام الوقف، ص ٢٢، ومحمد أبوزهرة، محاضرات في الوقف، ص ١٠٣ ، ١٠٤، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٦٠، ٦١.

(٤) مثال ذلك لو أجر أرضاً عامين، ثم وقفها قبل مضيهما لزم الوقف، ولا يبطل عقد الإجارة فإذا انقضت المدة، أو فسخت الإجارة بسبب صرفت إلى جهات الوقف، وكذا لو رهن أرضاً ثم وقفها قبل أن يفتكها صح الوقف ولا تخرج عن الرهن بذلك، وإذا طلب المرتهن دينه ولم يوجد عند الواقف غير الرهن، أو مات الواقف قبل أن يفتك الرهن ولم يترك مالاً يفي بالدين كان للمرتهن حق طلب إبطال الوقف، ويبيع الموقوف لسداد دينه، عشوب، أحكام الوقف، ص ٢٦ ، ٢٧، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٦٤ ، ٦٥.

كالفقـــراء والمســـاكين والمســـاجد والـــربط وابـــن السبيل، وغير ذلك من المرافق العامة كالمدارس والمستشـــفيات، ومن شروط الموقوف عليه أيضاً كما يقول الأحناف والحنابلة أن يكـــون جهـــة بر وقـــربة، بخلاف المالكية والشافعية الذين اكتفوا بأن يكون الموقوف عليه ليس جهة معصية، وعلى ذلك فيصح عندهم الوقف على الأغنياء وغيرهم[١]، خلافاً لمن ذكر عكس هذا الشرط، فأخرج الأغنياء من الموقوف عليهم[٢].

ويشـــترط في صـــيغة الوقف أن تكون منجزة تدل على إنشاء الوقف وإمضائه من حين صـــدورها، أمـــا الصـــيغة المعلقة على الشرط فلا تدل على إنشاء الوقف وإمضائه، وألا يكون الوقـــف فـــيها مضـــافاً إلى مابعد الموت، وألا تقترن بشرط الخيار سواء كانت المدة معلومة أو مجهولة، وألا تقترن بشرط ينافي حكم الوقف، وأن تكون مؤبدة[٣].

ومـــن خـــلال ماسبق تبينت شروط الوقف الشرعية في الواقف، والموقوف، و الموقوف علـــيه، وصيغة الوقف[٤]، فمتى توافرت هذه الشروط في كل مما ذكر صح الوقف، وترتب عليه حكمه شرعا، سواء صدرت صيغته من الواقف بالقول أو الكتابة، وسواء صدرت بكتابة عرفية، أو إشهاد رسمي، ولا يشترط شرعاً لصحة الوقف وترتب آثاره علـــــيه صدور إشهـــــاد رسمـــي بـــه مـــن الواقـــف إذ ليس هناك مذهب من مذاهـــــــب المسلمين اشترط التوثيق

---

(١) حاشـــية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٤، ص ٧٧، والشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص ٣٨١، ج٦، ص ٣٩، وأبوزهرة، محاضرات في الوقف، ص ٨٢، عشوب، أحكام الوقف، ص ٣٤.

(٢) الضـــابط في ذلك أن الواقف إما أن يذكر مصرفاً للوقف أو لا ، فإن لم يذكر فمصرفه إلى الفقراء والمساكين إلا إذا جرى العـــرف بالتســـوية بين الغني والفقير في الانتفاع بالموقوف كالمقابر والسقايات، والمساجد والطواحين والمصاحف، وكتب العلـــم ونحـــو ذلك، الشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص ٣٧٩، و(أبومحمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي) (ت ٦٢٠هـــ)، المغني، الناشر مكتبة الجمهورية العربية، ج٥، ص ٦٤٦، وعشوب، أحكام الوقف، ص ٣٤، وبافقيه، الوقف الأهلي، ص ٩٤ ، ٩٦.

(٣) حاشـــية الدســـوقي علـــى الشـــرح الكبير، ج٤، ص ٨٨، والشربيني، مغني المحتاج، ج ٢، ص ٣٥٨، وعشوب، أحكام الوقـــف، ص ٢٧ - ٢٩، وبافقيه، الوقف الأهلي، ص ٧٥ وما بعدها.

(٤) من أركان الوقف صيغته كما ذُكر، وفضلاً عن ذلك فهناك من قال إن ركن الوقف صيغته، واقتصر على هذه المقولة، لأن ذكـــر الملـــزوم يغني عن التصريح بلازمه، لأن هذه الصيغة إنما تصدر على وجه اللزوم من واقف في مال يوقف على جهة يوقـــف علـــيها، والوقف تصرف وليس عقداً، فلا يتوقف تمامه على توافق إرادتين بإيجاب وقبول، بل يتم بإيجاب الواقف وحـــده، وعلى ذلك فصيغة الوقف هي الإيجاب الذي يصدر من الواقف، أما قبول الموقوف عليه = سواء كان معيناً أو غير معـــين فليس شرطاً لصحة الوقف، ولا للاستحقاق فيه، فمن وقف على غير معين كطلبة العلم والفقراء بالحرم الشريف تم وقفـــه بإيجابه، واستحق في ريعه كل طالب فقير بهذا الحرم، ومن وقف على معين واحد أو أكثر تم وقفه عليهم بإيجابه، ولا يشـــترط لاســـتحقاقهم قـــبولهم، ولكن إذا رد الوقف الموقوف عليه المعين بطل استحقاقه فيه ولا يبطل الوقف نفسه، عبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٢٤ ، ٢٥.

لصحـــــة وقفه، أو لأي تصرف من التصرفات.

الأوقاف قبل العصر المملوكي:

هـــناك اختلاف حول أول حبس في الإسلام هل هو حبس رسول الله ﷺ لأراضي مخيريق اليهودي[١] أو صدقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهله وذويه[٢].

والأكثـــرون على أن أول وقف في الإسلام كان في السنة الثالثة للهجرة وهو سبعة حوائط كانت لمخيريق اليهودي الذي أسلم وقاتل مع المسلمين في أحد، وأوصى بأمواله لرسول الله ﷺ يضعها حيث أراه الله، وبعـــد استشهاده في المعركة قبض رسول الله ﷺ أمواله، وجعلها صدقة في سبيل الله حتى حمل من ثمرها إلى عمر بن عبدالعزيز أيام خلافته.

وتصدق رسول الله ﷺ بأول أرض أفاءها الله عليه، من أموال بني النضير بالمدينة، فحبسها على نفسه، فكانت من صدقاته يضعها حيث يشاء وينفق منها على أزواجه، وقد سلمها عمر بن الخطاب إلى العباس وعلي – رضي الله عنهم – ليقوما بمصرفها [٣].

وتصدق رسول الله بثلاثة حصون من خيبر هي: الكتيبة والسلالم . وبنصف أرض فدك يصرف ريعه على أبناء السبيل ، وثلث أرض وادي القرى، كما تصدق صلوات الله عليه وسلامه بموضع سوق بالمدينة [٤].

أمـــا الصـــحابة فكان أسوتهم رسول الله ﷺ، فقد ورد أن عثمان والزبير وطلحة وعلي بن أبي طالـــب وعمـــرو بن العاص رضي الله عنهم وقفوا دورهم على بنيهم ووقفوا ضياعا وكذلك ابن عمر وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسائر الصحابة رضي الله عنهم جملة، فصدقاتهم بالمدينة أشهر من الشمس لايجهلها أحد.

ووقـــف عبد الله بن عمرو بن العاص على بنيه [٥] ومما أورده الخصاف ، قول سعـــــد بن زرارة : ما أعلم أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر من المهاجرين والأنصار إلا وقد وقف من

---

(١) مخيريـــق: كان أحد أحبار اليهود من بني النضير خرج مع الرسول ﷺ يوم أحد وقاتل حتى قتل، وقد أوصى بأمواله لرســـول الله ﷺ يفعل بها ما يشاء فتصدق بها، ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مؤسسة علـــوم القرآن، ج٢، ص ٥١٨، وانظر كتاب: أوقاف السلطان الأشرف شعبان علي الحرمين الشريفين ، راشد بن سعد القحطاني ، ط١ ، الرياض ،١٤١٤هـــ/١٩٩١م ، ص ٢٣.

(٢) ابن دقيق العيد (تقي الدين أبوالفتح)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٣) الخصاف، أحكام الأوقاف، ص٤ ، والقحطاني ، الأشرف شعبان ، ص ٢٣ .

(٤) الخصاف، أحكام الأوقاف ، ص ١-٤، ومحمد محمد أمين ، الأوقاف ، ص ١٦-١٩.

(٥) ابن حزم ، المحلي، ج١٠، ص ١٨٣.

ماله حبسا لا يشترى ولايورث ولا يوهب حتى يرث الله الأرض ومن عليها [١] .

وأسهمت زوجات النبي ﷺ في هذا النوع من الصدقة، ومنهن: عائشة وأم سلمة وأم حبيبة وصفية بنت حيي ، وتصدقت أسماء بنت أبي بكر بدارها حبسا لا تباع ولا توهب ولا تورث[٢] ، ثم كان للتابعين ومن بعدهم دور في تتابع الأوقاف[٣].

وقد اشتملت التنظيمات الإدارية في الدولة الأموية على تنظيم الوقف، فقام القاضي توبة بن عز بن حوقل الحضرمي[٤]. في عهد هشام بن عبد الملك (٦٥ - ٨٧هـ/ ٨٦٤ - ٧٠٥م) بتنظيم ديوان مستقل للوقف، قام فيه بتسجيل الأحباس في سجل خاص لكي يحمي مصالح الموقوف عليهم[٥].

وتوسع نظام الوقف في العصر العباسي، فلم يعد الوقف مقصوراً في الصرف على الفقراء والمساكين، بل تعدى ذلك إلى الصرف في تأسيس دور العلم، والمكتبات، والإنفاق على طلبة العلم، والقائمين على التدريس، وإنشاء البيمارستانات التي كانت مخصصة لعلاج المرضى بالمجان، ومن أشهر الواقفين في العصر العباسي الوزير نظام الملك الطوسي صاحب المدارس النظامية الذي وقف أوقافاً كثيرة للاستفادة من ريعها في الصرف على تلك المدارس، وعلى طلبة العلم، والأساتذة، والعاملين بها[٦].

وفي العهد الفاطمي وقف الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (المنصور أبو علي) (٣٨٦هـ/٩٩٦م) أوقافاً كثيرة للصرف على المساجد وغيرها من المؤسسات الخيرية[٧].

---

(١) أحكام الأوقاف، ص٦.

(٢) الخصاف، أحكام الأوقاف، ص ١٣، ١٤.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧

(٤) هو: توبة بن عز بن حوقل الحضرمي المعروف بأبي محجن اشتغل بالقضاء وكان فاضلاً عابداً توفي سنة عشرين ومائة للهجرة، السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن)، حسن المحاضرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط الأولى ١٣٨٧هـ، القاهرة، ج١، ص ٢٩٧.

(٥) محمد عبيد الله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٧هـ، ج١، ص ٣٨، القحطاني ،الأشرف شعبان ، ص ٢٤.

(٦) الطرطوشي :محمد بن الوليد الأندلسي، (ت٥٢٠هـ)، سراج الملوك، المطبعة الخيرية، الإسكندرية، ١٣٠٦هـ، ص ٢١٨، وسبط ابن الجوزي، (شمس الدين يوسف قزاوغلي) (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق مسفر بن سالم عريج الغامدي، جزعان مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، ص ٢١٨ ، والقحطاني ، الأشرف شعبان ، ص٢٥ .

(٧) المقريزي، :تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، القاهرة بولات، ١٢٧٠هـ ، ج ٢، ص١٥١، والقحطاني ، الأشرف شعبان ، ص٢٥.

وكـــذلك وقف الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك (ت٥٥٦هـــ/١١٦٠م) أوقافا كثيرة[١] ، وشملـــت أوقافـــه بركة الحبش[٢]، وغيرها[٣]، والموقوف عليهم: الأشراف الأقارب الحسينيون، والأشراف الطالبيون، وأشراف المدينة النبوية وبنو معصوم، أمام مشهد علي رضي الله عنه[٤].

وفي الدولـــة الأيوبية كثرت الأوقاف التي وقفها السلطان صلاح الدين وبقية أفراد أسرته على المســـلمين، فقـــد وقف السلطان صلاح الدين ثلث ناحية سندبيس من القليوبية وبلدة نقادة من عمل قوص، على أربعة وعشرين خادماً لخدمة المسجد النبوي الشريف[٥]، وذلك في ١٨ من ربيع الآخر سنة (٥٦٩هـــ/١١٧٣م). وقـــد استمر ريع الوقف يصرف على من يقوم بالخدمة في المسجد النبوي من (الأغوات) [٦] حتى نهاية العصر العثماني.

كما وقف السلطان صلاح الدين جميع الموارد المالية المتحصلة من مدينة بلبيس لفك أسر بعض ســـكان هذه المدينة الذين أسرهم الصليبيون في حملتهم على مصر سنة (٥٦٤هـــ/١١٦٨م) وظل هذا الوقف يؤدي الغرض منه لمدة أربعين سنة حتى تم فك أسر جميع من أسر من بلبيس[٧].

---

(١) انظر: القحطاني، الأشرف شعبان ، ص٢٧ .

(٢) بركة الحبش :المعروفة ببركة الأشراف ،وبركة المغافر ، وكانت تقع في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل ،وكانـــت وقفـــا مـــنذ سنة ٣١٨هـــ ،ويدل إعادة وقفها في العصر الفاطمي علي أن الفاطميين اعتبروا أراضي مصر ملكا للدولـــة ، انظر المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،جـــ٢ ، ص ١٥١ ، ومحمد محمد أمين ،الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دراسة تاريخية ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،١٩٨٠م ، ص٦٠ .

(٣) ابـــن دقمـــاق (صـــارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي) (ت٨٠٩هـــ/١٤٠٦م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، القاهرة، ١٣٠٩هـــ، ق ١، ص ٤٥.

(٤) المقريـــزي، الخطـــط، ج ٢، ص ١٥٣، و انظر وثيقة وقف طلائع بن رزيك بدار الوثائق القومية (مجموعة المحكمة الشرعية) رقم ١/١ والتي نشرها:

Cahen, Ragib et Taher: L' Acte et le Waqfd'un grand domaine Egyptien, par le vizir fatimide Talai B. Ruzzik Annales Islamdogiques, t XIX, 1978.

ومحمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٦٠.

(٥) ابـــن دقماق، الانتصار ، ق٢ ، ج٤، ص ٤٩، انظر ابن إياس، بدائع الزهور جـــ١، ص ٧٢، ويذكر المقريزي أن هذا الوقف استمر إلى أيامـــــه ، انظـــــــر الســـلوك، ج ١، ص ٥٧، **سندبيس:** بلدة من أعمال القليوبية، **ونقاده:** بالصعيد من أعمال قوص بمنطقة قنا، محمد رمزي، القاموس المحيط الجغرافي، ج ١، ص ٥٦، ج٤، ص ١٨٩.

(٦) **الأغـــوات:** جمع أغا، والأغا كلمة تركية تعني الأخ الأكبر وأصلها آقا، ويقصد بهم الخدم من الخصيان، حسن الباشا، الفنون الإســـلامية، ج١، ص ٣٦، ومحمـــد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ص ١٨، وقد بدأ الوقف عليهم من أوائل العصر الأيوبي واستمر إلى العصر المملوكي والعثماني، انظر حجة شرعية رقم ١٠٥١، ١٢٤٨ مؤرخة ١١٢٥م بوزارة الأوقـــاف بالقاهـــرة تشـــير إلى تسليم الأغوات مرتباتهم عن سنة ١١٢٤م، وسجلات محكمة الباب العالي، مادة ١٨٠١ ورقمة ٩٢.

(٧) ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن ، تاريخ الدول والملوك، نشره. الشماع، القاهرة، (د.ت) المجلد الرابع، ص ٢.

مضامين أوقاف الحرمين الشريفين قبيل العصر المملوكي:

وقـد تضمنت أوقاف الحرمين الشريفين قبيل العصر المملوكي العديد من الأعمال الخيرية التي يعود ريعها على سكان المدينتين المقدستين من منشآت تعليمية، ومرافق عامة، وخدمات تؤمن المياه من حفـر بـرك وآبـار، وعيون، وأربطة وبيمارستانات لتقديم العلاج اللازم لسكان الحرمين الشريفين، والمجاورين، والحجاج ومنها:

١ ـ المدارس الموقوفة في مكة المكرمة:

مدرسة الأرسوفي:

وموقعها بالقرب من باب العمرة ومؤسسها التاجر العسقلاني عفيف الدين بن عبد الله بن محمد الأرسـوفي المـتوفى سـنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م)، وقد بنى بجوارها رباطاً وقفه الأرسوفي لسكن طلبة المدرسة[١].

مدرسة طاب الزمان الحبشية:

أسسـتها طـاب الـزمان الحبشية عتيقة الخليفة المستضيء العباسي في سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) في الموضع المعروف بدار زبيدة، ووقفتها على عشرة من الفقهاء الشافعية المقيمين في مكة[٢].

مدرسة ابن أبي زكريا:

وقف علي بن أبي زكريا في سنة(٦٣٥هـ/١٢٣٧م) مدرسته المعروفة بأبي طاهر المؤذن بقرب المدرسة المجاهدية بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام[٣].

المدرسة الشرابية:

أسس هذه المدرسة سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م) الأمير شرف الدين الشرابي المستنصري وكانت تقـع على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام،وقد اهتم الشرابي بهذه المدرسة إذ أسس بها مكتـبة، ووقـف عليها كتباً كثيرة وجعلها متخصصة في تدريس المذاهب الأربعة بجانب دروس النحو

---

(١) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥، ص٤٢، وهناك اختلاف في تاريخ إنشاء هذه المدرسة فيذكر الفاسي في موضع آخر أن إنشاء المدرسة تم في سـنة (٥٩١هـ/١١٩٥م) انظر سليمان بن عبد الغني مالكي، مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثانية للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص ١٤١.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٦١، سليمان مالكي، مرافق الحج، ص ١٤١.

(٣) الفاسـي، شـفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر عبدالسلام، جزءان، ط١، بيروت- دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ج ١، ص ٣٣٠، وتحصـيل المـرام من أخبار البلد الحرام، مخطوطة بمعهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى رقم ١٥١، ٩٥٣، ق م ن تاريخ، ورقة ٦٥.

والأدب، وقد أوقف لهذه المدرسة أوقافاً كثيرة بوادي نخلة، ووادي مر[١]، وكان ريع هذه الأوقاف يرسل إليها[٢].

٢ ـ الأربطة الموقوفة في مكة المكرمة:

رباط قايماز:

وقف هذا الرباط سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) الأمير قايماز بن عبد الله بن قليج أرسلان الشامي السلجوقي، من أمراء سلاجقة الروم، ويقع هذا الرباط قريباً من شمال الجزرة الكبرى على يمين الذاهب إلى المعلاة، واشترط في وقفيته أن يكون سكناً للمقيمين والمجاورين والمنقطعين بمكة المكرمة في فترة موسم الحج[٣].

رباط الزنجبيلي:

أنشأه عثمان بن علي الزنجبيلي في سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) نائب أمير عدن عند باب العمرة، ووقفه على الأصناف المقيمين بمكة، وجعل شرط وقفيته أن يكون سكناً للحجاج القادمين من عدن في فترة موسم الحج، وقد كان الزنجبيلي نائباً بعدن، للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[٤].

٣ ـ الأربطة الموقوفة في المدينة المنورة:

رباط الناصر لدين الله:

أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م) ببناء رباط يكون سكناً لطلبة العلم المقيمين بالمدينة النبوية وللغرباء، ويقع هذا الرباط عند باب النساء، وقد جاء في شرط وقفيته أن يكون سكناً للحجاج أيضاً في فترة الزيارة[٥].

---

(١) وادي مر: سمي بذلك لغزارة مياهه ،وسمي أيضا مر الظهران ،وبينه وبين مكة نصف يوم ،ويسمي الآن وادي فاطمة، ومنه تجلب الفواكه إلي مكة ، عاتق غيث البلادي ، معجم معالم الحجاز ٨ أجزاء، ط١ ، دار مكة ،١٤٠١هـ ،١٩٨١م ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ .

(٢) الطبري: علي بن عبد القادر الطبري ، (ت١٠٧٠هـ)، الأرج المسكي في التأريخ المكي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ص ٢٠١، والنهروالي، محمد بن أحمد بن محمد (ت٩٩٠هـ) كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ص ٢١١، وسليمان مالكي، مرافق الحج، ص ١٤٤، وناجي معروف، المدارس الشرابية، ص ٤٧.

(٣) الفاسي، تحصيل المرام، ورقة ٦٦، والعقد الثمين، ج ١، ص ١١٨.

(٤) ابن تغري بردي:جمال الدين أبوالمحاسن يوسف ، (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج ٦، ص ٩١، وأبوشامة : عبد الرحمن بن إسماعيل، (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٨م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة ١٨٧٠م، ج ٢، ص ٢٦، الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١١٨.

(٥) سليمان مالكي، مرافق الحج، ص ٢١٥ – ٢١٦.

رباط الأصفهاني:

وقـف هذا الرباط في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقفه وزير الزنكيين جمال الدين محمد بن منصور الأصفهاني المعروف بالجواد، وقد ذكر السمهودي أن مكان الرباط دار العظمى لسيدنا عـثمان بن عفان رضي الله عنه[١]. وفي شرط الواقف أن يكون سكناً لفقراء العجم وللحجـاج الوافدين في فترة موسم الزيارة[٢].

٤ ـ المستشفيات "البيمارستانات" في الحرمين الشريفين:

أنشأ الخليفة المستنصر العباسي "بيمارستانا" في الجانب الشمالي من المسجد الحرام بالقرب من باب الزيادة سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) لعلاج أهل مكة والمجاورين بالحرم وقد وقف على ذلك أوقافاً جليلة[٣].

وفي المدينـة المـنورة شيد الخليفة العباسي المستنصر بالله في سنة (٦٢٧هـ/١٢٢٩م) "بيمارستاناً لاستقبال المرضى من المقيمين والمجاورين والحجاج الزائرين[٤].

وما ذكر أمثلة لما أنشئ في مكة المكرمة، والمدينة المنورة من أوقاف متعددة الأغراض الوقف.

أما جميع ماتم وقفه على الحرمين الشريفين في عهد المماليك فسيجئ في الفصول التالية .

---

(١) السـمهودي :نـور الـدين علي بن محمد أحمد ، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، القاهرة، ج٢، ص ٧٣٢.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٨٩، وسليمان مالكي، مرافق الحج، ص ٢١٧.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٢٣، وشفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧.

(٤) السـخاوي، : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الناشر أسعد طربزوني، المدينة المنورة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص ٥٢، والسمهودي، وفاء الوفاء، ج٢، ص ٦٩.

الفصل الأول

اهتمام المماليك بالحرمين الشريفين

أولاً: الاهتمامات السياسية للمماليك بالحرمين الشريفين:

١ - أوضاع مكة المكرمة السياسية في العصر المملوكي.

٢ - أوضاع المدينة المنورة السياسية في العصر المملوكي.

ثانياً: الاهتمامات الدينية للمماليك بالحرمين الشريفين:

١ - طرق الحج والمحمل زمن سلاطين المماليك.

أ - طريق ركب الحاج المصري.

ب - طريق ركب الحاج الشامي.

ج - المحمل.

٢ - كسوة الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة.

٣ - حجات السلاطين والأمراء ونساء السلاطين وكبار رجال الدولة.

٤ - الأعطيات والصدقات على أهالي الحرمين الشريفين.

ثالثاً: الاهتمامات الاقتصادية للمماليك بالحرمين الشريفين:

١ - أوقاف وصدقات السلاطين والأمراء والأعيان على الحرمين الشريفين.

٢ - نفقات الحجاج في الحرمين الشريفين.

٣ - المكوس ومراسيم السلاطين في الحرمين الشريفين.

٤ - ميناءا جدة وينبع، ودورهما في إنعاش الحالة الاقتصادية في الحرمين الشريفين.

ميناء جدة:

أ - أهمية ميناء جدة الاقتصادية لإمارة مكة المكرمة.

ب - الوظائف الإدارية والمالية في ميناء جدة.

ج - انهيار ميناء جدة اقتصاديا.

ميناء ينبع:

أ - أهمية ميناء ينبع الاقتصادية لإمارة المدينة المنورة.

ب - الوظائف الإدارية والمالية في ميناء ينبع.

ج - انهيار ميناء ينبع اقتصادياً.

٥ - الأزمات الاقتصادية في الحرمين الشريفين:

رابعاً: الاهتمامات الاجتماعية للمماليك بالحرمين الشريفين.

المنشآت العامة في الحرمين الشريفين والإصلاحات التي تمت بهما:

١ - الإصلاحات في الحرمين الشريفين.

- المنشآت الاجتماعية والعلمية في الحرمين الشريفين.

٢ - المدارس في الحرمين الشريفين.

أ - مدارس مكة المكرمة.

ب - مدارس المدينة المنورة.

٣ - الأربطة في الحرمين الشريفين.

أ - أربطة مكة المكرمة.

ب - أربطة المدينة المنورة.

٤ - البيمارستان في الحرمين الشريفين.

أ - البيمارستان في مكة المكرمة.

ب - البيمارستان في المدينة المنورة.

٥ - المرافق المدنية في الحرمين الشريفين.

أ - المرافق في مكة المكرمة.

ب - المرافق في المدينة المنورة.

اهتمام المماليك بالحرمين الشريفين

يمتدّ الارتباط البشري والاقتصادي والحضاري بين مصر ومنطقة شبه الجزيرة العربية في أعماق التاريخ إلى أقدم العصور، وازداد هذا الارتباط بالفتح الإسلامي العربي لمصر سنة (٢١هـ/٦٤٢م)، وبهجرة بعض القبائل العربية إليها بنية الاستقرار، ونشر الدين الإسلامي واللغة العربية فيها[١]، وقصد المصريون بلدان شبه الجزيرة العربية لأداء مناسك الحج، والمجاورة بالمدينتين المقدستين، ومارس البعض الآخر أنشطة اقتصادية مختلفة[٢].

ومنذ الفتح الإسلامي لمصر أصبحت من الناحية السياسية تابعة لعاصمة الخلافة الراشدة ابتداء من عهد عمر بن الخطاب ﷺ حتى عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ثم بعد المدينة المنورة أصبحت الكوفة ثم دمشق عاصمة الخلافة الأموية، وفي العصر العباسي كانت بغداد العاصمة ، ولما استولى الفاطميون على مصر سنة (٣٥٨هـ /٩٦٩م) واتخذوها حاضرة دولتهم أخذ الحجاز أشكالاً مختلفة من العلاقة بهم تمثلت في الدعوة للفاطميين على منابر الحرمين الشريفين، والاعتماد على ماكانت ترسله مصر من غلات ومؤن للحجاز، كما أن هذا الارتباط كان منقطعا يقوى ويضعف، ويعود إلى ما يريده الفاطميون، بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى[٣].

وفي العصر الأيوبي اهتم صلاح الدين وخلفاؤه بالسيطرة علي الحجاز ، لمكانته في نفوس المسلمين ولرغبة الأيوبيين في أن يكونوا حماة للحرمين الشريفين ، هذا بالإضافة إلي العامل الاقتصادي الذي يدور حول السيطرة علي طريق التجارة في البحر الأحمر لأهميته إبان حروبه ضد الصليبيين[٤].

ويدل على زيادة اهتمام الأيوبيين بالحجاز تولية الملك الكامل الأيوبي ابنه الملك المسعود على بلاد الحجاز واليمن، وكان الخطيب يدعو للملك الكامل على منبر مكة بقوله: (صاحب مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين[٥]، وكان اهتمام صلاح الدين بالمدينتين المقدستين وأهاليهما يتجلى في الإصلاحات التي قام بها في مكة والمدينة، وتوزيع الأموال على الفقراء وأصحاب الحاجات، وإبطاله المكس[٦] الذي كان يتحصل من الحجاج،

---

(١) عزيز محمد حبيب – المملكة العربية السعودية، الأنجلو المصرية – القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٤٨، وسعد بدر الحلواني – مصر والحجاز ونجد في القرن التاسع عشر، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٣.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الحجازيون في مصر في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الحادية عشرة، شوال ١٤٠٥هـ، ص ١٤١ ، ١٤٢.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص ٣٥٣، واتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، نشر: زيادة، والشيال، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١٧٧.

(٤) ابن جبير، رحلته، ص ١٩٠، والفاسي، العقد الثمين، ج ٢ ص ٢٨٣، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٢١، وسعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٢٨٤.

(٥) ابن جبير، رحلته، ص ١٩٠، والفاسي، العقد الثمين، ج ٢ ص ٢٨٣، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٢١، وسعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٢٨٤.

(٦) جمع المكس مكوس ، ويقصد به جباية الاموال ، وهو كل ما يتحصل عليه من أموال خارجا عن الأموال الشرعية ،وقد تعددت أنواع المكوس التي كانت تجبي في المدينتين المقدستين في العصر المملوكي ، فهناك المكوس البحرية للحجاج اقصدين مكة عن طريق ميناء جدة ،وهناك المكوس البرية علي الحجاج القادمين إلي المدينة و مكة ،وهناك مركز برية تجبي فيها المكوس ،وهناك المكوس علي المأكولات، وهي الأموال التي تجبي من أسواق المدينتين المقدستين بأمر من شريف مكة والمدينة علي الأطعمة الغذائية ، الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ، جـ٢ ص ٢٥٢ ، والماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٩٩ ، والقلقشندي ، صبح الأعشي جـ٣ ص ٤٤٧ ، والمقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ٧ ، والفاسي ، العقد الثمين ، جـ٧ ص ٦١ وابن فهد ، اتحاف الورى ، جـ٣ ، ص ٩٣ ، وعبد العزيز بن فهد ، غاية المرام ، جـ١ ، ص ١١٧ ،كان مقدار المكس بالنسبة للفرد هو ٧ دنانير ونصف دينار مصرية ويحصل المبلغ في عيذاب أو جدة =

وعوض أمير مكة والمدينة بإقطاعات في مصر والشام واليمن.

أولاً ـ الاهتمامات السياسية للمماليك بالحرمين الشريفين:

اهتم سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) بالحجاز اهتماماً كبيراً، وخاصة بالحرمين الشريفين، وظهر ذلك في تمسك كل منهم بلقب: (صاحب الديار المصرية والشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية)[١]. كما وضح بصورة بارزة فيما أنفقوه ووقفوه على المدينتين المقدستين[٢].

ومن الدوافع السياسية التي جعلت سلاطين المماليك يهتمون بأوقاف الحرمين الشريفين: حرصهم على القيام بكل ما يؤكد زعامتهم للعالم الإسلامي ومن ذلك بسط سيادتهم على الحجاز، وبالتالي على الحرمين الشريفين، وقد كان شرفاً عظيماً لكل حاكم مسلم أن يظهر أمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في صورة حامي الحرمين الشريفين والمدافع عنهما[٣].

ويؤكد هذا القول أنه عندما استأذن شاه رخ بن تيمور لنك السلطان برسباي (٨٢٥ - ٨٤١هـ/١١٣٨ - ١٤٣٧م) في أن يكسو الكعبة[٤]، استفتى السلطان برسباي الفقهاء، فتواردت أجوبتهم على المنع، وقال بعضهم (لايجوز ذلك، لما فيه من تعطيل الوقف)[٥].

فكتب السلطان برسباى إلى شاه رخ كتاباً يتضمن منعه من كسوة الكعبة ، معتذراً بأن: (العادة جرت قديماً وحديثاً ألا يكسو الكعبة إلا ملوك مصر، والعادة قد اعتبرت في الشرع في مواضع، وإن للكسوة أوقافاً تقوم بعملها، لاتحتاج إلى مساعدة في ذلك)[٦]، وعندما وافق السلطان جقمق سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م على أن يكسو شاه رخ الكعبة، اعتذر السلطان للأمراء والقضاة والفقهاء بقوله: (إن هذه قربة ويجوز أن يكسو الكعبة كائن من كان)، ولم يكن هذا مقنعاً للأمراء والعلماء وعامة الناس، ويعقب ابن تغري بردي على ذلك بقوله: (فعظم ذلك على أمراء الدولة والمصريين إلى الغاية)[٧].

وكانت الظروف السياسية سيئة في العالم الإسلامي وقت ظهور دولة المماليك بمصر، فقد سقطت الخلافة العباسية في بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) على يد المغول، وتعثرت دولة الموحدين في المغرب، وضاع قسم كبير من أملاك المسلمين في الأندلس نتيجة للدفع المتواصل لحركة الاسترداد في إسبانيا[٨].

كل ذلك ساعد دولة سلاطين المماليك على أن تتبوأ مكان الصدارة في العالم الإسلامي، وقام المماليك

=ومن لم يؤدي ذلك منع من الحج، وقد عوض صلاح الدين أمير مكة عن هذا المكس بألفي دينار وألف إردب قمح سوى إقطاعات في صعيد مصر وباليمن والشام، وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف إردب قمح تحمل إليه إلى جدة، انظر المقريزي، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٦٤ ، وإبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ص٦٩ .

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٧ ص ١١٠ ، ١١١.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، جـ ٤، ص ١٨٠.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٢٩.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦ ص ٧٢٢.

(٥) ابن حجر: الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩م، ج ٣ ص ٥٣٥. وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٧٢٢.

(٦) كان لكسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية أوقاف وناظر خاصّ، وسوف تتعرض لها هذه الدراسة في الجزء المتعلق بالاهتمامات الدينية للمماليك ضمن الفصل الأول. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٧٢٤ ، ٧٢٥، ج ٧، ص ١٠١.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣٧ ، ١٣٨.

(٨) سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٨٤.

بدورهم في حمايته، فكانوا الدرع الواقية من الأخطار التي كانت تهدده وتعصف به، متمثلة في الخطرين المغـولي والصليبي، فأنزلوا هزيمة بالمغول في عين جالوت عام (٦٥٧هـ/١٢٦٠م)، وطردوا الصليبيين من عكا آخر معقل لهم في الشام سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، واتخذ سلاطين المماليك من قيام الخلافة العباسية في مصر سنداً شرعيّا لتزعم العالم الإسلامي، و اعتزوا باللقب الذي منحه الخليفة العباسي المنتصر بالله للظاهر بيبرس وهو، "صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية"[١].

ومن الأهمية بمكان نظرة سلاطين المماليك إلى بلاد الحجاز بوجه عام، والمدينتين المقدستين بوجه خاص، باعتبار هذه البلاد تضم الأماكن المقدسة الإسلامية، وتتعلق بها قلوب المسلمين في كل مكان في أنحاء العالم الإسلامي مشرقه ومغربه على السواء، وهذه تمثل أحد أركان النظرية السياسية لدولتهم في الحكم، والتي اعتمدت على القوة العسكرية من جهة، والجانب الديني من جهة ثانية، أما عن القوة العسكرية فقد رسخ في أذهان المعاصرين أن قوة المماليك الناشئة أثبتت فعاليتها في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد الأخطار التي أحاطت بهم في الشرق في المعارك التي خاضوها في دفع الخطر المغولي أو في مواجهة الصليبيين حتى تم طردهم من بلاد الشام، لكن هذه البطولات لم تشفع لهم أو تغير النظرة إليهم باعتبارهم كانوا عبيداً ولا يحق لهم الجلوس على عرش البلاد.

و يشير إلى ذلك ما ذكره ابن إياس من أنه "لما تسلطن أيبك التركماني[٢] فلم يرض به سكان مصر، فكان إذا ركب يسمعه العوام ما يكره، ويقولون له: نحن ما نريد إلا سلطاناً رئيساً، ولد على فطرة الإسلام، فكان أيبك يغدق على العوام بالعطايا الجزيلة، حتى يسكتوا عنه"[٣].

ولهذا كان على سلاطين المماليك ، لكي يحظوا بتأييد المعاصرين لهم، وتغيير نظرتهم إليهم أن يظهروا العناية بالحرمين الشريفين، إلى جانب حرصهم على التسميات والألقاب الدينية العديدة التي اتخذوها وظهرت في مكاتباتهم الرسمية ووثائقهم وعلى العملات التي سكوها مثل "نصير أمير المؤمنين" و "سلطان الإسلام والمسلمين" و " ركن الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين"[٤].

وقد وضحت الرعاية التي أولوها للحرمين الشريفين، فيما أنفقوه ووقفوه على المدينتين المقدستين والإصلاحات والترميمات المعمارية في الحرمين الشريفين، فنجد السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن الملك عز الدين أيبك التركماني[٥] (٦٥٥ - ٦٥٦هـ/ ١٢٥٧ - ١٢٥٨م) يرسل إلى المدينة الآلات اللازمة لإصلاح ما تهدم من المسجد النبوي الشريف بسبب الحريق الذي حدث في الأول من رمضان سنة (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)، كما

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة. ج ١، ص ١١١.

(٢) هو : **الملك المعز أيبك التركماني**، أول من جرى عليه الرق وتسلطن بمصر ، و مملوك الصالح نجم الدين أيوب،تسلطن سنة ٦٤٨هـ ومات قتيلاً سنة ٦٥٥هـ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ٤٧٢. وأبوالمحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣، والمقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٣) ابن إياس:بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٤) عبدالباسط بن خليل الملطي (٨٤٤ هـ-٩٢٠هـ) نزهة الأساطين، فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، مطبعة المدني - القاهرة (ب . ت) ٢ ص ٧٤، وسامح عبدالرحمن فهمي، الوحدات النقدية المملوكية، دار تهامة، ط١، ١٤٠٣هـ، ص ٥٦.

(٥) هو: **الملك المنصور علي بن أيبك**، تسلطن في يوم الخميس ١٦ من ربيع الآخر سنة ٦٥٥هـ، وخلع في سنة ٦٥٧هـ، مدته دون السنتين، انظر: ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج ٢، ص ٥٧، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٣٨، وابـن تغري بردي، النجـوم الزاهرة، ج ٧، ص ٥٥، وإبن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٢.

أن السلطان برقوق[١]، (٧٨٤هـ/٨٠١هـ) جهز إلى الحرم المكي مالاً لعمارته وإصلاح ماتهدم، وأن السلطان قايتباي[٢]، (٨٧٢هـ/٩٠١هـ) قام بإصلاحات كثيرة في الحرمين الشريفين، والأمثلة على ذلك كثيرة وسيأتي العديد منها في ثنايا هذه الرسالة، ولمعرفة الدوافع السياسية التي جعلت سلاطين المماليك يهتمون بالحجاز بصفة عامة وبالحرمين الشريفين يلزم استعراض الحالة السياسية للمدينتين المقدستين، ومدى ارتباط كل منهما وتبعيتها لدولة سلاطين المماليك في هذه الفترة التاريخية وذلك من سنة (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/١٢٥٠ - ١٥١٧م).

١ - الأوضاع السياسية في مكة المكرمة في العصر المملوكي:

لبلاد الحجاز أهمية تاريخية على مر العصور، إضافة إلى مالها من تأثير عظيم في نفوس المسلمين لوجود الحرمين الشريفين في أرضها، إلى جانب أهميتها التجارية لوقوعها على طريق القوافل القديم من الشمال إلى الجنوب والعكس، وتظهر أهمية الحجاز بصفة عامة والمدينتين المقدستين بصفة خاصة في حرص جميع الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم المشرق الإسلامي، بالإضافة إلى الدول التي حكمت مصر على أن تجعل هاتين المدينتين المقدستين تحت حمايتها، وما إن قامت الدولة المملوكية في مصر، عام (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) حتى تطلعت بأنظارها إلى الحرمين الشريفين لأهميتهما الدينية للمسلمين، ولحاجة المماليك إلى تدعيم سلطتهم وإضفاء الشرعية عليها[٣].

وإذا كانت دوافع الدولة المملوكية للسيطرة على الحرمين الشريفين تجمع بين الأدوار السياسية، والجوانب الدينية، والعوامل الاقتصادية والاجتماعية، فإن الظروف في المدينتين المقدستين كانت مهيأة لمد هذه السيطرة بسبب النزاع بين حكامها الأشراف[٤].

---

(١) هو: الملك الظاهر سيف الدين أبوسعيد أول ملوك الجراكسة في مصر، تسلطن يوم خلع حاجي المنصور عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م وخلع في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م ثم تسلطن للمرة الثانية في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، ومات في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. المقريزي، السلوك ج٣، القسم ٢ ، ص ٤٦٢، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٤٤، وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١ ص ١٥٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٣٠١، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج ٢، ص ٢٦٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٢.

(٢) هو: الملك الأشرف سيف الدين، أبو النصر، قايتباي المحمودي، الظاهري، الجركسي، تسلطن عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وله الكثير من الأعمال والإصلاحات في الحرمين الشريفين فهو الذي بنى القبة ووضع المقصورة الحديدية على قبر الرسول ﷺ ورخم مسجده وبنى العديد من المدارس والأسبلة في المدينتين المقدستين ومات سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٢٤، والقرماني، أخبار الدول، ص ٢١٧، وابن الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٣٠٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٠٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١ ، القسم ٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٨، والعيني : بدر الدين محمود ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك (١) حوادث وتراجم (٦٤٨ - ٦٦٤هـ/١٢٥٠ - ١٢٦٥م) حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ١، ص ٣١-٣٤.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٤٥٨ - ٤٦٠، وابن فهد: النجم عمر بن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج ٣ ص ٩٣ - ٩٥.

وما إن نجح المماليك في بسط سيطرتهم على الحرمين الشريفين حتى بدأت المدينتان المقدستان فترة جديدة في تاريخهما، ارتبطتا فيه بمصر ارتباطاً وثيقاً ، لمدة تزيد على قرنين من الزمان، وازدهر ميناء جدة، وضعف ميناء عدن في هذه الحقبة من الزمن.

وقد أدى انقسام الهواشم[١] على أنفسهم إلى ظهور الشريف قتادة بن إدريس الحسني[٢] الذي أزال إمارتهم، وأقام إمارة حسنية جديدة حكمت مكة طوال العصر المملوكي،و استطاع قتادة أن يوطد دعائم إمارته بضم مكـــــــة عام (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) وذلك بعد وفاة أميرها مكثر بن عيسى[٣] وظل يحكم مكة حتى مقتله عام (٦١٧هـ/١٢٢٠م)[٤] فتولى إمرة مكـــــــة ابنه الحسن بن قتـــادة، في العام نفســـــه، وكـــان راجح بن قتادة[٥]. يقيم في باديـــــة مكـــــــة ينازع أخاه الإمرة، على اعتبار أنه الابن الأكـــبر لقتـــــادة، وانتهى الأمر بهزيمـــة راجح لأخيـــه الحسن،

---

(١) **الهواشم**: نسبة إلى محمد بن جعفر بن أبي هاشم، تولى إمارة مكة (عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، وأقام الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي، ثم قطعها وأقامها للخليفة القائم بأمر الله العباسي، وقد انعدم الأمن في مكة خلال عهده (أي عهد محمد بن جعفر) ، فطلب الخليفة المستنصر بالله من علي ابن محمد الصليحي داعيته باليمن أن يتجه إلى مكة، فقاد حملة وأعاد الاستقرار إلى مكة، وعين الصليحي محمد بن جعفر مؤسس الطبقة الثالثة من الأشراف، أما آخر الهواشم فهو مكثر بن عيسى الذي تداول إمرة مكة مع أخيه داود بن عيسى، ثم انفرد بها مكثر حتى عزله قتادة بن إدريس الحســني عام (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) مؤسس الطبقة الرابعة، سبط بن الجوزي:يوسف بن قزا أوغلى ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان،تحقيق مسفر الغامدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعـــة أم القرى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،ج١، ص٢٨ والفاســي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٢، ج ٦، ص ٢٣٨، ج ، ص ٢٠، وشفاء الغرام، ص ٣١٠، ونجم الدين عمر بن فهد : إتحاف الورى، بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٢) هو: **أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن** بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، امتدت ولايته إلى ينبع وحلى، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد، ج ٤ ص ١٢١، والفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٣، ج ٧، ص ٣٩، وشفاء الغـــــرام، ج ٢، ص ٣١٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٢، ص ٥٦٧.

(٣) هو: **مكثر بن عيسى بن فليتة**، آخر أمراء مكة المعروفين بالأشراف الهواشم، بوادي نخلة عام (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٢٧٨.

(٤) استطاع قتادة على الرغم من الصراعات التي ميزت عصره أن يضع نهاية لأسرة الهواشم وأن يعيد الأمن والاستقرار إلى مكة، كما استطاع أن يحافظ على استقلاله، وعلى الرغم من أنه كان في بدايه عهده عادلاً منصفاً، فإن هذا الأمر انعكس في آخر عهده ، وأحدث المكوس والمظالم ونهب الحجاج، فقتله ابنه الحسن وعمره تسعون عاماً، اليافعي: عبد الله أسعد ، (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج ٤، ص ١٥، وابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ج ٤، ص ١٠٤ - ١٠٦، والقلقشندي: شهاب الدين أبوالعباس ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٦٦، والفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٣.

(٥) **راجح بن قتادة**: هو راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني أمير مكة، ولى أمرها مراراً، كما ولاه المسعود الأيوبي عام (٦١٩هـ/١٢٢٢م) حلي وسرين ونصف المخلاف السليماني، توفي عام (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، اليافعي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ٤٥٠ - ٤٥٦، والفاسي، العقد الثمين، ج ٤، ص ٣٧٤، وشفاء الغرام، ج ٢، ص ٣١٩..

الذي غـادر مكـة إلى الشـام، ثم العـراق، حيـث توفي هـناك عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م[١].

وقد شهدت هذه الفترة صراعاً بين الدولتين الأيوبية في مصر[٢]، والرسولية في اليمن[٣]، على السيطرة على مكة[٤] مستفيدين من النزاع بين راجح بن قتادة وأخويه القاسم وعلي، حتى تمكن الشريف أبو سعد الحسن بن علي ابن قتادة[٥] من الاستيلاء على مكة عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، مستغلاً الظروف التي كانت تمر بها كلّ من الدولتين الرسولية والأيوبية، ولم تلبث الأوضاع أن تطورت سريعاً بسقوط الدولة الأيوبية، وقيام دولة المماليك البحرية عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[٦]، ومن ناحية أخرى كانت الأوضاع في مكة قد تطورت، فقد نشب نزاع بين الأشراف السنيين حول إمرة مكة[٧]

---

(١) اليافعي: مرآة الجنان. ج ٤، ص ١٥، وابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٠٦، والقلقشندي، مآثر الإنافة، ج ٢، ص ٦٦، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٣، ج٤، ص ٣٧٩، وشفاء الغرام، ج ٢، ص ٣١٥،و الجزيري :عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري ، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ج ١، ص ١٥١٨.

(٢) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ٤، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٢٢٠.

(٣) ينتسب آل رسول إلى محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحي بن رستم ،وقد عرفت عنه الأمانة ،ولذلك لقب برسول،وكان يعمل لدى الخلفاء العباسيين وأصله من اليمن،وكان الخليفة العباسي يرسله لما يريد من الأمور السرية بدون كتاب ثقة به، ثم عمل مع الأيوبيين فسار مع طغتكين إلى اليمن عام (٦٢٦ - ٨٥٨هـ/١٢٢٨ - ١٤٥٤م)، وكان الملك المسعود الأيوبي قد استخلفه على اليمن، وسار إلى مكة، وتوفي فيها فاستقل نور الدين باليمن، ابن عبد المجيد:تاج الدين عبد الباقي القرشي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي ١٣٨٤هـ، ص ١٩٣. والخزرجي أبوالحسن علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني عسل، القاهرة، مطبعة الهلال ١٣٣٢هـ، ج١، ص ٢٦،وعصام الدين عبد الرؤوف ،اليمن في ظل الإسلام ،القاهرة ،دار الفكر العربي ،١٩٨٢م ص٢٣٦، وبامخرمة :أبو عبد الله الطيب، تاريخ ثغر عدن، تحقيق على حسين، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ، ص ٢٠٥.

(٤) تطلع السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الحجاز كما سبق، فقد أرسل أخاه تورانشاه لضم اليمن ومر بمكة عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م فرحب به أميرها عيسى بن فليتة ودخل في طاعته وخطب في مكة للخليفة العباسي، ثم لصلاح الدين، وفي عام ٦١٩هـ/١١٧٣م، وصل إلى مكة الملك المسعود الأيوبي، وترك نائباً له في مكة هو نور الدين بن رسول ورتب له عسكراً، وبعد وفاة المسعود الأيوبي عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م استقل عمر بن رسول باليمن وأرسل حملة إلى مكة وضمها وعين راجح بن قتادة أميراً عليها، بعد أن أعلن ولاءه للرسوليين، وظلت مكة في ولائها بين الأيوبيين والرسوليين، حتى سقطت الدولة الأيوبية عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، ابن شداد :بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط ١، الدار المصرية، ١٩٦٤م، ص ٤٥، وأبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، ص ١٩٣.

(٥) هو: **الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن** الشريف الحسني المكي (أبوسعد صاحب مكة وينبع) قتل عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م،: ابن تغري بردي:جمال الدين أبوالمحاسن، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد، مركز تحقيق التراث، جامعة أم القرى، ١٩٨٨م، ج ٥، ص ١٠٥.

(٦) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ٧٧٤، والسيوطي (الحافظ عبد الرحمن) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٤، تحقيق محمد أبوالفضل، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ.

(٧) **في عام (٦٥١هـ/١٢٥٣م)** سافر جماز بن الحسن بن قتادة إلى دمشق، والتقى بالناصر يوسف، وطلب مساعدته ضد ابن عمه أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، مقابل الخطبة له، وقطع خطبة الرسوليين، فأرسل الناصر معه عسكراً إلى مكة، وتمكن جماز من قتل أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، وتولى إمرة مكة عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م، ولكن خرج عليه راجح بن قتادة وانتزع منه إمرة مكة عام ٦٥١ هـ/١٢٥٣م فخرج عليه ابنه غانم عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م بتحريض من أبي نمي، وإدريس بن علي بن قتادة اللذين لم يلبثا أن أخرجا غانم بن راجح واستوليا على مكة. الكتبي :أبوعبد الله محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ٢٦٠، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٦.

انتهى بظهور أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة[١].

والحقيقة أنه بظهور أبي نمي بدأت بوادر نظام سياسي مهمّ لازَم أشراف مكة طوال العصر المملوكي، وهو نظام المشاركة في الحكم، ومما لا شك فيه أن نظام حكومة مكة المكرمة بدأ مع بداية عهد أبي نمي الأول.

وكـــان أبو نمي قد تمكن من الاستيلاء على مكة عام ٦٥٣هـــ/١٢٥٥م، واشترك هو وعمه إدريس بـــن علـــي ابن قتادة في حكمها[٢] ، وفي عام ٦٥٤هـــ/١٢٥٦م، انفـــرد أبو نمي بالحكم ، بعد طرد عمه إدريس منها إلى السرين[٣] حيث كان يقيـــم عم إدريس راجح ابن قتادة[٤]، الذي سار معه إلى مكة وأصلح بيـــنه وبـــين أبي نمـــي وظلا يشتركان في إمرة مكة حتى عام ٦٦٧هـــ/١٢٦٨م، عندما اختلفا مرة أخرى، وانفرد أبونمي بإمرة مكة، وانتهز هذه الفرصة، وأرسل إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس[٥] رسالة وضح فيها سبب الخلاف بينه وبين إدريس (وهو ميول إدريس إلى سلطان اليمن).

---

(١) هو: محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسن الشريف أبونمي، ويقال له أبو مهدي بن أبي سعد صاحب مكة وابن صاحبها، يلقب بنجم الدين، ولي إمارة مكة خمسين سنة إلا أوقاتاً يسيرة زالت ولايته لها، الفـــاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٤٥٦ ، ٤٥٧.

(٢) "ابتدع حكام مكة من الأشراف نظام المشاركة في الحكم، ولم يكن معروفاً من قبل إذ لم يؤثر عن أحد من الخلفاء الأمويين أو العباسيين، أو غيرهم أنهم أشركوا معهم أحداً في الحكم، على النحو الذي مارسه أشراف مكة. وأول إشارة صريحة إلى هذا النظام كانت في عهد أبي نمي. أحمد الزيلعي، نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة، الدارة، العدد الثالث، الرياض، ١٤٠٩هـــ، ص ٦٢.

(٣) السرين: ميناء على البحر الأحمر ، بناها الفرس، بينها وبين مكة خمسة أيام وبين جدة ثلاثة أيام، تقع على الطريق بين مكة واليمن قرب يلملم، وهي مدينة عظيمة وحصن حصين فيها أسواق ومسجد جامع، ولها سور من جهة البحر، وهي مصدر للحبوب والتمر تمون مكة، وأهميتها كميناء أنها ملتقى طرق الحج والتجارة بين مكة واليمن. اليعقوبي:أحمد ، البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ص ٧٩، وابن حوقل : أبو القاسم، صورة الأرض، ١٩٧٩م، ص ٣٣، وابن المجاور: جمال الدين، تاريخ المستبصر، الطبعة الثانية، بيروت، دار التنوير، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٦م، ص ٥٣، و الحميري:محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣١٢، وابن شاهين:غرس الدين خليل ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م، ص ١٤.

(٤) كان راجح من أشد المطالبين بحكم مكة المكرمة ولكنه بعد أن تقدمت به السن أقام في السرين، أحمد بن عمر الزيلعي، حاكم السرين راجح بن قتادة ودوره في العلاقات المصرية اليمنية، العصور، المجلد الأول، الجزء الأول، لندن، دار المريـــخ للنشر، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م، ص ٢١ - ٢٤.

(٥) هو: السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ركن الدين أبوالفتوح الصالحي النجمي، ولد بأرض القبجاق وحمل إلى القاهرة، فاشتراه الأمير علاء الدين البندقداري فنُسب إليه، ثم انتقل إلى الصالح أيوب وصار من مماليكه، ثم أعتقه، تولى السلطنة عام ٦٥٨هـــ/١٢٥٩م وتوفي عام ٦٧٦هـــ/١٣٧٤م، ابن خلكان :أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقـــيق إحســـان عبـــاس، بـــيروت، دار صادر، ١٣٩٨هـــ/١٩٨٧م، ج٤، ص١٥٥، وبيبرس :المنصوري الدوادار ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا، ج ٩، ص ٣٢، وبيبرس المنصور الدوادار، مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـــ/١٩٩٣م، ص ١٢، وابن أيبك الدوادار: أبوبكر بن عبد الله ، درر التيجان وغرر وتواريخ الزمان، مخطوطة، معهد المخطوطات العربية، ٤٤٠٩ تاريخ ورقة ٥٧٤،و الذهبي :شمس الدين أبوعبد الله ، العبر في خـــبر من غبر، تحقيق محمد السعـــيد، بيروت، دار الكتب العلميـــة، ١٤٠٥هـــ/ ١٩٩٥م، ج ٣، ص ٣٣١، والكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٢٣٥، والطبري :محيي الدين عبد القادر ، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق، أشرف أحمد جمال، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م، ص ٢٢٦.

ومن المؤكد أن هدف أبي نمي من هذه الرسالة هو إظهار ميله إلى المماليك؛ وما لبث بيبرس أن اعترف بأبي نمي حاكماً منفرداً على مكة واشترط عليه[١] "تسبيل بيت الله للعاكف والباد، وألا يؤخذ عنه حق، ولا يمنع زائر في ليل أو نهار، ولا يعرض لتاجر ولا حاج بظلم، وأن تكون الخطبة والسكة له. ولأبي نمي على ذلك عشرون ألف درهم نقرة"[٢]. أما إدريس فقد جمع جموعه وهدد أبا نمي، ثم اصطلحا واشتركا في حكم مكة، واتفقا على طاعة الظاهر بيبرس، ولعل ذلك ما شجعه على أن يتوجه عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م إلى مكة حاجّا[٣].

و ترتب على ذلك نتيجة مهمة ، وهي فرض السيطرة المملوكية على مكة وظفرُ أميري مكة: أبي نمي وإدريس بحماية مصر، وجراية سنوية مقابل النزول عن استقلالهما الذاتي، وأصبحا نائبين للسلطنة المملوكية، يحكمانها بموجب التقليد الممنوح لهما من قِبل سلطان مصر، الذي حقق لنفسه مكانة فريدة في العالم الإسلامي، بفضل إقامة الخطبة له في مكة، وضرب السكة فيها باسمه، بل تجاوز ذلك بأن عين شخصاً ينوب عنه في مكة ويكون الحل والعقد على يديه، وهو شمس الدين مروان[٤] الذي مارس سلطاته في مكة مما ضايق إدريس وأبا نمي فأخرجاه منها عام ٦٦٨ هـ/١٢٦١م[٥]. ويلاحظ أن بيبرس لم يتخذ أي إجراء حيال ذلك، كما لم يعين نائباً جديداً، وقد يرجع ذلك إلى أن بيبرس كان يفضل في تلك المرحلة عدم المواجهة المباشرة مع أشراف مكة، حيث كانت أمامه جبهات عديدة مفتوحة ، منها : الخطر الصليبي، والمغولي، والثورات الداخلية، وتوطيد دعائم دولته، مما ساعد أشراف مكة على مباشرة سلطتهم بوضوح ظاهر، مع ملاحظة أن بيبرس لم يترك حامية بمكة، بل اكتفى بوجود نائب عنه في الحجاز، حلاّ مؤقتا للتوفيق بين أمرائها، حتى يتخذ رأياً في وضع إمارة مكة فيما بعد، ولكن الصراع لم يلبث أن تكرر بين أبي نمي وإدريس عام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م، وتطور إلى قتال بينهما، انتهى بتغلب أبي نمي على إدريس، وقتله وحكم

---

(١) السبتي :أبو عبد الله ، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق محمد الحبيب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٥، ص ١٠٠، والتجيبي، مستفاد الرحلة والاغتراب، ج ١، ص ٣٠٦، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٤٥٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٣.

(٢) **الدراهم النقرة:** أي البيضاء، وتتألف من فضة ونحاس: الثلثان فضة، والثلث نحاس، والعبرة في وزنها بالدراهم وهو أربعة وعشرون قيراطاً. والنقرة معدن الذهب، وقد شاعت الدنانير والدراهم النقرة المعروفة (بالكاملية) والمنسوبة إلى السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب (٦١٥هـ - ٦٣٥هـ)، وتعرضت العملة الذهبية في العصر المملوكي للتلاعب في عيارها ووزنها وتعديل حجمها ،وأشار إلى ذلك القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤١، وابن مماتي :الأسعد شرف الدين ، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، مطبعة مصر، ١٩٤٣م، ص ٣٣٣.

(٣) أبوالعز :عماد الدين إسماعيل، التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك، مخطوطة وزارة الأوقاف، ورقة ٧٢، وابن عبد الظاهر:محيي الدين، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ٣٥٧، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٧، والمقريزي، الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م، ص ٩٢.

(٤) **هو: شمس الدين مروان الظاهري،** كان نائباً للأمير عز الدين أمير جاندار الظاهري، حج مع السلطان الظاهر بيبرس فتركه نائباً عنه بمكة، الفاسي، العقد الثمين، ج ٧، ص ١٧٢،و المقريزي، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٥٨٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٨.

(٥) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٥٦، وبيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص ١٦٦، والنويري، نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ١٦٧، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٧٧، وتحصيل المرام، ص ٢٦٦، والعيني، عقد الجمان، ج٢ ص ٤٦، والمقريزي، الذهب المسبوك، ص ٨٨، والطبري، الأرج المسكي، ص ١٦٤..Degaury, Rulers of Macca, p. 93, Hogarth, Arabia, p. 87

بمفرده، وطوال بقية عهده لم يشرك أبو نمي معه أحداً في حكم مكة، حتى وفاته عام ٧٠١هـ/١٣٠١م[١]، وإن كان قد آثر محمد بن إدريس بن قتادة[٢]، وأمر له بربع واردات الإمـــارة كل سنة ، دون مشاركة في الحكم[٣]، ولكن أبا نمي غير سياسته هذه قبل وفاته بيومين، عندما أمر أن يدعى لولديه حميضة[٤] ورميثة[٥]، على قبة زمزم في أول جمعة من صفر عام ٧٠١هـ/١٣٠١م، بصفتهما شريكين له في إمرة مكة[٦].

وبعد وفاة أبيهما استمرت مشاركتهما عشرة أشهر، نازعهما فيها محمد بن إدريس بن قتادة من جهة، وأخواهما:أبو الغيث[٧] وعطيفة[٨] من جهة أخرى.

وفي موسم حج عام ٧٠١هـ/١٣٠١م اجتمع أبوالغيث وعطيفة مع الأمراء المماليك الذين قدموا في موسم الحج، وفي مقدمتهم بيبرس الجاشنكير[٩]، وتم الاتفاق على توليتهما إمرة مكة، وعزل حميضة ورميثة اللذين قُبض عليهما، وحملا إلى مصر، والواقع أن هذه الأحداث تمثل بداية تصدع قواعد استقلال الأشراف الحسنيين بمكة، إذ بدأت الدولة المملوكية تتدخل تدخلاً مباشراً في شؤون الإمارة حيث تم تولية أبي الغيث وعطيفة، ولكنهما فشلا في

---

(١) ابن أبي الفضائل :المفضل، النهج السديـــد والدر الفريـــد فيما بعد تاريـــخ ابن العميد، تحقيق اي بلوشيه، باريس، ١٩٣٢م، ج ٢، ص ٤٣٩، والذهبي، ذيول العبر، تحقيق محمد السعيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٤، ص ٣، وابن حبيب، درة الأســلاك، ج ١ ص ٤١، وابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٠٧، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٦، وتحصيل المرام، ص٢٦٥، والزهور المقتطفة، ص ١١٧ ، والمقريزي، السلوك، ج ١ ق ٢ ص ٥٩٧، والعيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ١٩٨، وعبد الهادي الطاهـــر:محمد صالح ، الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر، مخطوطة، مركز البحث العلمي، جامعة أم القـــرى، ٩٥٣، ط ٤ د/ تاريـــــخ، ورقة ٢، والعاصمي، سمط النجوم، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٢) **هو: محمد بن إدريس بن قتادة بن مطاعن**، جعل له الشريف أبو نمي ربع ما يتحصل لأمير مكة كل سنة، ولكن لم يجعل له ولاية بمكة، وكان أبونمي كثير الاغتباط به، وبعد موت أبي نمي أشار الناس على أولاده بقتل محمد بن إدريس، لأنه لا يتم لهم معه أمر، ولكن لم يتم شيء من ذلك، الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٣٢١، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ١٢٩.

(٤) **هو: حميضة بن أبي نمي**، يلقب بعز الدين، ولي إمرة مكة إحدى عشرة سنة ونصف سنة، على أربع مرات، منها مرتان شريكاً لأخيه رميثة، ومرتان مستقلاً بها، قتل في جمادى الآخرة من عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م. الفاسي: العقد الثمين، ج ٤، ص ٤١٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ١٦٩، والحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦ ص ٥٣.

(٥) **هو: رميثة بن أبي نمي**، يلقب بأسد الدين، ولي إمرة مكة ثلاثين سنة، في سبع مرات، استقل فيها بالإمرة خمس مرات، واشترك مع أخيه حميضة مرتين، توفي رميثة في ذي القعدة عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. الفاسي، العقد الثمين، ج ٤ ص ٤١٧، وابن فهـــــد، إتـــحـــــاف الورى، ج ٣ ص ٢٣٢، و الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦ ص ١٤٩.

(٦) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص ١٦٢، والتجيبي، مستفاد الرحلة، ج١، ص ٣٠٦ وابن أيبك، كنـــز الدرر، ج ٩ ص ١١٠، والقلقشندي، مآثر الإنافة، ج٢، ص ١٥٦، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٣٤٤، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ٤٥، وعبد الفتاح حسين راوة المكي، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر العصور الإسلامية، مكتبة المعارف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ١٦٥.

(٧) **هو: أبوالغيث بن أبي نمي**، يلقب بعماد الدين، ولي إمرة مكة في موسم عام ٧٠١هـ شريكاً لأخيه عطيفة، وجرت حروب كثيرة بينه وبين أخويه رميثة وحميضة، وعزل وتولى عدة مرات، قتله أخوه حميضة في ذي الحجة من عام ٧١٤هـ/١٣١٤م، الفاسي، العقد الثمين ج ٦، ص ١٠١.

(٨) **هو: عطيفة بن أبي نمي**، يلقب بسيف الدين، تولى إمرة مكة نحو خمس عشرة سنة مستقلاً بها في بعضها وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها، توفي بالقاهرة عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م. الفاسي، العقد الثمين، ج ٦، ص ١٠١، وابن حجر العسقلاني:شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، ج ٣ ص ٧٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣ ص ٢٢٦، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ١١٤.

(٩) **هو: ركن الدين بيبرس البرجي العثمان الجاشنكير**، من مماليك قلاوون، ولـــي الأستادارية لابنه الناصر محمد ، وحـــج بالناس عام ٧٠١هـ/١٣٠٢م، وتسلطن عام ٧٠٨هـ/١٣٠٩م، حتى قتل في العام التالي، انظر: القلقشندي، مآثر الإنافة، ج ٢، ص ١٢٦، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٦ - ٤٠.

ضبط الأمور في مكة، مما اضطر السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[١] إلى عزلهما والقبض عليهما عام ٧٠٤هـ/١٣٠٥م، وإعادة حميضة ورميثة مشتركين في الإمرة ، حتى عُزلا عام ٧١٣هـ/١٣١٤م بأخيهما أبي الغيث[٢] ، وظلت مكة تعاني من صراع مرير بن أبناء أبي نُمي، حتى انتهى الأمر لصالح رميثة بدعم من المماليك عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م.

وفي عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م، تنازل رميثة عن إمرة مكة لابنيه ثقبة[٣] وعجلان[٤] ، اللذين عوضا والدهما عن الإمرة بمبلغ ستين ألف درهم، ولكن هذا التنازل لم يعجب السلطان المملوكي الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون[٥] الذي أعاد رميثة لإمرة مكة عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م بعد أن اعتقل ثقبة بمصر، وفر عجلان إلى جهة اليمن، وظل رميثة في إمرة مكة حتى تولاها عجلان منفرداً في جمادى الآخرة من عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م أي قبل وفاة أبيه بخمسة شهور، وبوفاة رميثة انتهت حقبة مهمة من تاريخ مكة كانت حافلة بالصراعات وتطورات الأحداث، تمكنت خلالها دولة سلاطين المماليك من إحكام سيطرتها على مكة عن طريق التدخل العسكري المباشر، نتيجة الصراعات بين أبناء أبي نمي على إمرة مكة[٦].

ولم يلبث عجلان أن دخل دائرة الصراع مع إخوته تخللها مشاركة أخيه ثقبة له عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م،

---

(١) هو: السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ولد عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م وتوفي عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م، تولى السلطنة ثلاث مرات في نحو ٤٣ عاماً، انظر: المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٣٩، والسلوك، ج ١ ،القسم ٣ ، ص٧٢٧ ، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ص ٤٣١ ، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١٤٥، والصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، الطبعة الثانية، تحقيق ديرينغ، دار فرانزشتايز، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج ٤ ص ٣٥٣.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج ١ ص ١٧٧، وتحصيل المرام، ص ٢٢٦، والزهور المقتطفة، ص ١١٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣ ص ١٣٥، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢ ص ٥٥، وأبوالفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤ ص ٧٣، والقلقشندي، مآثر الإناقة ، ج ٢ ص١٢٦.

(٣) هو: ثقبة بن رميثة بن أبي نمي، يلقب بأسد الدين، ولي إمرة مكة مع شقيقه عجلان في حياة أبيهما، ثم تولاها مناصفة مع شقيقه عجلان لفترة ومستقلاً بها في فترات أخرى، توفي في شوال عام ٧٦٢هـ/١٣٦٠م في منطقة الجريد، وحمل إلى مكة ودفن فيها : الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٩٥، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٦٦، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٤، ص ١٩٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٩١، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢ ص ١٣٠.

(٤) هو: عجلان بن رميثة بن أبي نمي، يلقب بعز الدين، ولي إمرة مكة مستقلاً بها مدة، وشريكاً لأخيه ثقبة مدة، وشريكاً لابنه أحمد بن عجلان مدة، توفي بمكة في جمادى الأولى من عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م : الفاسي: العقد الثمين، ج ٦ ص ٧٠، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٦٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣ ص ٣٢٣، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٣ ص ١٣٧.

(٥) هو: السلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون، ولي السلطنة عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م وتوفي عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ٢١٩. والعماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٤٨ ،وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٠٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٩٥، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١٨٣.

(٦) كان لأبي نمي من الأولاد الذكور واحد وعشرون ومن الإناث اثنتا عشرة ، وأربع زوجات، تنازع على إمرة مكة أربعة من كبار أولاده وهم رميثة وحميضة وأبو الغيث وعطيفة، وصاروا ألعوبة في أيدي سلاطين المماليك، الفاسي: العقد الثمين، ج ٦ ص ٦٠١، وشفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٢٤، والمقريزي، السلوك، ج ٣، القسم ١،ص ٢٩٥ ،وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٤٤ ، والمنهل الصافي، ج ٢، ص ٣٧٦، وابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣ ص ٢٣٠، والعاصمي، سمط النجوم، ج ٤، ص ٢٣٩.

ولكن ثقبة توفي بعد أيام قليلة دون أن يتمتع بهذه المشاركة، فأشرك عجلان معه ابنه أحمد[١]، وأمر له بربع ما يتحصل من إيرادات مكة، ولم يلبث أن توفي المنافس الثاني لعجلان: أخوه سند[٢] عام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م فتمهدت له الأمور فأعطى ابنه أحمد ربعاً آخر من إيرادات مكة، بناء على طلبه ، وخوفاً من التفاف القواد حول ابنه، وظل عجلان يحكم مشاركة مع ابنه أحمد حتى عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م، حيث تنازل عجلان لابنه عن إمرة مكة مقابل مبلغ من المال، وبشرط أن يبقى اسمه على الخطبة والدعاء له مدة حياته، فوفى له ابنه بجميع ما اشترطه حتى مات الشريف عجلان سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٢م[٣]. فانفرد أحمد ابنه بحكم مكة، ثم اشترك مع ابنه محمد[٤] في الإمرة عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م. واستمرت هذه المشاركة حتى وفاة أحمد بن عجلان عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م فاستقل محمد بإمرة مكة حتى مقتله في العام نفسه [٥]، فتولى إمرة مكة عنان بن مغامس[٦]، وأشرك معه في الإمرة عقيل بن مبارك بن رميثة[٧] وأحمد بن ثقبة[٨]، وعلي بن مبارك بن رميثة[٩].

وبذلك أصبح يحكم مكة أربعة أشخاص في آن واحد ولأول مرة، وإن كان الدعاء في خطبة الجمعة لعنان فقط. ولاشك أن هذا يدلنا على مدى التصدع وتردي الأوضاع في الجبهة الداخلية لأشراف مكة.

---

(١) هو: أحمد بن عجلان بن رميثة، يلقب بشهاب الدين، ولي إمرة مكة شريكاً لأبيه ومستقلاً ثم شريكاً لابنه محمد ستا وعشرين سنة، توفي في شعبان عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٩٦، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢١٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٣٠، وعبد العزيز بن فهد، وغاية المرام، ج ٢، ص ٣١٦، والعاصمي، سمط النجوم، ج ٤، ص ٢٣٩.

(٢) هو: سند بن رميثة بن أبي نمي، ولي إمرة مكة شريكاً لابن عمه محمد بن عطيفة عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، توفي عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٢، ص ٦١٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٩٥، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ١٦٨.

(٣) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج ٢، ص ١٧٥، وابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٠، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٩، والمقريزي، السلوك، ج ٣ ق ٢، ص ٢٥٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣ ص ٣٢٣.

(٤) هو: محمد بن أحمد بن عجلان بن رميثة، يلقب بجمال الدين، ولي إمرة مكة ثماني سنوات شريكاً لأبيه، وبعد وفاة أبيه تولى إمرة مكة مائة يوم فقط، حيث قتله باطنيان وهو يقبل خف جمل المحمل في ذي الحجة من عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٣١٩، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ١٩٥.

(٥) الصيرفي :علي بن داود ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م، ج ٣، ص ١٣٨ - ١٤٦. وابن قاضي شهبة :تقي الدين أبوبكر، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٧م، ص ١٨٧ - ١٩٢، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢١٠.

(٦) هو: عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي، يلقب بزين الدين ويكنى أبا لجام ، ولي إمرة مكة لمدة عام ثم عزل ثم تولاها سنتين، توفي في ربيع الأول عام ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٦ ص ٤٤١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣ ص ٤٣٣، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢ ص ٢١٤.

(٧) هو: عقيل بن مبارك بن رميثة، كان من أعيان الأشراف، ولي شريكاً لعنان بن مغامس عدة شهور وتوفي عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٦ ص ١١٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٥٩١، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٤٩، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٨) هو: أحمد بن ثقبة بن رميثة، ولي إمرة مكة شريكاً مع عنان، وقد كحّله ابن عمه أحمد بن عجلان فأصبح ضريراً، توفي بمكة في محرم عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣ ص ٤٧٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٦٦، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٩) هو: علي بن مبارك بن رميثة، ولي إمرة مكة شريكاً مع عنان بن مغامس، توفي بالإسكندرية عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٦ ص ٢٢٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٥٠٣، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٧٧، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٢٢٥.

ولم يلبث أن تدخل السلطان المملوكي الظاهر برقوق[١]، وجعل إمرة مكة مشاركة بين علي بن عجلان[٢]، وعنان بن مغامس، اللذين لم يلبثا أن تحاربا، وهزم علي بن عجلان عناناً ، ولكن بسعي من الظاهر برقوق تصالحا، واشتركا في الإمرة عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م، ثم انفرد علي بن عجلان في إمرة مكة وظل كذلك حتى مقتله عام ٧٩٧هـ/١٣٩٥م، فحكم أخوه حسن بن عجلان من ٧٩٨ - ٨١٠هـ/١٣٩٦ - ١٤٠٨م[٣].

ثم أشرك معه ابنه بركات[٤] في نصف الإمرة، بتأييد من السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق[٥]، ثم أشرك ابنه الثاني أحمد، واحتفظ حسن بن عجلان لنفسه بلقب نائب السلطنة في الأقطار الحجازية، وذلك عام ٨١١ هـ/١٤٠٩م، وظلوا كذلك حتى عام ٨١٨هـ/١٤١٥م، حيث عزلوا جميعاً من قبل السلطان المؤيد شيخ[٦]، وتولى رميثة بن محمد بن عجلان[٧]، ولكن السلطان المؤيد شيخ رضي عن حسن بن عجلان، وأعاده إلى إمرة مكة في عام ٨١٩هـ/١٤١٧م، فأشرك حسن بن عجلان معه في الدعاء على قبة زمزم ابنه بركات، ثم ابنه إبراهيم[٨]، وكان ذلك عام ٨٢٠هـ/١٤١٨م.

وفي عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م، وصل تفويض من المؤيد شيخ لحسن بن عجلان وابنه بركات دون إبراهيم، ولما توفي حسن بن عجلان، تولى بركات إمرة مكة منفرداً، حتى عزله السلطان جقمق[٩] عام ٨٤٥هـ/١٤٤٠م.

---

(١) هو: السلطان الظاهر برقوق، أول من تسلطن من الجراكسة عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وتوفي عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٤٥٧، والفاسي: العقد الثمين ج ٣ ص ٣٥٧، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٤، ص ٥٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣ ص ١١، والطبري، الأرج المسكي، ص ٢٢٧.

(٢) هو: علي بن عجلان بن رميثة، يلقب بعلاء الدين، ولي إمرة مكة ثماني سنوات وثلاثة أشهر مستقلاً بالإمرة ماعدا سنتين، أول ولايته كانت عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، بعد عزل عنان بن مغامس، قتل في شوال عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٦ ص ٢١٣، وابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣ ص ٣٢٦، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) هو: حسن بن عجلان بن رميثة يلقب ببدر الدين، ولي إمرة مكة إحدى وعشرين سنة وتسعة شهور مستقلاً، ووليها سنة وسبعة أشهر شريكاً لابنه بركات، توفي في عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م بالقاهرة ودفن بها، الفاسي، العقد الثمين، ج ٤، ص ١٥٣، وتحصيل المرام، ص ٢٦٩، والصيرفي، نزهة النفوس، ج ١ ص ٤١٥، والسخاوي، الضوء اللامع ، ج ٢، ص ١٠٤، والسنجاري، :علي بن تاج الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق، ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، ص ٨٠، والعجيمي :حسن بن علي، تاريخ مكة والمدينة والطائف، مخطوطة، جامعة أم القرى، رقمها (٩٥٣,٨)، تاريخ، ورقة ٢٢.

(٤) هو: بركات بن حسن بن عجلان، يلقب بزين الدين، شارك أباه في إمرة مكة، توفي عام ٨٥٩هـ/١٤٥٥م. الفاسي، العقد الثمين، ج ١ ص ١٨٢، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٣ ص ٢٤٦، وابن فهد، الدر الكمين، ص ١٠٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣ ص ١٣، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢ ص ٣٩٢.

(٥) هو: السلطان الناصر فرج بن برقوق، تولى السلطنة عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وقتل عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م. الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ١١٢، والطبري، الأرج المسكي، ص ٢٧٥.

(٦) هو: السلطان المؤيد شيخ، أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، تولى بعد خلع الخليفة المستعين بالله، عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، وتوفي عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م. الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ١٩٩، وشفاء الغرام، ج ٢ ص ٢٠٧، والعيني :بدر الدين العيني ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم شلتوت، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، ص ٣، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤ ص ١٠٩.

(٧) هو: رميثة بن محمد بن عجلان، كان مطيعاً لعمه حسن بن عجلان، ثم خرج عليه عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، قتل عام ٧٣٧هـ/١٤٣٣م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤ ص ٧٠، والدر الكمين، ص ١٠٩، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣ ص ٢٣٠، و[illegible]د العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢ ص ٤٨٣.

(٨) هو: إبراهيم بن حسن بن عجلان، خطب له مع والده وأخيه بركات، في المسجد الحرام عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، قبض عليه عام ٨٤٦هـ/١٤٤٢م، وأرسل مقيداً بالحديد إلى الإسكندرية ثم دمياط حيث توفي هناك عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م. العقد الثمين، ج ١ ص ١٨٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤ ص ٣١٤، والدر الكمين، ص ٩٢، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ١ ص ٤١، والتبر المسبوك في ذيل السلوك، ط١ الكليات الأزهرية، (د.ت)، ص ٣٥٥.

(٩) هو: السلطان الظاهر سيف الدين أبوسعيد بن عبد الله العلائي، تولى عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، وتوفي عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٩ ص ٣٩، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢ ص ٢٧٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣ ص ٧١، والسيوطي :الحافظ عبد الرحمن،نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق فيليب حتى، بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٢٧م، ص ١٠٣.

وأسندها إلى أخيه علي بن حسن بن عجلان[١] ثم عزله في السنة التالية بأخيه أبي القاسم بن حسن بن عجلان[٢]، الذي فشل في إدارة الأمور فعزله[٣].

وعاد بركات من جديد يمارس سلطته أميراً على مكة، ولما تقدمت به السن طلب من السلطان المملوكي الموافقة على تعيين ابنه محمد[٤]، بدلاً منه، فوصل مرسوم تعيين محمد بن بركات أميراً على مكة، وكان ذلك بعد وفاة والده عام ٨٥٩هـ/١٤٥٥م، فحكم محمد منفرداً حتى عام ٨٧٨هـ/١٤٧٤م حيث أشرك السلطان قايتباي[٥]، معه في الحكم ولده بركات، ولما توفي محمد عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، آلت إمرة مكة تلقائيّا إلى ابنه وشريكه في الإمرة بركات[٦]. ووصل تفويض من السلطان قايتباي له بولاية مكة، وجميع الأقطار الحجازية في ربيع الآخر من عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م[٧]، وقد أشرك معه في الإمرة أخاه قايتباي[٨] وكان ذلك عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م، ثم أشرك ابنه عليّا مع أخيه قايتباي، ولما توفي علي، عين ابنه أحمد المعروف بالشافعي، شريكاً لأخيه قايتباي، واستمر ذلك حتى وفاة قايتباي عام ٩١٨هـ/١٥١٢م. وفي هذه السنة أرسل بركات أبا نمي، وعمره ثماني سنوات في سفارة إلى مصر

---

(١) هو: **علي بن حسن بن عجلان**، يلقب بنور الدين، ولي إمرة مكة، عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م عوضاً عن أخيه بركات، قبض عليه وحمل إلى مصر، وتوفي في دمياط عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٢٨٩، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٤٩٨.

(٢) هو: **أبوالقاسم حسن بن عجلان**، يلقب بمؤيد الدين، تولى إمرة مكة فترة من (٨٤٦ -٨٥٠هـ/ ١٤٤٢ - ١٤٤٦م) وقد توفي بالقاهرة مطعوناً عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٢٩٠، والسخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٨٣، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج ١، ص ١٥٠، ٢٤٧، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٢٣٠،و المقريزي، السلوك، ج ٤، ق٢، ص ٧٢٦، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٩، ص ١٨٩، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٤٢٧.

(٤) هو: **محمد بن بركات بن حسن بن عجلان**، ولي إمرة مكة عام ٨٥٩هـ/١٤٥٥م، وتوفي عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤ ص ٣٥٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٥٠، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٣، ص ٦٢، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٣٢١، والسنجاري، منائح الكرم، ج ٢ ص ١٥٧.

(٥) هو: **السلطان قايتباي الجركسي المحمودي**، تولى السلطنة عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وتوفي عام ٩٠١هـ/١٤٩٥م، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦ ص ٢٠١، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٢٢، ونظم العقيان، ص ١٠٠، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣ ص ٣، والطبري، الأرج المسكي، ص ٢٧٩.

(٦) هو: **بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان**، تولي إمرة مكة عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، وتوفي عام ٩٣١هـ/١٥٢٥م، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣ ص ١٤، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٣ ص ٣٥، وبلوغ القرى، ص ١٠٠، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٣٢، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ٧٧٩، والقرماني، أخبار الدول، ج ٢، ص ٣٤٦، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ص ١٣٤.

(٧) عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٣ ص ١١١، وبلوغ القرى، ص ١٠٠، والقرماني، أخبار الدول، ج ٢، ص ٣٤٦، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢ ص ٧٧٩، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٣٢٣،والسنجاري، منائح الكرم، ج ٢ ص ٢٦٢، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ص ١٣٤.

(٨) هو: **قايتباي بن محمد بن بركات**، تولى إمرة مكة عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م، وكان الدعاء في الخطبة له، وعليه استقبال الحجاج. وبقية الأمور لأخيه بركات، توفي في ربيع الأول عام ٩١٨هـ/١٥١٢م، عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٣، ص ١٧٣، وبلوغ القرى، ص ١٤٥، وزيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٤٦.

لمقابلة السلطان الغوري[١] الذي أصدر مرسوماً جعل فيه أبا نمي شريكاً لأبيه بركات في إمرة مكة، وصار يخطب له مع أبيه على منابر الحرمين الشريفين[٢].

ولما سقطت دولة المماليك عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، في يد الأتراك العثمانيين[٣]، ودخل السلطان سليم مصر[٤]، أرسل الشريف بركات ولده أبا نمي لتقديم فروض الطاعة للسلطان العثماني سليم خان الذي اعترف بولاية بركات على مكة، وأبقى ابنه أبا نمي شريكاً في الإمرة حتى وفاته عام ٩٣١هـ/١٥٢٥م، فاستقل أبو نمي بشؤون إمارة مكة[٥].

وبدخول العثمانيين مصر، دخلت مصر وبالتالي الحجاز، مرحلة جديدة من تاريخهما تحت السيطرة العثمانية.

٢- الأوضاع السياسية في المدينة المنورة في العصر المملوكي.

ارتبطت الأوضاع في المدينة المنورة بالحالة السياسية في مكة المكرمة، فقد تأثرت المدينة مثل مكة بالصراعات بين القوى السياسية التي في المنطقة حتى ارتبطت سياسيّاً بالدولة المملوكية،و تعاقب على حكم المدينة العديد من الأسر العلوية وآل الأمر إلى قيام حكم أسرة علوية في المدينة عرفت بأسرة بني مهنا، وكان ذلك

---

(١) هو: السلطان الأشرف قانصوه الغوري، تولى السلطنة عام ٩٠٦هـ/١٤١٠م، وقتل على يد الأتراك العثمانيين عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٩، والطبري، الأرج المسكي، ص ٢٨٤، والحنبلي، شذرات الذهب، ج ٨ ص ١١٣، والعاصمي، سمط النجوم، ج ٤، ص ٤٩ - ٥٣.

(٢) عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٣، ص ٢٤٧، والنهروالي :قطب الدين المكي الحنفي، البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٧م، ص ٢٤، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ص ١٦٠، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ٧٩٥، وزيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٥٠.

Hogarth, Arabia. p. 89.

(٣) المقدسي، نزهة الناظرين، ص ١٣٥، والبخاري (محمد أفندي)، درر السلوك فيمن حكم مصر من النواب والملوك، مخطوطة، دار الكتب القومية، برقم ١١٥٢، ورقة ٢٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥ ص ١٩٣، وابن زنبل الرمال :أحمد بن أبي الحسن بن علي، آخرة المماليك أو تاريخ السلطان سليم، القاهرة، ١٢٧٨م، ص ٨، ومحمود فهمي المهندس، البحر الزاخر في العالم وأخبار الأوائل والأواخر، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، ج ١، ص ١٦٧، وعبد المنعم ماجد، طومان باى آخر سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م، ص ١٤٤، ومحمد عبد المنعم السيد الراقد، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، مؤسسة الشباب الجامعي، ص ٦، ويوسف الدبس، تاريخ سوريا، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص ٣٣، ومحمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٥٠٣ - ٥٠٦.

(٤) هو: السلطان سليم شاه ملك بني عثمان تولى السلطنة عام ٩١٨هـ/١٥١٢م، أعمل السيف في رقاب إخوته وأبنائهم خشية أن ينافسه أحد منهم على الملك، توفي عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م بعد أن أمضى في السلطنة سبع سنوات، وتولى بعده ابنه السلطان سليمان القانوني. محمد بن محمود الحلبي :ابن النجا، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، تحقيق محمد أحمد دهان، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٣٠٢.

(٥) ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٣٢٤، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢ ص ٨١٣، والقرماني، أخبار الدول، ج ٢ ص ٣٤٦، ويحيى بن حسين، غاية الأماني، ج ٢، ص ٦٥٥، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ص ١٧٢. Hogarth, Arabia, p 89

في رأى بعض المؤرخين عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م[١].

ومع قيام السلطنة المملوكية في مصر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، كان أمير المدينة عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا[٢] ،الذي كان بينه وبين أخويه منيف[٣] وجماز[٤] صراع على الحكم، ومن أجل توطيد سلطته قام بإخراج أخويه من المدينة، مما حملهما على التآمر ضده، فتم لهما ذلك، وسجناه سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م[٥].

وتولى إمرة المدينة بعد ذلك منيف بن شيحة يساعده في ذلك أخوه جماز حتى وفاة منيف، فخلفه عز الدين جماز، غير أن الصراع ما لبث أن نشب بينه وبين ابن أخيه مالك بن منيف[٦] ،حيث تمكن مالك من انتزاع الإمارة من عمه جماز ثم تنازل مالك طواعية عن إمارة المدينة لعمه، واستمر جماز في الإمارة حتى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م،

---

(١) **تنسب أسرة بني مهنا للحسين** بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب غير أنها تختلف فيمن تولى السلطة من عقبه، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى الحسن بن طاهر بن مسلم الذي خلف أباه في إمرة المدينة عام ٣٨١هـ وكان يلقب بالمهنا، وقيل تنسب أسرة آل مهنا إلى مهنا بن هانئ بن داود بن القاسم بن عبد الله بن الطاهر، وقيل تنسب إلى حسين بن مهنا الأكبر. ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٠٨ - ١٠٩، والفاسي، العقد الثمين، ج ٧، ص ٣١، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٧٨، ٧٩، وعلي بن الحسين ابن شقدم الحمزي، نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة (مخطوطة مصورة رقم ٢١١٧ - تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة)، ورقة ١، لوحة ١، ٢.

(٢) **هو: عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا**، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة سنة ٦٤٧هـ، وكان ينوب عن أبيه في إمرة المدينة، فلما قتل بنو لامٍ أباه استقل بالإمارة وحاول الجمامزة أخذها منه فقبض عليهم. وتوفي سنة ٦٨٣هـ. السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٣٨٢، والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٢١.

(٣) **هو: منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا** ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة سنة ٦٤٦هـ مشاركة، و٦٥٦هـ - ٦٥٧هـ مستقلاً، وفي أيامه سنة ٦٥٦هـ ظهرت النار الكبرى في شرق المدينة، توفي سنة ٦٥٧هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص٩٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٩٨.

(٤) **هو: جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا** بن حسين بن مهنا ويعود نسبه إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في سنة ٦٥٧هـ ولي المدينة بعد موت أخيه منيف، وفي حياة أخيهما عيسى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م، وتوفي عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٣، والفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٣٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص٢١٧، والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٧٤٦.

(٥) ابن فرحون :أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون ، ت ٧٦٩هـ، نصيحة المشاور وتعزية المجاور، قابل أصوله حسين شكري، دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٢٤٨.

(٦) **هو: مالك بن منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا**، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمير المدينة سنة ٦٦٦هـ، انتزع الإمارة من عمه جماز، ثم تنازل عنها له طوعاً، فقد كتب له الظاهر بيبرس تقليداً بالمشاركة في نصف الإمارة مع عمه جماز الذي وافق على ذلك وهو بمنزلة اعتراف من أشراف المدينة بالسيادة السياسية والدينية للمماليك وبسط نفوذهم على الحرمين الشريفين، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٩٤، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٤، ص ١٩٣، والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٥٦٠، والعيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٩، وابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

حيث تنازل عنها لابنه منصور[١]، وذلك بعد أن كبر، وما لبث أن توفي سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م.

تولى منصور بن جماز الإمارة في ظل صراع على السلطة بينه وبين إخوته الذين حسدوه على تفضيل أبيه له، وتفاقم النزاع بدخول طرف ثالث، وهم أهالي المدينة، مما أدى للقبض على منصور، وابنه كبيش من قبل السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[٢]،وأحضرا إلى مصر، ثم أعيدا للمدينة [٣].

وبعد عودة منصور إلى المدينة دخل في صراع مع أخيه وأبناء أخيه، غير أنه قتل على يد ابن أخيه حريثة بن قاسم بن جماز سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م[٤]. تولى الإمارة بعده ابنه كبيش بن منصور[٥] وشهد عهده صراعاً على الإمارة مع عمه ودي[٦] سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، خرج على أثرها كبيش من المدينة غير أنه مالبث أن عاد إلى الإمارة بأمر من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون بعد القبض على ودي[٧] ، وظل كبيش في الإمارة حتى مقتله في رجب سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م على يد أولاد عمه مقبل بن جماز، وعاد ودي حاكماً على المدينة حتى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م حيث تمكن طفيل بن منصور بن جماز[٨] من استعادة إمارة المدينة والقضاء على منافسيه، إلا أن

---

(١) هو: منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لقبه أبو غانم، وأبوعامر، أمير المدينة حوالي سنة ٧٠٠هـ /١٣٠٠م، وتوفي ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٧٣.

(٢) هو: الناصر محمد بن قلاوون تولى السلطنة عدة فترات مابين (٦٩٣ - ٧٤١هـ/ ١٢٩٣ - ١٣٤٠م)، المقريزي، السلوك، ج ١، القسم ٣،ص ٧٩٣، والفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٣٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ٢٤٩.

(٤) ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ٢٤٩، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٣٢، كما ورد بلفظ (حديثة) (وحريثة) (وحذيفة)، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٦٤.

(٥) هو: كبيش بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، يكنى بدر الدين، أمير المدينة المنورة سنة ٧٠٩هـ باستخلاف والده له و سنة ٧٢٥هـ استقلالاً بها، وقتل على يد أولاد عمه مقبل بن جماز سنة ٧٢٨هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص٢٦٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٧٣، ورحلة ابن بطوطة، دار صادر، ص ١٢٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٠١.

(٦) هو: ودي بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، يكنى أبا مزروع، أمير المدينة في سنة ٧٢٧هـ - ٧٣٦هـ ومات في (سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٤، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٤٠٦، والمقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٨٣٩، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠١.

(٧) الفيروزآبادي، : مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ/١٤١٥م)، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر (قسم المواضع)، الطبعة الأولى، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٢٤٦، والمقريزي، السلوك، ج ٢،ق١،ص ٢٨٨، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٢٦.

(٨) هو: طفيل بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمير المدينة سنة ٧٢٨هـ، ولي إمرة المدينة في عهد أخيه كبيش حوالي سنة ٧٢٦هـ، واستقل بها بعد مقتل أخيه كبيش، وقد عزله الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٦هـ، وولى ودي بن جماز ، ثم عاد إلى المدينة سنة ٧٤٣هـ، ثم قبض عليه، وسجن بالقاهرة سنة ٧٥١هـ، ومات سنة ٧٥٢هـ.، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٢٣، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٣٦، ج ٣، ص ٥٨٣، ٢٥٨، وابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٨٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٤٤، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٢٤، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٠٢.

الصراع على السلطة كان سمة بارزة في تلك الفترة، ففي أعقاب وفاة ودي عين آل جماز الفضل بن قاسم بن جماز بن شيحة الحسيني[١] زعيماً لهم ومطالباً بالإمارة من طفيل فتجدد النزاع، غير أنهم لم يتمكنوا من إزاحة طفيل من منصبه حتى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، فقد عزل طفيل بأمر من السلطنة المملوكية، وعين مكانه الشريف سعد بن ثابت بن جماز[٢] غير أن طفيلاً رفض قرار عزله، مما أدى إلى تجدد الصراع بين الطرفين، وفي ظل هذه الصراعات والفراغ السياسي حدث أمر غريب ، هو قيام إحدى النساء وتدعى هميان بنت مبارك بن فضل[٣] بتسلّم أمور الحكم في المدينة من يوم السبت حتى ظهر الأحد، حيث وصل محمد بن مقبل بن جماز[٤] وتسلّمَ الأمور في المدينة ثم سلمها إلى سعد بن ثابت[٥] ولم تدم إمارة سعد سوى سنة وأربعة أشهر ثم توفي سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م.

وعين بعده فضل بن قاسم، وصدر له مرسوم من القاهـرة وظل في منصبه حتى وفاته سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، وقد شهدت الفترة القصيرة التي تولى فيها الفضل بن قاسم منصب الإمارة في المدينة إكمال حفر الخندق الذي بدأه سعد بن ثابت حول سور المدينة، واتّسم بالأخلاق الفاضلة، ونشر العدل بين الناس[٦].

وتولى الإمارة بعده ابن عمه، مانع بن علي بن مسعود بن جماز[٧] الذي واجه اضطراب الأوضاع والصراع على الحكم، حتى صدر أمر من السلطنة بعزله سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م، وعين مكانه جماز بن منصور بن جماز[٨]، الذي اغتيل على يد فدائيين، قدما للحج مع الركب الشامي في ٢١ من ذي القعدة سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م، فاضطربت الأحوال في المدينة، فاختير عطية بن منصور[٩]، أميراً للمدينة سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، غير أنه عـزل سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، وعين بدلاً منه ابن أخيه هبة بن جماز بن منصـور[١٠]، ثم قبـض عليـه بمكـة

---

(١) هو: الفضل بن قاسم بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في سنة ٧٥٢هـ - ٧٥٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٤هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٣٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣ ، ص ٣٩٥، والمقريزي، السلوك، ج ٣، ق ١ ص ٤٦.

(٢) هو: سعد بن ثابت بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة سنة ٧٥٠هـ - ٧٥٢هـ، كان حسن السيرة، ينصر السنة، ويقمع البدعة، مات سنة ٧٥٢هـ.، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٣٤، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٢٥، وتاريخ ابن قاضي شهبة، مجلد ٣، ج ٢، ص ٢٤.

(٣) هي: هميان بنت مبارك بن مقبل، أميرة المدينة في سنة ٧٥٠هـ، تسلّمت مفاتيح الدروب يوم السبت ١٩ من ذي الحجة إلى ظهر الأحد. ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ٢٥٧.

(٤) هو: محمد بن مقبل بن جماز، أمير المدينة في سنة ٧٥٠هـ، تسلّم الحكم من هميان بنت مبارك وسلمه إلى سعد بن ثابـت يوم الثلاثاء ٢٢ من ذي الحجة سنة ٧٥٠هـ، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ٢٥٧.

(٥) هو: سعد بن ثابت بن جماز بن شيحة بن هاشم، بن قاسم بن مهنا ويعود في النسب إلى الحسين بن علي بن طالب، أمير المدينة ٧٥٠هـ - ٧٥٢ هـ، كان مشكور السيرة، ينصر السنة، توفي سنة ٧٥٢هـ، ص ١٢٥، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٣٤، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ١٢٥.

(٦) الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٢٤٢ - ٢٥٦، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٧) هو: مانع بن علي بن مسعود بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في ذي القعدة ٧٥٣هـ - ٧٥٩هـ، قتل آخر ذي الحجة سنة ٧٥٩هـ، المقريزي، السلوك، ج ٣، ق١، ص ٤٦، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٣٣٠، والدليل الشافي، ج ٣، ص ٥٧٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة، مجلد ٣، ج ٢، ص ١٤٠.

(٨) هو: جماز بن منصور بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة قتل في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٧٥٩هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٤٢٦.

(٩) هو: عطية بن منصور بن جماز، يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٧٥٩هـ، مات سنة ٧٨٣هـ بالمدينة، كانت سيرته عطرة، ومناقبه عديدة، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٩٧، وابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج ٤، ص ١٩٧.

(١٠) هو: هبة بن جماز بن منصور بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة سنة ٧٧٣هـ - ٧٨٢هـ، مات سنة ٧٨٣هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٥.

سنة ٧٨٣هـ/١٣٨٠م فعاد زين الدين عطية إلى الإمارة بالمدينة، إلا أن فترته الثانية لم تدم طويلاً، فقد تولى سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، وتولى إمارة المدينة بعده جماز بن هبة بن جماز[١] في ذي القعدة سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، بمرسوم سلطاني، إلا أنه وقع صراع بينه وبين نعير بن منصور[٢]، الذي خلف أخاه زين الدين عطية، ورفض تسليم المدينة، مما أدى لوقوع قتال انتهى باستيلاء جماز على المدينة ومقتل نعير[٣]. ومن خلال تتبع الأوضاع السياسية في المدينة أواخر القرن الثامن الهجري يتضح أن الصراع على السلطة بين أشرافها كان على أشده، وأنه كان سمة بارزة للحياة السياسية، فقد خرجت الإمارة من يد جماز بن هبة عدة مرات، كما شاركه أبناء عمومته في بعض الفترات، ففي سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، شاركه ابن عم أبيه محمد بن عطية بن منصور[٤]، ثم خرجت الإمارة من يده فيما بعد، وأعيد إليها سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، وقبض عليه سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م، وسجن بالإسكندرية سبع سنوات، ثم أطلق سراحه وأعيد للإمارة سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، بعد عزل أميرها ثابت بن نعير[٥]، وعاد ثابت للإمارة في ذلك العام، ثم اقتتل جماز وثابت، وحسم نزاعهما بالسيف، وتولى جماز الإمارة سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، حتى عزل عنها سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م، فانتقم لعزله بنهب مقتنيات الحجرة النبوية من قناديل الذهب والفضة، ثم فر من المدينة، وقتل بعدها على يد بعض الأعراب سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م[٦].

---

(١) هو: **جماز بن هبة بن جماز بن منصور** يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في ذي القعدة سنة ٧٨٣هـ، اشترك معه ابن عم أبيه في سنة ٧٨٥هـ، محمد بن عطية بن منصور، ووليها مرة أخرى سنة ٧٨٩هـ، ثم سجن بالإسكندرية سبع سنوات، ثم أطلق سنة ٨٠٥هـ، قتل في سنة ٨١٢هـ، وقد ولى المدينة ثلاث مرات، ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤١٦، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧،و المقريزي، السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٩٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٨٨.

(٢) هو: **نعير بن منصور بن جماز**، يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. أمير المدينة في ذي القعدة سنة ٧٨٣هـ بالوكالة، وكان ينوب عن أخيه عطية بن منصور، قتل سنة ٧٨٣هـ بعد يومين من دخول جماز المدينة، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧، ٤٢٨.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٧٣، ٨٣، و السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١ ص ٤٢٨.

(٤) هو: **محمد بن عطية بن منصور بن جماز** يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة مشاركة مع جماز بن هبة، سنة ٧٨٥هـ، ثم تغلب جماز وانفرد إلى أن عزل محمد بن عطية سنة ٧٨٧هـ، ومات في إحدى الجمادين التاليي، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٩٥، ص ٤٢٧، ج ٣، ص ٦٦٩، والمقريزي، السلوك، ج ٣، ق٢، ص ٥٥٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٤٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١١، ص ٣٠٩.

(٥) هو: **ثابت بن نعير بن جماز** بن منصور بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، عز الدين، أبوقيس، أمير المدينة حوالي سنة ٧٨٩هـ وما بعدها، ولي المدينة سنة ٧٨٩هـ وعزل عنها بجماز، سنة ٨٠٥هـ ثم أعيد واقتتلا، ومات ثابت سنة ٨١١هـ في صفر، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٦، وابن حجر، الضوء اللامع، ج ١، ص ٥٠، والمقريزي، السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٥٩، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٤، ص ١٨٥، والنجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٧٣.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٦، ص ١٠٤، ١٠٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧٨، والتحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٨.

إلا أن حسن بن عجلان[١] أمير مكة الذي أصبح بتفويض من السلطان المملوكي نائب السلطنة بالحجاز[٢]، قد استناب عجلان بن نعير بن منصور بن جماز[٣]، والد زوجته، بدلاً من ثابت المتوفى سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م، على المدينة، الذي أمر أمير مكة بتسيير عسكر على رأسهم ابنه أحمد لدعمه ضد مناوئيه وبخاصة جماز به هبة.

كانت ولاية عجلان بن نعير على المدينة مضطربة، فلم يستقر الحكم له، بل نافسه آخرون، وعلى رأسهم آل جماز بن هبة الذين هاجموا المدينة، وقبضوا على عجلان وسلموه لأمير الحاج الشامي، ثم أرسل إلى مكة، وأطلق سراحه بأمر من أميرها، غير أنه لم يغد للإمارة، بل حل مكانه غرير بن هيازع بن هبة بن جماز الحسيني[٤] الذي استمر في الإمارة ثماني سنين، ثم عزل عنها سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، واعتقل وسجن وتوفي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، وأعيد عجلان بن نعير[٥]، ثم عزل وعين بدلاً منه ثابت بن نعير بن جماز [٦]، سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، ثم عزل ثابت في العام نفسه، أما عجلان فقد قتل سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٥م[٧]، ثم عين خشرم بن دوغان بن هبة[٨]، أميراً على المدينة بدعم من السلطان المملوكي، وأرسل حبيش بقيادة بكتمر

---

(١) هو: **حسن بن عجلان بن رميثة** بن أبي نمي ويعود نسبه إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الحسني المكي، يلقب بدر الدين، أمير الحجاز/ مكة والمدينة، في حوالي سنة ٨١١هـ، ولي إمرة مكة من غير شريك نحو إحدى عشرة سنة، ووليها سنة وسبعة أشهر شريكاً لابنه السيد بركات، تولى الإمارة سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، وتوفي سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٨٦، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٢٤٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٦، والدليل الشافي، ج ٤، ص ٧٦.

(٢) المقريزي، السلوك، جـ ٤، ص ٧٦، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٦، ص ١٠٥، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٦.

(٣) هو: **عجلان بن نعير بن جماز** بن منصور بن جماز بن شيحة، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في آخر ربيع الآخر سنة ٨١١هـ، من قبل نائب السلطنة الشريف حسن بن عجلان، أمير الحجاز، كونه أبا زوجته مُوزة، وزالت ولايته عن المدينة بسبب هجوم آل جماز، وقبض عليه، وسلم لأمير الحاج المصري، ثم أطلق سراحه بإشارة من صاحب مكة، وكان عجلان بن نعير قد نهب المدينة سنة ٨٢٩هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٩،و المقريزي، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٧٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٥٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤٦٣.

(٤) هو: **غُرير بن هيازع بن هبة بن جماز** بن منصور بن جماز، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في سنة ٨١٥هـ، بعد القبض على عمه سليمان بن هبة، وقع بينه وبين ابن عمه عجلان بن نعير اختلاف وصراع، مات سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٦١،والتحفة اللطيفة، ج ١، ص٩٥، ج٢، ص ١٨٥، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٤٦٢،و المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٩، والزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ١١٧.

(٥) الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج ٣، ص ١٧، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٧، ص ٤٧٩، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٦١، والتحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٧.

(٦) **ثابت بن نعير بن هبة بن جماز** بن منصور يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمير المدينة في سنة ٨٢٩هـ . السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١ ص ٣٩٦، وابن إياس ، بدائع الزهور ج٢ ص١١٠.

(٧) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٨٣، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٤٥، والتحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٧.

(٨) هو: **خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز** ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في أواخر سنة ٨٢٩هـ وقتل سنة ٨٣٢هـ. السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٠٤، والمقريزي، السلوك، ج ٤، ق٢، ص ٨١٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٧٤، والعيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٣٠هـ.

السعدي[١] لضبط الأمور في المدينة، على أن فترته لم تطل، فما لبث السلطان المملوكي أن غضب عليه لأسباب غير معروفة، فقبض عليه، وأرسل إلى مكة، ومنها إلى القاهرة، حيث سجن سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، وفي رواية أنه قتل سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، وتولى مكانه مانع بن علي ابن عطية بن منصور بن جماز[٢]، واستمر في منصبه حتى مقتله سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م على يد حيدر بن دوغان[٣]، انتقاماً لمقتل أخيه خشرم بن دوغان، ثم تولى إمرة المدينة إميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز[٤] وتوطدت سلطته بمرسوم سلطاني[٥] ، وقد دخل إميان في صراع مع سليمان بن غرير بن هيازع[٦] الذي تولى إمرة المدينة بعد عزل إميان سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، ثم عاد إميان إلى إمارة المدينة حتى وفاته سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، وقيل سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م[٧]، وفي أثناء فترة الصراع تلك تعاقب على إمارة المدينة عدد من أشرافها حتى استقر الأمر على تعيين زبيري بن قيس بن ثابت[٨] سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م واستمر زبيري في الإمارة مدة عشر سنوات ثم عزل سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، وعين بدلاً منه زهير بن سليمان بن هبة[٩]، واستمر بها حتى وفاته سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م،و تولى الإمارة بعده ضَيْغَم بن خشرم[١٠] حتى عزل سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، وعين

---

(١) هو: **بكتمر بن عبد الله السعدي**، مملوك سعد الدين بن غراب، ترقي إلى أن سفره السلطان إلى صاحب اليمن ثم عاد فتآمر، مات سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٥٢، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٧.

(٢) هو: **مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز** ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة، في سنة ٨٣٠هـ، قتل مانع من قبل حيدرة بن دوغان بدم أخيه خشرم بن دوغان سنة ٨٣٩هـ. ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ١٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣١١،و المقريزي، السلوك، ج ٢، ق٤، ص ٩٨٥.

(٣) هو: **حيدرة بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز** ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة، وكالة، وأصالة سنة ٨٤٢ هـ، مات سنة ٨٤٦هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٥٤٠، والضوء اللامع، ج٣، ص ١٦٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٠٢، والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٩٨٥.

(٤) هو: **إميان أو إهنيان أو ميان أو وثبان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز**، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة ، سنة ٨٣٩هـ، مات سنة ٨٥٣هـ. المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٩٧٥، ج ٣ ق ٤ ص ١١٥٧، وقد ذكره المقريزي باسم (وميان)، وورد في العديد من كتب التراجم، (إميان)، ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٣٦٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٦٢،والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٩٦، والضوء اللامع، ج ٢، ص ٢، ٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٩٧٥، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص ٤٠٤، والسخاوي، الضوء، ج ٢، ص ٣٢١.

(٦) هو: **سليمان بن غرير بن هيازع بن هبة بن جماز** ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة سنة ٨٤٢هـ، وليها بعد عزل إميان أواخر سنة ٨٤٢هـ، واستمر إلى أن مات سنة ٨٤٦هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ١٨٤، والمقريزي، السلوك، ج٣، ق ٤، ت ١١٥٧.

(٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٢١.

(٨) هو: **زبيري بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور بن جماز**، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، مات سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٠، والضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٣٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٦٠٥، وابن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٥٣٨.

(٩) هو: **زهير بن سليمان بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز**، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة المنورة، في آخر سنة ٨٦٥هـ، مات قتيلاً سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٨٥، والضوء اللامع، المجلد الثاني، ج، ص ٢٣٩، وابن تغري بردي، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٦.

(١٠) هو: **ضغيم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعير بن جماز**، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في محرم سنة ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م، وظل حتى سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، وعزل بقسيطل ، وسبب عزله أنه لم يواجه أمير الحاج المصري فجاء مرسوم بعزله،

=

بدلاً منه قسيطل بن زهير[١] بدعم من أمير مكة حتـــى سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، ثم أعيد زبيري بن قيس للإمارة حتى مات سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، وتولى الإمارة ابنه الحسن بن الزبيري[٢] حتى ارتحل عنها، فعين شريف مكة مانع بن الزبيري[٣] أميراً على المدينة، وفي رجب سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م قام الشريف بركات بن محمد بن بركات[٤] أمير مكة وبأمر من السلطان المملوكي[٥] بتعيين الشريف ثابت بن ضغيم بن خشرم[٦] أميراً على المدينة، ويبدو أن المذكور استمر في منصبه حتى نهاية العصر المملوكي سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص٢٥٤، والمقريزي، السلوك، ج ٢، ق٣، ص ٩٧٥، ج ٣ ق ٤ ص ١١٥٧، وابن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٥٣١.

(١) هو: **قسيطل بن زهير بن سليمان بن هبة بن جماز** ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب،أمير المدينة سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، وليها بعد عزل ضيغم بتفويض من صاحب مكة واستمر في إمرة المدينة حتى سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، بعودة الزبيري بن قيس لإمارة المدينة. السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٦، ج٣، ص ٤١٦، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٥٣١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٢) هو: **الحسن بن الزبيري بن قيس بن ثابت** بن نعير بن منصور بن جماز، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة في يوم الثلاثاء ٦ من ربيع الأول ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، نيابة عن محمد بركات صاحب مكة، وفي سنة ٩٠١هـ نهبَ مقتنيات الحجرة النبوية من قناديل وذهب وفضة ثم أحضر الصواغ لحصنه فسبك تلك القناديل ثم ارتحل عن المدينة وظل يتخبط في البرية، ثم عاد ومات في المدينة، ثم عين شريف مكة أخاه مانعاً أميراً على المدينة، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٧٩، وابـــن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣١٨.

(٣) هو: **مانع بن الزبيري بن قيس بن ثابت** بن نعير بن منصور بن جماز ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ،أمير المدينة سنة ٩٠١ هـ/١٤٩٥م، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٧٩.

(٤) هو: **بركات بن محمد بن بركات** بن حسن بن عجلان بن رميثة ، أبونمي، أمير مكة أرسل السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري مرسوماً بتأييده عام ٩١٠هـ واستمر في إمرة مكة وإقليم الحجاز حتى وافته أخبار سقوط الدولة المملوكية بمصر ودخول القوات العثمانية القاهرة عام ٩٢٣هـ. راوة، أمراء البلد الحرام، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٧، ص ٦٨.

(٦) هو: **ثابت بن ضيغم بن خشرم بن نجاد** بن ثابت بن نعير بن منصور بن جماز، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمير المدينة المنورة سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، نائبا للشريف بركات في ولاية قانصوه الغوري السلطان المملوكي، ولا تتوافر معلومات عن مدة ولايته على المدينة. عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٣، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

ثانياً ـ الاهتمامات الدينية للمماليك بالحرمين الشريفين:

لم يكن الدافع السياسي وحده هو السبب في اهتمام سلاطين المماليك بالمدينتين المقدستين، إنما اقترن بدافع لا يقل عنه أهمية، وهو الدافع الديني، الذي يعتبر من أقوى الدوافع وأهمها، إذ لم يكن خافياً على المسلمين فضل الحرمين الشريفين، قال تعالى: ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾[١] وقال عليه الصلاة والسلام (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)[٢].والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في فضل مكة والمدينة كثيرة، وكلها تبين ما للحرمين الشريفين من فضل عند الله وعند رسوله ومن قدسية في نفوس المسلمين.

لقد كان سلاطين المماليك في حاجة إلى شرعية تسند حكمهم، فكان التعبير الأقوى لتأكيد تلك الشرعية والسلطة، هو الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفين، ومن ناحية أخرى، فإن سلاطين المماليك يدركون الأهمية الاستراتيجية للمدينتين المقدستين وضرورة السيطرة الفعلية عليهما، وبذلك تقطع الدولة المملوكية الطريق على منافسيها، وبخاصة الرسوليين في اليمن، ومغول فارس، والعراق، أطماعهم في مد نفوذهم إليهما، باعتبارها حامية الحرمين الشريفين، والسلطان المملوكي حامي الحرمين الشريفين[٣] ، ولتأمين طرق الحج، وتوطيد الأمن وقت الموسم[٤]، هذا بالإضافة إلى شعور المماليك بأن أصلهم أرقاء وغرباء عن أهل البلاد، فلم يجدوا إلا التمسح بالدين الإسلامي، واستغلال العاطفة الدينية، عند الشعب بالإكثار من إنشاء المؤسسات الدينية والظهور بمظهر التقوى والورع، مما جعل عامة الشعب تغض النظر عن البحث في مدى شرعية السلطان القائم بالعرش، وفي أصل المماليك، ومدى أحقيتهم في تولي الحكم[٥].

ولما كان المماليك أصحاب قدم راسخة في خدمة الإسلام ،والدفاع عن قضاياه بالوقوف في وجه التتار،ومحاربة الصليبيين،وبانجازاتهم العظيمة التي توجت بكسر شوكة المغول التي قيل إنها لا تقهر،وكان ذلك في موقعة عين جالوت[٦] سنة ٦٥٧هـ/١٢٦٠م بقيادة السلطان سيف الدين قطز[٧]، وطردهم الصليبيين من عكا آخر معقل للصليبيين في الشام سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، مما أكسبهم مكانة عالية بين جموع المسلمين في الشرق والغرب ،فكان من حقهم أن يضيفوا إلي هذا الشرف الديني شرفا دينيا آخر ،وهو حماية طريق الحاج ،وخدمة البلدين

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٦).

(٢) النووي شرح صحيح مسلم ، ج ٩، ص ١٦٣.

(٣) أول من تلقب بلقب حامي الحرمين الشريفين هو السلطان الظاهر بيبرس، عرف ذلك من نقش موجود بقلعة دمشق تاريخه ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٢٦٨،
Camp, History of Ialam, Vol, I , Art . Egypt and syria, p. 216.

(٤) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٧٢٤، وحوادث سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، ج ٢، ص ١١٩، وحوادث سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م،ج٢، ص ١٤٥.

(٥) سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٥٣، والعصر المماليكي، ص ٣٣٦.

(٦) عين جالوت: بلدة صغيرة من أعمال فلسطين، ابن تغري وبردي، النجوم الزاهرة، وج ٧، ص ٧٩.

(٧) تسلطن سيف الدين قطز، في ذي القعدة سنة ٦٥٧هـ بدلاً من الملك المنصور علي بن المعز عز الدين أيبك التركماني لصغر سنه، وعدم قدرته على قتال التتار، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٤١ .

المقدسين ، بتأمينهما من عاديات الطامعين ، وبسط الأمن للحجاج الذين غدوا نهبا لاعتداء الأعراب ، أو لفروض الأمراء المتغلبين من المكوس والضرائب.

وحرص سلاطين المماليك في بداية دولتهم علي إحياء الخلافة العباسية وربطها بالقاهرة ، مما أعطى للمماليك مكانة مرموقة في العالم الإسلامي، وأظهر سلاطينهم في صورة الزعماء بوصفهم حماة الخلافة المتمتعين بمبايعتها لهم، كما منحتهم صفة شرعية لحكمهم[١] فغدت الدولة المملوكية في مصر زعيمة العالم الإسلامي، وحامية الأماكن المقدسة، وكان الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفين[٢].

١ ـ طرق الحج والمحمل زمن سلاطين المماليك:

مما يتجلى فيه الدافع الديني لاهتمام سلاطين المماليك بالحرمين الشريفين حرصهم على تأمين طرق الحج المؤدية للمدينتين المقدستين.

وتتناول هذه الدراسة : طريق الحج المصري والشامي في زمن سلاطين المماليك، والذي يطالع تاريخ تلك الفترة يجد أن ركب الحاج المصري في العصر المملوكي كان أكثر ركبان الحج انتظاماً وعناية وأمناً ، وذلك يعود للأسباب الآتية :

أ – أن بلاد الحجاز كانت تابعة من الناحية السياسية للدولة المملوكية، فكان سلاطين المماليك حريصين على تأمين الحماية والرعاية الكافية لقوافل الحج ذهاباً وإياباً، لأن حماية هذه القوافل، تحقق لهم مكانة خاصة في أرجاء العالم الإسلامي، وبالتالي فإن تأمين وحماية ورعاية قوافل الحج تعتبر من الأمور المهمة لدى سلاطين المماليك، وخاصة من أعمال السلب والنهب التي كان يمارسها العربان في الطريق إلى مكة وفي العودة منها.

وفي عرفة أيام الحج كان يتم ترتيب المحامل بصورة منظمة حسب أهميتها، فأولها محمل مصر، ثم يليه محمل الشام، ثم محمل العراق، وأخيراً محمل اليمن.

ومن المهام المكلف بها شريف مكة وشريف المدينة التابعين سياسيّا لمصر: الخروج لاستقبال المحمل السنوي المصري، الذي ترافقه كسوة الكعبة المشرفة، وتقبيل خف جمل المحمل[٣].

وقد أصبح لهذا الأمر تنظيم متبع يحمل في طياته دلالة مهمة ، هي طاعة أمير مكة، وأمير المدينة للسلطة الحاكمة في مصر.

ب – انضمام قوافل الحجيج الأخرى، وخاصة القادمة من بلاد المغرب والشام (طريق غزة – العقبة) والركب التكروري إلى قافلة الحج المصري، لتضمن وصولها سالمة إلى المدينتين المقدستين[٤].

---

(١) Camb, History. of Islam, Vol, Art. Egypt and Syria, p. 216, LanePools (Stanley), A History of Egypt In the Middle Ages, P. 264.

(٢) أبو الفدا، الملك المؤيد إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، القاهرة ١٣٢٥هـ، ج ٣، ص ٢٢٢، والمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٤٩، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٠٠ – ١٠١، ومحمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ٦٨.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧٧، والخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٥٤.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ص ٧٢ – ٧٥.

ج - اهتمام سلاطين المماليك بطريق الحاج المصري، وذلك بتوفير سبل الراحة للحجاج، بحفر الآبار وعمل البرك وإقامة خزانات المياه، وصيانة المنشآت على طريق الركب المصري، ووضع الحاميات العسكرية، وإقامة الخانات لراحة الحجاج[١].

أ - طريق ركب الحاج المصري:

تجلت مظاهر الاهتمام والعناية بطريق الحج المصري:البري، والبحري بقسميه في زمن المماليك.

١ - الطريق البري:

في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م خرج السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، حاجّا إلى مكة عبر الطريق البري الذي أعيد استخدامه منذ ذلك الوقت[٢] ، طريقا للحج والتجارة، وقد ازدهر هذا الطريق في العصر المملوكي، وكان موضع اهتمام سلاطين المماليك من حيث الإصلاحات، وإزالة العقبات، وحفر الآبار، والبرك، وإقامة خزانات المياه، وصيانة المنشآت، وحماية أمن القوافل علىطول الطريق، وتخصيص الأوقاف للإنفاق على رعاية المنشآت وصيانتها، وعلى القائمين عليها، وإصدار المراسيم السلطانية لرهبان الأديرة الواقعة في طريق الحج بتقديم الخدمات للحجاج المسلمين[٣]، وقد جرت العادة أن ينادى لخروج قافلة الحاج المصري، في رجب من كل عام.

وذكر المقريزي أن المنادى للحج كان يقول: "يا معشر المسلمين حل موسم الحج، وسيُجهز ركب السلطان كالمعتاد، وسيكون معه الجنود، والخيل، والجمال، والزاد"[٤]. وبعد أن يتم الاستعداد يخرج الركب من القاهرة في أول ذي القعدة، ويسيرون حتى يترلوا ببركة الحاج[٥] فيقيمون فيها أربعة أيام. وفي عام ٨٢٨ هـ/١٤٢٤م، في زمن سلطنة الأشرف برسباي، عَمَّر زين الدين عبد الباسط ناظر

---

(١) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١١.

(٢) كانت قافلة الحج المصري قبل العصر المملوكي تسلك طريقاً بريّا يبدأ من القاهرة وينتهي بمكة، ولكن خلال الحروب الصليبية بطل استخدام هذاا لطريق، وتحول التجار والحجاج إلى الطريق البحري وهو قسمان، اليعقوبي، البلدان، ص ٧٨، وابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠٠، والإصطخري، المسالك والممالك، ص ٢١، وابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٣٠، والمقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٧٣، وناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٧٣.

(٣) تشير الوثائق المملوكية الصادرة للأديرة الواقعة في طريق الحاج المصري إلى أنهم مكلفون بتقديم الخدمات للحجاج المسلمين في أثناء ذهابهم أو عودتهم من الأراضي الحجازية، وعلى سبيل المثال فإن الوثيقة المؤرخة في سلخ ذي القعدة عام ٦٨٧هـ/٢٧ نوفمبر ١٢٨٨م ضمن مجموعة الوثائق المحفوظة بمكتبة طور سينا رقم ٢١.تنص على "... أن الرهبان المقيمين بدير الطور ... عليهم خدمة الواردين إليهم من الركاب الحجازي... " سطر ٨، ٩، ١٠.

(٤) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١١.

(٥) تسمى بركة الحاج أو بركة الجب أوجب عميرة، وهي قرية إلى الشمال الشرقي من القاهرة، وتعتبر مركز توافد الحجاج من مصر والأندلس والمغرب وأفريقيا، يجتمعون عندها في الذهاب والإياب، وهي من أنشط الأسواق في بداية الطريق، حيث يعرض فيها العديد من البضائع، اليعقوبي، البلدان، ص ٩٨، وابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٦٦، والمقريزي، الخطط، ج ١، ص ٤٨٩، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٤٨.

الجيش[١]، في بركة الحاج بستاناً وساقية للماء لينتفع بها الحجاج[٢]. ومن بركة الحاج إلى عجرود خمس مراحل، وفيها يلتقي أهل السويس مع الحجاج للمتاجرة، وبها بئر قديمة، ولكن ماءها لا يصلح للشرب. وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون، أنشأ سيف الدين[٣] الجوكندار[٤]، الخان[٥] الذي في عجرود، وأصلح السواقي التي في الطريق[٦]، كما جدد السلطان الغوري الخان نفسه، وأنشأ أبراجاً ، وجعل جماعة من المماليك، لحراسة الحجاج والتجار ، يقيمون سنة ثم يغادرون ويأتي غيرهم[٧].

وبعدها يتجه الركب إلى نخل وبها ماء أفضل من الذي قبله، وهي من المحطات التجارية المهمة، وبها برك وخزانات مياه[٨]. وفي عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م، أنشأ السلطان الغوري فيها برجاً[٩].

ومن نخل إلى القلزم[١٠] وهي مدينة ساحلية على البحر الأحمر، ومن القلزم يسيرون في برية ست مراحل حتى يصلوا إلى أيلة[١١]. وفي عام ٧١٩هـ/١٣١٩م عمل السلطان الناصر محمد بن قلاوون على تمهيد الصخور وتوسعة

---

(١) **ناظر الجيش:** من الوظائف الديوانية الرفيعة التي يعين شاغلها من قبل السلطان، ويختار من خاصته، ومن مهام هذه الوظيفة، النظر في أمر الجيش والنظر في أمر الإقطاعات، وممن ولي وظيفة نظر الجيش في عهد السلطان الملك الأشرف برسباي، الزيني عبد الباسط القرشي، ولد سنة ٧٨٤هـ، كما تولى منصب النظر في بناء مدرسة الأشرف برسباي بالقاهرة في أول شعبان عام ٨٢٦هـ، تشير إلى ذلك لوحة حجرية على باب المدرسة، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٤،٢٥، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١١٩٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج ٤ ق ٢ ص ٦٩٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٠١.

(٣) **هو الأمير سيف الدين يكتمر بن عبد الله الجوكندار**، أصله ممن أسر أيام الظاهر بيبرس، لما دخل بلاد الروم عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م ولي نيابة حماة، ثم نيابة السلطنة بقلعة الجبل، توفي عام ٧١١هـ/١٣١١م، المقريزي، السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ١٠٢، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٤) **الجوكندار:** يتكون من لفظين فارسيين، الأول جوكان بمعنى العصا المنحنية أو المحجن أو الصولجان، والثاني دار بمعنى ممسك، وبذلك يصبح المعنى ممسك عصا الصولجان، وكان يطلق هذا اللفظ على موظف مهمته حمل الجوكان للسلطان، في أثناء لعبه البولو في عصر المماليك، حسن باشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ١، ص ٣٧٦.

(٥) **الخان:** من المنشآت التجارية المهة في العصور الوسطى، وهو عبارة عن مبنى معد لاستقبال التجار، وبضائعهم، ودوابهم، سعيد عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٤٣٣، ونعيم زكي، طرق التجارة، ص ٢٩٣.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٢٩، ١٥٢.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٨٦، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٣٢٠، والنابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٢٩٨.

(٨) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١٢، ص ٣١٠، والنابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٠٢.

(٩) الجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٤٩، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٥٢، Ankawi, The Pilgrimage, p. 243.

(١٠) **القلزم:** مدينة ساحلية على البحر الأحمر، بها التجار الذين يجهزون الميرة من مصر إلى الحجاز واليمن، وبها وكالات، ومرسى المراكب، وبها تصنع السفن المستخدمة في البحر الأحمر من حبال الليف، ويفصل القلزم عن مصر صحراء واسعة وجبال، اليعقوبي، البلدان، ص ٩٨، والإصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٠، وناصر خسرو، سفر نامه، ص ٩١، والإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٤٥، والعبدري، الرحلة المغربية، ص ١٥٧، و ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٨٨

(١١) **أيلة:** منطقة تعتبر آخر حدود مصر وأول حدود الحجاز، وهي من المحطات التجارية، وتقام بها الأسواق العامة، ويجتمع بها حجاج مصر والشام والمغرب، اليعقوبي، البلدان، ص ٩٨، وياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٢، والمقريزي، الخطط، ج١، ص ٨٤، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٣٤٧، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣١٠.

الطريق وأنفق على ذلك[١]. كما أرسل السلطان قانصوه الغوري عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م، خاير بك المعمار إلى عقبة أيلة، ومعه جماعة من البنائين والمهندسين، فأزال العقبات التي تعترض الطريق من الصخور وخلافه، وبنى برجاً، وخاناً، ومساقي، وعمر رصيفاً على البحر عند العقبة، فأصبح المكان مريحاً للحجاج، وعين به جماعة يحرسونه يقيمون سنة ثم يغادرون ويحضر غيرهم[٢]. ومن أيلة يبدأ الطريق إلى شبه الجزيرة العربية محاذياً ساحل البحر، فيمر بحقل[٣]، ثم بعد أربع مراحل يصل الركب إلى مدين[٤]، ومن مغارة شعيب إلى عيون القصب[٥]، وفي عام ٨٣٤هـ/١٤٣٠م حفرت بئر بإشارة القاضي زين الدين عبد الباسط بعد أن "ضعفت هذه العيون، فعظم النفع بها[٦]، ثم المحطة التالية وهي المويلح[٧]، وبعد أربع مراحل من المويلح يصل الحاج إلى الأزلم أو (الأزنم)[٨]، وبها خان وبرج بناه السلطان قانصوه الغوري عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وجعل بها جماعة من المماليك للحراسة يقيمون عاماً، ثم يحضر غيرهم[٩].

ومن الأزلم يتجه الحجاج إلى الوجه[١٠]،

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٦٠.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٣٣، ١٥٢.

(٣) **حقل:** من المحطات المهمة وبها ماء عذب وتبعد عن أيلة ستة عشر ميلاً، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٢٨، والإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٤٥، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣١٠، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٥.

(٤) **مدين:** بها مغارة شعيب عليه السلام، وبها بئر ماء، وتقع في محاذاة تبوك، الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٠، وابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٦٦، واليعقوبي، البلدان، ص ٩٠، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٥٠.

(٥) **عيون القصب:** تعرف بعينونة وبها ماء عذب جار، وينمو بها القصب الفارسي، والماء يجري بينه، لذا عرفت بعيون القصب، اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٩، والعبدري، الرحلة المغربية، ص ١٦١، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣١١.

(٦) المقريزي، السلوك ،جـ٤،ق٢، ص٨٥٩، والسيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ،ص ٣١١، والعياشي، الرحلة العياشية، ص ٢٦.

(٧) **المويلح:** بها ماء كثير حلو وآبار وبساتين ونخيل، وحصن كبير وعسكر ،وبها مرسي للسفن ،وبها سوق ، القلقشندي ، صبح الأعشي ، ج١٤ ، ص ٣٨٦ ، والجزيري ، درر الفوائد ،ج٢،ص ١٢٥ ، والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٨) **الأزلم:** أو الأزنم سمي بذلك لخباثة أرضه وكثرة أفاعيه وملوحة مياهه،وقلة نباتـه، وهي المحطة الثانية والعشرون في طريق الحج ، وتقع في منتصف الطريق بين المويلح والوجه ، وبها سوق كبيرة ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص ٣١١ ،والنابلسي ،الحقيقة والمجاز ص ٣١١، والجزيري ، درر الفوائد ، ج ٢ ، ص ١٢١٥ .

(٩) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ١٥٢ ، والعياشي ، الرحلة العياشية ص ٢٩ .

(١٠) **الوجه** : هي المنزل الثلاثون من منازل الحاج المصري ، وبها قلعة وأبراج وماء عذب ولكنه قليل ، وكان الحجاج إذا وصلوا إلي الوجه قد لا يجدون ماء ، فيهلك أكثرهم من العطش ، القلقشندي ، صبح الأعشي ،ج١٤ ، ص ٣٨٦ ، والسبتي ، ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٧٩ ، والورتيلاني ، الرحلة ، ص ٣٤٤ ، ويوركهارت ، رحلات ، ص ٣٩٢ .

ومن الوجه إلى أكرى مرحلتان[١]، ومنه إلى الحوراء[٢]، أربع مراحل، ومنها إلى نبط[٣]، مرحلتان، ومنها يتجه الركب إلى ينبع النخل[٤]، في ثلاثة أيام، ومنها مسيرة يوم إلى ينبع البحر، ومنها إلى الدهناء نصف يوم[٥]، ومن الدهناء يصل الركب إلى بدر في يومين[٦]، ومن بدر إلى رابغ[٧] في خمس مراحل، وعلى يسار طريق الركب قريباً من رابغ الجحفة[٨].

ومن رابغ يصل الركب إلى خليص[٩]، في ثلاثة أيام، وكان السلطان الناصر محمد قد أجرى الماء إليها عام ٧١٩هـ/١٣١٩م، وفي عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م، عمر قطلبك بن عبد الله الحسامي المنجكي عين خليص[١٠]، ومن خليص يسير الركب إلى عسفان[١١]، ومن عسفان يدخل الركب وادي مر، ويسمى مر الظهران[١٢]، ومنها يتهيأ الحجاج لدخول مكة[١].

---

(١) **أكري:** واد كبير به ماء غزير وعذب، العبدري، الرحلة المغربية ، ص ١٦١ ، والجزيري ، درر الفوائد ، ج٢ ، ص ١٣٨٧ .

(٢) **الحوراء:** تقع علي ساحل البحر وفيها ماء غزير ولكنه مالح ، وهي من مناهل الحجاز وبها حصن كبير وسوق عامرة وقوارب لصيادي السمك وتدخل في درك أمير ينبع ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٣ ، وياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٣١٦ .

(٣) **نبط:** بها ماء عذب وهي من درك أمير ينبع ، الجزيري ، درر الفوائد ،ج ٢ ، ص ١١٢٥ .

(٤) **ينبع النخل:** من اهم محطات طريق الحجاج فهي أول بلاد الحجاز العامرة ، يكثر فيها النخل والمزارع وبها سوق قائمة ، وبينها وبين ينبع البحر مسيرة يوم ، وكان سلاطين المماليك يرسلون إلي ينبع البحر السفن المحملة بالغلال والصدقات ،وما يحتاج إليه الحاج ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٤٠ ، والسلمي ، أسماء تهامة ، ص ١٣ ، وياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٥٠ ، والقلقشندي ، صبح الأعشي ، ج ١٤ ص ٣٨٦ ، والسبتي ، ملء العيبة ، ج ٥ ، ص ٢٨٧.

(٥) **الدهناء:** وهي من عمل ينبع، وماؤها طيب، وفيها زرع ونخل وأرضها سبخاء، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٣.

(٦) **بدر:** قرية بها حصن ونخل وبساتين، وبها عيون، وماؤها عذب، وهي من المناهل الحجازية على بعد (١٥٥) كيلو متراً من المدينة، البلادي، معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٩٠.

(٧) **رابغ:** قرية بها نخل وبها آبار كثيرة، تقع في وادي مر للسيول، وبها سوق عظيمة وقت مرور قوافل الحجيج، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٤٢، وياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١، والبلادي، معجم معالم الحجاز، ج٤، ص ٦٠٥.

(٨) **الجحفة:** وهي ميقات يُحرم منها حجاج مصر والشام والمغرب، وبينها وبين مكة ست مراحل، وماؤها من الآبار، وتبعد عن البحر بميلين، ويقام بها سوق، اليعقوبي، البلدان، ص ٧٧، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٠، والبلادي، معجم بلاد الحجاز، ج ٢، ص ١٢٢.

(٩) **خليص:** قرية من قرى مكة بها نخل وبساتين وفيها حصن على جبل، ويبيع أهلها البطيخ للحجاج، وبها مسجد وسوق، السمهودي، وفاء الوفا، ج ٣، ص ١٠١، وياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٨٧، والعبدري، الرحلة المغربية، ص ١٦٥، والبلادي، معجم بلاد الحجاز، ج ٣، ص ١٤٩.

(١٠) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٢٧٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤١٦.

(١١) **عسفان،** بلدة عامرة تقع شمال مكة، وسميت بذلك لتعسف السيول بها، وبها نخل وزرع وبها حصن عتيق، الجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ١٤٦٢، وياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ١٢١، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣١١، والبلادي، معجم بلاد الحجاز، ج ٦، ص ٩٩.

(١٢) **وادي مر:** ويسمى مر الظهران وهو اسم الوادي، وبينه وبين مكة نصف يوم، ويسمى الآن وادي فاطمة، وبه حصن، ومنازل، وزرع، وبه عيون ماء ومنه تجلب الفواكه لمكة، الفاكهي، أخبار مكة، ج ٥، ص ٩٨، والإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٤٥، والفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٨، والحميري، الروض المعطار، ص ٩٣، وياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٤،

=

٢ - الطريق البحري الأول:

جرت العادة أن يجتمع حجاج مصر والمغرب بالقاهرة، ومنها يتجهون بالسفن في نهر النيل إلى أسيوط الواقعة في الصعيد الأعلى جنوب مصر[٢]، ومنها في النيل إلى قوص[٣]، ومنها يركون نهر النيل إلى أسوان[٤]، ومنها تبدأ رحلة صحراوية شاقة، يتواجد الماء بها متباعداً ومالحاً ، ومن أسوان إلى عيذاب[٥] مسيرة ١٥ يوماً، ومن عيذاب تدفع ضريبة مقدارها ثمانية وعشرون درهماً عن كل حاج[٦]، ثم

=والسمهودي، وفاء الوفا، ج ٣، ص ١٠١٩، والبلادي، معجم بلاد الحجاز، ج٨، ص ١٠٠، وقد أشار إليه ابن بطوطة في رحلته ص ١٣٠، وابن جبير في رحلته، ص ١٦٣.

(١) الجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٥٢، والنابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣١٩.

(٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٧١، والهمداني، البلدان، ص ٧٢، وياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ١٣٩.

(٣) **قوص:** وهي مدينة كبيرة عامرة، قصبة صعيد مصر، ومحط التجار القادمين من عدن والهند، والحبشة، واليمن، بها أسواق وتجارة، وبها سور ونخل وأشجار، اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٣، والمقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٦، وياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٤١٣، وابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، ص ٢٨، والمقريزي، الخطط، ج١، ص ٢٣٦.

(٤) **أسوان:** وهي مدينة في آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة، المقريزي، الخطط، ج ١، ص١٩٧، وياقوت المعجم، ج ١ ص ١٩١.

(٥) **عيذاب:** مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر في الشاطئ الغربي منه، مواجهة لميناء جدة، بالقرب من الحد الفاصل بين مصر والسودان وهي من أهم أملاك مصر ،وتقع جنوب القصير أحد موانئ البحر الأحمر،وقد استمدت شهرتها من الدور التي قامت به باعتبارها قاعدة بحرية لتجارة الشرق الأقصى إلى مصر وأوربا، وهي محطة في طريق قوافل حجاج البر، وقد ازدادت أهميتها في العصر الفاطمي بسبب الأزمات الاقتصادية عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م الناجمة عن انخفاض نهر النيل وقلة الأقوات، وفي عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م، في عهد الخليفة المستنصر بالله معد بن الظاهر على بن الحاكم منصور العبيدي أدت الأزمة الاقتصادية إلى تحويل القوافل البرية من شبه جزيرة سيناء إلى عيذاب، واستمرت طوال العصر الفاطمي، ثم في العصر الأيوبي بسبب الحروب الصليبية، وقد وصفها الكثيرون من الرحالة مثل الإدريسي وابن جبير وابن بطوطة بأنها من أهم الموانئ المصرية على البحر الأحمر، مع أنها مدينة لا نبات فيها، وكل شيء فيها مجلوب إليها حتى الماء، وسكانها (البجة) وهم جنس من الحبشة بين بحر القلزم ونيل مصر، ومع بداية العصر المملوكي (٦٤٩هـ/١٢٥١م)، ثار العربان في صعيد مصر وقطعوا الطريق برّاً، فامتنع كثير من التجار من السفر عن طريق عيذاب، واستمرت الاضطرابات تسود برية عيذاب حتى فقدت أهميتها تدريجيًا بوصفها محطة لقوافل الحجيج، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص٢٧٨، والمقريزي، السلوك، ج٣، ق ١، ص ١٠٨، والهمداني، البلدان، ص ٧٥، وياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧١، وابن جبير، الرحلة، ص ٤٣، وابن بطوطة،الرحلة،ص٥٣، والإدريسي،نزهة المشتاق،ج ١،ص١٣٤،ومحمدرمزي ، القاموس الجغرافي ،القاهرة ١٩٩٤م، ص ١٧٥

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ١٣٤، والحميري، الروض المعطار، ص ٤٢٤، والمقريزي، الخطط، ج ١، ص ١٩٧.

يركبون منها البحر إلى جدة بالجلاب[١]، حيث إن المسافة بينهما مائتي ميل تقريباً ، يقطعها المسافر بحراً في ثمانية أيام إذا كانت الريح مساعدة، ومنها برّا إلى مكة[٢].

٣- الطريق البحري الثاني:

هناك طريق بحري آخر يبدأ من ميناء القلزم، وهي بلدة على الساحل الغربي لخليج القلزم المتفرع من البحر الأحمر، وقد حج من القلزم الرحالة ناصر خسرو عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، حيث خرج من القاهرة في مطلع ذي القعدة، وبلغ القلزم في الثامن منه، وتستغرق المسافة من القلزم إلى ميناء الجار[٣]، خمسة عشر يوماً، ثم يتجه الحجاج من الجار إلى المدينة المنورة عبر الطريق البري ويستغرق أربعة أيام، ومنها إلى مكة[٤].

وكانت القلزم ميناء تجاريـّا مهمّا ومحطة بحرية رئيسية لحجاج مصر والمغرب، وظلت تحتل مكانة مهمّة حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عندما هجرت، وشملها الخراب وتلاشى أمرهـــا بسبب الشدة التي حصلـــت في عهد الخليفة المستنصر بالله[٥]، وخـــراب الدلتا. ويصفهـا الجغرافي ياقـــوت بأنهـــا في عهده عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، أصبحت خراباً[٦]، وقد حلت السويس محل القلزم مدينة تجارية، ومحطة لقوافل الحج، وهي قرية قريبة من القلزم التي اندثرت[٧]، ولما أصبحت السويس المرفأ الحربي لمصر، برز اسم ميناء طور[٨]، وقد

---

(١) الجلاب: مفردها جلبة وهي نوع من السفن الصغيرة المخيطة، تستخدم في البحر لنقل الناس والبضائع، وقد وصفها ابن جبير، وابن بطوطة بأنها لا يستخدم فيها مسمار، وإنما هي مخيطة بأمراس من القنبار وهي قشور جوز النارجيل، المقريزي، الخطط، ج١، ص ٢٠٣، وابن جبير، الرحلة، ص ١٤٧، وابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٤٣، وحمد الجاسر، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعى المغربي، ط ٢، القاهرة، ص ٩٥. Ankawi, The Pilgrimage, p. 236, Richard Mortel, Aspects of Mamluk Relation 1995, p. 2.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٧٨، والمقريزي، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٠٨، ٣٢٥.

(٣) الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة المنورة يوم وليلة، وهي فرضة ترفأ اليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن وسائر بلاد الهند، والجار اليوم يعرف بالبريكة، لأن الجار اندثرت معالمها. ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٧، والبلادي، معجم بلاد الحجاز، ج ٢، ص ١٠٤، والرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ، ص ٣٨٣.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٢١٩، وهايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ٢٣.

(٥) هو: المستنصر بالله معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن المعز العبيدي، بويع بالخلافة في شعبان عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، وتـــوفي يوم الخميس ١٢ من ذي الحجة من عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٣٦، وابن ميسر، أخبار مصر، ج ٢، ص ١، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٢٠٨.

والشدة العظمى في عصر المستنصر بدأت بها الأزمة الاقتصادية في مصر عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م، بانخفاض نهر النيل وخراب الدلتا، واستمرت سبع سنوات قلت فيها الغلال وغلت الأسعار وزاد فيها خطر المجاعة.

ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٦٤، وأبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٩، والمقريزي، الخطط، ج ١، ص ٣٣٥، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٥٩.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦، والمقريزي، الخطط، ج ١، ص ٢١٣، وهايد، تاريخ التجارة، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٧) ابن فرج، السلاح والعدة، ص ٥٨، ونعيم زكي، طرق التجارة، ص ١٣٤.

(٨) طور: ميناء واقع في الجنوب الغربي من شبه جزيرة سيناء بين فرعي بحر القلزم، وعين فيه أمير مملوكي من القاهرة، وطور جبل وشبه جزيرة يمتد بين مصر وأيلة نودي منه النبي موسى عليه السلام، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧، والنويرى، نهايـــة الأرب، ج ٣، ص ٤٦٥، والحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٧، Peters, Mecca, p. 169.

حج عبر هذا الميناء الرحالة القلصادي الأندلسي عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م، كما أنه من عام ٩١١هـ/١٥٠٥م وصلت كسوة الكعبة وصرر الحرمين الشريفين في مراكب من طور إلى جدة[١]، وكانت السلطات المملوكية تبذل جهداً كبيراً لحراسة القوافل التجارية عبر هذا الطريق حتى نهاية عصرهم [٢].

ب - طريق ركب الحاج الشامي:

أفاض الجغرافيون والرحالة المسلمون، في وصف طريق الحج الشامي، وكان المتبع أن يتجمع حجاج الشام في قرية الكسوة[٣]، ثم يتجه الركب جنوباً فيصل إلى بصرى[٤]، ويأخذ إليها في ثلاث مراحل ، وبها مبرك ناقة رسول الله ﷺ عندما خرج في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، ويقيم الحجاج في بصرى ثلاثة أو أربعة أيام حتى يلتحق بالقافلة من لايزال بدمشق[٥].

ومن هناك يتجه الركب إلى الكرك[٦]، وكان الركب يقيم خارجه أربعة أيام استعداداً لدخول البرية[٧]، فإذا دخلوها فأول محطة فيها معان[٨]، ويليها عقبة الصوان[٩]، ثم يسير الركب في الصحراء حتى يصل إلى تبوك[١]، ثم

---

(١) القلصادي، الرحلة، ص ١٣٠، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١١٧٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٨٩، والرشيدي، حسن الصفا، ص ١٤٩.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٠٧، ونعيم زكي، طرق التجارة، ص ١٣٥.

(٣) **الكسوة:** سميت بذلك لأن غسان قتلت رسل ملك الروم لما طالبوا بالجزية واقتسموا كسوتهم، وهي قرية من ضواحي دمشق، اليعقوبي، البلدان، ص ٧٨، وابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٧٤، والزهري، كتاب الجغرافيا، ص ٧٠.

(٤) **بصرى:** من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤.

(٥) ابن رشيد الأندلسي، رحلته، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ١٣٨٨هـ، ص ٤٥١، والجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٥٦، والإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٧٧، والدمشقي، نخبة الدهر، ص ٢٦٧، وابن بطوطة، رحلته، ص ٧٧.

(٦) **الكرك:** حصن مشهور بالشام، وهو من أعجب الحصون، وأمنعها ويسمى حصن الغراب، وكان الصليبيون يسيطرون عليه في عصر الحروب الصليبية، وكثيراً ما تعرضوا للحجاج والتجار وقد التجأ إليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما خُلع في المرة الثانية ٧٠٨/٦٩٨هـ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ١٧٠، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص ١٣٧، وابن شداد : عز الدين أبو عبد الله، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ج٢، ص ٦٩٢، وياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٢.

(٧) الجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٥٧، والحميري، الروض المعطار، ص ٤٩٣.

(٨) **معان:** هي آخر حدود بلاد الشام وأول الحجاز، وبها أسواق تقام للحجاج، ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٣، والإصطخري، المسالك والممالك، ص ٤٨، والمقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٦، وابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص ٦٧.

(٩) **عقبة الصوان:** وهي على منحدر وبها جبال، وواد، وعقبة، وبركة ماء من مياه المطر، وفيها يودع الحجاج مرافقيهم، الجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٥٩، وابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٢٨، وابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٦٦، وياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤.

يتجه الركب إلى العلا[٢]، ثم يرحلُ الركب إلى عيون حمزة، ويـأخذ إليها في خمس مراحل، ومنها يتأهب الحجاج لدخول المدينة المنورة[٣]، وأما من يريد مكة فيسير من المدينة إلى ذي الحليفة[٤] ميقات حجاج أهل الشام فمنها يحرم الحاج، ثم يدخل الركب إلى الصفراء[٥]، ثم يسير الركب إلى بدر، ثم إلى رابغ، فعقبة السويق، وهي عقبة كثيرة الرمل شاقة[٦] ومن هناك إلى خليص، فعسفان، ثم بطن مر، ومنه يدخل الحاج إلى مكة[٧].

ج - المحمل:

يقصد به الجمل أو الجمال التي تحمل الهيكل الخشبي المخروطي الشكل، ويحمل كسوة الكعبة المشرفة، أما عن نشأة المحمل، وفكرة إرساله مع قافلة الحج فقد تعددت آراء المؤرخين في ذلك[٨]، وقد جرت العادة أن يدور المحمل (والمقصود دورانه في القاهرة) في السنة مرتين: الأولى في النصف الثاني من شهر رجب، والثانية في النصف الثاني من شهر شوال، ويكلف أصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بتزيين حوانيتهم قبل مرور المحمل بثلاثة

---

(١) **تبوك:** أول مدن الحجاز وبها حصن ونخل وبها عين ماء وتقع بين جبلين وهي أدنى أرض الشام، وهي مدينة قديمة غزاها الرسول ﷺ في السنة التاسعة للهجرة، يقيم بها الحجاج للراحة والسقاية، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤، والإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ٣٥١، والبلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج ١، ص ٢٧٨، والجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ١٢٦٠.

(٢) **العلا:** قرية كبيرة تكثر فيها البساتين والمياه، نزلها الرسول ﷺ في طريقه إلى تبوك، وبُني مسجد مكان مصلاه، وفيها يترك كثير من الحجاج حاجاتهم ليأخذوها في العودة، بها بركة بناها الملك المعظم عيسى بن الملك العادل وبها قلعة تعرف بقلعة المعظم، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٤٤، والسبتي، ملء العيبة ، ج ٥، ص ١٥، والجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ١٢٦٣، وسيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ٢٠٢، وأيوب صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ج٢، ص ٢٣٤.

(٣) الجزيري، درر الفوائد، ج ٢، ص ١٢٦٤، وسليمان عبد الغني مالكي، مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز رقم ٣٨، الرياض، ١٤٠٨هـ، ص ٢٧٨.

(٤) **ذو الحليفة:** قرية تبعد عن المدينة مرحلة واحدة وهي ميقات أهل المدينة وتسمى (بئر علي) وهي ميقات حجاج الشام، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٩٥، والجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ١٢٦٤، والحربي، المناسك، ص ٤٢٥.

(٥) **الصفراء:** واد بين جبال بها حدائق النخل وبها عيون وحصون كثيرة، ياقوت، المعجم، ج ٣، ص ٤١٢، والسلمي، أسماء جبال تهامة، ص ١٣، والعبدري، الرحلة المغربية، ص ٢٠١، وابن جبير، الرحلة، ١٦٦، والحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٣.

(٦) **عقبة السويق:** على مسافة نصف ميل من خليص ، كثيرة الرمل وليست بطويلة ولكنها شاقة، ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦، والسبتي، ملء العيبة، ج ٥، ص ٧٤، ٧٦، والحميري، الروض المعطار، ٣٢٨.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٤، والبلادي، معجم بلاد الحجاز، ج ٦، ص ١٩٩، ج١، ص ٢٣٤، ص ١٩٠.

(٨) وعن نشأة المحمل أوردت المصادر التاريخية أن أول من استحدث المحامل في قوافل الحج إلى مكة الحجاج بن يوسف الثقفي. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٧٣، كما أن هناك مقالا عن المحمل ونشأته وآراء المؤرخين فيه كتبه عبد الله بن عقيل عنقاوي في مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض، المجلد الثاني، السنة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧١م يناقش فيه الرأي الذي يرجع أصل المحمل إلى هودج الملكة شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما أدت فريضة الحج، وإلى ما قام به السلطان المملوكي الظاهر بيبرس من إرسال المحمل مع قافلة الحج سنة ٦٦٤هـ/١٠٧٣م، وأنه أصبح تقليداً سار عليه من جاء بعده من السلاطين المماليك، كما أنه يشير إلى أن إرسال المحمل كان قبيل العصر المملوكي، وضرب أمثلة على ذلك بأن الحجاج بن يوسف الثقفي أول من أحدث المحامل على طريق مكة وانتهى إلى أن الملك المعظم عيسى سلطان دمشق قام بإرسال المحمل عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وأن الملك الأشرف الأيوبي قام بإرسال المحمل عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، ومحمد كامل حتة، لبيك اللهم لبيك، دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص ٤٧،

Jacques Jomier8 Le Mehmal et le caravane Egyptienne des pelerins de la reqne , le Caire 1953 Chap 11, pp. 11-26.

أيام[١]، ويسير أمام المحمل الوزير، والقضاة الأربعة، والشهود، والمحتسب، وناظر الكسوة ، ويحتفل الناس ليلة دوران المحمل في شوارع القاهرة، ويخرجون للفرجة، ويكون ذلك إعلاناً للناس للتأهب والاستعداد للخروج للحج[٢]، أما ما يتعلق بمراسم استقبال المحمل في المدينتين المقدستين فتشير المصادر التاريخية إلى أن من المهام المكلف بها شريف مكة الخروج لاستقبال المحمل السنوي المصري[٣]، على اعتبار أنه المحمل الرئيسي الذي ترافقه كسوة الكعبة الشريفة، وقد أصبح هذا تنظيماً متبعاً ، وهو يحمل دلالة مهمة، هي طاعة شريف مكة للسلطة الحاكمة في مصر.

وقد حفلت المصادر التاريخية بذكر أشراف مكة الذين كانوا يخرجون لاستقبال المحمل. وكان امتناع شريف مكة عن استقبال المحمل أمراً مرفوضاً، ففي عام ٨١٧هـ/١٤١٤م، امتنع شريف مكة حسن بن عجلان عن ملاقاة المحمل السنوي، ولكن أمير الحج المصري جقمق المؤيدي[٤] أصر على حضوره لاستقبال المحمل فحضر[٥].

وفي عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م خرج شريف مكة محمد بن أحمد بن عجلان٧٨٠-٧٨٨هـ/ ١٣٧٨ - ١٣٨٦م ، لاستقبال المحمل، وفي أثناء ذلك هجم عليه اثنان من الفداوية[٦] فضربه أحدهما بخنجر في عنقه مما أدى إلى وفاته[٧].

ولم يكن استقبال المحمل مقصوراً على شريف مكة ، بل كان أهالي المدينتين المقدستين يتأهبون لاستقبال المحمل حيث ترسل الهبات والصدقات بصحبته.

وكانت العادة أن يكلف شريف مكة والمدينة وينبع بوضع الخفارات في طريق المحمل، لحمايته من هجمات الأعراب وتقديم الأموال والمواشي للأعراب، لحراسة طريق المحمل[٨].

وعند وصول المحمل إلى المدينة المنورة يدخل باحتفال كبير من باب العنبرية (أحد أبواب المدينة) حتى إذا ما وصل إلى باب المصري (أحد أبواب المدينة) ترجل كامل الموكب إجلالاً لمقام الرسول ﷺ، فإذا وصلوا إلى باب السلام (أحد أبواب المسجد النبوي) أتى شيخ المسجد النبوي، وتسلّم زمام الجمل وأصعده على سلم الباب وأناخه على تلك الصفة، وهناك يرفع المحمل ويوضع في مكانه داخل المسجد النبوي عند المنبر النبوي

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٧.

(٢) ابن عبد الظاهر، محيي الدين (ت٦٩٢هـ) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٣٥١هـ، ج ٢، ص ١٤٥، وابن الحجاج، مدخل الشرع الشريف على المذاهب، ج ١، ص ٢٧٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٧٧، والخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٥٤.

(٤) هو: **سيف الدين جقمق المؤيدي**، من أبناء التركمان، تنقل في الخدمة حتى تقرر دواداراً ثانياً للمؤيد شيخ، ثم تولى نيابة دمشق عام ٨٢٢ هـ/١٤١٩م، قتل عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٧٤، والجزيري، درر الفوائد، ج ١، ص ٥١٧.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج ٤، ص ١١٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥١٦، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ٢٩٩، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٩٦.

(٦) **الفداوية**: طائفة من الإسماعيلية ، تنسب إلى إسماعيل جعفر الصادق ، سموا بذلك الاسم لأنهم يفادون بالمال علي من يقتلونه ، ويطلق عليهم أيضا : الباطنية، لأنهم يبطنون مذهبهم ويخفونه ، انظر القلقشندي ، صبح الأعشي ، ج ١ ،ص ١١٩ و ١٢٠ .

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٢٤٥، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٨) الجزيري، درر الفوائد، ص ٥٣٦، وعلي بن حسين، العلاقات الحجازية، ص ٢١٣.

وترفع كسوته المزركشة ويلبسونه الكسوة الخضراء[١] ، وتظل الكسوة داخل الحجرة الشريفة حتى يخرجوها يوم سفر المحمل إلى مكة[٢].

٢ ـ كسوة الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة:

من مظاهر اهتمام سلاطين المماليك بالمدينتين المقدستين، حرصهم على إرسال كسوة الكعبة سنويًا إلى مكة، لما في كسوة الكعبة المشرفة من إعلان السيادة على الحرمين الشريفين، ولأن السلطان الذي يرسلها يعتبر صاحب الزعامة على الأماكن المقدسة، ولذلك رفض سلاطين المماليك بشدة أي محاولة من جانب أي من الملوك، سواء من ملوك اليمن أو من سلاطين التتار، لإرسال الكسوة إلى الكعبة، فعندما حج الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول[٣] في سنة ٧٤٢هـ/١٤٣١م عزم على كسوة الكعبة، ولكن أمير مكة رفض ولم يمكنه من ذلك، ثم أعاد الملك المجاهد محاولة كسوة الكعبة عندما حج ثانية في سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م وأراد أن يدخل إلى مكة تحيطه فرقة من جيشه، فمنعه أمراء المماليك المصاحبون لقافلة الحج المصري، وقامت بين الجيشين معركة انتهت بالقبض على الملك المجاهد وحمل أسيراً إلى مصر، وبقي بها إلى أن أطلق سراحه وعاد إلى اليمن[٤] وهناك محاولة أخرى قام بها سلطان المغول شاه رخ بن تيمور لنك، إذ أرسل كتاباً يستأذن السلطان برسباي في سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، يعرض فيه رغبته في أن يكسو الكعبة، وكتب له بالرفض[٥]، وقد عاود سلطان المغول إظهار هذه الرغبة في عهد السلطان المملوكي جقمق سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م، ووافق جقمق في البداية بقوله: "إن هذه قربة يجوز أن يكسو الكعبة كائن من كان"، فغضب أمراء المماليك، والعامة، وهاجموا البيت الذي نزل فيه رسل سلطان المغول حتى حيل بينهم وبين العامة، فعاد السلطان جقمق ورفض قبول الكسوة، وأصدر مرسوماً في ٧ من رمضان ٨٥٦هـ/١٤٥٢م بنزع ما بداخل الكعبة الشريفة من كسوة تنسب إلى شاه رخ، والاقتصار على الكسوة المنسوبة إليه[٦].

---

(١) يقصد بذلك الهيكل الخشبي الذي بداخله كسوة الكعبة المشرفة، أما بالنسبة لكسوة الحجرة النبوية فلا تجدد كل سنة كما تجدد كسوة الكعبة، بل تجدد كلما بليت، ويحدث ذلك كل ست أو سبع سنوات، لأنها مصونة من الشمس، وكسوة الحجرة النبوية تتكون من عدة ستائر من الحرير الأسود عليها طراز مرقوم بحرير أبيض، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٠٣، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢؛ ص ٤١٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٢٧٦، وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص ٥٢، والبتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٤٢.

(٣) حكم الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول من ذي الحجة ٧٢١هـ/١٣٢١م إلى جمادى الآخرة سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، حيث خلف الملك الأفضل ضرغام الدين عباس بن علي. المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٠٤، حاشية ١.

(٤) كانت تلك الحادثة في زمن السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣١، والمقريزي، الذهب المسبوك، ص ١١٤، ١١٧، والفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٩٥.

(٥) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٧٢٢.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣٨، اختلف المؤرخون في تفسير الأسباب التي جعلت جقمق يوافق في بداية الأمر لشاه رخ في كسوة الكعبة، فالعيني يُرجع ذلك في عقد الجمان، قسم (٤) ورقة ٧٥٤، لضعف ،قمق وعجزه، أما السخاوي في التبر المسبوك، ص ٩٧، فيرى أن موافقة الظاهر جقمق كانت حسماً لأي خلاف قد يتورط فيه دون أي عجز أو ضعف. أما المستشرق الفرنسي جاستون فيت فيرجع موافقة جقمق إلى هزيمته أمام جزيرة رودس في شرق البحر المتوسط ورغبته في تجنب مزيد من المتاعب السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٩١.

Wiet; Hist, delanation, Egyptienne T, Tv. p. 584.

وهناك محاولة صدرت من مغول العراق في عام ٨٧٧هـ/١٤٧٢م بإرسال كسوة إلى الكعبة مع المحمل العراقي، تصدى لها شريف مكة، وقبض على أمير المحمل، وأرسل إلى سلطان مصر الأشرف قايتباي الذي أمر بسجنه في برج القلعة[١]، وقد كانت كسوة الكعبة في عصر المماليك سوداء[٢] تنسج في القاهرة بمشهد الحسين من الحرير الأسود، وتحتوي على بعض الآيات القرآنية.

وقد أصبح إرسال كسوة الكعبة إلى مكة سنويّا تقليداً اتبعه سلاطين المماليك منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م، ولعل السبب في ذلك أن الكسوة تتعرض لحرارة الشمس كما تتعرض للتلف فتفقد زهاء لونها، بخلاف ما يحدث لكسوة الحجرة النبوية الشريفة فإنها كانت تكسى كل سبع سنوات، لأن هذه الكسوة لم تكن تبلى لعدم تعرضها لأشعة الشمس[٣]، وقد حرص سلاطين المماليك على إرسال كسوتين إلى الكعبة كل عام، واحدة حمراء لداخل البيت والأخرى سوداء لظاهره[٤]، وكان يتولى أمر الكسوة في مصر موظف خاص مسؤول عنها يعرف بناظر الكسوة، وبالنسبة لصناعة الكسوة فقد كانت منذ عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، تصنع في مصر كما ذكر الأزرقي[٥]، بيد أنه لم يذكر مكان صنعها فيها.

وقد أفادت بعض المراجع التاريخية[٦]، أن الفاكهي ذكر أن كسوة الكعبة كانت تصنع في تنيس[٧]، كما أشار إلى ذلك المقريزي في زمن الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ/ ٧٧٤ - ٧٨٥م)، والخليفة العباسي المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) حتى عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، وعندما أمر السلطان الكامل الأيوبي بهدمها بسبب قربها من مدينة دمياط وتعرضها للخطر الصليبي[٨]، انتقلت صناعة كسوة الكعبة المشرفة إلى مشهد الحسين[٩]، كما أن الإنفاق على كسوة الكعبة المشرفة قد مر بمرحلتين: الأولى تبدأ منذ عهد الظاهر بيبرس الذي أرسل الكسوة عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م وحتى نهاية عهد السلطان الناصر أحمد[١٠].

ففي هذه الفترة كانت الخزانة السلطانية هي الجهة المتولية للصرف على إعداد الكسوة سنويّا.

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٨٤.

(٢) المعروف أن السواد شعار الدولة العباسية. والدولة الأيوبية والمملوكية تدينان بالتبعية الروحية والمذهبية للخلافة العباسية، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٨١.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١٢٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٧، ٣٠٣.

(٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١٢٥، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٥٣.

(٦) البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ١٨٩، وحسين عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المشرفة، ص ٢٥٥.

(٧) تنيس: تقع بجزيرة في مصر، تحيط بها المياه، وتشتهر بصناعة الثياب الملونة، كما تشتهر بصناعة الكسوة الجيدة، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٧٨، والمقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٧٠، والإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٣٨، وياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥١، وأبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١١٨، والفاكهي، أخبار مكة، ج ٥، ص ٢٣٢.

(٨) المقريزي، الخطط، ج ١، ص ١٨١، والذهب المسبوك، ص ٨٤، والسلوك، ج١ ق٢، ص ٤٤٦.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٧.

(١٠) هو: السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة يوم الاثنين ١٠ من شوال عام ٧٤٢هـ/١٣٤١م، وقتل في صفر عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٣٧٢، ٣٧٤.

ويقول السخاوي: "لم تزل تكسى من هذا الوقف حتى سلطنة المؤيد شيخ فكساها من عنده لضعف وقفها، ثم فوض أمرها إلى بعض أمنائه، فبالغ في تحسينها"[١].

وكسوة الكعبة المشرفة كانت تتناول كسوتها الداخلية والخارجية، فالخارجية كانت تجدد كل عام، وأما الداخلية فلا تجدد حتى تبلى، ومادة نسيج الكسوة الداخلية كانت من الحرير الأحمر المذهب، وتكتب فيها بعض الآيات القرآنية[٢]، أما الخارجية فهي من الحرير الأسود تكسو الكعبة من أعلى إلى أسفل، ولها طراز مدور من جهة الأرض عرضه ذراعان تكتب عليه آيات قرآنية ، كما يكتب عليه إهداء السلطان.

وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك بقوله: وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان، وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض، قال تعالى ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي.. ﴾ الآية[٣].

وفي سائر جهاتها طراز مكتوب بالبياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لائح مشرق من سوادها[٤].

وكانت كسوة الكعبة المشرفة ترسل سنويّا إلى مكة صحبة محمل الحج المصري، وكان يقام لها احتفال في القاهرة، علي نحو ما سبق ذكره .

وكان أول من كسا الحجرة النبوية الخيزران[٥] أم هارون الرشيد عندما قدمت في حجها لزيارة قبر الرسول ﷺ عام ١٧٠هـ/٧٨٦م، فصارت عادة السلاطين والملوك بعد ذلك في المواظبة على كسوة الحجرة النبوية[٦].

ولما وقف الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ٧٤٣ - ٧٤٦هـ/١٣٤٢ - ١٣٤٥م على كسوة الكعبة بعض القرى في صعيد مصر، جعل الثلث من أراضي قرية بيسوس وقفاً على كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي، إلا أن كسوة الحجرة النبوية لم تكن تجري في كل سنة، بل كان شرط الوقف أن تكون الكسوة

=ص ٣٨٢، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ٧، ص ٢٢٠، والنهروالي، الأعلام، ص ١٤٣، والقلقشندي ، صبح الأعشي ، ج٥ ، ص ٢٦٨وحسن الباشا ، الفنون الإسلامية، ج٣، ص١٢٠٢.

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢٦.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٠١، والعقد الثمين، ج١، ص ٥٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٥٩٦.

(٣) سورة المائدة، الآية رقم (٩٧).

(٤) ابن بطوطة "محمد بن عبد الله اللوائي الطنجي" (ت٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ١٧١، وجاء في وصف كسوة الكعبة لابن جبير قوله: "وظاهر الكعبة كلها الجوانب الأربعة مكسو بستور من الحرير الأخضر، وسداها قطن، وفي أعلاها رسم الحرير الأحمر". ابن جبير "محمد بن أحمد" (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، تذكرة الأخبار، المعروفة برحلة الكناني، تحقيق حسين نصار، المطبعة العربية ١٣٩٦هـ، ص ٥٨.

(٥) الخيزران: أم الهادي والرشيد، وهي جارية يمنية قيل: إن المهدي اشتراها بمائة ألف درهم، وكان لها الكلمة النافذة حتى كان الناس يتوافدون على دارها، وقد كف يدها ابنها الهادي عن شئون الحكم، توفيت في جمادى الآخرة سنة ١٧٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٣٤٨، والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٣٣.

(٦) ذكر القلقشندي ذلك بقوله: "إن أول من كسا الحجرة النبوية الحسن بن أبي الهيجاء صهر الصالح وزير ملوك المغرب في خلافة المستضيء بأمر الله، وكانت خلافته سنة ٥١٦هـ وماتت سنة ٥٧٥هـ، وعمل لها الحسن بن أبي الهيجاء ستارة من الديبق الأبيض، وعليها الطروز وزنار من الحرير الأحمر مكتوب عليه سورة (يس)، وأراد أن يعلقها فمنعه أمير المدينة الشريف قاسم بن مهنا حتى استأذن من المستضيء بأمر الله العباسي، فجاءه الإذن، ثم أرسلت كسوة من المستضيء بأمر الله، فرفعت تلك وعلقت كسوته بدلاً منها بعد عامين. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠٢، والسمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٨١.

كل خمس سنوات، ثم اضطربت مواعيد الكسوة للحجرة النبوية فكانت ترسل كل سبع سنوات وكل عشر سنوات[١]، إلى أن استقرت كل ست أو سبع سنوات مرة.

وقد ظل سلاطين المماليك يكسون الحجرة النبوية، والمنبر الشريف من أوقافها، حتى ضعُف ريع الوقف عن الوفاء بحاجاتها فكسوها من أموالهم[٢].

وبعد سقوط الدولة المملوكية صار سلاطين دولة بني عثمان يكسون الكعبة والحجرة النبوية من خلال أوقاف وقفوها في إطار تنظيمات إدارية خاصة ، وفي سجلات عرفت بدفتر الميزان وإيرادات الكسوة الشريفة[٣].

٣ ـ حجات السلاطين والأمراء ونساء السلاطين و كبار رجال الدولة المملوكية:

حرص سلاطين المماليك منذ قيام دولتهم في مصر، على أن يؤدوا فريضة الحج، مما جعل العالم الإسلامي ينظر إليهم علي أنهم أهل ورع وتقوى من ناحية، وحماة الدين والعقيدة الإسلامية من ناحية أخرى، وفي ترددهم على الحرمين الشريفين تثبيت لسلطانهم وسيطرتهم عليهما، وكانوا يهتمون بإصلاحاتهما والتقرب إلى أهاليهما بالصدقات، والأعطيات، حتى لا يقدموا أحداً عليهم في الدعاء والخطبة على منابر الحرمين الشريفين، كما كانوا يولون اهتماماً كبيراً للحج، وطرقه وأمرائه، لما لذلك من دلالة مهمة علي سيطرة سلاطين المماليك على الحرمين الشريفين. ففي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م خرج السلطان الظاهر بيبرس لأداء شعائر الحج ودخل مكة في الخامس من ذي الحجة من سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م[٤]، وتصدق بيبرس على أهالي الحرمين الشريفين بأموال وهبات كثيرة، وغسل الكعبة بيده بماء الورد، وعلق كسوتها، وأمر بزيادة كمية الغلال التي ترسل إلى المدينتين المقدستين في كل سنة[٥]. وأصلح طريق الحجاج ومهده[٦]، وأقام نائباً عنه في الحجاز، وكان من نتائج زيارته هذه تشديد قبضته على بلاد الحجاز، وعلى أمرائها، وربط المدينتين المقدستين سياسيّا واقتصاديّا بمصر، ومما يدل على ذلك ما أغرى به الأمراء من أعطيات وما أسقطه من مكس ، وعوض السلطان بيبرس شريف مكة عن هذا الإسقاط بالتزامه بإرسال أموال ومؤونة للحرمين الشريفين[٧].

وحج السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فقد حج ثلاث مرات في السنوات ٧١٢هـ/١٣١٢م،

و٧١٩هـ/١٣١٩م، و ٧٣٢هـ/١٣٣١م.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠٢، وإبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) النهروالي، الاعلام، ص ١٤٤.

(٣) سار سلاطين بني عثمان على النهج المملوكي فيما يختص بكسوة الكعبة والحجرة النبوية، وكسوة مقام إبراهيم، وظلت ترسل بانتظام سنويّا يحملها أمير الحج ، وكانت الكسوة تصنع خلال العصر العثماني في قلعة صلاح الدين بالقاهرة، وكلما اعتلي العرش سلطان جديد كان يرسل كسوة للكعبة المشرفة الداخلية والخارجية. أرشيف دفتر الميزان وإيرادات الكسوة الشريفة من (٢٣ ج - ١١٨٥هـ/١٧٧١م، ع ٢٢٠٤)، حفظ نوعي ٩٩ عيني ٣٠ مخزن تركي (١).

(٤) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ٩١، والخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ١١٠، وأبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٥.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٨٣، وابن الوردي، تتمة المختصر، طبعة النجف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،ج ٢، ص ٣١٣، وابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٣٨٨.

(٦) Abdullah, Ankawi: The Pilgrimage to Mecca in Mamluk Times, Arabian Studies, London, 1968, p. 146.

(٧) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ٩٢، وأبوالمحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٤٦.

الحجة الأولى (٧١٢هـ/١٣١٢م):

في هذه السنة بلغ السلطان الناصر أن التتار قد زحفوا إلى الشام، فأعد العدة لرد عدوانهم، وخرج بنفسه على رأس جيش، إلا أنه في الطريق بلغه أن التتار قد رجعوا، فسرّ السلطان لذلك، وعزم على الحج، ثم توجه مع جماعة من مماليكه وأمرائه وقضاته من دمشق إلى المدينة المنورة، فزار قبر النبي ﷺ ثم اتجه إلى مكة، وقد تصدق بصدقات كثيرة[١].

الحجة الثانية (٧١٩هـ/١٣١٩م):

وقد حفلت المصادر التاريخية بوصف مفصل لحجة الناصر محمد الثانية، وكان ذلك في سلطنته الثالثة ٧٠٩هـ - ٧٤١هـ/١٣٠٦ - ١٣٤٠م، وقد خرج السلطان الناصر من القاهرة مصطحباً معه الأمراء والقضاة وصاحب حماة الملك المؤيد، الذي أرخ لهذه الرحلة بالتفصيل، وحمل معه ماء من النيل يكفي الرحلة ذهاباً وإياباً، كما حمل معه أوعية من الخشب مزروعة بالبقول، وبالخضراوات، فتقدم له الخضر طازجة، وجهز الأفران لتقديم الخبز الطازج، كما حمل معه كسوة الكعبة المشرفة وجهز مركبين في البحر إلى ينبع، ومركبين إلى جدة تحمل كل ما يحتاج إليه، وجهز من الشام خمسمائة جمل تحمل الفواكه والحلوى[٢]. وعندما وصل إلى مكة طاف ماشياً وغسل الكعبة بيده، وأبطل سائر المكوس عن الحرمين الشريفين، وعوض أميري مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام. وأكثر من توزيع الأموال على أهل الحرمين الشريفين، أشار إلى ذلك أبو الفدا بقوله: "ولقد شاهدت من جزيل صدقاته وإنعامه في هذه الحجة ما لم أقدرْ أن أحصره"[٣].

كما اهتم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإصلاح طريق الحج إلى بلاد الحجاز، فمهد ما كان في عقبة أيلة من صخور، ووسع طريقها حتى أمكن سلوكها دون مشقة، كما أمر بمبلغ خمسة آلاف درهم تدفع كل سنة لصاحب خليص ليجري الماء من عين بها إلى بركة يردها الحجاج[٤].

ثم عاد إلى المدينة وزار قبر الرسول ﷺ وأقام يومين حتى قدم الركب، ثم عاد بعد ذلك إلى مصر سالكاً طريق الحاج المصري[٥].

الحجة الثالثة (٧٣٢هـ/١٣٣١م):

حج السلطان الناصر للمرة الثالثة ومعه نحو سبعين أميراً وصاحب حماة والقضاة، والأعيان والجند، مع بعض حريمه، وقد جهز قافلة الحج تجهيزاً رائعاً كما كان الحال في حجته الثانية، وأنفق على أهالي الحرمين

---

(١) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ٩٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٥٨، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٣، والعقد الثمين، ج ١، ص ١٩٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٢، ص ١٢٣.

(٢) أبو الفدا ، المختصر ، ج ٢، ص ٨٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(٤) المقريزي، السلوك، ج ٢، القسم الأول، ص ١٩٨، الذهب المسبوك، ص ١٠٤، وأبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٦٠ Lane Poole Op, Cit, P. 308 كما ذكر ابن بطوطة في رحلته أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد جهز عدداً من الجمال تحمل الماء والزاد للحجاج الفقراء والضعفاء، كما جهز عدداً من الجمال التي خصصها لمن تخلف عن القافلة لنصَب أو مشقة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٣.

(٥) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٠٥، وابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٢٨، والنويري، نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ١٢٧.

الشريفين أموالاً كثيرة، ووزع الحبوب والغلال عليهم، حتى انخفض سعر الحبوب انخفاضاً كبيراً، وأنعم على شريف مكة بخمسة آلاف دينار، وعلى زوجته بخمسمائة دينار[١].

ويلاحظ أن حجات السلطان الناصر محمد أخذت طابعاً ودافعاً دينيّا، وأظهرته أمام العالم الإسلامي رجلا ورعا عميق الإيمان، وأكسبته مظهراً براقاً اكتسب به محبة أهالي الحرمين الشريفين بما أنفقه ووقفه في حجاته تلك على المدينتين المقدستين.

وحج السلطان الأشرف قايتباي المحمودي (٨٨٤هـ/١٤٧٩م)، وهو آخر من حج من سلاطين المماليك بمصر والسلطان الوحيد من سلاطين الجراكسة الذي تمكن من تأدية فريضة الحج، وقد اصطحب معه الأمراء والقضاة وعدداً من الخاصكية[٢]، والمماليك السلطانية[٣]، وجماعة من المباشرين[٤]، وعندما وصل السلطان قايتباي إلى مكة خرج لاستقباله أميرها الشريف محمد بن بركات[٥] وابنه، والقضاة، والأعيان، وأهل مكة، وقد حظي الجميع بعطف السلطان قايتباي وأنعم عليهم جميعاً بالخلع[٦]، وانتهز قايتباي فرصة وجوده بمكة وتصدق على فقرائها بخمسة آلاف دينار[٧]، وأبطل ما كان يؤخذ على الصيادين في جدة من مكس، وقرر بمدرسته أربعة مشايخ من كل مذهب واحد[٨]، وعنـــــدما زار السلطان قايتباي المدينة وتشرف بالسلام على ساكنها عليه أفضل السلام وأتم التسليم، أنفق على أهلها من الصدقات والأعطيات، وأمر بالغاء المكس

---

(١) ومن أعمال السلطان الناصر محمد في الحرمين الشريفين أنه في سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، أرسل باباً للكعبة المشرفة صنع من خشب السنط الأحمر، ومصفح بفضة بما قيمته خمسة وثلاثون ألف درهم، المقريزي، السلوك، ج ٢، القسم الثاني، ص ٣٥٦،٣٦٢، والذهب المسبوك، ص ١٠٩، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص١٦٠، ١٦١.

(٢) **المماليك الخاصكية:** قسم من مماليك السلطان يتميزون عن بقية المماليك السلطانية بالتحاقهم وهم صغار السن في خدمة السلطان وهو الذي يتولى تربيتهم وعتقهم، سعيد عاشور، العصر المملوكي، ص ٤٥٥، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ٤٦٣.

(٣) **المماليك السلطانية:** قسم من مماليك السلطان وجلبانه ومماليك من سبقه في السلطنة، سعيد عاشور، العصر المملوكي، ص ٤٥٥، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١١٢٨.

(٤) **المباشرون:** جمع مباشر، وهو الموظف الذي يكلف بإدارة العمل، والإشراف علي تنفيذه ، وإجراء المبيعات والمشتروات المتعلقة به ،واستخدام عمالـــه، ويشترط فيمن يقوم بها أن يكون عارفا بصناعة الكتابة ، وتنظيم الحسابات ، ويتولي صرف ما يتحصل أصلا وخصما ، وكتابة قوائمها ، ويرفع بذلك لناظر الوقف ، عبد اللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغورى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ،١٩٥٦م، ص ٦٧٤ ، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٣، ص ٩٨٢.

(٥) **هو: محمد بن بركات بن حسن بن عجلان**، ولى إمرة مكة عام ٨٥٩هـ/١٤٥٥م، وتوفي عام ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م. ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٣٥٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٥٠، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٣، ص ٦٢.

(٦) مؤلف مجهول، الجامع الظريف في حجة المقام الشريف، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٤٥ تاريخ، من ورقة ٦٩ إلى ورقة ٧١، والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ١٥٧.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٨) مؤلف مجهول، الجامع الظريف، ورقة ٦٥ ، وورقة ٦٩.

وعوض أميرها عنه، كما وقف ستين ألف دينار على أهل المدينة المنورة لشراء عدة أماكن وربوع في باب النصر والخشابين والدجاجين لصنع الدشيشة[١]، وأخيراً بعد أداء السلطان فريضة الحج عاد إلى مصر[٢].

وقد عزم السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢ - ١٤٢١م) على الحج عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م، ثم صرفه بعض أمرائه عن عزمه خوفاً من وقوع قلاقل في غيابه، فأقلع عن الحج، وأرسل منبراً للمسجد النبوي[٣].

وكان السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ - ١٣٧٦م) قد عزم على الحج عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م على الرغم من مرضه وثورة أمراء المماليك عليه وترصدهم له، وأشار عليه جماعة من خواصه بأن يؤجل سفره هذا العام ولكنه لم يلتفت، فقتل في الطريق عند عقبة أيلة، ولم يحج[٤].

حجات الأمراء المماليك ونساء السلاطين وكبار رجال الدولة المملوكية

في عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م خرج المجاهد بن السلطان العادل كتبغا المنصوري[٥] للحج، وتكْمُن أهمية هذه الحجة في أمرين: أولهما تبييت كتبغا العزم على أن يجعل منه وليّا لعهده، بعد أن نجح مع أعوانه في إقصاء الناصر محمد للمرة الأولى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م.

والأمر الثاني: ما تركته هذه الحجة من آثار، وانطباع على أهالي الحرمين الشريفين، فقد تصدق على الفقراء والمساكين وعمت أعطياته أمير مكة وأهالي المدينتين المقدستين، فشكرت سيرته، وكان هذا مقصده، ولكنه لم يصبح سلطاناً، فسرعان ما عزل والده ليعود الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثانية عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م[٦].

---

(١) **الخشابون والدجاجون:** ربوع موجودة بالقاهرة وعلى رأسها وكالة في باب النصر ومجموعة دكاكين وقفها السلطان قايتباي على الفقراء والمساكين والمجاورين بالمدينة المنورة، يستفاد من ريع هذه الربوع والوكالة والدكاكين لعمل الدشيشة، وتوزيع الخبز ، والزيت يوميّا في المدينة المنورة، ومازال نص الوقفية موجوداً إلى الآن على باب وكالة قايتباي في باب النصر بالقاهرة. وابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٥.و انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) الجزيري، درر الفوائد، ص ٦٨٢، والسمهودي، وفاء الوفا، ص ٧١١، وابن فهد، إتحاف الوري، ج ٤، ص ٦٥٦.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٧، والبرزنجي، نزهة الناظرين، ص ٥٢.

(٤) أبوالمحاسن، النجوم الزاهرة، ج١، ص ٦٩، وابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٤٦٤، والمقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٥) **هو: الأمير أنص بن السلطان العادل كتبغا**، ولد في مصر، ونشأ بها، شهد مع الملك الخليل حصار عكا فأصيبت إحدى عينيه، لقبه أبوه بالمجاهد، المقريزي، المقفي، ج ٢، ص ٣٠٠، رقم ٨٤٤، وابن حجر، الدرر، ج ١، ص ٤١٧، رقم ٢٠٨٠١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٥٨، والعيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٨١.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ص ٢٧٤، والجزيري، درر الفوائد، ص ٢٨٨، وأبوالمحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٥٧.

وفي عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، حج الأمير بكتمر[١]، الجوكندار، وأنفق في حجته خمسة وثمانين ألف دينار، وصنع كثيراً من المعروف على الحجاج وعلى أهالي الحرمين الشريفين، ونال أمير مكة أبو نمي وأولاده مائة ألف درهم، وكان يباشر فعل الخير بنفسه ولا يتكبر، راجياً ثواب ربه[٢].

وفي عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م حج الأمير سلار[٣]، وحمل معه الكثير من الذهب والفضة، وغلالاً كثيرة في المراكب وعندما وصل إلى مكة أحصى المجاورين، ووفّى ديونهم، ثم أعطي لكل منهم نفقة سنة، ثم بعث أناساً إلى جدة أحسنوا إلى أهلها إحساناً كثيراً، وتصدق على الفقراء والمساكين بالمدينتين المقدستين[٤].

وفي عام ٧٣٩هـ/١٣٣٨م حج الأمير سيف الدين بشتك الناصري[٥]، وأنفق في حجته على الفقراء والمحتاجين، والمنقطعين، والمجاورين وعلى أهالي الحرمين الشريفين ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم، وأطعم وسقى ركب الحجاج المصري من مصر إلى مكة حتى لم يبق بالمدينتين المقدستين أحد لم يُسْدِ إليه معروفاً[٦].

---

(١) هو: **سيف الدين بكتمر عبد الله الجوكندار** أمير خازندار، المكي المنصوري، وله وظائف إدارية منها مقدم الجيوش، وأمير كبير، وأمير جندار وهو أحد مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، مات مسموماً عام ٧١٦هـ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج٩، ص١٠٥، والدليل الشافي، ج ١، ص ١٩٤، والجزيري، درر الفوائد، ص ٦٩٣، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ٢١١.

(٢) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١١٥،و أبوالمحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٤٦، والجزيري، درر الفوائد، ص ٦٩٤، والمقريزي، السلوك، ج١، ص ٩١٧.

(٣) هو: **سلار بن عبد الله المنصوري نائب السلطنة**، وظيفة نائب السلطنة تعرف بكافل السلطنة، والنائب يضاهي الكافل في الحضرة السلطانية في الرتبة والمكانة ، وهي من المراتب العليا في الدولة المملوكية باعتبار أن السلطنة مقسمة إلى عدة نيابات والذين يعينون بها يسمون نواب السلطنة بالديار المصرية. في زمن بيبرس الجاشنكير، قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون ووضعه في السجن ومات فيه ٧١٧هـ/١٣١٧م، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٣١٤، والنجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢١٦، والمقريزي، السلوك، ج١ ق ٣ ص ٩٥٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨٤، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١١١٩، وعبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ج ص ٨٨.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٦٩، والمقريزي، السلوك، ج٢، ص ٤، والعيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٧٠٤هـ، والجزيري، درر الفوائد، ج ١، ص ٦٥٤، وأبوالفدا، المختصر، ج ٢، ص ٥١.

(٥) هو: **بشتك بن عبد الله الناصري**، أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقد قربه إليه وأنعم عليه عند سفره للحج بمائتي ألف درهم وعدد من المواشي من الإبل والبخاتي، وكان كثير التيه بنفسه، توفي مقتولاً بسجن الإسكندرية عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١م، المقريزي، المقفي، ج٢، ص ٤٢٣، وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ١٩١، والنجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٧٤، والمقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٢٥٣.

(٦) ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢١٧، والمقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٧٢، والجزيري، درر الفوائد، ج ١، ص ٦٣٨.

وفي عام ٦١٧هـ/١٣١٦م، حج الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري[١]، نائب السلطنة بالقاهرة، وأغدق على أهل مكة والمدينة الكثير من الصدقات[٢].

وفي عام ٧٢١هـ/١٣٢١م حجت خوند طغاي[٣] ، جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ولده أنوك[٤]، وكانت من أحب نسائه إليه، ورافقها في حجتها تلك بعض الأمراء والقضاة، وأنفقت على الحجاج والمجاورين بالمدينتين المقدستين، فلما عادت خرج السلطان الناصر محمد بنفسه للقائها[٥].

وفي عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م، حجت خوند بنت خاص بك[٦]، زوجة الملك الأشرف إينال [٧]، وكانت لها بمكة والمدينة صدقات، وعملت رباطاً في مكة[٨] .

٤ - الأعطيات والصدقات لأهالي الحرمين الشريفين:

إذا كانت الأعطيات والصدقات تمثل جانباً اقتصادياً له أثره على أهالي المدينتين المقدستين، فإن لها وجها دينيا يتمثل في رغبة المنفقين في الثواب من الله تعالى، وفي طلب الدعاء بالمغفرة والرحمة من المستفيدين، وفي تأليف القلوب وحبها لهم.

---

(١) هو: **الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري** من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، تدرج في العديد من المناصب إلى أن جعله دوادارا، ثم ولاه منصب نائب السلطنة بالقاهرة، ثم ولي نيابة حلب، وتوفي عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص٣٠٦.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ١٥٦، والجزيري، درر الفوائـــد، ج١، ص ٦٢٢.

(٣) **خوند طغاي أم أنوك** وزوجة الناصر محمد بن قلاوون، ولدت له أنوك عام ٧٢١هـ، وأنفق السلطان على حجتها ثمانين ألف دينار وستمائة وثمانين ألف درهم، وبسببها أبطل الناصر عن مكة المكس الذي يؤخذ على القمح، توفيت في شوال عام ٧٤٩ هـ، ابن حجر، الدرر، ج ٢، ص ٢٢١.

(٤) هو: **أنوك بن الملك الناصر محمد بن قلاوون** كان من أعز أولاد الناصر عليه ، زوجه أبوه ببنت بكتمر الساقي، توفي في حياة أبيه في شوال ٧٤٠هـ، المقريزي، المقفي، ج ٢، ص ٣١٠، وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ١٥٧.

(٥) ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ١٣٣، الجزيري، درر الفوائـــد، ص ٢٩٩.

(٦) هي: **خوند الكبرى زينب بنت العلا** علي بن العالم البدر محمد الحنفي، المعروفة بابنة خاص بك زوجة الملك الأشرف إينال، لها مآثر حسنة ومنشآت للفقراء والأرامل، توفيت عن عمر يقارب الثمانين عاماً، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٣٧٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٤١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١١١، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٤.

(٧) هو: **الملك الأشرف إينال العلائي الناصري** سيف الدين أبو النصر، تسلطن ٨٥٧هـ. ومات عام ٨٦٥هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ١٧٦، والنجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٥٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٣٢٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٦٧.

(٨) **رباط خوند بنت خاص بك** في مكة يقع على يمين الذاهب إلى الصفا، أمرت بإنشائه سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، غير أن عمارته لم تكتمل بسبب خلع ابنها من الملك، فتركت عمارته ، الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٤١.

ويمكن القول بأن تدفق الأعطيات والصدقات من سلاطين المماليك وأمرائهم لأهالي المدينتين المقدستين ظل مستمرا على وجه العموم طوال العصر المملوكي، إلا أن ذلك كان يعتمد بشكل أو بآخر على ارتفاع أو انخفاض منسوب مياه النيل، وارتباط ذلك بانخفاض أو ارتفاع الأسعار في كل من مصر والمدينتين المقدستين.

ففي عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، جهز السلطان بيبرس كسوة الحجرة النبوية ومعها الشموع والزيوت والبخور والطيب وصدقات لأهالي المدينة بصحبة الطواشي[١] جمال الدين محسن الصالحي[٢]، وعلى الرغم من هذه الأعطيات، فإنه في العام نفسه أصاب مصر الغلاء والقحط فتوقف العطاء على الحرمين الشريفين.

وفي عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م حج الأمير عز الدين أيدمر الحلبي[٣]، من قبل السلطان الظاهر بيبرس، ومعه الكثير من الصدقات بسبب الغلاء الفاحش بمكة[٤]، وفي الثامن عشر من شوال سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م وصلت إلى مكة مائة جمل من جمال السبيل من قبل السلطان المنصور قلاوون[٥]، ووصلت معه تشاريف[٦] لأميري مكة والمدينة وأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين[٧].

وفي عام ٧٩٢هـ/١٣٨٩م وقف السلطان الظاهر برقوق وقفاً ناحية بهتيت[٨]، على سحابة[٩]، تسير مع ركب الحاج سنويّا إلى مكة، ومعها جمال تحمل المشاة من الحجاج، وأمر لهم بصرف احتياجاتهم من ملبس وزاد في ذهابهم وإيابهم، كما أرسل في كل سنة ثلاثة آلاف إردب قمحاً تفرق في الحرمين

---

(١) **الطواشي:** جمعها طواشية، وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة حريم السلطان، وكثر استخدام الطواشية في العصر المملوكي، السبكي، معيد النعم، ص٣٩-٤٠.

(٢) **جمال الدين محسن الصالحي النجمي الطواشي**، شيخ خدام المسجد النبوي، توفي سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٤٩.

(٣) **هو: الأمير عز الدين أيدمر الحلبي الصالحي النجمي**، كان ينوب عن السلطان الظاهر بالقاهرة في أسفاره، توفي سنة ٦٦٧ هـ/١٢٦٨م، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ١٦٧.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٠، والجزيري، درر الفوائد، ج ١، ص٦٠١، والرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ص ١٢٣، وعلى السليمان، النشاط التجاري، ص ٥٨.

(٥) **هو: المنصور قلاوون الصالحي النجمي** الألفي التركي سيف الدين، تسلطن يوم الأحد العشرين من رجب سنة ٦٧٨ هـ/١٢٧٩م، وهو باني البيمارستان المنصوري بالقاهرة، وكان ملكاً عاقلاً شهماً، مات في ليلة السبت السادس من ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، أبوالفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص ١٢، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص ٩٢، والمقريزي، السلوك، ج١، ص ٧٢٥، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٣٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٣٥٣.

(٦) **التشاريف السلطانية:** هي ما يعرف بالأوسمة وهي الملابس الخاصة التي ينعم بها السلطان على أرباب السيوف والأمراء في مختلف المناسبات وأصلها من تشريف الخليفة لمن يكلفه بعمل فيلبسه لباساً مناسباً، وكما أن الخلع السلطانية كانت جزءاً من التنظيم الإداري المتبع في العلاقة بين سلاطين مصر وأمراء الحرمين الشريفين، فإرسال الخلع كان تعبيراً عن رضا الدولة عن الشريف والموافقة على إمرته، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٤٥، والبقلي، التعريف، ص ٧٦.

(٧) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ١٤٥.

(٨) **بهتيت:** هي بذاتها ناحية بهتيم، أصلها من المدن المصرية القديمة وبها آثار قديمة، ابن دقماق، الانتصار، ج٢، ص ٤٥، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٢٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ١٠٨.

(٩) **سحابة:** يريد بالسحابة هنا طائفة ممن يرافقون الحاج لخدمته والمحافظة عليه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٠٨ وهامشها.

الشريفين، كل يوم أربعين إردباً وثمانية آلاف رغيف[١]، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق[٢] بتوجيه جزء من ريع الوقف بتخصيص شخص يوثق بدينه وخيره وعفته وأمانته وكفايته، لخدمة الحجاج المنقطعين بطول الطريق ذهاباً وإياباً وسقاية الماء وإطعام الطعام، فإن تعذر صرف ذلك على المنقطعين، فرق على الفقراء والمساكين والأيتام والضعفاء والعاجزين بالحرمين الشريفين[٣].

وهذا يبرز أن الرغبة في الإنفاق على أهالي المدينتين المقدستين متمثلة في الهبات والأعطيات والصدقات كانت بدافع ديني، وتكفي الإشارة إلى ذلك هنا، على أن يتناولها البحث في الدوافع الاقتصادية بشيء من التفصيل.

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٩.

(٢) **فرج بن برقوق بن أنص، الملك الناصر**، تسلطن كأبيه مرتين الأولى يوم الجمعة سنة ٨٠١هـ وخلع سنة ٨٠٨هـ، ثم أعيد في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٨٠٨هـ، ومات مقتولاً بدمشق في السادس عشر من صفر سنة ٨١٥هـ، ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٥٣٠، والمقريزي، السلوك، ج٣ ص ١١٧٦، وابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٣٢٩.

(٣) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم الوثيقة ١١، رقم المحفظة ٦٦، مؤرخة في ٧ من محرم ٨١٢هـ، دار الوثائق القومية، وله وثيقة أخري بتاريخ ٢٦ من ربيع الآخر ٨٠٤ هـ برقم (٦٨ ج) وزارة الأوقاف .

ثالثاً: الاهتمامات الاقتصادية للمماليك بالحرمين الشريفين:

تمتعت المدينتان المقدستان بموقع جغرافي مهم كان له تأثير مباشر على أحوالهما المالية والاقتصادية. ذلك أن موقعهما الاستراتيجي الذي انفردت به كل منهما عما سواها من مدن الجزيرة العربية، كان له أكبر الأثر في انتعاش الحياة التجارية في كل منهما، فمنذ القدم سارت القوافل التجارية من اليمن عبر الأراضي الحجازية مروراً بمكة المكرمة والمدينة المنورة، متجهة إلى مصر والشام والعراق، وبالتالي فقد أصبح الصادر منهما ،والوارد إليهما ، سببا في انتعاش الحياة الاقتصادية بهما .

ومن الأسباب التي حفزت دولة سلاطين المماليك علي بسط سيطرتها ونفوذها علي بلاد الحجاز بصفة عامة والحرمين الشريفين بصفة خاصة ، تلك المكانة التي تتمتع بها بلاد الحجاز نظرا لموقعها الاستراتيجي ، فطمع المماليك في السيطرة علي هذه المنطقة لإخضاع طريق التجارة العالمي عبر البحر الأحمر ، وساعدت الظروف المماليك علي تحقيق هذا الهدف ، عندما اضمحلت طرق التجارة الرئيسية بين الشرق والغرب وبين الصين من جهة وآسيا الصغرى وموانئ البحر الأسود من جهة أخري ، باستيلاء المغول علي بغداد ، وامتداد نفوذهم إلي الشام وآسيا الصغرى، بالإضافة إلي بلاد فارس التي اتخذها هولاكو مركزا لدولته [١] ، وترتب علي ذلك تغيير خريطة طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وأصبحت مصر همزة الوصل في النشاط التجاري بينهما، وعمل سلاطين المماليك علي الاستفادة من هذه الظروف فتطلعوا إلي إخضاع موانئ البحر الأحمر لنفوذهم ، وبخاصة موانئ بلاد الحجاز وبلاد اليمن مدخل البحر الأحمر ،وكان ذلك في الوقت الذي قل فيه إقبال السفن التجارية الآتية من الشرق الأقصى علي الخليج الفارسي ، بسبب ازدياد نشاط القرصنة من سكان جزر البحرين في ذلك الخليج ، وبذلك تحولت السفن التجارية إلي البحر الأحمر عن طريق ميناء عدن ، وبالتالي ميناء جدة [٢] .

وكان للأهمية الدينية دورها في ازدهار أحوال المدينتين المقدستين الاقتصادية والمالية. فهما مقصد حجاج بيت الله الحرام كل عام، وإليهما تنتهي طرق الحج، والتجارة [٣].

وهذه الطرق الحج البرية والبحرية، من مصر والشام والعراق واليمن إلى المدينتين المقدستين، ذكرها الجغرافيون والرحالة العرب وبينوا محطاتها، والمسافات بين هذه المحطات محددة بالفراسخ والأميال، مع التأكيد بأن هذه الطرق ليست طرق حج فقط، وإنما هي في المقام الأول ومنذ عصر ما

---

(١) وقد أشار ماركوبولو في رحلته الشهيرة في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي إلي ما ترتب علي غزوات المغول من انعدام الأمن في طرق التجارة العالمية من الشرق إلي الغرب واعتداء اللصوص علي القوافل التجارية. انظر:

Moroco Polo:Travols.TP.107.(ed by vole)London,1903.

(٢) سعيد عاشور، العصر المماليكي ، ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

(٣) نعيم زكي، طرق التجارة الدولية، ص ١٠٠.

قبل الإسلام طرق تجارية، فالسلع التجارية الواصلة إلى المدينتين المقدستين كانت تمر عبرهما ذهاباً وإياباً[١].

وقد أسهمت قوافل الحج والتجارة في ازدهار الأسواق التجارية بمكة والمدينة.، وفي العصر المملوكي الثاني عندما أصبحت جدة الميناء الأول، والرئيس على البحر الأحمر تفد إليه مختلف السلع من شرق البلاد وغربها زادت أسواق المدينتين المقدستين رواجا ، كما كان لميناء ينبع أثره في ذلك أيضا

ومع هذا الرواج الملحوظ – في مكة والمدينة وميناءي جدة وينبع – فقد كانت العلاقة بين سلاطين المماليك، وأشراف الحجاز ، قائمة علي حرص المماليك على استغلال كل ما يحقق مصالحهم من هذه التطورات الجديدة ، تعويضاً لهم عن تدهور الاقتصاد في مصر، وبدأوا ذلك بالسيطرة على إمارة مكة، فاستفادوا كثيراً من الأموال القادمة إلى جدة، وحولوها إلى خزانة مصر، بل ازداد الأمر سوءاً بمكة حين اتبعوا شتى الأساليب الاحتكارية العنيفة في جباية الأموال، فرفعوا قدر المكوس التي تجبى بميناء جدة على مختلف السلع والبضائع التجارية، وفضلاً عن ذلك فرضوا المكوس على السلع التي يبتاعها الحجاج في مواسم الحج، والملاحظ أن هذه المكوس وإن كانت مواردها للمماليك، وأكسبتهم المال لسد خزانة الدولة في مصر ، فإنها كانت عليهم، وعلى غيرهم خسرانا مبيناً ، حيث امتنع التجار عن القدوم إلى مكة والمدينة عن طريق جدة[٢]، يضاف إلى ذلك محاولات البرتغاليين الوصول إلى منابع هذه الثروة مباشرة دون المرور عن طريق البحر الأحمر، ومحاولاتهم هذه بلا شك قد أكسبتهم نجاحاً في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، وبذلك فقد ميناء جدة أهميته، وبدأ في الانهيار[٣].

١ - أوقاف وصدقات السلاطين والأمراء والأعيان على الحرمين الشريفين:

الأوقاف والصدقات موردان اقتصاديان مهمان من موارد المدينتين المقدستين. وقد بلغ مقدار الأوقاف في أيام سلاطين المماليك مبلغاً كبيراً، فما من سلطان مملوكي إلا له وقف في وجه من وجوه البر ، ويعود ذلك في المقام الأول لعمل الخير، واكتساب مثوبة الله تعالى، هذا إلى جانب تحصين أموالهم، وممتلكاتهم من المصادرات. لذلك لجأ سلاطين المماليك في أوقات الأزمات إلى حلّ الأوقاف وإقطاعها، ثم

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ص ٧٨ ، والإصطخري، المسالك والممالك ، ص ٢١ ، وابن جبير ، الرحلة ص ٤٣ ، وابن بطوطة ، الرحلة ص ٥٣ ، والسليمان، العلاقات الحجازية، ص ١٥٩.

(٢) محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما من (٦٢٨ - ٨٢٨هـ/ ١٢٣٠-١٥٢١م)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ/١٩٨٥م، ص ٤٦٤، و فاروق أباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٨٩ هـ/١٩١٨م، ص ٢٩.

(٣) فاروق أباظة، عدن والسياسة البريطانية، ص ٢٩، و فارتيما، رحلات فارتيما - ترجمة عبد الرحمن الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٦٦.

الحصـــول علـــيها بالقوة، وفي أحيان أخرى فرضوا عليها الضرائب[١].وشمل الوقف كثيرا من الأراضي الزراعية والدور ،والرباع ، والوكالات ، والمدارس ،والدكاكين ،والربط ،وغيرها. والواقع أن ازدهار الأوقاف في هذا العصر يعود إلى المماليك الذين وضعوا لها نظاماً مكنها من البقاء والاستمرار. وأول من بدأ بذلك : السلطان الظاهر بيبرس الذي وضع نظاماً راسخاً للأوقاف[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الأوقاف بريعها الوفير، وبأشكالها المتباينة قد أسهمت بشكل مباشر في مساعدة العاجزين والمنقطعين، والمجاورين في الحرمين الشريفين.

وفيما يلي بعض الأمثلة لأوقاف السلاطين، والأمراء على الحرمين الشريفين بشيء من الإيجاز، وتفصيلها سيتناوله الفصل الثاني بمشيئة الله تعالى:

أ – وقف السلطان برسباي على أغوات الحرم المكي الشريف[٣].

ب – وقف الدشيشة الكبرى[٤].

---

(١) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ط١، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٧٠ - ٧١.

(٢) تم الفصل بين الأرزاق بأنواعها من ناحية، وأوقاف الحرمين والأوقاف الخيرية من ناحية أخرى، وأصبحت الأرزاق تابعة لديوان الأحباس، وأوقاف الحرمين الخيرية تابعة لديوان الأوقاف.
وقسمت الأوقاف إلى ثلاثة أقسام: الأولى: الرزق ويقصد بها الأراضي التي كان يمنحها سلاطين المماليك بمقتضى حجج شرعية، أو تقاسيط ديوانية إلى بعض الأشخاص على سبيل الإحسان بدون تعامل. ومنها ما هو موقوف ريعه على المساجد والربط للقيام بمصالحها، والإنفاق عليها. ومنها غير الموقوف، فيصرف ريعه لمن يستحقه، وهذه يتوارثها الخلف عن السلف، وتنحل بانقراض صاحبها.
والقسم الثاني: الوقف العام الخيري (الحكمي) على الحرمين الشريفين، وجهات البر الأخرى ويشرف عليها ناظر الأوقاف.
أما القسم الثالث: الأهلي، الذري، فله ناظر خاص من الواقف، أو أبنائه، أو ولاة السلطان، النويري: نهاية الإرب، ج٩، ص ١٥٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٨، المقريزي، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٤٧٤، الخطط، ج٢، ص ٢٩٥، محمد محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٨، حياة الحجي، نظام الوقف، ص ٥٨.

(٣) حجة مؤرخة في ذي الحجة سنة ١٠٨٣هـ بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة برقم (١٢٧٧، ١٤٧٨، ١٣٩٦، /١ج). حجة وقف السلطان برسباي ،أوقاف، رقم ٨٨٠ق ، مؤرخة في ١٦ من جمادي الآخرة ٨٢٧ هـ ، واستمر ريع هذه الاوقاف إلي العصر العثماني ،وهي مسجلة بارشيف وزارة الأوقاف برقم ٣٠٦ ، مؤرخة سنة ١٠٦٧ هـ .

(٤) **الدشيشة**: في الأصل حسْوٌ يتخذ من بر مرضوض، وكان يطلق على أوقاف الحرمين الشريفين أوقاف الدشيشة، مع أن الأوقاف كانت لإطعام أهالي الحرمين الشريفين من الدشيشة وغيرها. مصطفى محمد رمضان، وثائق مخصصات الحرمين الشريفين إبان العصر العثماني ضمن بحوث مصادر تاريخ الجزيرة، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ج٢، ص ٢٧١.

وهي من أكبر الأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين، ومنها دشيشة السلطان جقمق، ودشيشة السلطان الأشرف قايتباي، ودشيشة السلطان برقوق[١]. وحين تولى السلطان قايتباي المحمودي أضاف مجمـــوعة من القرى، والوكالات ليصرف من ريعها في شراء قمح الدشيشة لفقراء الحرمين الشريفين، وبعد قايتباي ظل يضاف إليه من السلاطين اللاحقين، وكان كلما تولى أحد السلاطين المماليك يضيف إلى هذا الوقف أراضي ودور، وقد استمر هذا الوقف إلى العصر العثماني[٢].

ج – وقـــف السلطان قايتباي، وهو عبارة عن وكالة وحوانيت بباب النصر، يصرف ريعها في مصالح الحرمين الشريفين، ولعمل الدشيشة لأهالي المدينة المنورة[٣].

ومـــن وجوه البر – بعد الأوقاف – الأعطيات ، أو الصدقات التي كانت تغمر أهالي الحرمين الشـــريفين مـــن قـــبل السلاطين،وكبار المحسنين المسلمين في كل مناسبة ، وتجدر الإشارة إلي أن هذه الصـــدقات كانـــت مرتبطة بأحوال بلاد المنفقين يسرا أو عسرا ، كوفاء النيل ، أو انخفاض منسوبه ، خاصة إذا توالي الجفاف لبضع سنوات، حيث يترتب عليه شح الأقوات ،وارتفاع الأسعار ، وغير ذلك مما يؤثر علي اقتصاد البلاد ، وينعكس صداه بالضرورة علي بلاد الحجاز ، حيث يقل أو يتوقف ما يرد إليهم من أعطيات نقدية وعينية .

ومـــن كثرت علي أيديهم الأعطيات : السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، الذي حج في عام ٦٦٧هـــ/١٢٦٨م ، وبوصوله إلى المدينة المنورة زار الرسول ﷺ وتصدق على الفقراء والمساكين، كمـــا عمت إنعاماته أهل مكة، فتصدق عليهم بكثير من الأموال، والأكسية، وأعطى خواصه جملة من الأموال لتوزيعها سراً على كل منزل[٤]. وأعطى أمير ينبع، وأمير خليص، وكبار رجال الحجاز الشيء الوفير، كما أمد أمير مكة بكثير من الأموال والغلال سنوياً حتى يضمن راحة الحجاج[١].

---

(١) دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر إيرادات ومصاريف خزانة عامرة جمعت عن الأوقاف والصرر عن أول توت الواقف، (دفتر رقم ١٠٦م، نوعي٢، ع ٢٩ ن، رقم ٥٨٧٨) سجل الكشوفات المستخرجة من سجل الوثائق والأوقاف السلطانية، وزارة الحج والأوقاف، وكالة الوزارة لشئون الأوقاف، إدارة الحصر والتسجيل بمكة المكرمة، ١٣٤٣هـ.

(٢) الإسحاقي، محمد بن عبد المعطي (ت١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، مطبعة المليجي، القاهرة، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ج٢، ص١٧٨.

(٣) أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة، حجه مؤرخة في ٢٨ من ذي القعدة سنة ١١٨٣هـ، وتشير الحجة إلى بيع حانوتين بخط البندقانيين، ويصرف ريعها لوقف الدشيشة، رقم الوثيقة ١٣١٠/١٢٣٤/ ٢ج. الدفتر الجديد لنقل الكشوفات السلطانية المستخرجة من سجلات وقف السلطان قايتباي القديمة في عام ١٣٩٣هـ، مجلد كبير لا توجد فيه إلا ثلاث صفحات مكتوبة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة.

(٤) ابن عبد الظاهر، (محي الدين عبد الله بن رشيد)، (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ٣٥٥، والقرماني، (أبوالعباس أحمد بن يوسف الدمشقي)، (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،

وفي العـــام نفســـه تواصـــلت إمدادات السلطان بيبرس ، فأعطى الطواشي جمال الدين محسن الصـــالحي[٢] شيخ خدام المسجد النبوي مائتي ألف درهم عندما قدم إليه في مصر، بالإضافة إلى صدقاته على أهل المدينة، وأمره بعمل منبر سُقف بالذهب، ودرابزين حول القبر الشريف[٣].

وتفـــي سنة ٦٨١هـــ/١٢٨٢م، حين بعث أبو نـــمى أمير مكة وفداً إلى مصر مصحوباً بعدد مـــن أشراف وزعماء الحجاز في رفقة ابنه، وقابلوا السلطان المنصور قلاوون، أكرمهم، وأغدق عليهم الكـــثير مـــن هـــباته وعطايـــاه، كما صرف لهم ما كان موقوفاً من أوقافهم، وأرسل معهم الكثير من الصـــدقات والأموال لسكان الحرمين والعلماء، والقضاة، وأصحاب الأربطة والزوايا[٤]، ثم عادوا إلى مكة صحبة الركب المصري والشامي بقيادة أمير الحج الطواشي بدر الدين الصوابي[٥].

ثم تـــوالت إمـــدادات الســـلطان المنصـــور قـــلاوون لأمـــراء الحرمين، ففي ١٣ من شوال ســـنة ٦٨٥هـــ/١٢٨٦م أرسل إلى مكة مائة جمل من جمال السبيل ، صحبة أمير الركب سيف الدين بلبان الحبشي[٦] ، ومعه تشاريف لأمراء الحرمين الشريفين[٧].

القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، ص ١٩٩، والمقريزي، السلوك، ج١، ق ٢، ص ٥٨١، الذهب المسبوك، ص ٤٠، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ٩٦، ٩٧، والرشيدي، حسن الصفا، ص ١٢٥.

(١) ابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ٩٧.

(٢) **هو: جمال الدين محسن الصالحي النجمي الطواشي** ، شيخ المسجد النبوي، وقد رافق القاضي شمس الدين ومعه الجمال والرجال والآلات لعمارة المسجد النبوي، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص ٤٤٩.

(٣) القرماني: أخبار الدول، ص ١٩٩، الكاتب، شافع بن علي (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط١، الرياض، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ١٤٦، والشهري، محمد هزاع، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم المالية، مقدمة لجامعة أم القرى بمكة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (لم تنشر)، ص ٢٤٩.

(٤) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، (ت٨٠٧هـ)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٤٢م، ج٧، ص٢٥٢، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مخطوط مصور بجامعة القاهرة، رقم ٢٤٠٢٨، ورقة ١١٩.

(٥) **هو: بدر الدين الصوابي**، حبشي، وأصله من مماليك الطواشي صواب العادلي، وقد ولى تقدمة المماليك أكثر من أربعين مرة، وشغل وظيفة أمير مائة، وهي المرتبة الأولي من مراتب الأمراء في عصر المماليك ،وتمثل أعلي طبقات الامراء في الجيش في هذا العصر،وكان صاحبه يتكفل بالإشراف علي مائة فارس ، ويقال له أيضا : مقدم ألف ، لأنه يقدم علي ألف فارس ممن دونه،أي يتولي قيادتهم في المعارك، توفي سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م. انظر ابن تغرى بردى، الدليل الشافي، ج١، ص ١٨٣، وحسن الباشا ،الفنون الاسلامية،ج١ ،ص٢٤٩، وج٣ ، ص ١١٢٧ .

(٦) **سيف الدين بلبان الحبشي** لم أجد له ترجمة في كتب التراجم المتداولة.

(٧) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ١٤٥.

وحـــين حج الخليفة العباسي الثاني في مصر الملقب بالحاكم : أبوالعباس أحمد[١] سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م أعطاه السلطان لاجين[٢] سلطان مصر آنذاك سبعمائة ألف درهم، تصدق منها بالشيء الكثير على الفقراء، والحجاج، والمنقطعين[٣].

وقـــد حـــج في العـــام نفســـه أمير العرب مهنا بن عيسى[٤] وعمت صدقاته وعطاياه سكان الحرمين[٥].

وفي سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، حج الأمير بكتمر الجوكندار، وأنفق في حجته الكثير من الأموال والغـــلال، ففـــي ينبع أتاه المحتاجون فلم يرد منهم أحداً، وفرق ما بقي على الناس ممن لم يحضر لغناه ، وفعل مثل ذلك بالمدينتين المقدستين وجدة[٦].

وحـــج الأمـــير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري نائب السلطنة بالقاهرة سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، وعمت صدقاته مكة والمدينة[٧].

أما حجات السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فقد أفاض فيها بهباته، وكثرة أعطياته على

---

(١) **هو: الحاكم أحمد العباس بن محمد بن الحسن** بن أبي بكر بن الحسن، الخليفة الراشد بالله، ثاني خلفاء بني العباس بمصر - خرج من بغداد في موقعة هولاكو، وجمع طائفة من الناس، ولقى الإمام المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله بن الخليفة الناصر لدين الله العباسي، المجهز من ديار مصر لقتال التتار، فلما قتل المستنصر قدم القاهرة، سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م، توفي سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، انظر: المقريزي، الذهب المسبوك، ص ٥٩ - ٦٠، الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٩٣، وشفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٨٦ .

(٢) **هو: السلطان لاجين المنصوري التركي** تسلطن في يوم الثلاثاء السابع عشر من محرم سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، ومات قتيلاً في ليلة الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، المقريزي، السلوك، ج١، ص ٨٥٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٠١، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٣٩٨، الذهبي، العبر، ج٥، ص ٣٨٦.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٩٣، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٢، المقريزي، الذهب المسبوك، ص ٦١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٣٠، وابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق١، ص ٣٩٨، الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص٦١٣.

(٤) **هو: مهنا بن عيسى هو أمير آل فضل**، ويلقب بحسام الدين، وكان وقوراً متواضعاً، توفي سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م. ابن حجر، الدرر، ج٥، ص١٣٨ - ١٣٩، وابن تغرى بردى، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٧٤٧، والفاسي ، شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٦٨ .

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٢، وابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ١٣٠، الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦١٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج١، ق ٣، ص ٩١٧ ، و ابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ١٣٢، الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٩١٤، وابن فهد ،إتحاف الورى ،ج١٣٢،٣، والجزيري،درر الفوائد ، ج١ ، ص٩١٤ ، والرشيدي ، حسن الصفا والابتهاج، ص ١٢٨، والسليمان، العلاقات الحجازية،ص ١٣٧.

(٧) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٣، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ١٥٦، الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٢٢.

أهـــل الحرمين، وكانت الأولى سنة ٧١٢هـــ/١٣١٢م[١]، والثانية سنة ٧١٩هـــ/١٣١٩م ، وتصدق فـــيها بعشـــرين ألـــف ديـــنار، وأحسن إلى المجاورين والمنقطعين[٢] ، إضافة إلى عدد من السفن المحملة بالحبوب، منها سفينتان وصلتا إلى ينبع، وباقي السفن إلى جدة[٣].

ولم ينس أهل المدينة فخصهم بعشرين ألف دينار[٤].وفي حجته الثالثة سنة ٧٣٢هـــ/١٣٣١م وسعت صدقاته أهل الحرمين، وشملت أعطياته أمير مكة الشريف رميثة، فقد خصه بخمسة آلاف دينار، وخمســـمائة دينار لزوجته، خلاف ما أنعم به على أولاده وبناته، يضاف إلى ذلك عنايته بشكوى أهالي الحرمين الشريفين[٥].

وعـــندما زار القاهـــرة عطيفة بن أبي نمي سنة ٧٢٢هـــ/١٣٢٢م شاكياً غلاء أسعار الحبوب لـــمـــا أصاب البلاد من القحط والجفاف لدرجة ارتفع فيها ثمن الإردب من الحنطة إلى مائتين وخمسين درهمـــا، ســـارع الناصر إلى امداد أهل مكة بألفي أردب من القمح سداً لحاجتهم، وتخفيفاً عن معاناة الحجـــاج وغيرهـــم ، وأبطـــل المكوس المفروضة على المأكولات، لأنها من أهم أسباب وجود القحط، وارتفاع الأسعار على ضروريات الحياة، وعوض أمراء الحرمين عنها بأوقاف في مصر والشام[٦].

ولم يـــنس السلطان الناصر محمد بن قلاوون أهالي المدينة، فقد عمت أعطياته أهاليها في أوقات القحـــط في الفتـــرة بـــين سنة (٧٢٠ – ٧٢٣هـــ/ ١٣٢٠ – ١٣٢٣م)، أيضاً أسقط المكوس على المأكولات أيضا ، لأن تجارة الطعام حينذاك كانت تمثل خير تجارات المدينة[٧].

وعـــندما حـــج الأمير سيف الدين يشبك الناصري، بلغت جملة أعطياته لمن بمكة والمدينة من السكان والمجاورين والفقراء والأشراف ما يقدر بثلاثين ألف دينار، وأربعمائة ألف درهم ، غير المراكب المشحونة بالغلال[٨].

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٤٩.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٤، والمقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٠٣ - ١٠٤، وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٦٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٦٤ - ١٦٥، والرشيدي، حسن الصفا والابتهاج ، ص ١٣٢.

(٣) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٠١ - ١٠٢، محمد التهامي، الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية، ص ٨٧.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ١، ص ٤٠٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٥٦ - ٣٥٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٩٨ - ١٩٩، الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٣٨، والرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ص ١٣٤.

(٦) العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٧٢٢هـ، والمقريزي، السلوك، ج٢، ق ١، ص ٢٣٨، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٧٥ - ١٧٦، الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٢٧، حياة حجي، السلطان الناصر ونظامه الوقف، ص ٤٠، سرور، دولة بني قلاوون، ص ١٢٦.

(٧) العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٧٢٢هـ، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، حوادث ٧٢٠هـ - ٧٢٣هـ.

(٨) الشجاعي، تاريخ الملك الناصر، ص ٥٠ - ٥٣، ابن الوردي، تتمة المختصر، ج٢، ص ٤٦٢ - ٤٦٣، المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٧٢.

وفي سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م كان الغلاء وشح الأقوات يعم المدينتين المقدستين، إذ ارتفعت غرارة الحنطة إلى ٦٨٠ درهماً، غرارة الذرة إلى ٤٠٠ درهم، ولم بمكة شيء من الحبوب ولم يوجد بالسوق سوى القليل من اللحم على امتداد شهر، فتدارك – مدبر المملكة في مصر – يلبغا الخاصكي[١] هذا الأمر بإرسال ألفي إردب من القمح إلى مكة، وواصل إرسالاته في البحر حتى وصل إلى مكة اثنا عشر ألف أردب من القمح وسعت كل الناس وعم نفعها الجميع حتى الحاج الشامي[٢].

واتخذ الأشرف شعبان ذلك سياسة له إذ اتفق مع عجلان أمير مكة على أن يرسل إليه كل سنة مائة وستين ألف درهم، وألف أردب من القمح شريطة إبطال المكوس على السلع الداخلية إلى مكة من الحبوب، والخضراوات والتجار، والأغنام[٣].

وما قام به في مكة من إسقاط المكوس طبقه في المدينة، وعوض أمراء الحرمين عنها أموالاً كثيرة[٤].

وقد أكثر السلطان الظاهر برقوق من صدقاته على أهالي الحرمين الشريفين، إذ أرسل سنوياً ثلاثة آلاف أردب قمح إلى الحجاز، وقد كانت له مواقفه في أوقات الشدة، فوزع في أثناء الغلاء بالبلاد آلاف الأرادب من القمح ومنتجاته، فلم يشك أحد منهم جوعاً[٥].

وفي أثناء حج السلطان قايتباي سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م كان يطوف في أنحاء مكة ليلاً بين الناس لتوزيع صدقاته علي فقرائهم، ولم ينس أهل المدينة الشريفة، فحين وصوله إلى ينبع عرج عليها لزيارة المصطفى ﷺ وفرق بها ستة آلاف دينار، وتفقد أحوال الناس، ثم رجع إلى مصر بعد أن قضى في رحلة حجه ثلاثة أشهر[٦].

---

(١) **هو: يلبغا العُمَري الحسني الخاصكي الأتابكي**، أستاذ (الأصل أستادار) الملك الظاهر برقوق، وصاحب الكبش الأمير سيف الدين مدبر الديار المصرية وأصله من مماليك الناصر حسن وهو الذي قتل أستاذه الناصر حسن، فقتله مماليكه ليلة الأحد في ١٠ من ربيع الأول سنة ٧٦٨هـ انظر: ابن تغرى بردى، الدليل الشافي، ج٢، ص ٧٩٣ برقم ٦٧٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص ٣٠٩، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٧٤، العقد الثمين، ج١، ص ٢٠٩، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ١، ص ٩٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ١٦ - ١٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٠٢ - ٣٠٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٦٦.

(٣) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ، علي الحرمين الشريفين ، الرياض ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م ، ص ٨٩-١١٧.

(٤) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ، ص ٨٩-١١٧.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٠٩، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٣٦٠.

(٦) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤٥ - ٦٤٩، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٦٠، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص٢١٧، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٥، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧١٠ - ٧١٥، الجزيري، درر الفوائد المنظمة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ،

وفي عـــام ٦٩٤هـــ/١٢٩٤م حجت عمة صاحب ماردين[١] مع الركب الشامي، وكثرت صـــدقاتها، يقول ابن فهد: "وكان لها محمل كبير، وسبيل، وتصدقت بمال كثير، وانتفع بها الحاج، وأهل الحرمين وأميراهما"[٢].

وفي العـــام نفسه حج "ولد صاحب مصر المجاهد أنس بن العادل كتبُغَا المنصوري في جماعة من الأمراء، والآدر السلطانية[٣]، وحصل لأهل الحرمين رفق كبير منهم "[٤].

٢ ـ نفقات الحجاج في الحرمين الشريفين:

مـــن الله على مكة بالبيت العتيق و جعله الله مثابة للناس وأمنا. قال تعالى: {فليعبدوا رب هذا البـــيت الـــذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}[٥]، ودعوة إبراهيم عليه السلام.وردت في قوله تعالى: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك الحرام ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون}[٦].

وكـــان الحج إلى بيت الله الحرام بمثابة منتدى عام يجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، وتحدث حركة الحجاج في أسواق الحرمين رواجاً هائلاً في حياة سكان مكة والمدينة ، ولا غرو في ذلك، فعشـــرات الألوف من الوافدين لأداء شعائر الحج بمكة، وزيارة المدينة ، كانوا يقيمون فترة طويلة تزيد علي شهرين، ففي مكة كانت إقامتهم بها أكثر من شهر، حتى إذا انقضى حجهم كانوا يمكثون بها عشرة أيام في انتظار إذن أمير مكة لهم بالرحيل الذي لا يتم إلا بعد هذه الفترة ،حتى ينفق الحجاج ما معهم في

ص ٣٤٩ ـ ٣٤٠، عبد اللطيف إبراهيم، دراسات ص ١٣٧، السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

(١) **صاحب ماردين**: هو الملك السعيد شمس الدين داود بن الملك المظفر فخر الدين ألب أرسلان بن الملك السعيد شمس الدين قرأ أرسلان بن أرتق الأرتقي، ابن تغرى بردى، النجوم، ج٨، ص ٥٨، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ١٢٧، وهامشها رقم (٣).

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٣٨٦، وابن فهد، وإتحاف الورى، ج٣، ص ١٢٧، الجزيري، درر الفوائد، ص ٢٨٨.

(٣) **الأدر السلطانية**: يطلق هذا التعبير ويراد به حريم السلطان،والآدر جمع دار ، وكانت في مصطلح العصر المملوكي تطلق علي مقر السلطان ومجالسه،وعلي صاحبات العصمة من علية القوم ، ابن تغرى بردى، النجوم، ج٨، ص ٥٧، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٢٧ وهامشها (١)، وحسان حلاق وعباس صباغ ،المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكيةوالعثمانية ، بيروت١٩٩٩م ص ١٦ .

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم، ج٨، ص ٥٨، وابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ١٢٧، والجزيري، درر الفوائد، ص ٢٨٨.

(٥) سورة قريش، الآيات من ٣ ـ ٤.

(٦) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

شـــراء حاجـــاتهم مـــن الأسواق ، ولا يمكث الحجاج بعد ذلك حتى لا يكونوا عبئاً على كاهل المدينة المقدسة بعد نفاد كل ما لديهم من دراهم[١].

ومـــن أسواق مكة سوق منى، وهو الذي يزداد رواجاً بكثرة ما ينفقه الحجاج فيه من دراهم فترة إقامتهم في منى أثناء أيام التشريق الثلاثة[٢].

وتمدنا وثائق الجنيزة[٣] – التي يرجع معظمها إلى عهدي الفاطميين والأيوبيين[٤]، تمدنا بمعلومات قـــيمة عن أهمية موسم الحج في حركة التجارة الدولية، إذ احتوت بعض وثائقها على نصائح من بعض تجار مصر لشركائهم بعدم التسرع في شراء البضائع حتى عودة الحجاج من مكة.

ومن خلال ما ورد يستدل على أهمية سير حركة التجارة في الموسم بمكة ، وعلى كثرة ما ينفقه الحجاج في موسم الحج ، بكثرة البضائع التي يجلبونها معهم إلى بلادهم من مكة صحبة ركبان حجهم[٥].

ولم تكـــن نفقـــات الحجـــاج مقصورة على الأسواق في مكة، ومنى ، فإنهم أيضاً يحتاجون إلى مطوف[٦]، وإلى مأكل ومسكن وغير ذلك، وكل هذه يوفرها لهم سكان البيت الحرام بمقابل مادي فيه مغـــالاة باهظـــة، وكثيراً ما كان يشكو الحجاج من قسوة المؤجرين، ومغالاة المطوفين، لكنهم مع ذلك يؤمـــنون في أعماقهم بأن لأهالي البيت حقاً عليهم، فيصبرون على أذاهم ويحتملون منهم ملا يحتمل من غيرهم[٧].

---

(١) ابن حوقل، أبوالقاسم محمد ، من أهالي القرن الرابع الهجري، صورة الأرض، ليدن، ١٩٢٨م، ص ٢٩، و البتوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٠٦.

(٢) ابن جبير، رحلته، ص ١٣٣.

(٣) **عن وثائق الجنيزة**، انظر حسنين محمد ربيع، "وثائق الجنيزه وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي" في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٧٩ م، ص ١٣١، ص ١٤٤، أبحاث المستشرق جوتين العديدة، وخاصة: S.D. Goitein. A mediterranean: Society. L. Economic Foundation, Letters and Documents on the India Trade in Medieval Times". Islamic Culture 37 (1963). 188-205.

(٤) Goitein. A Mediterranean Society, 1.19.29.

(٥) حسنين محمد ربيع، "وثائق الجنيزه" ص ٣٥.

(٦) **الطوافه**: كان المماليك الجراكسة يجهلون اللغة العربية، ووجدوا أنفسهم بحاجة إلى من يلقنهم الأدعية المأثورة، ويرشدهم إلى مناسك الحج، وعندما حج السلطان قايتباي ٨٨٤هـ/١٤٨٠م قام القاضي إبراهيم بن ظهيرة بتطويف السلطان وتلقينه الأدعيه، ويحتمل أن يكون هذا اول معرفة لمهنة الطوافة بمكة المكرمة، انظر: النهروالي، قطب الدين، محمد بن أحمد المكي، (ت٩٨٨هـ)، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، القاهرة، ١٣٠٥، ص ١٥٨، محمد كامل حته، لبيك اللهم لبيك، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٧.

(٧) الشيخ غريب بن عجيب، سياحتي إلى الحجاز، ص ٣٥٦، السليمان، العلاقات الحجازية ١٧٢ - ١٧٣

يضـــاف لمـــا ذكـــر مختلف السلع الغذائية التي يأتي بها – في مواسم الحج والعمرة – السرو اليمنيون[١].

وقـــد ذكـــرهم ابـــن بطـــوطة بأنهم: "يجلبون إلى مكة الحبوب، والسمن، والعسل، والزيت، والزبيب، واللوز، فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها – إلى قوله – ولولا أهل هذه البلاد لكان أهـــل مكـــة في شظف من العيش – إلى أن قال – إنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أصيبت بلادهـــم، ووقـــع المـــوت في مواشيهم – وأخيراً قال – وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين"[٢].

ومن نفقات الحجاج أيضاً تلك المكوس التي كانت تجبى منهم بشكل، أو بآخر، نذكر طرفاً منها تأكيداً لذلك باعتبارها مورداً اقتصادياً للمدينتين المقدستين. وبصدد حديثنا عن المكس فإن شعب مكة لـــم يكن وحده المستفيد من الحجاج، لكنهم كانوا أيضا مورداً طيبا لأمرائها الذين أصروا في أحيان كثيرة على أخذ مكس منهم حتى نهاية فترة هذه الدراسة.

ولا جـــدال في أن سلاطين المماليك منعوا أمراء مكة من أخذ المكوس إلا أن هذا المنع لم يكن شـــاملاً ولا دائما، وكثيرا ما أبطله السلاطين، وكثيراً ما أعاده أمراء الحجاز، وكتب حوادث السنين تـــؤكد ذلـــك ، وسيأتي الحديث عنه قريباً بمشيئة الله تعالى في مبحث الأزمات الاقتصادية في الحرمين الشريفين.

---

(١) السرو: هم أهل السروات من بلاد اليمن، الذين يحضرون إلى مكة، ويجلبون الميرة إليها، وكانوا يحضرون في مواسم الحج بأعداد كثيرة قاصدين زيارة قبر الرسول ﷺ، ومعهم ميرتهم إلى مكة على عادتهم، ويستبشر الناس بقدومهم استبشاراً كبيراً، انظر: ابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ٥٤٨، وهامشها رقم ١.

(٢) ابن بطوطة، رحلته، ص ١٦٥ونلاحظ أن ابن بطوطة اقتبس قوله هذا من ابن جبير، ونكرر من أقوال ابن جبير حتى يتضح للقارئ معنا هذا الاقتباس قال: (ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش - أيضا قوله - أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة تجدب ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم، رحلته ص ١١٢، ١١٣.

٣ - المكوس ومراسيم السلاطين في الحرمين الشريفين:

المكوس واحدها مكس، ويطلق المكس على الجباية، كما يطلق أيضاً على مايأخذه العشار، وظاهرة فرض المكوس قديمة، أبطلها الإسلام وشرع الزكاة في أموال المسلمين بدلاً منها[١].

والمكوس بأنواعها كان يتم تحصيلها من الحجاج والتجار بعيذاب، ومن لم تحصّل منه فيها كانت تجبى منه في جدة، وقدرها سبعة دنانير مصرية ونصف دينار على كل حاج، أو تاجر، ومن لم يؤد هذا المكس كان يمنع من دخول مكة، ويعذب بشتى ألوان العذاب[٢].

ويذكر الإدريسي في هذا الصدد عن حجاج المغاربة أنه: في عيذاب يؤخذ المكس من حجاج المسلمين والقاصدين من بلاد المغرب، ومبلغه على كل رأس ثمانية دنانير، ولا يعبر أحد من حجاج المغرب إلى جدة، إلا أن يظهر مكسه، فيجوزه ربابي بحر القلزم، ومن لم يكن معه مكس غرمه الربابي ، وذكر الإدريسي ما يفيد أن ربان المركب إذا حمل من لا يدفع المكس بعيذاب، يلتزم هذا الربان بدفعه في جدة، فإذا رفض عُذب الحاج عذاباً شديداً،[٣] ويرى أغلب المؤرخين أن هذا التعذيب كان يقع على من لا يستطيع دفع المكس بالنسبة للوافدين بحراً عن طريق عيذاب[٤].

وتحدث المقريزي عن مبلغ المكس الذي يدفعه كل حاج، ومكان جبايته، وجزاء من يمتنع عن أدائه قائلاً: (المكس المأخوذ من الحجاج في البحر إلى مكة عن طريق عيذاب، وهو سبعة دنانير مصرية ونصف دينار على كل إنسان، وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب، أو جدة، ومن لم يؤد ذلك منع من الحج وعذب بتعليقه بأنثييه)[٥].

أما حجاج المغاربة الواصلون عن طريق عيذاب، فكانوا - كما ذكر الإدريسي من قبل - يؤدون عن كل رأس ثمانية دنانير .

ثم طلب الناصر صلاح الدين الأيوبي من مكثر بن عيسى صاحب مكة إبطال المكس، وعوضه عن ذلك : مبلغ ألفي دينار، وألفي إردب قمح تحمل إليه كل عام، وإقطاعات بصعيد مصر وجهة اليمن، وقيل إنه عوضه عن ذلك بمبلغ

---

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص ٢٥٢، وإبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٦٩، وبصدد الحديث عن المكس وأمواله غير الشرعية، أفاد بعض المؤرخين أن الأموال الشرعية هي: الخراج أي المال المفروض على الأراضي الزراعية التي ملكها المسلمون دون قتال، وصالحوا أهلها عليها مقابل خراج معلوم لبيت المال، أو الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة، فأوجبوا خراجاً على أراضيها الزراعية، يتناسب مع مساحتها ومزروعاتها، وخصوبتها. أما الزكاة فهي المأخوذة من أغنياء المسلمين لفقرائهم بشروطها الفقهية أخذا وصرفاً. أما الجوالي، فهي جزية واجبة على أهل الذمة البالغين من أهل الكتاب دون غير المكلفين منهم كالنساء، والصبيان، والعبيد والمجانين وغيرهم. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٩٩، ص ١٢٧ - ١٢٨، وأبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم)، الخراج، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح للنشر، ص ١٧، ٢١٩، ٢٥٣، وابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣٠٨، ٣١٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٤٧، والمقريزي، الخطط، ج١، ص ٧، وحسنين ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص ٦٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٩٩.

(٣) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٣٥.

(٤) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص ٢٨، وابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٤٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص ٥٤٠.

(٥) السلوك، ج١، ق ١، ص ٦٤.

ثمانية آلاف إردب من القمح تحمل إليه كل عام إلى ساحل جدة[١]. لكن إبطال المكوس في عيذاب، أو جدة ارتبط بوصول هذه الإعانات من مصر إلى أمراء مكة، فبانقطاعها أو تأخيرها كانت تعود المكوس، ولذلك فإن الحجاج احتجزوا في جدة، ولم يسمح لهم بدخولها، لتأخر الإعانات في عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م، وانتهى الأمر بعد مكاتبة تمت بين الناصر صلاح الدين الأيوبي وأمير مكة، بالسماح لهم بدخولها على أن يضمن الحجاج بعضهم بعضا[٢].

وأهمل خلفاء صلاح الدين ما التزم به صلاح الدين الأيوبي إلى البيت الحرام، فعادت المكُوس حتى عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م، وهي السنة التي حج فيها الظاهر بيبرس البندقداري، ورأى بنفسه تلك المظالم التي تنزل بالحجاج والتجار، فرتب لأميري مكة - أبي نمي وعمه إدريس - عشرين ألف درهم[٣] كل سنة من مصر، شريطة ألا يؤخذ بمكة مكس، ولا يمنع أحد من زيارة البيت الحرام، ولا يتعرض لتاجر بظلم، وإباحة بيت الله للعاكف والباد، ولا يمنع زائر في ليل أو نهار، وسلمت أوقاف الحرمين التي بمصر والشام إلى نوابهما[٤].

وبعد عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م حتى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢ ، كان التنافس مستمرّاً بين مصر واليمن على إغداق الأعطيات على فقراء الحرمين، وتعليق كسوة الكعبة[٥]، ومع ذلك لم يكن هناك إلغاء للمكوس ، إلا إنه في عامي ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، و ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، أبطل أميرا مكة: حميضة ورميثة ابنا أبي نمي شيئاً من المكوس[٦].

وعندما أراد الناصر محمد بن قلاوون إلغاء المكس لم يلغه جملة بل خفف من حدته، فأبقاه على تجارات التجار، وسلع الحجاج الثمينة، وأسقطه عن المأكولات فقط، وعوض في سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، أمير مكة الشريف عطيفة بن أبي نمي عن ذلك بثلثي قرية (دمامين)[٧] بصعيد مصر، أو بألفي إردب قمح تحمل له سنويّا من مصر[٨].

ومنذ ذلك الحين صار المكس على التجارة تقليداً متبعاً يقوم الشريف بتحصيله من جدة، بيد أن الصراع كان حول مقداره، ونصيب كل أمير من الأمراء فيه، ففي سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م مضى الشريف عجلان إلى جدة لتحصيل مكس تجار البحر، وحين طلب أخوه ثقبة نصيبه منه أبى عجلان ذلك، فنشب بينهما صراع أسر فيه عجلان، ثم أطلق سراحه[٩].

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص ٥٣٩ - ٥٤٠، وأبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٣ - ٤، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٣١، والعقد الثمين، ج١، ص ١٨٩، ج٧، ص ٢٧٧ - ٢٧٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٧٨، وعبد الله غازي، إفادة الأنام، ج٢، ص ٦٦٠، وزيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٣١.

(٢) ابن جبير، رحلته، ص ٥٤.

(٣) الدرهم: وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية، استعارها العرب من الفرس، وزن الدرهم الشرعي؛ ٢,٩٧ جرام، عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص ٨ - ٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٥٧١، ٥٧٩، والذهب المسبوك، ص ٨٧ - ٨٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٩٧.

(٥) أحمد دراج، إيضاحات جديدة، ص ١٩٩.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٧، ص ١٤٢، وأحمد السباعي، تاريخ مكة، ج١، ص ٢٦٤.

(٧) دمامين: قرية كبيرة بالصعيد شرقي النيل، على شاطئه فوق قوص، عليها بساتين نخل كثير، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٥.

(٨) يلاحظ أن الملك الناصر محمد قلاوون قد حج في سنة ٧١٩هـ.، وأبطل سائر المكوس، وعوض أميري مكة والمدينة بإقطاعات في مصر والشام، لكنه كمن سبقه لم يلتزم بما كان عليه السلطان الظاهر بيبرس تجاه أهل بيت الله الحرام، ولم يقنع أمير مكة الشريف عطيفة بهذا المبلغ، فاشتد في جباية المكوس من الحجاج، وكانت الفتنة بين هذا الشريف وأمير الحج المصري، وكثيراً ما كانت هذه الفتن تتوج أخيراً بالصلح، المقريزي، السلوك، ج٢، ق ١، ص ١٩٧، ٢٣٦، وابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ٥٩، وابن إياس، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٦٥،والفاسي ، شفاء الغرام ج٢، ص١٩٤، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص٦٢٧، والرشيدي، حسن الصفا والابتهاج، ص ١٣١، ١٣٢.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٨٨٧.

وفي سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، تجاوز الأمير عجلان حد الاعتدال، ففرض ضريبة على كل نخلة بوادي مر تراوح مقدارها بين درهمين وأربعة دراهم، لقلة ما بيده بسبب عدم قدوم تجار اليمن إلى مكة بأمر من المجاهد صاحب اليمن انتقاماً من أمراء مكة للدور الذي لعبوه في أسره بمنى سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، ثم حمله إلى مصر [مقيداً، فلما أطلق سراحه أراد أن يرد عليهم بتعطيل طريق التجارة بين بلاده وبلاد الحجاز، فاضطر عجلان إلى فرض ضريبة النخيل، وباستمرار منع التجارة من اليمن، استمر عجلان في زيادة الضرائب وفرض ضرائب جديدة ضاق بها الجميع، ووصلت شكاواهم إلى الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الذي كان ساخطاً على أشراف مكة ونظامهم بها، فأرسل في عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م جنداً صحبة الشريفين: محمد بن عطيفة، وسند بن رميثة، وانصلح حال مكة بعدها حيث رفع عنها الجور، وانتشر العدل، وأسقط المكس عن المأكولات، فجلبت الأقوات، وانخفضت الأسعار حتى عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م أي مدة إقامة الحملة بمكة[١].

ويبدو أن أكثر ما كان يثير نفوس الحجاج والناس هو: (مكس الطعام)، إذ أنه كان يمس جميع الناس في حوائجهم الضرورية، فعندما أقر السلاطين بحق الأشراف في جباية المكوس على التجارة والسلع لم يتمكنوا من تجاهل كثرة شكاوى من بالحرمين الشريفين بخصوص مكوس الطعام، وعملاً على راحة الحجاج، وسكان الحرمين ألغيت هذه المكوس، فالناصر محمد بن قلاوون عمل على إلغائها سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، ثم ابنه الناصر حسن سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، ثم الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون كذلك في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، وقد ألغى الأخير كل المكوس على الأطعمة عدا ما يحمله تجار الكارم[٢]، وتجار الهند والعراق، وعوض أمير مكة مائة وستين ألف درهم[٣]، وألف إردب من القمح، وكتب بذلك ثلاثة محاضر، منها واحد بمكة، وواحد بالمدينة وواحد بمصر ويذكر الفاسي، ومن نقل عنه أن المبلغ: ثمانية وستون ألف درهم[٤].

ويبدو أن عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، قد بلغت الأمور فيه درجة عظيمة من السوء، إذ بلغت الضرائب مداها لذا يقول الفاسي: "بلغني أن بعض الناس جلب شاة فلم تساو[٥] المقدار المقدر عليها، وبذلك صارت المكوس

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٠٥، ص ٢٤٨، ص ٢٨٤، والعقد الثمين، ج١، ص ١٩٥، ج٦، ص ٦٤ - ٦٥، وأبوالمحاسن، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣١٦، ج٥، ص ١٥٩، والمقريزي، السلوك، ج٢، ص ٨٨٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٦٣، ٢٧٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٥٧، وريتشارد مورتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة، ص ١٧٨.

(٢) تجار الكارم: جماعة تجار الصادر والوارد بمصر وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى في العصور الوسطى، أيضاً هم أرباب المال والأعمال المصرفية الأخرى في الشرق في تلك العصور، وأصلهم مازال غامضاً، المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٨٣٧ حاشية رقم ٢.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٥٨ - ٢٥٩، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٩٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ١٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٦٣.

(٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٩، والسباعي، تاريخ مكة، ج١، ص ٢٨٤.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٨٥، ص ٢٨٥، ٢٧٤، والمقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٩٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٠٢ - ٣٠٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ١٦-١٧.

على الشاة أكثر من ثمن الشاة نفسها، وأمام هذه الشدائد المصحوبة بقوة أمراء الحجاز اشتدت عناية وحرص سلاطين المماليك على التخفيف عن كاهل أهالي الحرمين والوافدين إليهما، فبينما كان أمراء الحرمين يفرضون مكوسا في تلك الفترة على كل ما يباع ويشترى في الأسواق، أو يأتي بصحبة ركب الحاج، زاد تأكيد السلاطين على التخفيف من هذه المكوس ليس فقط فيما ينقش على قطع الرخام التي تعلق على أبواب الحرمين الشريفين بل في وثائق الوقف الخاصة بوقف بعض الأملاك على شئون الحرمين الشريفين.

ولم يقنع أمراء المدينة بما تم وقفه عليهم نظير قيامهم بإلغاء المكوس، فقد كانوا ينتهزون أي فرصة لتجديد فرضها، على الرغم من وصول الأموال الموقوفة لهم مع ركب الحاج المصري، وفي إشارة إلى حجة قايتباي سنة ٨٨٤ هـ/ ١٤٧٩م، قال السمهودي: "وفرق بالمدينة الشريفة مالاً جزيلاً ... ودفع إليَّ - أي السمهودي - على يد إمامه ... جزءا وافراً، تكلمت معه في رفع مكوس المدينة، وتعويض أميرها عن ذلك شيئاً، فأفهم الوعد به ثم أشار إلى مرسوم السلطان قايتباي بإلغاء المكوس وتعويض أمير المدينة الشريفة عنها، وأنه وقف أماكن كثيرة يتحصل منها نحو سبعة آلاف وخمسمائة إردب من الحب كل سنة، لعمل سماط لأهالي المدينة[١].

وأفاد الفاسي أن المكس كان يفرض على كل نوع يدخل إلى مكة والمدينة، فقد كانت المكوس تؤخذ على كل مايؤكل وما يجلب إلى المدينتين من حبوب وخضراوات وثمار، إضافة إلى الغنم والخشب، وكل ما يباع بهما من السمن والعسل والثياب، وغير ذلك[٢].

واستمر الحال على ذلك إلى أن أصبحت مكة في عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م دار مكس، وبخاصة عندما نودي يوم عرفة: يا معشر الناس من اشترى بضاعة، وسار إلى غير القاهرة، حل دمه وممتلكاته للسلطان، وعلى ذلك، فقد سافر التجار القادمون من جميع الأقطار صحبة الركب المصري، لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم، وإذا كان سفرهم من القاهرة إلى بلادهم الكوفة والبصرة جبي منهم المكس ببلاد الشام وغيرها[٣].

وفي يوم الخامس من ربيع الأول سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م وصل مرسوم السلطان الظاهر جقمق من مصر إلى الشريف أبي القاسم أمير مكة بأنه بلغ السلطان أنك أحدثت بمكة المكوس، فيجب إزالتها[٤].

وفي يوم ١١ من ربيع الأول سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م، قرئ مرسوم لناظر الحرم بردبك التاجي[٥] بإسقاط مكس بجيلة[٦]، وكتب ذلك على باب المعلاة في ١٨ من محرم سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م[٧]، وقد أرسل الأشرف قايتباي (في سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م) خلعة لمحمد بن بركات أمير مكة، تأكيداً لإمرته على مكة، وخلعة لقاضي مكة

---

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧١٣ - ٧١٤.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٨٥.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٨١، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٠٤ - ٧٠٥، والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٢٠٥، وعلي السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٦٥.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ١٩٣، والسليمان، العلاقات الحجازية، ص ١٦٤.

(٥) **بردبك التاجي الظاهري**: من مماليك الظاهر جقمق، ومن خواصه، رقاه إلى أن صار خاصكيًا، ثم أمير عشرة، وجعله من رؤوس النوب، وتوفي سنة ٨٨٢هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٨٥.

(٦) **بجيلة**: قرية بالبادية حول الطائف، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٤٩.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٢٢٩.

برهان الدين بن علي بن ظهيرة[١]، ومرسوما بقضائه لمكة، وأبطل كل المكوس، وجميع المظالم، وحفر ذلك على أسطوانة بباب السلام بالمسجد الحرام[٢].

ولم يرد في المصادر المعاصرة شيء عما كان يجبى في مكة من مكوس، ولا عن إلغائها، بعدما فعله قايتباي سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م.

٤ - ميناءا جدة وينبع، ودروهما في إنعاش الحالة الاقتصادية في الحرمين الشريفين:

ميناء جدة :

أ - أهمية ميناء جدة الاقتصادية لإمارة مكة المكرمة :

تقع جدة على ساحل البحر الأحمر، وقد اتخذها عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فرضة لمكة بدلاً من الشعيبة[٣]. وهي على بعد مرحلتين من مكة بالسفر البرى تستغرق يوماً واحداً[٤]، قيل إن الفرس بنوها، وجعلوا لها سوراً لتحصينها[٥]، ويعمل أهلها بالتجارة، وقد زارها الرحالة العرب، وسجلوا ما شاهدوه في مؤلفاتهم المعروفة التي تصف رحلاتهم، فابن جبير[٦] في حجه سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، أفاد أن جدة على ساحل البحر الأحمر، بيوتها أخصاص، إضافة لفنادقها[٧] المبنية بالطوب والحجارة، وأشار إليها التجيبي[٨] في حجه سنة ٦٩٦ هـ/١٢٩٦م قائلاً إنها مركز لقدوم المسافرين إليها، وإقلاعهم منها إلى عيذاب بمصر أو اليمن، وتوافق وصف ابن بطوطة[٩] مع وصف ابن جبير لها.وأفاد ابن شاهين[١٠] - ت٨٣٣هـ/١٤٦٨م - بعد ثنائه على مينائها، أنها يرد إليها سنويّا ما ينوف عن مائة مركب.

---

(١) **برهان الدين بن ظهيرة:** تولى القضاء سنة ٨٦٢هـ، فاشتغل بنظارة الحرم وقضاء مكة، وكان السلاطين وأمراء مكة يقدرونه ويقربونه لعلمه الفياض، وله عدة اشتباكات مع الأشرف قايتباي، وتوفي سنة ٨٩١هـ، انظر ابن إياس، بدائع الزهور، حوادث سنة ٨٩١هـ.

(٢) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٣٧٠، والعصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٤٣، والنهروالي، الإعلام، ص ٣٢٣، وزيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ١٥٠، وأنور شكري، لوحان أثريان، ص ٢٦، ومحمد الفعر، الكتابات والنقوش في الحجاز، ص ٥٩.

(٣) **الشعيبة:** مرفأ مكة، ومرسى سفنها، وتقع على ساحل البحر الأحمر، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥١.

(٤) Peters, Mecca, P.169

(٥) لما أسلم سلمان الفارسي، قصده أهله، واسلموا على يد النبي -ﷺ- واتجهوا إلى جدة لأنهم كانوا تجاراً، وقيل: قصد جدة بعض أهل سيراف، وشيدوا بعض عمرانها، فبنوا سورها، وخندقاً محيطاً بها، وصهاريج مياه داخل جدة وخارجها، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٤٣.

(٦) ابن جبير، رحلته ص ٥٣.

(٧) **الفندق:** بناء محاط بسور، ويتألف الفندق من عدة طوابق، الأرضي للمستودعات، ويسكن التجار أدواره العليا، المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٢، وسعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، ١٩٦٢م، ص ٥٥.

(٨) التجيبي، مستفاد الرحلة، ج١، ص٢١٩.

(٩) ابن بطوطة، رحلته، ص ٢٤٢.

(١٠) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٤.

ومن خلال إشارات المؤرخين لأهمية جدة يتبين أنها لم تكن مرفأ مكة فحسب ، بل أصبحت مرفأ الحجاز، وأول ميناء للمماليك على البحر الأحمر، لأنها لعبت دوراً بارزاً في جلب المتاجر إليها من بقاع العالم كله، شرقه وغربه، الأمر الذى انعكس بشكل مباشر على مكة المكرمة، فأقيمت فيها الأسواق العالمية وقت مواسم الحج[١].

وقد انفرد ميناء جدة بعدم استقباله للمراكب الأجنبية، فلايسمح لغير المسلمين بالإبحار فيه، لوجود الأماكن المقدسة بمكة والمدينة[٢].

وقد أفاد الرحالة فارتيما أن وقت الإبحار كان نهاراً لا ليلاً ، بسبب كثرة الجزر في البحر، التى لايراها من يعلو صارى المركب ليلاً[٣].

ويرجع ازدهار ميناء جدة في تلك الفترة إلى عوامل مساعدة، كقيام دولة المماليك في منتصف القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد كان مصحوباً بازدهار طريق البحر الأحمر من الناحية التجارية، واضمحلال ماعداه من الطرق البرية التجارية الرئيسية بين الصين وآسيا الصغرى، بسبب التوسع المغولى نحو الغرب، وسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[٤].

ولم يبق إزاء هذا طريق آمن لإبحار السفن ونقل المتاجر إلا البحر الأحمر، الذى امتد إليه النفوذ المملوكي بخروج الظاهر بيبرس إلى الحجاز في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م ، بسبب امتداد النفوذ المغولي إلى بلاد الشام وآسيا الصغرى، وهذا الغزو بلاشك أدى إلى انعدام الأمن حيث زاد قطاع الطرق من مهاجمتهم للقوافل التجارية[٥].

وأصبحت عدن من أهم محطات التبادل التجاري ، لموقعها الاستراتيجي الذي يتحكم في مدخل البحر الأحمر الجنوبي ، وبذلك تأهلت اليمن للقيام بدور مهم في التجارة بين الشرق والغرب [٦]. ، وكان لموقع عدن علي إحدى الطرق التجارية المهمة أثر بارز في حياتها السياسية والاجتماعية والتجارية ، ونظرة في خريطة طرق التجارة العالمية تشير إلي أن عدن تكاد تكون عقدة تلك الطرق التجارية التي تتجمع عندها ومنها تنطلق.

ولكن ميناء عدن فقد أهميته في عهد الدولة الرسولية سنة ٦٢٨-٨٥٨هـ/ ١٢٢٩-١٤٥٤م المعاصرة لدولة المماليك في مصر، نظراً للإجراءات التعسفية المتمثلة في فرض الضرائب الباهظة على مايحمله التجار من

---

(١) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص٢٣، وحسنين ربيع، وثائق الجنيزة وأهميتها، ص١٣٥، وهايد، تاريخ التجارة، ج٢، ص٢٩٤، وفارتيما، رحلات فارتيما، ص٥٣.

(٢) نعيم زكي، طرق التجارة، ص٣٠٣، ومحمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٤٤٩.

(٣) رحلات فارتيما، ص ٦٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٩٧، والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٨٥، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٠.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص١٧٧، والعيني، عقد الجمان، ج٢، ص٤٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٩٣.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٤، وياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٨٩.، محمد أحمد محمد ، عدن من قبيل الاسلام ، حتى إعلان الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، ، دراسة اجتماعية ، ط١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة(د.ت) ، ص ١٥ .

بضائع، والمبالغة في ذلك إلى الحد الذي كان يتم فيه نزع قلاع كل سفينة، ودفتها، حتى لاتبحر قبل دفع الضرائب المفروضة عليها[١].

وازدادت حدة هذه الاجراءات في ميناء عدن في عهد أحمد بن إسماعيل بن عباس الرسولي، حيث أساء إلى التجار القادمين إلى عدن[٢] ، وبسبب هذا العنت والتعسف ، أخذ التجار يبحثون عن ميناء آخر لتفريغ بضائعهم، فوجدوا أن أقرب ميناء لهم هو ميناء جدة، وهكذا كانت جدة ميناء رئيسيا في مجال التجارة البحرية[٣].

وكان عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م نقطة تحول مهمة في تاريخ ميناء جدة التجارى، إذ قدم من كاليكوت[٤] من الهند ناخوذة[٥]، واسمه إبراهيم[٦]. وحين مرور المذكور على باب المندب سار بعيداً، ولم يتوقف في عدن واتجه بطراده[٧] إلى جدة بعيداً عن أحمد بن إسماعيل الرسولي صاحب اليمن، لسوء معاملته للتجار، وبوصوله إلى جدة استولى حسن ابن عجلان أمير مكة على مامعه من سلع، وطرحها على التجار بمكة، وبالأسعار التى حددها لهم[٨]، ولم يعلم هذا الأمير أن الناخوذة لم يتوقف عند عدن، وما إن علم السلطان الأشرف برسباى بذلك حتى أرسل إل□ أمير مكة كتابا لامه فيه على مافعله، وأمره برده في عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م[٩]. وعلى الرغم من ذلك فقد عاد التاجر الهندي عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م، ولكنه توجه إلى سواكن[١٠] ودهلك[١١]، فوجد المعاملة نفسها، فقرر العودة إلى ينبع، وفي طريقه إليها مر بجدة فأقنعه شريف مكة الأمير على بن عنان بن مغامس بالرسو فيها، فدخل جدة، وعومل معاملة حسنة شجعته على العودة إليها بأربعة عشر مركباً في العام التالي[١٢].

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٨-١٣٩، وحسنين ربيع، وثائق الجنيزة وأهميتها، ص١٣٤، وهايد، تاريخ التجارة، ج٢، ص٢٩.

(٢) هو: أحمد بن إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن يوسف بن رسول، ملك بعد أبيه في ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ، وتوفى في ١٦ من جمادى الآخرة، ٨٢٧هـ، ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٤٩، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٢٣٩.

(٣) Peters, Mecca, p.158 .

(٤) **كاليكوت**: ولاية من ولايات الهند، يجلب منها التوابل ، ابن بطوطة، رحلته ص٥٦٤.

(٥) **الناخوذة** : ربان السفينة، وهي كلمة فارسية مركبة من لفظين (نا) بمعنى سفينة، (خوذه) بمعنى سيد، جورج حوران، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، تصدير: يحيى الخشاب، ص١٩٩، وسعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٢٧٤.

(٦) هو أحد الربابنة الهنود، شنقه شاهين الغثماني شاد ديوان جدة سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، لأن إبراهيم المذكور قتل الخواجا دَيْوانه الكيلاني في البحر، وهو متوجه من كاليكوت إلى مكة بسبب عداوة بينهما، وساعده على قتله بعض التجار، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص١٧-١٨.

(٧) **الطراد**: سفينة صغيرة سريعة السير، سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٥٣.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٨١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٥٨٨.

(٩) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص١٤٥، وعبدالعزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص٣٤١.

(١٠) **سواكن**: أحد موانئ السودان علي البحر الأحمر قبالة ميناء جدة ، ومنها كان يحمل العبيد والاماء إلي سائر الافاق ، الهمراني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٨ .

(١١) **دهلك**: جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد الحبشة واليمن، وفيها مغاص اللؤلؤ الجيد،ومنها كان ينقل العبيد والإماء إلي سائر الآفاق، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٢، والحميري، الروض المعطار، ص٢٤٤.

(١٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص١٤٨، والمقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٨١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٦٠٦.

وأمام هذا الرواج أحس السلطان برسباى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧ م) بأهمية مايصل إلى جدة، وقيمة دخلها التى يمكن أن تستفيد خزانته منها، وخشية أن ينفرد أمير مكة بالرسوم على السفن الهندية، بادر وأرسل (في سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م) أحد مسلمي القبط، وهو سعدالدين إبراهيم بن المرة، فوصل إلى مكة، وصحبته الأمير أرنبغا[١] رأس نوبة[٢]، وشاهين العثماني[٣] شاد[٤] لديوان ساحل جدة، وبعض المماليك السلطانية، وأخذ العشور[٥] من الأربعة عشر مركباً التى وصلت بندر جدة لأمر السلطان[٦].

وقد شعر التجار بالراحة في مكة وجدة ، لما يلقونه من حسن معاملة، بعكس ما يحصل في عدن، لذا تركوه، واتخذوا بندر جدة عوضه[٧]. ولم يكن بعد ذلك أعمر من جدة، ولا أكثر منها تجاراً يبيعون ويبتاعون، ويقايضون على كل صنف، ويزيدون في كل سنة[٨].

واهتم الأشرف برسباى بجدة، فجعلها أهم ميناء تجاري في منطقة البحر الأحمر، وأنشأ أحواضاً للسفن في مينائها،وجعل حاكمها في مرتبة حكام الإسكندرية، وطرابلس[٩].

وفي عام ٨٢٨هـ/١٤٢٤م أصبح نظر جدة وظيفة سلطانية، يتوجه سنويّا شاغلها إلى جدة حين تأتى مراكب الهند لأخذ العشور[١]. وقد بلغ ماحُمل إلى خزانة الأشرف برسباي في العام المذكور مايزيد

---

(١) **أرنبغا**: سيف الدين بن عبدالله البرنسي الناصرى، فرج، من المماليك الذين تدرجوا في الخدمة حتى صار أمير عشرة، ورأس نوبة في عهد الأشرف برسباى، توفي سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م بالقاهرة، المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٨٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص٢٧١.

(٢) **رأس نوبة**: هي الوظيفة الثالثة من الوظائف العسكرية، مهمتها الحكم على المماليك السلطانية، والأخذ على أيديهم، وتنفيذ أوامر السلطان فيهم، واختيارهم من الخاصكية، وأعدادهم في البداية عشرة، ثم زادوا، وتتفاوت رتبهم، فكبيرهم أمير مائة مقدم ألف، ويليه ثلاثة من أمراء الطبلخانة، ومعظمهم له إمرة أربعين فارساً، وقد يزيدون إلى السبعين، ورئيسهم يسمى رأس نوبة النوب، العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص٩٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص١٨، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣٠، ١٣١.

(٣) **هو: سيف الدين شاهين العثماني** الأشرفي الطويل، أحد أمراء العشرات، ولي مشد ديوان جدة عام ٨٢٨هـ/١٤٢٤م، ٨٣٠ هـ/١٤٢٦م، ٨٣١هـ/١٤٢٧م، ٨٣٢هـ/١٤٢٨، المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٨٥٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٥٥.

(٤) **شاد الدواوين**: وظيفة من وظائف الشدود، وهي الوظيفة التاسعة عشرة من الوظائف المملوكية التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان، وصاحبها يرافق الوزير، ووظيفته استخراج الأموال السلطانية التى تقررت في الديوان، وشغلها في البداية أمير الطبلخانة، ثم أمير عشرة، ثم من أجناد الحلقة، ولفظ الشاد استخدم في العصر المملوكي للدلالة على وظائف مختلفة مثل شاد الأوقاف، وشاد الدواوين، وهكذا، السبكي، معيد النعم، ص٢٨، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢.

(٥) **العشور**: ضريبة مالية قدرها العشر من قيمة البضائع المختلفة، محمد أمين صالح، تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسه، وندوة عن: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠م، ص١٦١.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٨٠، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص١٩٣، والنجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٧٢.

(٧) تأثر مركز عدن التجاري، ولم يعد الميناء الرئيسي لاستقبال التجار . الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٦.

(٨) الخالدي، المقدس الرفيع، ص١٥٤.

(٩) Peters, Mecca, P.161

على سبعين ألف دينار ذهب، وارتفع إلى أكثر من مائتى ألف دينار ذهب في أوائل النصف الثانى من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادى، حيث زاد عدد السفن إلى ألف وخمسمائة سفينة[٢].

وقد ترتب على ما سبق ذكره ازدياد أهمية البحر الأحمر الذي كان مرور المتاجر به يعرف باسم متاجر العبور، وسيطرت عليه الدولة المملوكية، ومنعت الأجانب من دخوله لوجود الأماكن المقدسة، كما أحكمت سيطرتها عليه بإيجاد وظيفة مباشر الختم[٣]، واختصاصه: الختم على الحمولات الصادرة والواردة بعد استيفاء الضرائب المقررة عليها، ومقر وجوده في مراكز الجمارك والأسواق الرئيسية .

ب - الوظائف الإدراية والمالية في ميناء جدة :

كانت جدة تابعة إداريًا لإمارة مكة، وأميرها يعين من قبل أمير مكة لتحصيل صدقاتها ومكوسها، ولحراسة عمالتها[٤]. وحين زارها ابن جبير في حجه سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م أكد ذلك وقال: (وكان نزولنا بدار القائد علي بن الموفق، وهو صاحب جدة من قبل أمير مكة مكثر بن عيسى)[٥]، وزارها التجيبي في حجه عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م وقال: (وبهذه المدينة عامل من قبل الشريف نجم الدين أبي نمى الحسنى ملك مكة يقبض له مكوسها)[٦] ، كما زارها ابن بطوطة في حجه عام ٧٢٩هـ/١٣٢٨م وأفاد أن أميرها هو يعقوب بن عبدالرزاق، وكان أمير مكة آنذاك عطيفة بن أبي نمى[٧].

ومن خلال ماذكر يتضح أن أمير جدة في كل العصور كان تابعاً لأمير مكة في جباية المكوس المالية لصالحه، وحتى منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، لم يحظ التأريخ لأمراء جدة بالاهتمام المناسب من مؤرخي مكة، مثل الفاسي وغيره، وربما يعود ذلك إلى اهتمامهم بمكة باعتبارها أهم مدن الحجاز، وحتى عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م لم نجد ذكراً لجدة إلا مع تكرارها كمكان لتحصيل الموارد المالية لإمارة مكة، وأيضاً ماانفرد به ابن بطوطة بذكر نائب جدة كما سبق، والعام المذكور هو الذى استخدم فيه الشريف حسن بن عجلان جابر بن عبدالله الحراشي بجدة بتفويض له في كل مايصل إلى جدة من الشام واليمن[٨].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٠٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٧٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٦٢١.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٤، والمقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٨٠، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٩٦، ٢٢٥، Peters, Mecca, P.161 .

(٣) صبحي لبيب، التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، ١٩٥٢م، ص٤٢، وعن مباشر الختم ، ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص٣٢٦.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٣٥، والإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٩.

(٥) ابن جبير، رحلته ص١٥٤، ولا توجد ترجمة للقائد علي بن الموفق، أما مكثر بن عيسى بن فليتة فهو أمير مكة، تداول إمرتها مع أخيه داود عام ٥٧١هـ/١١٧٥م، وتوفي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٢٧٨، وانظر المبحث الأول من الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٦) التجيبي، مستفاد الرحلة، ج١، ص٢١٩.

(٧) ابن بطوطة، رحلته ص٢٤٣، وأبويعقوب بن عبدالرزاق، لاتوجد له ترجمة سوى ماذكره ابن بطوطة.

(٨) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٤٠٠، ج٤، ص١٠١، ١١٤، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص١٣٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٤٣٥، وانظر ترجمة الشريف حسن بن عجلان في الدوافع السياسية من هذا الفصل .

وحسن اختيار ابن عجلان لجابر المذكور في أن يكون نائباً عنه في ميناء جدة كان له أثره في ازدهار بندر جدة، حيث إنه كان تاجراً لذلك عينه فيها، وأعطاه صلاحيات واسعة بشأن النشاط التجاري والجمركي في الميناء، فعمر الفرضة بجدة ليحاكي بها فرضة عدن، وعلى الرغم مما قام به في خدمة حسن بن عجلان لدرجة لم ينهض بمثلها أحد من خدامه فيما مضى فإن ابن عجلان قبض عليه لتصرفات منه أزعجت ابن عجلان، لكنه أطلق سراحه، فتوجه إلى اليمن، ثم إلى مكة، فأعاده ابن عجلان لنيابة جدة مرة أخرى، ولكنه عزله، وسمح بإقامته في ينبع، ثم طرده منها، فاتجه الحراشي إلى مصر، وأخذ يؤلب السلطان الأشرف برسباي على حسن بن عجلان، فطرده من مصر، فغادرها إلى مكة حيث طلب العفو من شريف مكة حسن بن عجلان، فعفا عنه، وفوض إليه أمر جدة، فحصّل له مالاً كبيراً[١] ، لكنه تغير عليه في سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م لتأييده لابن أخيه رميثة بن محمد بن عجلان، وانتهى أمر جابر الحراشي بعد أن قبض عليه حسن بن عجلان، وشنق عام ٨١٦هـ/١٤١٣م عند باب المعلاة[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى أنه منذ عام ٨٢٨هـ/١٤٢٤م أصبح نظر جدة وظيفة سلطانية، وأول من شغل هذه الوظيفة هو سعد الدين إبراهيم بن المرة[٣].

واسم هذه الوظيفة نظر جدة، أو ناظر جدة، أو ناظر خاص جدة، وهي من الوظائف المدنية، ولفظ ناظر يطلق على المشرف، وخاصة المشرف المالي، وهي من وظائف نظار الثغور في دولة سلاطين المماليك، ومن يتولاها يتحتم عليه أن يكون عارفاً بالأمور الجمركية ، وبالعلوم الرياضية، يقول القلقشندي: (إن ناظر الخاص، أو الخواص من الوظائف الجليلة، فهو يتحدث فيما هو خاص بحال السلطان من واردات ومنصرفات، ولابد أن يكون عارفاً بأمور الحساب والتحصيل، وأن يعمل على تثمير متحصل السلطان..)[٤].

والمتبع في هذه الوظيفة أن يحضر صاحبها كل عام في وقت حضور المراكب الهندية ليمارس وظيفته في تحصيل الأموال للسلطان المملوكي في مصر، وقد يجمع شخص واحد بين الوظيفة المذكورة - ناظر جدة - ووظيفة أخرى هي وظيفة المباشر.

ففي سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م وصل ابن المرة إلى جدة مباشراً للديوان بساحل جدة، وناظراً على جدة، وهو في كلا الوظيفتين يؤدى دوراً واحداً، وهو جمع أموال العشور[٥].

وقد يكون حضور صاحب هذه الوظيفة بعد سفر المراكب سفرها أحياناً، وحدث هذا في سنة ٨٣١ هـ/١٤٢٧م، فقد حضر ابن المرة بعد مغادرة المراكب الهندية لكنه تسلم الحواصل وتصرف بأن باع وقبض

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٤٠١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٥١، ٤٧٠.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٤٠٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٦٨٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٢٧، والمنهل الصافي، ج١، ص ١٩٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٦٢١.

(٤) صبح الأعشي، ج٥، ص٤٦٥.

(٥) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٦٣٧.

الثمن، وصرفه على حمول البهار، وأكرى عليها في البر بصحبة إحدى القوافل المتجهة إلى مصر، وسافر صحبة الركب المصري[١].

ومما ذكره المؤرخون أن صاحب هذه الوظيفة كان له مساعدون في ميناء جدة سنوياً كانوا يحضرون ويحصلون المكوس من التجار الهنود. وفي عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م تولى وظيفة نظر جدة أحد العسكريين من المماليك، فقد وصل في شعبان من نفس العام اسنبغا الطيارى[٢] أحد أمراء العشرينيات[٣]، مقدم الأجناد البريدية[٤]، وناظراً على جدة بدلا من سعدالدين بن المرة[٥].

وفي عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م خُلع على نكار الخاصكي[٦] شادا لجده، وعلى علم الدين عبدالرزاق المكي[٧] عوضاً عن ابن المرة، وتوجها إلى جدة[٨]. وتغيير من يتولى وظيفة نظر جده كانت من سياسة الأشرف برسباى حتى لايصبح خطراً على الدولة، فابن المرة أعاده مرة بعد أخرى إلى وظيفة ناظر جدة ، وفي عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م وصلت الرجبية وفي صحبتها ابن المرة، ومعه الأمير جان بك الناصرى[٩] ليكون مقدماً على المماليك بمكة[١٠].

واستمر ابن المرة في أداء مهام وظيفته على الوجه الأكمل، وأبقى عليه الأشرف برسباى لمقدرته، على الرغم من تشككه في إخلاصه، حتى سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م[١١] ، وقدم ابن المرة على عادته ناظراً خاصّا على جدة، ومعه التاجر بدرالدين حسن بن المزلق[١٢].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٨٠، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٤، ص١٦، ٢١.

(٢) هو: أسنبغا بن عبدالله الناصري الطيارى رأس نوبة النوب، الذي ينسب لأستاذه سودون الطيارى، وبعد وفاته كان بخدمة الناصر فرج، وصار من الدوادارية الصغرى، وفي عهد السلطان برسباى صار أمير عشرة، ثم مقدم البريدية، ثم توجه شادا إلى جده، وفاته في ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، انظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص٤٥٧، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١١.

(٣) أمير العشرينيات هو أمير العشرين أى تحت امرته عشرون مملوكاً، انظر القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١٥.

(٤) الأجناد البريدية: هم الذين يحملون البريد، ولهم مقدم يسمى مقدم البريدية، انظر القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١٨٧، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٨٨٧، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٤، ص٦٦.

(٦) ليست له ترجمة في المصادر المتداولة .

(٧) ليست له ترجمة في المصادر المتداولة .

(٨) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٢٨، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٤، ص٨٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص١٥٩.

(٩) هو: جان بك بن عبدالله السيفى يلبغا الناصري المعروف بالثور أحد الطلبخانة، ولي نيابة الإسكندرية، ثم الحجوبية الثانية بالقاهرة، ثم شاد بندر جدة، وفاته بمكة سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٣٠-٢٣١، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٤، ٢١٣.

(١٠) المقريزي، السلوك ، ج٤، ق٢، ص١٠٠٠، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٤، ص١٠١.

(١١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٢٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٨٦.

(١٢) هو: حسن بن محمد بن علي بن أبي بكر، شمس الدين الحلبي الدمشقي والمعروف بابن المزلق، ولد ونشأ بدمشق، وتجول في التجارة، ولي أمر جدة عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م، وأعطاه الأشرف برسباى خمسة آلاف دينار لتعمير عين عرفة، وفاته بدمشق سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٣م. السخاوي، الضوء، ج٣، ص١٢٦.

والعام المذكور كان نهاية لابن المرة الذى شغل وظيفة نظر خاص جدة، لأن الأشرف برسباى توفي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، وجاء بعده السلطان جقمق، وولي نظر جدة من قبله القاضى تاج الدين محمد بن السمسار[١].

وممن شغل هذه الوظيفة : جان بك الظاهري جقمق الدوادار[٢] وقد ظل فيها حتى عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، حيث وصل في هذا العام مرسوم بعزله، وتعيين تمراز البكتمرى المصارع[٣] مشدا بجدة عوضاً عنه[٤]. لكنه أعاد مرة أخرى مملوكه جان بك الظاهري إلى وظيفة مشد جدة عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، وزادت مكانته عند السلطان جقمق حتى وفاته في عام ٨٥٦هـ/١٤٥٢م، وخلفه ابنه المنصور عثمان الذى أبقى هو الآخر على جان بك الظاهري، إذ ولاه نيابة جدة ، وكان يلي الأستادارية في مصر[٥]، وبعد خلع السلطان المنصور عثمان بعد شهر وستة عشر يوماً، تسلطن الأشرف إينال في (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣- ١٤٦٠م) في ربيع الأول ، وفي عهده استمر جان بك الظاهري نائبا علي جدة، وتمتع بمكانة كبيرة لدى أشراف مكة، ولدي سلطان مصر الأشرف إينال[٦].

ومما سبق تتضح أهمية وظيفة نائب جدة، أوشاد جدة بالنسبة للاقتصاد المملوكي، فقد وصل الدخل منها سنويّا إلى خزانة السلطان بالقاهرة ثلاثين ألف دينار، وارتفعت إلى مائتي ألف دينار في السنة[٧]، وضخامة هذه الأموال كانت متوقفة على ضبط وسيطرة المماليك على ميناء جدة الذى كان متوقفاً على شخصية نائب جدة، أو مشدها المملوكي الذى كان بمثابة الممثل للسيادة المملوكية في جدة ومكة، والممثل الرسمي أمام السلطان بمصر، والوسيط بينه وبين التجار.

ويمكن القول أن هذه الوظائف الناظر والنائب والشاد والمباشر، كان من مهامها تحصيل الرسوم الجمركية في ميناء جدة، وقد يكون الناظر في الوقت نفسه نائباً وشاداً أو مباشراً.

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠٥.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٥٨-٥٩.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٤٤-٢٤٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٢٠.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٨٧، ٤٠٣، وتمراز المذكور من مماليك المؤيد شيخ، ثم انتقل بعد وفاته لخدمة الأمير تنبق العلائي، عينه السلطان جقمق شادا لجدة سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م، وكان يمتلك سلطة تنفيذية قوية، أهلته للعمل السياسي، ولم يقتصر دوره على كونه شادا لميناء جدة وإنما كان ممثلاً للسيادة المملوكية في مكة أيضاً، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٤، ص١٥١-٢٥٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص١٨٥.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٣.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٠، ٦١، ٦٦، وابن فهد، إتحاف الوري، ج٤، ص٣٣٩، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣١٥.

(٧) Richard mortel, Canibak Al-Zahiri, P.19 .

يضاف إلى ما ذكر وظيفة الصيرفي[١] ، والجابي[٢]

وممن تولوا أمر المكس بجدة لأمير مكة ريحان الحبشي[٣]. ومن موظفي ميناء جدة شهود القبان، والقبان نوع من الموازين عرف بالدقة في تقدير الوزن ،ومهمة هؤلاء مراقبة الميزان حين وزن بعض السلع[٤]. وهم كتبة كان منهم: علي بن أحمد بن مفتاح بن فطيس الذي كان معلماً لقبانى جدة، توفي ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م[٥]. ومحمد بن علي الجدي مثل سابقه بجدة، وتوفي عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م[٦].

ج - انهيار ميناء جدة اقتصاديّا :

بدأت مكة تفقد مكانتها التجارية الدولية عندما بدأ انهيار ميناء جدة اقتصاديّا، وذلك منذ أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ولعل في مقدمة عوامل هذا الانهيار: التعسف في جباية العشور بميناء جدة مما دفع التجار إلى العودة مرة أخرى إلى ارتياد ميناء عدن التجاري، كما أن الدولة الطاهرية في اليمن (٨٥٨-٩٤٥هـ/١٤٥٤- ١٥٣٨م) - نجحت إلى حد ما - في استرداد شيء من مكانة عدن التجارية[٧].

ولاشك أن ازدهار ميناء عدن مرة أخرى، أدي إلي انهيار ميناء جدة ، مما دعا المماليك إلي إتخاذ الوسائل لعودة الثقة في ميناء جدة ، ففي عام ٩٠٢هـ/١٤٩٧م بعث السلطان محمد بن قايتباى مرسوماً لأمير مكة، ونائب جدة باتخاذ الإجراءات اللازمة لإجبار تجار الهند على مواصلة السير إلى ميناء جدة[٨].

كما أن من أسباب انهيار ميناء جدة ذلك الصراع العنيف بعد وفاة الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م ، بين بركات[٩]، وهزاع[١٠]، وأحمد الجازاني[١١]. وعقب ذلك تعرض ميناء جدة للنهب ، ومهاجمة قطاع الطرق الحجاج ، وفي مختلف طرقة البرية[١٢] .

ومما أدي إلي تضرر ميناء جدة اقتصاديا نجاح الكشوف الجغرافية، واكتشاف رأس الرجاء الصالح[١٣] سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م، ثم نجاح فاسكودى جاما الملاح البرتغالي في دورانه حول أفريقيا، ووصوله إلى الهند دون مروره

---

(١) الصيرفي:هو الذي يتولي قبض الأموال وصرفها بمعاونة الصيارفة ، وكان عمل الصيارفة مبادلة مقادير العملة أو سحب العملة الرديئة ووضع عملة جيدة بدلا منها ، انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٦٦، و عبد المنعم ماجد نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٦٨-٨٥ .

(٢) الجابي: هو الذي يتولي جمع الأموال وقد يسند إليه الشاد إضافة إلي وظيفته ، انظر القلقشندي ، صبح الأعشىج١٠، ص ١٠٩ ، ج١٣ ص ٦٩ .

(٣) هو: ريحان بن عبدالله الحبشي، المعروف بالعيني المكي، وقد تولى هذه المهمة في عهد علي بن عجلان صاحب مكة، وتوفي بزبيد عام ٨١٦هـ/١٤١٣م، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص٤٢٥.

(٤) علي السيد محمود، الحياة الاقتصادية، ص٨٢.

(٥) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص٤١٤.

(٦) السخاوي، الضوء، ج٨، ص٢٣١.

(٧) محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص٤٦٤.

(٨) عبدالعزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص٥٩٥، وبلوغ القرى، ص١٤٣.

(٩) انظر ترجمته بالفصل الأول في مبحث الدوافع السياسية.

(١٠) هو: الشريف هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، اشترك مع أخيه بركات في إمرة مكة، وفاته سنة ٩٠٧هـ/١٥٠٢م، عبدالفتاح حسين راوة، أمراء البلد الحرام، ص ٢٠١.

(١١) أحمد الجازاني: هو الشريف أحمد بن محمد بن بركات الأول، ويلقب بالجازاني، تولى إمارة مكة سنة ٩٠٧هـ، ولم تدم ولايته إلا نحوأسبوعين ابتداء من أول شعبان في السنة نفسها ، عبدالفتاح راوة، أمراء البلد الحرام، ص ٢٠٢، والجزيري، درر الفوائد، ص٣٤٩.

(١٢) عبد العزيز بن فهد ، غاية المرام ، ج ٣ ، ص ١٠٧ ، والجزيزري ، درر الفوائد ،ج ٢ ، ص ٧٨٠.

(١٣) وقد عرف أولا باسم رأس العواصف لكثرة ماكان به من عواصف، ولما اجتازه بارثلميودياز سماه رأس الرجاء الصالح لأنه فتح باب الأمل والرجاء في الوصول إلى الهند، انظر يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج٢، ص٦٣٠ هامش رقم ٤.

بالبحر الأحمر سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، كل ذلك وغيره أدى إلى انهيار ميناء جدة تجاريًا، وانعكس ذلك أيضاً على موانئ دولة المماليك، فعرضها لانهيار اقتصادي خطير، وكان البرتغاليون قد هاجموا السفن الهندية، وهددوا بغزو الحجاز، وقطعوا الاتصال بين البحر الأحمر والمحيط الهندي، فانعدم، أو قلّ ، وصول البضائع إلى البحر الأحمر، ويضاف إلى ماذكر، ماتعرضت له مدينة جدة من عمليات السلب والنهب من قبل عربان بني إبراهيم وزبيد، مما أوجب سوراً لحمايتها من الغزو البرتغالي[١].

وفي عام ٩١٩هـ/١٥١٣م اتجهت القوات البرتغالية إلى ميناء جدة، وأحدث دخولهم إلى البحر الأحمر رد فعل عنيفا في الحجاز ومصر، مما دفع السلطان الغوري إلى تحريك قواته إلى ميناء جدة، كما تحرك الشريف بركات إلى ميناء جدة بقواته لتعضيد الحماية المملوكية، وأمر السلطان بإنشاء مجموعة من المراكب في السويس استعداداً لتزولها في البحر الأحمر لمواجهة الخطر البرتغالي، في الوقت الذى اقترب البرتغاليون فيه من ميناء جدة، ولكن إرادة الله شاءت حماية الأماكن المقدسة بالحجاز ، حيث هبت رياح عاتية قذفت بالغزاة في عرض البحر، وشتتت الأسطول البرتغالي، وتحطمت أحلامهم حين أرادوا اقتحام ميناء جدة، والعبث بالمقدسات الإسلامية[٢].

مينـــــاء ينبـــــع :

أ - أهمية ميناء ينبع الاقتصادية لإمارة المدينة المنورة :

يطلق اسم ينبع - في تلك الفترة - على ينبع الميناء، لشهرتها وقربها وارتباطها بالمدينة المنورة، فهي تبعد عنها بمسافة تقرب من مائة وخمسين كيلو متراً، أما قبل هذه الفترة، فعندما تطلق ينبع، فإنما يراد بها ينبع النخل، لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة حتى أيام المماليك إلى أن صارت ميناء للمدينة المنورة[٣].

وازدادت أهمية ميناء ينبع الاقتصادي لإمارة المدينة المنورة، بسبب تحول طريق الحاج عن البحر إلى البر، فأصبحت ينبع محطة للحجاج القادمين بطريق البر، مما جعل سلاطين المماليك يرسلون إلي ذلك الميناء احتياجات الحجاج ومؤنهم، وجملة مايريدون أن يتصدقوا به على أهل المدينة ومجاوريها[٤].

ثم صارت سوقا تجارية عظيمة، وميناء للمدينة، بل ميناء رئيسيًا من موانئ الحجاز التى يعتمد عليها في جلب الأرزاق، ومحطة للسفن التجارية الآتية من الهند[٥].

وقد بلغ هذا الميناء أوج ازدهاره أيام السلاطين الجراكسة، بسبب ماأدخلوه من إصلاحات لطريق الحج والمشاعر المقدسة ، أدت إلى ازدياد الحجاج، حيث كانت ينبع المحطة البحرية لحجاج مصر والشام، خاصة لمن أرادوا

---

(١) ابن فرج، السلاح والعدة، ص٥٠.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٠٧، ومحمد عبداللطيف البحراوي، فتح العثمانيين عدن، ص٨٠، وعبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٥ .

(٣) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ١٠، ١٢، والسليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ١٨٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ص٩١٧.

(٥) على السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٩.

زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام قبل أو بعد حجهم إلى بيت الله الحرام بمكة، ويضاف إلى جملة عناية سلاطين المماليك ماأنشأوه من أحواض لبناء السفن بأنواعها المدنية والحربية[١].

و أشرف المماليك على ميناء ينبع ، وأجروا فيه بعض إصلاحات أخرى ، كالإصلاحات الممثلة في بناء رصيف من الحجر بجوار الساحل، وكان دافعهم من وراء ذلك استراتيجيا، وهو أن من يسيطر على ينبع، يسيطر على المدينة المنورة قاعدة الإسلام الأولى، إضافة لما يعود عليهم من مكاسب سياسية واقتصادية[٢].

وكان ميناء ينبع أيضا مرصدا للأخبار القادمة من مصر، وملاذاً للفارين من عقاب أمراء الحجاز، وسلاطين مصر، ومقرّا لأبناء الأشراف الذين لم يكن لهم دور بالإمارة، أو عزلوا عنها[٣]. وقد ساعد على ازدهار هذا الميناء، اضمحلال ميناء الجار[٤]، وتحول طرق التجارة العالمية إلى البحر الأحمر[٥].

كما كانت ينبع محطة لاستقبال السلاطين، والأمراء، والمبعوثين من قبلهم من مصر، ففي سنة ٧٣٢ هـ/١٣٣٢م حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون حجته الثالثة، واستقبله الشريف رميثة في ينبع، ثم رافقه إلى مكة[٦].

وحسن العلاقة بين ينبع والمدينة، كان على درجة كبيرة من الأهمية، لأن ينبع باب المدينة، ورئتها التى تتنفس منها على العالم الخارجي، وكان ميناؤها فرضة المدينة قديماً، وقد قوى أمره بعناية الأيوبيين له في الربع الأول من القرن السابع الهجري، وسار على نهجهم المماليك، ودافعهم - كما سبق - كان استراتيجيا، فمن يسيطر على ينبع يسيطر على المدينة، ولهذا جعلوه الميناء الرئيسي للمدينة، بعد أن اشتروه من أهل ينبع النخل، وأنشأوا فيه رصيفا من الحجر، وأبدعوا في إتقانه وتوسعته حتى يتناسب مع كثرة السفن القادمة إليه من مختلف البلاد[٧]، بل أقاموا المخازن التي تشون بها البضائع والحبوب، والحظائر التى توضع فيها الخيول، وتم توسيع مداخل الميناء ومخارجه، وأزالوا من البحر كل مايعوق إبحار السفن، فطهروه وأزالوا منه كثيراً من الشعب المرجانية التى تعوق حركة الملاحة، وأمدوه بالحاميات المجهزة بالجند تأميناً لحمايته، فغدا بذلك ميناء المدينة الرئيسي غرب البحر الأحمر، تبحر إليه السفن من موانئ مصر كالسويس والقصير وعيذاب، حاملة وفد الحجاج والتجار، ومايراد توزيعه على فقراء الحرمين، فضلاً

---

(١) أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص٥٨.

(٢) محمد أحمد الرويثي، الموانى السعودية على البحر الأحمر، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣١٢، وسليمان عطية، سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص٢٦.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٢٨٨، والفاسى، العقد الثمين، ج٤، ص٦١٨.

(٤) السليمان، النشاط التجاري، ص١٠٨، والرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص٣٨٣، والجار: هي فرضة المدينة المنورة، وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر، تبعد عن المدينة المنورة مسيرة يوم وليلة، السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١١٧٣، والبلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢، ص١٠٤.

(٥) نعيم زكي، طرق التجارة الدولية، ص ٩.

(٦) المقريزي، الذهب المسبوك، ص١٠٦، ١٠٧.

(٧) محمد أحمد الرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٣١٢.

عن شحنات القمح الخاصة بأهالى ميناءي: ينبع وجدة، وأشراف الحرمين، وماكان يرسله سلاطين مصر في بعض السنوات لعمارة الحرمين، من عمال وأزواد، وكل مايحتاج إليه أمراء الحج أيضاً[١].

وفي عصر المماليك تحول ميناء ينبع إلى سوق مهمة لبيع وشراء مختلف السلع، وقصده التجار من كل البلاد، ولعب دوراً مهمّا في تجارة البحر الأحمر - فترة هذه الدراسة - وقدرت عائداته من التجارة بثلاثين ألف دينار سنويّا[٢].

وقد استرعى ازدهار ميناء ينبع نظر بعض المؤرخين، فوصفه صاحب ((زبدة كشف الممالك)) في فترة الازدهار، وركز على القسم البحرى، وقال عن ينبع البحر: (هي مدينة حسنة تشتمل على سور وقلعة ... ومدينة الينبوع كثيرة العمائر، والأسواق، والنخل،... وهي بندر ترد إليه المراكب بالغلال من سواحل الطور، ويؤخذ عليها المكوس لصاحب الينبوع في كل سنة قدر ثلاثين ألف دينار)[٣].

واستمر هذا الميناء يؤدي وظيفته حتى نهاية هذه الفترة، وقد حظي خلالها ببعض الإصلاحات والتوسعات التى كانت لها قيمتها من قبل السلطات التي تعاقبت على حكم منطقة الحجاز[٤].

ب - الوظائف الإدارية والمالية في ميناء ينبع :

كان لأمراء مكة حق الإشراف في بعض الفترات على نيابة ينبع، ففي سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م فوض السلطان الغوري الشريف بركات بن محمد بن بركات أمر الأقطار الحجازية حتى ينبع[٥].

وعلى ذلك، فحاكم ينبع كان يعرف باسم نائب ينبع، وكان يختار من قبل أمير مكة، وهو في مرتبة أقل من شريف وأمير المدينة[٦]. وقد جرت العادة أن يتولى أمر ينبع نائب من أسرة الأشراف، ولما ازداد نفوذ ومسؤوليات شريف مكة،وكثرت مسئولياته ، وأصبح نائباً عن السلطة في الحجاز ، و أصبح له حق تولية من يشاء في نيابة ينبع، وصارت ينبع بذلك داخلة تحت نفوذه وسيطرته. وأفاد صاحب (زبدة كشف الممالك) أن بندر ينبع كان سوقاً رائجة ترد إليها المراكب المشحونة بالغلال من سواحل الطور وغيره، وقال: (ويؤخذ عليها المكوس لصاحب الينبوع في كل سنة قدر ثلاثين ألف دينار)[٧].

وكما كان صاحب الينبوع أو نائبه تعود إليهما هذه المبالغ الكبيرة، فقد أفادت بعض المصادر أن سلاطين المماليك فرضوا ضريبة تؤخذ من نائب السلطان في ينبع ، وترسل إلي السلطان في القاهرة ، قدرها مائتا دينار، لدفعها للعربان الذين يحافظون على حماية الحجاج، ولم تلغ إلا في سنة ٨٤٤هـ[٨].

---

(١) حمد الجاسر، بلاد ينبع ، ص٣١، والسليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص١٩٠.

(٢) خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك، ج١، ص١٩، والسليمان، المرجع السابق، ص١٩٠.

(٣) خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك ، ج١، ص١٩.

(٤) محمد الرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٣١٢.

(٥) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، دار الكتب المصرية - القاهرة، ج٢، ص٢٦٧.

(٦) الخالدي بهاء الدين محمد بن عبدالله العمري، ت٩٣٧هـ ، المقصد الرفيع والمنشا الهادى لديوان الإنشاء، مخطوط مصور رقم ٢٤٠٤٥، تاريخ، جامعة القاهرة، ورقة ١٥٥.

(٧) خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك ، ج١ ص١٩.

(٨) الجزيري، درر الفوائد، ص٣٢٨-٥٣٦.

وكان على أمير ينبع ضريبة أخرى لأمير الحج ومرافقيه، تقرب من ثلاثمائة دينار في السنة[١]. ويلاحظ أن الوظائف الإدارية والمالية التي كانت متداولة في ميناء جدة في هذه الفترة، كانت هي نفسها الوظائف المتداولة في ميناء ينبع، ولم تسعف المصادر بأسماء من تولوها، أو كانوا في خدمتها.

ج - انهيار ميناء ينبع اقتصادياً:

المدن التي تنمو سريعاً، تكون عرضة للضعف والانهيار، إذا لم تحافظ على أسباب نموّها، وهذا ما حدث لينبع بعد أن فقدت الأمن والاستقرار، ولم تستطع حماية التجار والحجاج ولم تنج من كثرة الفتن والاضطرابات، والقلاقل المتوالية التى أحدثت فيها كثيراً من الشدائد، كانجاعات والخراب الذى عطل ميناءها، وقطع موارد أكثر سكانها الذين كانوا يعتمدون على الحركة التجارية في الميناء[٢].

وانهيار أن ميناء ينبع يعود سببه إلى الخلاف الذي دب بين أمراء مكة من جهة، وبينهم وبين من يلي نيابة ينبع من جهة أخرى. ومما يدل على ذلك ماحدث بين الشريف مقبل الحسني[٣]، وابن أخيه عقيل بن وبير[٤] سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٠م، وقد حسم هذا الخلاف تدخل أمير الحاج المصري في السنة المذكورة، وأجبر مقبلا على أن يرضى بابن أخيه عقيل شريكاً له في إمارة ينبع، فوافق مقبل على ذلك تظاهرا، وبعد أن تابع أمير الحج سيره إلى مكة اشتبك مع ابن أخيه في قتال أسره فيه، وأقام بينبع حتى عاد (جان بك)[٥] أمير الحج الذى علم بما حدث، فانتقم من مقبل وأنصاره، وقتل منهم جماعة[٦].

كما أن أسباب انهيار ميناء ينبع: فتنة يحيى بن سبع الذى كان يطالب بإمارة ينبع خلفاًلأبيه، وذلك في سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، فلم يجب إلى ذلك، لأن السلطان الأشرف قايتباى أضافها إلى أمير مكة، فتوجه يحيى بن سبع إلى ينبع، وقطع طريق الحجاج بعجرود، ومنع الماء، وذبح الأثوار التى بالسواقى[٧].

لكنه تولى إمرة ينبع في رابع جمادى الآخرة سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م في عهد السلطان محمد بن قايتباى - مدة حكمه من ٩٠٢-٩٠٤هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٧م[٨]- وعلى الرغم من ذلك، فقد قاد (قبيلة بنى إبراهيم)، و(قبيلة جهينة)[٩]، و(قبيلة زبيد)[١]، وقاموا بضروب من العبث والنهب والسلب، وقطعوا طريق الحجاج، فعزل

---

(١) المصدر السابق، ص٥٣٦.

(٢) حمد الجاسر، بلاد ينبع ، ص١٢٨-١٣٠، والسليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص١٩٠.

(٣) هو: مقبل بن مخبار الحسني أمراء ينبع، استمر في حكمها إلى أن قبض عليه سنة ٨٢٨هـ، وتم ترحيله إلى الإسكندرية حيث مات في سجنها سنة ٨٣٠هـ، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٧٥٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣١٧.

(٤) عقيل بن وبير، يرجع نسبه إلى قتادة الحسني أمير ينبع سنة ٨٣١هـ، وترك الولاية سنة ٨٤٢هـ، وتوفي سنة ٨٤٤م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص١٤٩.

(٥) وقد ذكر ابن إياس أن أمير الركب هو الطواشي ياقوت الحسني، مقدم المماليك، وأمير الركب الأول هو جانى بك الخازندار مملوك السلطان ،ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٨٤، حوادث سنة ٨٢٥هـ.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٨٤، حوادث سنة ٨٢٥هـ.

(٧) الجزيري، درر الفوائد، ص٣٤٧-٣٤٨.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٨٦.

(٩) جهينة : يعودون في نسبهم إلى زيد بن قضاعة، وهم أكثر عرب الصعيد، وبلادهم الأشمونيين وإخميم، القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م، ص٩٠، والمقريزي، البيان والإعراب، ص٣١، والبلادي، معجم قبائل الحجاز، ص٤٨٦

السلطان الغوري يحيى بن سبع عن إمرة ينبع، وقد أشار ابن إياس إلى هذه الأحوال المضطربة، بقوله: (وفيه – أي في عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م – جاءت الأخبار من مكة بأن الأحوال فاسدة، وأن عربان بني إبراهيم قد التفوا على يحيى ابن سبع، وقد اشتد الأمر في ذلك، فلما تحقق السلطان من ذلك أمر بإبطال الحج إلى الحجاز في هذه السنة من مصر والشام، وسائر الأعمال قاطبة، وكانت هذه الواقعة من أعظم المصائب في الدين.)[٢].

ثم قال ابن إياس : (وفيه – أي سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م – جاءت الأخبار من ينبع بأن التجريدة... كانت لهم وقعة مع يحيى ابن سبع أمير ينبع، فهرب من وجههم، وكانت الكسرة عليه، وقتل من عربانه جماعة كثيرة، وأحرقوا الدور التي على ساحل البحر الملح ببندر الينبع، وأخربوا غالب دكاكينه، وشتتوا العربان الذين كانوا به)[٣]. وجملة هذه الأحداث والاضطرابات وغيرها كانت سبباً في انهيار ميناء ينبع .

٥ - الأزمات الاقتصادية في الحرمين الشريفين :

حدوث الأزمات الاقتصادية في مكة والمدينة، أمر متوقع، في ذلك العصر، على الرغم من تدفق وتعدد الموارد إلى الحرمين الشريفين، من أوقاف وصدقات وأعطيات، فالمدينتان تعتمدان على موارد غير ثابتة، لأنها مرتبطة بالغير، وتظل هذه الموارد الخارجية معرضة لعوادي الزمان والإنسان. ويتضح من البحث في أسباب الأزمات الاقتصادية التى وقعت بالمدينتين المقدستين، أنها ترجع إلى عاملين : بشري وطبيعي، ويتمثل العامل البشري في الصراع بين النواب، ومهاجمة الأعراب، وتحول طرق التجارة ، والتعسف في معاملة التجار، أما العامل الطبيعي فيتمثل في قلة سقوط الأمطار، وفي والأوبئة والمجاعات والزلازل، ومن الأزمات الاقتصادية التي وقعت بالمدينتين المقدستين ماسجله المؤرخون في حولياتهم التى عنيت بتاريخ مكة والمدينة، وفيما يلي أمثلة توضح ماكانت تعانى منه الأسواق في مكة والمدينة من حيث اضطراب الأسعار .

ففي سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م انتشر بمكة وباء، وارتفعت فيه الأسعار[٤].

وفي موسم حج سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٨م وقعت منازعات واضطرابات بين أمير الحاج المصري، وعبيد شريف مكة ،وبسببها انتهزوا الفرصة، ونهبوا أموال التجار[٥]. وبسبب عدم سقوط المطر بمكة عام ٧٢١هـ/١٣٢١م عم الغلاء جميع الأصناف من الحب، والسمن، واللحم، وبلغ سعر إردب القمح[٦] المصري ٢٤٠ درهماً، والسمن كل أوقية[٧] بخمسة دراهم، وكذلك اللحم[٨].

---

(١) زبيد، ويقال لهم : بنو زبيد، وهم بطن من سعد العشيرة القحطانية، وزبيد هو ابن العشيرة لصلبه، ويعرف بزبيد الأكبر، وهو بالحجاز، قال في مسالك الأبصار: وعليهم درك الحاج المصري من الصفر إلى الجحفة ورابغ، وكان لزبيد هذا من الولد ربيعة، والحارث، وهم حلفاء لآل ربيعة بالشام، القلقشندي، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان (د.ت)، ص٢٤٨.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٨٩، حوادث شوال سنة ٩١١هـ.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٩٥، حوادث صفر سنة ٩١٢هـ، ومحمود رزق، الأشرف قانصوه الغوري، ص١٠٦-١١٢.

(٤) الفاسى ، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٧٢.

(٥) نجم الدين عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٤٤، حوادث سنة ٧٠٧هـ، وعبدالله غازي، إفادة الأنام، ج٢، ورقة٥٧٢.

(٦) الإردب المصري: هو أكبر وحدة للمكيال، ويساوي أربعة وعشرين صاعاً حجازيًا، المقريزي، النقود الإسلامية، ص١٠٨.

(٧) الأوقية : من الموازين، وتساوي سبعة مثاقيل شرعية، والأوقية المكية رطلان ونصف رطل مصري، والأوقية الشامية تساوى خمسين درهماً، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٣٥، والمقريزي، النقود الإسلامية، ص٩٤.

(٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٣٥، والعيني، عقد الجمان، ج٣، ص٥٧٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٧٣.

وفي سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م توجه الشريف عجلان إلى اليمن، ومنع السفن القادمة من الوصول إلى مكة، وحدث بسبب ذلك غلاء عظيم ، وقل وجود السلع على مختلف أنواعها في أسواق مكة، وبيعت الأوقية من الدقيق بخمسين درهماً، والإردب من القمح بمائتى درهم[١].

وقلت الأمطار في عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، وعانت مكة غلاء شديداً حتى إن غرارة الحنطة بلغت ستمائة درهم، والذرة أربعمائة درهم، وعدم الحب ولم يتواجد منه شيء، وكذلك التمر، وعرفت هذه السنة عند المكيين بسنة أم جرب[٢].

وفي ٨٢٢هـ/١٤١٩م لم يسقط المطر بمكة، واشتد الغلاء في جميع المأكولات، وانعدمت الأقوات، وكان القحط شديداً حتى أكل الناس القطط والكلاب، وبلغت غرارة القمح عشرين أفلوريا[٣]، ومثلها الذرة، وبلغ حمل الدقيق خمسة وعشرين أفلوريا، والفول أربعة عشر أفلوريا[٤].

وكما شهدت مكة سنوات من الغلاء والقحط، فقد شهدت المدينة مثل هذه الأزمات، ففي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وقع بالمدينة زلزال شديد أعقبه شيء من القحط تأذى بسببه الناس، فلما كان موسم الحج وفد الأمير سلار[٥]، ومعه آلاف الأرادب من القمح قام بتوزيعها في مكة والمدينة وأعطى كل واحد قوت سنة[٦].

وفي عام ٧١٩هـ/١٣١٩م فرض أمير المدينة منصور بن حجاز المكوس على البضائع القادمة إلى المدينة، فقلت الأرزاق، وأصبح غالب عيش أهل المدينة من مزروعاتها، وكانت العقوبة كبيرة على من يتاجر في أسواق المدينة بدون دفع المكس المقرر، وضج الناس بشكواهم إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما حج في العام نفسه فأبطل جميع المكوس، وعوض أمير المدينة بإقطاعات في مصر والشام، وجعلها وقفاً يخصص ريعه لأهالي المدينة[٧].

والأمثلة على ماذكر من الأزمات والشدائد الاقتصادية في تلك الفترة وافرة .

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٢٢٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص٦٤٥، والعصامي، سمط النجوم، ج٤، ص٢٢٥، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٥١.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٣٧، وتحصيل المرام، ص٣٢٧، والعقد الثمين، ج١، ص٢٠٩، والمقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٩٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٣٠٢.

(٣) الأفلوري : هو من الدنانير الذهبية التي استعملت في العصر المملوكي ، ويقدر الدينار منها بسبعة عشر درهما من الدراهم الجديدة النقرة ، وينسب الفلوري إلي فلورنسا، وكان يستخدم أحيانا في دفع رواتب أرباب الوظائف ، القلقشندي | ، صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٣٧.، رأفت البدراوي ، السكة الاسلامية ، ص ٣٤٠ .

(٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٤١، والمقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٥٠٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٥٦٧، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٥٣.

(٥) هو: سلار نائب السلطنة في أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهو الذى بنى المنارة بباب السلام، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص١٦.

(٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٧٦، والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٩٥٤.

(٧) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص٧٠٩،وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٦٥.

رابعاً ـ الاهتمامات الاجتماعية للمماليك بالحرمين الشريفين:

لايمكن إنكار الدوافع الاجتماعية التي جعلت المماليك يولون الحرمين الشريفين اهتمامهم، فقد كانوا حريصين على تدعيم روابط التكافل الاجتماعي، فالأوقاف باعتبارها صدقة جارية، قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي في المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وفي مجتمع المدينتين المقدستين بصفة خاصة، تبعاً لازدهار الأوقاف وانتشارها في ذلك العصر، وزاد من أهمية ذلك الدور أن أمراء الحرمين الشريفين والدولة المملوكية لم يكن لهما سياسة محددة وواضحة تجاه مسائل الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي، فاكتفيا بما حددته الشريعة الإسلامية بهذا الخصوص، من فرض الزكاة على القادرين، والحث على الصدقات، وكانت المؤسسات والمرافق الاجتماعية تقام في المدينتين المقدستين بمبادرات فردية من قبل أمراء الحرمين، أو من قبل سلاطين الدولة المملوكية، وأمرائها وأعيانها، ومهما يكن من أمر البواعث التي أدت إلى ازدهار الأوقاف وأثرها على المؤسسات الاجتماعية من مدارس وأربطة، وبيمارستانات، ومرافق عامة... إلخ في المدينتين المقدستين في العصر المملوكي، فقد أصبح للفقراء، والمعدمين، والأيتام، والمرضى، وطلبة العلم، والمجاورين نصيب محدد من ثروة الأغنياء عن طريق هذه الأوقاف[١]، كما يبدو ذلك من العرض والدراسة لوثائق الوقف الإسلامي التي توضح الخدمات الجليلة التي أدتها الأوقاف للمجتمع الإسلامي سواء في الحياة الدينية، أو الاجتماعية، أو التعليمية، أو المرافق العامة، والخدمات على المدينتين المقدستين.

المنشآت العامة في الحرمين الشريفين والإصلاحات التي تمت بهما:

١ ـ الإصلاحات في الحرمين الشريفين:

تم الكثير من الإصلاحات في الحرمين الشريفين في ذلك العصر، ولم يبخل السلاطين بمال أو جهد في هذا السبيل، ففي عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م جهز السلطان بيبرس الأموال ومواد البناء من الأخشاب والحديد والرصاص، مع ثلاثة وخمسين من الصناع، وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحي، وذلك لعمارة المسجد النبوي من الحريق الذي أصابه سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وصار السلطان الظاهر بيبرس يمدهم من مصر بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات، فعمروا ما أتلفه الحريق من سقف المسجد الشريف من باب الرحمة إلى باب النساء، وعاد كما كان عليه قبل الحريق[٢].

ومن إصلاحات السلطان الناصر محمد بن قلاوون في المسجد النبـــوي ما قام به سنتي ٧٠٥هـ/١٣٠٥م و٧٠٦هـ/١٣٠٦م من تجديد السقف الشرقي والغربي وجعله سقفاً واحداً، ولم تقتصر رعاية السلطان الناصر محمد على الترميم وإعادة بناء السقف، ولكنها شملت توسعة المسجد النبوي، ففي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، أمر محمد ابن قلاوون بزيادة رواقين من مؤخر السقف القبلي، فاتسع السقف، ثم حصل في الرواقين خلل فجددهما الملك الأشرف

---

(١) محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٣٣.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤١، وابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٩٤.

برسباي في ذي القعدة سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م ، وقد نقش بذلك رخامة بظاهر العقود من السقف القبلي مما يلي رحبة المسجد[١].

وأما القبة الشريفة فعملت في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م وهي مربعة من أسفلها، مثمنة من أعلاها بأخشاب أقيمت وسمر عليها ألواح من خشب، وفوقها ألواح الرصاص، ولم يكن قبل ذلك على الحجرة الشريفة قبة[٢]، وقد جددت القبة المذكورة أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون[٣] سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م[٤]، وتم تجديدها مرة أخرى وأحكمت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين[٥] في سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م[٦].

كما تقضي حجة وقف السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون المؤرخة بتاريخ ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م "بوقف سهم من نصفين، النصف الأول يصرف ريعه في مصالح الحرم الشريف المكي من عمارة المسجد الحرام، وترميم، وفرش، ووقود، وغير ذلك مما يحتاج إليه من المصالح المذكورة، وإلى الفقراء، والمساكين من المجاورين بالحرم الشريف المذكور، وإلى الفقراء المنقطعين من الحجاج بمكة المشرفة الذين ليس لهم زاد، ولا راحلة، كل ذلك على ما يراه الناظر ويؤدى إليه اجتهاده...والثاني يصرف في المدينة الشريفة النبوية على ما شرح أعلاه"[٧].

---

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ص ٩٧، البتنوني (الشيخ قطب الدين أبوالفتح موسى) ذيل مرآة الزمان، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٣٢٥، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٠٠.

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٦٠٨.

(٣) هو: **الناصر حسن بن محمد بن قلاوون** الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي، تسلطن في يوم الثلاثاء الرابع عشر من رمضان سنة ٧٤٨هـ وخلع يوم الأحد رابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٥٢هـ، ثم أعيد في يوم الاثنين الثاني من شوال سنة ٧٥٥هـ فمات مقتولاً يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٦٢هـ، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص ٢١٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٢٥١،و المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٤٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣٠٢.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٠٩.

(٥) هو: **الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون**، تسلطن ٧٦٤هـ، ومات مقتولاً سنة ٧٧٨هـ، ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ١٠٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ٢، ص ١٥٣،و المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٢٥١.

(٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦١٠.

(٧) حجة وقف السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون المؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ حال الوثيقة : مفقود جزء من أولها وهامشها، ووسطها ممزق، رقم الوثيقة ٤٢، رقم المحفظة ٦، بدار الوثائق القومية بالقاهرة، سطر ٤٠ إلى نهاية سطر ٥١، وانظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة، وقد نشر علي حسن زغلول هذه الوثيقة في ملاحق رسالته للماجستير ، بعنوان: "مدرسة السلطان حسن" ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٧م ، كما نشرها محمد محمد أمين ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، في (تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه) الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م .

وفي سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، جهز السلطان الناصر فرج بن برقوق الجركسي[١] مالاً لعمارة الجانب الغربي وبعض من الجانب الشمالي من المسجد الحرام، وذلك لوصول النار إليه من رباط رامشت[٢]، وقد شرع في عمارته سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وفرغ منها في أواخر شعبان سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م[٣].

وعندما احترق المسجد النبوي الشريف عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م، في عهد السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢- ٩٠١هـ/١٤٦٧ - ١٤٩٥م) واستولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف، أمر السلطان المذكور بإعادة عمارة المسجد، وعوض ما التهمه الحريق من كتب ومصاحف، وبعث ذلك على يدي المؤرخ نور الدين علي بن أحمد السمهودي (ت عام ٩١١هـ/١٥٠٥م)[٤].

وفي عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م أمر السلطان قايتباي بتجديد الرخام داخل البيت[٥].

وفي آخر عام ٨١٨هـ/١٤١٥م أرسل السلطان المؤيد شيخ المحمودي[٦]، منبراً حسناً إلى المسجد الحرام ودرجة يصعد عليها إلى الكعبة، وفي عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م أمر المؤيد بعمل بعض الترميمات، فهدم ظلة المؤذنين التي فوق قبة زمزم لتآكلها وحدوث خراب بها، وجدد بناءها بالحجر المنحوت، وسقف حوض زمزم[٧].

---

(١) هو: الناصر فرج بن برقوق بن أنص، تسلطن فترتين، الفترة الأولى (٨٠١ - ٨٠٨هـ)، والفترة الثانية (٨٠٨ – ومات مقتولاً بدمشق ٨١٥ هـ) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٥٣٠،والمقريزي، ، ج٢، ص ٢٤٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٣٢٩.

(٢) رباط رامشت: (أو رباط العجم) وقفه إبراهيم بن الحسن الفارسي المشهور برامشت، ويقع عند باب الحزورة من المسجد الحرام، وتاريخ وقفيته سنة ٥٢٩هـ/١٢٣٤م، النهروالي، الإعلام، ص ١٩٤، والطبري، الأرج المسكي، ص ٩٧، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٢، ص ٥٠.

(٣) كلف السلطان الناصر فرج بن برقوق أمير المحمل الشريف ويسمى الأمير سيف الدين بيسق بن عبد الله الشيخي الظاهري (ت ٨٢١هـ - ١٤١٨م) بإصلاح ما أتلفه الحريق في المسجد الحرام، ثم قام بعد ذلك بإصلاح رباط رامشت وترميمه، وذلك سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م)، كما قام بعدة إصلاحات وترميمات في أساطين وأروقة المسجد الحرام. الطبري، الأرج المسكي، ص ١٦٦، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٥٩٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ٢، ص ٥٨٨.

(٤) شرع السلطان قايتباي في تجديد عمارة المسجد النبوي، فعين الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن مشرفاً على عمارة المسجد النبوي وأرسل معه البنائين والنجارين والمرخمين، وأمر بهدم القبة الشريفة وإعادة بنائها وتغيير المقصورة بغيرها من الحديد، وكانت من الخشب، وتغيير المنبر والمآذن، وانتهى من العمل في أواخر سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، وصرف في ذلك نحو مائة ألف دينار. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٠٦، والتحفة اللطيفة، ج١، ص ٣٤، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤١، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥، وابن الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص ٢٩٩.

(٥) النهروالي، الإعلام، ص ٢٥٤.

(٦) هو: المؤيد شيخ المحمودي الظاهري الجركسي الملك المؤيد تسلطن مستهل شعبان ٨١٥هـ/١٤١٢م، ومات يوم الاثنين ٨٢٤هـ/١٤٢١م. المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٥٤٩، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ١٠٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٢٣٧.

(٧) النهروالي، الإعلام، ص ٢٢٥.

وفي عهد السلطان قانصوه الغوري تم العديد من الإصلاحات في الحرم المكي ، منها ما أمـــر بـــه عام ٩٠٢ هـــ/١٤٩٧م بعمل عقد كبير عند باب إبراهيم، وفي عام ٩١٧هـــ/١٥١١م قام بترخيم حجر البيت الشريف[١]

المنشآت الاجتماعية في الحرمين الشريفين:

٢ ـ المـدارس:

كان كل من الحرم المكي والمدني مركز إشعاع ونور ومعرفة، ضم في جنباته حلقات علمية رائدة، كان من بين صفوفها جمع كبير من العلماء والمفكرين، وطلبة العلم والمجاورين من شتى الجنسيات، جذبتهم قدسية الحرمين الشريفين لمدارسة ما يرغبونه من المواد الدينية والعربية، أو العلوم العقلية التي قل المشتغلون بها في هذه الفترة، ولذلك، فقد كان مألوفاً أن ترد في المصادر، ولا سيما كتب الوفيات في حديثها عن العلماء عبارات تدل على ذلك، مثل قول ابن العماد في مصنفه شذرات الذهب : "وفيها توفي... وكان شيخاً جليلاً إماماً عالماً فاضلاً... منعكفاً على العبادة... والاشتغال بالله تعالى... سمع منه ... وسمع عليه ... وتوفي ..."[٢].

ومنذ الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، بدأ ظهور المدارس في مكة المكرمة بعد أن ظهرت في شرق العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي[٣].

وكان الهدف الأساسي من إنشاء هذه المدارس هو تلقي العلوم الدينية المتفقة مع روح ذلك العصر، وحرص من وقفوها على أن تكون ملاصقة للحرمين الشريفين، وتسابق إلى هذا الخلفاء، والسلاطين، والأمراء، وكبار الأعيان، ووقفوا عليها الأوقاف، كما خصصوا أوجه الصرف عليها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن دافعهم من وراء إنشاء هذه المدارس هو ارتباطهم الروحي بالحرمين، وطلباً لمثوبتهم ومضاعفة أجرهم من الله تعالى، وأن يستمد روادها – من طلبة العلم والأيتام – جوا روحيًا في رحاب الحرمين الشريفين، وإضافة لذلك، فقد كانت لهم دوافع ومآرب سياسية أخرى، فقد أنشأ حكام بني رسول باليمن ثلاث مدارس حول الحرم المكي، ورصدوا لها الأوقاف السخية العينية والنقدية، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى تدعيم نفوذهم وإحكام سيادتهم وسيطرتهم على الحرمين الشريفين، مما أوجد صراعاً وتنافساً استمر أمداً طويلاً بينهم وبين سلاطين مصر، فضلاً عن رغبتهم في توطيد ونشر مذهبهم من خلال هذه المدارس التي وقفوها[٤]. وسيتضح ذلك من الحديث عن المدارس في المدينتين المقدستين.

---

(١) النهروالي، الإعلام، ص ٢٦٠.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، وابن خلدون، مقدمته، ص ٥٤٧.

(٣) استحدثت هذه المدارس، وعرفت كمركز علمي بعد القرن الرابع الهجري حسب ما أورد أشهر المؤرخين، وقد أفاد الأستاذ أحمد فكري في كتابه مساجد القاهرة ومدارسها ج٢، ص ١٥١، أنه وردت أول إشارة إلى المدارس في جملة عابرة في كتاب (أحسن التقاسيم للمقدسي الذي ألفه في سنة ٣٧٥هـــ)، وذلك في المقدمة التي وصف فيها المؤلف العناء الشديد الذي كان يلاقيه في جمع مادة كتابه، قال إنه (تفقه وتزهد وتعبد – إلى أن قال – واختلف إلى المدارس) وأفاد أيضاً أنه وردت إشارة أخرى إلى المدارس في (رسائل الهمذاني المتوفي سنة ٣٩٨هـــ، وقيل: إن الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله أنشأ المدرسة الصادرية في دمشق سنة ٣٩١هـــ، وكان المتوارد أن المدارس لم تنشأ إلا بعد هذا التاريخ).

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٨٦.

أ- مـــدارس مكة المكرمة:

١ - مدرسة دار العجلة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)

تقع هذه المدرسة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام، وهي محل دار العجلة في الجانب الشمالي من الحرم، بناها أرغون الناصري[١] عندما زار مكة حاجّا في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، وقد اقتصر التدريس فيها على مذهب أبي حنيفة، وقد وقف عليها منشؤها وقفاً مضافاً لقاضي الحنفية في القاهرة[٢].

وهذه المدرسة استولى عليها الأشراف أولاد راجح بن أبي نمي[٣]، لكن الخراب قد حل بها، ورممت على يد الشريف أبي منيف جار الله بن حمزة بن راجح[٤] في سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، وفتح لها باب جديد في جدار الحرم الملاصق لها، وستة شبابيك[٥].

وقد أهداها الشريف المذكور إلى السلطان الظاهر برقوق في سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م، وممن سكن بها إبراهيم المصري[٦] المتوفي بها سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، وممن درس بها يوسف بن الحسن الحنفي[٧].

٢ - المدرسة المجاهدية (٧٤٠هـ/١٣٣٩م).

هي المدرسة التي بناها السلطان المجاهد علي بن داود بمكة، وتقع في الجانب الجنوبي للمسجد الحرام، وتم وقفها في ذي القعدة سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م على الشافعية[٨]، سكنها في حجه سنة ٧٤٢هـ/١٣٤٢م[٩]، واستحدثت هذه المدرسة سكناً، فقد سكن بها أمير الركب الأول المصري سنة ٨١٧هـ/١٤١٤هـ[١٠]، وسكنها الأمير ناصر الدين بن قراسنقر المنصوري مقدم عسكر الشام[١١] وغيرهما. وقد رتب واقفها فيها إماماً، ومؤذناً، ومعلماً، وأيتاماً، وطلبة[١٢].

---

(١) هو: **أرغون بن عبد الله الناصري** الأمير سيف الدين المعروف بالنائب، لأنه كان نائب السلطنة بمصر زمن الناصر محمد بن قلاوون، قدم إلى مكة للحج في مرات عديدة، كان محباً للعلم، بنى المدرسة المذكورة محل دار العجلة، ووقف عليها وقفاً، وفاته بحلب سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م، الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٨٣، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٣٥١.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١١٧، وشفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٧٠.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٨٣.

(٤) هو: **جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نمي**، عظم أمره عند الناس، ورمم هذه المدرسة، وعمرها، قتل بمصر سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٣٦٩.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٤٠٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٦٩.

(٦) هو: **إبراهيم بن ولخش المصري**، وكنيته أبو أسامة، ظل بمكة مدة طويلة، وفاته بدار العجلة سنة ٧٩٩هـ/١٣٧٧م، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٥٧١.

(٧) هو: **يوسف بن الحسن بن علي بن يوسف** بن أبي بكر السجزي الحنفي، الملقب بالجمال بن البدر بن التاج، وفاته في صفر سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م بمكة، ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٤٨٥.

(٨) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٦٨، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٤، والعقد الثمين، ج١، ص ١١٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢١٧.

(٩) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٧١.

(١٠) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٠٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥١٧.

(١١) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ١٤٣، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ١٧٧.

(١٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ١٢٦.

٣ - المدرسة الأفضلية (٧٧٠هـ/١٣٦٨م).

أمر بإنشائها الملك الأفضل بن الملك المجاهد[١]، وتقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام، وبدأت المدارسة بها في عام إنشائها ، واختصت بتدريس الفقه الشافعي، ورتب منشؤها للعمل بها: مدرساً، ومعيداً، وعشرة طلاب، وإماما، ومؤذناً، وخص الأيتام بدراسة القرآن، ووقف عليها وقفاً طيباً[٢].

وأول من درس بها وسكنها أبو الفضل النويري مع غيره[٣].

ومبنى هذه المدرسة يعود في أصله إلى دار يملكها قطب الدين بن المكرم المصري[٤].

٤ - مدرسة عجلان بن رميثة (٧٤٤هـ - ٧٧٧هـ/١٣٤٣ - ١٣٧٥م)

وكان أشراف مكة والمدينة يتبعون المذهب الزيدي، وكل المدارس بمكة كانت على المذهب السني تسير وفقه على المذاهب الأربعة بتأييد من سلاطين المماليك في مصر، وهم الذين قاوموا المذهب الزيدي في مكة، ولعل مقاومتهم لم تجد استجابة إلا عند شريف مكة عجلان بن رميثة الذي أنشأ بمكة مدرسة في التاريخ المذكور، ومن خلال وصف ابن تغري بردي تبين أن هذا الشريف كان يحب أهل السنة[٥]، مما يؤكد أن عجلان بن رمثية أول شريف حسني معتدل يميل إلى هذا المذهب، وانفرد بإنشاء هذه المدرسة عن بقية أشراف مكة، ولم نجد بالمصادر التي أرخت لمكة، كالفاسي، تحديداً لتاريخ بنائها، والتاريخ المذكور يعود إلى فترة حكمه، وما ورد بالمصادر إشارات غامضة لا تحدد تاريخ الإنشاء، فالفاسي[٦] عند ذكره أبواب مكة يقول: إنه في الجانب الجنوبي من المسجد الحرام سبعة أبواب، سادسها يسمى باب مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة، ولم يذكر تاريخ بنائها .

٥ - مدرسة حسن بن عجلان (٧٩٨ - ٨٠٣هـ/١٣٩٥م)

هذه المدرسة ذكرها الفاسي ، فحين أرخ لشريف مكة حسن بن عجلان ذكر أنه في سنة ٨٠٣هـ/١٤٩٥م وقف الشريف حسن بن عجلان أموالاً للرباط الذي بناه في مكة بجوار مدرسته[٧].

٦ - المدرسة الغياثية (البنجالية) (٨١٣هـ/١٤١٠م)

أسس هذه المدرسة الملك المنصور غياث الدين بن المظفر أعظم شاه صاحب بنجالة من بلاد الهند، وذلك عندما أرسل خادمه ياقوت الحبشي سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م مندوباً من قبله بأموال لعمارة هذه المدرسة بمكة، وشراء أوقاف لها هي داران متلاصقتان ومجاورتان للمسجد الحرام، وبعد أن هدمهما أنشأ هذه المدرسة في رمضان في السنة المذكورة،

---

(١) هو: الملك الأفضل العباسي بن الملك المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول، ولي الأقطار اليمنية يوم وفاة أبيه بعدن سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، وفاته في شعبان ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٩٥.

(٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ١٥٩،والفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٩٥، ج١، ص ١١٧، وشفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٣.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٠٨، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ١٧٦.

(٤) هـو: محمد بن محمد بن المكرم بن أبي الخير رضوان بن أحمد، ويعرف بالمكرم المصري، وفاته في شعبان سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص ٤، والفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٣٢٤.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ١٣٩.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٨٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٣٦، ٢٤٣.

(٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٩٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٢٣.

وانتهى من إنشائها في آخر صفر سنة ٨١٤هـ/١٤١١م ، وقرر بها أربعة مدرسين، اختص كل منهم بتدريس مذهب من المذاهب الأربعة المشهورة، وستين طالباً من المتفقهين: عشرين من الشافعية وعشرين من الحنفية، وعشرة مالكية، وعشرة حنابلة، ويعلو المدرسة إحدى عشرة خلوة يسكن بها جماعة من الفقراء عدا واحدة خاصة بالمدرسة[١].

وموضع المدرسة وأوقافها بلغت تكاليفها أكثر من اثنى عشر ألف مثقال ذهباً ، وقد أخذ المدرسون الأربعة القضاة من شريف مكة حسن بن عجلان ذهباً، نال كل واحد منهم خمسين ديناراً[٢].

أما غلال الأوقاف، فقد قسمت خمسة أقسام، قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم، وثلاثة أقسام للطلبة وهم ستون طالباً، والقسم الخامس يقسم أثلاثاً، قسمان لسكان المدرسة، وهم عشرة رجال، وقسم لمصالحها من العمارة والمياه والزيت وغير ذلك[٣].

٧ - المدرسة الكلبرجية (٨٣٠هـ/١٤٢٦م)

في عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م بعث السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه[٤] سلطان كلبرجة[٥] من الهند صحبة المراكب القاصدة جدة أموالاً لتعمير مدرسة بمكة، وجعل وكيله في العمارة والشراء ملك محمود، والمباشر للمصروف ملك ضياء الدين، واشتروا من السيد بركات بن حسن بن عجلان داره التي على باب الصفا بتسعة آلاف مثقال، وشرع في بنائها في العام الذي بعده، واكتمل بناؤها في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م[٦].

ولما حج الشيخ علاء الدين البخاري[٧] سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م انتقل إلى البيت الموقوف على المدرسة الكلبرجية بقعيقعان، وأثبت عند القاضي جمال الدين الشيبي وقفية المدرسة، والنظر عليها لنفسه بشهادة الهنود على صاحب كلبرجة، وتولى هذا الشيخ التدريس بها، ومعه الشيخ عبد الواحد المرشدي[٨] الذي قرر للمدرسة أربعين طالباً من أي مذهب، وتدريس أي علم من تفسير، أو فقه، وكانت هذه المدرسة سكناً لكثير من نزلاء مكة والمجاورين، وسكنها أمير الحج الأول المصري إينال الفقيه[٩] سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م[١٠].

٨ - المدرسة الباسطية (٨٣٤هـ/١٤٣٠م):

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٥، والعقد الثمين، ج٣، ص ٣٢١، ج٤، ص ١٠٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٨٦.

(٢) عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ٥٥٨.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٣٢١، وشفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٨٦.

(٤) هو: شهاب الدين أبو المغازي أحمد بن أحمد بن حسن شاه، صاحب كلبرجة، وما والاها من بلاد الهند، وفاته في رجب عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٧٧٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢١٠.

(٥) كلبرجة: إحدى ولايات الهند، حكامها مسلمون، تقع في إقليم الدكن، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ١٢٩، هامش رقم (١).

(٦) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٥.

(٧) هو: محمد بن محمد العلاء أبو عبد الله البخاري العجمي الحنفي، ولد ببلاد العجم، ثم ارتحل إلى البلاد في طلب العلم، ثم توجه إلى الهند، فقطن كلبرجة، ونشر بها العلم والتصوف، ثم جاور بمكة، ثم توجه إلى القاهرة ومكث بها سنين، وفاته بدمشق ٨٤١هـ/١٤٣٧م، المقريزي، السلوك، ج٤، ق ٣، ص ١٠٦٢، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٤٠١.

(٨) هو: عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر، المعروف بالمرشدي، درس بالكلبرجية، وفاته بمكة في شعبان سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٨٧، والدر الكمين، ص ١٤٤.

(٩) هو: إينال الفقيه الحسني الظاهري برقوق الحاجب الثاني، تأمَّر على الركب الأول عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٣٢٦.

(١٠) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ٥٥.

هذه المدرسة على يسار الداخل إلى الحرم من باب العجلة، مؤسسها خليل بن إبراهيم، المقلب بالزيني عبد الباسط[١]، فقد اشترى دار أرغون الناصري نائب السلطنة بمصر لابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون، وأمر أستاداره[٢] بتعميرها في مكة، ولم ينقض عام حتى فرغ من عمارة أسفلها وغالب أعلاها، وأحكم بناءها، ولها شبابيك مشرفة على الحرم، وفيها خلاوي للفقراء بجانبها سبيل[٣].

وبالإضافة إلى ازدهار الحركة العلمية بهذه المدرسة على يد كبار علماء مكة وغيرها، فإنها كانت تستخدم مسكناً للأعيان القادمين إلى مكة وغيرهم[٤].

أما أوقافها فكان لها مباشر، وممن تولوا هذه الوظيفة أحمد بن محمد بن إبراهيم القاهري[٥]، وظلت هذه المدرسة تؤدي وظيفتها إلى ما بعد هذه الفترة، إذ ذكرها السنجاري المتوفى سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م ضمن مدارس مكة[٦].

٩ - المدرسة الزمامية (٨٣٥هـ/١٤٣١م):

أنشأ هذه المدرسة في تاريخها المذكور الطواشي خشقدم الزمام، وموقعها بمكان مدرسة دار العجلة استنتاجاً من ابن فهد[٧].

وقد قرر بها شيخاً من الصوفية، وجعل بها صهريجاً لجمع الماء من سطح المسجد الحرام، وخلاوي لسكن الفقراء، ووقف عليها الربع الذي بالمسعى، المعروف بربع التوريزي، وجعل الناظر على ذلك الشيخ شمس الدين الشامي متولي عمارة المدرسة الزمامية[٨].

١٠ - المدرسة الجمالية (٨٥٧هـ/١٤٥٣م):

وجود هذه المدرسة في هذا التاريخ ملتمس مما أورده السخاوي من تراجم من تولوا مشيختها، فترجمته لمحمد الشرف أبي الفتح بن أبي بكر العثماني المراغي، القاهري الأصل، المدني الشافعي، المولود عام ٧٧٥هـ/١٤٧٣م

---

(١) هو: زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم بن يعقوب الدمشقي، عظم أمره في دولة الأشرف برسباي، تولى نظر الخزائن والكسوة، حج كثيراً، نفي إلى الحجاز بعياله سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، ثم عاد إلى القاهرة وتوفي بها سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٢٤ - ٢٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٨٥.

(٢) الأستادار: هو الذي يتولى شؤون مسكن السلطان أو الأمير، ومصروفاته، وتنفيذ أوامره، وهذا اللقب فارسي مركب، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٠، ج٥، ص ٤٥٧.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٩، ص ٦٤، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٢٠، والنهروالي، الإعلام، ص ١٤٣، والسنجاري، منائح الكرم، ج٢، ص٣٤٧.

(٤) عن الذين سكنوها من الأمراء والأعيان وغيرهم في موسم الحج وغيره. انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ١٨٧، ص ٥٨، والدر الكمين، ص ١٧٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٣٥، ج٢، ص ٢٧٢، ج١٠، ص١٦٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص٧٣١، وعبد الله غازي، إفادة الأنام، ج٦، ص٢٢٤.

(٥) ويعرف بابن الأزهري، محمد بن إبراهيم القاهري، وفاته عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ١٣١.

(٦) السنجاري، منائح الكرم، ج٢، ص ٣٤٧.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤.

(٨) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

بالمدينة تبين أنه ولى مشيخة الصوفية بالجمالية أول ما أنشئت في هذا التاريخ[١] أي سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، وبعد وفاته تولى مشيختها إبراهيم بن عطية بن ظهيرة، كما تولى أوقافها[٢].

ولم يذكر ابن فهد ضمن من ذكرهم من وفيات كل سنة إلا بواب هذه المدرسة، فقد ذكر أنه في (ليلة السبت ٣ من جمادى الآخرة من عام ٨٦٨هـ/١٤٦٣م توفي رمضان بواب الجمالية)[٣].

١١ - المدرسة العطيفية (٨٦١هـ/١٤٥٦هـ):

أمرت بإنشاء هذه المدرسة خوندا الخاصكية[٤]، وأغفلت المصادر سبب هذه التسمية، وربما يعود ذلك لقربها من دار عطيفة، وكانت سكناً لخوندا عند زيارتها لمكة[٥].

١٢ - المدرسة الكنبائية (٨٦٦هـ/١٤٦١م):

في هذا التاريخ استؤجر البيت المعروف بأبي شامة[٦] الملاصق للمسجد الحرام لصاحب كنباية[٧] غياث الدين محمد شاه بن السلطان ناصر الدين أحمد شاه، وشرع في بنائها في العام نفسه، واكتمل بناؤها في السنة التي بعدها، وخصص فيها قاعة لحضور درس التصوف، وخلاوي علوية وسفلية، وطبقة ثالثة للفقراء وصهريجا لجمع الماء من سطح المسجد الحرام، وقرر فيها عشرة من أهل مكة لقراءة ربعة، وعلى الرغم من وقف المدرسة فإنها أصبحت مسكناً للإيجار[٨].

١٣ - مدرسة قايتباي (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) :

من المدارس المشهورة بمكة وكانت بأمر من السلطان قايتباي، إذ أمر وكيله محمد بن عمر الشهير بابن الزمن أن يبنى له مدرسة تدرس فيها المذاهب الأربعة، فاشترى دار الشريفة شمسية وهدمها، كما هدم رباطي السدرة والمراغي، وبنيت هذه المدرسة عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، وانتهى بناؤها بعد عامين، وكان ذلك على يد الأمير سنقر الجمالي[٩].

وضمت هذه المدرسة مكتبة، أرسلها السلطان، حَوَتْ مجموعة ضخمة من الكتب وقرر السلطان وظائفها بأن يكون لها أربعة مدرسين يدرس كل منهم أحد المذاهب الأربعة، وطلابها أربعون، وللمكتبة خادمٌ راتبه محدد، وعين بها ثلاثة مؤذنين،

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ١٦٥، والسيوطي، نظم العقيان، ص ١٣٩.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٩٣.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٥٧، والدر الكمين، ص ٣٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٢٩.

(٤) هي: زينب الخاصكية بنت علي بن خليل، زوجة الأشرف إينال، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٤٤.

(٥) عن هذه المدرسة انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٣٧٢، ٥٨٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١١١، وحوادث الدهور، ج١، ص ٣٠٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٤١، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٥٣.

(٦) هو: أبوبكر بن سالم بن حسن، المغربي الأصل، نزيل مكة، والمشهور بأبي شامة، وداره كانت محل هذه المدرسة، توفي سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م، ابن فهد، الدر الكمين، ص ١٧٨.

(٧) كنباية: مدينة بالهند من مملكة بلهري على خليج من البحر، الحميري، الروض المعطار، ص ٤٩٦.

(٨) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٣٣.

(٩) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٢، والسخاوي، الضوء، ج ٦، ص ٢٠٧، والنهروالي، الإعلام، ص ١٥٢.

ومسبِّلا[١] لولاية أمر الماء، وعشرة أيتام، وقرر لكافة العاملين ما يكفيهم من القمح ويرسل لهم من مصر سنويّا، وقرر الخبز، والدشيشة التي توزع عليهم يوميّا، ووقف عليهم عدة ضياع من مصر ترسل غلاتها إلى المدرسة كل عام، كما اشترى بمكة عدة دور، وجعل أجورها وقفاً على هذه المدرسة، وقد عرفت أيضاً باسم المدرسة الأشرفية نسبة إلى السلطان الأشرف قايتباي[٢].

وقد منع السلطان السكن بمدرسته، لكنها أصبحت بمرور الوقت دار ضيافة يترل فيها أمراء الحج المصري، وكان شريف مكة يزور كبار القادمين إلى مكة في مقر سكنهم بالمدرسة الأشرفية، ففي عام ٩١٩هـ/١٥١٣م زار أمير مكة محمد بن بركات الأمير الدوادار في سكنه بها[٣].

ب - مدارس المدينة المنورة:

أسهمت المدينة كغيرها من المدن والحواضر الإسلامية بنصيب وافر في الحركة العلمية، حيث أنشئ بها العديد من المدارس التي ساعد في إنشائها السلاطين، والملوك، والأمراء، والأعيان، وقد حرص مؤسسوها على أن تكون مطلة على المسجد النبوي الشريف رغبة في ارتباطهم الروحي بالمسجد النبوي، وطلباً لمثوبته تعالى، وأيضاً ليستمد روادها من الدارسين والمدرسين جوّا روحيّا، ومن أبرز مدارس المدينة في تلك الفترة :

١ - المدرسة الشيرازية:

ويبدو أن مؤسسها من أهل شيراز، غير أن المصادر لم تحدد فترة إنشائها لكن أشارت إليها في أوائل القرن الثامن الهجري، وكان المشرف القائم عليها الشيخ إبراهيم الرومي الذي كان له دور في ترميمها، كما اشترى في سبيلها نخلاً، ووقفه عليها[٤].

٢ - المدرسة الجوبانية:

أنشأها جوبان أتابك العساكر المغولية[٥]، نائب السلطان المغولي سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، وموقعها كان دار عبدالله بن مكمل غربي المسجد النبوي، وتيمنا بهذا المكان بنى له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد النبوي الشريف بين دار الشباك والحصن العتيق أملاً بدفنه فيها بعد وفاته، لكن لم يتم قصده لامتناع أمير المدينة عن دفنه فيها[٦].

---

(١) المسبل: من يقوم بولاية أمر الماء، لشرب الناس وإروائهم تقربا إلى الله تعالي ، والسبيل من المنشآت الإسلامية المتصلة باستخدام الماء وشربه،محمد أمين وليلي إبراهيم ،المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ،ص ٦٢ ، ومحمد حمزة الحداد ، في الآثار الإسلامية ،ص٧٥.

(٢) عن مدرسة قايتباي المشهورة التي استمرت إلى ما بعد هذه الفترة، انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦١٢، ٦٤٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٠٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٢٩، وابن طولون، مفاكهة الخلان، ج٢، ص ٣٢٩، والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ١٥٢، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ١٣٠.

(٣) عن ساكني هذه المدرسة. انظر: عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٣، ص ٢٣٤، وبلوغ القرى، ص ١٨٣، والنهروالي، الإعلام، ص ١٥٢، والنابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٤٥٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٦٠، ١٤٨.

(٤) هو: إبراهيم الرومي (العريان) ، توفي بالمدينة سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، ثم خلفه الشيخ سليمان الونشريشي المتوفى سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١١٨، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص١٥٤.

(٥) هو: جوبان بن تدوان نائب السلطان أبو سعيد بن خربندا، قتل على يد أبي سعيد سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٧٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٨٥، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٤٣١.

(٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧٠٢.

٣ - المدرسة الباسطية:

أنشأها القاضي عبد الباسط[١] سنة بضع وأربعين وثمانمائة، وهي مواجهة للمدرسة الأشرفية التي بناها فيما بعد السلطان أشرف قايتباي.

٤ - المدرسة المزهرية:

أنشأها أبوبكر الزيني أبوبكر بن مزهر، رئيس ديوان الإنشاء بمصر، وتقع جهة باب الرحمة[٢].

٥ - المدرسة الأشرفية:

أمر السلطان الأشرف قايتباي ببناء مدرسة ورباط فيما بين بابي السلام والرحمة في أعقاب الحريق الذي نشب بالمسجد النبوي، وإنشاؤه للمدرسة والرباط كان في سنة ٨٨٧هـ/١٤٧٢م. وفي سنة ٨٨٩هـ/١٤٧٤م أرسل السلطان قايتباي خزانة كبيرة من الكتب، والمصاحف، وجعلها بالمدرسة وقفاً على طلبة العلم، كما وقف قرى بمصر يحمل ريعها إلى المجاورين، والطلاب، فكانت حصة الفرد سبعة أرادب في العام[٣].

٣ - الأربطة في الحرمين :

كانت مهمة الرباط [٤] في أول أمره الدفاع عن الأراضي الإسلامية، فكان يقام على الثغور المتاخمة للعدو، فالرباط على ذلك عبارة عن بناء حصين يعسكر فيه المتطوعون من المجاهدين في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وامتثالاً لأمره، قال تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}[٥]، لذلك حرص المسلمون على بناء الأربطة في مختلف المدن والثغور الإسلامية المتاخمة للعدو منذ القرن الأول الهجري[٦].

ولما اتسعت الدولة الإسلامية، وقويت شوكتها خلال القرن الرابع الهجري، واكب ذلك تطور ملحوظ في شتى مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتغيرت بذلك وظيفة الرباط - خاصة في المشـــرق الإسلامي - حيث بدأ يتحول إلى إيواء الفقراء والمحتاجين، فبعد أن كان منشؤه على الحدود لحماية الثغور صار يبنى داخل المدن لغرض اجتماعي هو السكن والإيواء[٧].

وتذكر المصادر أن هذه الأربطة كان يقفها الخليفة أو السلطان، أو القائد والتاجر والأمير، وغالباً ما كان يسمى الرباط باسم واقفه، وقد ينسب إلى من قام بتعميره، أو إعادة بنائه، أو باسم من مكث فيه فترة طويلة من

---

(١) ربما يكون عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الزيني الدمشقي، ولد سنة ٧٨٤هـ/١٣٧٢م بدمشق، وفاته بالقاهرة تقريباً سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٢٤ - ٢٧، والتحفة اللطيفة، ج٣، ص ٤٤٣.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٤.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٣٠٧، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٣، والنهروالي، الإعلام، ص ٢٢٨.

(٤) يطلق الرباط، ويراد به ملازمة الثغر والمرابطة فيه، وقيل: أن يربط كل من الفريقين خيولهم بثغره، وعلى ذلك سُمي المقام في الثغر رباطاً، ويطلق الرباط على الحصن المقام عند ساحل، أو شاطئ بقصد الدفاع عن الثغور، ويرابط فيه المجاهدون. وبمرور الزمن تحول الرباط إلى مأوى لإقامة الفقراء وغيرهم من رواد العلم معلمين ومتعلمين، الزبيدي، تاج العروس، ج٥، ص ١٤١، والمقريـــزي، الخطط، ج٢، ص ٤٢٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٠٩، هامش (٣)، والسنجاري، منائح الكرم، ج٢، ص ٩٥، هامش (٧)..

(٥) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٦) حسين مؤنس، فجر الأندلس، الدار السعودية، جدة، ١٤٠٥هـ، ص ٦٢٣.

(٧) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١١٨، ١٢٣.

المجاورين[١]، وقد ينسب إلى اثنين اشتركا في وقفه، وتتباين الأربطة في شروط وقفيتها، ومنها ماكان وقفاً على عامة المسلمين بغض النظر عن جنسهم.

وكان لاهتمام حكام المسلمين، وتسابقهم في الأعمال الخيرية أكبر الأثر في زيادة عدد الأربطة بالمدينتين المقدستين، وحذا حذوهم الأمراء وكبار رجال الدولة، ولم يقتصر اهتمامهم في وقف الأربطة على الرجال بل شمل النساء أيضاً، فوقفوا لهن أربطة خاصة بهن كانت بمثابة الخزائن التي تحفظ حقوقهن، وتقوم بشئونهن، وكان للأربطة أيضا دور في نشر العلم والثقافة، وكان لمشروعية الوقف في الإسلام أكبر الأثر في ازدهار الأربطة واستمرارها، إذ أن الأوقاف هي المورد الرئيسي للأربطة، وهي بمثابة الشريان لها تنشط بوجودها، وتضمحل بانقطاعها، وكان من أبرز هذه الأربطة في المدينتين المقدستين:

أ - أربطة مكة المكرمة:

١ - رباط العباس:

يقع بين الصفا والمروة حسب نص ابن بطوطة في رحلته[٢]. وذكر الفاسي أنه بالمسعى، وبه العلم الأخضر[٣].

واكتسب الرباط اسمه من اسم العباس[٤] بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وكان في الأصل داراً له، ثم صار رباطاً، وقد عمره ووقفه السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان وقفه سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، انفرد ابن بطوطة بذكر ذلك في رحلته[٥].

٢ - رباط الزمازمة:

ينسب هذا الرباط إلى اسم واقفه الطواشي خشقدم الزمام[٦]، ويقع بقرب المسجد الحرام، وتاريخ وقف الرباط المذكور مابين سنوات (٨٣١هـ/١٤٢٧م، ٨٣٩هـ/١٤٣٥م[٧].

٣ - رباط الباسطية:

ينسب هذا الرباط إلى عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي، وقد وقفه سنة ٨٣٥هـ /١٤٣١م، ويقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام عند باب دار العجلة،

---

(١) المجاورون: هم الوافدون من شتى أنحاء العالم بقصد الحج والمجاورة، أو الحج، وطابت لهم الحياة، وفضلوا المجاورة لحرم الله وحرم رسول الله ﷺ، وكان من بين صفوفهم التجار والحجاج وطلبة العلم والعلماء، أو أثرياء المسلمين لينفقوا ما معهم في آخر حياتهم طلباً لمثوبة الله ابن ظهيرة، الجامع ص ١٨، والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٨١.

(٢) ابن بطوطة، رحلته، ص ١٦٢.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٢.

(٤) **العباس عم النبي** ﷺ ، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، توفي سنة ٣٢هـ/٦٥٢م. جمال الدين يوسف بن حسن المقدسي (ابن المبْرَد) ، (٨٤٠-٩٠٩هـ) كتاب الشجرة النبوية في نسب خير البرية ص ٦٢.

(٥) ابن بطوطة، رحلته، ص ١٦٢.

(٦) هو: **الطواشي خشقدم الظاهري برقوق**، تنقل في المناصب حتى صار خازندار في الأيام الأشرفية، واستقر زماناً حتى وفاته سنة ٨٣٩هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ١٧٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٦٤٠، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧١٤.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤.

المعـــروف فيـــما بعد ببـــاب الباسطيـــة[١].

٤ - رباط خوند بنت خاص بك:[٢]

يقع هذا الرباط على يمين الذاهب إلى الصفا، وسمي باسم واقفته التي أمرت بإنشائه سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، غير أن عمارته لم تكتمل بسبب خلع ابنها السلطان الأشرف إينال من الملك، فتركت عمارة الرباط[٣].

٥ - رباط السلطان قايتباي:

أنشيء هذا الرباط في أوائل سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، ويقع على ما تبقى من مساحة رباطي السدرة والمراغي، وعمر المدرسة والرباط المذكور، وانتهي من عمارتهما سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م[٤].

٦ - رباط السلطان قانصوه الغوري:

يقع هذا الرباط عند باب الوداع، وهو أحد أبواب الحرم المكي، وقد أوكل هذا السلطان خاير بك العلائي[٥] بعمارة هذا الرباط، وعمارة مدرسته، وتبليط المسجد الحرام، وإجراء عين بازان إلى مكة، وذلك في رجب سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وانتهي من عمارة الجميع في أوائل سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م، لكن وقف الرباط كان في السنة التي قبلها[٦].

ب - أربطة المدينة المنورة:

١ - رباط ياقوت:

وقد وقفه ياقوت المظفري المارداني على الفقراء والمساكين والغرباء، الرجال دون النساء، ويقع في حارة الأغوات في الطرف الشمالي بعد منهل العين الزرقاء، وقد بني هذا الرباط في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث وجد على بابه كتابه أثرية مؤرخة بسنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م تتضمن وقفية باسم ياقوت المظفري المارداني[٧].

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٩.

(٢) خوند المذكورة سبق التعريف بها في مبحث حجات السلاطين وزوجات كبار رجال الدولة.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٣٧٢.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٢٠، والنهروالي، الإعلام، ص ١٥٢، والسنجاري، منائح الكرم، ج٢، ص ١٨٢، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ١٢٦.

(٥) هو: خاير بك العلائي تولى عدة وظائف، منها الإشراف على عمائر السلطان في مختلف الأماكن، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٩٧.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ص ١٦٣، ج٥، ص ٩٥.

(٧) عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ص ١٩٠.

٢ - رباط ريحان الهندي:

وقفه أحد خـــدام المسجـــــد النبـــوي الشريـــف، ومـــن مآثره رباطان، وسقاية عم النفع بهمـــا، وتـــوفي بعد العشرين والسبعمائة من الهجرة[١].

٣ - رباط ناظر الخاص:

أنشأ الفخر ناظر الخاص رباطاً مقابل دار معاوية، بابه يطل على سوق المدينة، وذلك في سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م[٢].

وعندما حج بيسق الظاهري[٣] سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م قام بتجديد هذا الرباط وبنائه[٤].

٤ - رباط الأشرف قايتباي:

أمر السلطان الأشرف قايتباي، شمس الدين بن الزمن سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م بإنشاء رباط، ومئذنة، ومدرسة تشرف على المسجد النبوي الشريف، وذلك عقب نشوب حريق المسجد النبوي عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م، حيث هدم المدرسة الجوبانية، والمدرسة الغياثية، وأقام مكانهما مدرسة، ورباطاً، وحماماً، وكُتاب سبيل للأيتام باسم هذا السلطان، وذلك فيما بين بابي السلام والرحمة، وتم الانتهاء من كل ذلك سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م[٥].

٤ - "البيمارستانات" في الحرمين الشريفين:

قد أعد "البيمارستان"[٦] في تلك الفترة لمعالجة المرضى، فضلاً عن إقامتهم، حيث كان الهدف والغاية من إنشائه خدمة المجتمع بكل فئاته دون مقابل مادي[٧].

وكان هناك نوعان من "البيمارستانات"، أحدهما ثابت، والآخر محمول أو متنقل، فالثابت في أي مكان أو جهة من الجهات كان لا ينتقل منها، ويؤدى وظيفته بها، أما المحمول أو المتنقل، فهو الذي يتحرك من مكان لآخر حسب ظروف الأمراض، والأوبئة، أو الحروب، وهذا الأخير (المتنقل) كان معروفاً لدى خلفاء المسلمين، وملوكهم، وسلاطينهم، وكان عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم المريض من مختلف الأدوية، والأدوات الطبية المستخدمة في علاج المرضى، وقد عرف هذا النوع في تلك الفترة، لأنه كثيراً ما كان يأتي بصحبة ركب الحجاج ولا سيما

---

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٧٢.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧٢٣.

(٣) هـــو بيسق الشيخي أمير آخور الظاهري برقوق، توفي سنة ٨٢١هـــ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٢.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٩٦، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧٠٢، والنابلسى : عبد الغني بن إسماعيل، (ت١١٤٣هـــ)، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٣٣٥.

(٦) البيمارستان: لفظ مركب من (بيمار) أي مريض، (ستان) أي محل، أو دار، أو مكان، وهو مكان لمعالجة جميع الأمراض العقلية، والجسدية، والجراحية، وكان يختار موقع بناء المستشفى بدقة، وعقلانية متناهية، فيراعى المكان الصحي المناسب، والذي يتوافر فيه الماء النقي، والجو الصحي، والبيمارستان لفظ فارسي، فالفرس كانوا في أوائل من عرفوه، المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص ٧١٦، وعبد الله السعيد، المستشفيات الإسلامية في العصر الأموي إلى العصر العثماني، دار الضياء، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـــ/١٩٧٨م، ص ٥٠.

(٧) أحمد بن عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق، ١٣٥٧هـــ/١٩٣٩م، ص ٢٦١.

ركب الحاج المصري، وكان يصاحبه طبيب عارف، وجراح حاذق، وكحال ماهر، فضلاً عن مختلف الأدوية، والمراهم، وبذلك أسهم في تقديم الرعاية الصحية لأهالي المدينتين المقدستين والحجاج[١].

أ - "البيمارستانات" في مكة المكرمة:

كان بمكة بيمارستان عمره ووقفه الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، ويقع بالجانب الشمالي من المسجد الحرام قرب باب الزيارة، وفي سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م أمر السلطان الأشرف شعبان بتجديده، ووقف عليه أوقافاً يصرف ريعها سنويّا على هذا البيمارستان، وقد بلغ جملة ما ينفق عليه سنويّا ثمانية وعشرين ألفاً وثمانمائة وخمسين درهماً نقرة، وخصصت هذه المبالغ على أوجه الصرف فيه[٢].

وفي عام ٨١٦هـ/١٤١٣م قام الشريف حسن بن عجلان أمير مكة بعمارة ما تخرب من هذا "البيمارستان" حتى يؤدي وظيفته التي أنشئ من أجلها[٣].

وفي أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وقف الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني [٤]بعض الأماكن بالحجاز على هذا "البيمارستان"، وفي رجب سنة ٧١٩هـ/١٣١٩هـ قام خاير بك[٥] بترميمه[٦].

وفي سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م عمر أحمد بن جمعة[٧] جانباً منه ، ووسع فيه، وفتح له جانباً خصصه لإخراج الموتى، وإدخال الحطب والماء العذب[٨].

ب – "البيمارستانات" في المدينة المنورة:

كان بالمدينة بيمارستان يواجه المسجد النبوي الشريف من الجهة الشمالية الشرقية موضع دار أبي الغيث ابن المغيرة، وقد عمره الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٢م[٩]، وحين أرسل مجموعة من البنائين لعمارة المسجد النبوي أرسل بصحبتهم طبيباً ، ومعه أدوية، كما ذكر ذلك ابن تغري بردي عمارة السلطان المذكور، فبعد ذكره

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٠٠، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ١٩٥، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٣٤٢، وأحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، ص ١١.

(٢) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١١٥.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٢٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٧، والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٢٠٣.

(٤) هو: الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني من أهل بونة من أعمال تونس بالمغرب، وكان مجاوراً بمكة المكرمة، النهروالي، الإعلام بأعلام، ص٢٠٣ - ٢٠٤.

(٥) سبق التعريف به ضمن المبحث الثالث في الفصل الأول.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٣.

(٧) هو: أحمد بن جمعة بن عبد الله الواسطي الخراز، وفاته في محرم سنة ٨٥٧هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢٦٨.

(٨) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٢٩.

(٩) ذكر السخاوي في مصنفه التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥، أن الذي أنشأ البيمارستان بالمدينة هو الخليفة المستنصر بالله أبوجعفر سنة ٦٢٧هـ.

لعمارة المسجد الشريف ذكر أنه جدَّد البيمارستان بالمدينة المنورة، ونقل إليه سائر المعاجين، والأكحال والأشربة، وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية[١].

٥ - المرافق المدنية في الحرمين الشريفين:

حظيت المدينتان المقدستان باهتمام ورعاية سلاطين المماليك، والخلفاء، والأمراء، وكبار المحسنين تخفيفاً عن سكان الحرمين الشريفين، والوافدين إليهما، وعنايتهم بهذه المرافق كان علاجاً لما تعانيه البلاد من ندرة الأمطار، وقلة مياه الآبار، وشح المياه عموماً، وخاصة مكة المكرمة التي تعاني من كثرة وفود الحجاج سنة بعد أخرى، وكان جل اهتمام هؤلاء وأولئك يتجه إلى توفير المياه أهم عنصر للحياة، فشرعوا في حفر الآبار، وعمارة العيون، وإنشاء البرك، والأسبلة، والخزانات، والمطاهر، إلى غير ذلك من خدمات عديدة ومتنوعة ، أهمها:

أ - المرافق في مكة المكرمة:

كان بها بركتان عمرتا، وتم إصلاحهما في عهد السلطان الملك الناصر حسن سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م[٢].

وقد عمر الأمير شيخون[٣] العمري الناصري بئراً هي بئر النجار على يسار الذاهب إلى منى سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م[٤].

وأنشأ السلطان برقوق حوضاً لسبيله عند باب المعلاة، وسمي باسمه سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م[٥].

أما السلطان الأشرف برسباي، فقد كلف الزيني عبد الباسط ناظر الجيش بحفر بئر وسبيل في طريق العمرة سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م[٦].

وبنى السلطان قايتباي سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م سبيلاً بالمسعى، وهدم سبيلاً آخر أمامه إلى جهة المسعى كان قديماً على يمين الذاهب إلى المروة حين أشار بهدمه شمس الدين بن الزمن والمهندسون حتى تظهر عمارة السلطان، وبعد هدمه صار المسعى مكشوفاً، وعمارة السلطان ظاهرة، كما أمر هذا السلطان بتجديد عين عرفة، بعد أن انقطع ماؤها، فضلاً عن إصلاحه لعين خليص، وبركتها، وبناء قبتها[٧].

---

(١) قطب الدين اليونيني، ذيل مرآة الزمان، المجلد الثاني، ص ٣٢٥، حوادث سنة ٦٦٣هـ، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٩٤، وابن بهادر، فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، ج٧، ص ١٣٦.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٩.

(٣) هو: **الأمير شيخون بن عبد الله العمري الناصري**، أول من سمي بالأمير الكبير، يقول ابن فهد في حوادث سنة ٧٥٨هـ: (وفيها عمر مولد النبي ﷺ، وبئر النجار بأول مضيق منى على يسار الذاهب من مكة المشرفة إلى منى، وكانت عمارة البئر في شوال، وذلك من جهة الأمير شيخون أحد كبار رجال الدولة بمصر على يد الأمير طقطاي)، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣٢٤، ٣٢٦، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٢٧٠، ٣٤٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٥١٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٤١.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧ - ٣٣٨، والعقد الثمين، ج١، ص ١٢٤، والنهروالي، الإعلام، ص ٢١٢.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٦٤، والنهروالي، الإعلام ص ١٥١، والحنبلي، نزهة الناظرين، ص ١١٣، وهناك لوحة تأسيسية من الحجر مؤرخة بعام ٨٧٥هـ في أسفل جبل الرحمة على مقربة من القناة وتشير إلى نص العمارة، إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص٢١٧.

وتناولت يد الإصلاح أيضاً بعض البرك بمكة، منها بركتان بسوق الليل[١]، وبركة ماجن عند باب مكة جهة اليمين، وكانت تستخدم لسقيا بعض أحواض الزراعة بالمسفلة، كما انتفع بها أصحاب مصانع الطوب[٢].

وفي عام ٧٢٦هـ/١٣٢٥م أعيد ترميم عين حنين[٣]، من قبل جوبان بن تدوان نائب السلطنة بالعراقين، فعم النفع بها[٤].

كما جهز السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون لعمارة (عين جوبان)[٥] من مال الحرمين بمبلغ مائتي ألف درهم، وشرع في عمارتها حتى أصلحت، وجرى ماؤها[٦].

وقد تولى عبد الله الجوهري[٧] عمارة عين بازان من أموال صدقات السلطان الظاهر برقوق سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م، ولكن لم يتيسر جريانها[٨].

وفي سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م أمر السلطان الغوري خاير بك المعمار أن يأخذ جماعة من البنائين إلى مكة لإجراء عين حنين، وقد أصلح المواضع التي تهدمت حتى جرى الماء بها، وامتلأت بركتا المعلاة وماجن[٩].

ولم تقتصر الإصلاحات من سلاطين المماليك على توفير المياه لأهل مكة وحجاج بيت الله الحرام بإنشاء هذه المرافق العديدة، بل تعدى الأمر إلى إنشاء عدد من المطاهر للوضوء حول المسجد الحرام، وعلى مقربة منه، ففي عشر السبعين وسبعمائة بنى الأمير طيبغا الطويل[١٠] مطهرة بأسفل مكة عند باب العمرة، ووقف عليها أوقافاً[١١].

كما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م عند باب بني شيبة مطهرة اشترى موضعها من شريفي مكة عطيفة ورميثة ابني أبي نمي، بخمسة وعشرين ألف درهم[١٢].

وفي سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م أمر السلطان الغوري ببناء مطهرة عند باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد الحرام[١٣].

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٤٠.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٤٨.

(٣) **عين حنين:** وهي بمنطقة سهل حنين، ويقال لها أيضاً حائط حنين، وتعرف أيضاً بعين زبيدة في المنطقة الواقعة بين مكة والطائف على جبل (طاد)، وقد اشترت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد الأراضي، ومهدت الطريق لمائها، وأمرت ببناء قناة يجرى فيها الماء حتى مكة إلى أن وصلت مياهها إلى الحرم، كما وضعت البازانات في كل حي من أحياء مكة، واشترت عيوناً كثيرة، أوصلتها جميعاً إلى عين حنين، الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٢٢٦، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ١٥١.

(٤) الفاسي، وشفاء الغرام، ج١، ص ٥٥٤.

(٥) **عين جوبان:** منسوبة إلى الأمير جوبان بن تدوان نائب السلطنة في العراقين الذي شرع في عمارتها، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٤٤٦، ٤٤٧، وشفاء الغرام، ج١، ص ٥٥٥.

(٦) الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٤٥.

(٧) **هو: عبد الله الجوهري** من أعيان تجار مكة، وفاته في الثاني عشر من شعبان سنة ٨٠٠هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٣٠٤.

(٨) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٠٩.

(٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٣، وإبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٢١٦.

(١٠) **هو: طيبغا بن عبد الله الطويل الناصري،** أحد الأمراء المقدمين بالديار المصرية، الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٧٥، وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٣٧٥.

(١١) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٥١، والعقد الثمين، ج٥، ص ٧٥.

(١٢) ابن الوردي، تتمة المختصر، ج٢، ص ٤٠٥، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٥٠، والعقد الثمين، ج٦، ص ١٣٥.

(١٣) البكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص ٤٣٤، والطبري، الأرج المسكي، ص ٢٠٠.

ب - المرافق في المدينة المنورة:

المدينة في وفرة المياه أحسن حالاً من مكة، لكثرة آبارها وعيونها، فمدار شرب أهلها كان على الآبار والعيون، ومع ذلك حظيت المدينة المنورة بعناية السلاطين المماليك، والأمراء والأعيان الذين اهتموا بمرافقها المدنية، وزادت عنايتهم بها تعميراً، أو جرياناً وتجديداً، ففي سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م أجرى السلطان الأشرف قايتباي ترميماً في عين الزرقاء[١] بالمدينة على يد الخواجا شمس الدين بن الزمن[٢].

ويبدو أن هذا السلطان كان معنيّا أكثر بأهالي الحرمين، الوافدين إليهما، وما مر من قبل يؤكد ذلك، فكما أجرى، أو عمل على إجراء ماء عين زبيدة من عرفات إلى مكة، فجرى ماء العين بالمسعى قرب باب السلام، كذلك ساق ماء العين الزرقاء إلى المدينة المنورة، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[٣]، كما عمر الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م بركة كبيرة بطريق المدينة، برأس وادي بني سالم يردها الحجاج وينتفعون بها[٤].

وبالإضافة إلى العناية بتوفير مياه الشرب لأهالي المدينة وزوارها، اقتضى الأمر إنشاء عدد من المطاهر حول المسجد النبوي للوضوء، ففي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م أمر السلطان المنصور قلاوون[٥] بإنشاء مطهرة بالجانب الغربي من المسجد النبوي عند باب السلام، وكان المشرف على عمارتها الأمير الصالح علاء الدين الأقمر[٦] كما أشار السخاوي إلى بعض المطاهر في المدينة وقال: "ومنها مطهرة عند باب السلام، وهي غاية في الاتساع والانتفاع، وأخرى شامي المسجد من المغرب ، ولها باب منه. وثالثة شرقية بالقرب من دار إبراهيم الريس، ورابعة في رباط الأشرف قايتباي.."[٧].

---

(١) **العين الزرقاء**، أو عين الأزرق، أجراها مروان بن الحكم عامل المدينة بأمر من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأصلها من قباء من بئر كبيرة غرب مسجد قباء في حديقة نخل تسمى الجعفرية، وقد أوصلت إلى باب المدينة، ثم إلى مصلى الأعياد، ثم إلى باب الرحمة، وقد قام بإيصالها الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م، وجعل لها مصرفاً من تحت الأرض، وكان قد جعل منها قناة تدخل إلى صحن المسجد النبوي، وجعل لها درجاً على عقد يخرج الماء إليه فواراً لينتفع الناس به في الوضوء وغيره، كما أشار ابن بطوطة إلى العين الزرقاء قائلاً: "وبالمقربة من باب السلام سقاية ينزل إليها على درج، ماؤها معين، وتعرف بالعين الزرقاء"، ابن بطوطة، رحلته، ص ١١٦، والخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة ص ٢١٠، والبلوي، تاج المفرق، ص ٢٨٨، والمطري، التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة، ص ١٧.

(٢) زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٧١، ومحمد أنور شكري، لوحان أثريان، ص ٤٢.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٥٥٤، وعبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، طبع على نفقة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - ط١، ١٣٥٣هـ، ط٢، ١٣٧٨هـ، ط٣، ١٣٩٣هـ، ص ٢٦٤.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص ٥٣٣.

(٥) **هو: السلطان الملك المنصور قلاوون** أبو المعالي أبو الفتوح الصالح النجمي، يقال له الألفي، تسلطن يوم الأحد ٢٠ من رجب سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، ومات ليلة السبت ٦ من ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٣٨، والسلوك، ج١، ص ٦٦٣، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٩٢، وأبوالفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص ١٢.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥، كما أشار ابن بطوطة في رحلته إلى هذه المطهرة بقوله: "ثم أمر الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام، فتولى بناءها الأمير الصالح علاء الدين المعروف بالأقمر، وأقامها متسعة الفناء، وتستدير بها البيوت، وأجرى إليها الماء، وأراد أن يبني بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك فلم يتم له". رحلة ابن بطوطة ص ١١٨.

(٧) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥.

الفصل الثاني

أوقـــاف الحرمين الشريفين في مصـــر وفي المدينتين المقدستين: مكة والمدينة

أولاً: الأوقـــاف على شـــؤون الحرمـــين الشريفـــين.

١ ـ أوقاف السلاطين.

٢ ـ أوقاف الأمـــراء والأعيان.

ثانياً: الأوقاف على الأشراف وأهالي الحرمـين الشريفين.

١ ـ أوقاف السلاطين.

٢ ـ أوقاف الأمـــراء والأعيان.

ثالثاً: الأوقاف على الخدمات العامة بالحرمين الشريفين.

١ ـ أوقاف السلاطين.

٢ ـ أوقاف الأمـــراء والأعيان.

أوقاف الحرمين الشريفين في مصر، وفي المدينتين المقدستين: مكة والمدينة

أبدى سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) اهتماما كبيرا بالحرمين الشريفين، ويدل على ذلك ما أنفقوه وما وقفوه على المدينتين المقدستين، وما يتصل بهما من مرافق عامة وخدمات، وتمثلت الأوقاف في قرى ومنشآت وأراضٍ زراعية ، خصّص ريعها للصرف على مصالح الحرمين، وعلى أهاليهما، ومن يفد إليهما، أو يجاور رحابهما.

وقد دلّت على تلك الأماكن الموقوفة مجموعة من الوثائق والحجج، تعدّ المصدر الأول لموضوع هذه الدراسة، لأنها تلقي أضواء جديدة على طبيعة نظام الوقف في تلك الفترة الزمنية،كما توضح أثر هذه الأوقاف على أهالي مكة والمدينة، وخاصة من النواحي الاجتماعية والحضارية.

ومن واقع الوثائق يلاحظ أن أوجه الصرف في أوقاف الحرمين شملت: شئون الحرمين الشريفين، والأشراف والأهالي في المدينتين المقدستين، كما اهتمت بالخدمات العامة للحرمين .

وكما تعددت أوجه الصرف، تنوعت شخصيات الواقفين، فلم يكن الوقف مقصوراً على السلاطين، بل إن الأمراء والأعيان كان لهم دور كبير في هذه الأوقاف .

وفي هذا الفصل توضيح لذلك كله، كما تنطق به الحجج الوقفية، وتبرهن عليه أقوال المؤرخين لتلك الفترة في المصادر المعتمدة .

أولاً: الأوقاف على شؤون الحرمين الشريفين:

١ - أوقاف السلاطين:

يأتي في مقدمة هذه الأوقاف ما قام به السلطان حسن بن محمد بن قلاوون[١] (٧٤٨ - ٧٥٢ هـ) و (٧٥٥- ٧٦٢ هـ) من وقف بعض الدور بمدينة حماة، وبعض القرى في الشام، ليعود ريعها إلى مصالح الحرمين المكي والنبوي، من حيث عمارة كل منهما وفرشه، ووقوده، ولم تغفل حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون تفصيل ماذكر، فقد أشارت في هذا الصدد إلى الأعيان الموقوفة بها بأنها: "... جميع بيت الأرجى العامر الراكب على النهر العاصي، وذلك بحماة المحروسة بباطن باب الناعورة بالسوق الأسفل بالقرب من الجامع، والبيمارستان النوري، ويعرف بطاحون السوق، والنصف من قرية كرك نوح[٢]. ..."[٣].

وضمن شروط الواقف الأول: "... أن يصرف سهم منه نصفين، النصف الأول في مصالح الحرم المكي من عمارة المسجد الحرام، وترميم، وفرش، ووقود، وغير ذلك مما يُحتاج إليه من المصالح المذكورة..."[٤]، والثاني

---

(١) هو السلطان الناصر بدر الدين أبو المعالي، تسلطن في ١٤ من رمضان سنة ٧٤٨هـ، ومات مقتولاً يوم الأربعاء ٩ من جمادى الأولى سنة ٧٦٢هـ، المقريزي، لمزيد من المعلومات عنه انظر : الخطط، ج ٢، ص ٣١٦، والسلوك ج٢، ص ٨٤١، ابن ودقماق، والجوهر الثمين، ج٢، ص ١٩٥.

(٢) نوح: كرك: يفتح اوله وثانيه ، كلمة أعجمية وهي اسم لقلعة حصينة في طرف الشام، وكرك نوح : قرية كبيرة قرب بعلبك ، وبها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام ،ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٣.

(٣) حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، دار الوثائق القومية، رقم الحجة (٤٢)، رقم المحفظة (٦)، سطر رقم ٢٩، ٣٣، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) الحجة نفسها سطر رقم ٥٢.

"يصرف في المدينة الشريفة النبوية على ما شرح أعلاه، يجري الحال في ذلك كذلك..."[١].

ومن أهم وثائق السلاطين، حجة وقف السلطان الأشرف شعبان [٢] على الحرمين الشريفين، ورعاية شئونهما من عمارة وسقاية ونشر علم، وتعيين أئمة ومؤذنين وخدم ، في المسجد الحرام، حتى إنه اهتم بتعيين من يقوم بتطييب الحجرة الشريفة بالمسجد النبوي، بل من يقوم بحراسة نعال المصلين على كل باب من أبواب مسجده ﷺ .

وفي هذه الوثيقة: ويصرف للأئمة الأربعة المرتبين بالحرم المذكور للإمامة في الصلوات الخمس، في كل سنة أربعمائة درهم لكل واحد منهم ، وحددت ثمانمائة درهم تقسم بالسوية بين أربعة مكبرين خلف الأئمة الأربعة ، زيادة علي ما مقرر لهم من المعلوم ، أما المؤذنون الخمسة فيصرف لهم جميعا مبلغ ألفي درهم سنويا، بمعدل ثلاثة وثلاثين درهما وثلث الدرهم شهريا[٣].

وهذه الحجة كبيرة وجامعة ، وبها تفصيل عجيب يدل على عظم رسالة الوقف في الشريعة الإسلامية [٤].

وتأكيداً لما ذكر جاءت حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق [٥] المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م برقم (٦٨ج) دفتر خانة بوزارة الأوقاف.

وأوقاف السلطان المذكور في هذه الوثيقة كانت أرضاً زراعية ناحية ترسة من أعمال الجيزة، وكذلك جاء من أوجه الصرف فيها أنه "... يصرف نصف الثمن من ريع ذلك هو ثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهماً في مصالح الحرم الشريف حرم مكة المشرفة وحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ بالسوية بينهما، والثمن الثاني من الريع المذكور هو أيضاً ثلاثة أسهم تصرف للخدام الخصيين[٦] البطالين [٧] المقيمين بمدينة سيدنا رسول الله ﷺ ..."[٨].

وللسلطان الناصر فرج بن برقوق وثيقة أخرى مؤرخة في ٧ من محرم ٨١٢هـ/١٤٠٩م تشير إلى ما وقفه من أعيان في هذه الوثيقة تمثلت في "... أراضي ناحية تاج الدولة بأراضي مصر من أعمال الجيزية... وجميع أراضي ناحية أبي شنيف من أعمال الجيزية، والتي جملتها (٤٨٢) فداناً ..... وجميع أراضي ناحية زينين بالأعمال الجيزية... وجميع أراضي ذات الصفا من أعمال الفيوم... وجميع أراضي ناحية ترسة من الأعمال الجيزية، ومساحتها ١٧٨٢

---

(١) الحجة نفسها والسطر نفسه .

(٢) هو السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، الملك الأشرف، زين الدين أبو الجود، مات مقتولاً سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٤١.

(٣) وثيقة السلطان الأشرف شعبان ،رقم الحجة (٤٩) ، دار الوثائق القومية ، سطر ٩٣٧ ، ٩٣٨، ٩٣٩ .

(٤) لمعرفة كل ما اشتملت عليه هذه الحجة، مع دراسة ضافية، انظر: راشد سعد راشد القحطاني. أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين الشريفين، الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(٥) هو السلطان الناصر فرج بن برقوق بن أنص، الملك الناصر زين الدين أبو السعادات، مات مقتولاً بدمشق في ١٦ من صفر سنة ٨١٥ هـ، ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٥٠٩ برقم ٥١١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ١٢٧، ١٥٠.

(٦) الاختصاء منهي عنه لقول النبي ﷺ "ليس منا من خصى أو اختصى" لما فيه من تغيير خلق الله، والتعذيب، وضياع النسل، العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩ ص ١، ١١٧، والأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٧٧.

(٧) البطالون: من البطالة ، وهي : التعطل والتفرغ من العمل وكانت تطلق على العاطلين من الأجناد والأجراء من أعمال الدولة ووظائفهم واقطاعاتهم نتيجة غضب السلطان عليهم أو كبر سنهم، أو الاضطرار إلى الاعتكاف والاختفاء، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، في العصر المملوكي ، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٣٥.

(٨) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٨٠٤هـ، رقم (٦٨ج) وزارة الأوقاف

فداناً... وجميع أراضي الأخصاص من الأعمال الجيزية وجميع القرية المعروفة بقرية الحرجلة[١] من إقليم دمشق المحروسة، وجميع الأراضي ناحية قاتون، ونقليعة بالفيوم... وجميع قطعتي أرض طين سواد بناحية البوهات بالجيزة[٢]..."[٣].

وحددت الحجة أوجه الصرف قائلة: "... ومهما فضل بعد ذلك يصرف من الربع، ويقسمه نصفين، فالنصف من ذلك هو الثّمن من جميع الريع يصرف على مصالح الحرمين الشريفين، حـرم مكـة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها، وحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ بالمدينة المشرفة من وقود، وعمارة، وفرش، وغير ذلك بحسب ما تدعو إليه الحاجة..."[٤].

ونسج على منوال من سبق السلطان الأشرف برسباي الذي أكثر من أوقافه على الحرمين الشريفين، إلى حد أنه وقف بلاداً بأكملها في هذا الصدد، وجاء في حجة وقف برسباي[٥]، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، أن الأعيان الموقوفة هي:"... مجموعة أراضٍ ناحية الحمرا بالأعمال الجيزية، وأراضٍ ناحية أبو رجوان بالجيزة..."[٦] ومن حيث أوجه الصرف نصّت هذه الوثيقة على أن : "... يصرف لقارئ بالحرم المكي ٢٤ ديناراً أشرفيّاً سنويّاً و٢٤ ديناراً أشرفيـّاً سنويـّاً لقارئ بالحرم النبوي..."[٧].

كما اهتم الواقفون بشؤون الحرمين الشريفين، ويدل على ذلك حجج وقفهم التي عينت قراء لتلاوة المصحف الشريف في رحابهما، لما للقرآن الكريم من فضل عظيم على الواقف والقارئ، كما اشترط الواقفون في المقرئين شروطاً منها أن يكونوا "... ذوي أصوات حسنة، ونغمات مستحسنة، وطريقة في التلاوة جيدة، جاهرين بالأصوات، عارفين بالقراءة مع الجماعات..."[٨].

وكان القراء في الغالب ينقسمون إلى قسمين: قراء المصحف، وكانوا عادة بين الاثنين والثلاثة يقرأون القرآن في المصحف بالتناوب فيما بينهم، بحيث يقرأ القرآن في كل يوم من قبيل الظهر إلى صلاة الظهر، ومن قبيل العصر إلى صلاة العصر، أما القارئ الثالث فيقرأ في نهار الجمعة، وفي بعض الأحيان يكتفي الواقف بقارئين، أحدهما يتولى القراءة في أيام الأسبوع ماعدا الجمعة، والثاني يتولى القراءة يوم الجمعة، ويدل على ذلك ما جاء في وثيقة السلطان الأشرف قانصوه الغوري[٩]، المؤرخة في ٢٦ من محرم سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، والأعيان الموقوفة بها هي

---

(١) الحرجلة: بضم أوله والجيم، وتشديد اللام، وهو من صفات الطويلة ، من قرى دمشق، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٣٩.

(٢) جميع هذه الأراضي ضمن أعمال الجيزة، والجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة على النيل من الجانب الغربي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٠٠.

(٣) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، رقم (٦٦)، رقم المحفظة (١١)، دار الوثائق القومية - انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق - دار الوثائق القومية، سطر ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٥) **السلطان الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري الجركسي**، تسلطن يوم الاثنين ٢ من ربيع الآخر سنة ٨٢٥هـ، ومات يوم السبت ١٣ من ذي الحجة سنة ٨٤١هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٨٦ برقم ٦٥٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٨ برقم ٣٨.

(٦) حجة وقف السلطان الأشرف برسباي، مؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٨٨٠ق) أوقاف، سطر ١٧٠، وقد نشر هذه الوثيقة أحمد دراج ضمن وثائق أخري تتعلق بعصر السلطان برسباي ،المعهد الفرنسي ،القاهرة ١٩٦٣م ، واستفاد منها د.عدنان الحارثي في رسالته للدكتوراه بعنوان : " عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن ٩هـ/١٥م ، جامعة أم القري ١٤١٨ هـ.

(٧) حجة وقف السلطان الأشرف برسباي، رقم (٨٨٠ق) بوزارة الأوقاف، سطر ١٧٨، ١٧٩.

(٨) انظر وثيقة وقف فرج بن برقوق رقم (٦٦)، محفظة (١١)، دار الوثائق القومية، وانظر أيضاً ما ذكره المقريزي عن طريقة اختيار السلطان الناصر محمد لقارئ القرآن الكريم، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢١٢.

(٩) **قانصوه الغوري الأشرفي الجركسي سيف الدين أبو النصر**، تسلطن في يوم السبت مستهل شوال سنة ٩٠٦هـ، وقتل في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨ ص ١١٣.

أماكن بجهات متعددة بمصر المحروسة[١].

وأوجه الصرف فيها هي: "... تعيين من يتولى وظيفة قراءة مصحف شريف على أن يقرأ تجاه البيت الشريف في الحرم الشريف في كل يوم ما تيسر له قراءته من القرآن العظيم في أي وقت تيسر من الليل والنهار، ويختم قراءته بسورة الإخلاص، والمعوذتين، وفاتحة الكتاب العزيز، وفواتيح سورة البقرة، وخواتيمها، ويذكر الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ ويدعو بذلك ويهدي ثواب قراءته وأذكاره وصلواته لسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم إلى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ثم إلى الآل، والصحابة، والتابعين، والعلماء، والصالحين، ثم لمولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري... وأولاده وذريته والمسلمين... ويصرف ما جملته من الذهب الموصوف عشرة دنانير على ذلك... وعلى أن يقرأ في كل يوم في مصحف شريف ما تيسرت له قراءته من القرآن العظيم في الحرم الشريف، والروضة الشريفة تجاه الحجرة الشريفة، ويصرف لذلك عشرة دنانير..."[٢]. كما اهتم سلاطين المماليك بكسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية[٣]، وزاد الوقف عليهما، فقد اشترى السلطان الملك الصالح بن الناصر قلاوون من بيت المال قرية بيسوس، ووقفها على كسوة الكعبة في كل سنة، وعلى كسوة الحجرة النبوية، والمنبر النبوي مرة كل خمس سنين[٤].

كما وقف الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد عام ٧٤٥هـ/١٣٥٣م ثلثي قرية سندبيس وسرادوس على كسوة الكعبة المشرفة، وعلى ستة عشر خادماً برسم خدمة الحجرة الشريفة النبوية [٥].

كذلك وقف السلطان قايتباي مجموعة كبيرة من المشكاوات والشمعدانات لوضعها بالحجرة النبوية، وأمر بأن يكتب عليها "... مولانا السلطان الملك العادل المجاهد سلطان الإسلام والمسلمين الأشرف أبو الناصر قايتباي هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ سنة سبع

---

(١) حجة وقف السلطان الأشرف قانصوه الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) مؤرخة في ٢٦من المحرم سنة ٩٠٩ هـ، الأوقاف، سطر رقم ٥٠١، وهذه الوثيقة نشرها عبد اللطيف إبراهيم ، وكذلك نشرها محمد محمد امين في فهرست وثائق القاهرة حتى عصر المماليك ، المعهد الفرنسي ، القاهرة ١٩٨٠م ، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) حجة وقف السلطان الأشرف قانصوه الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) الأوقاف سطر رقم ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ -٥٦٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٩٥، الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣.

(٤) انظر وثائق وقف كل من السلطان قايتباي رقم الوثيقة (٨٨٥ق)، مؤرخة في ٢٤ من صفر سنة ٨٨٨هـ ، وقد نشرها حسني نويصر في ملاحق رسالته للدكتوراه "كلية الآثار" جامعة القاهرة ١٩٧٥م ،بعنوان : منشآت السلطان قايتباي الدينية في مدينة القاهرة ،والمؤيد شيخ، رقم الوثيقة (٩٣٨ق)،مؤرخة في ٤ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ هـ ، وآخرها مؤرخ في ١٢ من رجب سنة ٨٢٣ هـ ، وأولها مفقود ، ويوجد أيضا نسخة خطية كتبت في ٨ يوليو ١٩٠٩ م ، والسلطان برسباي رقم الوثيقة (٨٨٠ ق) مؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ ه ، وهي علي هيئة كتاب مجلد في ٤٢٧ صفحة ، جامع لأوقاف السلطان برسباي ، قام بنشرها أحمد دراج ضمن ٢٤ وثيقة تتعلق بعصر السلطان برسباي ، المعهد الفرنسي ، القاهرة ١٩٦٣ م .

(٥) سبق أن وقف السلطان صلاح الدين الأيوبي سندبيس مع بلدة نقاده على خدام الحرم النبوي والحجرة الشريفة. ابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص ١١٩، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٣٣، ومالكي، بلاد الحجاز، ص ٩٩.

وثمانين وثمانمائة في شهر رمضان المعظم..."[١].

وفي عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م كسا الكعبة المشرفة السلطان المؤيد شيخ من ماله ، لضعف ما يرد من ريع وقفها[٢].

٢ - أوقاف الأمراء والأعيان:

نهج الأمراء نهج سلاطينهم في اهتمامهم بمصالح شؤون الحرمين من حيث عمارتهما، وترميمهما، والصرف على احتياجاتهما، ومن يقوم بالعمل فيهما من أئمة، وخطباء، ومؤذنين، وقراء، وأمناء الزيت، والشمع، وما يصرف على الفرش، والوقود، والزيت، وأمور أخرى سبق ذكرها من قبل مع سلاطينهم، ولمعرفة أوقاف الأمراء، وريع أوقافهم، وأوجه الصرف من خلال حجج وقفياتهم، تجيء في هذا الصدد حجة وقف فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب[٣] المؤرخة في ٥ من محرم سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، وهذه الوثيقة تضم في طياتها بعض الآدر[٤]، والأراضي الزراعية.

وقد خصصت هذه الحجة أوجه الصرف على مصالح الحرم النبوي الشريف بمدينة رسول الله ﷺ وعلى خدام الضريح النبوي[٥].

وممن أنفق وأحسن كما أحسن الله إليه ، على شؤون الحرمين الشريفين: سيف الدين بكتمر[٦] الجوكندار الذي وسعت أوقافه السخية الكثير من الأراضي والعقارات بالقاهرة المحروسة والتي خصص ريعها للصرف على عمارة الحرمين وإصلاحهما وترميمهما، ووثيقة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير خازندار[٧] المؤرخة في سنة

---

(١) حسن قاسم، المزارات الإسلامية، ج٣، ص ١٨٧.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٢٦، والمقريزي، السلوك، ج٤، ق ١ ص ٣٨٢، والنهروالي، الإعلام بأعلام، بيت الله الحرام ، ص ١٤٣.

(٣) **فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب**، تسلطن والده سنة ٦٣٥هـ، وخلع سنة ٦٣٧هـ، وتوفي سنة ٦٤٥هـ، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ٢٦٦، وابن دقماق،ا لجوهر الثمين، ج٢، ص ٣٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ٨٥.

(٤) الآدر:جمع دار ، وكانت تطلق في العصر المملوكي علي الأراضي والدور السلطانية ،والآدر في الوقفية تشمل حصة قدرها ٢٣ سهماً من ٢٤ سهماً من المجيرية، والمعروفة قديماً ببويضة الضغتكي بغوطة دمشق، وحصة قدرها ٩ أسهم من ٢٤ سهماً في الضيعة المعروفة بالقصر المعيني، ومن مزارع هذه الضيعة، وما يتحصل من الطواحين، ومعاصر قصب السكر، والبيادر، والبساتين، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب، المؤرخة في ٥ من محرم سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٥م، رقم الوثيقة (٨)، محفظة (٢)، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) **هو سيف الدين بكتمر بن عبد الله الجوكندار**: كان أميراً كبيراً، أمسكه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١١هـ، وكان ذلك آخر العهد به، ابن تغري بردي، الدليل الشافي ج١ ص ١٩٤، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٨ برقم ١٣٠٧، وفيه "نقل إلى الكرك ويقال إنه قتل بها سنة ٧١٦هـ".

(٧) **خازندار**: أو خزانة دار، وهذه الوظيفة تتكون من لفظين أولهما عربي وهو خزانة، والآخر فارسي وهو دار أي ممسك، والمعنى الكلي هو الموكل أو المتولي أمر الخزانة، ويسمى صاحبها خازنداراً كبيراً، أو أمير خازندار، ويشغلها عسكريون من البلاط الملكي تصل إلى أمير مائة، أو مقدم ألف، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٥٧، وابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١١٤.

٧٠٧هـ/١٣٠٧م، تمثلت فيها الأعيان الموقوفة في (...جميع القيسارية المعروفة بجهاركس الكاملة أرضا وبناء سفلا وعلوا، وباطناً وظاهراً بالقاهرة المحروسة على يمنة السالك من سوق السراجين إلى السقطيين...) ويدل على الاهتمام بشئون الحرمين الشريفين في هذه الوثيقة أن من أوجه الصرف بها (... على مصالح المسجد الحرام في مكة شرفها الله تعالى، وعلى الميضأة القريبة من المسجد الحرام في مرمتها وإصلاحها والربع الثاني من الثلاثة والعشرين سهماً وقف على مصالح المسجد النبوي بمدينة طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والرحمة يصرفه الناظر في عمارته ومرمته وإصلاحه...)[١].

ومما وُقف بخصوص الحرمين الشريفين ما وقفه الأمير أحمد بن السيفي أرغون شاه[٢] من مجموعة أراضٍ زراعية من أعمال البهنساوية بلغت مساحتها ألفا وأربعين فداناً، كان يصرف من ريعها "... واحد ومائة درهم وزنا بصنج الفضة من ذلك ما يصرفه لمصالح حرم مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها في كل سنة خمسمائة درهم، وما يصرفه لمصالح الحرم الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام في كل سنة خمسمائة درهم..."[٣].

كما أسهمت الأوقاف إسهاماً فعالاً في تدعيم الحرمين إصلاحاً وتعميراً وتعليماً ، حيث ساعدت بشكل أو بآخر في إيجاد جيل من العلماء والأئمة، والخطباء، والمحدثين والمؤذنين، وقد وفرت الأوقاف لكل من هؤلاء احتياجاته بما خصص من ريعها[٤]، وإذا توافرت وسائل المعيشة وسط هذا الجو الروحي بكلا الحرمين فلابد أن تزدهر الحركة العلمية فيهما وتؤكد ذلك الوثائق التي سبقت.

وعلى نسق ماذكر وثيقة السيفي جاني بك[٥] أمير دوادار ، فما وقفه كان عبارة عن "... حصة قدرها اثنان وعشرون قيراطاً، وربع قيراط من أصل أربع وعشرين قيراطاً شائعاً، وذلك في جميع قطع الأرض الكائنة بمسلة فرعون، ومنيل الحجر المعروفة بحصر فرعون ناحية المطرية من ضواحي القاهرة المحروسة...". وربع ماذكر كان يصرف على مصالح الحرمين الشريفين من عمارة وترميم وفرش، ووقود زيت وخدام[٦].

---

(١) حجة وقف الأمير سيف الدين بكتمر، مؤرخة في ١٤ من محرم سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م رقم الوثيقة (٢٠)، محفظة (٤) سطر ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٥- ١٢٦، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) **أحمد بن السيفي أرغون شاه الأشرفي:** كان أبوه أحد المقدمين في زمن الأشرف شعبان، مات سنة ٨٣٣هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الأول، ج١، ص٢٢٦.

(٣) حجة وقف الأمير أحمد بن السيفي أرغون شاه، المؤرخة في ٢٦ من رجب سنة ٨٣٣هـ رقم الوثيقة (٨٩٨ق) أوقاف.

(٤) ابن أيبك، كتر الدرر وجامع الغرر، ج ٩، ص ٣٩١.

(٥) **السيفي جاني بك الأشرفي قايتباي،** عمل دوادارا، ثم صار أمير أول، ثم أمير محمل مرتين، مات في شعبان سنة ٨٨٠هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٢، ص ٥٥.

(٦) حجة السيفي جاني بك، المؤرخة في ١٩ من ذي الحجة سنة ٨٧١هـ برقم (١٥٣)، رقم المحفظة (٢٤) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

كذلك وثيقة السيفي تغري بردي المحمودي[١]، رأس نوبة النواب[٢]، المؤرخة في ١٥ من ذي القعدة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م[٣]. وقد اشترط الواقف في حجته أن يصرف ريع وقفه على مصالح الحرمين الشريفين[٤].

كما قرّر السيفي قرقجا بن عبد الله الحسني[٥] أمير آخور كبير[٦] المالكي الظاهري في حجة وقفه المؤرخة في أول شعبان سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م[٧] أنه إذا تعذر الصرف إلى من عين له الصرف فيه صرف ريع الموقوف في مصالح الحرمين الشريفين[٨].

ومن كبريات المسهمات بأوقافهن السخية ابتغاء مرضاة الله في مصالح الحرمين أيضاً : خوند[٩] شيرين ابنة عبد الله، ووالدة السلطان فرج بن برقوق[١٠]، وحجة وقفها المؤرخة في ٧ من شوال سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م[١١] قد خصصت ثلث ريع وقفها في مصالح الحرمين حرم مكة المشرفة، وحرم المدينة المنورة[١٢].

---

(١) تغري بردي المحمودي الناصري، رأس نوبة النواب الناصري، تنقل في الوظائف إلى أن تقرر رأس نوبة النواب، مات في ذي القعدة سنة ٨٣٦هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٣، ص ٢٩.

(٢) رأس نوبة النواب، تعتبر الوظيفة الثالثة من الوظائف التي يشغلها العسكريون، ويختار لهذه الوظيفة أمراء من الخاصكية نظراً لأهميتها، وكان من يشغلها يستقل عادة بتدبير أمور الدولة، ومعنى رأس نوبة النواب الرأس من رأس الإنسان لأنه أعلاه، والنوبة واحدة النوب أي مرة بعد أخرى، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٥٤٥.

(٣) أما الأعيان الموقوفة التي وقفت فهي "دار بالقاهرة المحروسة بخط البندقيين، وخوخة سوق الجوار، وحمام السلطان"، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة وقف السيفي تغري بردي المحمودي، رأس نوبة النواب، المؤرخة في ١٥ من ذي القعدة سنة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٦٠٦ج) أوقاف.

(٥) السيفي قرقجا بن عبد الله الحسني أمير آخور كبير المالكي الظاهري، برقوق، توفي بالطاعون يوم السبت تاسع عشر من صفر سنة ٨٥٣ هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي ج٢ ص ٥٣٩ برقم ١٨٥٢.

(٦) أمير آخور كبير: هو رأس أمير آخورية السلطان، ويشغل هذه الوظيفة أحد الأمراء الكبار من فئة أمراء المئين، مقدمي الألوف، وترتيبها الوظيفة السادسة بين الوظائف العسكرية الكبرى، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج١، ص ١٧٤، ١٨٠.

(٧) الأعيان الموقوفة في هذه الوثيقة عمائر وأراضٍ بالقاهرة المحروسة بخط درب الجماميز. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٨) حجة وقف السيفي فرقجا بن عبد الله الحسني أمير آخور كبير المالكي الظاهري، المؤرخة في أول شعبان سنة ٨٤٥هـ، رقم الوثيقة (٧٤٨ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٩) خوند: لفظ فارسي معناه السيد أو الأمير، ويخاطب به الذكور والإناث، وقد استعمل هذا اللفظ في العصر المملوكي لقباً من ألقاب النساء المهمات، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية ص ٢٨٠.

(١٠) خوند شيرين ابنة عبد الله الرومية والدة السلطان فرج بن برقوق، كانت رومية الجنس، وهي أم ولد، ولما تسلطن ولدها فرج صارت خوند الكبرى، ماتت ليلة السبت الأول من ذي الحجة سنة ٨٠٢هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١ ص ٣٤٨ برقم ١١٩٦، والمقريزي، السلوك، ج٣ ق ٣ ص ١٠٢٥.

(١١) الأعيان الموقوفة هي: جميع الأراضي ناحية الأخصاص وكفورها الثلاثة، وتفصيلاتها غير متوافرة لفقد أول الوثيقة. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(١٢) حجة وقف خوندشيرين بنت عبد الله الرومية والدة السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من شوال سنة ٨٠٢هـ، وثيقة رقم (٧١ج) أوقاف.

وفي الإطار نفسه حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله الخوارزمي الزمام[١] الملكي الناصري[٢]، فقد خصص أربعة أسهم من ريع وقفه إلى الأزمة ، والخدام[٣]، بالحرم النبوي الشريف[٤].

وحدد الواقف محمد بن نور الدين علي الجزولي[٥] في حجته المؤرخة في ٣ من شـــوال سنة ٧٦٦ هـــ/١٣٦٤م[٦] أوجه الصرف في "... مصالح الحرمين الشريفين شرفهما الله تعالى، وعظمهما، يصرف الناظر ريع ذلك على مايراه في ثمن زيت، وشمع، وحصر، وقناديل..."[٧].

وقد خصصت حجة وقف الجمالي عبد الله[٨] جميع الدور الكاملة أرضاً وبناء بالقاهرة المحروسة وقفاً أهليّا خيريا، يصرف ريعه على مصالح الحرمين حرم مكة المشرفة، وحرم المدينة النبوية الشريفة[٩].

أما حجة وقف جركس بن عبد الله القاسمي[١٠]، فقد نصت على تخصيص جميع قطع الأراضي ناحية طموية بالأعمال الجيزية، ومساحتها مائة وخمسون فداناً يصرف ريعها بتمامه وكماله على ما اشترطه الواقف وعلى مصالح حرمي مكة المكرمة والمدينة المنورة[١١].

كما حدد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد[١٢] في حجة وقفه صرف ألفي درهم من كل سنة، أو ما يقوم مقامها من نقود لمصالح الحرمين الشريفين، حرم مكة المشرفة كل سنة ألف

---

(١) **الزمام:** أطلق هذا اللفظ في العصر المملوكي علي أحد موظفي القصور السلطانية ، بمعني المشرف ،وهو في الأصل مفرد جمعه أزمة ،ويراد به الخيط الذي يشد في البرة ،ثم يشد طرفه في المقود ،يقال: زم البعير خطمه ، أي تقدم في السير .

(٢) **الأمير صواب الركني الملكي** الناصري تنقل في المناصب في عهد أستاذه المظفر بيبرس إلى أن صار مقدم المماليك فلما تسلطن الناصر صرفه بالمقدم جوهر ولما مات المذكور سنة ٧٢١هـــ أعاد صواب المذكور إلى تقدمة المماليك أي كان حيّاً سنة ٧٢١هـــ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٢٠٨، رقم الترجمة ١٩٨٢.

(٣) **الخدام:** من الوظائف الدينية الشرفية وهي وظيفة يقوم صاحبها بالخدمة الفعلية في الحرم النبوي الشريف وكان يطلق عليهم بعض الألقاب التكريمية نظراً لخدمتهم في الحرم النبوي الشريف منها المشايخ خدام الحرم الشريف النبوي، أو السادة الخدام بالحرم الشريف النبوي، وسمي أحدهم خادم الحضرة الشريفة النبوية، وكان يشغل هذه الوظيفة في العصر المملوكي طواشي إما من الأحباش وإما من غيرهم من الأجناس وكان لهم مخصصات وأوقاف يصل ريعها إليهم، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٤) حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله الخوارزمي الزمام الملكي الناصري، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـــ رقم الوثيقـــة (٢٧٤) محفظة (٤٢)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) لا توجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٦) الأعيان الموقوفة هي عدد من الدور، والرباع بمصر المحروسة.

(٧) حجة وقف محمد نور الدين علي الجزولي، المؤرخة في ٣ من شوال سنة ٧٦٦هـــ، رقم الحجة (٤٥)، ورقم المحفظة (٧)، دار الوثائق القومية، سطر ١٣، ١٢، ١١ من أسفل الوثيقة، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٨) لاتوجد للجمالي عبد الله ترجمة في المصادر المتداولة، وحجة وقفه مؤرخة في ١٧ من ذي القعدة سنة ٧٦٧هـــ، رقم الوثيقة (٤٦)، ورقم المحفظة (٧)، دار الوثائق القومية.

(٩) حجة وقف الجمالي عبد الله المذكورة، سطر ١٦ من نهاية الوثيقة والأعيان الموقوفة بها، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة..

(١٠) **جركس بن عبد الله القاسمي الظاهري**، قتل في سنة ٨١٠هـــ بناحية بعلبك، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٣، ص ٦٧ برقم ٢٧٣.

(١١) حجة وقف جركس بن عبد الله القاسمي المؤرخة في ٢٢ من ذي الحجة سنة ٨٠٩هـــ، رقم الوثيقة (٦٤)، رقم المحفظة (١١) دار الوثائق القومية. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(١٢) **هو محمد بن علي بن أحمد**، الشيخ المقرئ شمس الدين شيخ القراء، وإمام مدرسة ظاهرية برقوق، ولد سنـــة ٧٤٨هـــ، وتوفي يوم الخميس ٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٥هـــ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي ج٢، ص ٦٦٣ برقم ٢٢٧٩.

درهم، ومثلها لمصالح حرم المدينة المشرفة[١].

أيضاً نجد في حجة وقف جوهر اللالا[٢] أنه خصص من ريع الحصة ".... ما يقدر بثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهماً، ومن ريع الحصة التي مبلغها الربع أي ثلاثة أسهم من اثنى عشر سهماً من متحصل الأراضي الزراعية الموقوفة بجزيرة بني نصر من أعمال القليوبية، والمحدودة بعاليه، وقد خصص ثمنها في ثمن حمل زيت من زيت الزيتون زنته خمسة قناطير بالقنطار المصري بالسعر الواقع في كل سنة، وفي كلفة حمله، وتسفيره ما جرت العادة به في كل سنة إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ برسم الوقود بالحرم الشريف النبوي، يسلم ذلك لشيخ الخدام بالحرم المشار إليه[٣]، فإن تعذر الصرف للجهات المعينة أعلاه حمل جميع المذكور إلى مكة المشرفة، ويفرق على الفقراء وأهل الحاجة المقيمين بالحرمين الشريفين نصفين بالسوية..."[٤]، كما أن هناك وقفاً آخر بظاهر الوثيقة وهامشها مؤرخ في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م بتخصيص قطعة أرض مساحتها مائتا فدان بالقصبة الصندفاوية يصرف ريعها على الوجه الآتي: "... فإن تعذر الصرف في المدرسة المذكورة[٥] صرف ريعها في مصالح الحرمين الشريفين..."[٦].

ومن الأمور التي كثر الوقف عليها : شراء خدم طواشية وعتقهم برسم الخدمة بالحرم النبوي الشريف، والصرف عليهم من ريع هذا الوقف، وقد أشارت في هذا الصدد حجة وقف الزيني خشقدم[٧] زمام الآدر الشريفة، ومن نصوصها "... تكليف ناظر الوقف، أو وكيله بشراء خادم طواشي بمبلغ أربعين أفلوريا بعد تنجيز عتقه على جاري عادة أمثاله في ذلك[٨]، ويصرف له كل سنة من ريع الوقف ما مبلغه من الذهب الأفلوري أربعون أفلوريا على أن يتعاطى الخدمة بالحرم الشريف المشار إليه ماجرت العادة به من الخدمة أسوة بأمثاله، فإن توفي هذا الخادم، فللناظر أن يستبدل خادماً آخر..."[٩].

---

(١) حجة وقف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن أبي العباس أحمد، المؤرخة في ٢٥ من شعبان سنة ٨١٤هـ، رقم الوثيقة (٦٧١ق) أوقاف. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) **اللالا**: لفظة فارسية ومعناها مربي الأطفال وتطلق على مربي أولاد الملوك والسلاطين. **وجوهر اللالا** هو: عتيق أحمد بن جلبان، تقرر زماماً للآدر الشريفة بعد وفاة خشقدم، توفي في جمادى الأولى سنة ٨٤٢هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٣، ص ٨٤ برقم ٣٢٨.

(٣) حجة وقف جوهر اللالا، المؤرخة في ٢٣ من رمضان ٨٣٤هـ، رقم الوثيقة (٨٥)، محفظة (١٤) دار الوثائق القومية، سطر ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة وقف جوهر اللالا رقم الوثيقة (٨٥)، دار الوثائق، سطر ١٦٧ - ١٦٨.

(٥) ويقصد بها المدرسة التي بناها بالقاهرة بالقرب من سوق السلاح، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) وقف آخر للصفوي جوهر اللالا مؤرخ في ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٣٦هـ، بظاهر الوثيقة، سطر ١٢ من أسفل الوثيقة.

(٧) **زيني خشقدم الظاهري برقوق الخصي**: تنقل في الوظائف إلى أن صار خازندار في الأيام الأشرفية، ثم استقر زماماً إلى أن مات في جمادى الأولى سنة ٨٣٩هـ ١٤٣٥م، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٣، ص ١٧٥ برقم ٦٨٠.

(٨) حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة، المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ ورقم الوثيقة (٩٠)، رقم المحفظة (١٥)، دار الوثائق القومية، سطر ٣٣ - ٣٤.

(٩) حجة وقف الزيني خشقدم رقم (٩٠)، دار الوثائق القومية سطر ٣٥ - ٣٦. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

وعلى نسق ما ذكر كانت حجة وقف الزيني عبد اللطيف القجاجقي[١]، فقد أشارت ضمن أوجه الصرف، إلى ما يصرف لخدام الحجرة الشريفة في الحرم الشريف النبوي[٢]، كما يوجد في الوثيقة نفسها وقف آخر أشار إلى أوجه الصرف فيه إلى مبلغ ألفي درهم للخدام المقيمين في المدينة النبوية، مالم يكن لهم خراج آخر ويقسم بينهم بالسوية[٣].

أما وثيقة وقف الجمالي يوسف[٤]، ناظر الخواص الشريفة[٥] فقد أشارت إلى تخصيص عشرين ديناراً من الذهب الظاهري[٦] كل سنة تصرف في شراء عود وفحم تبخر به الروضة الشريفة والحجرة الشريفة طوال السنة[٧]، كما أشارت إلى شراء سبعة قناديل، ووضعها عند باب الحجرة الشريفة، والصرف على من يقوم بتعبئتها بالزيت، ووقودها، وإطفائها، وعلى غسلها وتنظيفها[٨]، كما يصرف أيضاً من ريع الوقف في ثمن خمسمائة رطل من الزيت يحمل كل سنة إلى الحرم الشريف النبوي للاستفادة منه في الإنارة[٩].

كما عينت وثيقة عائشة بنت برجك بنت عبد الله الأقبغاوي[١٠]، وزوجها تاني بك بن عبد الله الإلياسي[١١]، في حجة وقفهما تخصيص ثمانمائة درهم، أو ما يقوم مقامها من نقود تصرف (جامكية)[١٢] المؤذنين ، والفراشين والوقادين[١٣] في حرمي مكة والمدينة حسب ما يراه الناظر، ويؤدي إليه اجتهاده[١٤].

ومما وُقف على مصالح الحرمين الشريفين ما أشارت إليه حجة وقف الزيني عبد اللطيف منصور

---

(١) **الزيني عبد اللطيف القجاجقي الأشرفي** بارسباي أحد الخواص من السقاة، دام كذلك إلى أن أبطله الظاهر جقمق، وهو صاحب الجامع المشرف على بركة الفهادة بالقرب من حدرة الكماجيين، مات في ٨ من ذي الحجة سنة ٨٥٤هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٤، ص ٣٤١.

(٢) حجة وقف الزيني عبد اللطيف القجاجقي، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨٤٦هـ، رقم الوثيقة (١٠١) رقم المحفظة (١٦)، دار الوثائق القومية، سطر ١٥ - ١٦ . انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) حجة وقف الزيـــني عبد اللطيف القجاجقي، رقم الوثيقة (١٠١)، دار الوثائق القومية سطر ٣٠ بأسفل الوثيقة.

(٤) **الجمالي أبو المحاسن يوسف** ناظر الخواص الشريفة. لم أقف على تاريخ وفاته أو ترجمته في المصادر المتداولة.

(٥) **ناظر الخواص الشريفة:** من وظائف النظار في العصر المملوكي، وهي من الوظائف الديوانية الجليلة، عبد اللطيف إبراهيم، سلسلة الوثائق التاريخية القومية، ص ٢٤٣.

(٦) **الدينار الظاهري:** نسبة إلى السلطان الظاهر برقوق ، وهو من النقود التي ضربها في عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م في فترة حكمه الاولي، ابن الفرات، تاريخه، ج٩، ص ٦، المقريزي والنقود الاسلامية ، ص٣١ ، وابن حجر، إنباءالغمر، ج٢، ص ٢٥٧، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ١٠٧.

(٧) حجة وقف الجمالي يوسف، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ رقم الوثيقة (١٠٥)، رقم المحفظة (١٦)، دار الوثائق القومية سطر ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٨) حجة وقف الجمالي يوسف رقم الوثيقة (١٠٥)، دار الوثائق سطر ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٩) حجة وقف الجمالي يوسف رقم (١٠٥)، دار الوثائق سطر ٣٨٠ - ٣٨١، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(١٠) **لاتوجد لعائشة بنت برجك** ترجمة بالمصادر المتداولة.

(١١) **تاني بك الإلياسي الأشرفي**، مات يوم السبت ١٩ من ربيع الأول سنة ٨٩١هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٣، ص ٢٦ برقم ١٢٤.

(١٢) **الجامكية:** جمعها جوامك، الراتب المربوط لشهر أو أكثر ، انظر القلقشندي ،صبح الأعشي ص ٣، ٤٥٧.
Dozy Supplement aux dictionaries arabes 2 Vols. leyde. 1840 - 1863 p. 36

(١٣) **الوقادون:**جمع وقاد، ومتولي هذه الوظيفة مهمته وضع الزيت في القناديل، وإشعالها، وإطفاؤها، ولهذه الوظيفة أيضاً شيخ مسؤول عنها، وله مكان بالمسجد الحرام يسمى بيت الوقادين، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٣٨٠.

(١٤) حجة وقف عائشة بنت برجك بنت عبد الله الأقبغاوي، وزوجها تاني بك بن عبد الله الإلياسي، المؤرخة في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ٦٦٤هـ، رقم الوثيقة (١٢٣)، محفظة (٢٠)، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

بدوي[١] الزمام بالآدر الشريفة، وذلك بتخصيص مبلغ ثمانمائة درهم، وخمسة وسبعين درهماً كل سنة هلالية بخصوص تعيين خادم للحجرة الشريفة النبوية، على أن يتولى الخادم المذكور ما يتولاه غيره من الخدمة ملتزما فعل ما عليهم فعله، قائماً بما عليهم القيام به، وإن توفي ذلك الخادم المشار إليه يقرر شيخ الحرم الشريف في هذه الوظيفة غيره من الخُدام الطواشين البطالين"[٢].

ومن الوظائف التي حظيت بعناية الواقفين: وظيفة المؤذن، فقد خصصت حجة وقف أبي رحاب محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله الصالحي[٣] ما يفضل من غلة هذا الوقف، يصرف من ريعه لرؤساء المؤذنين بالحرم الشريف النبوي، على أن يقرأ كل منهم كل يوم بعد فراغه من أذان الصبح فاتحة الكتاب العزيز تجاه الحجرة الشريفة، ويهدى ثواب ذلك لسيدنا رسول الله ﷺ وللواقف المذكور[٤].

ومما وُقف على مصالح الحرمين الشريفين وشؤونهما ما نصت عليه حجة وقف أم الحسن ابنة أبي عبد الله محمد بن محمد البلقيني[٥]، وذلك بتخصيص الثلث الثاني من ريع وقفها يقسم بين شيخ الشيبية خدام البيت الشريف[٦]، وخدام الدرجة الشريفة[٧]، نصفين بالسوية، والثلث الثالث لخدام الحجرة الشريفة النبوية[٨].

وعلى نسق ما ذكر ما نصت عليه حجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي المنصوري[٩] التي خصصت ستمائة درهم لخدام الحجرة النبوية، وغيرهم ؛ ليفرق ذلك عليهم بالسوية[١٠].

كما أشارت حجة وقف عمر بن الغرسي خليل بن البدري حسن، المشهور والده بالمشطوب سبط المرحوم

---

(١) لا توجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٢) حجة وقف الزيني عبد اللطيف منصور بدوي، المؤرخة في ١١ من جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ رقم الوثيقة (٢٢٢) محفظة (٣٥) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) **أبو الرحاب محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله الصالحي**: لاتوجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٤) حجة وقف أبي الرحاب محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله الصالحي، المؤرخة في ٢ من جمادى الآخرة سنة ٨٨٧هـ، رقم الوثيقة (١٩١) محفظة (٢٠)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة..

(٥) **أم الحسن ابنة أبي عبد الله محمد بن محمد البلقيني**: ولدت سنة ٨٣٠هـ، حجت وجاورت بكلا الحرمين الشريفين، كانت حية سنة ٨٩٦هـ، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١٢، ص ١٣٨.

(٦) **شيخ الشيبية**: سدنة الكعبة، ووظيفة السادن،هي خدمة الكعبة المشرفة، وتولي أمرها، وفتح بابها وإغلاقه، والسدانة وظيفة قديمة جداً، يرجع تاريخها إلى بداية بناء الكعبة، إلى أن وصلت إلى قصي بن كلاب، ومن أوائل من تولى هذه الوظيفة في العصر المملوكي، إدريس بن غانم بن مفرج العبدري الشيبي وذلك عام ٦٥٧هـ/١٢٥٨م، الأزرقي، أخبار مكة، ج١ ص ٥٨، والفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٣٦، والفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٧٨، وابن ضياء المكي، تاريخ مكة، ص ٥٥.

(٧) **خدام الدرجة**: وهم مجموعة من العمال مهمتهم دفع الكرسي وهو يشبه المنبر وله تسع درجات ويسمى هذا الكرسي درج أو سلم الكعبة ، وهؤلاء العمال يسمون خدام درجة الكعبة، وكان يخصص لهم شيء من الصدقات الواصلة إلى مكة ، ومن هؤلاء الخدام في العصر المملوكي عبد الكريم بن أحمد الشقيري، المتوفى عام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، ابن فهد، اتحاف الورى، ج٣، ص ٣٠٤،والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٣٠٨.

(٨) حجة وقف أم الحسن ابنة أبي عبد الله محمد بن محمد البلقيني، المؤرخة في ٣ من صفر ٩١٧هـ، رقم الوثيقة (٢٧٣) محفظة (٤٢)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٩) هو : **عبد اللطيف زين الدين الطواشي الصالحي المنصوري**، مات في ليلة الجمعة ١٤ من صفر سنة ٨٦١هـ، وقد ناهز الثمانين من عمره، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٤، ص ٢٤٠.

(١٠) حجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي المنصوري، المؤرخة في ٢٧ من شوال سنة ٨١٨هـ، رقم الوثيقة (٧١)، رقم المحفظة (١٢) دار الوثائق القومية، الوقف الثالث - سطر ١٨٢، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

الحسامي طرنطاوي المنصوري[١] المؤرخة في ٢٤ من صفر سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م إلى أوجه صرفها بعد انقراض الموقوف عليهم، كان ذلك الوقف المذكور مصروفاً ريعه على مصالح الحرم الشريف النبوي وعلى خدامه وشراء بخور يبخر به الحرم الشريف، فإن تعذر الصرف على ذلك صرف ريع الوقف على مصالح الحرم الشريف المكي[٢].

وتُحدِّد حجة وقف محمد نور الدين العتباني الرفاعي الخزرجي[٣]، المؤرخة في ١٥ من صفر سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، في أوجه صرفها بعد انقراض الذرية: أن تكون في مصالح الحرمين الشريفين وتأمين كل مايلزمهما من زيت زيتون، وفرش، ومصابيح، وطيب[٤].

وهناك عدد من الأعيان، وكبار رجال الدولة، وعدد من كبار المحسنين والمحسنات جعلوا مصارف أوقافهم على ما حددوه للإنفاق في أوجه صرفها، أو ما عينوه من مصارف بعد انقراض الموقوف عليهم، أو ما يفضل من ريع هذا الوقف، يؤول إلى مصالح الحرمين الشريفين، وشؤونهما مطلقاً دون تحديد أو تعيين لأوجه هذه المصالح، وللتدليل على ذلك، ذُكر في الهامش عدد من هذه الوثائق، وأماكن حفظها، تنظر في جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة[٥].

---

(١) **عمر بن الغرسي خليل:** هو عمر بن خليل بن حسن بن يوسف الركن بن الغرسي الكردي، القاهري، الشافعي، سبط الشهابي، صاحب الجامع الشهير بسوق الغنم، ولد سنة ٨٠٠هـ، بالقاهرة، وبنى مدرسة قرب مدرسة الولوى البلقيني، وصاهر العلم البلقيني على بناته، وولي النظر في أوقاف طرقطاي، مات في رمضان سنة ٨٨٨هـ، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص ٨٤، ٨٥.

(٢) حجة وقف عمر بن الغرسي خليل بن البدري حسن المشهور والده بالمشطوب المؤرخة في ٢٤ من صفر سنة ٨٦٩هـ، رقم الوثيقة (١٤٣) **دار الوثائق القومية** سطر ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) محمد نور الدين العتباني الرفاعي الخزرجي، هو القاضي بثغر دمياط كان حياً سنة ٦٩٣هـ، ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٥١٠.

(٤) حجة وقف محمد نور الدين العتباني:،المؤرخة في ١٥ من صفر سنة ٦٩٣هـ،رقم الوثيقة (٩٦ج) أوقاف، س ٩٥.

(٥) ١ - حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن، المؤرخة في ١٠ من ذي القعدة سنة ٨١٥هـ، رقم الوثيقة (١٠٦)، محفظة (١٧) دار الوثائق.

٢ - حجة وقف الست بيرم ابنة السيفي قرقماس، المؤرخة في ١٥ من شوال سنة ٨٦٤هـ، رقم الوثيقة (١٢٤) محفظة (٢٠) دار الوثائق.

٣ - حجة وقف سودون بن عبد الله، المؤرخة في ٢٩ من ذي الحجة سنة ٨٦٤هـ، رقم الوثيقة (١٢٥) مكرر، محفظة (٢٠) دار الوثائق.

٤ - حجة وقف السيفي دولات باى، المؤرخة في ٢٧ من رمضان سنة ٨٦٥هـ، رقم الوثيقة (١٢٩) محفظة (٢٠) دار الوثائق.

٥ - حجة وقف أبو العباس الطياري، المؤرخة في ٨ من جمادى الأولى سنة ٨٦٦هـ، رقم الوثيقة (١٣٢) محفظة (٢١) دار الوثائق.

٦ - حجة وقف الحاجة سلمى، المؤرخة في ٩ من رجب سنة ٧٩٠هـ، رقم الوثيقة (٦٠٣ج) أوقاف.

٧ - حجة وقف كزل ابنة اسندمر، المؤرخة في ٥ من رمضان سنة ٨٣٨هـ، رقم الوثيقة (٥٦٠) ج أوقاف.

٨ - حجة وقف خديجة بنت أحمد أرغوان شاه، المؤرخة في ٦ من شوال سنة ٨٦٦هـ، رقم الوثيقة (١٣٣) محفظة (٢١) دار الوثائق.

٩ - حجة وقف الشرفي يونس، المؤرخة في ١٥ من ذي الحجة سنة ٨٦٧هـ، رقم الوثيقة (١٣٧) محفظة (٢١) دار الوثائق.

١٠ - حجة وقف أركماس بن عبد الله، المؤرخة في أول محرم سنة ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (١٣٨) محفظة (٢٢) دار الوثائق.

١١ - حجة وقف المصونة بركة ابنة شرف الدين، المؤرخة في ٢٣ من ربيع الأول سنة ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (:١٤) محفظة (٢٢) دار الوثائق.

١٢ - حجة وقف العلائي علي الشهير بالعمري، المؤرخة في ١٣ من رمضان سنة ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (١٤١) محفظة (٢٢) دار الوثائق.

١٣ - حجة وقف يحيى بن السيفي طوغان الحسني، المؤرخة في ٢٨ من شوال سنة ٨٧٠هـ، رقم الوثيقة (٥٧١ ج) أوقاف.

١٤ - حجة وقف موسى بن عيسى بن أحمد، المؤرخة في ١٤ من ربيع الأول سنة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥١) محفظة (٢٣) دار الوثائق.

١٥ - حجة وقف السيفي جاني بك، المؤرخة في ١٩ من ذي الحجة سنة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٣) محفظة (٢٤) دار الوثائق.

١٦ - حجة وقف السيفي طوغان بن عبد الله، المؤرخة في ٨ من محرم سنة ٨٧٢هـ، رقم الوثيقة (١٥٥) محفظة (٢٤) دار الوثائق.

١٧ - حجة وقف الزيني سرور بن عبد الله الطواشي المؤرخة في ٣ من جمادى الآخرة سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (١٥٩) محفظة (٢٤) دار الوثائق.

١٨ - حجة وقف فاطمة بنت شهاب الدين أحمد، المؤرخة في ٢٤ من ربيع الأول سنة ٨٧٤هـ، رقم الوثيقة (١٦٥) محفظة (٢٥) دار الوثائق.

ثانياً - الأوقاف على الأشراف وأهالي الحرمين الشريفين:

١ - أوقاف السلاطين:

وكما زاد الوقف في العصر المملوكي على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، كثرت الأوقاف على الأشراف وأهالي الحرمين ، ويرجع ذلك أساساً إلى حرص سلاطين المماليك على القيام بكل ما يؤكد زعامتهم على العالم الإسلامي بوجه عام، وبسط سيادتهم على الحرمين بوجه خاص. ويهمنا في هذا الصدد إبراز ما وقفه سلاطين وأمراء وأعيان المماليك على أشراف المدينتين المقدستين علماً بأن لهم أوقافاً كثيرة متباينة خاصة بهم في بلاد الحجاز، وهي متنوعة ومتعددة حسب طبقاتهم، لكنها ليست في مجال هذه الدراسة كما يتناول هذا المبحث ما وقف على أهالي الحرمين الشريفين.

— لقد أحاط سلاطين وأمراء المماليك أهالي الحرمين الشريفين بعظيم عنايتهم، فكثرت أوقافهم عليهم، وعلى مجاوري الحرمين، وفقرائهما، والوافدين إليهما، وقد وسعت هذه الأوقاف المساكين، والأيتام، والمحتاجين، والخدام البطالين، وتسبيل الماء، وعمل الدشيشة للمعدمين من أهالي الحرمين، وشملت أيضاً قارئي القرآن الكريم، وقارئي الحديث الشريف، ووفرت للجميع الطعام، والكساوي ، حتى يتفرغوا للعمل والعبادة وتحصيل المعارف، وجرياً على ذلك، فقد قام السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/١٢٥٩ - ١٢٧٧م) في أثناء تأديته للحجج عام٦٧٦هـ بتسليم أميري مكة أموالا وغلالا للإنفاق منها علي مصالح الحرم الشريف[١].

و قد تأرجحت أوقاف أشراف الحرمين الشريفين صرفاً وإيقافاً مع رضا السلاطين عن الأشراف وسخطهم عليهم، فكانت تصرف مع رضاهم، وتحبس مع عدمه، مما يوضح ذلك أن أبا نمي أمير مكه (٦٥٢ - ٧٠١هـ/

---

١٩ - حجة وقف الناصري محمد بن الزيني، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٨١هـ، رقم الوثيقة (١٨٣) محفظة (٢٨) دار الوثائق.

٢٠ - حجة وقف حليمة ، المؤرخة في ٢٢ من رمضان سنة ٨٨٧هـ، رقم الوثيقة (١٩٣) محفظة (٢٩) دار الوثائق.

٢١ - حجة وقف الناصري محمد بن محمد الشهير بابن النحي، المؤرخة في ٢ من رجب سنة ٨٩٥هـ، رقم الوثيقة (٢٠٧) محفظة (٣٣) دار الوثائق.

٢٢ - حجة وقف السيفي طقطمش بن عبد الله، المؤرخة في ٦ من ربيع الآخر سنة ٨٩٥هـ، رقم الوثيقة (٢١٢) محفظة (٣٣) دار الوثائق.

٢٣ - حجة وقف الزيني فرج بن بردبك، المؤرخة في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٨٩٩هـ، رقم الوثيقة (٢١٦) محفظة (٣٤) دار الوثائق.

٢٤ - حجة وقف شمس الدين محمد الدهان، المؤرخة في ٢ من جمادى الآخرة سنة ٩٠٣هـ، رقم الوثيقة (٢٢٣) محفظة (٣٦) دار الوثائق.

= ٢٥ - حجة وقف السيفي إينال بن عبد الله السيفي الأتابكي، المؤرخة في ١٥ من ربيع الأول سنة ٩١٨هـ، رقم الوثيقة (٥٩٩ ج) أوقاف.

٢٦ - حجة وقف شهاب الدين البسطامي، المؤرخة في أول شعبان سنة ٩٠٣هـ، رقم الوثيقة (٢٢٤) محفظة (٣٦) دار الوثائق.

٢٧ - حجة وقف أبي العباس أحمد بن محمود، المؤرخة في ١١ من شعبان سنة ٩٠٥، رقم الوثيقة (٢٢٧) محفظة (٣٦) دار الوثائق.

٢٨ - حجة وقف شمس الدين الأحمدي، المؤرخة في ٢٠ من شعبان سنة ٩٠٩هـ، رقم الوثيقة (٢٤٢) محفظة (٤٠) دار الوثائق.

٢٩ - حجة وقف ورد خان بنت عبد الله، المؤرخة في ١٢ من رمضان سنة ٩٢٠هـ، رقم الوثيقة (٢٨٣) محفظة (٤٣) دار الوثائق.

٣٠ - حجة وقف سلما وسلمان ولدي البدري حسن، المؤرخة في ١٨ من صفر سنة ٩٢١هـ، رقم الوثيقة (٤٩١ ق) أوقاف.

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٥٨٢، وسعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

١٢٥٤ - ١٣٠١م) بعث وفداً إلى مصر مصحوباً بعدد من أشراف الحجاز برفقة ابنه، وقابلوا السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩هـ/١٢٧٩ - ١٢٩٠م)، فأكرمهم، وأغدق عليهم كثيراً من الهبات والعطايا، كما صرف لهم ما كان موقوفاً من أوقافهم[١].

وحجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م، قد حددت ضمن شروط الواقف الصرف على الفقراء والمساكين المجاورين بالمسجد الحرام من الذكور والإناث السنيين غير الزيدية[٢]، والروافض[٣] كل ذلك على مايراه الناظر، ويؤدي إليه اجتهاده[٤]، "كما يصرف في المدينة الشريفة النبوية على ما شرح أعلاه يجري الحال في ذلك كذلك"[٥].

ولقد فصلت لنا وثائق وقف سلاطين المماليك على الأشراف وأهالي الحرمين الشريفين أوجه صرفها، ومن ذلك ما جعله الأشرف شعبان بن حسين لأمير مكة[٦] وهو " مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة سنوياً ".

وجعل أيضا في أوجه صرفها " مبلغ خمسة آلاف درهم نقرة كل عام لأمير مكة عوضاً عن المبالغ التي كان يأخذها من بني شيبة نظير فتح الكعبة، وفتح مقام إبراهيم عليه السلام . وخصصت الوثيقة مبلغ مائة ألف درهم سنويّا لأمير المدينة الشريفة [٧].

ولم يفت السلطان الأشرف شعبان أن يخصص جزءاً من ريع أوقافه للصرف مباشرة على الفقراء، والمساكين، والمنقطعين، ولهذا خصص مبالغ مختلفة تصرف في الأعمال الخيرية حددتها وثيقته التي خصصت مبلغ ألف درهم لشراء قمصان من الكتان والقطن، ترسل كل سنة من مصر مع من يوثق به صحبة الركب السلطاني إلى مكة لتوزع على الفقراء والمساكين والأرامل .

كما قرّر الأشرف شعبان صرف مبلغ خمسة آلاف درهم سنوياً يرسلها الناظر على الوقف صحبة الركب السلطاني، ثم يتولى الناظر على الحرم تفرقتها على من يراه من الفقراء، والمساكين، والأرامل.

ومن الأشياء التي تسترعى الانتباه ما خصصه الأشرف شعبان، وهو: مبلغ مائة وخمسين درهما يشتري بها الناظر إبراً وخيوطاً من الكتان والقطن، ترسل إلى الحرم ليفرقها ناظر الحرم على من يراه من الفقراء والمساكين، والأرامل .

---

(١) ابن الفرات، تاريخه، ج٧، ص ٢٥٢.

(٢) الزيدية: نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين السبط، وهم الذين ساقوا الإمامة في ولد فاطمة بالاختيار، ومن شروط هذا الإمام أن يخرج داعياً إلى إمامته ، والزيدية نسبة إلى صاحب هذا المذهب (زيد) المذكور، ابن خلدون، مقدمته ص ٢١٧، ٢٢٣.

(٣) الروافض: وسموا بذلك لأنهم لما ناظروا زيد بن علي بن الحسين السبط في إمامة الشيخين، ووجدوه مصراً على إمامتهما، ولا يتبرأ منهما رفضوه، ولم يجعلوه من الأئمة، ولذلك سموا بالرافضة، ابن خلدون، مقدمته، ص ٢١٧، ٢٢٣.

(٤) حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، رقم الوثيقة (٤٢)، محفظة (٦)، دار الوثائق، سطر ٤٤ - ٤٥.

(٥) حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، رقم الوثيقة (٤٢)، دار الوثائق، سطر، ٥١ - ٥٢.

(٦) أمير مكة في هذه الفترة هو الأمير أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، ولي إمارة مكة شريكاً لأبيه، ثم انفرد بالإمرة في سنة ٧٧٤هـ، وأشرك ابنه محمد معه في الإمرة سنة ٧٨٠هـ، وتوفي ليلة السبت ٢٠ من شعبان سنة ٧٨٨هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٣ ص ٨٧.

(٧) أمير المدينة في هذه الفترة: هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا، يعود نسبه إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الحسيني، أمير المدينة في سنة ٧٨٢هـ. السخاوي. التحفة اللطيفة، ج١، ص٩٥.

وحدد الأشرف شعبان مبلغ ألف درهم يشتري بها الناظر، أو من ينوب عنه قمصاناً من الكتان، والقطن، تحمل صحبة الركب السلطاني في كل سنة، تفرق على الفقراء من أهالي المدينة الشريفة، كما قرر الواقف مبلغ مائة وخمسين درهماً يشتري بها الناظر إبراً وخيوطاً، ويرسل ذلك إلى الحرم النبوي ليفرقها الناظر على المحتاجين إليها [١].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن لأشراف الحرمين أوقافاً أخرى حبست عليهم من قبل سلاطين المماليك، لكننا لم نعثر على وثائقها، أشارت بعض المصادر إليها. منها ماكان زمن السلطان برقوق (٧٩٢هـ/١٣٨٩م) حيث أمر بإبطال جميع المكوس والخراج، وعوض أمير المدينة عنهما بإقطاعات في مصر والشام، وخصص ريعها لأميرها[٢].

وبعد رجوع السلطان قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١هـ/١٤٦٧ - ١٤٩٦م) من حجه سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩ م شرع في شراء عدة أماكن، ووقفها ليحمل ريعها إلى المدينة الشريفة، ذكر السمهودي أن "متحصلها سبعة آلاف أردب، وخمسمائة إردب من الحب في كل سنة، وأن السلطان رسم بإبطال المكوس بالمدينة، وتعويض أميرها..."[٣].

وعلى نسق ما ذكر كانت حجة وقف السلطان ناصر فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، فقد حددت في أوجه صرفها الربع الباقي من ريع وقفها على الفقراء والمساكين، والأرامل، والأيتام، والمحتاجين، المجاورين والمقيمين بالحرمين الشريفين من المسلمين، وفي تسبيل الماء، وإطعام الجائعين، وكسوة العرايا والمقلين، وستر عورات الضعفاء والعاجزين، على مايراه الناظر، ويفرق ذلك فضة أو فلوساً، أو ما يكون، فإن تعذر صرفها بالحرمين المذكورين، فيكون لأحدهما، فإن تعذر ذلك كله صرف في وجوه البر والقُربات[٤].

كما أن هناك وثيقة أخرى للسلطان فرج بن برقوق، مؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م[٥].

وقد عين الواقف في أوجه صرفها تحديد الثُّمن الثاني من الريع المذكور، وهو ثلاثة أسهم تصرف للخدام الخصيين[٦] البطالين المقيمين في مدينة سيدنا رسول الله ﷺ والذين ليس لهم إقطاع، يفرق الناظر ذلك عليهم على

---

(١) لكل ما ذكر انظر راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين الشريفين ص ٨٩، ١١٧.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢١٤.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٤.

(٤) حجة وقف الناصر فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١)، دار الوثائق، سطر ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤. كما حددت الوثيقة وقفاً آخر يصرف بعد انقراض الذرية والعتقاء ، على مصالح الفقراء والمساكين، والأيتام والأرامل والمحتاجين المجاورين بالحرمين الشريفين، حرم مكة المشرفة، وحرم سيدنا رسول الله ﷺ وللقاطنين بالحرمين المذكورين، فإن تعذر فبأحدهما، فإن تعذر فللفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا، وحينما وجدوا، انظر سطر ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧ من أسفل الوثيقة المذكورة، وللمزيد انظر ، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٨٠٤هـ، رقم الوثيقة (٦٨ ج) أوقاف.

(٦) الخدام الخصيون: الاختصاء هو تغيير لخلق الله، وتعذيب للنفس وضياع للنسل، نهى عنه النبي ﷺ فقال: "ليس منا من خصى أو اختصى" العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١١٧.

مايراه، ويؤدي إليه اجتهاده[١].

وفي هذا الصدد أيضاً كانت حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ/١٤٢٣م، والتي عينت في أوجه صرفها شراء ثمانمائة قميص من الخام تحمل في كل سنة إلى الفقراء والمجاورين بالحرم المكي الشريف، والفقراء المجاورين بالحرم النبوي الشريف، وتقسم بينهم على حسب ما شرطه الواقف، كما عين صرف خمسين قميصاً تصرف للفقير إلى الله تعالى شهاب الدين أحمد بن شمس الدين الحنفي، إمام الحنفية بالحرم الشريف المكي[٢] عن قراءته خمسة أحزاب من القرآن العظيم كل يوم بعد كل صلاة من الصلوات المفروضات، حزب واحد في المصحف الشريف بالحرم الشريف المكي المشار إليه، ويختم قراءته بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، كما يصرف أربعة وعشرون ديناراً أشرفياً لمن يتولى هذه الوظيفة بعده، ويقرأ ما عين قراءته في كل سنة نظير المبلغ المذكور، ويصرف على مثل ذلك بالحرم الشريف النبوي[٣].

أما حجة السلطان قايتباي المؤرخة[٤] في ١٥ من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م فقد عينت أوجه الصرف بها بعد انقضاء الذرية والموقوف عليهم بالصرف على تجهيز سماط لعمل الدشيشة[٥] والبُر بالمدينة الشريفة.

وأشارت حجة وقف السلطان الغوري، المؤرخة[٦] في ٢٦ من محرم سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م في أوجه صرفها إلى تخصيص "رجل من أهل الخير حافظ لكتاب الله العزيز من المقيمين بمكة المشرفة يقرره الناظر على هذا الوقف،

---

(١) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، رقم الوثيقة (٦٨ ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، الشيخ شهاب الدين الحنفي، مولده سنة ٧٩١هـ، وتوفي يوم الاثنين ١٥ من رجب سنة ٨٥٤، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٨٠ - ٨١.

(٣) حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٣٨٠ق) أوقاف، ص ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧.

(٤) حجة وقف السلطان قايتباي، المؤرخة في ١٥ من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ، رقم الوثيقة (٨٩٠ق) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) الدشيشة أشار إليها ابن إياس بقوله: "لما حج السلطان أشرف قايتباي سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م رأى أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة من عدم الأقوات، فنذر أن يفعل بالمدينة خيراً يكون مستمراً من بعده، فأخرج من ماله الخاص ليشتري به ما يوقفه على هذه المدينة من ضياع وأماكن وربوع، وغير ذلك ما يصنع بالمدينة في كل يوم من الدشيشة، والخبز، والزيت، وغير ذلك، كما يفعل بمدينة الخليل عليه السلام، ثم شرع السلطان في بناء وكالة على تلك الربوع التي أنشأها في باب النصر، وفي البندقانيين والخشابيين والدجاجين وغير ذلك من الأماكن" ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٦٥.
وقد وقف الباحث على وكالة قايتباي المشار إليها في النص السابق، وشاهد نص الوقف على باب الوكالة وهو: "... بسملة... أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين، محيي العدل في العالمين، خلد الله ملكه في محمد وآله وسلم... وكان الفراغ من هذا السبيل المبارك السعيد في شهر رمضان المعظم قدره سنة أربعة وثمانين وثمان مائة من الهجرة النبوية والحمد لله..."، "... بسملة ... أمر بعمارة هذا المكان المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقابنا المقام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز نصره وجعله وقفاً مصروفاً أجرته على جيران النبي ﷺ بالمدينة يشترى به قمح وتعمل منه الدشيشة للمجاورين والواردين ابتغاء وجه الله..." انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.
وأشار السمهودي إلى وقف السلطان قايتباي بالمدينة الشريفة بقوله "وقد شرعوا في عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة ووكالة ذات حواصل في الدور التي اشتروها قبل ذلك للسلطان من دور العباسا وما يلي ذلك من جهة القبلة ... ثم كتب إلى بعض الثقات بتحصيل تلك الأماكن (والتي اشتراها في القاهرة) وأن متحصلها سبعة آلاف إردب وخمسمائة إردب من الحب في كل سنة ..." السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢، ص ٦٤٤.
وأشار السمهودي في موضع آخر إلى وقف الدشيشة بقوله "فقرر أمر السماط، فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله، لكل نفر سُبْع إردب مصري وسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد..."، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٥.

(٦) حجة وقف السلطان الغوري، المؤرخة في ٢٦ من محرم سنة ٩٠٩هـ، رقم الوثيقة (٨٨٢ ق).

والمتولي عليه في وظيفة قراءة المصحف الشريف على أن يقرأ تجاه البيت الشريف بالحرم الشريف في كل يوم ما تيسرت له قراءته من القرآن العظيم، في أي وقت تيسر من ليل أو نهار، ويختم قراءته بسورة الإخلاص، والمعوذتين، وفاتحة الكتاب العزيز، وفواتيح سورة البقرة، وخواتيمها، ويذكر الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ ويدعو بعد ذلك ويهدي ثواب قراءته وأذكاره وصلواته لسيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم إلى الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، ثم إلى الآل والصحابة والتابعين والأولياء والعلماء والصالحين، ثم للواقف، وأولاده، وذريته، وإخوته، وأقاربه من المسلمين"[١].

كما خصص الواقف صرف عشرة دنانير، نصفها خمسة دنانير، أو ما يقوم مقامها من نقود لرجل من أهل الخير والدين والعفة والصلاح من المعتبرين بمكة المشرفة على أن يدعو للواقف المشار إليه أحسن الله إليه عقيب مجالس الذكر، وفي محل العبادات، والكرامات، والنصف الآخر بالصرف في ثمن عشرة دوارق، وما يقيها من حر الشمس عند الحاجة لذلك، ولمن يملؤها من ماء زمزم، أو غيرها من الآبار المباركة، والسيول، والأعين، ويسبل ذلك طول السنة بعد تبريده في باب السلام على الخاص والعام في الحرم الشريف المكي المشار إليه للرجال والنساء والصبيان، من الطائفين، والعاكفين، والواردين، والمترددين، والمصلين، والمارين على ماجرت العادة به في مثل ذلك[٢].

وحدد الواقف ضمن أوجه الصرف "تخصيص مبلغ اثنين وخمسين ديناراً من الذهب الموصوف، عشرة دنانير نصفها خمسة دنانير، أو ما يقوم مقامها من نقود في الصرف لرجل من أهل الخير والدين، حافظ لكتاب الله العزيز مقيم بالمدينة الشريفة، على أن يقرأ في كل يوم من مصحف شريف ما تيسرت له قراءته من القرآن العظيم بالحرم الشريف بالروضة الشريفة تجاه الحجرة الشريفة، ويختم قراءته بذكر الله تعالى ويصلي على سيدنا محمد ﷺ كثيراً، ويدعو بنظير الدعاء المتقدم ذكره، كما يصرف عشرة دنانير نصفها خمسة دنانير، أو ما يقوم مقامها من نقود في الصرف لرجل من أهل الخير، والدين، والعلم الشريف المحسن لتأدية حديث رسول الله ﷺ على أن يقرأ في كل سنة من أوائل الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان صحيح البخاري بالروضة الشريفة تجاه الحجرة الشريفة، ويختم قراءته ويذكر الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ في كل مجلس، ويدعو نظير الدعاء المتقدم ذكره كما خصص الواقف صرف مبلغ عشرة دنانير نصفها خمسة دنانير، أو ما يقوم مقامها من النقود بالصرف في ثمن دوارق، وأجرة من يملؤها وتسبيلها بالحرم الشريف النبوي على العادة في مثل ذلك، كما عين الواقف صرف اثنين وعشرين ديناراً، نصفها أحد عشر ديناراً، أو ما يقوم مقامها من النقود عند الصرف في قراءة ربعة شريفة تُقرأ في كل يوم بالروضة الشريفة تجاه الحجرة الشريفة، ويختم قراءتها بالذكر والصلاة على النبي ﷺ، ويدعو كالدعاء المتقدم ذكره، هذه آخر المصارف المشروط صرفها لمكة والمدينة المشار إليهما أعلاه"[٣].

ومن أوقاف البر والصدقات على أهالي الحرمين الشريفين وقف السلطان طومان باي[٤] الذي وقفه قبل أن

---

(١) حجة وقف السلطان الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) ، ص ٥٥٥ من مجلد الوقف.

(٢) حجة وقف السلطان الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ ق) ، ص ٥٥٥ من مجلد الوقف الأول.

(٣) حجة وقف السلطان الغوري، الرقم والصفحة والمجلد نفسه.

(٤) السلطان طومان باي (الثاني) الأشرف، آخر السلاطين المماليك شنق على باب زويلة بأمر السلطان العثماني سليم الأول، تسلطن سنة ٩٢٢هـ وشنق سنة ٩٢٣هـ/١٥١٦ - ١٥١٧م، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٨٧، وابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص١١٣.

يكون سلطانا ،والذي حررت حجته في ١٨ من شعبان سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م[١]، وقد حدد الواقف في الوثيقة مقدار ما ينفق على أوجه البر، وأول هذه المصارف هو ماينفق من ريع الوقف على أهالي المدينتين المقدستين، وهو مبلغ جملته مائة دينار وسبعة دنانير من الذهب الأشرفي أو ما يقوم مقامها عند الصرف، وقد فصل طومان باي أوجه صرف هذا المبلغ، بل حدد بعض الأشخاص الذين يستفيدون من ريع الوقف في مكة والمدينة إما مقابل أعمال يؤدونها أو على سبيل الصدقة والمبرة، فقد حدد صرف ١٢ ديناراً كل سنة هلالية لرجل من أهل الخير المقيمين في مكة من حفظة كتاب الله العزيز نظير قراءة المصحف والدعاء تجاه البيت الشريف كل يوم، وصرف ١٠ دنانير كل سنة هلالية لشراء عشرة دوارق ولمن يملؤها من ماء زمزم أو من غيرها طوال السنة بعد تبريدها بباب السلام وتسبيلها للخاص والعام في الحرم الشريف وصرف ١٠ دنانير كل سنة هلالية لرجل من أهل الخير الحافظين لكتاب الله العزيز المقيمين بالمدينة الشريفة نظير قراءة في المصحف والدعاء كل يوم تجاه الحجرة الشريفة، وصرف ١٠ دنانير لرجل من أهل الخير يحسن تأدية حديث رسول الله ﷺ نظير قراءة صحيح البخاري بالروضة الشريفة في أوائل رجب وشعبان ورمضان والدعاء للواقف، وصرف ١٠ دنانير كل سنة هلالية لشراء دوارق وأجرة من يملؤها وتسبيلها بالحرم المدني الشريف، وصرف ٢٢ ديناراً كل سنة هلالية لقراءة ربعة شريفة تقرأ كل يوم بالروضة الشريفة[٢].

٢ - أوقاف الأمراء والأعيـــان:

وقد سار الأمراء على سيرة سلاطينهم بحرصهم على الوقف على أهالي الحرمين الشريفين وأمرائهما، فقد جاء في حجة وقف فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب، المؤرخة في ٥ من محرم سنة ٦٦٢ هـ/١٢٦٣م[٣]، ضمن أوجه صرفها تحديد ما يصرف على الأشراف الهاشميين[٤] والبكريين[٥] المقيمين بمدينة رسول الله ﷺ.

---

(١) حجة وقف السلطان طومان باي (الثاني) الأشرف، والتي حررت في ٢٣ من شعبان سنة ٩١٩هـ، رقم الوثيقة (٨٨٢) دار الكتب وهي صورة من هذه الحجة، تشمل ما أدخل عليها من تعديلات بعد تحريرها، حيث إن هـذه الصورة نسخت بعد وفاة طومان باي، وكان نسخها بعد ٩ من جمادى الأولى سنة ١٠١١هـ، وهو تاريخ آخر تصرف فيها، وإن طومان باي لم يقم بإجراء تعديلات أو إضافات بعد توليه السلطنة يرجع ذلك لقصر الفترة وما سادها من اضطراب وتوتر، ومن الملاحظ أن طومان باي قد قرر وقفه هذا على الحرمين الشريفين بعد أدائه فريضة الحج في سنة ٩١٧هـ وهو أمير الركب الأول في حج تلك السنة، وقد نشر هذه الوثيقة، عماد بدر الدين محمود أبو غازي، ضمن رسالة علمية، بعنوان: دراسة وثائقية في أوقاف الأشرف طومان باي ، جامعة القاهرة، كلية الأداب، قسم الوثائق والمكتبات، ١٩٨٨م.

(٢) حجة وقف السلطان طومان باي (الثاني) الأشرف، رقم الوثيقة (٨٨٢) سطر ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠.

(٣) حجة وقف فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب، المؤرخة في ٥ من محرم سنة ٦٦٢هـ، رقم الوثيقة (٨)، محفظة (٢) دار الوثائق.

(٤) **الهاشميون:** الذين عناهم صاحب الوقف هم الذين ينتسبون إلى محمد بن جعفر بن هاشم، تولى إمارة مكة سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، وهو مؤسس الطبقة الثالثة من الأشراف، الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٧٢، ج٦، ص ٢٣٨، وشفاء الغرام ج٢ ص ٣١٠.

(٥) **البكريون:** نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وارتحل بعضهم إلى مصر، فأقاموا بها وتناسلوا فيها، وكان بالمدينة المنورة شخص منهم يقال له جمال البكري، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٨٧، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١ ص ٤٢٩، ولعل سبب نسبتهم للأشراف يعود إلى أن إحدى جداتهم تنسب إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، وفي أواخر العصر المملوكي أدخل أبناء البطون في الأوقاف، (أوقاف الحشرية)، وهذا يتنافى مع أصول وقواعد النسب الشريف.

وعلى نسق ما ذكر حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار، أمير خازندار، المؤرخة في ١٤ من محرم سنة ٧٠٧ هـ/١٣٠٧م[١] وضمن أوجه صرفها: تخصيص ما فضل من ريع الرُّبع يصرف للمجاورين في المسجد الحرام في مكة شرفها الله تعالى، وعلى الفقراء، والأرامل، والمحتاجين، المنقطعين، والعاجزين، المقيمين بمكة، يصرفه الناظر كيف شاء[٢].

وما فضل من ريع هذا الربع الثاني يصرف للفقراء والأرامل، والمجاورين، والمنقطعين، والعاجزين بمدينة طيبة شرفها الله تعالى، يصرفها الناظر على هذا الوقف حسب ما يراه، ويؤدي إليه اجتهاده[٣].

وفي هذا الصدد حجة وقف السيفي أيتمش[٤] بن عبد الله الظاهري الأتابكي رأس نوبة الأمراء الملكي[٥]، المؤرخة في ٢ من رجب سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، وفيها: يصرف من كل سنة ما مبلغه من الدراهم النقرة الجيدة ستة آلاف درهم على التفصيل الآتي:

ما يصرف لحرم مكة المشرفة ثلاثة آلاف درهم تصرف لعشرة من القراء الحافظين لكتاب الله يرتبهم الناظر على الوقف المذكور بالحرم الشريف المكي، خلف المقام الشريف على أن يقرأ عقب كل صلاة من الصلوات الخمس اثنان منهم حزبين من تجزئة ستين حزباً من كتاب الله قراءة حسنة مرتلة، وتخصيص مبلغ ثلاثين درهما نقرة من المبلغ السابق، يصرف في ثمن ماء عذب، وأجرة نقل ماء من بئر زمزم، وثمن دوارق فخار، وأجرة تسبيله في الحرم الشريف المكي على الناس أجمعين، كما عين الواقف في أوجه صرفه، تخصيص مبلغ ثلاثة آلاف درهم نقرة تصرف لحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ، منها ما يصرف لعشرة من القراء الحافظين لكتاب الله تعالى يرتبهم الناظر بالحرم الشريف النبوي المذكور، على أن يقرأ عقيب كل صلاة من الصلوات الخمس اثنان منهم بين الروضة والمنبر حزبين من تجزئة ستين حزباً من كتاب الله العظيم، قراءة حسنة مرتلة، ويدعو أحدهما، ويهدى ثواب ذلك للواقف كما خصص الواقف مبلغ ثلاثين درهماً نقرة تصرف في ثمن ماء عذب، وثمن دوارق، وأجرة تسبيله على الناس أجمعين بالحرم الشريف النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام[٦].

كما توجد للواقف نفسه حجة أخرى بالرقم نفسه، ولكنها مؤرخة في ١٩ من محرم سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م بوزارة الأوقاف، وأوجه الصرف فيها كحجته الأولى غير أن المبالغ فيهما متباينة، وفضلاً عن ذلك، فقد أضاف تخصيص

---

(١) حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير خازندار، المؤرخة في ١٤ من محرم سنة ٧٠٧هـ، رقم الوثيقة (٢٠) محفظة (٤) دار الوثائق القومية.

(٢) حجة وقف سيف الدين بكتمر، رقم الوثيقة (٢٠) دار الوثائق سطر ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) الحجة السابقة، سطر ١٢٧ - ١٢٨.

(٤) **أيتمش بن عبد الله الخضري الظاهري برقوق**، كان من مماليك برقوق، ثم صار من جملة الدوادارية في أيام ابنه الناصر فرج، مات بالقاهرة سنة ٨٤٦هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ١٦٤ برقم ٥٨٥، والسخاوي، الضوء اللامع، المجلد الأول، ج٢، ص ٣٢٤ برقم ١٠٦٠.

(٥) **رأس نوبة الأمراء**: هو كبير رءوس النوب، أو رأس نوبة النواب، وربما قصد منها أيضاً رئيس الأمراء، أو كبير الأمراء، القلقشندي، صبح الأعشى ج٥، ص ٤٥٥، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٥٤٧.

(٦) حجة وقف السيفي أيتمش بن عبد الله الظاهري، المؤرخة في ٢ من رجب سنة ٧٩٠هـ، رقم الوثيقة (١١٤٣ق) أوقاف مكرر. وقد حددت الوثيقة لكل قارئ من القراء العشرة راتباً سنويّا ١٢٢ درهما نقرة، وكذلك لقراء المدينة، كما أن المبالغ المحددة للسقاية بكلا الحرمين شهرية. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

ألف درهم، أو ما يقوم مقامها من النقود تصرف لخازن المصحف الشريف وفي كل سنة من السنين ما يعادل المذكور[١].

وعلى نمط ما ذكر: حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله الخوارزمي الزمام الملكي الناصري، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م، ومن مخصصات أوجه الصرف في هذه الحجة تخصيص أربعة أسهم يصرف ريعها لقارئ يقرأ ما تيسر قراءته من القرآن العظيم، من صدره في أي وقت تيسر، أو مكان تيسر، ويهدى ذلك للواقف المذكور وللمسلمين.

كما حدد الواقف في الجزء الخاص على الذرية والعتقاء أنه بعد انقراضهم يصرف ريع هذا الجزء على الفقراء الخدام البطالين المجاورين لحرم سيدنا رسول الله ﷺ ، فإن لم يوجد أحد مما ذكر صرف ذلك على الفقراء والمساكين المجاورين بمدينة النبي ﷺ[٢].

وخصصت حجة وقف السيفي بهادر[٣] السعيدي، أمير علم[٤]، المؤرخة في ٢٣ من صفر سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م في مصارفها: صرف مائتي درهم نقرة، أو ما يقوم مقامها من النقود لرجل من المسلمين يرتبه الناظر قارئاً للمصحف الآتي ذكره على أن يقرأ كل يوم بعد صلاة الظهر، أو بعد صلاة العصر في أي الوقتين شاء القارئ حزباً واحداً من تجزئة ستين حزباً من القرآن العظيم في الحرم الشريف النبوي في المصحف الكريم المنسوب للسلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، فإن تعذرت القراءة من المصحف الكريم قرأ من مصحف آخر غيره، ويتم القارئ بعد قراءة القرآن، بالصلاة على النبي ﷺ، ثم بالدعاء للسلطان المذكور، وللواقف ولجميع المسلمين، وأما الثلاثون درهماً الباقية من المائتين فإنها تصرف لمن يتولى حمل المصحف الشريف المذكور من وضع استقراره إلى موضع القراءة ليقرأ فيه القارئ، ثم يعيده إلى مستقره، فإن قام القارئ بوظيفة القراءة والحمل والإعادة ، صرف له المائتان بكاملها[٥].

وعلى نمط ما ذكر : حجة وقف الأمير مثقال[٦] مقدم المماليك[٧]، المؤرخة في ٢٩ من جمادى

---

(١) حجة وقف أيتمش بن عبد الله الظاهري، المؤرخة في ١٩ من محرم سنة ٨٥١هـ، رقم الوثيقة (١١٤٣ق) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ، رقم الوثيقة (٢٧٤) محفظة (٤٢) دار الوثائق، سطر ٣١، ٣٢، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩.

(٣) هو السيفي بهادر بن عبد الله الجمالي، أمير علم والطبلخانة في سلطنة الناصر حسن، مات سنة ٧٨٦هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة ج١ ص ٤٩٦ ترجمة رقم ١٠٥٣.

(٤) أمير علم: هي الوظيفة الحادية العشرون من الوظائف العسكرية في الحضرة السلطانية، وكانت مهمته الإشراف على الأعلام السلطانية والطبلخانة وموظفيها، وآلاتها من الطبول والأبواق، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٣٤٢.

(٥) حجة وقف السيفي بهادر السعيدي، أمير علم، المؤرخة في ٢٣ من صفر سنة ٧٢٣هـ، رقم الوثيقة (٢٩) محفظة (٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) هو: مثقال بن عبد الله الأنوكي الطواشي، الأمير سابق الدين، مقدم المماليك السلطانية، أصله من خدام سيدي أنوك بن الناصر محمد بن قلاوون، توفي سنة ٧٧٦هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص ٥٧٢ برقم ١٩٦٦، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٦٣ برقم ٣٢٥٣.

(٧) مقدم المماليك: هي الوظيفة الخامسة عشرة بين الوظائف التي يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكي، ولا يكون مقدم المماليك إلا من الخدام الخصيان، ومن مهامه توزيع الصدقات السلطانية والكساوي على المماليك، وأن يحمل النظر في أمر صغارهم وكبارهم، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٣، ص ١١٣٢.

الثانيـــة ٧٦٦هـــ/١٣٦٤م[١]، والتي عينت في أوجه صرفها بعد انقراض العتقاء صرف ربعها إلى الخدام البطالين بالحرم الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام والرحمة ، بالسوية بينهم على أن كلاً منهم عند قبض حصته يقرأ سورة الإخلاص ثلاثين مرة، ويدعو عقيب القراءة للواقف المذكور وسائر المسلمين، فإن تعذر الصرف للخدام بالحرم المذكور صرف للفقراء والمساكين أينما كانوا وحيثما وجدوا[٢].

ومما يخص أهالي الحرمين من أوقاف: ما وقفه السيفي قراقجا بن عبد الله الحسني أمير آخور[٣]كبير المالكي الظاهري في حجة وقفه المؤرخة في أول شعبان سنة ٨٤٥هـــ/١٤٤١م، وقد اشترط الواقف في هذه الحجة أنه إذا تعذر الصرف إلى من عين له الصرف فيه صرف ريع الموقوف، والمحدد بأعاليه للفقراء والمساكين، والأرامل، والأيتام، والعاجزين المتصفين بفقر الحال والفاقة أهل الحاجة المقيمين بمكة المشرفة وبمدينة طيبة على الحال بحرمهما أفضل الصلاة والسلام والرحمة بالسوية بين الجهتين المذكورتين من كسوة وغير ذلك، يرسل ذلك مع موثوق به في كل سنة صحبة الركب الشريف المتوجه في شوال من كل سنة على ما يراه الناظر المتولي على ذلك، ويؤدي إليه اجتهاده[٤].

كما حددت حجة وقف الخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف[٥] أمير المؤمنين، والأمير أحمد الشهير بابن الخطابي[٦]، المؤرخة في ٢٠ من رجب سنة ٨٦٩هـــ/١٤٦٤م، في أوجه صرفها أن يكون بعد انقراض الموقوف عليهم وقفاً مصروفا ريعه على فقراء الحرمين الشريفين، شرفهما الله تعالى وعظمهما بحرم مكة المشرفة، وحرم مدينة النبي ﷺ ، ويقسم ريع الوقف المذكور على فقراء الحرمين الشريفين المشار إليهما بالسوية بينهما، فإن تعذر الصرف لفقراء أحد الحرمين الشريفين صرف الريع إلى فقراء الحرم الآخر، فإن تعذر الصرف والعياذ بالله إلى فقراء الحرمين الشريفين معاً صرف إلى الفقراء والمساكين بالمشهد النفيسي بالقاهرة المحروسة[٧].

---

(١) حجة وقف الأمير مثقال مقدم المماليك، المؤرخة في ٢٩ من جمادى الثانية سنة ٧٦٦هـــ، رقم الوثيقة (٤٤) محفظة (٧)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) حجة وقف الأمير مثقال رقم الوثيقة (٤٤)، دار الوثائق القومية، سطر ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٩٧، ٩٨، وهذه الوثيقة نشرتها د. زينب محفوظ ، في ملاحق رسالتها للدكتوراه ،سنة ١٩٧٧م بعنوان: " وثائق البيع في مصر خلال العصر المملوكي" .

(٣) أمير آخور: هو الذي يتولي أمر إسطبل السلطان وخيوله، انظر القلقشندي، صبح الأعشي ،ج٤،ص١٨ ،أما أمير آخور كبير فهو رأس أمير آخورية السلطان، ويشغل هذه الوظيفة أحد الأمراء الكبار من فئة أمراء المئين، مقدمي الألوف، وترتيب هذه الوظيفة السادسة بين الوظائف العسكرية الكبرى، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج١، ص ١٧٤ - ١٨٠.

(٤) حجة وقف السيفي قرقجا بن عبد الله الحسني، أمير آخور كبير، المالكي الظاهري، المؤرخة في أول شعبان سنة ٨٤٥هـــ رقم الوثيقـــة (٧٤٨ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) الخليفة المستنجد بالله: هو يوسف بن محمد بن أبي بكر بن سليمان بن أحمد، أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الهاشمي العباسي، آخر الإخوة الخمسة المستقرين في الخلافة، ولد سنة ٧٩٨هـــ/١٣٩٦م، وتوفي في ١٤ من محرم سنة ٨٨٤هـــ/١٤٧٩م، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الخامس، ج١٠، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ برقم ١٢٤٧، والزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ٢٥١.

(٦) الأمير أحمد الشهير بابن الخطابي: لم أجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٧) حجة وقف الخليفة المستنجد والأمير أحمد الشهير بابن الخطابي، المؤرخة في ٢٠ من رجب سنة ٨٦٩هـــ، رقم الوثيقة (١٤٥) محفظة (٢٢)، دار الوثائق القومية، وقد أوردنا هذه الوثيقة ضمن الأمراء لارتباط الواقفين بوثيقة واحدة، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

وقد خصصت حجة وقف السيفي تغري بردي بن عبد الله الأحمدي[١] أمير آخور كبير الملكي الظاهري ، المؤرخة في ٢٧ من شعبان سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م، في أوجه صرفها تعيين رجل من أهل الخير والدين قارئ لكتاب الله العزيز من المقيمين بالمدينة الشريفة مدينة طيبة، يقرأ كل يوم بالحرم الشريف النبوي داخل المسجد الشريف المدني، بين قبره الشريف ومنبره الشريف، المسمى بالروضة الشريفة، حزباً كاملاً من القرآن العظيم من تجزئة ستين حزباً قراءة حسنة مرتلة بعد صلاة الصبح، وقبل طلوع الشمس، ويختم قراءته بسورة الإخلاص والمعوذتين، وفاتحة الكتاب، والصلاة على النبي ﷺ ويدعو بعد ذلك للنبي ﷺ وآله وأصحابه والتابعين، ثم للواقف المشار إليه وذريته وجميع المسلمين، ويصرف له عن ذلك وظيفة القراءة المذكورة كل سنة تمضي من سِنِي الأهلة ألف درهم، أو ما يقوم مقام ذلك من النقود، ويقرر الناظر مزملاتيا[٢] من المقيمين بالمدينة الشريفة النبوية، يتعاطى كل يوم في طوال السنة حتى في أيام الموسم ملء عشرة دوارق، ويوضع ذلك للتسبيل داخل الحرم الشريف النبوي[٣].

ومما وُقف على أهالي الحرمين الشريفين وقف الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين علي الخزعلي[٤]، وحجته مؤرخة في ١١ من محرم سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، وبالإشارة إلى أوجه الصرف فيها بعد انقراض الموقوف عليهم: جعلت ريع ذلك وقفاً على فقراء الحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة وحـــرم مدينة الرسول ﷺ بالسوية بينهما، فإن تعذر الصرف لفقراء أحدهما صرف لفقراء الآخر، فإن تعذر الصرف لهما معاً والعياذ بالله تعالى صرف للفقراء والمساكين والأرامل والمحتاجين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا على مايراه الناظر[٥].

---

(١) السيفي تغري بردي خازندار أمير سلاح الظاهري الملكي، مات سنة ٨٧٧هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٣، ص ٢٨ برقم ١٣٤.

(٢) مزملاتي: نسب إلى مزملة، وهي القدر من الفخار تكسى أو تلفّ أو تزمل بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن، حسن الباشا، الفنون الإسلامية ج٣، ص، ١٠٨١.

(٣) حجة وقف السيفي تغري بردي بن عبد الله الأحمدي، أمير آخور كبير الملكي الظاهري، المؤرخة في ٢٧ من شعبان سنة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٢) محفظة (٢٣)، دار الوثائق القومية، سطر ١١٠ من نهاية الوثيقة، سطر ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٠، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين على الخزعلي، ولي قوص سنة ٧٩٩هـ، وفي عشرين من ذي القعدة منها عزل، وفي سنة ٨٠١هـ، استقر في ولاية الصناعة والقرافتين وفي الحادي والعشرين من رمضان منها عزل، المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٢، ص ٨٨١ - ٩٢٧.

(٥) حجة وقف الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين علي الخزعلي، المؤرخة في ١١ من محرم سنة ٨٨٠هـ، رقم الوثيقة (١٧٦) محفظة (٢٧)، دار الوثائق القومية سطر، ١٠ من نهاية الوثيقة وسطر ٩، ٨، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

كما اشترطت حجة وقف السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري، رأس نوبة النواب[١]، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الثانية سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، في أوجه صرفها: تخصيص ألفي درهم، أو ما يقوم مقامها من النقود، ويتصدق بذلك في الحرمين الشريفين حرم مكة والمدينة في كل حرم نصف المبلغ المذكور وهو ألف درهم على مايراه الناظر في ذلك، ويؤدي إليه اجتهاده من تفرقة دراهم، أو إطعام طعام، أو تسبيل ماء، وكساء عارٍ على مايراه في ذلك وماهو أنفع للفقراء[٢].

ومن أوقاف البر والصدقات على أهالي الحرمين الشريفين وقف الأمير يشبك من مهدي[٣] الدوادار وحجته مؤرخة في ٩ من ربيع الآخر سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م ، وخصصت أوجه الصرف بها على الفقراء والمساكين بمدينة النبي ﷺ على مايراه الناظر وإن تعذر صرف ريع الوقف الثاني على الجامع الأزهر، يصرف ما يتحصل في تحصيل بُر طيب يعمل ذلك كل يوم قمحية يطبخ بلحم ولبن وقمح ويفرق ذلك كل يوم صدقة على الفقراء بمدينة النبي ﷺ فيضاف المتحصل من ذلك حينئذ لمصارف دشيشة السلطان السعيد الشهيد الظاهر جقمق[٤].

كما عينت حجة وقف قاني باي قرا الرماح[٥]، أمير آخور كبير[٦]، المؤرخة في ١٠ من رمضان ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، ضمن أوجه الصرف بها، تخصيص مبلغ ستة عشر ديناراً لقارئين، أحدهما يقرأ في مصحف شريف بالحرم الشريف المكي كل يوم ما تيسر قراءته من القرآن العظيم، والآخر يقرأ في مصحف شريف بالحرم الشريف المدني في كل يوم ما تيسر قراءته، ويدعو في كل واحد منهما بما جرى به العادة في مثل ذلك في كل عام من تاريخ وقفه، ويصرف أربعة دنانير مرتين في العام لشخص يكرر قراءة صحيح البخاري بالحرم الشريف المدني في كل عام مرتين، ويصرف خمسة عشر ديناراً كل عام من تاريخه في ثمن دوارق برسم تسبيل الماء العذب في الحرمين الشريفين المكي والمدني، كما يقرر

---

(١) السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري الناصري الأمير سيف الدين، رأس نوبة النواب، خدم عند الأمير سودون الطيار، فعرف به، مات سنة ٨٥٧هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي ج١ ص ١٣٢ برقم ٤٦٢، والنجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٦٢.

(٢) حجة وقف السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٣٣هـ، رقم الوثيقة (٨٢) محفظة (١٣) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) الأمير يشبك من مهدي الدوادار الظاهري جقمق نسبة إلى من جلبه وهو أستاذه وذلك عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م وعينه خاصكياً ثم تنقل في الوظائف الإدارية إلى أن وصل إلى منصب الدوادارية الكبرى وأسند له قايتباي عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م منصب الوزارة والأستادارية وأمير هوارة، وعينه نائباً عنه في أثناء غيابه لتأدية فريضة الحج عام ٨٨٤هـ/١٤٨٠م، قتل في شهر رمضان عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ٢٧٤،وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٧٣.

(٤) حجة وقف الأمير يشبك بن مهدي الدوادار، والمؤرخة في ٩ من ربيع الآخر سنة ٨٨٥هـ رقم الوثيقة (٦٦ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) قاني باي قرا الرماح: كان مملوكا للملك الأشراف قايتباي فأعتقه وعينه في جملة وظائف إلى أن رقاه أمير عشرة في سنة ٨٩٨ هـ/١٤٩٣م، ثم عينه نائباً لصهيون، فأميراً لحلب ثم عاد إلى مصر وتزوج ابنة الأمير يشبك من مهدي، ثم ترقى إلى مقدم ألف، ثم أمير آخور كبير في محرم سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، توفي يوم الجمعة ٢٦ من ربيع الأول سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م ودفن في قبة مسجده بميدان صلاح الدين، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٥٠- ٤٥٣.

(٦) أمير آخور كبير: سبق التعريف بهذه الوظيفة، وللمزيد انظر: حسن الباشا، الفنون، ج١، ص ١٧٤.

الواقف في أوجه صرفه بعد انقضاء الذرية أن الثلث من ريع الوقف لفقراء الحرمين الشريفين[١].

وهناك مجموعة حجج أوقاف للسيفي قجماس الإسحاقي[٢] في تواريخ، وأرقام متباينة، وكلها أجمعت على أن يكون من جملة أوجه صرفها: الإنفاق على أهالي الحرمين الشريفين، فنجد بحجة وقفه رقم (٦٧٠ج) أوقاف، المؤرخة في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م أنها قد خصصت النصف الثاني الفائض من ريع الوقف على أن يقوم الناظر بإرساله مع ثقة أمين في كل سنة صحبة الركب الشريف الموسمي، ويفرقه على فقراء الحرم الشريف النبوي بالمدينة الشريفة على مُشرفها أفضل الصلاة والسلام[٣].

وجاء في حجة وقفه الثانية، رقم (٦٨٩ج) أوقاف، المؤرخة في ٢٩ من محرم سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، من أوجه الصرف: تخصيص عشرة آلاف درهم تصر وترسل في صحبة من يوثق به صحبة الركب الشريف الموسمي للصرف على فقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة، فإن تعذر الصرف لفقراء أحدهما صرف على الآخر[٤].

ومن كبريات اللائي أسهمن بأوقافهن السخية ابتغاء مرضاة الله على أهالي الحرمين الشريفين: خوند شيرين ابنة عبد الله، والدة السلطان فرج بن برقوق، وحجة وقفها مؤرخة في ٧ من شوال سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، وضمن أوجه صرفها: الصرف على فقراء الحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة، وحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ وعلى المقيمين بهما، والواردين إليهما، وللخدام البطالة بينهم بالسوية، ولكل حرم وفقرائه سهمان كاملان وثلثا سهم، من ذلك للخدام البطالة سهمان كاملان[٥].

وممن أسهمن في هذا الصدد آردكين ابنة السيفي نوكيه السلاح دار المنصوري[٦]، وحجة وقفها مؤرخـــــة في ١٨ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م وقد تضمنت أوجه الصرف فيها: بعد انقراض الذرية، والعتقاء يؤول ريع وقفها صرفاً إلى الفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين حرم مكة شرفها الله تعالى، وحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ يفرقه الناظر على ما يؤدي إليه اجتهاده من مساواة وتفضيل وزيادة أو نقصان، إن شاء نقداً، أو كسوة، أو ثوبا، أو غير ذلك، فإن تعذر الصرف إلى المذكورين بوجه من الوجوه صرف الناظر ريع ذلك للفقراء

---

(١) حجة وقف قاني باي قرا الرماح أمير آخور كبير، المؤرخة في ١٠ من رمضان ٩٠٨هـ رقم الوثيقة، (١٠١٩ق) ، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة،وهذه الوثيقة نشرها في ملاحق رسالته للدكتوراه سامي أحمد عبد الحليم ، بعنوان : آثار الأمير قاني قرا الرماح بالقاهرة – دراسة أثرية معمارية ،جامعة القاهرة١٩٧٥م.

(٢) **الأمير قجماس الإسحاقي**: نشأ في خدمة أستاذه جقمق نائب الشام الذي عني بتعليمه، ثم ارتقى إلى عدة وظائف: منها خازندار، ثم رقي في دولة الظاهر بلباي أمير عشرة، ثم عينه قايتباي نائباً للإسكندرية في سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، وفي سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م عين أمير آخور كبير، وفي سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م عين نائباً في الشام، فبقي بها إلى وفاته في شهر شوال سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، ودفن هناك، السخاوي، الضوء اللامع ج٦، ص ٢١٣، رقم ٧٠٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٢٤.

(٣) حجة وقف السيفي قجماس الإسحاقي، المؤرخة في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (٦٧٠ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة وقف السيفي قجماس الإسحاقي، المؤرخة في ٢٩ من محرم سنة ٨٨٦هـ، رقم الوثيقة (٦٨٩ج) أوقاف، وهناك وثيقتان للواقف نفسه إحداهما مؤرخة في ١١ من ذي الحجة سنة ٨٦٩هـ، رقم الحجة (٦٧٩ج) أوقاف ، والأخرى برقم (٦٧٧ج) أوقاف دون تاريخ الوقف، وجهة الصرف واحدة، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف خوند شيرين ابنة عبد الله، المؤرخة في ٧ من شوال سنة ٨٠٢هـ، رقم الوثيقة (٧١ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) **أردكين بنت السيفي نوكيه بن قطفان**، تزوج بها الأشرف خليل حتى وفاته، ثم تزوجت الناصر سنة ٧٠٠هـ، فطلقها سنة ٧١٧هـ، وماتت سنة ٧٢٤هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٣٤٧ برقم ٨٦١.

والمساكين من المسلمين أينما كانوا[١].

ويظل الخير متواصلاً بازدهار هذه الأوقاف، ويتبين ذلك من خلال حجة وقف خوند بركة[٢]، أم السلطان شعبان المؤرخة في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، والتي خصصت من أوجه صرفها أن يكون على الفقراء والمساكين، والأرامل، والمنقطعات من النسوة خاصة المقيمات بحرم مكة شرفها الله تعالى، وإلى الفقراء والمساكين من النسوة المقيمات بحرم المدينة، يفرق الناظر ذلك في كل من الحرمين المذكورين على مايراه، ويؤدي إليه اجتهاده[٣].

ونص بدر بن رزيك[٤]في وثيقته، المؤرخة في ١٧ من محرم سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م، علي انه : بعد انقراض جميع أهل هذا الوقف يرجع منافعه إلى جماعة السادة الأشراف الحسينيين المقيمين بمكة شرفها الله تعالى، والحسينيين المقيمين في مدينة رسول الله ﷺ [٥].

وعلى نمط ماذكر في الصرف على أشراف الحرمين الشريفين، اشترط الزيني عبد اللطيف منصور بدوي الزمام بالآدر الشريفة[٦]، في حجة وقفه المؤرخة في ١١ من جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، أن يصرف في كل سنة ما يقابل سبعين ديناراً ذهباً يحمله الناظر على هذا الوقف بتمامه وكماله لأمير المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فيختص أمير المدينة الشريفة من ذلك بالثمن نفسه، والباقي يفرقه على السادة الأشراف الحسينيين القاطنين بالمدينة الشريفة المشار إليها أعلاه بالسوية بينهم من ذكر وأنثى، ويجهز من يكون أمير المدينة الشريفة في كل سنة صحبة من يحمل إليه المال على يده إشهاداً شرعياً بوصول الفائض المذكور إليه، وبوصول السادة الأشراف المذكورين أعلاه إلى استحقاقهم من هذا الفاضل، فإن لم يكن هناك أمير، تولى صرف ذلك شيخ الحرم، فإن لم يكن للمدينة الشريفة شيخ بالحرم الشريف، تولى صرف ذلك من يجهز المال على يده من الديار المصرية بحضرة واحد من حكام الشريعة المطهرة وشاهدي عدل[٧].

كما تشير حجة الوقف المذكورة إلى أن من أوجه صرفها: أن يكون على الخدام البطالين المقيمين بالحرم الشريف النبوي[٨].

---

(١) حجة وقف أردكين ابنة السيفي نوكيه، المؤرخة في ١٨ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ، رقم الوثيقة (٢٦) محفظة (٥) دار الوثائق القومية، سطر ٢٩ من نهاية الوثيقة، ٢٨، ٢٧، ٢٦، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة..

(٢) **بركة خاتون خوند أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين**، وزوجة الأمير الجاي اليوسفي، توفيت سنة ٧٧٤هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي ج١، ص ١٩٠ برقم ٦٦١.

(٣) حجة وقف خوند بركة المؤرخة في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٧٧١هـ، رقم الوثيقة (٤٧) محفظة (٧) دار الوثائق القومية، سطر ٨٠ من نهاية الوثيقة، ٨٩، ٧٠، ٧٨، ٧٧.

(٤) **بدر بن رزيك**: لم أجد له ترجمة في المصادر المتداولة .

(٥) حجة وقف بدر بن رزيك، المؤرخة في ١٧ من محرم سنة ٦٦٥هـ، رقم الوثيقة (٩) محفظة (٢)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) **الزيني عبد اللطيف الزمام**: لم أجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٧) حجة وقف الزيني عبد اللطيف الزمام، المؤرخة في ٢ و ١١ من جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ، رقم الوثيقة (٢٢٢) محفظة (٣٥) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٨) نصت على هذا حجة وقف الزيني عبد اللطيف بظهر الوثيقة.

وتحدّد حجة وقف الطواشي جمال الدين محسن الإخميمي[١]، المؤرخة في ٢٥ من جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م في أوجه صرفها تخصيص مبلغ مائتي درهم وأربعين درهماً نقرة، أو ما يقوم مقامها من النقود في كل سنة إلى قارئي المصحفين الشريفين الموقوفين من جهة الواقف المذكور بالمدينة الشريفة النبوية، بالسوية بينهما على أن يكون لكل منهما في السنة مائة درهم وعشرون درهماً نقرة، على أن يقرأ كل منهما يومياً بالمسجد الشريف النبوي شرفه الله تعالى ما تيسر عليه قراءته من القرآن العظيم في الوقت الذي يتيسر عليهما القراءة فيه من ليل أو نهار ، وتكون قراءتهما لذلك في أحد المصحفين المذكورين، أو في غيرهما من المصاحف الشريفة عند تعذر القراءة فيهما، ويهدي كل منهما ثواب قراءته إلى الواقف المذكور[٢].

كما أن للواقف المذكور حجة أخرى مؤرخة في ٢٩ من رجب سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م[٣] ومن أوجه صرفها: يصرف من ريع هذا الوقف في كل سنة مائتا درهم نصفها مائة درهم نقرة يرسلها الناظر في كل سنة صحبة من يراه من الثقات المتجهين صحبة الركب الشريف إلى مكة المشرفة شرفها الله وعظمها ليسلمها إلى الشيخ الصالح العابد عمر بن عبد الله التعكري اليمني[٤] المجاور بحرم مكة المشرفة ليصرفها في ثمن ماء عذب برسم المجاورين بالحرم الشريف المكي، وأهلها والواردين إليها على امتداد السنة[٥]، على ما يراه الشيخ عمر المذكور.

ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف في كل سنة ستين درهماً نقرة، نصفها ثلاثون درهماً نقرة، يرسلها الناظر في كل سنة إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ، ليسلمها لشيخ الحرم الشريف النبوي، يصرفها في تسبيل ماء عذب برسم الفقراء من المجاورين بالحرم الشريف طوال العام، وإلى غيرهم من فقراء المدينة والواردين إليها من الفقراء وغيرهم[٦].

ولم يقتصر اهتمام الواقفين على الصرف على تسبيل المياه في الحرمين الشريفين طوال العام صيفاً وشتاءً بل راعوا زيادة استهلاك المياه في فصل الصيف نظراً لشدة الحرارة، وزيادة إقبال الناس على الشرب وخاصة في موسم الحج، وشدة إقبال الناس على استهلاك المياه، ومن هذا ما نصت عليه وثيقة الصفوي جوهر[٧]، المؤرخة في ٢٤ من شعبان سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٢م[٨]، من تخصيص مبلغ مائتي درهم نقرة، نصفها مائة درهم ترسل للمدينة النبوية

---

(١) **الطواشي جمال الدين محسن الإخميمي**: كان حياً في الربع الأول من القرن الثامن الهجري، ابن تغري بردي، المنهل الصافي. ج٣، ص ٤٤٠ ترجمة رقم ٧١٤.

(٢) حجة وقف الطواشي جمال الدين محسن الإخميمي، المؤرخة في ٢٥ من جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ، رقم الوثيقة (٣٣) محفظة (٥)، دار الوثائق القومية سطر ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) حجة وقف جمال الدين محسن الإخميمي، المؤرخة في ٢٩ من رجب سنة ٧٦٠هـ، رقم الوثيقة (٣٨) محفظة (٦) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) **عمر بن عبد الله بن يحيى** المعروف بابن الهليس اليمني، أحد التجار اليمنيين بالحرمين الشريفين المجاورين، توفي سنة ٧٧٣هـ، بمكة ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٣١٠.

(٥) وثيقة وقف جمال الدين الإخميمي، رقم الوثيقة (٣٨) دار الوثائق القومية، سطر ١٦١ - ١٦٢.

(٦) وثيقة وقف جمال الدين الإخميمي رقم الوثيقة (٣٨) دار الوثائق القومية، سطر ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦.

(٧) **الصفوي جوهر**: هو الطواشي صفي الدين جوهر، مقدم المماليك السلطانية، كان حياً سنة ٧٤٤هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١ ص ٤٤٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩ ص ٢٥٢.

(٨) حجة وقف الصفوى جوهر، المؤرخة في ٢٤ من شعبان سنة ٧٤٤هـ، رقم الوثيقة (٣٤) محفظة (٥) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

بصحبة من يراه الناظر من الثقات ليسلمها لشخص يُرتبه الناظر ليتولى سقيا الماء بالحرم الشريف من ماء عين الزرقاء في كل يوم، ويكثر من ذلك في موسم الحج، ومائة درهم نقرة لقارئ المصحف، على أن يقرأ بالحرم الشريف النبوي في كل يوم عقب صلاة الصبح حزبين كاملين من القرآن، ويدعو عقب ذلك للواقف المذكور، ولجميع المسلمين[١].

ومن الوثائق التي فصّلت أوجه الصرف على وجوه البر، كتسبيل المياه في الحرمين الشريفين، حجة وقف عبد اللطيف بن عبدالله الصالحي المنصوري[٢]، المؤرخة في ٢٧ من شوال سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م[٣]، وفيها اشترط الواقف أن يكون الصرف من ريع وقفه على النحو التالي:

أ - أوجه الصرف في الحرم المكي:

٥٠ درهما نقرة في تسبيل ماء زمزم كل سنة في أيام موسم الحج[٤].

٥٠ درهما نقرة ثمن الدوارق، وأجرة التسبيل.

٢٥٠ درهماً نقرة في تعيين رجل حافظ لكتاب الله يقرأ يومياً بحرم مكة بعد صلاة الصبح نصف حزب، ويدعو عقب قراءته للواقف والمسلمين[٥].

ب - أوجه الصرف في الحرم المدني:

٥٠ درهما نقرة أجرة تسبيل ماء سنوياً أيام موسم الحج.

٥٠ درهماً نقرة ثمن الماء والدوارق[٦].

٢٥٠ درهما نقرة في تعيين رجل سني يقرأ في كل يوم بالحرم الشريف النبوي، وبالروضة الشريفة نصف حزب من القرآن العظيم بعد صلاة الصبح، ويدعو عقب قراءته للواقف والمسلمين.

ويصرف ٦٠٠ درهم نقرة إلى الخدام البطالين المقيمين بالمدينة المشرفة، تفرق عليهم بالسوية[٧].

ومن خلال حجة وقف جوهر اللالا، المؤرخة في ٢٣ من رمضان سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م[٨]، يتضح أن الواقف قد عين في أوجه صرفه من ريع الحصتين المذكورتين ضمن نص الوثيقة نصيب الخدام البطالين المجاورين للحرم الشريف النبوي، فإن تعذر الصرف للجهات المعينة أعلاه حمل جميع المذكور إلى مكة المشرفة والمدينة النبوية لتوزيعها

---

(١) وثيقة وقف الصفوي جوهر رقم الوثيقة (٣٤) دار الوثائق القومية، سطر ٣٥ من نهاية الوثيقة، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠.

(٢) **عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي المنصوري** ، هو عبد اللطيف زين الدين الطواشي الصلاحي المنصوري. مات ليلة الجمعة ١٤ من صفر سنة ٨٦١هـ، وقد ناهز الثمانين من عمره، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٤، ص ٢٤٠.

(٣) حجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي المنصوري، المؤرخة في ٢٧ من شوال سنة ٨١٨هـ، رقم الوثيقة (٧١) محفظة (١٢) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي، رقم الوثيقة (٧١)، دار الوثائق القومية، سطر ٧٢ - ٧٣.

(٥) الحجة السابقة ، سطر ١١٣ - ١١٤ - ١١٥.

(٦) حجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي، رقم الوثيقة (٧١)، دار الوثائق القومية ، سطر ٧٦ - ٧٧.

(٧) الحجة السابقة ، سطر ١١٦ - ١١٧ - ١١٨.

(٨) حجة وقف جوهر اللالا، المؤرخة في ٢٣ من رمضان سنة ٨٣٤هـ، رقم الوثيقة (٨٥) محفظة (١٤)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

على الفقراء وأهل الحاجة من المقيمين والمجاورين بالحرمين، بالسوية بينهما[١].

وقد خصص الواقف الزيني عبد اللطيف القجاجقي في حجة وقفه المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨٤٦ هـ/١٤٤٢م[٢] ألف درهم، أو مايقوم مقامها من النقود لتعيين قارئين لقراءة القرآن الشريف أيام الموسم تجاه الحجرة الشريفة، يقرأ كل منهما ختمة، ويهديان ثواب ذلك للواقف ولجميع المسلمين[٣].

كما أوضحت حجة الجمالي أبي المحاسن يوسف، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م[٤]، ضمن أوجه صرفها ما يصرف على أهالي المدينتين المقدستين، على الوجه الآتي:

أ- الحرم المكي الشريف:

١٢ ديناراً من الذهب الظاهري كل سنة لقارئ مصحف[٥].

ثمن ٢٠٠ قميص خام ترسل كل سنة توزع على الفقراء المقيمين في مكة المشرفة[٦].

ب - الحرم الشريف النبوي:

١٢ ديناراً من الذهب الظاهري كل سنة لقارئ مصحف بالروضة الشريفة[٧].

ثمن ٢٠٠ قميص خام ترسل كل سنة توزع على الفقراء المقيمين في مدينة طيبة[٨].

١٢ ديناراً من الذهب الظاهري لقارئ مصحف بالروضة الشريفة[٩].

٢٠ ديناراً من الذهب الظاهري لقارئ الحديث الشريف (صحيح البخاري) في الروضة الشريفة تجاه القبر الشريف كل سنة في شهر رجب، وشعبان، ورمضان[١٠].

كما جاء في حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن الشهابي أحمد بن الناصري محمد العثماني[١١] الأستادار والمؤرخة في ١٠ من ذي القعدة ٨١٥هـ/١٤١٢م: يصرف من ريع الوقف المذكور على أهالي الحرمين الشريفين على الوجه التالي:

---

(١) حجة وقف جوهر اللالا، رقم الوثيقة (٨٥) دار الوثائق القومية، سطر ٨٨، ٨٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠.

(٢) حجة وقف عبد اللطيف القجاجقي، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨٤٦هـ، رقم الوثيقة (١٠١)، محفظة (١٦) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) الوثيقة السابقة، سطر ٧، ٨، ٩.

(٤) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ، رقم الوثيقة (١٠٥) محفظة رقم (١٦)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ، رقم الوثيقة (١٠٥) محفظة رقم (١٦)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.، سطر ٣٢٨، ٣٢٩.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٦٠، ٣٦١.

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٣٢، ٣٣٣.

(٨) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف،رقم الوثيقة (١٠٥) دار الوثائق القومية ، سطر ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤.

(٩) الوثيقة السابقة ، سطر ٤٥٠، ٤٥١.

(١٠) الوثيقة السابقة ، سطر ٤٥٢، ٤٥٣.

(١١) يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر، الأمير جمال الدين أبو المحاسن العثماني، البيري، ثم الحلبي، ثم القاهري، الأستادار، ولد سنة ٧٥٢هـ بالبيرة، قدم إلى القاهرة في سنة ٧٧٠هـ، وخدم أستادارا عند الأمير بجاس، وكذلك باشر الأستادارية عند جماعة من الأمراء كبيبرس الأتابك، ثم أضيفت له الوزارة، والنظر الخاص، والكشف بالوجه البحري، ثم استقر مشير الدولة، مات خنقاً يوم الثلاثاء ١١ من جمادى الثانية سنة ٨١٢هـ، السخاوي، الضوء اللامع المجلد الخامس ج ١٠، ص ٢٩٤ برقم ١١٥٧.

أ - الحرم المكـــي:

٦٠ درهماً فضة نقرة كل شهر لعالم بمذهب الإمام الشافعي، يشتغل بالإفتاء على هذا المذهب[١].

٣٠٠ درهم فضة نقرة كل سنة لعالم الحديث يقرأ صحيح البخاري في شهر رجب، وشعبان، ورمضان[٢].

١٢٠ درهماً فضة نقرة كل شهر لأربعة قراء يتلون كتاب الله تعالى، وتوزع بالتساوي فيما بينهم[٣].

٣٠٠ درهم فضة نقرة كل سنة برسم تسبيل عشرة دوارق لسقيا الماء في كل يوم من أيام السنة[٤].

ب - الحرم المدني:

٦٠ درهماً فضة نقرة كل شهر لعالم بالمذهب الشافعي، يشتغل بالإفتاء على هذا المذهب.

٣٠٠ درهم فضة نقرة كل سنة لعالم بعلم الحديث يقرأ صحيح البخاري في شهر رجب، وشعبان، ورمضان.

١٢٠ درهماً فضة نقرة كل شهر لأربعة قراء يتلون كتاب الله تعالى، توزع فيما بينهم بالتساوي.

٣٠٠ درهم فضة نقرة كل سنة برسم تسبيل عشرة دوارق لسقيا الماء في كل يوم من أيام السنة من عين الزرقاء، فإن تعذر فمن غيرها حسب ما اشترطه الواقف[٥].

وبعد انقراض الموقوف عليهم، وكان الفاضل من ريع الوقف تحول ريع الصرف إلى مجاوري الحرمين الشريفين ومصالحهما، فإن تعذر الصرف على أحد الحرمين صرف إلى الحرم الآخر، فإن تعذر الصرف إلى كليهما، آل الريع إلى مصالح الفقراء والمساكين[٦].

وقد أفادت حجة وقف السيفي تاني بك بن عبد الله الجكمي[٧]، المؤرخة في ١٦ من ربيع الأول سنة ٨٦٢ هـ/١٤٥٧م[٨]، تحديد نصف ريع الوقف على أن يصرف بكامله في قيمة شراء قمصان خام مخيطة، وتكليف من يحملها في صحبة الركب الشريف وتفريقها على الفقراء والمساكين، والمستحقين بالحرم الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وذلك حسب ما يراه الناظر، ويؤدي إليه اجتهاده[٩].

وعلى نسق أوجه الصرف في الحجة السابقة كانت حجة وقـــف يشبك من عبد الله الدويدار[١٠]، المؤرخة في ١٣ من جمادى الأولى سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م[١١]، وقد خصص الواقف فيها الصرف على شراء خمسين قميصاً مخيطاً مقاس الرجل الكامل من غزل الكتان الخام كل عام، وترسل بصحبة الركب الشريف مع المحمل الشريف إلى مكة المشرفة، ومدينة طيبة، وتوزع على فقراء ومساكين الحرمين الشريفين بالسوية، كما خصص

---

(١) حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن يوسف، رقم الوثيقة (١٠٦) دار الوثائق القومية، سطر ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) الوثيقة السابقة ، سطر ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) الوثيقة السابقة ، سطر ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢.

(٤) الوثيقة السابقة ، سطر ٢٨٣، ٢٨٤.

(٥) حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن يوسف، رقم الوثيقة (١٠٦) دار الوثائق القومية ، سطر ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩.

(٧) **السيفي تاني بك بن عبد الله الجكمي:** لم أجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٨) حجة وقف السيفي تاني بك الجكمي، المؤرخة في ١٦ من ربيع الأول سنة ٨٦٢هـ، رقم الوثيقة (١١٧) محفظة (١٨) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٩) الوثيقة السابقة ، سطر ٥٣، ٥٤، ٥٥.

(١٠) **يشبك من عبد الله الدويدار:** لم أجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(١١) حجة وقف يشبك من عبد الله الدويدار، المؤرخة في ١٣ من جمادى الأولى سنة ٨٦٤هـ، رقم الوثيقة (١٢١) محفظة (٢١) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

الواقف أربعة آلاف درهم، أو ما يقوم مقامها من النقود يتصدق بها على فقراء ومساكين المدينتين المقدستين بالسوية، على ما يراه الناظر، ويؤدي إليه اجتهاده بحيث لا يختص أحد بذلك على صورة المرتب السنوي، كما خصص الواقف صرف ثلاثمائة درهم ثمناً لعشرة دوارق، ومغارف للشرب تملأ بماء زمزم ومن عين بازان[١] بمكة المشرفة، ويسبل ذلك كل يوم للمارين، والمترددين، والمقيمين، كما حدد الواقفُ الفترة التي يبدأ فيها تسبيل الماء، ومباشرة ذلك في العشر الأول من ذي الحجة كل عام، وفي ختام هذه الوثيقة أوصى الواقف أن يؤول ريع الوقف بعد انقراض الذرية للحرمين الشريفين[٢].

ومن أوجه الصرف على أهالي المدينتين المقدستين في حجة وقف عائشة ابنة برجك بن عبد الله الأقبغاوي[٣]، وزوجها تاني بك بن عبد الله الإلياسي[٤]، المؤرخة في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ٨٦٥ هـ/ ١٤٦٠م[٥] : صرف ألفين وأربعمائة درهم، أو ما يقوم مقامها من النقود في كل سنة لرجل من أهل الخير حافظ لكتاب الله، يكون مقيماً بالمدينة الشريفة على أن يقرأ تجاه الحجرة الشريفة في كل يوم نصف حزب من القرآن العظيم بعد صلاة الصبح، ويختم دعاءه بالصلاة على النبي ﷺ، فإن تعذرت القراءة بعد الصبح قرأ القارئ في أي وقت تيسر له القراءة فيه، وتخصيص مبلغ أربعمائة درهم تصرف للفقراء، والمساكين، والمجاورين، والفقهاء، وغيرهم بالحرم المدني على حسب ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٦].

وعلى نسق ما ذكر كانت حجة وقف السيفي دولات باى[٧]، المؤرخة في ٢٧ من رمضان سنة ٨٦٥ هـ/١٤٦٠م، وفيها حدد الواقف أنه إذا تعذر الصرف في جميع الجهات المذكورة صرف كامل الريع المذكور للفقراء والمساكين القاطنين بالحرمين الشريفين، يصرف الناظر ذلك لهم في مقابل شراء قمصان خام، أو غيرها بحسب ما يراه الناظر، ويؤدي إليه اجتهاده[٨].

أما حجة أبي العباس أحمد بن السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري[٩]، المؤرخة في ٨ من جمادى الأولى سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م[١٠]، فقد خصص الواقف فيها ضمن أوجه صرفه: مبلغ ثلاثة آلاف درهم كل سنة

---

(١) **عين بازان:** ذكر الفاسي أنها: "في غالب الظن من عمل زبيدة، ولها في عينها نفقة عظيمة، يقال: إنها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار" الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٢٦.

(٢) حجة وقف يشبك من عبد الله الدويدار، رقم الوثيقة (١٢) دار الوثائق القومية.

(٣) **عائشة ابنة برجك بن عبد الله الأقبغاوي** لا توجد لها ترجمة في المصادر المتداولة.

(٤) **تاني بك بن عبد الله الإلياسي الأشرفي**، مات سنة ٨٩١هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٦، برقم ١٢٤.

(٥) حجة وقف عائشة ابنة برجك بن عبد الله الأقبغاوي، وزوجها تاني بك بن عبد الله الإلياسي، المؤرخة في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ٨٦٥هـ، رقم الوثيقة (١٢٣) محفظة (٢٠) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) حجة وقف عائشة ابنة برجك، وزوجها تاني بك، رقم الوثيقة (١٢٣) دار الوثائق القومية.

(٧) **السيفي دولات باى المؤيدي:** ترقى في حياة أستاذه، فكان أمير أول حين كان أستاذه أمير محمل، واستقر عند الأشرف قايتباي زردقاش، وتوجه إلى الشام وجاء خبر موته في سنة ٨٧٥هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ١٦٣ - ١٦٤ برقم ٥٤٦.

(٨) حجة وقف السيفي دولات باي المؤيدي، المؤرخة في ٢٧ من رمضان سنة ٨٦٥هـ، رقم الوثيقة (١٢٩) محفظة (٢٠) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٩) **أبو العباس أحمد بن السيفي أسنبغا الطياري:** وهو ابن الأمير سيف الدين أسنبغا، رأس نوبة النواب، خدم أبوه عند الأمير سودون الطيار، فعرف به، سبق التعريف بوالده ضمن الحديث عن وثيقة والده رقم (٨٢)، دار الوثائق القومية، كان حيًا سنة ٨٥٧هـ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦ ص ١٦٢.

(١٠) حجة وقف أبي العباس أحمد بن السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري، المؤرخة في ٨ من جمادى الأولى سنة ٨٦٦هـ، رقم الوثيقة (١٣٢) محفظة (٢١) دار الوثائق القومية، انظر نص الوثيقة والأعيان الموقوفة بها في ملاحق هذه الدراسة.

لرجلين حافظين لكتاب الله تعالى، يقرآن في كل يوم، في أي وقت كان، حزباً من تجزئة ستين حزباً من القرآن العظيم، بحرم مكة المشرفة تجاه الحجر الأسود، ويهديان ثواب ذلك للنبي ﷺ وللواقف وللمسلمين، ويقسم هذا المبلغ بينهما بالسوية[١]، ويصرف الناظر المذكور أيضاً ثلاثة آلاف درهم في كل سنة لرجلين حافظين لكتاب الله تعالى يقرآن في كل يوم، وفي أي وقت تيسر حزباً كاملاً من تجزئة ستين حزباً من القرآن العظيم بالمدينة النبوية تجاه الحجرة الشريفة، ويهديان ثواب ذلك للنبي ﷺ وللواقف وللمسلمين، و بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ما كان يصرف لهم: للفقراء والمساكين والمجاورين بالحرمين الشريفين، فإن تعذر الصرف لأحد الحرمين الشريفين صرف للآخر[٢].

وريع الأوقاف على أهالي الحرمين لم يقتصر على الرجال فحسب، بل شاركتهم في ذلك النساء ، ومنهن المصونة فاطمة زوجـــة الزيني شعبان[٣]، وحجة وقفها مؤرخة في ١٩ من ذي القعدة سنة ٨٨٧هـــ/١٤٦٥م[٤]، وقد حددت الواقفة صرف الثلث الثاني من ريع ما وقفته في أوجه الخير، وذلك بصرف دينارين من الذهـــــب، أو ما يقوم مقامها من النقود لقارئ يقرأ كل يوم حزباً من تجزئة ستين حزباً من القرآن الكريم أمام القبر الشريف، ويهدى ثواب ذلك لسيدنا رسول الله ﷺ ، وللواقفة ولجميع المسلمين[٥].

وأيضاً صرف أربعمائة درهم في تسبيل دورقين من الماء العذب كل يوم بمقام السادة الحنابلة بحرم مكة المشرفة على مدار السنة ، وتفصيل صرف هذا المبلغ على الوجه التالي:

١٠٠ درهم ثمن الدوارق[٦].

٣٠٠درهم ثمن الماء العذب ومن يقوم بتسبيله[٧].

كما حددت الواقفة صرف دينارين من الذهب لرجل من أهل الخير يقرأ في كل يوم حزباً شريفاً من المصحف الشريف بمقام سيدنا إبراهيم الخليل بالحرم المكي، ويهدى ثواب ذلك للنبي ﷺ وللواقفة، ولسائر المسلمين[٨]، وقد حددت الواقفه أيضاً صرف خمسة دنانير ونصف دينار لشراء قماش خام من الكتان، لتفصيلها قمصاناً، وأجرة من يتولى حياكتها، وحياكة هذه القمصان كانت للفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين، ويتم صرفها لهم على دفعتين، الأولى في مستهل محرم من كل سنة، والأخرى في شهر رمضان من كل سنة أيضاً[٩].

وقد قررت الواقفة في القسم الأهلي من الوقف في هذه الحجة أنه بعد انقراض الموقوف عليهم يكون

---

(١) الوثيقة السابقة ، سطر ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١.

(٢) الوثيقة السابقة ، سطر ٦٢، ٦٣، ٦٤.

(٣) **المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان:** لا توجد لها ترجمة في المصادر المتداولة.

(٤) حجة وقف المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان، المؤرخة في ١٩ من ذي القعدة سنة ٨٨٧هـــ، رقم الوثيقة (١٥٠) محفظة (٢٣) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) الوثيقة السابقة ، سطر ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧.

(٦) حجة وقف المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان، المؤرخة في ١٩ من ذي القعدة سنة ٨٨٧هـــ، رقم الوثيقة (١٥٠) محفظة (٢٣) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر ٥٦، ٥٥، ٥٤.

(٨) الوثيقة السابقة ، سطر ٥٣، ٥٢، ٥١.

(٩) الوثيقة السابقة ،، سطر ٥٠، ٤٩، ٤٨.

الثلث من ريع الوقف المذكور مصروفاً على الفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين بالسوية، على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[١].

وعلى نسق الوثيقة السابقة، جاءت حجة وقف فاطمة بنت العليمي سليمان[٢] أمير آخور الإسطبلات، المؤرخة في ١٢ من شوال سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م[٣]، وقد اشترطت هذه الواقفة أن يكون من أوجه الصرف في حجتها صرف الفاضل من ريع الوقف في شراء قمصان تحمل إلى الحرمين، وتوزع على فقراء المدينتين المقدستين على مايراه الناظر في ذلك، ويؤدي إليه اجتهاده[٤].

وتزدهر هذه الأوقاف وتثمر الخير على أهالي الحرمين، ويتواصل توزيعها عليهم من قبل الواقفين، وكان منها، إضافة إلى ما ذكر: حجة وقف أبي بكر بن مزهر الأنصاري[٥]، المؤرخة في ٨ من صفر سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م[٦]، وفيها اشترط الواقف أنه بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ريع الوقف بتمامه وكماله للفقراء والمساكين بالمدينتين المقدستين بالسوية بينهما، فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للآخر، فإن عاد إمكان الصرف لمن شرط الصرف له عاد الصرف إليه[٧].

وعلى هذا النمط أيضا كانت حجة السيفي جاني بك بن عبد الله الظاهري[٨]، وزوجته ناطلياس ابنة عبد الله[٩]، المؤرخة في ٨ من شوال سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م[١٠]، وقد اشترط واقفا هذه الحجة أنه بعد وفاتهما، وانقراض ذريتهما يؤول نصيبهما في العين الموقوفة إلى فقراء الحرمين الشريفين، فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف على الآخر، والنصف الثاني من ريع العين الموقوفة يصرف في ثمن خبز (قرصة)[١١]، وماء عذب يسبل في ليلة الجمعة من كل أسبوع على الفقراء والمساكين أيضاً على مايراه الناظر في ذلك ويؤدي إليه اجتهاده[١٢].

ويضاف إلى جملة من أسهمن في هذا الصدد: زينب، بوكالة زوجها السيفي جقمق بن عبد الله المحمدي[١٣]، وحجة وقفها مؤرخة في ٧ من رمضان سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م[١٤]، وقد تضمنت أوجه صرفها تحديد عشرة دنانير

---

(١) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٠، ٢٩.

(٢) **فاطمة بنت العليمي سليمان** أمير آخور الإسطبلات: لا توجد لها ترجمة في المصادر المتداولة.

(٣) حجة وقف فاطمة بنت العليمي سليمان أمير آخور الإسطبلات، المؤرخة في ١٢ من شوال سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (١٦٤) محفظة (٢٥) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) الوثيقة السابقة ، سطر ١٣، ١٢.

(٥) **أبوبكر بن مزهر الأنصاري**: لا توجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٦) حجة وقف أبي بكر بن مزهر الأنصاري، المؤرخة في ٨ من صفر سنة ٨٧٩هـ، رقم الوثيقة (١٧٥) محفظة (٢٧) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٣ من أسفل الوثيقة، ٣٢، ٣١، ٣٠.

(٨) **السيف جاني بك بن عبد الله الظاهري** رأس نوبة في دولة الظاهر جقمق، ثم أمير طبلخانة، مات في ذي الحجة سنة ٨٧١هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٢٣٩.

(٩) **ناطلياس بنت عبد الله**، لا توجد لها ترجمة في المصادر المتداولة.

(١٠) حجة وقف السيفي جاني بك بن عبد الله الظاهري، وزوجته ناطلياس بنت عبد الله، المؤرخة في ٨ من شوال سنة ٨٨١هـ، رقم الوثيقة (١٨٢) محفظة (٢٨) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(١١) **القرصة**: يقصد بها الخبز المصنوع من الدقيق والبر الأبيض يفرق على الفقراء من الصوفية بالخوانق، عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية، تحقيق رقم ٦٩٨.

(١٢) حجة وقف السيف جاني بك، وزوجته ناطلياس، رقم الوثيقة (١٨٢) سطر ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٥، ٥٦، ٥٧.

(١٣) **السيفي جقمق بن عبد الله المحمدي الأشرفي برسباي**، أحد الخاصكية، صاهر الأمين الأقصدائي على ابنته زينب، وماتت معه، حفظ القرآن، وله إنزال في إكرام أهل الحرمين الشريفين، ولد سنة ٨٢٥هـ، وحج وجاور، ومات في سنة ٨٩٥هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٣، ص٧٥ برقم ٢٩٠.

(١٤) حجة وقف زينب بوكالة زوجها السيفي جقمق، المؤرخة في ٧ من رمضان سنة ٨٨٧هـ، رقم الوثيقة (١٩٢) محفظة (٢٩) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

من الذهب الأشرفي[١]، الظاهري في كل سنة، تصرف لقارئين حافظين لكتاب الله يقرآن ما تيسر لهما قراءته من القرآن الكريم، على أن يكون لكل منهما خمسة دنانير، وقد أشارت هذه الحجة إلى شراء مصحفين يبتاعهما الناظر على هذا الوقف بما يراه من الثمن، ويخصص الأول لمكة المشرفة، والثاني للمدينة المنورة [٢].

وقد اشترط القاضي محمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري الإخميمي الحنفي[٣] في حجة وقفه المؤرخة في ١٤ من رمضان سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م[٤]، أن يكون من أوجه صرف وقفه مبلغ ثلاثمائة درهم كل سنة، تصرف على الفقراء الأفاقين ، والمجاورين للحرمين الشريفين، وذلك على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٥].

وقد حرصت الواقفة المصونة جان سوار ابنة عبدالله[٦] في حجة وقفها المؤرخة في ٢٧ من ربيع الأول سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م[٧]، على أن يكون من أوجه صرفها الفاضل بعد عمارة الوقف، صرف ألف وخمسمائة درهم، أو ما يقوم مقامها من النقود على الفقراء والمساكين، والمجاورين بالحرم النبوي، على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٨].

أما حجة السيفي طقطباي[٩]، المؤرخة في ٢٧ من محرم سنة ٩١٧هـ/١٥١١م[١٠]، فقد نصت على أن يكون من أوجه صرفها: تعيين قارئين يقرآن في المصحف الشريف المنسوب للواقف، وذلك في سقاية سيدنا العباس بالحرم المكي، ويتعين على كل منهما أن يقرأ حزبين شريفين، ويهدي كل منهما ثواب ما قرأ للنبي ﷺ، وللواقف ولجميع المسلمين[١١].

فإن تعذر الصرف للقارئين المشار إليهما عاد الصرف على مصالح سقاية سيدنا العباس[١٢] رضي الله عنه فإن تعذر الصرف على السقاية المذكورة صرف ما كان يصرف لهما للفقراء والمساكين ،

---

(١) **الدينار الأشرفي:** نسبة إلى السلطان الأشرف برسباي، حيث أمر السلطان الأشرف برسباي عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م بضرب الدنانير الأشرفية، للحد من سيطرة النقود الذهبية علي الأسواق المصرية والاحلا محلها ، علي المقريزي، السلوك، ج٤ ق ٢، ص ٧٠٩، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٢٨٣، رافت النبراوي ، السكة الاسلامية في مصر ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٣٣٩

(٢) حجة وقف زينب بوكالة زوجها السيفي جقمق، رقم الوثيقة(١٩٢) دار الوثائق القومية، سطر ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.

(٣) **القاضي محمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري الإخميمي الحنفي،** ويعرف بابن الإخميمي، ولد في يوم السبت منتصف ربيع الأول سنة ٨٣٧ هـ، وتولى قضاء الحنفية في يوم السبت منتصف شوال سنة ٨٩١هـ ، ونستنتج من هذا أنه كان حيا في هذه السنة، ولم تذكر ترجمته سنة وفاته، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الرابع ج٧، ص ٥١، ٥٢، ترجمة رقم ١٠٦.

(٤) حجة وقف القاضي محمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري الإخميمي الحنفي، المؤرخة في ١٤ من رمضان سنة ٨٩٨هـ، رقم الوثيقة (٢١٣) محفظة (٣٣) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف القاضي محمد بن أحمد الخزرجي، رقم الوثيقة (٢١٣) دار الوثائق القومية، وأوجه الصرف المذكورة في أسفل الوثيقة وفي ظهرها وتشتمل على كتابي وقف بتاريخ واحد.

(٦) **المصونة جان سوار ابنة عبد الله:** لم توجد لها ترجمة في المصادر المتداولة.

(٧) حجة وقف المصونة جان سوار ابنة عبد الله، المؤرخة في ٢٧ من ربيع الأول سنة ٩١٢هـ، رقم الوثيقة (٢٥٥) محفظة (٤١) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة..

(٨) الوثيقة السابقة ، سطر ١١، ١٢، ١٣.

(٩) **السيفي طقطباي:** لاتوجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(١٠) حجة وقف السيفي طقطباي، المؤرخة في ٢٧ من محرم سنة ٩١٧هـ، رقم الوثيقة (٢٧٢)، محفظة (٤٢)، دار الوثاق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(١١) الوثيقة السابقة ، سطر ٤٠، ٣٩، ٣٨.

(١٢) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٢، ٣١.

، والمجاورين بالحرم النبوي، على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[١].

أما حجة السيفي طقطباي[٢]، المؤرخة في ٢٧ من محرم سنة ٩١٧هـ/١٥١١م[٣]، فقد نصت على أن يكون من أوجه صرفها: تعيين قارئين يقرآن في المصحف الشريف المنسوب للواقف، وذلك في سقاية سيدنا العباس بالحرم المكي، ويتعين على كل منهما أن يقرأ حزبين شريفين، ويهدي كل منهما ثواب ما قرأ للنبي ﷺ، وللواقف ولجميع المسلمين[٤].

فإن تعذر الصرف للقارئين المشار إليهما عاد الصرف على مصالح سقاية سيدنا العباس[٥] رضي الله عنه فإن تعذر الصرف على السقاية المذكورة صرف ما كان يصرف لهما للفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين، فإن عاد مكان الصرف إلى ما تعذر الصرف إليه عاد الصرف إليه، وقدم على غيره[٦].

وقد أشارت حجة وقف السيفي دولات باى[٧]، المؤرخة في ٩ من صفر سنة ٩٠٨هـ/١٤٠٢م، إلى أن الواقف فيها صرف ستة عشر ديناراً كل سنة لأربعة قراء بالحرم المكي، لكل واحد منهما أربعة دنانير، وصرف أربعة دنانير كل سنة برسم تسبيل ماء بالحرم المكي، وصرف ستة دنانير لقارئ مصحف بالحرم النبوي، وصرف أربعة دنانير برسم تسبيل ماء، وثمن دوارق بالحرم المذكور[٨].

وقد حرص الواقف أحمد بن محمد النحاس[٩] في حجة وقفه المؤرخة في ٣ من جمادى الآخرة سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م على تحديد ألف درهم نقرة تصرف في ثمن شراء قماش من الخام الأبيض والأزرق، يُفرق على الفقراء، والمقيمين، والأيتام، والأرامل، والمنقطعين بالحرمين الشريفين، كما يصرف خمسون درهما نقرة مصاريف حمل كل ذلك[١٠].

وحددت حجة الزيني عبد الباسط[١١] المؤرخة في ٢١ من محرم سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م[١٢] أوجه الصرف على أهالي الحرمين الشريفين ومنها: صرف "ثلاثين مثقالاً، أو ما يقوم مقامها من النقود في كل سنة تصرف في مصالح

---

(١) الوثيقة السابقة ، سطر ١١، ١٢، ١٣.

(٢) **السيفي طقطباي:** لاتوجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٣) حجة وقف السيفي طقطباي، المؤرخة في ٢٧ من محرم سنة ٩١٧هـ، رقم الوثيقة (٢٧٢)، محفظة (٤٢)، دار الوثاق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) الوثيقة السابقة ، سطر ٤٠، ٣٩، ٣٨.

(٥) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٢، ٣١.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٠، ٢٩.

(٧) **السيفي دولات باى:** لا توجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(٨) حجة وقف السيفي دولات باى المؤرخة في ٩ من صفر سنة ٩٠٨هـ، رقم الوثيقة (٢٧٧)، محفظة (٤٣) دار الوثائق، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٩) **أحمد بن محمد النحاس:** لا توجد له ترجمة في المصادر المتداولة.

(١٠) حجة وقف أحمد بن محمد النحاس، المؤرخة في ٣ من جمادى الآخرة سنة ٧٨٦هـ، رقم الوثيقة (٧١٣ج) وزارة الأوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(١١) **هو القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الشافعي:** ولد بدمشق سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وعين ناظراً للخزانة والكسوة الشريفة في عهد المؤيد شيخ، وعينه برسباي في الوزارة والأستدارية ثم ناظرا للجيش، وظل يتنقل بين مصر والشام إلى وفاته يوم الخميس ٤ من شوال سنة ٨٥٤هـ، ١٤٥٠م، ودفن بتربته بالصحراء، السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٢٤، والمقريزي، السلوك، ج٢، ص ٣٣١.

(١٢) حجة وقف الزيني عبد الباسط، المؤرخة في ٢١ من محرم سنة ٨٢٩هـ، رقم الوثيقة (١٨٩ج) أوقاف، وهناك عدة وقفيات في تواريخ مختلفة ضمن هذه الحجة.

السبيل المعروف بإنشاء الواقف المشار إليه بحدرة المعلاة بمكة المشرفة، ويصرف إلى السبيل المعروف بإنشاء الواقف المشار إليه بباب السلام بالمدينة المشرفة..."[١].

وقد أوضحت حجة أبي المحاسن يوسف[٢]، المؤرخة في ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م، أوجه صرف ريع الوقف ومنها: صرف اثنى عشر ديناراً أشرفياً كل سنة لقارئ مصحف بالحرم المكي، ومثلها لقارئ مصحف بالحرم المدني[٣].

ولم يقتصر ريع الأوقاف على الصرف أو التوسعة على فقراء الحرمين، والقراء فيهما، وتسبيل الماء والسقاية فيهما مع ما يلزم ذلك من دوارق ونحوها، بل شمل أيضاً توزيع الكسوة السنوية المتنوعة - حسب شرط الواقف - على فقراء الحرمين وسائر المستحقين من الأيتام، والفقراء، والمساكين، والأفاقون، ومثال ذلك ما ورد في حجة السيفين جانم[٤]، وقانصوه[٥]، المؤرخة في ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م[٦]، وفيها حدد الواقفان أنه إذا تعذر الصرف يكون ما فضل من ريع الوقف مصروفاً في شراء قمصان متوسطة الحال، وتوزع على فقراء حرمي مكة والمدينة، فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للآخر[٧].

وعلى منوال الحجة السالفة الذكر، نصت حجة زينب بنت العلاء علي بن الجمال عبد الله[٨]، المؤرخة في ٢٨ من محرم سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م : على أن يصرف من ريع الوقف عشرة آلاف درهم في كل سنة صحبة الركب الشريف ثمن قمصان خام تفرق على الفقراء، والمساكين، والقاطنين، والواردين من الأفاقين في حرم مكة والمدينة على أن يقسم المبلغ المذكور بينهما بالسوية[٩].

و نصت حجة تمرباي بن عبد الله المحمدي[١٠] المؤرخة في ١٣ من شعبان سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، على أن يصرف من ريع وقفه ثمانية آلاف وخمسمائة درهم، أو ما يقوم مقامها من النقود في كل سنة، في ثمن قمصان خام، وطُرح مخيطة، ويصرف من هذا المبلغ أيضاً في كلفة من يحملها إلى الحرمين، ومن يتولى تفرقتها بالسوية فيما بين الفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين، وتفصيلات صرف هذا المبلغ أوضحتها حجة الواقف على الوجه التالي:

---

(١) حجة وقف الزيني عبد الباسط ، رقم الوثيقة (١٨٩ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) **أبو المحاسن يوسف بن عبد الكريم:** الصاحب الرئيس جمال الدين أبو المحاسن بن القاضي كريم الدين ناظر الخواص، مولده سنة ٨١٩هـ، وفاته بالقاهرة سنة ٨٦٢هـ، ودفن بتربته بالصحراء، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص ٨٠٤.

(٣) حجة أبي المحاسن يوسف، المؤرخة في ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ٨٤٨هـ، رقم الوثيقة (٧٤٩ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) **السيفي جانم بن عبد الله الأشرفي برسباي،** كان قريب الملك برسباي، وأمير آخوره، قتل غيلة في قلعة الرها سنة ٨٦٧هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٢٣٥.

(٥) **السيفي قانصوه الأشرفي إينال أحد العشرات،** وصهر السيفي الحنفي، مات في سنة ٨٨٢هـ، السخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثالث، ج٣، ص ١٩٨.

(٦) حجة السيفين جانم وقانصوه، المؤرخة في ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩هـ، رقم الوثيقة (٧٧٧ح) أوقاف.

(٧) حجة وقف السيفين جانم وقانصوه، رقم الوثيقة (٧٧٧ح) أوقاف. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٨) **زينب بنت العلاء علي بن الجمال عبد الله:** وتعرف بابنة خاص بك، تزوجها إينال الأجرود سنة ٨٢٥هـ، صحبت عدة حجات وأقامت الكثير من أعمال البر والصدقة، ماتت وسنها قرب الثمانين، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص ٤٤ - ٤٥.

(٩) حجة زينب بنت العلاء علي بن الجمال عبد الله، المؤرخة في ٢٨ من محرم سنة ٨٧٠هـ، رقم الوثيقة (٥٩٥ق) أوقاف، ولها حجة وقف أخرى بالتاريخ نفسه، برقم (٥٩ق) أوقاف. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(١٠) **تمر باى بن عبد الله المحمدي:** الدوادار الثاني للأشرف برسباي، ثم رأس نوبة النواب في الدولة الظاهرية جقمق، توفي بالطاعون سنة ٨٥٣هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٢٢ ترجمة ٧٧٨.

٧٥٠٠ درهم مخصصة لثمن القمصان.

١٠٠٠ درهم لمن يتولى حملها وتفرقتها على الفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين[١].

أما حجة السيفي قجماس الإسحاقي[٢]، المؤرخة في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، فقد اشترطت على ناظر الوقف أن يجهز النصف الثاني الفائض من ريع الوقف، ويرسل ريعه مع ثقة أمين في كل سنة صحبة الركب، ويقوم حسب شرط الواقف بتوزيعه على فقراء الحرم النبوي بالمدينة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام[٣].

وتتفق حجة السيفي قجماس السابقة في مضمونها مع حجة وقف قاني بك[٤]، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، ويكاد يكون بينهما شبه اتفاق من حيث أوجه الصرف، فقد ورد فيها "... وما فضل بعد ذلك من ريع الوقف المذكور يجهز في كل سنة مع من يوثق بدينه وأمانته صحبة الركب الشريف الموسمي المتوجه إلى الحجاز الشريف، ويسلم ذلك لشيخ الحرم الشريف النبوي...".

وقد أفاد الواقف إسناد ريع هذا الوقف إلى شيخ الحرم المذكور بتوزيعه على كل من الفقراء والمساكين المجاورين لحرم رسول الله ﷺ على حسب ما يراه هذا الشيخ، ويؤدي إليه اجتهاده[٥].

ومن أوجه صرف هذه الحجج قد تبيّن شرط واقفيها، وتسابقهم إلى مايقربهم من الله تعالى، فهي عند الله خير لهم وأبقى بعد وفاتهم، وبإمعان النظر في بعض هذه الحجج يتضح أن فيها كفاية لمصالح الحرمين، ومن لاذ بهما مقيماً، أو مجاوراً، أو وافداً، وبعضها أيضاً (حسب شرط الواقف) كان من أوجه صرفها تشجيع القراء على تلاوة القرآن الكريم، وفي ذلك حافز على حفظه، وليس ببعيد أن يتم ذلك في حلقات علمية جامعة وسعت علوم القرآن من تفسير، أو حديث، أو نحو ذلك من سائر العلوم الدينية التي انتشرت مدارسُها بالحرمين في تلك الفترة، ومرّ ذِكر وثائق وقف في هذا الصدد، ويضاف إليها هنا حجة وقف الناصري محمد بن خليل بن خاص بك[٦]، المؤرخة في ٢٣ من شعبان سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، وكعادة الواقف فإنه حدد من أوجه الصرف فيهـــا "... يصرف لشخص حافظ لكتاب الله العزيز يقرأ بالمصحف الشريف الذي وقفه الواقف... بالحرم النبوي الشريف" وقد ألزمت الحجة

---

(١) حجة وقف تمر باي بن عبد الله المحمدي، المؤرخة في ١٣ من شعبان سنة ٨٧٢هـ، رقم الوثيقة (١٠١٨) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) **الأمير قجماس الإسحاقي:** نشأ في خدمة أستاذه جقمق نائب الشام الذي عني بتعليمه، ثم رقي في عدة وظائف منها خازندار، ثم رقي في دولة الظاهر بلبان أمير عشرة، ثم عينه قايتباي نائباً للإسكندرية في سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، وفي سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م عين أمير آخور كبير، وفي سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م عين نائباً في الشام، فبقي بها إلى وفاته في شوال سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، ودفن هناك، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢١٣، رقم ٧٠٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٢٤.

(٣) حجة وقف السيفي قجماس الإسحاقي، المؤرخة في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (٦٧٠ح) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) **قاني بك شيشحة الظاهري جقمق،** رأس نوبة ثاني، له بيوت ورباع وقف عليها وقفاً، مات في صفر سنة ٨٨٩هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ١٩٧، رقم ٦٧٣.

(٥) حجة وقف قاني بك، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٧٤هـ، رقم الوثيقة (٧١٤ ح) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) **الناصري محمد بن خليل بن خاص بك:** السبكي بدر الدين ، ينسب إلى الظاهر بيبرس من جهة النساء، اشتغل في مذهب الحنفية فبرع وأخذ عن أكمل الدين وغيره، توفي سنة ٩١٣هـ، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص ١٠٤.

القارئ بقراءة ما تيسر قراءته، وإهداء ثوابه للنبي ﷺ وللصحابة رضوان الله عليهم، ثم للواقف، ولمواليه وذريته في كل سنة هلالية، وله "... من الفلوس الجدد ثلاثة آلاف درهم، أو ما يقوم مقام ذلك من النقود..."[١].

وهناك العديد من الأعيان، وكبار رجال الدولة، والمحسنين والمحسنات، جعلوا مصارف أوقافهم على ما حددوه، أو عينوه من مصارف تصرف عليهم، أو على ذريتهم، أو على عتقائهم، ثم يؤول كل ذلك بالإضافة إلى ما يفضل من ريع هذه الأوقاف إلى الفقراء والمساكين، والوافدين، والمنقطعين، والأفاقين في حرمي مكة والمدينة.

وبهذا شملت تلك الوثائق في عمومها جميع سبل البرّ والخير، وتأكيداً لذلك وإكمالاً للفائدة من هذه الوثائق مع بيان أماكن حفظها،يمكن الاطلاع عليها في جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.[٢].

---

(١) حجة الناصري محمد بن خليل بن خاص بك، المؤرخة في ٢٣ من شعبان سنة ٩٠٣هـ، رقم الوثيقة (٧٥٨ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) ١ - حجة وقف محمد بن نور الدين الجزولي، المؤرخة في ٣ من شوال سنة ٧٦٦هـ، رقم الوثيقة (٤٥) محفظة (٧) دار الوثائق القومية.
٢ - حجة وقف الجمالي عبد الله، المؤرخة في ١٧ من ذي القعدة سنة ٧٦٧هـ، رقم الوثيقة (٤٦) محفظة (٧) دار الوثائق القومية.
٣ - حجة وقف جركس بن عبد الله القاسمي، المؤرخة في ٢٢ من ذي الحجة سنة ٨٠٩هـ، رقم الوثيقة (٦٤) محفظة (١١) دار الوثائق القومية.
٤ - حجة وقف السيفي دولات باى، المؤرخة في ٢٧ من رمضان سنة ٨٦٥هـ، رقم الوثيقة (١٢٩) محفظة (٢٠) دار الوثائق القومية.
٥ - حجة وقف المصونة بركة ابنة شرف الدين، المؤرخة في ٢٣ من ربيع الأول سنة ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (١٤٠) محفظة (٢٢) دار الوثائق القومية.
٦ - حجة وقف العلائي علي الشهير بالعمري، المؤرخة في ١٣ من رمضان سنة ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (١٤١) محفظة (٢٢) دار الوثائق القومية.

=

= ٧ - حجة وقف موسى بن عيسى بن أحمد، المؤرخة في ١٤ من ربيع الأول سنة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥١) محفظة (٢٣) دار الوثائق القومية.
٨ - حجة وقف السيفي جاني بك، المؤرخة في ١٩ من ذي الحجة سنة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٣) محفظة (٢٤) دار الوثائق القومية.
٩ - حجة وقف السيفي طوغان بن عبد الله، المؤرخة في ٨ من محرم سنة ٨٧٢هـ، رقم الوثيقة (١٥٥) محفظة (٢٤) دار الوثائق القومية.
١٠ - حجة وقف تغري بردي بن عبد الله الزيني المحمودي، المؤرخة في ١٠ من ذي الحجة سنة ٨٧٢هـ، رقم الوثيقة (١٥٨)، محفظة (٢٤) دار الوثائق القومية.
١١ - حجة وقف الزيني سرور بن عبد الله الطواشي، المؤرخة في ٣ من جمادى الآخرة سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (١٥٩) محفظة (٢٤) دار الوثائق القومية.
١٢ - حجة وقف شمس الدين محمد الشهابي، المؤرخة في ١٠ من رجب سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (١٦٠) محفظة (٢٤) دار الوثائق القومية.
١٣ - حجة وقف السيفي تنم جرباس المحمدي الأتابكي، المؤرخة في ٢٤ من شعبان سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (١٦٢) محفظة (٢٥) دار الوثائق القومية.
١٤ - حجة وقف فاطمة بنت شهاب الدين أحمد، المؤرخة في ٢٤ من ربيع الأول سنة ٨٧٤هـ، رقم الوثيقة (١٦٥) محفظة رقم (٢٥) دار الوثائق القومية.
١٥ - حجة وقف السيفي تغري بردي بن عبد الله الشمسي، المؤرخة في ١١ من ذي القعدة سنة ٨٧٦هـ، رقم الوثيقة (١٧٢)، محفظة (٢٧) دار الوثائق القومية.
١٦ - حجة وقف علاء الدين علي بن خاص بك، المؤرخة في ١١ من جمادى الآخرة سنة ٨٨٠هـ، رقم الوثيقة (١٨٠)، محفظة (٢٧) دار الوثائق القومية.

=

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأعيان الموقوفة التي خصصت في هذه الوثائق قد وجهت للصرف على ماذكر سابقاً على أهالي الحرمين الشريفين، والمقيمين بهما، والوافدين إليهما، والمنقطعين، أو المجاورين بهما، كما خصصت بعض الوثائق الصرف على القراء الذين يقرأون القرآن الكريم، ويهدون ثوابه للنبي ﷺ ولأنفسهم، وذريتهم، وسائر المسلمين، ومن هذه الوثائق أيضاً من جعلت من أوجه صرفها تسبيل المياه بالحرمين، ومنها ما كان من أوجه صرفها:شراء كسوة لفقراء الحرمين، وهذه الكسوة بتكلفة حملها، ومن يقوم بتوزيعها، قد خصص لها الواقف مبالغ

---

١٧ - حجة وقف قراجا بن عبد الله الجمالي الخاصكي، المؤرخة في ٨ من محرم سنة ٨٨٢هـ، رقم الوثيقة (١٨٤) محفظة (٢٨) دار الوثائق القومية.

١٨ - حجة وقف زين الدين عبد الرحمن بن محمد، المؤرخة في ٩ من جمادى الأولى سنة ٨٨٦هـ، رقم الوثيقة (١٨٩)، محفظة (٢٨) دار الوثائق القومية.

١٩ - حجة وقف حليمة، المؤرخة في ٢٢ من رمضان سنة ٨٨٧هـ، رقم الوثيقة (١٩٣) محفظة (٢٩)، دار الوثائق القومية.

٢٠ - حجة وقف الزيني فرج بن بردبك، المؤرخة في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٨٩٩هـ، رقم الوثيقة (٢١٦) محفظة (٣٤) دار الوثائق القومية.

٢١ - حجة وقف شهاب الدين البسطامي، المؤرخة في أول شعبان سنة ٩٠٣هـ، رقم الوثيقة (٢٢٤) محفظة (٣٦) دار الوثائق القومية.

٢٢ - حجة وقف أبي العباس أحمد بن محمود، المؤرخة في ١١ من شعبان سنة ٩٠٥هـ، رقم الوثيقة (٢٢٧) محفظة (٣٦) دار الوثائق القومية.

٢٣ - حجة وقف (نقيب الأشراف) الشريف بدر الدين حسن، المؤرخة في ٢٥ من رمضان سنة ٩٠٦هـ، رقم الوثيقة (٢٣١) محفظة (٣٦) دار الوثائق القومية.

٢٤ - حجة وقف السيفي طقطباي، المؤرخة في ١ و ٢ من رجب سنة ٩٠٨هـ، رقم الوثيقة (٢٣٦) محفظة (٣٧) دار الوثائق القومية.

٢٥ - حجة وقف السيفي بكبردي، المؤرخة في ١٧ من رمضان سنة ٩٠٨هـ، رقم الوثيقة (٢٣٩) محفظة (٣٩) دار الوثائق القومية.

٢٦ - حجة وقف المصونة جان سوار، المؤرخة في ٢٧ من ربيع الأول سنة ٩١٢هـ، رقم الوثيقة (٢٥٥) محفظة (٤١) دار الوثائق القومية.

٢٧ - حجة وقف السيفي قرقماس بن علي باى، المؤرخة في ٢٩ من رمضان سنة ٩١٢هـ، رقم الوثيقة (٢٦٢) محفظة (٤١) دار الوثائق القومية.

٢٨ - حجة وقف ناصر الدين محمد اليساري، المؤرخة في ٢٤ من رمضان سنة ٩١٤هـ، رقم الوثيقة (٢٦٦) محفظة (٤٢) دار الوثائق القومية. =

٢٩ - حجة وقف المصونة فاطمة المدعوة ستيتة، المؤرخة في ٢٠ من ذي الحجة سنة ٨٩٧هـ، رقم الوثيقة (٢٧٠) محفظة (٤٢) دار الوثائق القومية.

٣٠ - حجة وقف طراباي بن عبد الله بن جانم، المؤرخة في أول محرم سنة ٩١٧هـ، رقم الوثيقة (٢٧١) محفظة (٤٢).

٣١ - حجة وقف الناصر محمد بن السيفي أزبك، المؤرخة في ١٩ من صفر سنة ٩٠٩هـ، رقم الوثيقة (٢٧٩) محفظة (٤٣) دار الوثائق القومية.

٣٢ - حجة وقف ورد خان بنت عبد الله، المؤرخة في ١٢ من رمضان سنة ٩٢٠هـ، رقم الوثيقة (٢٨٣) محفظة (٤٣) دار الوثائق القومية.

٣٣ - حجة وقف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن علي، المؤرخة في ٢٥ من شعبان سنة ٨١٤هـ، رقم الوثيقة (٧٦١ ق) وزارة الأوقاف.

٣٤ - حجة وقف السيفي تغرى بردي المحمودي، المؤرخة في ١٥ من ذي القعدة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٦٠٦ج) أوقاف.

٣٥ - حجة وقف السيفي جرباش بن عبد الله السلاح دار، المؤرخة في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ، رقم الوثيقة (٦٢ج) وزارة أوقاف.

٣٦ - حجة وقف يحيى بن السيفي طوغان الحسني،المؤرخة في ٢٨ من شوال سنة ٨٧٠هـ، رقم الوثيقة (٥٧١ج) أوقاف.

٣٧ - حجة وقف السيفي إينال بن عبد الله، المؤرخة في ١٥ من ربيع الأول سنة ٩١٨هـ، رقم الوثيقة (٥٩٩ج) أوقاف.

معينة، وهي متنوعة ، فمنها قمصان خام وقمصان طويلة أو كاملة للرجل الواحد وقمصان متوسطة، وطرح مخيطة، قد خصصها الواقف للفقراء والمساكين والمقيمين والواردين بحرمي مكة والمدينة أو أحدهما، وقد أوضحت بعض الوثائق أن من أوجه صرف الوقف على أهالي الحرمين ، عمل الدشيشة، وطبخها، وشراء مستلزماتها، وتوزيعها على الفقراء والمساكين، والمعدمين.

وهناك وثائق للوقف على أهالي الحرمين الشريفين، ولكنها لم تتعرض بالتفصيل لأوجه الصرف، حيث اكتفت بذكر ذلك على وجه الإجمال، وتنظر في جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة .

ثالثاً - الأوقاف على الخدمات العامة بالحرمين الشريفين:

١ - أوقـاف السلاطين:

من الأغراض التي شملها الوقف في العصر المملوكي، الوقف على الخدمات العامة بالحرمين الشريفين بمكة، والمدينة، فقد أحاط سلاطين المماليك الخدمات العامة بالحرمين الشريفين،بعظيم العناية وتعددت الأوقاف التي تعود بالخير على النواحي العامة للمقيمين والوافدين إلى الحرمين ومن ذلك الوقف على"البيمارستانات"والرعاية الصحية، والأربطة، والمدارس، والمدرسين، وطلاب العلم والمنقطعين في أجرة حملهم وإطعامهم وكسوتهم. وعلى تكفين الموتى، ولم يغفلوا توفير المياه للمقيمين والواردين من الحجاج فوقفوا على إصلاح العيون وعلى إجرائها وعلى الأسبلة وغيرها من الخدمات العامة ، والوثائق الآتية تشير إلى تلك الخدمات العامة بالحرمين الشريفين، ومنها: حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، والمؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م[١]، والتي حددت في مصارفها : الصرف على الفقراء والمنقطعين من الحجاج بمكة الذين ليس لهم زاد، ولا راحلة، وأن يصرف لكل منهم ما يحتاج إليه حتى وصوله إلى وطنه[٢].

ومن الوثائق التي عنيت بالخدمات العامة بالحرمين الشريفين حجة وقف السلطان الأشـــرف شعبان المؤرخة في ٣ من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، وقد تناولت هذه الحجة أوجه الصرف على الخدمات العامة بمكة المكرمة والمدينة المنورة بتفصيل واف وعجيب ، شمل الكثير من النواحي العلمية والصحية وغيرها [٣].

ومن الوثائق التي اهتمت بالإنفاق في أوجه البر ، وتباينت مصارفها: حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)[٤]، وقد كلف الواقف الناظر بالصرف على المنقطعين من الحجاج بأجرة حمل، وإطعام، وإسقاء ماء في طول الطريق ذهاباً وإياباً حتى وصولهم إلى بلادهم[٥].

---

(١) حجة وقف السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م رقم الوثيقة (٤٢) رقم المحفظة (٤٢) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة،وقد نشرها علي حسن زغلول في رسالته للماجستير بعنوان: "مدرسة السلطان حسن " كلية الآثار – جامعة القاهرة ،١٩٧٧م.

(٢) حجة وقف السلطان حسن، رقم الوثيقة (٤٢) دار الوثائق القومية، سطر ٤٥ - ٤٦ - ٤٧.

(٣) انظرها مفصلة ومدروسة عند : راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين الشريفين.ص٩٩، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١٢١، ١٢٤، ١٢٧.

(٤) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف السلطان الناصر فرج، رقم الوثيقة (٦٦) دار الوثائق القومية، سطر رقم ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤.

وزاد الاهتمام بالخدمات العامة في حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٣م)[١]، ومن أوجه الصرف في هذه الحجة صرف الثمن المعادل لثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهماً على مصالح البيمارستان[٢] الكائن بمكة المكرمة[٣].

أما الثمن الثاني من أوجه هذا الصرف، فقد كان على مصالح عين بازان[٤] وإجراء الماء منها إلى مكة المشرفة، ونحو ذلك مما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٥].

ومن جملة الوثائق التي اهتمت بالخدمات العامة في الحرمين الشريفين حجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[٦]، المؤرخة في ١٠ من جمادى الآخرة سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م)[٧]، وهي التي خددت ضمن أوجه صرفها بعد انقراض الذرية، والموقوف عليهم : الصرف على تجهيز المنقطعين بالمدينتين المقدستين برسم الزاد والرحلة حتى وصولهم إلى ديارهم[٨].

وفي عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م) قام السلطان المذكور بالعديد من الإصلاحات في حرم مكة المشرفة، ومنها تجديده المطهرة المعروفة بالناصرية عند باب بني شيبة[٩].

وفي عام (٩١٥هـ/١٥٠٩م) أنشأ السلطان الغوري بمكة مدرسة ورباطاً للمنقطعين والمجاورين وقام بالإصلاحات في طريق الحج[١٠].

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٨٨٠ق) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) **هو البيمارستان المستنصري العباسي**، ويقع شمال المسجد الحرام، و تاريخ وقفه سنة ٦٢٨هـ، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧، والعقد الثمين، ج١، ص ١٢٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٩.

(٣) حجة وقف السلطان برسباي، رقم الوثيقة (٨٨٠ ق) أوقاف سطر ١٧٩.

(٤) سبق التعريف بها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٥) حجة وقف السلطان برسباي، رقم الوثيقة (٨٨٠ ق) أوقاف، سطر ١٨٠.

(٦) **محمد بن قلاوون، الملك الناصر، ناصر الدين أبو المعالي**، ابن المنصور، (سلطنته الثالثة) سنة (٧٠٩ - ٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م) وفترة سلطنته ضمن فترة الوثيقة، مات في ٢١ من ذي الحجة سنة ٧٤١هـ، المقريزي، الخطط، ج٢ ص ٢٣٩، السلوك، ج٢، ص ٧٣.

(٧) حجة وقف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، المؤرخة في ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ، رقم الوثيقة (٣٠) محفظة (٥)، دار الوثائق، نشرها: محمد محمد أمين ضمن كتاب: تذكرة النبيه ، في أيام المنصور وبنيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ٣ أجزاء.

(٨) حجة وقف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، رقم الوثيقة (٣٠) دار الوثائق القومية، ص ٨٩ - ٩٠ - ٩١.

(٩) في سنة ٧٢٨هـ عمر ابن هلال الدولة، الشبابيك الحديد المطيفة بمقام إبراهيم الخليل من جوانبها الأربعة، وكانت خشباً قبل ذلك، وجدد سطح المسجد الحرام وأبوابه، والمطهرة المعروفة بالناصرية عند باب بني شيبة، وأوقفها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأجرى عين جبل ثقبة في مجرى عين بازان، وجملة المصروفات على ذلك خمسة آلاف درهم، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٤٨، والمقريزي، السلوك، ج٢ ق ١ ص ٣٠٣، وابن فهد، إتحاف الورى ج٣، ص١٨٧.

(١٠) أنشأ السلطان الغوري بمكة مدرسة ورباطاً للمجاورين والمنقطعين، وأمر بإصلاح باب إبراهيم، وأعاد بناء الحجر الشريف، وشد الحجر الأسود بأحزمة من الرصاص سنة (٩١٥هـ/١٥٠٩م)، وبنى على باب إبراهيم عقدا يعلوه قصر، وعلى جانبيه مسكنان وقفهما على المقام الشريف، كما بنى ميضأة لخدمة المصلين خارج باب إبراهيم، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٣، ج٥، ص ١٣، والجزيري، درر الفوائد ج٢، ص ١٩٢، وإبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ص ٢٤١، كما اهتم السلطان الغوري بإصلاح، وتمهيد طريق الحج البري، فأزال كثيراً من عثراته، وعقباته، وأنشأ قلاعاً لحراسة الحجاج، وخانات لمبيتهم، وحفر عدة آبار في مواقع مختلفة لمدهم بالماء العذب لهم، ولدوابهم، ويؤكد ذلك نقش على ثلاث صخور في طريق الحاج، على بعد ستة وثلاثين ميلاً شرقي نخل مكتوب عليها مضمون ما ذكر، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١٣، ونعوم شقير، تاريخ سيناء ص ١٦٠.

ومن الخدمات التي قام بها السلاطين في سبيل تأدية فريضة الحج، ومساعدة الضعفاء والعاجزين ما يذكر من أن السلطان برقوق (٧٩٢هـ - ٨٠١هـ/١٣٨٩ - ١٣٩٨م) وقف ناحية بهتيت[١] على سحابة تسير مع ركب الحاج المتوجه إلى مكة في كل سنة، ومعها جمال تحمل المشاة من الحجاج، ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهاباً وإياباً[٢].

٢ - أوقاف الأمراء والأعيان:

نافس الأمراء سلاطينهم، ونسجوا على منوالهم، بل تسابقوا فيما بينهم إلى الإحسان في أوجه البر والخير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فرصدوا أوقافهم، وحرصوا على انتشارها واستمرارها كصدقة جارية بعد وفاتهم، فسجلوها ضمن وثائقهم الماثلة في الدراسة، فمن ريعها غير ماذكر سابقاً ، كان الصرف على الخدمات العامة للحرمين الشريفين، مثال ذلك ما نصت عليه حجة وقف أيتمش بن عبد الله[٣]، المؤرخة في ١٩ من محرم سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م)[٤].

وما ورد بهذه الحجة يبين اهتمام الواقف ومدى عنايته بازدهار الحركة العلمية بالحرمين، فالتعليم فيهما أساساً قد ارتبط بالعلوم الدينية كقراءة القرآن وتعلمه وتعليمه، ومدارسة علومه من تفسير، وحديث، وفقه وغيره من ناحية ، وبالإشعاع الروحي في الحرمين الشريفين من ناحية أخرى، واهتمت الوثيقة كغيرها بتدريس وتدعيم المذهب السني، وأكدت على مدارسة المذاهب الأربعة المشهورة، وفي سبيل ذلك كان الوقف عليها سخياً، ويؤكد ذلك ما ورد في أوجه صرفها سنوياً من الدراهم النقرة الجيدة التي بلغت في مجملها ستة آلاف درهم، كانت مناصفة بين حرمي مكة والمدينة، على التفصيل الآتي: -

أ - أوجه الصرف على حرم مكة:

للصرف على الخدمات العامة في حرم مكة ، عين أيتمش بن عبدالله مبلغ ألف ومائتين وعشرين درهماً نقرة لعشرة من القراء الحافظين لكتاب الله تعالى خلف المقام الشريف، وعقب الصلوات الخمس اشترط الواقف على اثنين منهم "قراءة حزبين من تجزئة ستين حزباً من القرآن قراءة حسنة مرتلة، بعدها يدعو أحدهما، ويهدي ثواب هذه القراءة للسلطان الملك الظاهر، وللواقف، ولذريته والمسلمين ويختتم هذا العمل الطيب بالصلاة على النبي ﷺ "[٥].

ولم تغفل الوثيقة الدراسة بالحرم المكي، وأكدت على مدارسة مذاهب السنة الأربعة المشهورة، وأولت الوثيقة المدرسين والدارسين عناية فائقة، فوقفت عليهم وقفاً جارياً سخياً إذ حددت للمدرس الذي اشترطت فيه أن يكون أميناً، ديناً، عارفاً بالمذهب الحنفي وبأصوله وفروعه ستمائة درهم نقرة في كل سنة، ولطلبته السبعة الدارسين لهذا المذهب سنوياً ثمانمائة وأربعين درهماً نقرة بالسوية بينهم، وعلى من يعينه الناظر لضبط الغياب (وهو من الطلبة، أو من القراء) ثلاثين درهماً نقرة سنوياً.

---

(١) بهتيت: هي إحدى قرى الجيزة القديمة، المقريزي، السلوك، ج٣ ق ٢ ص ٩٤٤ حاشية ١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٩٤٤.

(٣) سبقت ترجمته ضمن هذا الفصل .

(٤) حجة وقف أيتمش بن عبد الله، المؤرخة في ١٩ من محرم ٨٥١هـ، رقم الوثيقة (١١٤٣ ق مكرر) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) الحجة السابقة ، سطر ١٦، ١٧.

وعن المدرس وطلبته السبعة المذكورين أفادت الوثيقة بحضورهم (... بالمكان الذي يتيسر لهم الحضور فيه بالحرم الشريف المذكور مابين طلوع الشمس وإلى الزوال في كل يوم من أيام الجمعة خلا يومي الجمعة والثلاثاء والأيام التي جرت العادة ببطالة الدروس فيها).

وعن سير هذه الدراسة أفادت بأن المدرس مع طلابه يبدأون الدرس بقراءة سورة (الملك) وانفراد أحدهم بالدعوة (للسلطان الملك الظاهر وللواقف المذكور ولذريتهما ولجميع المسلمين) ثم يلقي عليهم المدرس الدرس من فقه مذهبه، ويناقشهم فيما أشكل عليهم.

ب - أوجه الصرف في حرم المدينة:

حددت وثيقة أيتمش بن عبدالله ، ألفا ومائتي درهم نقرة لعشرة قراء حافظين للقرآن الكريم، يرتبهم الناظر بحرم رسول الله ﷺ (على أن يقرأ عقيب كل صلاة من الصلوات الخمس اثنان منهم بين الروضة والمنبر حزبين... قراءة حسنة مرتلة...)، ثم يدعو أحدهما مهدياً ثواب هذه القراءة للسلطان الملك الظاهر، وللواقف ولذريتهما وللمسلمين، ويختم الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ.

وبالوثيقة أيضاً أن لمدرس المذهب الحنفي ستمائة درهم نقرة سنوياً، ولطلبته السبعة ثمانمائة وأربعين درهماً نقرة سنوياً توزع بينهم بالسوية، وعلى من يختاره الناظر لضبط الغياب ثلاثين درهماً نقرة سنوياً، وعن سير هذه الدراسة بعد اجتماع المدرس مع طلبته بالحرم النبوي الشريف (فيما بين طلوع الشمس إلى الزوال في كل يوم من أيام الأسبوع عدا الجمعة والثلاثاء) وأيام البطالة العادية، ويبدأون بقراءة سورة الملك، ويدعو أحدهم مهدياً ثواب قراءته (للسلطان الملك الظاهر، وللواقف المذكور ولذريتهما ولجميع المسلمين، ثم يلقي لهم المدرس ما أعده من فقه مذهبه ويناقشهم) ، (ويحل لهم ما أشكل عليهم من ذلك بصحيح أقواله)[١].

واشترط بعض الواقفين أن يوجه جزء من ريع أوقافهم في كل سنة لمساعدة الذين أشرفوا على الهلاك، إما لضعفهم، وإما لفقرهم، وما كان يصرف لهؤلاء كان يرسل صحبة الركب الشريف المتوجه إلى الحرمين الشريفين في كل سنة بصحبة من يوثق به، وهذا الجزء كان يصرف منه طول الطريق ذهاباً وعودة على المنقطعين من الحجاج الذين أشرفوا على الهلاك من المسلمين ،كمساعدتهم في أجرة حمل، وإطعام طعام، وسقاية ماء، وما إلى ذلك حفاظاً لأبدانهم حتى يصلوا إلى مأمنهم، وإبقاء لشوقهم إلى رؤية الكعبة وزيارة النبي ﷺ، والذي يقوم بالصرف اشترطت عدالته، وأمانته، ويكون بمباشرة أمير الحاج، وإطلاعه على ذلك.

ومن أمثلة ذلك ما نصت عليه حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار، أمير خازندار، المؤرخة في ١٤ من محرم سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)[٢]، وقد حددت هذه الوثيقة أن يكون من أوجه صرفها الإنفاق على الأرامل، والمحتاجين، والمنقطعين، المقيمين بمكة[٣] والمدينة[٤].

---

(١) حجة وقف السيف أيتمش بن عبد الله الظاهري رقم الوثيقة (١١٤٣ ق) وزارة الأوقاف وتشتمل هذه الوثيقة على خمس كتب وقف أولها مفقود وآخرها ، مما أدى إلى عدم معرفة تاريخ كتاب الوقف الخامس، والأعيان الموقوفة لم أستطع إثباتها في الوثيقة وذلك لفقد أول الوثيقة.

(٢) حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار، أمير خازندار، المؤرخة في ١٤ من محرم سنة ٧٠٧هـ، رقم الوثيقة (٢٠) محفظة (٤)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) حجة وقف سيف الدين بكتمر، رقم الوثيقة (٢٠) دار الوثائق القومية، سطر رقم ١٢٤.

(٤) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ١٢٧.

وفي هذا الصدد أيضاً أشارت حجة وقف خوند بركة أم السلطـــــان شعبان، المؤرخة في ٢٥ ذي القعدة سنة (٧٧١هـ/١٣٦٩م)[١]، إلى الصرف على الأرامل، والمنقطعين من النسوة في حرمي مكة[٢] والمدينة[٣].

ولم تقتصر عناية الواقفين على الخدمات العامة للأحياء، بل شملت الأموات أيضاً، فوقفوا ما تدعو الحاجة إليه لمن يموت بالمدينتين المقدستين من الرجال والنساء، فخصصوا من ريع أوقافهم كل ما يحتاج إليه أموات المسلمين، من حيث تجهيزهم، كغسلهم، أو ثمن أكفانهم، وما إلى ذلك من حنوط، وأجرة مغسل، أو حافر للقبر، أو مداري الجسد في القبر حسب ما نصت عليه السنة المطهرة.

و تشير إلى ذلك حجة وقف السيفي أسنبغا الطياري، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الآخرة ســـنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م)[٤].

وقد كلف الواقف الناظر على هذا الوقف بالصرف فيما يراه من وجوه البر في تجهيز وتكفين من لا مال له من المسلمين[٥].

وفي سنة (٧٥٩هـ/١٣٥٧م) أمر الأمير صرغتمش[٦] الناصري أحد كبار الأمراء في دولة الناصر حسن[٧] بعمارة ميضأة فيما بين رباط أم الخليفة[٨] والبيمارستان المستنصري بالجانب الشمالي من المسجد الحرام[٩].

وفي سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م) سبَّل الشريف حسن بن عجلان[١٠] بعض أماكن في مكة وجعلها وقفاً جارياً

---

(١) حجة وقف خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان المؤرخة في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٧٧١هـ، ورقم الوثيقة (٤٧) محفظة (٧) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) الوثيقة السابقة ، سطر ٨٠، ٧٩.

(٣) الوثيقة السابقة ، سطر ٧٨، ٧٧.

(٤) حجة وقف السيفي أسنبغا الطياري، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٣٣هـ، رقم الوثيقة (٨٢) محفظة (١٣) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) الوثيقة السابقة ، سطر ٨٤ - ٨٥.

(٦) **صرغتمش بن عبد الله الأشرفي**، أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وعظيم دولة الملك الناصر حسن، قتل في ذي الحجة ٧٥٩ هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ رقم الترجمة ١٢١٣.

(٧) **الناصر حسن بن محمد بن قلاوون** الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي، تسلطن في سنة ٧٤٨هـ، مات مقتولاً سنة ٧٦٢هـ، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣١٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٩٥، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص ١٩٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٥٥٣.

(٨) **رباط أم الخليفة الناصر العباسي**، تاريخ عمارته ٥٧٩هـ وكان معروفاً في فترة العصر المملوكي بالعطيفية، الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٨، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣١.

(٩) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧، والعقد الثمين، ج٥، ص ٤٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٧٤.

(١٠) **حسن بن عجلان بن رميثة** بن أبي نمي بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي يلقب ببدر الدين، أمير مكة، ونائب السلطنة بالأقطار الحجازية، فترة حكمة من (٧٩٨ - ٨٢٩هـ/ ١٣٩٥ - ١٤٢٥م) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٨٦.

على مصالح البيمارستان المستنصري بمكة المكرمة[١] كما وقف في عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، رباطاً أنشأ عمارته بالقرب من مدرسته، ووقف عليه أوقافاً بمكة، ومنى، والوادي[٢].

ومن يطلع علي وثيقة وقف محمد بن نور الدين على الجزولي، المؤرخة في ٣ من شوال سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م) يجد في أوجه الصرف: تعيين مبالغ نقدية للمجاورين بمكة المشرفة والواردين إليها دونما تحديد لقيمة تلك المبالغ[٣].

وفي حجة وقف الزيني خشقدم، المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)[٤] تحديد العين الموقوفة بها وهي رباط مطل على الحرم الشريف، وقد زاد الواقف توثيقا آخر في ظهر الوثيقة مؤرخاً في ١١ من صفر سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) يضيف به إلى الوقف مجموعة مخازن عددها اثنان وعشرون مخزناً ، وأحواشا بمكة المشرفة لم تحدد الوثيقة موقعها، وعدة حوانيت بالقاهرة المحروسة، لم تحدد الوثيقة موقعها أيضاً[٥].

---

(١) زاد الشريف حسن بن عجلان في البيمارستان المستنصري الواقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام، وأكثر فيه النفع، ووقف مازاده على مصالح البيمارستان المذكور، كما استأجر مكانين من القاضي الشافعي بمكة بأجرة معلومة مدة مائة سنة هلالية على أن يصرفها في عمارة المكانين، وإصلاح شأنهما، كما شرع في عمارة رباط بأجياد للفقراء، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ١١٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٨.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٩٦، وشفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٢٣.

(٣) وثيقة وقف محمد بن نور الدين علي الجزولي، والمؤرخة في ٣ من شوال سنة ٧٦٦هـ، رقم الوثيقة (٤٥) رقم المحفظة (٧) دار الوثائق القومية، سطر ١١ من أسفل الوثيقة، كما أن حالة الوثيقة حالت دون استخلاص بعض المعلومات المتعلقة بأوجه الصرف في الوقف المذكور وذلك يعود لتآكلها وذوبان ورقها، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة وقف الزيني خشقدم، زمام الآدر الشريفة، المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ، رقم الوثيقة (٩٠) رقم المحفظة (١٥) دار الوثائق القومية القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف الزين خشقدم رقم الوثيقة (٩٠) دار الوثائق القومية، سطر رقم ٢٢ - ٢٣.

وفي هذين الجدولين تحديد ما يصرف من ريع هذا الوقف:

الجدول (١)

م	نوع الوظيفة	العدد	الأجر الشهري (أفلوري)	الأجر السنوي (أفلوري)	الأعمال المكلف بها
١	شيخ الرباط[١]	١	–	٢٠	الإشراف العام على الرباط
٢	رجل متصوف من أهل العلم والدين[٢]	١٠	١٠	١٠٠	قراءة جزء من كتاب الله كل يوم ماعدا أيام الأعياد
٣	بواب[٣]	١	١	١٠	كنس الرباط والميضأة ونفض البسط وكنس الدهليز ويملأ من الصهريج الماء لسكان الرباط
٤	خادم الربعة والفراش[٤]	١	–	٨	
٥	رجل يحمل الماء[٥]	١	–	٥	يحمل الماء للسقيا والوضوء
٦	الواقد[٦]	١	–	٤	تعمير القناديل وإشعالها
٧	شاهد الوقف[٧]	١	–	٦	تحرير ما يقبضه الجباة من السكان في الطباق والمخازن، ويشترى الماء للصهريج والزيت للوقود
٨	إمام لصلاة التراويح في رمضان[٨]	١	١ وثلث	–	في شهر رمضان من كل سنة
٩	مكبر للصلاة في رمضان[٩]	١	ثلثا أفلوري	–	في شهر رمضان من كل سنة
١٠	حارس في موسم الحج[١٠]	١	١	–	كل سنة في موسم الحج
١١	موظف[١١]	١	–	١٠	لجباية ريع الوقف في مكة

الجدول (٢)

أنواع المصروفات	قيمة الشراء في الشهر	قيمة الشراء في السنة	إيضاحات
شمع	نصف أفلوري	–	شهر رمضان كل سنة
حلوى	١	–	شهر رمضان
استئجار بيت في منى	واحد ونصف	–	في موسم الحج
شراء حصر	–	٢	كل سنة

(١) حجة وقف الزيني خشقدم، رقم الوثيقة (٩٠)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ١٨ - ١٩.

(٢) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٢١ - ٢٢.

(٣) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٢٨ - ٢٩.

(٤) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٢٩.

(٥) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٣٠.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٣١.

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٣٢ - ٣٣.

(٨) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٤٣.

(٩) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٤٤.

(١٠) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٤٧.

(١١) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٣٨ - ٣٩.

كما عين الواقف ضمن أوجه صرفه: أن الفاضل من ريع الوقف المذكور يصرف على الأرامل والأيتام وطلبة العلم الشريف والفقراء الغرباء أهل الحاجة ، على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[١].

وقررت حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، والمؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة (٨٤٩هـ/١٤٤٥م)[٢]، صرف خمسين ديناراً من الذهب الظاهري في ملء الفساقي بعرفة بالماء العذب لتكون مملوءة بالمياه عند قدوم الحجاج في وقفتهم بعرفة، فإن تعذر ملء الفساقي المذكورة يشترى بالمبلغ المذكور ماء وينقل إلى عرفة ويسبل للحجاج يوم الوقوف بها[٣].

وتعتبر تأدية فريضة الحج من الأركان الدينية التي تأثرت إلى حد كبير بنظام الأوقاف، ولا سيما بالنسبة لغير القادرين، فاشترط بعض من الواقفين أن يصرف ريع أوقافهم أو جزء منه في مساعدة غير القادرين على الحج، لقوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}[٤]، ولأن قوة الشعور الديني كان سمة من سمات ذلك العصر، فقد وجد الواقفون أن في إعانتهم على تأدية الفريضة وجهاً من وجوه البر التي يستحق صدقاتهم من ريع أوقافهم، وحددت وثيقة الجمالي أبي المحاسن يوسف، صرف عشرين ألف درهم من ريع وقفه لرجلين لم يحجا حجة الإسلام ليستعين كل منهما بالمبلغ المذكور في أداء حجته وعمرته، وقد اشترط الواقف لصفات هذين الرجلين أن يكون كل واحد منهما حسن السيرة، والسريرة، من أهل القرآن، وطلب العلم الشريف، وأرباب البيوت العاجزين عن القيام بتأدية الفرض المذكور، ويقدم من يظهر احتياجه لذلك وشوقه إليه، لكل رجل عشرة آلاف درهم[٥].

كما حدد الواقف صرف أجرة عشرين جملاً تجهز لحمل المنقطعين العاجزين عن الكراء وإطعامهم حتى وصولهم إلى بلادهم[٦]

وضمن أوجه الصرف في حجة وقف الجمالي أبي المحاسن على وجوه البر والإحسان ماعينه الواقف بصرف أربعة وعشرين ديناراً في كلفة نقل الماء إلى السبيل الكائن ببندر الينبوع ، والذي أنشأه صاحب هذه الوثيقة، كما عين الواقف صرف كلفة شراء ستة عشر إردباً من القمح الجيد، لعمل دشيشة وتوزيعها على الفقراء والواردين إلى

---

(١) حجة وقف الزيني خشقدم، المؤرخة في ٤ من ذو الحجة سنة ٨٣٧هـ، رقم الوثيقة (٩٠) محفظة (١٥)، دار الوثائق القومية، سطر ٤٠ - ٤١ - ٤٢.

(٢) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، ناظر الخواص الشريفة، المؤرخة في ٢ من ذو القعدة سنة ٨٤٩هـ، رقم الوثيقة (١٠٥) رقم المحفظة (١٦) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، رقم الوثيقة (١٠٥)، دار الوثائق القومية سطر رقم ٢٨١.

(٤) سورة آل عمران، الآية رقم (٩٧).

(٥) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، رقم الوثيقة (١٠٥) دار الوثائق القومية سطر رقم ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١.

البندر المذكور، وصرف ثمن شراء ألف وخمسمائة رطل بقسماط سالم من العيب يفرق عليهم أيضاً، ويصرف ثمن شراء قنطارين من الزيت برسم الاستفادة منه في إضاءة القناديل التي تعلق على صهريج الماء وفي طبخ الدشيشة، كما عين الواقف صرف عشرة دنانير ذهب ظاهري ثمن شراء حطب وماعون لاستخدامها في عمل الدشيشة المذكورة[١].

واشتملت حجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي المنصوري، المؤرخة في ٢٧ من شوال سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)[٢] على قرار الواقف ضمن أوجه صرفه: تكليف الناظر على الوقف بالصرف من الريع في كل سنة لمصالح بير عجرود[٣]، ما قدره مئتان وأربعون درهماً عن كل شهر عشرون درهماً أو ما يقوم مقامها من النقود لينتفع بذلك من عمارة وإجراء ماء إلى الفساقي لينتفع الحجاج به في الشرب ولسقي دوابهم[٤].

وعمل الواقفون على ازدهار الحركة العلمية بالحرمين الشريفين، ومما يؤكد ذلك حرصهم على أن يكون من مصارف أوقافهم من يشتغلون بالعلم من علماء ومدرسين ومتصدرين ومتلقين، وعلى ما يدرس من كتب ومصنفات، فقد جاء في حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن الشهابي أحمد بن الناصري محمد العثماني، والمؤرخة في ١٠ من ذي القعدة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)[٥]: يصرف ريع وقفه على رجل من أهل الخير والدين عالم بمذهب الإمام الشافعي يتصدر للتعليم أو للإفتاء على المذهب المذكور بالحرم المكي، وحددت الوثيقة العمل المنوط به والوقت والأجر من خلال ما نصت به "لأشغال من يأتي إليه ويشتغل عليه بمذهب الإمام الشافعي ﷺ في كل يوم من الأيام الجاري العادة في الاشتغال بمكة المشرفة، فيما بين طلوع الشمس إلى أذان الظهر على حسب ما تيسر له، في كل شهر ستون درهماً من الفضة النقرة، معاملة القاهرة المحروسة"[٦].

و نصت الوثيقة " على الصرف على رجل من أهل الخير والدين عالم بعلم الحديث على أن يقرأ صحيح البخاري حديث النبي ﷺ في الأشهر الحرم، رجب وشعبان ورمضان في كل سنة بالمسجد الشريف بمكة المشرفة وله في كل سنة من الدراهم النقرة الفضة ثلاثمائة درهم"[٧].

---

(١) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، رقم الوثيقة (١٠٥) دار الوثائق القومية ٣٨٦ من سطر ٣٨٣ إلى سطر ٤٠٨.

(٢) حجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي المنصوري، المؤرخة في ٢٧ شوال سنة ٨١٨هـ، رقم الوثيقة، (٧١) محفظة (١٢)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) **بير عجرود:** توجد عجرود في الجنوب الغربي من السويس على مسافة عشرين كيلو متراً تقريباً. وتقع في شبه جزيرة سيناء، وتوجد قرب دائرة عرض ٧ - ٣٠ ° شمالاً وخط عرض ٣٠ - ٣٢ ° شرقاً في شمال غرب السويس وبها أربع فساقي ، وفي سنة ٩١٥هـ أصلح السلطان الغوري قلعتها، وأنشأ مسجداً. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١١، والبتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٣٣، وسيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جدة، ص ١٠٦.

(٤) حجة وقف عبد اللطيف المنصوري، رقم (٧١) دار الوثائق، سطر رقم ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥.

(٥) حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن الشهابي أحمد بن الناصري محمد العثماني، والمؤرخة في ١٠ من ذي القعدة سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة رقم (١٧) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٢٧٨ - ٢٧٩.

وتضمنت الوثيقة الإشارة إلى المسجد النبوي حيث جاء فيها "يصرف الناظر من ريع الوقف المذكور نظير المصارف المذكورة بمكة المشرفة لحرم سيدنا رسول الله ﷺ، من المتصدر للشافعي، وقارئ البخارى، وقراءة السبع، والسقاية بالدوارق"[١].

وعلى نسق ماذكر حجة وقف أبي بكر بن مزهر الأنصاري، والمؤرخة في ٨ من صفر سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)[٢].

وقد حدد الواقف فيها أوجه الصرف من ريع وقفه بأن يقوم الناظر على الوقف المذكور بتقرير من يقوم بقراءة الكتب الستة بحرم مكة المشرفة، وقراءة كتاب الشفاء بالحرم الشريف النبوي، على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٣].

ومن الوثائق التي عنيت بنظام التعليم للأطفال الأيتام ، حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسني[٤]، والمؤرخة في ٢٧ من محرم (سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)[٥]، فمن أوجه الصرف بهذه الوثيقة : الصرف على عشرة أطفال من الأيتام وتأديبهم وتعليمهم وكسوتهم، ونصها: "الصرف على عشرة أيتام يتعلمون القرآن العظيم والخط العربي على عادة أمثالهم في ذلك في غرة كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم النقرة الجيدة أو ما يقوم مقامها من النقود بقيمة الفضة البيضاء معاملة الديار المصرية لكل نفر منهم عشرة دراهم نقرة فضة بيضا"[٦].

كما نصت الوثيقة ضمن أوجه الصرف بها على صرف خمسين درهماً نقرة لكل فرد منهم برسم كسوتهم وتعيين مدرس لهم حافظ لكتاب الله يقوم بتأديبهم وتعليمهم القرآن الكريم والخط العربي[٧] كل يوم من أيام الأسبوع (خلا أيام البطالة الجاري بها العادة بمكة المشرفة) وقد حددت الوثيقة وقت جلوس المؤدب والأيتام من الصباح إلى العصر على أن يختموا يومهم الدراسي بقراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وبداية سورة البقرة وآية الكرسي ويهدون ثواب ذلك للنبي ﷺ وأصحابه ثم للواقف ولأموات المسلمين، وقد حددت الوثيقة أجر المدرس ثلاثين درهماً نقرة من الفضة في كل شهر[٨] كما قررت الوثيقة صرف مائتي درهم نقرة من الفضة كل سنة لرجل عالم بالأصول والفروع الشرعية شافعي المذهب على أن يتصدر في كل يوم من أيام الأسبوع ماعدا أيام الأعياد للاشتغال بتعليم من أراد التعلم بالعلوم الشرعية في الفترة مابين الظهر والعصر في الحرم المكي[٩]، كما عينت الوثيقة أربعة أشخاص يشتغلون بالعلوم الشرعية على مذهب الإمام الشافعي بحرم مكة في كل يوم من أيام الأسبوع، ويصرف لهم مقابل ذلك لكل

---

(١) حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن، رقم الوثيقة (١٠٦) دار الوثائق القومية، سطر رقم ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٢) حجة وقف أبي بكر بن مزهر الأنصاري، المؤرخة في ٨ من صفر سنة ٨٧٩هـ، رقم الوثيقة (١٧٥) محفظة (٢٧) دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) حجة وقف أبي بكر بن مزهر الأنصاري، رقم الوثيقة (١٧٥) دار الوثائق، سطر ٦٤ - ٦٥.

(٤) شاهين بن عبد الله الحسني الطواشي، وفاته سنة ٨١٥هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٩٤، رقم الترجمة ١١٢٤.

(٥) حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسني الطواشي، المؤرخة في ٢٧ من محرم سنة ٨٠٨هـ، رقم الوثيقة (٦٢) رقم المحفظة (١٠) دار الوثائق القومية.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢.

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر رقم ٣٦٣ - ٣٦٤- ٣٦٥.

(٨) حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسني، رقم الوثيقة (٦٢)، دار الوثائق القومية، سطر ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٩) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥.

واحدٍ منهم في كل سنة مائة درهم نقرة من الفضة، كما يصرف مائة درهم نقرة فضة كل سنة لرجل يشتغل بالعلوم الشرعية حنفي المذهب يتصدر للتعليم كسابقيه في كل يوم بالحرم المكي[١].

ويصرف مائة درهم نقرة فضة كل سنة لرجل يشتغل بالعلوم الشرعية على مذهب أبي حنيفة يتصدر للتعليم كسابقيه في كل يوم بالحرم المكي[٢].

كما نصت الوثيقة على صرف مائة درهم نقرة كل سنة على أربعة أشخاص يشتغلون بالعلم الشريف على مذهب الإمام أبي حنيفة بالحرم المكي[٣].

وقد قررت الوثيقة أن يصرف لرجل عالم بالقراءات السبع حافظ لكتاب الله يدرس ويلقن كل يوم من أيام الأسبوع فنون علمه لمن أراد الاشتغال بهذا العلم بالحرم المكي وله في كل سنة مائتا درهم نقرة فضة[٤]. ويصرف لرجل عالم بعلم الفرائض على الحكم والترتيب السابق بالحرم المكي[٥].

كما اشترط الواقف في ختام صرفه على ما خصصه بالحرم المكي بنصه "على أن يبتدي كل متصدر من المذكورين أعلاه قبل الاشتغال بقراءة سورة الإخلاص وسورتي المعوذتين وفاتحة الكتاب وأول سورة البقرة وآية الكرسي، وخواتيمها ويصلون على النبي ﷺ ويهدون ثواب ذلك للواقف ولأموات المسلمين"[٦].

وقرر الواقف ضمن أوجه صرفه فيما يخص المدينة المشرفة : الصرف على عشرة أيتام من المسلمين ومؤدبهم بمقدار مايصرف للأيتام العشرة بمكة المشرفة على الحكم والترتيب السابق[٧].

---

(١) حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسني، رقم الوثيقة (٦٢)، دار الوثائق القومية، سطر ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٣) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٤) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٨١ - ٣٨٢.

(٥) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٦) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٩.

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧.

الفصل الثالث

التنظيمـــــات الإداريـــــــة للوقـــــف
فى الدولة المملوكية للمدينتين المقدستين

أولاً - الأوقاف العامة (الخيرية - الحكمية).

ثانياً - الأوقاف الخاصة (الأهلية - الذريـة).

ثالثـاً - الوقف وتنظيماته والإشراف عليـه.

رابعاً - ديـــوان الأحـــــــباس.

خامساً - تدهـــــور الأوقـــــــاف.

التنظيمات الإدارية للوقف في الدولة المملوكية للمدينتين المقدستين

شهد عصر سلاطين المماليك في مختلف أنشطته ازدهاراً ملحوظاً، يرجع في تطوره إلى العصر الأيوبي الذي كان يمثل مرحلة انتقال بين الفاطميين وارتباط أنظمتهم بالمذهب الشيعي من جانب، والمماليك، وارتباط أنظمتهم الموروثة عن الأيوبيين السنيين من جانب آخر، وتأثر نظام الوقف بهذا التحول، وخاصة أنه نظام متعدد الأغراض، ومرتبط إلى حد كبير بمختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد انعكست آثار هذه المظاهر على نظام الوقف، وغيرت من صورته، إلى درجة كبيرة ، عما كان عليه قبل هذا العصر، لكنها في الوقت نفسه ساعدت على نمو الوقف وازدهاره، ومن يقرأ في مثل هذا الصدد يحق له أن يقرر أن هذا العصر كان يمثل العصر الذهبي لنظام الأوقاف في مصر، فمن لديه ما يوقفه من شيء عيني، أو نقدي كان يتطلع لوقفه لسبب أو لآخر، "لأن الظروف، بل طبيعة العصر كانت تحتم هذا الاتجاه"[١] وانتشار الأوقاف كان مرتبطاً بجوانب ظاهرة في حياة ذلك العصر سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية، وثقافية أو فكرية، وكلها قد أثرت بشكل أو بآخر في نظام الوقف، كما تأثرت هي أيضاً بنظام الوقف.

وبتتبع الجانب السياسي وتأثيره على الوقف ازدهاراً يتبين أن ذلك كان راجعاً إلى علاقة الحاكم بالمحكومين، أو يكمن في العلاقات الداخلية بين أفراد الطبقة الحاكمة ذاتها[٢].

وقد أكثر المماليك من الأوقاف على اختلافها من أملاكهم أو من أملاك بيت المال حتى يقدموا لرعاياهم خدمات عامة، كسبيل الماء العذب، أو خدمات تعليمية مختلفة ، مثل كتاتيب تعليم الأطفال، والمدارس وحاجات الوافدين إليها من دارسين ومدرسين، أو خدمات صحية: كوقفهم على "البيمارستانات" لعلاج المرضى، وتكفين ودفن الموتى الفقراء والمنقطعين، وإطعام الفقراء والمساكين، وكان سلاطين المماليك يتقربون بذلك إلى الله، ويؤدون حق رعاياهم[٣].

وهذا لا ينافي أن نظام الوقف قد حقق للمماليك وأتباعهم غايتهم المنشودة في حماية أملاكهم، وتأمين أموالهم من المصادرات، مما ضمن لهم مورداً اقتصاديّاً من ريع هذه الأوقاف، ظل ثابتا لهم في حياتهم ولأولادهم من بعدهم[٤].

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري، "رسالة دكتوراه، غير مطبوعة، بجامعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٢٣.

(٢) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١١.

(٣) سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٣٣٦، ،ومحمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دراسة تاريخية وثائقية في الفترة من ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/١٢٥٠ - ١٥١٧م، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٧١، ٧٢.

(٤) Lapidus : Muslim cities in the later middle ages "Harvard 1967" p. 74.

وترتب على ما سبق أن انتشر نظام وقف كان مزيجاً من الوقف العام (الحكمي – الخيري)[١]، والوقف الخاص (الأهلي – الذري)[٢].

ومن خلال الدمج بين هذين النوعين انتشر في هذا العصر نظام ثالث كان مزيجاً من الوقف (الأهلي والخيري)، وتظهر هذه الصورة من خلال دراسة حجج، أو وثائق الأوقاف – في تلك الفترة – فقد نصت على أعيان موقوفة من عقارات وأراض يزيد ريع وقفها على الحاجة الفعلية لمصاريف الوقف – وسبق ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة –، وفي هذا الصدد ذُكر أن الواقف في حجة وقفه كان يحدد الرواتب النقدية لأرباب الوظائف من مدرسين، أو قراء، كما يحدد أيضاً الصدقات التي تخرج من ريع وقفه في المناسبات الدينية المختلفة ، كما كانت هذه الحجج تنص على (أن الفاضل)، (أو ما يفضل بعد ذلك)، (أو الفاضل بعد انقراض الذرية العتقاء)، يصرف في الوجه المنصوص عليه. ومما يدل على ذلك ما ورد في حجة وقف السلطان برسباي، حيث جاء فيها: "ومهما فضل بعد ذلك من الريع يتناوله السلطان الواقف المشار إليه لنفسه الشريفة أيام حياته، ثم من بعده يكون هذا الفاضل لمن يوجد من أولاد الواقف المشار إليه، وأولاده وذريته ونسله وعقبه من الذكور، والإناث من أولاد الظهر وأولاد البطن..." [٣].

وجـــاء مثـــل ذلك في كثير من الوثائق، كوثيقـــــة السلطان قايتبـــاي [٤] ، والسلطان

---

(١) **الوقف العام(الخيري ــ الحكمي)**: هو الوقف على جهات البر والخير، كالوقف على الأرامل اللاتي يستحققن غلة هذا الوقف، واليتامى الفقراء دون الأغنياء، وإذا انقرض اليتامى كانت غلة الوقف لفقراء المسلمين عموما من مساكين وعاجزين ومنقطعين، ويتناول أيضا الوقف على المساجد، والعلماء، والطلاب، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني، المعروف بالخصاف (ت ٢٦١هـــ). أحكام الأوقاف ط ١، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، ١٣٢٢هـــ/١٩٠٤م ص ٣٢٤، وبيان من علماء الأزهر الشريف، حكم الشريعة في الوقف الخيري والوقـــــف الخاص (الأهلي)، ص ٥، وطلال عمر بافقيه، الوقف الأهلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط ١، جدة، ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م، ص ٥٩.

(٢) **الوقف الخاص (الأهلي – الذري)** هو ما كان نفعه خاصّاً منحصراً على ذرية الواقف، ومن بعدهم على أي جهة من جهات البر الدائمة التي لا تنقطع، وهذا الوقف فيه نفع دائم يستمر لأولاد الواقف وأحفاده طبقة بعد أخرى، وجيلاً بعد جيل على مر الزمان يدر عليهم من مغلاته السنوية، أو الشهرية، وذلك بفضل بقائها محبسة، وحمايتها من بيعها، وتبديد ثمنها، طلال عمر بافقيه، الوقف الأهلي، ص ٥٩.

(٣) **المقصود (بالفاضل)** أو (ما يفضل)، أو (مهما فضل) المبالغ التي تبقى من ريع العقارات الموقوفة بعد الصرف على ما خصصه الواقف كدفع مرتبات أرباب الطوائف ونحوها طبقاً لشرط الواقف، حجة وقف السلطان برسباي المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـــ/١٤٢٣م، برقم (٨٨٠) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق وحجج في نهاية هذه الدراسة

(٤) وثيقة السلطان قايتباي مؤرخة في ١٥ من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـــ/١٤٨٩م برقم (٨٩٠) أوقاف ، قام بنشرها حسني نويصر في ملاحق رسالته للدكتوراه ، بعنوان منشآت السلطان قايتباي الإسلامية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

الغوري[١].

ويتضح من هذه الوثائق وغيرها - التي سبق الحديث عنها، والتي ستتناولها الدراسة في الفصل الرابع - أن الغرض من النظام الذي انتشر في هذا العصر هو تحصين الأموال من المصادرات حيث إن الواقفين لم يكتفوا بتحصين أموالهم عن طريق الوقف الخاص (الأهلي - الذري)، بل عملوا جاهدين على قصر هذا الوقف بشكل أو بآخر على أنفسهم وأولادهم، ثم يؤول ريع الوقف إلى أوجه البر والخير (الوقف العام الخيري) المخصص على مسجد، أو مدرسة، أو غير ذلك، وهذه حقيقة مؤكدة من خلال دراسة حجج الأوقاف المتعاقبة للسلاطين أو الأمراء أو الأعيان ، وعلى سبيل المثال: كان من أوجه صرف ريع وقف برسباي الصرف على مصالح الحرمين الشريفين، ومن ريع وقفه أيضاً: الصرف على مبرات خيرية بمصر، وبعد أن وقف هذا السلطان على المسجد الذي أنشأه (المسجد الأشرفي)، حدد لأرباب الوظائف مرتباتهم، وما يفضل كان له مدة حياته، ولمن يوجد من أولاده بعد موته، وهذا - كما فهم من شرط الواقف أن يعود عليه فائض الريع -، كان كافياً لسد مصاريف المسجد - حسب تحديد الواقف - بل هناك فائض يتناوله الواقف بعد ذلك، لكننا نجده يوقف بعد ذلك في ذي القعدة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م جميع أراضي ناحية بشاكس بالغربية، ثم ريع مزرعة سنديون بالقليوبية، ثم ١٥٠ فداناً بناحية بشتيل وغيرها من الأوقاف التي أضافها إلى وقفه الأول وبالشروط نفسها، ويترتب على ذلك أن ريع أوقافه التالية لوقفه الأول كان زائدا على حاجة مصاريف الوقف أي أنها كانت وقفاً خاصّاً (أهليّا - ذريّا) استتر خلف وقف المسجد، و الشيء نفسه فعله برسباي لباقي أوقافه[٢].

ولم يكتف السلطان برسباي بما قام به، لكنه أدخل تعديلات على مصارف وقفه، ذكر في بعضها أن فائض الريع من أوقاف الجامع الأشرفي يصرف على احتياجات بناته على عادة أمثالهن، وبعد ذلك يعمل على زيادة ريع أوقافه، فينص على صرف الفائض في شراء عقار، ثم ينص على ضم فائض ريع أوقافه إلى بعضه ليشتري به عقاراً: نصفه يوقف على الجامع الأشرفي، والآخر على الذرية[٣].

ويظهر مما سبق أن هذا الوقف كان تحصيناً للممتلكات من المصادرة.

وأدى التحايل بتخفّي الوقف الخاص (الأهلي - الذري) وراء الوقف العام (الخيري - الحكمي) إلى تحقيق الغرض منه إلا في حالات نادرة، أما محاولات حل الأوقاف، فلم يكتب لها النجاح حتى في الحالات

---

(١) وثيقة قانصوه الغوري مؤرخة في محرم سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م برقم (٨٨٤) أوقاف،قام بنشرها عبد اللطيف ابراهيم في ملاحق رسالته للدكتوراه دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغورى ، جامعة القاهرة، كلية الآداب- ١٩٥٦م ، انظر جدول فهرس الوثائق وحجج في نهاية هذه الدراسة.

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم (٨٨٠) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة ، وملخص هذه الوثيقة بدار الكتب المصرية برقم (٣٣٩٠) تاريخ، والمنشور ضمن مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، عام ١٩٦٣م.

(٣) حجة وقف السلطان برسباي رقم (٨٨٠) أوقاف.

التي أراد فيها بعض السلاطين أن يتركوا من الأوقاف ما يكفي للقيام بالشعائر الدينية وبعد ذلك يستولون على الفائض، لأنهم ووجهوا برفض شديد من بعض القضاة والفقهاء[١].

ومما يؤكد ما ذكر ما نصت عليه كثير من وثائق الوقف، التي اشترط الواقف فيها على الناظر ألا يستبدل شيئاً من الوقف، ولو بلغ من الخراب ما بلغ "وإن فعل الناظر ذلك كان معزولا، وإن وافقه القاضي كان ملعوناً، وإن حاول ذلك أحد من أرباب الوظائف عزل وإن كان مستحقّاً حرم"[٢].

ومما نصت عليه الوثائق اشتراط الواقف على ناظر الوقف بتعهد كتاب الوقف في كل عشر سنين بالإثبات والتنفيذ لدى قضاة القضاة[٣]، بل اشترط بعض الواقفين أن يكون من أصحاب الوظائف بالوقف "موقع" أي يتولى وظيفة التوقيع، ويشترط فيه أن يكون أميناً عادلاً عارفاً بأمر المكاتيب العامة (الحكمية)، وأن يتعاهد كتاب الوقف عند القضاة الحكام ذوي المذاهب تعاهداً يقضي له بحفظ الأصول على الدوام، مقابل ما يصرف له بالإضافة إلى راتبه الشهري من ثمن ورق، وحبر، وأجرة كاتب[٤]، ولم يكتف السلاطين وأمراؤهم بذلك، بل عمل بعضهم على تأكيد ما وقف، فنقش ملخصاً لكتاب وقفه على الحجر أو الخشب، وذلك بداخل المنشآت التي وقفوها، ومن أبرزها بعض وقفيات السلطان قايتباي على أهالي المدينة النبوية، المنقوشة على واجهة الوكالة بالقرب من باب النصر[٥]، ولبعض أوقاف السلطان برسباي نقش على الحجر بمدرسته الأشرفية بالقاهرة، وعلى واجهة الخانقاه الملحقة بمدفنه[٦].

ولجأ بعض الواقفين إلى الإكثار من الشهود على كتاب وقفه[٧]، ولضمان استمرار أوقافهم جعلوا النظر عليها للسلطـــان، أو لكبار الأمراء، مقابل معلوم محدد، ولو بالمشاركة مع أفراد ذريتهم، أو عتقائهم[٨]، وإبقاء على عين الوقف، نصت كل الوثائق على أن يبدأ الناظر بالصرف على عمارة الأعيان الموقوفة، ولو صرف معظم

---

(١) محمد محمد أمين، الأوقاف، ص ٨٢.

(٢) وثيقة وقف طقطباي بن عبد الله العلائي رقم (١٠٢٠) بأرشيف وزارة الأوقاف. ومن الأمثلة أيضاً ما جاء بإحدى الوثائق "وليس لغيره أن يستبدل ذلك، ولا شيئاً منه، فإن خالف غيره ذلك واستبدل شيئاً من ذلك، أو قصد ذلك، أو تحيل فيه بطريق من الطرق، فإن كان ناظراً كان معزولاً من النظر عن ذلك قبل ذلك بشهر، أو مستحقّا كان ممنوعاً من الاستحقاق من ذلك قبل شهر، فقد تعاطيه ذلك ختم ذلك وتم ونفذ حكمه وانبرم، وصار وقفاً محرماً بحرمات الله الأكيدة، مدفوعاً عنه بقوته الشديدة..."، وثيقة وقف الأمير يشبك من مهدي الدويدار، رقم (١٨٨) محفظة (٢٨) بالمحكمة و (٦٦ج) أوقاف - سطر ١٨١ وما بعده، نشر ودراسة وتحقيق: عبد اللطيف إبراهيم، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم - العدد الثاني - ١٩٧١م (طبعة القاهرة، ١٩٧٢م) ص ٦٩.

(٣) وثيقة وقف السلطان برسباي، رقم (٨٨٠) أوقاف، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨.

(٤) وثيقة وقف السلطان برسباي، رقم الوثيقة (٨٨٠ق) أوقاف، سطر رقم ١٩٥، ووثيقة وقف السلطان جقمق، رقم (٩٧) محفظة (١٥) دار الوثائق القومية، وكان من اختصاص (الموقع) أيضاً الحضور عند حدوث أي منازعة بين المستحقين أو غيرهم خاصة بالوقف، أو ريعه، لينبه على مقاصد الوقف وأغراضه وغير ذلك مما فيه مصلحة الوقف - وثيقة برسباي السابقة سطر رقم ٢١٠، ووثيقة وقف قايتباي رقم (٨٨٦ق) أوقاف سطر رقم ١٣٠ - ١٣١، وعبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية، تحقيق رقم ٦٨٤.

(٥) نص كتاب الوقف على وكالة قايتباي، انظره في حسن قاسم، المزارات الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٦) حسن عبد الوهاب، المساجد الأثرية، ج٢، ص ١٣١.

(٧) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٦٩

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣ ق ٢ ص ٥٢٦، ص ٥٣٦، وابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٧٣، ٤٥٤.

الريع، حتى لو أدى ذلك إلى قطع رواتب المستحقين وأرباب الوظائف إلا المؤذنين والإمام الخطيب[١]،وحرص الواقفون أيضاً على تأكيد الوقف بتأبيده، وذلك ما تضمنته كافة وثائق الأوقاف[٢].

ويضاف إلى جملة العوامل التي ساعدت على انتشار الأوقاف في هذا العصر: طبيعة الحياة الدينية، وليس هناك أقوى من المشاعر الدينية التي استغلها المماليك الذين اتخذوا من الدين ورجاله ستاراً يخفي حقيقة شعورهم باغتصاب الحكم، ويقربهم إلى قلوب الشعب، ومما يدل على ذلك ابن تغري بردي عند حديثه عن سلطنة جقمق، معقباً على تجديد السلطان لبعض مساجد القاهرة بقوله: "... لما كانت الملوك السابقة تهوى التنزه والترف عمرت في أيامهم بولاق، وبركة الرطلى وغيرهما... إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق، وسار في سلطنته على قدر هائل من العبادة والعفة... فعند ذلك تاب أكثرهم، وتصولح وتزاهد، وصار كل أحد منهم يتقرب إلى خاطره بنوع من أنواع المعروف، فمنهم من صار يكثر من الحج، ومنهم من تاب وأقلع عما كان فيه، ومنهم من بنى المساجد والجوامع"[٣].

وقد جنى السلاطين وأمراؤهم ثروات كبيرة أساسها النظام الإقطاعي[٤] من جانب، والنشاط التجاري من جانب آخر، وحفاظاً على هذه الثروات لأنفسهم وأولادهم عملوا على تحصينها ضد المصادرة، واتجاههم إلى نظام الوقف يبين أنهم كانوا مدفوعين بعوامل سياسية، وأحاسيس دينية، لا جدال في هذا، فأكثر سلاطين المماليك أوقافاً كان السلطان برسباي الذي اشتهر باحتكاراته التجارية، وتعسفه في جمع المال - كما سبق - فكُتُبُ وقفه زادت على ثمانية عشر كتاباً[٥]، وما يقال عن برسباي يقال عن غيره كالسلطان قايتباي، والسلطان الغوري[٦]، وقد بلغت وثائق وقفه أكثر من مائتي وثيقة[٧]، على الرغم مما عانته البلاد في عهده من فقر.

---

(١) وثيقة وقف جوهر اللالا، رقم (١٠٢١) أوقاف، ووثيقة وقف السلطان حسن بن السلطان محمد رقم (٨٨١) أوقاف، ص ٤٧١، ووثيقة وقف السلطان برسباي، رقم (٨٨٠) أوقاف، ص ٢٥٨.

(٢) مثال ذلك نص في وثيقة وقف السلطان الغوري رقم (٨٨٣ق) أوقاف سطر ١٣٧٧ - ١٣٨٠، دراسة وتحقيق عبد اللطيف إبراهيم وقد جاء ضمن هذه السطور عن الوقف أن يكون "وقفاً صحيحاً شرعيّاً مؤبدا، وحبساً صريحاً سبله الله تعالى دائماً لا يباع، ولا يوهب، ولا يورث، ولا يناقل به، ولا بشيء منه قائماً على أصوله، محفوظاً على تمام شروطه، مسبلاً في جهاته، مصروفاً ريعه في مصارفه الآتي ذكرها، وبيانها فيه أبد الآبدين، ودهر الداهرين، حتى يرث الله سبحانه وتعالى الأرض وما عليها وهو خير الوارثين...".

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١١٨ - ١١٩.

(٤) سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٢١.

(٥) وثيقة وقف السلطان برسباي رقم (٨٨٠) أوقاف.

(٦) بمراجعة سجل حسابات أوقاف المساجد وغيرها بالمحروسة، وبولاق، ومصر القديمة، عن عام ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، وهو أقدم سجلات وزارة الأوقاف "أنشئ ديوان الأوقاف سنة ١٨٣٥م": تبين أن أكثر أوقاف سلاطين المماليك ربما هي أوقاف كل من السلطان قايتباي، والسلطان برسباي، والسلطان الغوري، وبلغ ريع أوقاف السلطان قايتباي في السنة المذكورة على منشآته بالقاهرة ١٩,٧٩٥جنيه، و٢٧ مليماً، أما ريع أوقاف السلطان برسباي فبلغ ٢٤,٢٩٧ جنيه، ومليمين اثنين، وبلغ ريع أوقاف السلطان الغوري ٣٢,٨٥٨ جنيها، و ١٢ مليماً، انظر السجل المذكور، الصفحات من ٢٤٤ - ٢٥٠، ومن ٢٠١ - ٢٠٨، ومن ٢٠٨ - ٢٢٣، د/ محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دراسة تاريخية وثائقية، ص ٩١ هامش ٤.

(٧) يبلغ عدد وثائق وقف السلطان الغوري المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ٢٩٠ وثيقة وقف، بعضها صور مكررة، أكبرها الوثيقة رقم (٨٨٣) أوقاف، وهي وثيقة جامعة، قام بدراستها وتحقيقها عبد اللطيف إبراهيم، انظر دراسات تاريخية وأثرية في وثائق عن عصر السلطان الغوري، ص ١١، ومحمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر المماليك، من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٨٠م.

ومن العوامل الاقتصادية التي شجعت الواقفين: إعفاء ما وقفوه من الخراج والضرائب، فالأصل أن الأموال الموقوفة في سبيل الله لا زكاة عليها، والوقف صدقة، ومصاريف الزكاة وأموال بيت المال إنما توضع في مثل الموقوف عليهم ريع الوقف، سواء كانوا من الفقراء أو المساكين، أو من العلماء وطلبة العلم، وكثيراً ما يقع الضرر على المستفيدين من هذه الأوقاف إذا فرضت مبالغ عليها لسد حاجة البلاد خاصة في أوقات الأزمات[١].

وكانت هناك نظم مالية تساعد بطريق غير مباشر على انتشار هذه الأوقاف، ومنها: ديوان المواريث الحشرية، وكانت تؤول إليه تركة المتوفى بلا وارث بعد أن تؤخذ منها وصيته إن كانت له وصية ونفقات دفنه وما يوفي ديونه[٢]، وقد استولى هذا الديوان أحياناً على التركات على الرغم من وجود الورثة[٣].

وتخلصاً مما كان يجري بهذا الديوان، لجأ أكثر الناس ممن لا وارث لهم أو ممن ورثتهم لا يستحقون كل التركة، إلى وقف أملاكهم على أنفسهم ومن بعدهم على عتقائهم، حتى لا تذهب أموالهم إلى ديوان المواريث الحشرية، وازدهرت الأوقاف عن طريق المنافسة بين السلاطين والأمراء على إنشاء العمائر التي تضم الأسبلة، والمساجد، والمدارس، والربط، ورصدوا عليها أوقافهم، وتباهوا بما أنشأوه، في احتفالات عظيمة بمناسبة افتتاح هذه المنشآت[٤].

ويضاف إلى أسباب ازدهار الأوقاف: إنعام بعض السلاطين على أمرائهم، فقد وفر السلطان الملك الناصر محمد إقطاعات الأجناد على الحكور[٥] سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، وأنعم بها على الأمير الطنبغا الماردياني وقفاً على جامعه خارج باب زويلة، وعلى الأمير بشتاك لوقفه على جامعه المطل على بركة الفيل[٦].

وازدادت الأوقاف كثرة في أواخر هذه الفترة، عندما أوشك نجم هذه الدولة على الأفول، ففي ظل هذه

---

(١) ابن سلام، الأموال، ص ٤٩٥ - ٤٩٦، والسيوطي، الانتصاف في تمييز الأوقاف، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٣٢، مجاميع ميكروفيلم رقم ٥٠٩٩، ٤٥٥٥ ورقة ٣٦١أ، ٣٦١ ب، والصفطي، عطية الرحمن، ص ٢٣ - ٢٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٣.

(٢) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٩، ٣٢٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٤، وعاشور، العصر المماليكي، ص ٣٦٦.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٢٥٤، وساق المقريزي في هذا الصدد أن صدر الدين الطيبي ناظر ديوان المواريث في عهد الناصر محمد قد التزم بحمل الأموال إلى النشو ناظر الخاص، ومن أجل ذلك احتاط الطيبي على أموال التركات، و لم يعط الورثة منها شيئاً، فإن كان للمورث جاه، وله ولد معروف ألزمه بإثبات نسبه من الميت، واستحقاقه الميراث، فلو أثبت ذلك أحاله على ما يتحصل من المواريث، ويماطلونه بذلك فترة، وأخيراً لا ينال هذا الميراث، قال المقريزي في هذا: ".. فصارت التركة تنهب بحضرة الوارث، ولا يجد سبيلاً إليها". السلوك، ج٢ ق ١، ص ٤٣٥ - ٤٣٦، ومحمد محمد أمين، الأوقاف، ص ٩٣.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٤٠١.

(٥) **الأحكار**: أجرة مقررة على ساحات داثرة، أو كانت داثرة حين استئجارها، وعمرت مساكن وبساتين، وظلت في أيدي مستأجريها، على أن يدفعوا الأجر المقرر لها منذ بادئ الأمر، وكانت هذه الأحكار ضمن الأموال الهلالية التي تجمع للديوان السلطاني، ثم أبطلت من هذا الديوان، فأصبحت أوقافاً على جهات متعددة، ويبدو أن ذلك بدأ من عهد الناصر محمد، ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣٥٧، والمقريزي، الخطط، ج١، ص ١٠٧، ١١٠، والسلوك، ج٢، ق ٢، ص ٥١٨، حاشية ٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق ، ص ٥١٨.

الاضطرابات أراد الناس أن يؤمنوا ما يملكون، فكانوا إذا ما اشتروا ما يصح وقفه حبسوه على أنفسهم، وأولادهم[١]، ومما يؤكد ذلك مااشتراه السلطان العادل طومان باي من أرض في ١٣ من رمضان سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، ثم وقفها في ٢٦ من رمضان في السنة نفسها، قبل عزله من السلطنة بأربعة أيام[٢].

وقام السلطان الغوري بتحرير بعض وثائق في يوم ١٧، ١٨ من ربيع الثاني سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[٣]، وذلك في معسكره بالريدانية، وهو في طريقه لمقابلة جيوش السلطان سليم بحلب، وتخاذل الأمير طقطباي بن عبد الله عن قتال العثمانيين متعللاً بمرضه، وهو يعمل على تنفيذ كتاب وقفه والإشهاد عليه في الريدانية في أحْرج الأوقات التي كانت تمر بها الدولة[٤].

ولم تنته هذه الفترة إلا كان ما يقارب نصف أراضي مصر أوقافاً ، بحيث كان نسبتها عند دخول العثمانيين إليها حوالي عشرة قراريط من ٢٤ قيراطاً، إلى جانب مباني القاهرة والفسطاط التي كان أكثرها أوقافاً[٥].

أما عن الحكم الفقهي في صحة وقف المنقول شرعاً، فالقياس يقتضي عدم صحته لأنه لا يتأبد، وشرط الوقف التأبيد[٦].

وقد رأى أبوحنيفة عدم جواز وقفه لفقد شرط التأبيد، وسار على نهجه أبو يوسف، إلا ما أعد للجهاد كالسلاح والكراع[٧].

لكن الشافعي، ومالكا، وابن حنبل أجازوا " ...وقف كل ما أمكن الانتفاع به مع بقاء أصله، ..."[٨].

فعلى قول الأئمة الثلاثة: كل شيء يمكن الانتفاع به مع بقاء أصله، أو ما تعارف أهل البلد على وقفه

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية، ص ١٢٣، ومحمد محمد أمين، الأوقاف، ص ٩٨.

(٢) وثيقة وقف العادل طومان باي بدار الكتب رقم ٢١٠٠ تاريخ، ومحمد محمد أمين، الأوقاف، ص ٩٨.

(٣) من وثائق وقف السلطان الغوري رقم ٥٠٠ - ٥٠٢ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٩ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤، مؤرخة في ١٧ من ربيع الآخر سنة ٩٢٢هـ، والوثيقة رقم ٥٥٠ مؤرخة في ١٨ من ربيع الآخر سنة ٩٢٢، وثائق بأرشيف وزارة الأوقاف (جديد)، انظر بقية وثائق السلطان الغوري في هذين التاريخين في محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة.

(٤) وثيقة وقف طقطباي بن عبد الله العلائي، رقم الوثيقة (١٠٢٠) أوقاف.

(٥) الإسحاقي، لطائف أخبار الأول، ص ١٢٨، وذلك على أساس أن أراضي مصر المستغلة تقسم عادة إلى أربعة وعشرين قيراطاً، فعلى ذلك تكون المساحة الموقوفة تقترب من نصف مساحة الأراضي المستغلة، عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٧ - ٣٤٨، ومحمد محمد أمين، ص ٩٨ وهامش ٥.

(٦) عشوب، الوقف، ص ٤٧، ومحمد محمد أمين، الأوقاف، ص ٩٩.

(٧) المراد بالسلاح كل آلة تستعمل في الحروب، والمراد بالكراع كل ما يحمله، أو يركب عليه ويساعد في الحرب، وإن كان في الأصل اسماً للخيل، عشوب، كتاب الوقف، ص ٤٧.

(٨) قاضي زاده، نتائج الأفكار، ج٥، ص ٥١، ومحمد محمد أمين،الأوقاف، ص ١٠٠.

يكون جائزاً، بل زاد العلماء في التسهيل على الناس، فأفتوا بأن المتعارف على وقفه في أي جهة من بلاد المسلمين يجوز وقفه في أي مكان آخر بها، لأن البلاد الإسلامية كلها وحدة واحـــــدة[١]، وعلى الرغم من اتساع الآراء للتوسعة على الواقفين، فإن الخلاف كان كبيراً في وقف النقود (الدراهم والدنانيـــر المتداولة في تلك الفترة)[٢]، وذلك يعود إلى اتصالها بالربا المحرم في الإسلام، وقد أجاز ذلك بعض العلماء على أن يتاجر بها، ويصرف ريعها حسب شرط الواقف[٣].

بل أجيز وقف الحيوانات، كوقف بقرة رباط وما تدره من لبن ومشتقاته لأبناء السبيل فيه[٤].

ومما ينبغي لفت النظر إليه، أنه قد ترتب على ازدهار الأوقاف في تلك الفتـــرة تنوع الموقوف، والموقوف عليه، وكان من أهم ما وقف في هذا العصر: الأراضي الزراعية، والعقارات، التـــي شملت: المدارس، والقصور، والدور، والفنادق، والقيسارية [٥]، والربط، والخانات، والسبل، وأحواض الدواب، ومعاصـــر الزيت، والحمامات، والطواحين، والأفران، ومخازن الغلال، ومعامل ترقيد الفرّوج، وغيرها مما ورد، وما سيـــرد في وثائق الواقفين.

ومن خلال هذه الوثائق يتضح أن كل ما يمكن أن يدر دخلاً يمكن وقفه، عدا الضرائب والخراج[٦].

ولم يكن الأمر مقصوراً على مايدر دخلاً ، بل هناك من وقف عبيده بناء على ما أجازه الفقهـــــاء من وقف الرقيق إذا كانوا يعملون في ضيعة، وبعد ذلك وقفها صاحبها بمن فيها منهم، وذكر أسماءهم، على أســـاس أن الرقيق تابعون للأرض[٧].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأعمال التي خصصها الواقف لعبيده كانت هي بعينها التي على الأحرار في الأوقاف الأخرى، وأجور العبيد مثل باقي الموظفين في الوقف نفسه بل كانت تزيد أحياناً[٨].

ومن المعلوم أن ريع الوقف كان يؤول للواقف وذريته إذا كان أهلياً أما إذا كان خيرياً فيؤول إلى أصحاب الوظائف، أو طلبة العلم وغيرهم، وربما صرف هذا الريع على احتياجات المبرات الخيرية كالمدرسة

---

(١) العمادي، رسالة في وقف المنقول، ورقة ٧.

(٢) محمد محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٠.

(٣) ابن عابدين، رد المحتار، ج٣، ص ٣٨٥ - ٣٨٦، والطرابلسي، الإسعاف، ص ٢٥.

(٤) ابن عابدين، رد المحتار، ج ٣، ص ٣٨٦، والعمادي، رسالة في وقف المنقول، ص ٦.

(٥) **القيسارية:** هي الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٢٦.

(٦) معظم وثائق الوقف المملوكية، المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٢٠، وعبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخيه، ص ١٣٤ - ١٣٥، انظر محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة .

(٧) محمد محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠١.

(٨) السرخسي، المبسوط، ج١٢، ص ٤٥، ومحمد محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠١، ثم حدث بناء على فتوى جواز وقف الرقيق أن قام البعض بوقف عبيده لخدمة مسجده، أو مدرسته، ففي وثيقة ترجع إلى السنوات الأولى من الفتح العثماني لمصر نجد الواقف سليمان باشا يقف ستة من عبيده للعمل في خدمة المسجد الذي شيده فوق قبر سارية الجبل بالقاهرة، وحدد الواقف أعمال هؤلاء العبيد في التنظيف، وخصص لهم أجراً من ريع الوقف، وعند هربهم، أو تكاسلهم حدد عقابهم، وثيقة وقف سليمان باشا برقم (١٠٧٤) أوقاف، يرجع تاريخها إلى أول رجب سنة ٩٣٦هـــ، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤.محمد أمين ، الأوقاف، ص١٠١، حاشية (٤).

والسبيل، وفي مثل هذه الحالة يؤول ريع الوقف إلى الفقراء والمساكين[١].

ومن اللافت للنظر أنه جدّت أغراض أملتها طبيعة هذا العصر، زاد الوقف عليها بدرجة ملحوظة، فعلى سبيل المثال ترتب على انتشار الأوبئة والطواعين أحياناً في تلك الفترة أن كثرت الأوقاف لتغسيل الفقراء من المسلمين، وما يلزم تكفينهم ودفنهم، ومن أشهر ما وقف في هذا الصدد، وقف الطرحاء[٢] الذي أنشأه الظاهر بيبرس[٣]، وكثيراً ما صنعت التوابيت، ووقفت على نقل الموتى[٤]، وكثيراً ما كانت تتجلى هذه الأوقاف في وقت انتشار الأمراض والطواعين[٥].

وفيما يلي تفصيل الحديث عن الأوقاف العامة، وأمثلة لها.

أولاً - الأوقاف العامة (الخيرية - الحكمية):

وتشمل الأوقاف الخيرية على الحرمين الشريفين والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية بالمدينتين المقدستين وتضم في ثناياها كل الأوقاف الخيرية التي تخص كل مصالح الحرمين الشريفين إصلاحاً وعمارة وترميماً، وكسوة الكعبة بحرم مكة المكرمة، وكسوة الحجرة النبوية بحرم رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، وأيضاً الصرف على من بالحرمين من أهاليهما، والمجاورين بهما، والوافدين إليهما، ويتسع الصرف ليعم كل وجه من أوجه البر بالمدينتين المقدستين، وهذه الأوقاف في مجملها كانت خاضعة لإشراف قاضي القضاة[٦] الشافعي، وذلك منذ عهد الظاهر بيبرس، واستمرت في ظل التنظيم الجديد للقضاء والأوقاف

---

(١) بعد أن عدل سليمان باشا في وثيقته مرتين، زاد استحقاق العبد حتى أصبح مساوياً لمرتب ناظر الوقف، ولبعض الوظائف الأخرى، وأصبحت وثيقة الوقف تتضمن ثلاث وثائق، الوثيقة الأصلية، ثم التعديل الأول، ثم التعديل الثاني، تاريخه رجب ٩٧٩هـ، وثيقة وقف سليمان باشا برقم (١٠٧٤) أوقاف، ومحمد محمد أمين، المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٢) **الطرحاء**: جمع طريح، وهو المتروك المهمل، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٦٦ حاشية ٦.

(٣) محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٤) المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٦٣٨.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٦٥٥.

(٦) **قاضي القضاة**: هذه الوظيفة وجدت ضمن كتابات على بعض الآثار العربية، وهي في لفظها مشتقة من وظيفة القاضي، وتعني رئيس القضاة، وأول من أطلق عليه لقب قاضي القضاة هو أبويوسف يعقوب بن إبراهيم (١٨٢هـ/٧٩٨م) وهو تلميذ أبي حنيفة، وصاحب كتاب الخراج، وأحد أقطاب المذهب الحنفي، وأطلق عليه لقب قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد الذي كان يقدره كثيراً، ومنذ ذلك الوقت صار لقب قاضي القضاة يطلق على كبير القضاة، وكان مقره عاصمة الخلافة العباسية، وصار منذ القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي يقوم بتعيين القضاة في سائر الولايات مع أنه قبل ذلك كان تعيين القضاة في الولايات من حق الولاة، وكان لقاضي القضاة أيضا حق الإشراف عليهم ومراقبتهم، وكان يخول له النظر في أمور اليتامى وأملاكهم وأموالهم، والوقوف الجارية، والاستخلاف فيما نأى عنه من البلاد، وتسليم ديوان القضاء، ومراعاة أمر الحسبة، وعيار المكاييل والموازين، واتخاذ كاتب، وحاجب، وكانت وظيفة قاضي القضاة في الدولة الفاطمية، من الوظائف الدينية، واعتبر من أجلّ الموظفين الدينيين في الدولة الأيوبية، وفي العصر المملوكي كانت وظيفته أكبر وظيفة دينية في الدولة، وكان لصاحبها مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف، وكان المتحدث في الأحكام الشرعية، ويتولى تنفيذ قضاياها، والفصل بين الخصوم، وتعيين النواب من القضاة للتحدث فيما صعب عليه مباشرته بنفسه، وكان يسند إليه النظر في حال الأيتام والأوقاف، والتحدث فيما يقتضيه مذهبه، وأحياناً كان يضاف إليه نظر الجيش، ولم يكن بمصر قاضي قضاة واحد في عصر المماليك، بل صار يعين فيها وحدها أربعة قضاة للمذاهب الأربعة، ونشأ نظام قضاة القضاة الأربعة في عهد الظاهر بيبرس، ثم استقر في عهد المنصور قلاوون، على أن قاضي القضاة الشافعي يستقل بتولية النواب دون غيره من قضاة المذاهب الأخرى وكان أجلّ قضاة القضاة في العصر المملوكي: الشافعي، ثم الحنفي، ثم المالكي، ثم الحنبلي، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص ٢٥٥ - ٢٥٦، ج ١٠، ص ٢٦٤ - ٢٧٦، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣١٣، والباشا، الفنون، ج٢، ص ٨٦٧ - ٨٧٥.

واستبقاها، تحت يده ، ميزة من مميزات قاضي القضاة الشافعي المذكور[١].

وكان قاضي القضاة يقوم بتعيين اثنين من نوابه، أحدهما لنظارة الأوقاف بالقاهرة، والآخر لأوقاف مصر، وكان لكل من أوقاف البلدين ديوان ألحق به سائر موظفيه من الكتاب، والجباة، وأحياناً كان يعين ناظرا في كل من هذين الديوانين[٢].

وقد كثرت الأوقاف العامة (الخيرية - الحكمية) وبلغت مبلغاً كبيراً، وخصص الواقفون أموالاً كثيرة في كل سنة للصرف على حرمي مكة والمدينة، وكل ما يخص مصالحهما، ومن بهما من المقيمين والمجاورين والوافدين إليهما، وهذه الأموال كانت ترسل من مصر من قبل قاضي القضاة، الذي كان يختار لحملها من يثق به، ويطمئن إلى أمانته، وتفرق هناك صرراً، وفضلاً عن مصالح الحرمين الشريفين، فقد كفلت هذه الأموال حاجة الفقراء والمساكين، كما كان يصرف منها على طلبة العلم، الذين صرف عليهم الكثير في المدينتين المقدستين[٣].

---

(١) عندما عين السلطان القضاة الأربعة الذين كانوا يمثلون المذاهب السنية الأربعة المشهورة كان لقاضي القضاة الشافعي مكانة ممتازة اختص بها دون غيره، كلبس الطرحة في المواكب، ولايخطب ولا يصلي بالسلطان غيره، إضافة إلى مهامه الأخرى، كالنظر في الأوقاف العامة، ومال الأيتام، والقضايا المتعلقة ببيت المال، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٤ - ٣٦، ج٦، ص ٤٧، ج١، ص ١٧٤، وسعيد عاشور، الظاهر بيبرس، ص ١٤٨، والعصر المماليكي، ص ٣٦٦، ومحمد محمد أمين، الأوقاف، ص ١١٣، وهامشها (١).

(٢) أفاد جمهور الفقهاء أنه إذا مات الواقف، ولم يجعل قيما بعده على وقفه، أو جعل، ومات ذلك القيم، ولم يوص في مرض موته، ولم يوجد من يستحق الولاية بعده حسب شرط الواقف، فإن الولاية تنتقل إلى القاضي، عشوب، كتاب الوقف، ص ١٠٠.

(٣) حجة وقف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، المؤرخة في ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ، رقم الوثيقة (٣٠) محفظة (٥)، دار الوثائق، وهذه الوثيقة نشرها محمد محمد أمين في ملاحق كتاب تذكرة البينة ،لابن حبيب الحلبي ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٦م ، وحجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ، رقم الوثيقة (٤٢) محفظة (٦)، دار الوثائق، وحجة وقف السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم ٨١٢هـ، رقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١)، دار الوثائق القومية، وحجة وقف السلطان الغوري، المؤرخة في ٢٦ من محرم ٩٠٩هـ، رقم الوثيقة (٨٨٢) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة، والمقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٩٥.

وعن مصالح الحرمين الشريفين، فقد اشترى السلطان الملك الصالح بن الناصر قلاوون من بيت المال قرية بيسوس وسندبيس، ووقفها على كسوة الكعبة الشريفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي مرة كل خمس سنين، انظر وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم (٨٨٥) أوقاف، ووثيقة وقف المؤيد شيخ رقم (٩٣٨) أوقاف، ووثيقة وقف السلطان برسباي رقم (٨٨) أوقاف، كما وقف الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد من بيت المال عام ٧٤٥هـ/١٣٥٣م ثلثي قرية سندبيس، وسردوس على كسوة الكعبة، وعلى ستة عشر خادماً برسم خدمة الحجرة النبوية، وفي عام (٨٢٠هـ/١٤١٧م) كسا الكعبة السلطان المؤيد شيخ لضعف مايرد من ريع وقفها،

=

وعن أموال هذه الأوقاف، ذكر ابن ظهيرة في كتابه "روضة الأديب ونزهة الأريب"[١] أن أموال الأوقاف الموقوفة على كل وجه من وجوه البر المطلقة تصرف على الوجه التالي:

- الأشراف (ويعود نسبهم إلى الرسول ﷺ).
- الفقهاء (الشافعية - الحنفية - المالكية - الحنابلة)، وطلبة العلم.
- الفقراء - الأسرى - أبناء السبيل - المرضى - المجانين - تجهيز الموتى - المنقطعون - الأيتام - الأرامل[٢].

وكان من جملة مهام قاضي القضاة الشافعي المشرف على الأوقاف العامة (الخيرية - الحكمية): تعيين ناظر الأوقاف حتى سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) .

ولاختصاص قاضي القضاة الشافعي بتعيين نظار الأوقاف، ولمكانته الممتازة التي ليست لغيره من القضاة أمام أولي الأمر من السلاطين فإنه بعد أن أسند هذا المنصب إلى محمد بن أبي البقاء، وقرئ مرسوم تقليده لأن يكون قاضياً لقضاة الشافعية، قام بتفويض نظارة أوقاف مصر لشمس الدين محمد بن الوحيد، ونظارة أوقاف القاهرة لجمال الدين محمود العجمي[٣].

وكانت مهمة قاضي القضاة الشافعي عظيمة القدر لا ينازعه فيها أحد، فعندما أمر السلطان برقوق في العام التالي بأن يتحدث جمال الدين محمود العجمي المحتسب في الأوقاف العامة (الخيرية - الحكمية) كلها، قلق قاضي القضاة الشافعي، وشق ذلك عليه، ولم يسكت، وذهب إلى أوحد الدين[٤]، وتحدث معه في هذا الصدد أملاً في مراجعة السلطان، فرد السلطان قائلاً أنا ما وليت جمال الدين، وعزلت الشافعي، وإنما أمرته أن يتحدث معه في تعمير ما خرب

السخاوي، الضـــوء اللامع، ج ٤، ص ٢٦، والمقريزي، السلوك، ج٤، ق ١، ص ٣٨٢، والنهروالي، الإعلام، ص ١٤٣.

(١) مؤلف هذا الكتاب هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن ظهيرة الحنفي الحموي، عاش في القرن التاسع، وللكتاب ثلاث نسخ مخطوطة: في دار الكتب الوطنية بتونس رقم (٣٧٨٠)، ومكتبة المخطوطات العربية بالإسكوريال رقم (٥٠٠)، وفي إستانبول في فهرسة أسعد أفندي، النظم الإدارية بمصر في القرن التاسع الهجري من خلال كتاب (روضة الأديب) بحوث الندوة الدولية في تاريخ القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٠٤١ - ١٠٩٥.محمد أمين، الأوقاف، ص ١١٣، حاشية (٣).

(٢) ابن ظهيرة، روضة الأديب، بحوث الندوة، ص ١٠٩٢ - ١٠٩٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٤٦٩.

(٤) كاتب السر أوحد الدين عبد الواحد بن تاج الدين إسماعيل بن ياسين الحنفي (ت٧٨٦هـ)، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٥٢٦.

وتهدم، ثم شافه السلطان القاضي بذلك قائلاً: "أنت الناظر وهذا ينوب عنك في ذلك"[١].

وقد ترتب على ما حدث بين قاضي القضاة الشافعي والسلطان برقوق وحشة، فأصبح هذا السلطان يقوم بتعيين نظار الأوقاف بنفسه منذ عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م[٢].

وكان نظار الأوقـــاف يعينون مشارفين[٣] للأوقاف العامة (الخيرية - الحكمية) ذكر الأدفوي[٤] أن عثمان بن عتيق كان مشارف الأوقاف العامة بقوص، أما الإسكندرية حيث ساد فيها المذهب المالكي، فكان المتحدث على أوقافها قاضي القضاة المالكي[٥].

وعلى الرغم من إشراف قاضي قضاة الشافعية على ناظر الأوقاف العامة فإن هذه الأموال كانت محفوظة في مودع الأموال[٦] تحت يد موادع الحكم وتحت إشرافه، وهذه الأموال في عمومها كانت مرهونة بإذن السلطان، ولا تنتقل من قاض إلى آخر إلا بإذنه، تجلى ذلك واضحاً حين استقر شمس الدين الهروي قاضياً لقضاة الشافعية بالقاهرة في سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م) فأرسل إلى قاضي القضاة السابق جلال الدين البلقيني مطالباً إياه بالأموال الخاضعة له، والتي كانت تحت يده من أوقاف الحرمين الشريفين، فامتنع

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٩٤٠، والصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٢٦٦، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٢٧٣.محمد أمين، الأوقاف، ص١١٤.

(٢) من الذين تولوا نظر الأوقاف العامة (الخيرية - الحكمية) بأمر السلطان بعد ذلك: القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، في ٢٥ من ربيع الآخر سنة ٧٩٤هـ، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٧٦٦.

(٣) وردت هذه الوظيفة بهذه الصيغة (المشارفة) في كتابة أثرية تذكارية سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م على قطعة من لوح رخام من عكا جاء فيها: "... صفى أمير المؤمنين أبي العباس محمد بن إسماعيل... متولي... المشارفة بثغر عسقلان حماه الله..."، وقد أورد القلقشندي سجلاً فاطمياً بمشارفة الجوالي بالصعيد الأدنى، وأعمال المشارف في الدولة الأيوبية ذكر عنه ابن مماتي بأنه من المستخدمين من أرباب الأقلام، وأمره جار على أمر الناظر، وهو يزيد علي الناظر بأن يكون الحاصل من المستخرج في مودعه وتحت حوطته، وانتقلت هذه الوظيفة إلى دولة المماليك، فكان فيها من أرباب الوظائف الديوانية، وهو في معنى الشاهد إلا أنه إذا غاب العامل لزمه عمل الحساب بخلاف الشاهد، وقد أفاد القلقشندي بوجود توقيع بمشارفة خزائن السلاح في عصر المماليك أشير فيه إلى أنه على مشارف خزائن السلاح أن يعمل على ضبط حساباتها وفي العصر نفسه توقيع بمشارفة حصن الأكراد، كتب به للقاضي بدر الدين، وكلف فيه بأن يبذل جهده في صلاح الأحوال، وتثمير الأموال وحفظها ، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٦، ج ١٢، ص ٤٠٢، ٤٨٠، وابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣٠٢ - ٣٠٣، ٣٣٠ - ٣٣١، والباشا، الفنون، ج٣، ص ١٠٩٢ - ١٠٩٤.
- Comb , wiet ,Repertoire, VIII, p. 210, No, 3009, Bjorkmann, op. cit, p. 23.

(٤) الأدفوي (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب)، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٥١.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٦٣.

(٦) مودع صندوق الأموال، وهو في الأصل لحفظ أموال اليتامى، وكان هذا المودع يوضع في عهدة قاضي القضاة لحفظ أموال اليتامى، والقصر، وأموال الغائبين أيضاً، المقريزي، السلوك، ج١، ق ٣، ص ٨٦٤ حاشية (٣)، محمد أمين، الأوقاف، ص١١٥.

البلقيني عن تلبية طلبه وإجابته بدفع هذه الأموال بناء على أمر السلطان المؤيد شيخ ببقائها تحت يده - أي تحت يد البلقيني - ، وهذا يعود إلى انهيار ثقة هذا السلطان في أمانة الهروي واستقامته، وصارت أموال الأوقاف العامة بذلك محفوظة في بيت البلقيني وتحت يده، ينفق منها في مصالح الحرمين وشؤونهما، وغير ذلك، وتوافر لديه فائض كبير بلغ نحو سبعة آلاف دينار خلال مدة ولايته للقضاء[١]، ظلت محفوظة لديه إلى أن توفي [٢]، وبعد وفاته صارت هذه الأموال تحت يد الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم الذي تولى قضاء الشافعية[٣]، وظلت طرفه إلى أن شرع السلطان برسباي في الاهتمام بشؤون المسجد الحرام وعمارته فطلبها منه سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، وتلبية لرغبة السلطان برسباي، كشف القاضي الشافعي عن قيمة هذه الأموال، ووجد بالمحضر أموالاً مخصصة لعمارة الحرمين نحو ألفي دينار، وباقي الأموال لعدة جهات أخرى[٤].

وقد بلغت عناية هذا السلطان بأمر الحرمين الشريفين مبلغاً كبيرا، تؤكد ذلك وثيقة وقفه المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م[١]، فقد خصص في وثيقته المذكورة المصارف المتعلقة بالحرمين الشريفين، ولناظر وقفه، أو المتولي عليه أن يبدأ بعمارة المسجد الحرام، ومرمته، وكل الإصلاحات التي تتناسب مع قدسية هذا المسجد الشريف، وتزيده شرفاً ومهابةً.

ولم يغفل الواقف في وثيقة وقفه أهالي هذا المسجد، ومن شد إليه الرحال من شتى البلاد الإسلامية من المجاورين والفقراء والمساكين، فخصص لهم كفايتهم من الملبس، والمأكل، وخص الحرم النبوي بما خص به الحرم المكي، ولم ينس العلم وأهله، فعمل على ازدهار الحركة العلمية على أيدي روادها من القراء والفقهاء، الذين كانوا يتلون القرآن يوميّاً، ويختمون قراءته بالصلاة على النبي ﷺ، ثم إهداء ثواب ما قرأوا إلى شرف النبي ﷺ ثم الدعوة للواقف وأبنائه والمسلمين، ولم ينس أيضاً الناحية الصحية، فصُرفت مبالغ سخية على البيمارستان ومصالحه بمكة المكرمة، وإصلاح عين بازان حتى يزداد ماؤها، وكل ما أشارت إليه الوثيقة حددت له مبالغ سنوية تزيد على كفاية من قاموا بهذه الأعمال، أو الإصلاحات

---

(١) جلال الدين البلقيني تولى القضاء في جمادى الآخرة سنة ٨٠٤هـ، وعزل عدة مرات فترات قصيرة، ثم أعيد للقضاء حتى وفاته سنة ٨٢٤هـ، ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٢٥٩ - ٢٦٠، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٥٢٣.

(٢) المقريزيّ، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٥٨٥.

(٣) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٥١٠.

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ١٥٨، ٢٧١.

نفسها[٢].

وأكدت وثيقة السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ١٦ من ربيع الآخر سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، في أوجه الصرف على مصالح الحرمين الشريفين أن يكون الصرف مناصفة بينهما، وكان مبلغاً كبيراً، فنصف الثمن من ريع هذا الوقف، وقدره ثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهماً كان على مصالح كل من حرم مكة المشرفة، وحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ، ومثلها كان مصروفاً على الخدام الخصيين البطالين المقيمين بمدينة رسول الله ﷺ الذين ليس لهم إقطاع، ويقوم الناظر[٣] بتوزيع ذلك على هؤلاء حسب اجتهاده، وعلى ما يراه في ذلك من مساواة، أو تفضل، وإعطاء وحرمان[٤].

وبالنسبة للمعلوم الذي كان يتقاضاه القضاة من ريع الأوقاف العامة، فمنهم من أخذه كقاضي القضاة الشافعي، ومنهم من تنازل عنه كقاضي القضاة جلال الدين البلقيني (ت. ٨٢٤هـ/١٤٢١م)[٥]، أما النظار فكان

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٨٨٠) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم (٨٨٠) أوقاف، ص ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨.

(٣) بالنسبة لناظر الأوقاف، أو متولي الوقف الذي يأتي عنه في معظم الوثائق إن لم يكن كلها: مقولة (حسب ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده) لم تكن له إلا بشروط على هذه الوظيفة من جمهور الفقهاء ويتم تعيينه عليها سار عليها، أو انحرف عن صراطها حسب من عينه، أو أمانة الناظر وخيانته - وشروط الولاية على الوقف : العقل والبلوغ، فلو اشترطت الولاية لمجنون، أو صبي، فالقياس بطلانها مطلقاً لأنهما لا ولاية لهما على أنفسهما، فلا تكون لهما ولاية على غيرهما، فإن أفاق المجنون، أو بلغ الصبي عادت إليهما الولاية بمقتضى شرط الواقف، وبدون احتياج إلى تقرير القاضي، ومثل الصبي ما إذا شرط الولاية لمن لم يخلق من أولاده، وكما يشترط العقل لصحة الولاية ابتداء يشترط لصحتها بقاء، فلو جن الناظر سنة فأكثر انعزل، وتعود إليه الولاية بإفاقته إذا كان ناظراً بالشرط، فإذا كان منصوب القاضي لا تعود الولاية له بإفاقته، وينبغي أن يكون المتولي على الوقف أميناً، لأن الولاية مقيدة بشرط النظر، وليس من النظر تولية الخائن، وينبغي أيضاً أن يكون قادراً على التصرف في أمور الوقف، لأن المقصود لا يتحقق عند العجز، وألا يطلب التولية إن لم تكن مشروطة له، فإن طلبها لا يعطاها، أما إذا كانت مشروطة له، فلا يعتبر طالباً لها، لأنه متول بمقتضى الشرط، وأجاز الفقهاء أن للواقف الحق في تولية الناظر على وقفه، ولو اشترط الواقف أن يعد ناظر الوقف دفتراً لقيد إيراده، ومصروفاته، أو أن يدفع الناظر الاستحقاق للمستحقين في شهر معين كل سنة، وبمخالفته يخرج من النظارة وينعزل عنها فشرطه صحيح، ولا يحتاج في ذلك إلى عزل القاضي، فكل شرط لا ينافي حكم الواقف، ولا يضر بالموقوف، ولا بالموقوف عليهم، فإنه يجب اتباعه، والعمل به، وإذا شرط الواقف الولاية لنفسه حين الوقف جاز، أما إذا سكت فلا ولاية له عليه، فالشرط في صحة الوقف التسليم إلى المتولي، وبعد التسليم تسقط ولاية الواقف على وقفه لخروجه من يده خلافاً لمن قال بولايته عليه مادام حيّا لأنه لا يشترط في صحة الوقف التسليم إلى المتولي، فالمتولي يستفيد الولاية من الواقف، ويستحيل ألا تكون له الولاية وغيره يستفيدها منه، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالواقف أقرب الناس إلى وقفه فكان أحق بولايته، وإذا ثبتت له الولاية يقوم بمصالحه، فيستغله، ويجمع ريعه، ويصرفه في الوجوه التي سماها حسب شرطه، وله أن يولي على وقفه واحداً، أو أكثر في حياته، أو بعد وفاته، أو فيهما، وله عزله لسبب، أو لآخر، وإذا مات بعزل المتولي لأنه وكيل عنه لا عن الفقراء إلا إذا اشترط له الولاية بعد وفاته لأنه وصي عنه في هذه الحالة، وثبتت لمن ولاه حق التصرف في أمور الوقف دون القاضي، لأن الولاية الخاصة مقدمة على الولاية العامة، فهو الذي يؤجر الوقف، ويتسلم الأجرة، ويتولى صرفها في أوجه صرفها، وبوسع ماله من تصرف له أن يوكل من يشاء، وله أن يوصي به في مرض موته لمن يشاء، ويكون وصيه، ووصي وصيه مقدماً على القاضي أيضاً، انظر الطرابلسي، إسعاف، ص ٤١، ٤٤، وحاشية ابن عابدين عليه، ص ٥٩٤، وعبد الجليل عشوب، كتاب الوقف، ص ٧٤، ٩٩ - ١٠٣.

(٤) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، رقم الوثيقة (٦٨ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٢٥٩، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ١١٢.

لهم من الأوقاف العامة الكثير، فقد تراوح معلوم ناظر الأوقاف العامة بين ألف وخمسمائة درهم وثلاثة آلاف درهم في الشهر[١].

ومما ساعد على زيادة الأوقاف العامة وانتشارها في تلك الفترة، الوقف من أملاك بيت المال، فقد كان من حق السلطان الوقف من هذه الأملاك، فكانت أكثر الوثائق صراحة بأن الوقف من أملاك بيت المال المعمور: وثائق وقف السلطان قايتباي، فقد صرح في أكثر من وثيقة بأن الوقف يشمل ممتلكات السلطان، وحدد ذلك في كتاب الوقف[٢].

وقد استغل المماليك الوقف من أملاك بيت المال، بعد أن أقر الفقهاء لهم بذلك، على أساس أنه يحق للسلطان أن يتصرف في بعض هذه الأملاك بما يتفق والمصلحة العامة في البلاد، وهذه كانت لهم بمثابة رخصة استغلوها، ووقفوا أملاك بيت المال على أوجه كثيرة من أوجه البر والخير والإحسان، وهذه كلها اعتبروها من مصارف بيت المال ويعبر عنها الفقهاء باسم الأرصاد[٣]، وكما وقفوا من هذه الأملاك على أوجه البر، فقد وقفوا منها على ذريتهم وأولادهم[٤].

وهناك وثائق عديدة تسير على النهج الذي ذُكر ومنها: حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، ومن مضمون شروط الواقف من خلالها كان صرف سهم مناصفة في مصالح الحرمين من عمارة، وترميم، وفرش،

---

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٢٩٧، ٤٥٧.

(٢) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم (٨٨٦) أوقاف ص ٨، ١١٢، ١١٣، ١١٤، وانظر أيضاً وثيقة وقف قايتباي رقم (٨٨٩) دراسة ونشر محمد محمد أمين بالمجلة المصرية التاريخية، سنة ١٩٧٥م.

(٣) **الأرصاد:** أن يقف الإمام أرضاً من بيت المال على مصلحة عامة كالمساجد، والبيمارستانات، والمدارس، والقناطر، أو يقفها على من لهم استحقاقات في بيت المال كالعلماء، والقضاة والفقهاء والقراء، والفقراء والمساكين إيفاء لهم ببعض حقوقهم، عبد الجليل عشوب، الوقف ، ص ٢٤.

(٤) وثيقة وقف السلطان قايتباي (٨٨٦) أوقاف ص ٨ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٨.
وبصدد وقف السلاطين من أملاك بيت المال المعمور على أولادهم، فمن المعروف أن الوقف صدقة، فكان يقال قديماً هذه صدقة أبي بكر، وصدقة عمر رضي الله عنهما، بدل قولهم وقف أبي بكر، أو وقف عمر، ثم تغير الحال - إلى حد ما - في أواخر عهد الصحابة زمن الحكم الأموي، وبدأ الناس ينحرفون عن مقصد الوقف ومرماه في الإسلام، واتخذ وسيلة لمحاباة بعض الورثة إن لم يكن جميعهم، وغير ذلك من مقاصد غير مشروعة، وبمرور الزمن، وبعد أن تغيرت أخلاق الناس، واضطربت الآراء، وتشعبت في أحكام الوقف، واستغلال النظار للأوقاف استغلالاً سيئاً، وكثرة الخراب والبوار في دور الأوقاف وأراضيها، شعر الناس بخلل نظام الوقف واضطرابه وعدم مرونته، وحاول الواقفون من السلاطين وغيرهم أن يحولوا ما فضل من ريع الأوقاف بعد مصارفها، لهم ولذريتهم من بعدهم، وكان الأولى بهم أن يجعلوه كله على جهات البر، والخير العام، فهو وقف عام (خيري - حكمي) يدخل في الصدقة الجارية تحقيقاً لقوله تعالى {وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله}، وقول الرسول ﷺ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: منها الصدقة الجارية، وما أحوج الناس - في تلك الفترة - إلى المزيد من إنشاء المدارس وتشجيع روادها، ودور تحفيظ القرآن، والأربطة، والبيمارستانات والصرف عليها، ودوام بقائها معمورة باقية، وكم كان يود المسلمون آنذاك أن تكون مصارف الوقف إلى جهة بر أولى من ذلك، فإن هذا يتفق مع مقاصد الشرع العامة، ولا شيء فيه، بل هو الحق الذي لا ريب فيه، وبذلك يتضح أن الوقف، أو ما يفضل من ريعه إذا كان على الأولاد والذرية والأسرة يكون فيه انحراف عن الوقف المثالي الذي أراده الإسلام.

ووقود، وإلى الفقراء والمساكين والمجاورين، والمنقطعين ذكوراً وإناثاً من السنيين في كل من الحرمين الشريفين[١].

وعلى النسق نفسه حجة وقف السلطان الناصر فرج بن السلطان الظاهر برقوق، ومن خلال أوجه الصرف فيها تبين أنها خصصت للصرف على مصالح الحرمين الشريفين من وقود، وعمارة، وفرش، وللفقراء، والمساكين والأرامل، والأيتام، وذوي الحاجة، وفي تسبيل الماء وإطعام الجائعين، وكسوة العرايا والمقلين، وستر عورات الضعفاء والعاجزين، كل ذلك حسب مايراه في ذلك الناظر، ويؤدي إليه اجتهاده فيما يكون أعظم أجراً وأكثر ثواباً للواقف المذكور[٢].

ومن ريع الأوقاف العامة، كان هناك نصيب حدده الواقفون للمؤسسات الاجتماعية والتعليمية بالمدينتين المقدستين في العصر المملوكي، فعموم هذه الأوقاف هي التي ثبتت دعائم هذه المؤسسات من أربطة، ومدارس، وزوايا، ومكاتب وغيرها، وبالطبع فقد رسخت بأنظمتها القيام بأداء رسالتها في الترابط الاجتماعي، وفي نشر العلم ومدارسته، وكانت الضمان لاستمرار العمل بهذه المؤسسات من خلال الإنفاق من ريع هذه الأوقاف، وذلك حسب شروط أربابها. ولا شك أن كثرة الأوقاف على المبرات، والمؤسسات الخيرية يدلّ على اهتمام الواقفين، ومدى عنايتهم وحرصهم على إقامتها والإنفاق عليها، رغبة في مضاعفة أجرهم، وضماناً لخير أعمالهم. ولضمان تحقيق أهداف هذه المؤسسات، كانت لهم شروط على نظارة، أو متولي أوقافهم، ومنهم من كانت له شروط على الموقوف عليهم رجالاً كانوا أو نساء، عرباً أو عجماً، وتأكيداً على ذلك كان من حق الواقف أن يدير وقفه بنفسه، أو يسند نظارته وولايته إلى شخص فأكثر ، إذا امتنع الأول لسبب أو لآخر حل محله الثاني، وإذا لم يتيسر ذلك كانت الولاية تسند إل قاضي مكة أو المدينة، أو غيرهما ممن يوثق في عدالته ونزاهته، فضلاً عن شروط أخرى للواقفين، كتحديد ما وقفوه مدة مطلقة، أو معلقة، أو معلومة، مما يراه صاحب الوقف ويسجله في شرطية وقفه، فرباط الباسطية المنسوب إلى واقفه عبد الباسط بن خليل[٣] سكنه كثير من الفقهاء والمساكين، وتولى نظارته ومشيخته العديد من مشاهير العلماء والقضاة، كالشيخ أحمد بن علي بن عمر أحد علماء مكة

---

(١) حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٧٦٢هـ، رقم الوثيقة (٤٢) محفظة (٦)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٢، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة..

(٢) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١) دار الوثائق القومية، من سطر ٥٠٦ - ٥١٤.

(٣) الواقف عبد الباسط بن خليل، سبق التعريف به في الفصل الثاني من هذه الدراسة، ويضاف هنا أنه كانت له مآثر طيبة كثيرة في مصر، ومكة والمدينة، وغزة ودمشق، وصدقاته كثيرة وسعت الفقراء والمنقطعين، وكان معروفاً بالسخاء ومحبة العلماء، من مآثره بمكة رباطه المنسوب إليه (رباط الباسطية) بالجانب الشمالي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب العجلة، وتاريخ وقفه سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، وتوفي الواقف يوم الخميس ٤ من شوال سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، وقد أشارت حجة وقفه رقم (١٨٩ج) أوقاف إلى مبراته في مكة المشرفة التي ضمت الرباط المذكور وسبيلا بحدرة المعلاة بمكة، أيضاً أشارت وثيقته إلى سبيله وميضأته عند باب السلام بالمدينة المشرفة، المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٣٣١، والسخاوي، الضوء اللامع، المجلد الثاني، ج٤، ص ٢٣١، ودحلان، خلاصة الكلام، ص ٨٥.

المشهورين[١].

ومن خلال إشارات المصادر في هذا الصدد تبين أن الموقوف عليهم المستفيدين من هذه المؤسسات الخيرية قد تعددوا، كالمجاورين، وعابري السبيل من الحجاج والمعتمرين، أو المجتازين، وغالباً ما تباينت مع ذلك أغراض الواقفين، وخير ما يوضح ذلك ما وقفه خشقدم الزمام[٢] على رباطه وهو ربع بالمسعى كان معروفاً بربع التوريزي، ونسب إليه لأنه تولى عمارته[٣]، أما من تولى جباية وقفه فهو أحمد بن علي الفيومي وابنه محمد[٤]، وأسندت عمارة الرباط ومشيخته ونظارته إلى الشيخ شمس الدين عمر الشامي[٥] الذي أقره الواقف ناظراً على وقفه ومتولياً لعمارته، ومن بعده على أولاده الأرشد فالأرشد، ولم ينس الواقف إحياء الحركة العلمية بالحرمين الشريفين، وتأكيداً على ذلك اشترط في وثيقة وقفه عدداً من رواد هذه الحركة وهم، عشرة من الصوفية الصالحين يتلون القرآن الكريم كل يوم بعد صلاة العصر خلا أيام الأعياد، وبعد قراءتهم هذه يذكرون الله تعالى، ويصلون على النبي ﷺ، ثم يبدأ أحدهم بالدعاء، ويهدون ثواب ذلك في صحيفة الواقف ولجميع المسلمين، ومقابل ذلك فقد حدد الواقف لكل منهم شهريّا عشرة من الذهب الأفلوري، أو الأشرفي، ولخادم الربعة وفراش الرباط والميضأة ثمانية أفلوريات لكل منهم سنويّا[٦].

---

(١) **أحمد بن علي بن عمر بن أحمد**، حفظ القرآن وتلاه بالقراءات، وحصل معارفه على مشاهير علماء مكة والمدينة منذ قدومه إلى مكة حاجّا سنة ٨٠٣هـ، وذاع صيته وانتشرت معارفه من خلال قراءاته وتدريسه، وسماعه وإسماعه، فقد كان مؤدباً ومدرساً بالمسجد الحرام، ومعروفاً بخيره وصلاحه وتواضعه، وملازمته للعبادة، فضلاً عن نظارته ومشيخته لرباط الباسطية المذكور، وظل معنيّا بكل ماذكر حتى سنة ٨٦٣هـ، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٦٧ - ٦٨،و السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٢٨ ، ٢٩ برقم ٧٦، وقد تولى أمر هذا الرباط أيضا قاضي القضاة جلال الدين أبو السعادات محمد بن محمد بن محمد بن عطية بن ظهيرة القرشي، المكي الشافعي، ولادته ونشأته بمكة، من جملة وظائفه نظر المسجد الحرام وخطابته به، وفضلاً عن قضائه، فقد أشرف على الأيتام، والربط، والمحافظة على كل ما أسند إليه حتى عام ٨٦١هـ، ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٥٥، كما أسندت ولايته إلى القاضي أبي اليمن النويري منذ إنشائه حتى سنة ٨٤٢هـ، فضلاً عن ولايته للحسبة والخطابة بالمسجد الحرام، المقريزي، السلوك، ج٤، ق ٣، ص ١١٢٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ١٣٠.

(٢) **الطواشي خشقدم الظاهري برقوق**، سبق التعريف به في الفصل الثاني من هذه الدراسة، و يضاف هنا أنه كانت له مآثر حسنة منها رباطه المنسوب إليه، وهو رباط الزمامية بالقرب من المسجد الحرام، ووقفه في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ وعلى الرغم من تضارب آراء بعض المؤرخين في أنه مدرسة، أو خانقاه فإن الوثيقة تؤكد أنه كان رباطاً يضم في جنباته الحلقات العلمية الرائدة من معلمين ومتعلمين، حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ، رقم الوثيقة (٩٠) محفظة (١٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.، وابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦٤، ٤٤٨، ٤٨٨، ومعجم الشيوخ، ص ٢٢١، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢١٠، ج٣، ص ١٧٥، ج١٠، ص ١٢٠، ٢١.

(٣) **الفخر التوريزي هو شاد بندر جدة** ومتولي عمارة هذا الرباط، حجة وقف خشقدم زمام الآدر الشريفة، وثيقة رقم (٩٠)، دار الوثائق القومية، سطر ٢٢، ٢٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤.

(٤) **محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفيومي**، أصله من الفيوم بمصر، ولادته ونشأته بمكة، سمع على مشاهير علماء مكة، وأسمع غيره، تولى جباية الوقف بعد والده، توفي سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م، انظر حجة وقف خشقدم زمام الآدر الشريفة، وثيقة رقم (٩٠)، دار الوثائق القومية، سطر ٣٧، وابن فهد، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي، معهد إحياء المخطوطات العربية، رقم ٣٦١٨، ورقة ٧.

(٥) **هو: الشيخ شمس الدين الشامي**، تولى نظارة الرباط وعماوته ومشيخته، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤.

(٦) حجة وقف خشقدم زمام الآدر الشريفة، وثيقة رقم (٩٠)، دار الوثائق، سطر رقم ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥.

وأشارت بعض المصادر إلى من تولوا نظارة ومشيخة هذا الرباط، فكان منهم الواعظ أحمد بن محمد الشاذلي[١]، ومحمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني[٢]، ونور الدين علي بن أيوب البرماوي[٣].

كما ذكرت بعض المصادر أسماء من عملوا في هذا الرباط، فكان منهم جمال الدين الفيومي بواب الرباط[٤].

ومن الوظائف التي نصت عليها هذه الوثيقة خدام الربعة والوقاد، وشاهد الوقف الذي يضبط متحصل الوقف، وإمام، ومكبر لصلاة التراويح في شهر رمضان، وحارس للرباط في موسم الحج، ورجل يحمل الماء، وموظف لجباية ريع الوقف في مكة، وكل من هؤلاء كانوا على رواتب سنوية، نصت عليها وثيقة الواقف ضمن أوجه صرفها[٥].

ومن الواقفين الذين اتصفوا بالخير والصلاح، وأكثروا من المبرات الخيرية: ابن الزمن[٦] الذي

---

(١) هو: **الشيخ أحمد بن محمد بن جوغان الشاذلي**، المجاور بمكة، وقد تولى أعمال هذا الرباط إلى وفاته سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢١٠.

(٢) هو: **الشيخ محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر بن محمد**، القرشي، العثماني، المراغي، المدني، ولد عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م بالمدينة ونشأ بها، وأخذ علومه من كبار علمائها ومشاهيرها، وله عدة مصنفات منها (المشرع المروي في شرح منهاج النووي) في أربعة مجلدات، ومصنفه (تلخيص أبي الفتح لمقاصد الفتح) في أربعة مجلدات، تولى مشيخة الرباط من سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م حتى وفاته سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٢٢، والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ١٤٦.

(٣) هو: **الشيخ نور الدين علي بن أيوب بن إبراهيم البرماوي**، الشهير بابن الشيخة، ولد سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٧٤، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٩٥ برقم ٦٦٧.

(٤) هو: **جمال الدين الفيومي** حضر من بلاده بغرض الحج والمجاورة وكان أول بواب للرباط منذ إنشائه إلى وفاته سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م، وقد أشارت حجة وقف خشقدم ضمن أوجه الصرف بما صرف مبلغ عشرة أفلوري سنويًا له، ومن المهام المكلف بها ضمن أعمال وظيفته كنس الرباط والدهليز، ونفض البسط، وكنس ميضأة الرباط، وملء الصهريج بالماء ونحو ذلك، حجة وقف خشقدم، رقم الوثيقة (٩٠)، دار الوثائق القومية، سطر ٢٨، ٢٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٤٨.

(٥) وفيما يتعلق بجوامك موظفي الرباط المذكور، فقد حدد الواقف صرف عشرين أفلوري لشيخ الرباط سنويًا، وعشرة أفلوريات شهريًا لكل من المتصوفين العشرة، وثمانية أفلوريات سنويًا لخادم الربعة والفراش، وخمسة أفلوريات سنويًا لرجل يحمل الماء إلى الرباط، وأربعة أفلوريات سنويًا للوقاد، وستة أفلوريات سنويًا لشاهد الوقف، وأفلوريات وثلث شهريًا لإمام صلاة التراويح في رمضان، وثلث أفلوريات شهريًا لمكبر في صلاة التراويح في رمضان، وأفلوري واحد شهريًا لحارس الرباط في موسم الحج، وعشرة أفلوريات سنويًا لموظف جباية ريع الوقف في مكة، وعن مصروفات الرباط المذكور، فقد حدد الواقف صرف نصف أفلوري شهريًا في ثمن شمع، وأفلوري واحد شهريًا ثمن حلوى توزع ليلة ختم القرآن في رمضان، وأفلوريين اثنين سنويًا ثمن شراء حصر للرباط، وأفلوري ونصف شهريًا لأجرة بيت في منى لإقامة سكان الرباط في موسم الحج، انظر حجة وقف خشقدم زمام الآدر الشريفة، المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، رقم الوثيقة (٩٠) محفظة (١٥)، دار الوثائق القومية، من سطر ١٨ – ٣٩، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) **ابن الزمن**: هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمن بن محمد بن صديق بن أبي بكر بن يوسف القرشي الدمشقي، ثم القاهري، الشافعي، ولد سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م بدمشق، ونشأ بها، وقرأ القرآن، واشتغل بالتجارة، وتولى عدة مناصب مهمة آخرها شاد

=

وقف على رباطه[١] المنسوب إليه بالمسعى عند باب علي رضي الله عنه دوراً ومنازل بمكة، وأراضي زراعية بمصر[٢] تصرف على الفقراء والمنقطعين وأبناء السبيل[٣] وممن تولوا نظارة هذا الرباط ومشيخته الشيخ نور الدين علي بن محمد العدلي[٤]، والشيخ نور الدين علي بن أحمد بن علي بن عبد الله الطنتدائي، الشافعي (٨٣٠هـ/١٤٢٦م - ٨٣٩هـ/١٤٨٧م)[٥]، ومحمد بن محمد بن غياث الدين الذي تولى نظارة الرباط ومشيخته (٨٩٧هـ/١٤٩١م)[٦].

ومن الواقفين من حدد على وقفه أجناساً معينة كالسلطان قايتباي الذي اشترط على وقف رباطه ألا يسكنه إلا الفقراء الأعراب، ومما يؤكد ذلك ما ذكره العز ابن فهد في نصه "... وإن رباطنا لا يسكنه إلا الفقراء الأعراب... ولا يؤذى ساكنوها، ولا يطرح عليهم، ولا يؤخذ منهم شيء..."[٧]، "... رباط للفقراء والطلبة..."[٨]، "... ورباط يسكنه الفقراء..."[٩].

وكان لقايتباي عدة منشآت بمكة غير الرباط المذكور، وهي مدرسة، وميضأة وسبيل، ومكتب للأيتام[١٠]، ووقف على مجموعته هذه أوقافاً، هي ربوع، ودور، بلغ ريعها سنويّا نحو ألفي دينار، فضلاً عن

العمائر بالحرمين الشريفين، جاور بمكة والمدينة، وله مآثر حسنة منها رباطه، وعمل الدشيشة، وإصلاحات داخل الحرم، توفي عام ٨٩٧هـ/١٤٩١م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ٢٦٠ - ٢٦٢، رقم ٧٠٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٩٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٢٨، والفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ١٠.

(١) النهروالي، الإعلام، ص ١٠٥.

(٢) وقد استأجر الواقف الميضأة التي أنشأها السلطان الأشرف شعبان بين الميلين الأخضرين مقابل باب علي رضي الله عنه، فأزالها سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، وأنشأ في مكانها هذا الرباط، فضلاً عن شرائه أربعة دكاكين من وقف رباط العباس، وقد وسعت هذه المساحة مجموعة منشآته التي اشتملت على الرباط، والميضأة، ومطبخ لعمل الدشيشة، وسبيل وغيرها، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٢٧، والنهروالي، الإعلام، ص ١٠٥ - ١٠٦، والفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ١٠.

(٣) النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ١٠٦.

(٤) هو: **الشيخ الفقيه نور الدين علي بن محمد بن عيسى** بن عمر بن عطيف العدلي، الشافعي، ولد سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م بالسلامية من أعمال الموصل بالعراق، ونشأ بها، وأخذ العلم من مشايخها، ثم ارتحل في طلب العلم إلى عدن، ثم جاور بمكة والمدينة، وتولى نظارة هذا الرباط ومشيخته، وتوفي سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٤.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٧٣.

(٦) المرجع السابق، ج١٠، ص ٤٠.

(٧) ابن فهد (عبد العزيز بن نجم الدين عمر) (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م)، بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مخطوطة مصورة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة برقم ٧٣ تاريخ، ورقة ٥٣.

(٨) العيدروسي، النور السافر، ص ١٤، وعبد الرحمن عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص ٢٠٧.

(٩) العصامي، سمط النجوم، ج٤، ص ٤٤.

(١٠) فوض السلطان قايتباي على عمارة منشآته: ابن الزمن، وسنقر الجمالي، وقد قام المذكوران بشراء دار الشريفة شمسية بنت عجلان بنت رميثة (ت٨٢٢هـ/١٤١٩م) ورباط المراغي، وجزء من رباط السدرة، وقد بدئ في أعمال الهدم سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، وتم الانتهاء من ذلك سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) وهذه المنشآت كانت عبارة عن مدرسة، ورباط، وميضأة، وسبيل، وبيت لتعليم الأيتام، ومن حسن تشييدها وصفت بأنها لا نظير لها في مكة، الفاسي، =

ضياع وربوع، وحوانيت، وكان يرسل ريعها جميعاً حبوباً، أو نقداً إلى مصالح المنشآت المذكورة وعمل الدشيشة لمن يسكنها[١].

وجرياً على ما تقرر شرعاً للواقف من مباشرة أمر وقفه بنفسه، أو يولى عليه واحداً في حياته، أو بعد مماته ليقوم بمصالح وقفه، بمراعاته، وجمع ريعه، وصرفه في الوجوه التي اشترطها الواقف[٢]، تم عزل نور الدين العجمي في ذي القعدة سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، عن ولايته لهذا الرباط بأمر من السلطان قايتباي وأسند ولايته إلى الخادم هلال، وأضاف إليه نظر الدشيشة والمدرسة[٣].

ويؤكد حقّ اشتراط الواقف النظارة لنفسه، ولأولاده من بعده الأرشد فالأرشد، اشتراط العز إبراهيم ابن محمد الأصبهاني[٤]، على وقف رباطه بمكة شروطاً مستفادة من نص مكتوب على حجر فوق بابه ورد فيه أنه "... وقفه على الفقراء والمساكين والمجاورين من أهل الخير والديانة من أي صنف كانوا من العرب والعجم، ويكون النظر إليه وإلى عقبه من بعده، فإذا انقرضوا يكون للحاكم بمكة المشرفة، والحجرتان المفترقتان في أعلى هذا الرباط وأسفله وقفتا على هذا الرباط، يُصرف كراؤهما على مصلحته وعمارته وسقايته وما يُحتاج إليه، والنظر فيهما للمذكورين بتاريخ سلخ رجب سنة تسع وأربعين وسبعمائة..."[٥].

ويتضح من شروط الواقفين حرصهم على استمرار وقفهم، وضمان استفادة الموقوف عليهم في حياتهم، أو بعد مماتهم، غير أن بعضهم كان أكثر دقة في شرطية وقفه، خاصة إذا تنوعت أعيانه، وتباينت أعداد الموقوف عليهم، وعظم نفع المستفيدين منه، كدور التعليم مثلاً التي كانت تدرس فيها العلوم الدينية المتفقة مع روح ذلك العصر، وهذه قد تسابق إليها السلاطين والحكام والأعيان، وهؤلاء وغيرهم قد وقفوا عليها أوقافاً عظيمة، وخصصوا دوراً وأراضي للصرف عليها وللعاملين بها، واهتمام الواقفين بالعلم وانتشاره نصت عليه وقفيات الواقفين في الأربطة التي انتشر العلم في جنباتها ، أو المدارس التي كانت ضمن منشآت من وقفوها، واهتمام الواقفين بموظفيها يوجب ذكر شيء عنهم، فمنشآت قايتباي التي أشير إليها فقط عند الحديث عن رباطه حدد فيها الواقف المذكور وظائف مدرسته بأربعة مدرسين لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، على أن يختص كل منهم بتدريس أحد هذه المذاهب، واختارهم من أعلى طبقات العلماء وهم القضاة، وحدد طلابها بأربعين طالباً، ولم يغفل بقية موظفيها كخادم المكتبة الذي عين له راتباً محدداً، ولقراءة القرآن يوميّا فقد عين على قراءته قراء

شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٢، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٠٧، والنهروالي، الإعلام ، ص ١٥٢، والعصامي، سمط النجوم، ج٤، ص ٤٥.

(١) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ١٩٧، والعصامي، سمط النجوم، ج٤، ص ١٤٤، ووثائق أوقاف مكة في دفتر مسقفات السلطان قايتباي، أساس دفتر سليمان خان، ص ١٨٣.

(٢) ابن عابدين، رد المحتار وحاشية ابن عابدين عليه، ص ٥٩٤، وعشوب، كتاب الوقف، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ورقة ٢٠، وقد تولى أمر هذا الرباط أيضاً شهاب الدين أحمد بمرسوم من السلطان قايتباي في شهر رجب سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠م، ومعه مرسوم آخر بتفريق الخبز والدشيشة، وظل في نظارته ومشيخته حتى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ورقة ٦٠، ٨٤.

(٤) هو: **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد**، الملقب بالعز، وفاته سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٤، والعقد الثمين، ج٣، ص ٢٤ برقم ٧١٨.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٤٠.

الربعة الشريفة أيضاً مقابل مبلغ معين سنويّا، وعين قاضي القضاة الشافعي، وكلفه بالعناية بالمصحف الشريف، وحدد داعياً، ومسجلاً للغياب، أو كاتب غيبة، وقارئ البخاري، وفراشين، وبواباً، وحبارا، ووقاداً، وثلاثة مؤذنين، وعين للماء مسبلاً، وعشرة أيتام ومؤونتهم، وناظراً عليها، ورتب لكل العاملين بها وبالرباط ما يكفيهم ويرسل لهم سنويّا من مصر، فضلاً عما يوزع عليهم يوميّا من الخبز والدشيشة، ومتحصل الدور التي اشتراها بمكة[١].

وقد اختلف التدريس من مدرسة لأخرى، فبعضها كان لمدارسة الحديث، والآخر لمدارسة الفقه على المذاهب الأربعة كمدرسة قايتباي، وغيرها كانت مقصورة على تدريس مذهب معين كالمذهب الحنفي، وعلى مدارسة هذا المذهب، فقد اشترط أرغون[٢] الناصري على التدريس بمدرسة دار العجلة التي بناها سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م أن تقتصر على تدريس المذهب الحنفي، ووقف عليها وقفاً مضافاً لقاضي الحنفية في القاهرة[٣].

وجرت عادة الواقفين لهذه المدارس أن يسندوا أمر ولايتها ومشيختها لأحد مشايخها المشهورين بدقة عدالتهم وأمانتهم، وصدق مروءتهم، حتى يتسنى له أمر رعايتها، ولذلك تولاها في مدرسة الباسطية[٤] الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي[٥]،

---

(١) ذكر المؤرخون أن هذه المدرسة كانت تسمى الأشرفية نسبة إلى الأشرف قايتباي، فضلاً عن مدرسة قايتباي، وأنشئت في عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، وقد أنشأها نيابة عنه وكيله الخواجا شمس الدين محمد بن عمر، وتعتبر هذه المدرسة من أشهر مدارس مكة، وظلت في عطائها إلى مابعد العصر المملوكي، ولذلك جاء ذكرها في أغلب المصادر، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٢، ٦٤٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٦ ص ٢٠٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٢٩، والديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص ٤٣٤، وابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص ٣٣، والنهروالي، الإعلام ، ص ١٥٢، والنابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٤٥٣، والمقدسي، نزهة الناظرين، ص ١٣٢، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ١٣٠، ويوركيهارت، رحلات، ص ١١٣.

(٢) هو: **أرغون بن عبد الله الناصري**، الأمير سيف الدين، المعروف بالنائب، لأنه كان نائب السلطنة بمصر عن ابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون، تردد إلى مكة عدة مرات للحج في الأعوام ٧١٦هـ/١٣١٦م، و٧٢٠هـ/١٣٢٠م، و٧٢٦هـ/١٣٢٥م، كان مشغوفاً بالعلم، ومحبّا للعلماء، بنى مدرسة بمكة خاصة بتدريس المذهب الحنفي، وهي محل دار العجلة، ووقف عليها وقفاً، وكانت وفاته بحلب عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م، وقد ولي نيابتها بعد رجوعه من الحج سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٨٣، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٣٥١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٣٠٦.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١١٧، وشفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٣، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص ٣٠٦ - ٣٠٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٧٠، وعبد الله غازي، إفادة الأنام، ج٢، ص ٤٤١، وممن ولى التدريس بهذه المدرسة وجمع معها وظيفة النيابة بالمقام الحنفي عن عمه الشهاب الحنفي يوسف بن الحسن بن علي بن يوسف بن أبي بكر السجزي الحنفي، الملقب بالجمال بن البدر بن التاج، المتوفى بمكة سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م، ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٤٨٥.

(٤) **المدرسة الباسطية** منسوبة إلى مؤسسها الزيني عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم بن يعقوب الدمشقي الشافعي، عظم أمره في عهد الأشرف برسباي، مآثره كثيرة بطريق الحاج ومكة، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، ومدرسته المذكورة بالجهة الشمالية من المسجد الحرام على يسار الداخل من المسجد المذكور من باب العجلة، وعمارتها في سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، وانتهت عمارتها بعد عام، وكانت في غاية الإتقان إذ ضمت خلاوي للفقراء وبجانبها سبيل، حجة وقف الزيني عبد الباسط، المؤرخة في ٢١ من محرم سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، رقم الحجة (١٨٩ج) أوقاف، انظر نص الوثيقة والأعيان الموقوفة بها في ملاحق هذه الدراسة، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٢٤ - ٢٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٨٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٩، ٦٤، والسيوطي، نظم العقيان، ص ١٢٢، ١٢٤، والنهروالي، الإعلام، ص ١٤٣، والسنجاري، منائح الكرم، ج٢، ص ٣٤٧، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ٨٣.

(٥) هو: **شهاب الدين أحمد بن علي بن عمر**، معلم القرآن لأطفال مكة، ودرَّس بالحرم، وباشر مشيخة الباسطية، وفاته في ذي القعدة سنة ٨٦٣هـ/١٤٥٨م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٠٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٢٨ - ٢٩.

وعمر الشيبي[١] شيخ الحجبة في سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، وأحياناً كان يجمع بينها وبين نظارة المواريث، وإلى ذلك أشار ابن فهد أنه في سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م وصل قاصد من ينبع إلى جدة بمرسوم أن شيخ الباسطية ناظر على المواريث، وكان ناظر الباسطية في العام الذي قبله شمس الدين البخاري[٢].

ونصّت حجـــــة وقف الزيني عبد الباسط، المؤرخة في ٢١ مـــن محرم سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م على أن الواقف المذكور قد أنشأ بجانب مدرسته سبيلاً بحدرة المعلاة بمكة المكرمة، وسبيلاً آخر بباب السلام بالمدينة المشرفة، كما قرر الصرف على مصالح الميضأة بالمدينة أيضاً، ومصاريف السبيلين المذكورين والميضأة قد أقرها ضمن أوجه الصرف في حجته المذكورة، وعين ناظراً على مصروفاته نصت عليه حجة وقفه بأنه: "... من يكون قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية...".

ولم ينس المرضى في مكة والمدينة، فجعل ضمن أوجه الصرف في حجته المذكورة: الصرف على بيمارستاني مكة المشرفة والمدينة المنورة، وجميع مايلزم نزلاءهما من شراء كسوة، أو أدوية، وكل مايلزم مصالحهما عموماً[٣].

وفضلاً عما بهذه المدرسة من وظائف أخرى كالمدرسين[٤]، والمؤذنين[٥]، والمؤدبين[٦]، فقد كان لأوقافها مباشر، وممن تولى ذلك أحمد القاهري[٧].

وهناك أوقاف عامة أخرى في المدينة لبعض من سبق ذكرهم من الواقفين، كان لها

---

(١) هو: عمر بن محمد بن علي بن إدريس بن غانم السراج، أبو صفي بن الجمال أبي راجح بن أبي غانم العبدري الشيبـــي، المكي النشأة، ولي مشيخة الباسطية وأوقافها سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م، وظل بها إلى وفاته في رجب سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٠٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ١٢٢.

(٢) هو: محمد بن محمد بن شرف الدين بن علاء الدين الحسني البخاري شمس الدين، أبوالمجاهد، تولى مشيخة ونظارة الباسطية، توفي بمكة في ربيع الأول سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٥٨.

(٣) حجة وقف الزيني عبد الباسط المؤرخة في ٢١ من محرم سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، رقم الحجة (١٨٩ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) وممن تولى التدريس بها في العشر الأول من ذي القعدة سنة ٨٣٢هـ/١٤٣٢م: الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن رجب الشهابي الطوخي، القاهري الشافعي، وفاته بمكة في ربيع الآخر سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م، ودفن بالمعلاة، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ١٢٢.

(٥) وممن تولى الأذان بها: حسين بن علي بن حسين البدر الكلبشاوي الغمري، الفقيه الناسخ الشافعي، كان رجلاً صالحاً، حفظ القرآن، وكان مؤدباً للأطفال، وحج مراراً آخرها سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م، وكان مؤذناً في الباسطية، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ١٤٩.

(٦) من مؤدبي الأطفال بهذه المدرسة مفلح الحبشي، المتوفى في ربيع الآخر سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، ابن فهد، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ورقة ١٧٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ١٦٧.

(٧) هو: محمد بن إبراهيم القاهري، المعروف بالأزهري، كان مباشراً لأوقاف هذه المدرسة، وكان يلقي فيها خطباً، ويعظ من فيها، توفي سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ١٣١.

دورها في نمو الحياة العلمية بمدينة الرسول ﷺ، كالمدرسة الأشرفية[١]، المنسوبة للأشرف قايتباي، التي ألحق بها مايؤكد فاعليتها كبعض المرافق، والمنشآت التعليمية الأخرى، والتي كان منها مكتب لتعليم أيتام المسلمين، وسبيل ورباط[٢] يضمن راحتهم، ويوفر لهم سبل معيشتهم.

واختلاف منهجية المدارس في مدارسة العلوم الدينية، كان يسير مع شروط الواقفين، وقد اشترط خاير بك[٣]، على وقف مدرسة بالمدينة أن تكون مدارستها مقصورة على أنصار المذهب الشافعي، وتأكيداً على ذلك، كلف الواقف المذكور علي بن عبد الله السمهودي، أحد فقهاء الشافعية بالمدينة ومؤرخها المشهور بالتدريس في هذه المدرسة[٤]، كما اشترط يازكوش[٥] على وقف مدرسته أن تكون المدارسة فيها على مذهب معين، هو المذهب الحنفي[٦].

وتتواصل الأوقاف العامة في تقديم المزيد من خدماتها لكل من بالمدينتين المقدستين وخاصة الخدمات الصحية كالبيمارستان المستنصري[٧] بمكة، الذي أولاه الواقفون جل عنايتهم من خلال ما خصصوه له من ريع أوقافهم، وحرصاً على استمرار عطائه، فقد أمنوا احتياجاته وسائر نفقاته ضمن أوجه الصرف عليه.

وأشارت حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادي الآخرة سنة ٨٢٧هـ/١٤٦٧م، بالصرف على مصالح " البيمارستان " المذكور، على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٨].

---

(١) أنشأها السلطان المملوكي، الأشرف قايتباي، ضمن مشروع عمارة المسجد النبوي، بعد الحريق الذي أصابه، سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، وكان موقع منشأته بين بابي السلام والرحمة، وكان لمدرسته شبابيك مطلة على الحرم النبوي وكان بجوارها رباط، وحمام، وكتاب لسبيل الأيتام، وتم الانتهاء من كل ذلك سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، وأرسل إلى المدرسة خزانة كتب وقفها على طلبة العلم الشريف، وفي سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م بعث السلطان المذكور إلى مدرسته في المدينة بكثير من الكتب في مختلف العلوم العقلية والنقلية، بصحبة بهاء الدين أبي البقاء بن الجيعان، الذي وصل إلى المدينة في ٧ من ذي القعدة سنة ٨٨٩هـ ومعه الكتب المذكورة، السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٤٦١، والنهروالي، الإعلام، ص ٢٣٩، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٩٩.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص ٤١٠، والضوء اللامع، ج٦، ص ٢٠٧، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٢٩، وقد وصفها النابلسي وقال إنها أصبحت في عصره (القرن الثاني عشر الهجري) محكمة، النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٥.

(٣) هو: **خاير بك أو خاير بك المعمار**، من أمراء العشرات، تدرج في المناصب إلى أن أنعم عليه بإمرة طبلخانة، عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م، وكلفه السلطان الغوري بالعمارة في الحرمين الشريفين، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٠٥.

(٤) هو: **علي بن عبد الله النور أبوالحسن بن الجمال الحسني السمهودي**، نزيل الحرمين ويعرف بالشريف السمهودي، ولد سنة ٨٤٤هـ، كان حيّا سنة ٨٧٠هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص ٢٣٢.

(٥) هو: (**يازكوح، أو يازكوش، أو يازكوخ**)، لم أجد له ترجمة في المصادر المتداولة، بيد أن السمهودي قد أشار إليه ضمن ماذكره عن مدرسته، وذكر أنه أحد أمراء الشام،وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٩٢.

(٦) والمدرسة المذكورة مقامة في موقع دار أبي بكر الصديق المجاورة للمسجد النبوي في الطريق السالك إلى بقيع الغرقد، وقد عمل له فيها مشهد نقل إليه من الشام، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٩٢، والخلاصة، ص ٣٤١.

(٧) البيمارستان المستنصري، أنشأه المستنصر بالله أبوجعفر منصور بن الظاهر بأمر الله سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، وهو بالجانب الشمالي من المسجد الحرام، ووقفه على عامة الناس بمكة والوافدين إليها، وفاته سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ١٧٤، والسيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٦٠، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٢٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤.

(٨) حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جماد الآخرة سنة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٨٨٠ق) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

وقد وقف الشريف حسن بن عجلان[١]، ما عمره من هذا البيمارستان وما يستحقه من منافعه، خلال تسع وتسعين سنة وبضعة وعشرين يوماً متوالية، وعن وقفه وشروطه، وشرط النظارة عليه، ذكر ابن فهد وغيره "... وأوقف ما عمره، وما يستحقه من منافعه... مدة تسع وتسعين سنة وسبعة وعشرين يوماً متوالية على الفقراء والمساكين المنقطعين المرضى والمجاورين يأوون فيه ويؤوون إليه علوا وسفلا، وينتفعون بالإقامة فيه والارتفاق به، انتفاع مثلهم بمثله، لا يزعج أحد منهم، ولا يُخرج منه بغير اختياره إلا بعد حصول العافية له والشفاء، فإذا خلا البيمارستان المذكور منهم، وصار خالياً كان الانتفاع به للفقراء والمساكين من المسلمين، فإن عاد الضعفاء والطرحاء عاد الانتفاع لهم، كما كان يجري الحال في ذلك كذلك وجوداً وعدماً المدة المذكورة، وجعل النظر فيه لولديه بركات وأحمد، ينفردان بذلك مدة حياتهما، لا يشركهما فيه شريك، لا بتأول عليهما فيه متأول، ويتصرفان في ذلك مجتمعين ومفترقين، ومن بعدهما الأرشد فالأرشد من ذريته الذكور دون الإناث، من ولد الظهر دون البطن، وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي رضي الدين أبوحامد محمد بن الشريف عبد الرحمن الفاسي المالكي[٢] في يوم الجمعة عاشر صفر (٨١٦هـ/١٤١٣م) لموافقته رأي بعض متأخري المالكية في وقف المنافع، وبعضهم يمنع ذلك وهو مقتضى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله[٣]، وكان للبيمارستان المذكور ناظر مهمته الإشراف على شؤونه وأوقافه، وممن تولى ذلك محمد ابن علي بن محمد بن علي[٤] المجاور بمكة،

---

(١) أراد الشريف حسن بن عجلان عمارة البيمارستان وترميمه، وعزم على ذلك، ففي ربيع الأول سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م استأجر وكيله محمد بن فرج بن جمال الدين يوسف بن حسن العجمي (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) البيمارستان المستنصري مدة مائة عام بأجرة قدرها ألف ألف درهم من الدراهم الظاهرية المنسوبة إلى الظاهر بيبرس من القاضي الشافعي بمكة جمال الدين بن ظهيرة لتعمير البيمارستان، وفي سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م كانت بداية تعميره، وإعادة بنائه وترميمه، وجعل فيه إيوانين أحدهما في الجهة الشمالية، والآخر في الجهة الغربية، ورواقاً فوق الإيوانين إضافة إلى الإيوان الشرقي الذي لم يهدم، وبنى صهريجاً كبيراً، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٢٥٥، والمقريزي، النقود الإسلامية، ص ٣١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٩٦، وفي هذه الصفحة ذكر إيجار البيمارستان عن مائة سنة "بأجرة جملتها من الدراهم الظاهرية والمقدرة نصفان بالسوية أربعون ألف درهم بوزن مصر المحروسة، وأذن القاضي جمال الدين للسيد حسن - ابن عجلان - أن يصرف الأربعين الألف المذكورة في عمارة ما خرب من البيمارستان المذكور، وهدم ما يحتاج إلى الهدم وإعادته، وترميم مايمكن ترميمه من المتشعث، منها شراء مُوَن وفي أجرة صناع، بنفسه أو من يراه من وكلائه وأمنائه". الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧، والعقد الثمين، ج٤، ص ١١٥.

(٢) هو: **محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير** بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن، الحسني الفاسي، المكي، المالكي، الشريف القاضي، رضي الدين أبو حامد، ولد في رجب سنة ٧٨٥هـ بمكة، سمع وأسمع مشاهير العلماء، أخذ العربية عن إمام الحنفية بمكة الشيخ شمس الدين الخوارزمي، كثرت عنايته بالفقه، فتبصر فيه وفي غيره، أذن له في الإفتاء سنة ٨٠٧هـ بعد أن رحل من مكة إلى المدينة، تصدى للمعارضة بالفتوى، وحب الولاية لمنصب قضاء المالكية ووليه بتوقيع مؤرخ في ٢٤ من شوال سنة ٨١٧هـ، وقرئ التوقيع في أول ذي الحجة من هذه السنة بمجلس أمير الحاج المصري، ولبس لأجل ذلك خلعة وباشر الأحكام، وكانت وفاته الخميس ١٥ من ربيع الأول سنة ٨٢٤هـ، ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ١١٥ - ١١٨ ، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ٤١.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٢٣، ج٤، ص ١١٥، وشفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧ - ٣٣٨، والزهور المقتطفة ص ٧٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٧ - ٥٠٨، حوادث سنة ٨١٦هـ، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ١٠٤، وفي هذه الصفحة ذكر "واستأجر البيمارستان المنصوري بالجانب الشامي من المسجد والقيسارية المعروفة بدار الإمارة وعمرها، وزاد في البيمارستان ما كثر النفع به، إلى غير ذلك..."، عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ٢٩٣، والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ١٣٧، والمقدسي، نزهة الناظرين، ص ١٣٠، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ٧٧.

(٤) **محمد بن علي بن محمد بن علي الشمس القدسي الرباطي**، نزيل مكة وشيخ رباط ربيع والبيمارستان المستنصري بها، مات في ربيع الأول سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص ٢٢ برقم ٦٣.

وشيخ رباط ربيع والبيمارستان المستنصري، والشيخ محمد بن سالم[١] الذي كان بيده نظر البيمارستان المذكور[٢]، وقد تولاه إبراهيم بن محمد بن مصلح[٣] نيابة عن شريف مكة بركات وغيرهم[٤].

وأسهمت الأوقاف العامة أيضاً إسهاماً فعّالاً في ازدهار دور "البيمارستان" [٥] بالمدينة المنورة، إذ أنفقت من ريعها على مرتبات العاملين به، وعلى شتى مصالحه السنوية، وحوادث سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٢م خير ما يؤكد ذلك فبعد أن ذكر ابن تغري بردي وغيره تعمير السلطان بيبرس في العام نفسه للحرم النبوي قال عن هذا السلطان: "... وجدد البيمارستان بالمدينة النبوية، ونقل إليه سائر المعاجين، والأكحال والأشربة، وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية..."[٦].

ولم تكتف الأوقاف العامة بالصرف على المدينتين المقدستين وما بهما ومن فيهما فحسب، بل شملت نفقاتها أوجه بر أخرى، كتوفير المياه في منطقة المشاعر، وطريق الحجاز ومنازله، أو عمارة مسجد وغيره.

وممن اهتموا بذلك السلطان برقوق الذي وقف ناحية بهتيت على سحابة تسير مع الحاج في كل سنة إلى مكة ومعها الجمال التي تحمل المشاة من الحجاج وتصرف لهم ما يحتاجون إليه من الزاد والماء ذهاباً وإياباً [٧].

---

(١) **محمد بن سالم بن محمد البلدي**، شيخ البيمارستان بمكة، شيخ صالح حصّل من فتوح البيمارستان مالاً وأرسله إلى الشام، فاشترى به أشياء وقفها عليه، مات سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، وكان رحمه الله ديناً دأبه السعي بين الناس بالإصلاح بينهم، وتأليف قلوبهم، وبيده نظر البيمارستان بمكة، فكان يخدم الفقراء ويبالغ في ذلك بنفسه، وبموته تألم الناس كثيراً، السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٢٤٨ برقم ٦١٦.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص ٤٤٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ١٠٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٢٤٨.

(٣) **إبراهيم بن محمد بن مصلح بن إبراهيم برهان الدين العراقي** المكي المولد والنشأة، ولد سنة ٨١٣هـ، قرأ القرآن وجوده، وانتشرت معارفه سماعاً وإسماعاً، عرف بالديانة والأمانة وسلوك الفقراء، والتحبب إلى صلحاء الناس، والتجافي عن بني الدنيا، فركن إليه ذوو الأموال خصوصاً الغرباء منهم، وصاروا يدفعون إليه الزكاة ليفرقها على من يختار، فيصرفها في ذلك، وفي أنواع القربات، وتولى نظر البيمارستان بمكة نيابة عن السيد بركات بعد الشمس بن قلبة الدمشقي، فسار فيه أحسن سيرة، ولم يظهر من مكة لغير المدينة النبوية والطائف والجعرانة ونحوها، وانتفع به الناس كثيراً في التوجه لهذه الأماكن لكثرة من يكون معه، وعاش خيراً متواضعاً، وكانت وفاته في شعبان سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥١٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٤) **مثل الشيخ إبراهيم بن محمد برهان الدين الكردي** الذي تولى مشيخة البيمارستان بمكة بعد موت الشمس البلوي، وجدد في أوقافه المكان المجاور له، اشتراه من ريعه في سنة ٨٤٦هـ، النهروالي، الإعلام، ص ٢٢٤.

(٥) البيمارستان المستنصري بالمدينة أنشأه المستنصر بالله أبوجعفر منصور بن الظاهر بأمر الله سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، كان يواجه أحد أبواب المسجد النبوي في الجهة الشمالية الشرقية، موضع دار أبي الغيث بن المغيرة، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٩٥.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٩٤، واليونيني، ذيل مرآة الزمان، المجلد الثاني، ص ٣٢٥، وفيها ذكر اسم الطبيب الذي أرسله الظاهر بيبرس من مصر، هو محيي الدين أحمد بن أبي الحسين بن تمام ومعه أدوية وأشربة، أحمد عيسى، البيمارستانات في الإسلام، ص ٢٦٥.

(٧) المقريزي : السلوك ج٣، ق٢، ص ٩٤٤.

وقد اشترط عبد اللطيف الصالحي المنصوري على الناظر في حجة وقفه[١] أن يصرف من ريعه سنويّا مبلغاً كبيراً لمصالح بئر عجرود "لينتفع بذلك من عمارة وإجراء ماء إلى الفساقي التي هناك، لينتفع الحجاج به في الشرب، ولسقي دوابهم على العادة في مثل ذلك..."[٢].

وحيث كانت ينبع محطة عامة لتجمع وفود الحجيج من كل حدب وصوب، وخاصة من قصدوا المدينة قبل أداء مناسكهم، لزيارة النبي ﷺ، فقد أولتها الأوقاف العامة رعاية خاصة، منها ما وقفه الجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفة ضمن حجة وقفه[٣] الذي خصص من أوجه صرفه فيها سنويّا مبالغ سخية على مصالح سبيل ينبع - أو الينبوع كما في نص الوثيقة - من كلفة حمل الماء ونقله إلى السبيل المذكور حتى يمتلئ صهريجه بالماء لينتفع به الناس وسائر الحجيج في شربهم، وسائر احتياجاتهم منه في ذهابهم وإيابهم، وكما تذكر الوثيقة "يعم النفع بذلك للصادر والوارد"، وقررت الوثيقة مبلغاً كافياً لمن يقوم بتسبيل الماء من الصهريج المذكور إضافة إلى القيام بنظافته، والإشراف على ملئه، ومراعاة مصالحه على مدار سنة كاملة، حتى يستحق ما قرره الواقف له من الذهب المصري نقداً، أو من القمح السليم من العيب عيناً[٤].

وأقر الواقف ضمن حجة وقفه أن تصرف كمية كبيرة من القمح سليمة من العيوب قدرها كما في الوثيقة "عشرة أرادب قمح طيب سالم من عيب مثله بالكيل المصري يصرف ثمنها بالغاً ما بلغ يجهز إلى البندر المذكور، يعمل دشيشة ويفرق على الفقراء والواردين إلى البندر المذكور، ولمن يظهر احتياجه لذلك، ويصرف أيضاً من ذلك ثمن ألف رطل وخمس مائة[٥] رطل بالمصري بقسماط طيب سالم من عيب مثله يفرق عليهم أيضاً، ويصرف أيضاً من ريع الوقف المذكور في كل سنة ثمن قنطارين بالقنطار المصري زيت طيب مستخرج من الزيتون برسم الاستصباح منه في قنديل معلق على الصهريج المذكور في إصلاح الدشيشة المذكورة أعلاه، ويصرف منه أيضاً أجرة من يتولى دس القمح فيه، وطبخ الدشيشة المذكورة، وثمن حطب في كل سنة عشرة دنانير ذهباً ظاهريّا، ويصرف منه أيضاً ما يُحتاج إليه في ثمن ماعون، وأجرة حمل ذلك إلى البندر المذكور بالغاً ما بلغ..."[٦].

---

(١) حجة وقف عبد اللطيف الصالحي المنصوري، المؤرخة في ٢٧ من شوال سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، رقم الحجة (٧١) محفظة (١٢)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) الوثيقة السابقة، سطر رقم ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٤.

(٣) حجة وقف الجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفة، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ، رقم الحجة (١٠٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة الجمالي يوسف، سطر ٣٨٤ حتى سطر ٣٩٤.

(٥) الحجة السابقة، سطر ٣٩٥، ٣٩٦، ٢٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩.

(٦) الحجة السابقة، سطر ٤٠٠ حتى سطر ٤٠٩.

ثانياً- الأوقاف الخاصة (الأهلية - الذرية):

وهذه الأوقاف ما جعل الريع فيها ابتداء للواقف، أو لأولاده، أو لغيرهم ، ثم من بعدهم على جهة برّ لا تنقطع وكان لكل وقف من هذه الأوقاف ناظر من مهامه مباشرة الوقف بنفسه، وأن يقوم بمصالحه ويحسن استغلاله، ويجمع ريعه، ويصرفه في الوجوه التي سماها الواقف حسب شرطه، وغالباً ما كان الواقف ناظرا على وقفه فترة حياته، وشرط الواقف لنفسه ذلك جائز شرعاً[١].

وبعد وفاة الواقف تنتقل النظارة، أو الولاية إلى أولاده الأرشد، فالأرشد، أو إلى عتقائه، أو لمن كانت له وصية بذلك من الأمراء، والشيوخ، وأحياناً كان الواقف يعين النظارة، أو الولاية على وقفه مشاركة بين أولاده وبعض كبار أمراء الدولة، ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن إياس، ضمن حوادث سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م، حيث قال "غير السلطان – أي برقوق – كتاب وقف مدرسته، وكان شرط النظر عليها من بعده للقضاة، فجعله لمن يكون سلطاناً، وفي خامسه – أي الخامس من محرم من العام المذكور – قرر الأمير قلمطاي الدوادار في نظرها، ونزل إليها بالتشريف في موكب جليل" وتبين من خلال هذا النص توصية السلطان برقوق بأن تكون النظارة على وقفه لمن يتسلطن على البلاد من بعده[٢].

ومن الواقفين من جعل النظارة على أوقافه مشاركة بين الأرشد فالأرشد من أولاده، وبين من يكون دواداراً كبيراً في العصر المملوكي بمصر، ومن هؤلاء السلطان برسباي[٣]، والسلطان قايتباي[٤] وغيرهما، بل إن السلاطين زادوا في كثرة من تشاركوا النظارة على أوقافهم، فالسلطان المؤيد شيخ جعل من خلال وثيقة وقفه النظر لنفسه، ثم للأرشد فالأرشد من أولاده وخاصة الذكور، مشاركة مع من يكون دواداراً كبيراً، ومع كاتب السر، واشترط هذا السلطان أن يكونوا (مجتمعين غير منفردين) فإن تعذر نظر ذريته لسبب ما – كالجنون مثلاً – تقتصر النظارة

---

(١) يشار في هذا الصدد إلى أمرين: أولهما أن الناظر هو من ينظر في الأموال، ويقوم برعايتها، وينفذ تصرفاتها، وترفع إليه حساباتها، لينظر فيها ويتأملها، فيمضي ما يمضي، ويرد ما يرد وهو مأخوذ إما من النظر الذي هو رأى العين، لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإما من النظر الذي هو بمعنى الفكر فيما فيه المصلحة من ذلك، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٥، ثانيهما: نظارة الوقف جائزة إذا اشترطها الواقف حين الوقف، أما إذا سكت عن هذا الشرط فلا ولاية له عليه، لأن الشرط في صحة الوقف التسليم إلى المتولي، وبعد التسليم تسقط ولاية الواقف، أو نظارته على وقفه، لخروجه من يده، خلافاً لمن قال بولايته عليه مادام حيّا، عشوب، الوقف، ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣ ق ٢، ص ٨٤٩، حوادث سنة ٧٩٨هـ، كانت أوقاف مصر مقصورة على الدور والرباع، ولكن هذا الأمر لم يستمر بل اتجه إلى وقف الأراضي والبساتين، واتسع في عهد المماليك وكثرت الأوقاف، واتسع نطاقها مما كان سبباً في أن يجعل للأوقاف ثلاثة دواوين: ديوان لأحباس المساجد، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين، وجهات البر الأخرى، وديوان للأوقاف الخاصة (الأهلية – الذرية)، وتعرض الوقف خلال تلك الفترة إلى هزات متتالية، وحملات واسعة تهدف إلى إلغائه وخاصة الأوقاف (الأهلية – الذرية)، ففي القرن الثامن الهجري، فكر (برقوق أتابك) بإبطال الأوقاف الخاصة، وعقد مجلساً من العلماء لأخذ فتواهم في ذلك، ويرى البعض أن فكرة برقوق اقتصرت على إبطال أوقاف الأمراء السابقين فقط، الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج ١، ص ٤٦ – ٤٧، والشافعي، الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م)، الأم، طبعة بولاق، ١٣٢١هـ، ج ٤، ص ٥٩.

(٣) وثيقة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ برقم (٨٨٠) أوقاف، انظر: جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) وثيقة وقف السلطان قايتباي برقم (٨٨٦) أوقاف، وثيقة وقف للسلطان نفسه رقم (٨٩٠ج) أوقاف.

على الدوادار وكاتب السر معاً شريطة اجتماعهما لا انفرادهما، وقد حددت الوثيقة أن يصرف لكل منهما خمسمائة نصف شهرياً، فإن تعذر وجود هذا، أو ذاك انصرفت النظارة لحاكـــم المسلمين بمصر[١].

وقد اشترط الغوري في الوثيقة أن يكون الناظر على وقفه ناظراً أولا كبيراً من يكون ملوك الإسلام سلطاناً بمصر، "ولا يقبل ذلك على سبيل التبرك"، وعن مهام الناظر الثاني، فقد ذكر بأنه "هو ما ينظر عليه بنظر الناظر الأول، وهو المقام الناصري نجل المقام الشريف الواقف"[٢].

وما سيق عن بعض السلاطين، وشروطهم في تحديد النظارة على أوقافهم من خلال وثائق وقفهم ينطبق أيضاً على الأمراء، وعامة الأفراد، فمن خلال وثائق وقفياتهم تبين أن الأمير السيفي قرقماس اشترط على من يكون ناظراً بعد أولاده، وعتقائه "لمن يكون أمير رأس[٣] نوبة كبيرة بالديار المصرية"[٤].

وينهج بقية الأمراء في هذا الصدد نهج السابق، فالأمير آخور كبير قراقجا الحسني أيضاً نص في وثيقة وقفه على أن تكون النظارة على وقفه من بعده لأولاده، ومن بعدهم تقتصر على عتقائه، وذلك "بمشاركة من يكون أمير آخوركبير بالديار المصرية في كل زمان من الأزمنة[٥]، كما أن المقر السيفي شيخو جعل النظر على أوقافه لمن يكون على رأس نوبة بالديار المصرية، ولشيخ الخانقاه[٦] المشاركة معه في النظر."[٧].

وتشير بعض المصادر في هذا الصدد أن سبب مشاركة الأمراء في النظر على الأوقاف كان يعود إلى فساد القضاة، وإلا فقد كانوا أحق من غيرهم بالمشاركة في هذه النظارة[٨].

---

(١) وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم (٩٣٨) أوقاف.

(٢) وثيقة وقف السلطان الغوري رقم (٨٨٣) أوقاف، سطر ١٥٥٥ وما بعده، تحقيق ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، انظر وثيقة أخرى لوقف هذا السلطان، مؤرخة في محرم وشعبان سنة ٩٠٩هـ برقم (٨٨٤) أوقاف. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) **أمير رأس نوبة:** هذه الوظيفة من الوظائف الكبرى التي يشغلها عسكريون من طبقة أمراء المئين مقدمي الألوف في حضرة السلطان المملوكي، وكان أمير رأس نوبة عند السلطان هو كبير مجموعة من رؤوس النوب من طبقة أقل من أمراء المئين، منهم رأس نوبة ثان من أمراء الطبلخانات، ورأس نوبة ثالث، ورأس نوبة رابع، ورؤوس نوب آخرون، وربما كانت أقدم كتابة معروفة، وردت فيها الصيغة المفخمة لهذه الوظيفة كتابة أثرية بمرسوم بتاريخ ٨ من ذي القعدة سنة ٧٩٧هـ بمسجد قديم بأدفو باسم "السيفي أيتمش أمير رأس نوبة النواب المكي الظاهري" أي عند الملك الظاهر سيف الدين برقوق، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٤ وما بعدها، وخليل الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١١٤، والباشا، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٤) وثيقة وقف السيفي قرقماس، رقم (٩٠١) أوقاف، ص ٣٣، وللمذكور وثيقة وقف أخرى، مؤرخة في ٢٩ من رمضـــان سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م برقم (٢٦٢) محفظة (٤١)، دار الوثائق القومية ، انظر: جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) وثيقة وقف قراقجا الحسني برقم (٩٢) أوقاف، تحقيق ونشر د. عبد اللطيف إبراهيم، سطر ٢٢٢، ٢٢٧، ص ٢١٧ - ٢١٨. وللمذكور وثيقة وقف أخرى مؤرخة في أول شعبان سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م برقم (٧٤٨ج) أوقاف ، انظر: جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) **خانقاه شيخو** ذكرها المقريزي بأنها في خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو، وأنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمري سنة ٧٥٦هـ، وكان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون، اشتراها الأمير شيخو من أصحابها وهدمها في محرم هذه السنة، واختط فيها مبرات خيرية، منها الخانقاه، ورتب فيها دروسا فقهية اتسعت لمدارسة المذاهب الأربعة المشهورة، ودروساً للحديث وللقرآن وعلومه، وأقام الشيخ - يذكر المقريزي شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود في مشيخة الخانقاه، ومدرس الحنفية، وجعل إليه النظر في أوقاف الخانقاه وظيفتها إلى أن مات الشيخ المذكور في رمضان سنة ٧٨٦هـ، فانهارت هذه الأوقاف بسبب المحن، لكن كان بها مبلغ كبير من المال (فاض عن مصروفاتها فأخذه الملك الناصر فرج وأخذت أحوالها تتناقص حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لأرباب الوظائف) من هذا نستفيد أن السلاطين كانوا سبباً في انهيار هذه الأوقاف وضياع أموالها على أنفسهم، أو على غيرهم، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٤٢١، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٢٠٣.

(٧) ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٣، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص ٤٢١.

(٨) ابن تغري بردي، منتخبات من حوادث الدهور ص ٤١٧.

ويمكن إضافة سبب آخر إلى ذلك ، هو أن الواقفين قد لجأوا إلى مشاركة الأمراء في نظارة أوقافهم باعتبار أنهم كانوا قوة لا يستهان بها في تلك الفترة، ويمكن أن تحافظ على الوقف في وقت كثر فيه الفساد، وطغى فيه نفوذ الأمراء، ومال أكثرهم إلى نهب الأوقاف وضياع أموالها[١].

وحرصاً على هذه الأوقاف، وما تدره من ريع وافر، فقد رتب كل واقف – حسب وقفه كثرة أو قلة – عدداً من الموظفين الإداريين لمراقبة أوقافه، ومعاونة الناظر في الإشراف على هذه الأوقاف حتى تحقق الغرض المنشود منها.

ففي حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م[٢]، رتب الواقف فيها تعيين شاهد ضبط للمتحصل من ريع الوقف، وتحرير ما يقبضه الجُباة وقد خصص له الواقف سنويّا أربعة أفلوريات[٣] كما حدد الواقف أيضاً تعيين رجل يجبي ريع الموقوف في مكة المشرفة، على أن يصرف له مقابل ذلك عشرة أفلوريات كلّ سنة[٤].

وقد أشار المقريزي إلى الأوقاف الخاصة (الأهلية – الذرية) وكثرتها، والتي عين عليها ناظر خاص، وذكر أنه "إما من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان، أو القاضي، وفي هذه الجهة – يقصد الجهة الثالثة التي ذكرها وهي الأوقاف الخاصة (الأهلية)– : الخوانك، والمدارس والجوامع، والترب (أي المقابر)، وكان متحصلها قد خرج عن الحد في الكثرة ، لما حدث في الدولة التركية من بناء المدارس، والجوامع، والترب، وغيرها، وصاروا يفردون أراضي من أعمال مصر والشام، وفيها بلاد مقررة، ويقيمون صورة يتملكونها بها، ويجعلونها وقفاً على مصارف كما يريدون، فلما استبد الأمير برقوق بأمر بلاد مصر قبل أن يتلقب باسم السلطنة همّ بارتجاع هذه البلاد – إلى قوله – فلما جلس على تخت الملك صار أمراؤه يستأجرون هذه النواحي من جهات الأوقاف ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا" وأفاد أخيراً بانهيار هذه الأوقاف لأن أكثر من استأجروا لا يدفعون شيئاً ألبتة، فضلاً عن استيلاء الدولة على هذه الأراضي[٥].

وقد شغل القضاة بحكم وظائفهم، وحسب شروط الواقف، الكثير من أهم الوظائف في الأوقاف الخاصة كالتدريس، والخطابة، أو نظارة الوقف والإشراف عليه التي كانت تسند إلي القاضي ويتولاها بحكم منصبه، ذكرها ابن حجر في قوله: "وبَقّى السلطان مع القاضي عماد الدين من وظائف القضاء تدريس المدرسة الصلاحية

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٩٦، وابن حجر،إنباء الغمر، ج٢، ص ٤٤٦ – ٤٤٧، وخلال هذه الصفحات بيان بفساد الأمراء في الأوقاف "وصار كل من يريد بيع وقف، أو شراء وقف سعى عند القاضي... بجاه، أو مال، فيحكم له بما يريد من ذلك...".

(٢) حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة، المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، رقم الحجة (٩٠) محفظة (١٥) دار الوثائق القومية، انظر: جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) حجة وقف الزيني خشقدم، رقم الحجة (٩٠) محفظة (١٥)، دار الوثائق القومية، سطر ٣١، ٣٢.

(٤) الحجة السابقة، سطر ٣٧ – ٣٨.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٩٥ – ٢٩٦.

المجاورة للشافعي، ودرّس الحديث بالجامع الطولوني، ونظر وقف الصالح بين القصرين" وهذه الوظائف أمر السلطان فرج ابن برقوق باستمرارها مع القاضي عماد الدين بعد عزله سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م[١].

وعندما جرت مناوشات حول عزل ابن حجر من القضاء، أعاده السلطان، وإضافة إلى القضاء، فقد أسند إليه نظارة أوقاف عديدة أشار إليها المقريزي بقوله "بعدما جرى بين قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن شيخ الإسلام بن حجر الشافعي[٢]، وقاضي القضاة سعد الدين سعد الديري[٣] الحنفي كلام اقتضى عزل ابن حجر نفسه من القضاء، فأعاده السلطان جقمق في سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م إلى وظيفة القضاء، وجدد له ولاية ثانية عنه، وأضاف إليه ما خرج عنه في الأيام الأشرفية من نظر الأوقاف، ونظر وقف قراقوش، ونظر وقف يلبغا التركماني، ونظر وقف المدرسة الطيبرسية[٤] بجوار الجامع الأزهر، وأكد عليه في أنه لا يقبل رسالة متجوه - صاحب جاه - ولا يؤجر وقفاً لذي جاه..."[٥].

ومما استأثر به أيضاً قاضي القضاة الشافعي بحكم منصبه نظر وقف الأشراف، وكان هذا القاضي يستنيب عنه في نظر هذا الوقف، إما أحد الأشراف[٦]، وإما أحد خلفاء الحكم[٧]، لكن هذا لم يستمر طويلاً، ففي ذي القعدة سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م خلع السلطان برقوق على نقيب الأشراف السيد الشريف جمال الدين عبد الله عبد الرحيم الطباطي، واستقر في نظر[٨] وقف الأشراف عوضاً عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، وتعقيباً على ذلك يذكر المقريزي قوله: "فخرج من حينئذ نظر

---

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٦١، وأضاف في هذه الصفحة أن القاضي عماد الدين استمر في ذلك إلى أن شغرت الخطابة بالمسجد الأقصى، وتدريس الصلاحية، فقررها السلطان فرج لعماد الدين، وذلك في سنة ٧٩٩هـ، فتوجه إلى القدس، وباشرهما، وأقبل على العبادة والتلاوة حتى وفاته في ١٧ من شهر ربيع الأول سنة ٨٠١هـ.محمد أمين ، الأوقاف، ص١١٨.

(٢) هو: **أحمد بن علي بن محمد** (بن حجر العسقلاني) قاضي القضاة، حافظ عصره، شهاب الدين أبوالفضل بن الشيخ نور الدين، المعروف بابن حجر، مولده ٢٢ من شعبان سنة ٧٧٣هـ، ووفاته في ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ، ولم يكن بعده مثله، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٦٤ برقم ٢٢١.

(٣) هو: **سعد بن محمد**، قاضي القضاة وشيخ الإسلام سعد الدين بن قاضي القضاة شمس الدين الدِّيري الحنفي المقدسي، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها بل سائر الأقطار، مولده في شهر رجب سنة ٧٦٨هـ، وتولى قضاء مصر على كُره في سنة ٨٤٢هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٣١٣ برقم ١٠٦٦.

(٤) **المدرسة الطيبرسية** تقع بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش، وفاته سنة ٧١٩ هـ، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٨٣، والسلوك، ج٤، ص ١٠٩٦ وهامشها رقم (٤).

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص ١٠٩٦ - ١٠٩٧.

(٦) استناب قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة عنه في نظر وقف الأشراف في شوال سنة (٧٨٣هـ) الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم حمزة، المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٣٣٣، ق٢، ص ٤٥٦.

(٧) في ربيع الأول ٧٨٥هـ صرف الشريف صدر الدين عن نيابة نظر وقف الأشراف برغبته عنه، واستقر عوضه حيدر الدين عمر بن رزين أحد خلفاء الحكم، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٤٨٨.

(٨) بصدد الحديث عن نظر الأوقاف أفاد المقريزي أن هناك ديوانا للنظر وهو من أجل دواوين الأموال، لأنه يتولى النظر عليهم، ومن حقه العزل والولاية، وعرض الأوراق في أوقات معلومة على السلطان والوزير، وله الجلوس بالمرتبة، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة، وهو يندب المترسلين لطلب الحساب، والحث على طلب الأموال، ومطالبة أرباب الدولة، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٤١، ٢٤٣.

الأشراف عن القضاة، ولم يعد إليهم"[١]، ثم أصبح هناك ديوان مستقل للأشراف هو "ديوان الأشراف" من مهامه ضبط جميع الأشراف وأنسابهم ومتعلقاتهم من الأوقاف [٢].

ومن الأوقاف الأهلية التي تحول ريع صرفها بعد انقراض الذرية والعتقاء إلى أوجه البر والخير التي يعود نفعها على مصالح الحرمين الشريفين، وأمرائهما من الأشراف الحسنيين والحسينيين وعلى أهاليهما ومن بهما من المقيمين، أو المجاورين والوافدين، وسائر الخدمات المدنية العامة بالمدينتين المقدستين ، تطالعنا حجة وقف فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب، التي كان من أوجه صرفها بعد انقراض الذرية صرف ريع الوقف على مصالح الحرم الشريف النبوي، وعلى خدام الضريح النبوي، وعلى الأشراف الهاشميين والبكريين المقيمين بمدينة رسول الله ﷺ [٣].

ومن الأوقاف التي يكون الريع فيها للواقف ولأبنائه من بعده ثم يؤول هذا الريع بعد انقراض الموقوف عليهم، حجة وقف بدر بن رزيك ومن شروط الواقف في هذه الحجة أن يصرف ريع الوقف بعد انقراض الذرية إلى السادة الأشراف الحسنيين المقيمين بمكة شرفها الله تعالى، والحسنيين المقيمين بمدينة الرسول ﷺ[٤].

وعلى نمط ما سبق كانت حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير خازندار، وقد حدد الواقف في حجة وقفه أنه بعد وفاة الموقوف عليهم، وانقراض الذرية يؤول ريع الوقف على مصالح المسجد الحرام بمكة، وعلى الميضآت بالقرب من المسجد المذكور، ومرمتها، وإصلاح ما تخرب منها، وأيضاً في مصالح المسجد النبوي، يتولى الناظر هذه المصالح من حيث عمارته، ومرمته وإصلاحه[٥].

وفي حجة وقف أردكين بنت السيفي نوكيه السلاح دار المنصوري، اشترطت الواقفة أنه بعد انقراض الذرية والعتقاء يؤول ريع الوقف إلى الفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين[٦].

وورد في حجة وقف السيفي بهادر السعيدي أمير علم: أنه بعد انقراض الذرية والعتقاء يؤول ريع الوقف إلى رواد الحلقات العلمية الرائدة بالحرمين الشريفين لقراءة القرآن الكريم، ومدارسة علومه من تفسير وحديث وفقه[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٥٠٣.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف المماليك، ص ١٠٩.

(٣) حجة وقف فخر الدين يعقوب، المؤرخة في ٥ من محرم سنة ٦٦٢هـ، رقم الوثيقة (٨) محفظة (٢)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة وقف بدر بن رزيك، المؤرخة في ١٧ من محرم سنة ٦٦٥هـ، رقم الوثيقة (٩) محفظة (٢)، دار الوثائق القومية ، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار، أمير خازندار، المؤرخة في ١٤ من محرم سنة ٧٠٧هـ، رقم الوثيقة (٢٠) محفظة (٤)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) حجة وقف أردكين ابنة السيفي نوكيه، المؤرخة في ١٨ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ، رقم الوثيقة (٢٦) محفظة (٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٧) حجة وقف السيفي بهادر السعيدي أمير علم، المؤرخة في ٢٣ من صفر سنة ٧٢٣هـ، رقم الوثيقة (٢٩) محفظة (٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

ونصّت حجة وقف الأمير مثقال مقدم المماليك على أنه "... بعد موت الواقف يؤول الريع إلى العتقاء، فإن انقرضوا بأجمعهم وأبادهم الموت عن آخرهم، ولم يبق لهم نسل ولا عقب صرف ريع الحصة المذكورة إلى الخدام البطالين بالحرم النبوي، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام بالسوية بينهم..."(١).

كما حددت حجة وقف محمد بن نور علي الجزولي أنه بعد انقراض الموقوف عليهم من الذرية، ولم يبق منهم أحد كان ريع هذا الوقف مصروفاً على مصالح الحرمين الشريفين(٢).

ومن الأوقاف التي امتزج فيها الوقف الخيري بالأهلي حجة وقف يحيى بن السيفي طوغان بن عبد الله الحسني، وقد وجه الواقف ريع وقفه فيها بعد انقراض الأهل والذرية إلى مصالح الحرمين الشريفين(٣).

كذلك حجة وقف سيف الدين قراقجا بن عبد الله الحسني أمير آخور كبير، وهو الذي حدد في وثيقة وقفه أنه بعد انقراض الذرية، والموقوف عليهم يصرف ريع الموقوف منه الموصوف والمحدد في مصالح الفقراء والمساكين والأرامل، والأيتام والعاجزين المتصفين بفقر الحال والفاقة المقيمين بمكة المشرفة ومدينة طيبة، كما اشترط الواقف أن يرسل ذلك مع موثوق به في كل سنة صحبة الركب الشريف الموسمي(٤).

وجرياً على ماسبق ذكره، اشترطت كزل ابنة أسندمر أن يؤول ريع وقفها بعد انقراض الموقوف عليهم من الذرية والعتقاء وقفاً مصروفاً ريعه على مصالح الحرمين الشريفين، فإن تعذر الصرف لجهة المصروف عليهم توجه ريع الوقف إلى الفقراء والمساكين أينما كانوا وحيثما وجدوا على مايراه ناظر هذا الوقف ويؤدي إليه اجتهاده(٥).

وعلى ضوء ما ذكر حجة وقف السيفي تغري بردي المحمودي رأس نوبة النواب، وقد قرر صاحب هذه الحجة أن يؤول ريع الوقف بعد انقراض الذرية على مصالح الحرمين الشريفين(٦).

وكذلك كانت حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله الخوارزمي الزمام الملكي الناصري(٧)، فقد اشترط الواقف المذكور أن يوجه ريع ستة عشر سهماً من ريع وقفه بعد انقضاء الذرية والعتقاء وقفاً مصروفاً ريعه على الفقراء من الخدام البطالين المجاورين بحرم سيدنا رسول الله ﷺ، واشترط هذا الواقف أيضا على ناظر وقفه أن يقوم بإرساله كل سنة صحبة الركب الشريف.

---

(١) حجة وقف الأمير مثقال، المؤرخة في ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ٧٦٦هـ، رقم الوثيقة (٤٤) محفظة (٧)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٤٤، ٧٨ من هامش الوثيقة، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤.

(٢) حجة وقف محمد بن نور الدين الجزولي، المؤرخة في ٣ من شوال سنة ٧٦٦هـ، رقم الوثيقة (٤٥) محفظة (٧)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٣) حجة وقف يحيى بن السيفي طوغان الحسني، المؤرخة في ٢٨ من شوال سنة ٨٧٠هـ، رقم الوثيقة (٥٧١ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٤) حجة سيف الدين قراقجا، المؤرخة في أول شعبان سنة ٨٤٥هـ، رقم الوثيقة (٩٢ ق) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف كزل ابنة أسندمر، المؤرخة في ٥ من رمضان سنة ٨٣٨هـ، رقم الوثيقة (٥٦٠ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) حجة وقف السيفي تغري بردي المحمودي، المؤرخة في ١٥ من ذي القعدة سنة ٨٢٧هـ، رقم الوثيقة (٦٠٦ج) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٧) حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله الخوارزمي الزمام الملكي الناصري، رقم الوثيقة (٢٧٤)، محفظة (٤٢)، دار الوثائق القومية.

ومن الأوقاف الخاصة (الأهلية - الذرية) والتي تحول ريع صرفها إلى الأوقاف الأهلية الخيرية بعد انقراض الذرية والعتقاء والتي امتزج فيها الوقف العام بالخاص من خلال شرط الواقف، هذا العدد من هذه الوثائق، وأماكن حفظها، للاطلاع على نص ما اشترطه الواقف، والأعيان الموقوفة بها، وأوجه الصرف التي حدّدها في جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة[1].

---

(١) وتحدد هذه الوثائق وجه صرف ريعها: إلى مصالح الحرمين الشريفين، من عمارة، وترميم، وإصلاح، وعلى القائمين بمهامه وشؤونه من قضاة، وأئمة، وخطباء، وقراء، ومؤذنين، وسقائين، وبوابين وفراشين، ووقادين، وخدّام الحجرة النبوية والمسجد النبوي الموظفين منهم والبطالين، وعلى أهالي الحرمين الشريفين، والمجاورين، والوافدين إليهما، والمنقطعين والفقراء والمساكين، والأرامل، والأيتام، وهذا إجمال لبعض مصارف هذه الوثائق، وللمزيد من المعلومات انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

١ - حجة وقف الجمالي عبد الله، المؤرخة في ١٧ ذي القعدة سنة ٧٦٧هـ، رقم الوثيقة (٤٦) محفظة (٧)، دار الوثائق القومية.

٢ - حجة وقف خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان، المؤرخة في ٢٥ ذي القعدة سنة ٧٧١هـ، رقم الوثيقة (٤٧)، محفظة (٧)، دار الوثائق القومية.

٣ - حجة وقف جركس بن عبد الله القاسمي، المؤرخة في ٢٢ ذي الحجة ٨٠٩هـ، رقم الوثيقة (٦٤) محفظة (١١)، دار الوثائق القومية.

٤ - حجة وقف جمال الدين أبي المحاسن، المؤرخة في ١٠ من ذي القعدة ٨١٥هـ، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة ١٧، دار الوثائق القومية.

٥ - حجة وقف عائشة ابنة برجك، المؤرخة في ١٢ من جمادى الآخرة ٨٦٥هـ، رقم الوثيقة (١٢٣)، محفظة (٢٠)، دار الوثائق القومية.

٦ - حجة وقف سودون بن عبد الله، المؤرخة في ٢٩ من ذي الحجة ٨٦٤هـ، رقم الوثيقة (١٢٥) محفظة (٢٠)، دار الوثائق القومية.

٧ - حجة وقف أبي العباس الطياري، المؤرخة في ٨ من جمادى الأولى ٨٦٦هـ، رقم الوثيقة (١٣٢) محفظة (٢١)، دار الوثائق القومية.

٨ - حجة وقف خديجة بنت أحمد أرغوان شاه، المؤرخة في ٦ من شوال سنة ٨٦٦هـ، رقم الوثيقة (١٣٣)، محفظة (٢١)، دار الوثائق القومية.

٩ - حجة وقف الشرفي يونس، المؤرخة في ١٥ من ذي الحجة ٨٦٧هـ، رقم الوثيقة (١٣٧)، محفظة (٢٢)، دار الوثائق القومية.

١٠ - حجة وقف المصونة بركة ابنة شرف الدين، المؤرخة في ٢٣ من ربيع الأول ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (١٤٠)، محفظة (٢٢)، دار الوثائق القومية.

١١ - حجة وقف العلائي علي الشهير بالعمري، المؤرخة في ١٣ من رمضان ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (١٤١) محفظة (٢٢)، دار الوثائق القومية.

١٢ - حجة وقف المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان، المؤرخة في ١٩ من ذي القعدة، ٨٦٨هـ، رقم الوثيقة (١٥٠) محفظة (٢٣)، دار الوثائق القومية.

١٣ - حجة وقف موسى بن عيسى بن أحمد، المؤرخة في ١٤ من ربيع الأول ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥١)، محفظة (٢٣)، دار الوثائق القومية.

١٤ - حجة وقف السيفي تغري بردي الأحمدي، المؤرخة في ٢٧ من شعبان ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٢) محفظة (٢٣)، دار الوثائق القومية.

١٥ - حجة وقف السيفي جاني بك، المؤرخة في ١٩ من ذو الحجة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٣)، محفظة (٢٤)، دار الوثائق القومية.

١٦ - حجة وقف أبي زكريا يحيى بن عبد الله، المؤرخة في ٢٢ من ذي الحجة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٤) محفظة (٢٤)، دار الوثائق القومية.

ثالثاً ـ تنظيمات الوقف والإشراف عليه:

تلزم الإشارة إلى من كانت له الولاية على الوقف، وهذه الولاية قد تكون على الوقف من قبل الواقف نفسه، أو لمن عينه ناظراً على وقفه في حياته، ثم لوصي الواقف بعد وفاته، وهذه الولاية لم تكن وليدة هذه الفترة، فقد وَلِي عمر رضي الله عنه صدقته بنفسه، ثم جعلها إلى حفصة تليه ما عاشت، ثم إلى أولي الرأي من أهلها، فإن مات الواقف، ولم يعين لولاية وقفه أحداً، تنصرف لمستحق الوقف إن كان معيناً ورشيداً، وإلا فلوليه، وإلا فللحاكم بحكم ولايته العامة، وتكون له ابتداء إذا كان الوقف على غير معين، ولم يعين الواقف نفسه ولا غيره

= ١٧ - حجة وقف السيفي طوغان بن عبد الله، المؤرخة في ٢٢ من ذي الحجة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٥)، محفظة (٢٤)، دار الوثائق القومية.

١٨ - حجة وقف تغري بردي بن عبد الله المحمودي، المؤرخة في ٢٢ من ذي الحجة ٨٧١هـ، رقم الوثيقة (١٥٨)، محفظة (٢٤)، دار الوثائق القومية.

١٩ - حجة وقف الزيني سرور بن عبد الله الطواشي، المؤرخة في ٣ من جمادى الآخرة سنة ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (١٥٩)، محفظة (٢٤)، دار الوثائق القومية.

٢٠ - حجة وقف شمس الدين محمد الشهابي، المؤرخة في ١٠ من رجب ٨٧٣هـ، رقم الوثيقة (١٦٠)، محفظة (٢٤)، دار الوثائق القومية.

٢١ - حجة وقف السيفي تغري بردي بن عبد الله الشمس، المؤرخة في ١١ من ذي القعدة ٨٧٦هـ، رقم الوثيقة (١٧٢)، محفظة (٢٧)، دار الوثائق القومية.

٢٢ - حجة وقف أبي بكر بن مزهر الأنصاري، المؤرخة في ٨ من صفر ٨٧٩هـ، رقم الوثيقة (١٧٥)، محفظة (٢٧)، دار الوثائق القومية.

٢٣ - حجة وقف الأمير صارم الدين إبراهيم الخزعلي، المؤرخة في ١١ من محرم ٨٨٠هـ، رقم الوثيقة (١٧٦)، محفظة (٢٧)، دار الوثائق القومية.

٢٤ - حجة وقف علاء الدين علي بن خاص بك، المؤرخة في ١١ من جمادى الآخرة ٨٨٠هـ، رقم الوثيقة (١٨٠)، محفظة (٢٧)، دار الوثائق القومية.

٢٥ - حجة وقف الناصري محمد بن الزيني، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة ٨٨١هـ، رقم الوثيقة (١٨٣)، محفظة (٢٨)، دار الوثائق القومية.

٢٦ - حجة وقف زين الدين عبد الرحمن بن محمد، المؤرخة في ٩ من جمادى الأولى سنة ٨٨٦هـ، رقم الوثيقة (١٨٩)، محفظة (٢٨)، دار الوثائق القومية.

٢٧ - حجة وقف أبي الرحاب محمد الصالحي، المؤرخة في ٢ من جمادى الآخرة ٨٨٧هـ، رقم الوثيقة (١٩١)، محفظة (٢٩)، دار الوثائق القومية.

٢٨ - حجة وقف الناصري محمد بن محمد، المؤرخة في ٢ من رجب سنة ٨٩٥هـ، رقم الوثيقة (٢٠٧)، محفظة (٣٣)، دار الوثائق القومية.

٢٩ - حجة وقف السيفي طقشتمر، المؤرخة في ٦ من ربيع الآخر سنة ٨٩٥هـ، رقم الوثيقة (٢١٢)، محفظة (٣٣)، دار الوثائق القومية.

٣٠ - حجة وقف الزيني فرج بن بردبك، المؤرخة في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٨٩٩هـ، رقم الوثيقة (٢١٦)، محفظة (٣٤)، دار الوثائق القومية.

٣١ - حجة وقف الحاجة سلمى، المؤرخة في ٩ من رجب سنة ٧٩٠هـ، رقم الوثيقة (٦٠٣ج)، وزارة الأوقاف.

٣٢ - حجة وقف قاني باي الرماح أمير آخور كبير، المؤرخة في ١٠ من رمضان سنة ٩٠٨هـ، رقم الوثيقة (١٠١٩ق)، وزارة الأوقاف.

٣٣ - حجة وقف سلما وسليمان ولدي البدر حسن، المؤرخة في ١٨ من صفر ٩٢١هـ، رقم الوثيقة (٤٩١ ق)، وزارة الأوقاف.

٣٤ - حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر ٨٠٤هـ، رقم الوثيقة (٦٨ج)، وزارة الأوقاف.

٣٥ - حجة وقف السلطان قايتباي، المؤرخة في ١٥ من ذي الحجة ٨٩٥هـ، رقم الوثيقة (٨٩٠ ج)، وزارة الأوقاف.

للنظارة على وقفه، ولأهمية هذه النظارة[١] باعتبارها من أهم الوظائف في تنظيم الوقف والإشراف عليه وتلزم من يليها بأمور جسام، فإنها تطلبت الدقة في اختيار من يشغلها،ومن شروط القائم بها: أمانته وعدالته، وكفاءته وقدرته على حسن التصرف في كل من يلي أمره، أو يمارس نظارته عليه، فإن فقد أحد هذه الشروط نزع الحاكم هذه الوظيفة منه حتى لو اشترطها الواقف نفسه[٢].

وقد تنوعت شروط الواقف[٣] ، وهي مقبولة إذا لم تخالف الوجهة الشرعية وهذه يجب اتباعها والسير على نهجها كاشتراطه تخصيص ناظر، أو مذهب معين، أو اشتراطه أن يكون لمتولي وقفه الزيادة أو النقصان في مرتبات المستحقين، أو اشتراطه تسديد دَيْن ورثته إذا لزمهم ديون وما شابه ذلك مما لا يخالف الشرع، أو ينافي

---

(١) بالنسبة لهذه النظارة، أو متولي الوقف الذي ترده عبارات الوثائق التي هي موضوع الدراسة ، ولأهمية هذه الوظيفة وما يأتي بشأن من يشغلها من عبارات أو مقولات تكاد تكون شبه إلزامية في كل هذه الوثائق مثل "حسب ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده" وجب التنبيه إلى أن هذه الوظيفة لها شروط حددها جمهور الفقهاء فيمن يتم تعيينه عليها، كالأمانة والعقل والبلوغ والعدالة والكفاءة والقدرة، وحسن التصرف ، إضافة إلى ديانته وسماحته وحسن خلقه، وكل ما يتفق مع الوجهة الشرعية، وعلى هذا فلا ولاية لمجنون، أو صبي، لأنه لا ولاية لهما على أنفسهما، فلا تكون لهما ولاية على غيرهما، فإن أفاق المجنون، أو بلغ الصبي عادت إليهما الولاية بمقتضى شرط الواقف، وبدون احتياج إلى تقرير القاضي، ومثل الصبي ما إذا اشترط الواقف الولاية لمن لم يخلق من أولاده، وكما يشترط العقل لصحة الولاية ابتداء يشترط لصحتها بقاء، فلو جُن الناظر سنة فأكثر انعزل وتعود إليه الولاية بإفاقته إذا كان ناظراً بالشرط، فإذا كان منصوباً من القاضي لا تعود الولاية له بإفاقته، وينبغي أن يكون المتولي أميناً، لأن الولاية مقيدة بشرط النظر، وليس من النظر تولية الخائن، وينبغي أن يكون أيضاً قادراً على التصرف في أمور الوقف، لأن المقصود لا يتحقق عند العجز، وألا يطلب التولية إن لم تكن مشروطة له، فإن طلبها لا يُعطاها، أما إذا كانت مشروطة له فلا يعتبر طالباً لها، لأنه تولاها بمقتضى الشرط وأجاز الفقهاء للواقف تولية الناظر على وقفه، ولو اشترط الواقف أن يُعد ناظر الوقف دفتراً لقيد إيراده، أو مصروفاته، أو دفع مستحقات المستحقين في شهر معين كل سنة وخالف يخرج من النظارة وشرطه صحيح، ولا يحتاج في ذلك لعزل القاضي، فكل شرط لا ينافي حكم الواقف، ولا يضر بالموقوف، أو الموقوف عليه فإنه يجب اتباعه والعمل به، وإذا شرط الواقف الولاية لنفسه حين الوقف جاز، أما إذا سكت فلا ولاية له عليه، فالشرط في صحة الوقف التسليم إلى المتولي، وبعد التسليم تسقط ولاية الواقف على وقفه لخروجه من يده خلافاً لمن قال بولايته عليه مادام حيّا، لأنه لا يشترط في صحة الوقف التسليم إلى المتولي، لأن المتولي يستفيد الولاية من الواقف، ويستحيل ألا تكون له الولاية وغيره يستفيدها منه هذا من جانب، ومن جانب آخر فالواقف أقرب الناس إلى وقفه، فكان أحق بولايته، وإذا ثبتت له الولاية يقوم بمصالحه فيستغله ويجمع ريعه، ويصرفه في الوجوه التي سمّاها حسب شرطه، وله أن يولي على وقفه واحداً أو أكثر في حياته، أو بعد مماته، أو فيهما معاً، وله عزله لسبب أو لآخر، وإذا مات يعزل المتولي لأنه وكيل عنه لا عن الفقراء الموقوف عليهم إلا إذا اشترط له الولاية بعد وفاته، لأنه وصي عنه في هذه الحالة، وثبت لمن ولاّه حق التصرف في أمور الوقف دون القاضي، لأن الولاية الخاصة مقدمة على الولاية العامة، فهو الذي يؤجر الوقف، ويعمره، ويتسلم الأجرة، ويتولى صرفها في أوجه صرفها وقسمتها على مستحقيها، ويوسع ماله من تصرف، وله أن يوكل من يشاء، وله أن يوصي به في مرض موته لمن يشاء، ويكون وصيُّه ووصيُّ وصيه مقدماً على القاضي الشافعي أيضاً، الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص ٤١، ٤٤، والدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه، ص ٥٩٤، والدردير على خليل، الشرح الكبير، ج٤، ص ٨٨، والخصاف، أحكام الوقف، ص ٢٠١ وما بعدها، وعبد الجليل عشوب، كتاب الوقف، ص ٧٤، ٩٩، ١٠٣.

(٢) الدردير، الشرح الكبير، ج٤، ص ٨٨، والشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص ٣٩٣ - ٣٩٤، وابن قدامة، المغني، ج٦، ص ٢٤٢، وابن عابدين، رد المحتار، ج٤، ص ٣٨، والطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص ٦٣، وما بعدها، والخصاف، أحكام الوقف، ص ٢٠١، وما بعدها.

(٣) **المراد بشروط الواقفين** هي ما يعبر به كل واقف في وقفه عن نظامه ورغباته ومقاصده من وقفه، وقد تكون هذه الشروط متعلقة بأصل الوقف وإنشائه كاشتراط توقيته، أو تأبيده، وقد تكون على غير ذلك أي متعلقة بغير أصله كاشتراط اتباع طريقة معينة في توزيع ريعه، أو الاستحقاق فيه والولاية عليه وغير ذلك، فهذه الشروط عبارة عن أمور يكون منها الواقف نظام وقفه للوصول إلى غرضه منه وهذه أمور لا حصر لها لأن أغراض الواقفين ورغباتهم لا سبيل إلى حصرها، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٨، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٨٩.

مقتضى العقد. أما الشروط غير المقبولة فهي التي تخالف الشرع، كاشتراطه في وقفه أن يصير ملكاً لورثته عند احتياجهم إليه، أو بيعه، أو هبته، أو يشترط الخيار لنفسه، أو يدخل من يشاء ويخرج من يشاء[١] من أهل الوقف، فهذه شروط ليست فقط مخالفة لمقتضى العقد، بل مبطلة للعقد من أساسه، وهناك شروط فاسدة وإن اقترنت بعقد الوقف فهي باطلة مع صحة الوقف، ويتضح ذلك فيمن اشترط أن يبدأ من الغلة بمنافع آهلة ويترك ما تهدم منه، أو يترك الإنفاق عليه إذا كان حيواناً، فيبطل الشرط والوقف صحيح[٢].

وأما شروط الواقفين الصحيحة، فهي التي لا تخل بأصل الوقف، ولا تنافي أحكامه، ولا تضر بالانتفاع بالموقوف، ولا بمصالح المستحقين، وتكون متفقة مع الشرع وليست مخالفة له، فإذا شرط الواقف حين وقفه أن يبدأ من ريعه بقضاء الديون التي يجب أداؤها أو قضاؤها، أو بالقيام بما يحتاج إليه الموقوف من تعمير، أو ترميم، أو اشترط الترتيب بين طبقات أولاده في الاستحقاق، أو أن له حق التغيير في مصارف وقفه وشروطه، فهذه الشروط جائزة صحيحة، والوقف المقترن بها صحيح وجائز[٣].

ومما تجب ملاحظته من خلال ما سبق ذكره عن شروط الواقفين من حيث قبولها وصحتها، أو رفضها وعدم قبولها شرعاً، أن الشرط الصحيح من قبل الواقفين يجب العمل به واتباعه، ومع ذلك فقد يعرض لهذا النوع من الشروط ما يوجب عدم التقيد به، إذا كان تنفيذه يلحق ضرراً بالوقف ذاته، أو بالمستحقين، ويتضح ذلك فيما لو نص الواقف على منع الاستبدال بعقار الوقف، ثم تغيرت الأمور وقد تخرب هذا الوقف وليس له من غلة تكفي مرمته وتعميره، أو أن نفقاته قد تقارب غلته فتضاءلت ثمرته ونحو ذلك، أو اشترط الواقف شرطاً كان من نتائجه غبن القائمين بأعمال الوقف كالمدرس مثلاً الذي أصبح راتبه أقل من مثله عادة، ففي مثل هذه الأحوال يتعين مخالفة شرط الواقف بحكم القاضي إذا كان الوقف على غير معين، لأن القاضي له ولاية عامة، أما إذا كان على معين فلناظر الوقف[٤] أن يتولى الاستبدال وتعديل الشرط بعد أن يأذن له القاضي بذلك[٥].

---

(١) ينبغي ملاحظة عدة أمور عند تطبيق شروط الواقفين، منها أنه لا يعتبر من الشروط إلا ماكان مشروطاً وقت الوقف لا بعده، فإذا تم الوقف فليس للواقف إبداء شروط أخرى إلا إذا احتفظ لنفسه وقت الوقف باشتراط ما شاء، فيكون له حينئذ اشتراط ما يشاء بعد تمام الوقف بمقتضى شرطه المذكور، ومنها أن شروط الوقف كأصله لا يصح الرجوع عنها، فإذا اشترط الواقف صرف ريع وقفه بين أولاده للذكر مثل حظ الأنثيين، فليس من حقه الرجوع فيه وصرفه بالتساوي بينهم إلا إذا اشترط لنفسه في أصل الوقف حق التغيير، فله في هذه الحالة أن يغير في الشروط ما شاء، ولكن إذا غير الواقف أو غيره ما شرط له في أصل الوقف مرة فلا يعود إلى هذا التغيير مرة أخرى إلا إذا كان مشروطاً له تكرار ذلك في أصل الوقف، عشوب، أحكام الوقف، ٧٧ - ٧٨، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٩٢ - ٩٤.

(٢) الدردير، حاشية الدسوقي، ج٤، ص ٨٨ - ٩٠، وابن قدامة، المغني، ج٦، ص ١٩٥، والشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص٣٨٥.

(٣) الطرابلسي، الإسعاف، ص ٥٩ وما بعدها، وعبد الجليل عشوب، أحكام الوقف، ص ٧٦ وما بعدها، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٩٠ ، ٩١.

(٤) تتميماً للفائدة واستكمالاً لما ذكر قبل في الهامشين السابقين من ملاحظات عند تطبيق شروط الواقفين يتبين أنه إذا اشترط الواقف لنفسه في أصل وقفه شيئاً كان له ذلك خاصة، و لم يكن ذلك لمن يلي عليه بعده إلا إذا اشترط له ذلك في أصل الوقف، ومنها أيضاً إذا جعل الواقف شيئاً من الشروط لغيره و لم يجعله لنفسه كان له ولذلك الغير إذ يستحيل أن يملك غيره شيئاً لا يملكه، ومنها إذا جعل لنفسه ولغيره معاً شيئاً من الشروط كان للواقف أن ينفرد بتنفيذه دون ذلك الغير، فللموكل أن ينفرد بالعمل دون وكيله وليس العكس إلا إذا قيده الموكل بأن يعمل معه، ويستثنى مما ذكر تولية الناظر على الوقف فإن ولايته خارجة عن حكم سائر شروط الواقفين، فالشروط الصحيحة التي يشترطها الواقف في حجة وقفه، ولا يكون في مخالفتها تفويت لغرض الواقف، يجوز لناظر الوقف أن يخالفها دون الرجوع إلى إذن القاضي، ابن عابدين، رد المختار، ص ٦٤٣، ٦٦٨، وعشوب، أحكام الوقف ٧٧ ، ٧٨، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٩٢ - ٩٤، ١١٧ - ١١٩.

(٥) يرى المالكية جواز شرط البيع إذا احتاج إلى ذلك الموقوف عليه تمشياً مع مذهبهم في ملكية الوقف، الدردير، حاشية الدسوقي، ج٤، ص ٨٩، وعشوب، أحكام الوقف، ص ٧٨، والطرابلسي، الإسعاف، ص ٥٩، وما بعدها، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ٩٣ - ٩٤.

واختلف جمهور الفقهاء حول استبدال الوقف، أو إبداله[١]، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه[٢]. وعن إجارة الوقف فالمتفق عليه بين جمهور الفقهاء أنها أجرة المثل، قال ابن عابدين: "... لا يصح إيجار الوقف بأقل من أجرة المثل إلا عن ضرورة..."[٣]، فإن كانت الإجارة بأقل من أجرة مثلها، وجاء من يرغب في إجارتها على أجرة مثلها، فلناظر الوقف، أو متوليه فسخ الإجارة الأولى ويكون للأول الأولوية على غيره إذا قبل الزيادة[٤]، وكثيراً ما أشار بعض المؤرخين إلى إيجار الوقف خلال عصر سلاطين المماليك[٥].

ومن خلال أقوال المؤرخين المتناثرة في ثنايا مصادرهم يتبين أن هذه الأوقاف قد كثرت في عصر المماليك، فزاد اهتمامهم بها، وعملوا على ازدهارها ونموها بصورة أوسع شمولاً، فاستحدثوا لها نظاماً لم يشر المؤرخون إلى بدايته صراحة، وقد يفهم من بعضهم أن بدايته كانت سنة (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) على عهد الظاهر بيبرس البندقداري، وهو الذي فوض القاضي تاج الدين بن بنت الأعز في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م بالنظر في (الأحباس والأوقاف والمساجد)[٦]، وبعد أربع سنوات تقريباً كانت هناك تعديلات بالنسبة لنظام القضاء الذي كان مقصوراً على قاضي القضاة الشافعي وحده دون غيره، وسلطته الفريدة جعلته متسلّطا في أداء مهمته متحكماً في جميع الشئون القضائية، هذا التعديل كان في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، وتم بمقتضاه تعيين أربعة من قضاة القضاة كل منهم كان يمثل مذهباً من مذاهب السنة الأربعة المشهورة، وقد استمر في هذا التعديل قاضي القضاة الشافعي الذي كان من مهامه النظر في أموال الأيتام، والقضايا الخاصة ببيت المال[٧].

ومع بداية التعديل الخاص بنظام القضاء تولدت فكرة النظام الجديد لإدارة الأوقاف، وبمقتضى ما جرى كان الفصل بين أنواع الرزق من جانب، وأوقاف كل من الحرمين، والأوقاف الخيرية من جانب آخر، وكلها كانت تابعة لديوان الأحباس في العصر الأيوبي، كما بقيت الأوقاف الخاصة (الأهلية - الذرية) في أيدي نظارها،

---

(١) الإبدال والاستبدال يتفقان في المعنى ويختلفان في اللفظ، فإبدال الوقف هو إخراج العين الموقوفة عن جهة وقفها وذلك عن طريق بيعها، أما الاستبدال فهو شراء عين أخرى لتكون وقفاً عوضاً عنها، ويمكن من خلال ذلك إطلاق المعنيين على كل منهما، الدرديري، الشرح الكبير، ج٤، ص ٣٩٢،وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ١١٧، وأبوزهرة، محاضرات في الوقف، ص ١٦١.

(٢) الدرديري، الشرح الكبير، ج٤، ص ٣٩٢، وأبوزهرة، محاضرات في الوقف، ص ١٦١، وما بعدها، وعبد الوهاب خلاف، ص ١١٧.

(٣) ابن عابدين، رد المحتار، ج٤، ص ٣٨٤، ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٤) المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٥) في سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م عزم الشريف حسن بن عجلان على عمارة البيمارستان المستنصري بمكة، فأمر وكيله محمد بن فرج بن يوسف (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) أن يستأجر البيمارستان المذكور مدة مائة عام بأجرة قدرها ألف ألف درهم من الدراهم الظاهرية المنسوبة للظاهر بيبرس من القاضي الشافعي بمكة جمال الدين بن ظهيرة لتعمير البيمارستان، في العام الذي بعده ابتدأت عمارته، المقريزي، النقود الإسلامية، ص ٣١، والفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٢٥٥، ج٤، ص ١١٥، وابن فهد، اتحاف الورى، ج، ص ٤٩٦، ونصت بالصرف على البيمارستان المذكور حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ/١٤٢٣م برقم (٨٨٠ق) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) ابن عبد الظاهر، سيرة الملك الظاهر، النص العربي في كتاب Baybers K of Egypt, By Syedah Fatima sadegue, p 25. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٥٢.

(٧) المقريزي، السلوك، ج١ ق ٢، ص ٥٣٩ ، ٥٤٠، والخطط، ج٢، ص ٢٩٥، ٣٠٢، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص ١٧٤، وعاشور، العصر المماليكي، ص ٣٦٦.

وتكون تحت يد قاضي القضاة الشافعي المشرف عليها، ومنذ ذلك الوقت كان الفرق واضحاً بين ديواني الأوقاف، والأحباس من حيث النظارة والإشراف على كل منهما[١].

وقد انقسمت هذه الأوقاف منذ عهد الظاهر بيبرس إلى ثلاثة أقسام هي: أوقاف الرزق، وهي التابعة لديوان الأحباس، والأوقاف العامة (الخيرية – الحكمية) وكانت على الحرمين الشريفين، وجهات البر، وكانت خاضعة لإشراف قاضي القضاة الشافعي، والأوقاف الخاصة (الأهلية – أو الذرية) وكانت تحت يد نظار من أولاد الواقف، أو عتقائه وغيرهم، حسب شرط الواقف.

ومما سبق يتضح أن تنظيم الأوقاف استمر من عهد الظاهر بيبرس إلى منتصف القرن التاسع الهجري تقريبا/ أوائل القرن الخامس عشر للميلاد، وبمقتضى هذا التنظيم جدّت بعض التعديلات في النظام الإداري باستحداث بعض الدواوين، كديوان الأملاك الذي استحدثه السلطان برقوق (ت٨٠١هـ/١٣٩٨م)، وهذا الديوان قد أفرد له السلطان برقوق بلاداً أسماها أملاكاً، وعين عليها أستدارا ، ومباشرين بمفردها، وليس على هذا الديوان أيضاً مرتب نفقة، أو كلفة[٢].

وقد ذكر المقريزي في هذا الصدد أنه "... في يوم الاثنين خامس رجب سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م استقر الأمير صلاح الدين محمد بن تنكز أستادار الأملاك السلطانية والوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقري ناظر ديوان الأملاك"[٣] ولم يوجد بهذا النص إشارة عن الأوقاف السلطانية، غير أنه من عام ٧٩٩هـ/١٣٩٦م

---

(١) بصدد ذلك يذكر القلقشندي أن أوقاف (رزق الخطابات) أضيفت إلى ديوان الأحباس، وأن أوقاف رزق الأرضين زادت في الدولة الظاهرية البيبرسية بواسطة الصاحب بهاء الدين بن حنا وزير الظاهر بيبرس وتكاثرت إلى عصر القلقشندي، وبصدد بيبرس يذكر القلقشندي أنه "أفرد للجوامع والمساجد، والربط، والزوايا، ونحو ذلك رزقاً، وكثر تحدث ناظر الأحباس، ومباشريه عليها، وأفردت الأوقاف بناظر ومباشرين"، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٨.

(٢) كان هذا الديوان بخلاف ديوان المفرد الذي أحدثه برقوق أيضاً، وكانت عليه نفقة مماليكه، وخلاف ديوان الخاص الذي أحدثه الناصر محمد، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٨٨٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٣.

(٣) **ناظر ديوان الأملاك:** ناظر من النظر ، وهو المشرف، ويقصد بالأملاك هنا الأملاك السلطانية موقوفة كانت أو غير موقوفة، وتشمل الأملاك العقارات والنقود، وهذا الناظر يشرف عليه ناظـــــر الخواص السلطانية المسؤول عن عامة أموال السلطان من إقطاعه، أو نصيبه من أموال الخراج والجبايات ونحوها، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص ٨٩، والباشا، الفنون الإسلامية، ج٣، ص ١١٨٠.

استحدثت وظيفة جديدة هي "أستادارية الأملاك والأوقاف السلطانية"[١]، وأحياناً يضاف إليها "الذخيرة السلطانية"[٢] ، وأيضا سمي ديوان الأملاك باسم "ديوان الأوقاف والأملاك الشريفة"[٣].

وفي شعبان سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م كان في أستادارية الأملاك والأوقاف السلطانية علاء الدين علي بن الطنبلاوي بدلاً من تنكز[٤].

في عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م، استقر ابن سنقر "أستدار الأملاك والأوقاف والذخيرة السلطانية"[٥]، واستقر تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر ناظراً للديوان المفرد على عادته، وذلك في سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م في عهد السلطان فرج بن برقوق، وإضافة لنظارته على هذا الديوان فقد: "أضيف إليه أستادارية الأملاك والأوقاف السلطانية"[٦].

وقد تولى أستادار "الأملاك والأوقاف السلطانية"، "النظر في أوقاف السلطان نيابة عنه، فقد كان السلطان يعتبر نفسه ناظراً على أوقافه في أثناء حياته، ولكن طبيعة مشاغله تجعل من الصعب عليه مباشرة النظر على أوقافه، ويؤكد هذا القول ماجاء في وثيقة وقف السلطان الغوري من تعيين نائب عن السلطان للنظر في الوقف، فجاء بها، ومن ذلك ما يصرف للمقر الأشرف السيفي تاني بك بن يشبك أحد السادة المقدمين الذي قدمه مولانا المقام الشريف الواقف المنوه باسمه الشريف أعلاه نصره الله تعالى في نيابة النظر عنه على هذا الوقف، لما رأى في ذلك من الحظ والمصلحة عشرة دنانير يصرف له ذلك من ريع هذا الوقف مدة حياة الواقف المنوه باسمه الشريف... أعلاه"[٧] ، وبهذا يكون السيفي تاني بك بن يشبك قد تولى أستادارية الأوقاف السلطانية حسب شرط الواقف.

---

(١) **أستادارية الأملاك والأوقاف السلطانية:** وهي وظيفة استحدثت في عهد السلطان برقوق، وأسندها إلى الأمير صلاح الدين محمد، وكان إشرافه على ثلاثة دواوين سلطانية هي: ديوان المفرد، وديوان الخواص السلطانية، وديوان الأوقاف والأملاك السلطانية، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٩٦، والباشا، الفنون، ج١، ص ٤٨.

(٢) **الذخيرة السلطانية:** الذخيرة جمعها ذخائر، ويقولون: أعمال المؤمنين ذخائر عند الله تعالى، أي أنهم أعدوا أعمالهم الحسنة لآخرتهم، الباشا، الفنون، ج٣، ص ١١٨٠، والمنجد في اللغة والأعلام، ص ٢٣٣.

(٣) **الأملاك الشريفة:** وتشتمل على العقارات والنقود - دراهم ودنانير -، وناظر الأملاك السلطانية يشرف عليه ناظر الخواص السلطانية، وهو المسؤول عن مال السلطان من إقطاعه، أو نصيبه من أموال الخراج، وأموال الجبايات، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص ٨٩، والمقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٨٣٤، والباشا، الفنون الإسلامية، ج٣، ص ١١٨٠.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٠٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٨٧٨.

(٦) المصدر السابق ، ج٣، ق ٢، ص ٩٣٠.

(٧) المصدر السابق، ج٤، ق٣، ص ١١٠.

ومن المحاولات لتعديل نظام الأوقاف ماقام به قاضي القضاة الحنفية لمشاركة قاضي القضاة الشافعي في مميزاته التي اقتصرت عليه، واختص بها دون سواه، ومنها: الإشراف على الأوقاف العامة (الحكمية)[١].

ومع تكرار محاولات طلب تعديل نظام الأوقاف، وافق السلطان برقوق[٢] على طلب قاضي القضاة الحنفي جلال الدين جار، وخلع عليه ذلك في الثامن من جمادى الأولى (سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م)، ورسم له أن يلبس الطرحة في أيام الخدمة السلطانية مثل ماكان يلبسها قاضي القضاة الشافعي، وأن ينيب عنه قضاة حنفية في الوجه القبلي والبحري من أعمال مصر، وأن يتخذ مودعاً لأيتام الحنفية يودع فيه أموالهم (حتى لا يخرج منها زكاة)[٣]. ويتبع ذلك أيضاً النظر في الأوقاف العامة (الحكمية) الموقوفة على المذهب الحنفي[٤]، وهذه أمور قد شكلت أعباء كثيرة، وتبعات جسيمة على قاضي القضاة الشافعي برهان الدين إبراهيم بن جماعة الذي سعى في إبطالها عند السلطان برقوق، بمساعدة الشيخ أكمل الدين شيخ خانقاه شيخو، والفقير خلف الطوخي[٥]، فمال إلى إبطال ذلك السلطان برقوق، وفي الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م خلع على قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بالاستقرار، "ألا يخرج شيء من الأوقاف العامة (الحكمية)، والمودع عن أمره"[٦] وحتى نهاية هذه الفترة استمرت الأوقاف العامة تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي[٧].

وقد تعرضت وظيفة (ناظر الأوقاف) للإلغاء قبل نهاية هذه الفترة بقليل، ولعل سبب ذلك يعود إلى ماساد مصر من كثر الرشاوي التي انتشرت بين الحكام ورعاياهم، وبلغت مداها حين وصلت إلى أصحاب المناصب الدينية الذين لم يصلوا إلى مراتبهم هذه إلا بدفع الكثير من أموالهم، أشار إلى ذلك المقريزي بقوله: "... بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلا بالمال الجزيل"[٨].

ويُذكر في هذا الصدد أن وظيفة ناظر الأوقاف قد كثر راغبوها، ودفعوا في سبيل الوصول إليها مالاً جزيلاً لمن يقرها لهم من السلاطين وكبار الأمراء، لأنها كانت من أكثر الوظائف حساسية في النواحي المالية،

---

(١) وثيقة وقف السلطان الغوري، رقم (٨٨٣) أوقاف، سطر رقم ١٥٦١ وما بعده، دراسة وتحقيق عبد اللطيف إبراهيم، وله أيضاً حجة وقف مؤرخة في محرم وشعبان سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م برقم (٨٨٤) أوقاف ، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٢) وثيقة وقف السلطان الغوري رقم (٨٨٣) أوقاف، ص ١١٣، وما بعدها.

(٣) وبدأت هذه المحاولات على يد قاضي القضاة الحنفي سراج الدين عمر الهندي في عهد السلطان الأشرف شعبان، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ١، ص ١٩٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ١، ص ٣٥٨ - ٣٥٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٥) الشيخ خلف الطوخي هو أحد فقراء الصوفية، أحبه السلطان، فلما اجتمع الشيخ خلف بالسلطان وكلمه في إبطال ذلك، وبالغ معه فيه حتى قال: إن لم ترجع، فإن بيننا وبينك سهام الليل، فخاف برقوق عاقبته، المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٣٥٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ١٩٤.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ١، ص ٣٥٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ١٩٤.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١٨٩.

(٨) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٤، والسلوك، ج٤، ق٢، ص ١٦٠.

وتكالبهم عليها بدفع الرشاوي لهؤلاء وأولئك، إنما كان حبّا في مباشرتهم لمهام المنصب الذي يعوضهم بأكثر مما دفعوه، وبعض هؤلاء قد وصفوا بأوصاف تنم عن تجردهم من العلم، وبالغ في ذلك المقريزي، فقد وصف بعض من تولوا هذه الوظيفة بأنه "كان في غاية الجهل"، وأنه "كان عارياً من العلم"(١).

وساق ابن إياس عن بعض أرباب تلك الوظيفة أوصافاً تدل في مجملها على أنهم كانوا من أراذل الناس، وسوء سيرتهم جعلت الناس تضج بالشكوى من ناظر الأوقاف(٢).

ومما زاد الأمر سوءاً من هذه الوظائف، وتضرر الناس من أربابها، ما فرضه السلطان قايتباي على الأملاك والأوقاف، وهي أجرة شهرين، أو خمسة أشهر، ويذكر ابن إياس في هذا الصدد أن القاضي شرف الدين يحيى بن البدر حسن (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م) الذي ولى نظر الأوقاف "كان رئيساً جشعا لكنه ظهر للسلطان نتيجة دعاوي الناس قاطبة، ولا سيما الأتراك، بسبب ما أفرده على البلاد، لأجل الخمس، ولم يثن عليه أحد خيراً في مدة ولايته لنظر الأوقاف، كما يقال، تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق"(٣).

ونتيجة للمساوئ التي لحقت بوظيفة (نظر الأوقاف) وللأضرار الفادحة التي ألحقها أربابها بعامة الناس في أرزاقهم، قرر الأمير كرتباي الأحمر(٤) ، كما ذكر ابن إياس: إبطال وظيفة نظر الأوقاف في ذي الحجة سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م ، ونودي بذلك في القاهرة ، وأبطل عدة نكوس ومظالم ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء"(٥) وعقب ابن إياس علي ذلك بقوله: "ولو دام كرتباي بمصر لحصل للناس به خير"(٦).

واستغل محمد بن العظمة فرصة خروج كرتباي الأحمر إلى الشام، فسعي لدي السلطان لتمكينه من وظيفة نظر الأوقاف ، وأيضاً ضج الناس منه، فلم يظل بها إلا مدة يسيرة، فقبض عليه الملك الناصر وضربه، ونفاه إلى قوص، وبسبب كثرة المال الذي يدفعه أرباب هذه الوظيفة للسلاطين بعد ذلك لم يستمر أحد فيها، "وهي وظيفة شر وظلم"(٧).

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ١٧٠.

(٢) يذكر ابن إياس أن شخصاً من "الأراذل كان أصله من العوام يقال له محمد بن العظمة "سعى له وسطاء السوء لدى السلطان قايتباي ليقرره في نظر الأوقاف، فلما خلع عليه بذلك "حصل على الناس منه غاية الغدر الشامل، فالتزم للسلطان بمال يورده في كل شهر فصار يرسل خلف أعيان الناس من رجال ونساء، ويرسم عليهم بسبب الأوقاف، ويحاسبهم على الماضي والمستقبل، ويأخذ منهم جملة مال، وصار بابه أنحس من باب الوالي، والتف عليه جماعة من المناحيس، وصاروا يفرعون عليه الأذى تفريعاً"، على الرغم من أن محمد بن العظمة لم يستمر في منصبه إلا ما يقرب من الثلاثين شهراً، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٥.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤) **ابن عمة السلطان محمد بن قايتباي**، ولي الوزارة، والأستادارية، وكاشف الكشاف في عهد السلطان الملك الناصر أبي السعادات، ناصر الدين محمد بن الملك الأشرف أبي النصر قايتباي، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٤٠ - ٣٣٦.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٣٦.

(٦) المرجع نفسه ، والجزء والصفحة.

(٧) المرجع نفسه، ج٣، ص ٤٤٦.

وقد حاول بعض من جانبهم التوفيق من وسطاء السوء إعادة هذه الوظيفة في عهد السلطان الأشرف أبي النصر جان بلاط (٩٠٥ - ٩٠٦هـ/١٤٩٩ - ١٥٠٠م) لكن طومان باي دوادار السلطان رفض إعادتها[١].

وظلت كذلك حتى عين السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري محمد بن يوسف في جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م، ولم يمكث بها، لأن السلطان سجنه بسبب مال انكسر عليه، ولم يقم بسداده[٢].

وبعد عام من العام السابق تولى المعز علاء الدين علي بن الإمام - ناظر الخاص - نظر الأوقاف، مضافاً إلى وظائفه، وهو آخر من تولاها حتى نهاية هذه الفترة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[٣].

وقد أشرف السلاطين على الأوقاف، وبذل بعضهم قصارى جهده، عاملاً على استقرار قواعدها، ومؤكداً على استمرارها[٤].

مثال ذلك ما تم في سنة (٦٩٦- ٦٩٨هـ/١٢٩٦ - ١٢٩٨م)، ففي هذه الفترة أشرف السلطان حسام الدين لاجين على رد الأوقاف التي أخذت من غير حق إلى مستحقيها، وتولى الأمير بدر الدين محمد كندغدى بن الوزيري نيابة دار العدل، وشاد الأوقاف[٥] من قبل الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، وهذه الولاية كانت ناجمة عن شكوى قدمت للسلطان المذكور بشأن

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٤٦.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٢، ٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ج٤، ص ١٢٢، ومما يؤكد التهافت على هذه الوظيفة (نظر الأوقاف) كثرة ما تدره من أموال على شاغلها، فمحمد ابن العظمة عاد إلى الظهور في رمضان سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وسعى لدى السلطان الغوري لإعادته إلى هذه الوظيفة، فشكا منه إلى السلطان علاء الدين علي بن الإمام ناظر الخاص والأوقاف، فقال السلطان: "أنت تشتكي عندي من هذه الوظيفة، وتقول باخسر فيها" فقال ناظر الخاص "أسد فيها بسعادة السلطان"، فخلع عليه السلطان، ولما نزل ناظر الخاص قبض على محمد بن العظمة وضربه، وسجنه مدة طويلة، حتى أطلقه السلطان في ربيع الآخر سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، وذلك لكونه سعى عليه في نظر الأوقاف"، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٢٢، ١٦٦ - ١٦٧، ٣١٧.

(٤) وجرياً على هذا، فقد استرد الظاهر بيبرس البندقداري أوقاف الجامع الأزهر التي اغتصبها بعض الناس في فترة قطع الخطبة به في العصر الأيوبي، عبد الحميد يونس، الأزهر، ص ٣٥، ومحمد عبد الله عنان، تاريخ الجامع الأزهر، ص ١١٣.

(٥) **شاد:** اسم فاعل من شد بمعنى قوى، أو أوثق، وقد شاع استخدام هذا اللفظ في دولة المماليك للدلالة على موظف كان له الحق في الإشراف والسيطرة، والتفتيش والمعاونة، والتوجيه، والتعمير، وكان من مهام شاد الأوقاف التحدث عن أوقاف المسلمين، والعمل على مافيه مصالحها، وإصلاحها، ومراقبة عمالها وموظفيها، والسعي في جباية ريعها، وتتفاوت رتبته حسب قيمة الأوقاف وأهميتها، ومن صفاته العفة والأمانة، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨٦، والباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٣١٠، وقد تضمنت بعض وثائق الوقف عمل شاد الأوقاف، وملخصه العمل على مافيه مصلحة الوقف سواء في الإسهام في جمع الريع، أو في حث أرباب الوظائف على العمل، انظر وثيقة وقف الأمير قرقماش رقم (٩٠١) أوقاف، ووثيقة السلطان قايتباي رقم (٨٨٦) أوقاف، ووثيقة وقف قراقجا الحسني رقم (٩٢) أوقاف، (نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، وانظر أيضاً ماجاء عن هذه الوثيقة في Rabie: The financial, p p. 150 - 153.

الأوقاف، فطلب ابن الوزيري مباشري الأوقاف[١]، وكلفهم بعمل الحساب لمدة عشرين سنة بالأوقاف، أيضاً طلب موادع الحكم[٢].

وبعد أن طلب هؤلاء ألزمهم بما طلب، وتشدد عليهم، فهابه القضاة، خشية كشف سوء أحوالهم، وطلبوا منه أن يتغاضى عما كلف به فأبى إلا أن يكشف سرهم، وعاقب بعض المباشرين لفساد حساباتهم، ولكن للخير حسادهُ، فتصدى له بدر الدين محمد بن جماعة قاضي القضاة، وزاد في الكيد له، فألب عليه القضاة والأمراء "وما زال بهم حتى خيلوا السلطان من ابن الوزيري أنه شرس الأخلاق، وله أغراض فاسدة، وقصد إهانة القضاة، وأهل العلم، وحط أقدارهم، وقد كثر الدعاء على السلطان بسببه" وأمام ذلك لم يجد السلطان بدّا من أن يأمر ابن الوزيري بعدم التحدث في الأوقاف[٣].

وحين بلغ السلطان برقوق تخريب الأوقاف في سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م أمر الأمير أبا يزيد الدوادار، والقاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر بمراجعة أوقاف الحرمين، وذلك بمساعدة مستوفي ديوان المرتجع[٤] شمس الدين نصر الله بن شطية ، فألزموا مباشري أوقاف الحرمين بعمل ورفع حسابات عشر سنين، ورسم[٥] على أمناء الحكم وجباة الأوقاف[٦].

وقد كان السلطان برسباي معنيّا بشؤون الأوقاف عموماً، فعمرها، ورفع يد قاضي القضاة الشافعي عن بعض أوقافها[٧]، واشتد في أمر الأوقاف الموقوفة على المبرات الخيرية كالمدارس، والزوايا، والمساجد، وأحواض السبيل، وألزم المباشرين العمل بها، والقيام على شؤونها، كذلك تشدد هذا السلطان في منع أرباب الوظائف بالأوقاف من النزول عنها بعد أن اعتادوا النزول عن وظائفهم لأي إنسان نظير ما يدفعه من مال، وعلى ذلك فقد كان يلي هذه الوظائف من هو من غير أهلها، أو من ليس أهلاً لها، ويُبعد أو يحرم منها من يستحقها[٨]، كما تشدد السلطان برسباي في التزام القضاة بما اشترطته وثيقة الوقف، أو بالتزام شروط الواقفين[٩].

---

(١) **المباشرون:** جمع مباشر، وهم الموظفون الإداريون للوقف الذين يتولون وظيفة المباشرة، انظر وثيقة قاني باي الرماح، رقم (١٠١٩) أوقاف، ووثيقة وقف السيفي قرقماش رقم (٩٠١) أوقاف، ووثيقة وقف السلطان الغوري رقم (٨٨٢) أوقاف، ص ٧٠٥، عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية، تحقيق رقم ٦٧٤.

(٢) **موادع الحكم:** هم الذين يتولون حفظ الأموال في مودع الحكم تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي، المقريزي، السلوك، ج١، ق ٣، ص ٧٦٤ حاشية (٣).

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق ١، ص ١٢٦.

(٤) هو الذي يحكم في قضايا الديوانية، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٣،و المقريزي، السلوك، ج١، ق ٣، ص ٧١١ حاشية (٤).

(٥) **ورسم على أمناء الحكم وجباة الأوقاف:** أي وضعهم تحت المراقبة، المقريزي، السلوك، ج١، ق ٣، ص ٧٤٠ حاشية (٥).

(٦) المرجع السابق، ج٣، ق ٤، ص ٧٦٦، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٤٣٥.

(٧) فقد رفع يد هذا القاضي عن وقف قراقوش سنة ٨٢٥هـ، وأسند أمره إلى التاج الشويكي والى القاهرة، وأمره أن يجمع متحصله، ويبني منه خان السبيل، ففعل ذلك، وجدد بناءه، وقرر فيه من كان ينال ريعه، وألزم من كان رتب عليه من الأغنياء بإعادة ما قبضوا منه، المقريزي، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٦٢٠، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٢٦٨.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٦٢٠، ٦١٦، ٦١٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٢.

(٩) والأمثلة بمصر كثيرة منها أن السلطان برسباي عزل ابن حجر من تدريس الشافعية بالمؤيدية سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، وذلك عندما أخبره الشيخ شمس الدين الهرماوي أن شرط المؤيد ألا يكون المدرس بها قاضياً، وعندما ظهر من خلال كتاب الوقف السكوت والصمت عن هذا الشرط، أعيد ابن حجر إلى التدريس بها، أيضاً كانت أوامر برسباي إلى القضاة في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م بقراءة كتب هذه الأوقاف بالمدارس الكبار والخوانق، واتباع شرط الواقف، وشدد عليهم في ذلك "فسُرَّ الناس بذلك غاية السرور، وكثر الدعاء للسلطان بسبب ذلك"، لكن ذلك لم يطل ولم يظل على هذا الوضع حيث ذكر ابن تغري بردي: "وقد اجتهد الأكلة في

=

وقد حرص على الالتزام بشروط الواقفين أيضاً السلطان قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١هـ/١٤٦٧ - ١٤٩٦م) وظهر ذلك جليّا بعد وفاة خوند فاطمة بنت السلطان الملك ططر، وبسبب تبذيرها وإسرافها تراكمت عليها ديون كثيرة للناس، وبعد أن طلبوا أموالهم من أوقاف أبيها، "فردّوا ردّاً شنيعاً وهددوا، وأخرج السلطان أوقافها، وتعليقاتها لمستحقيهم"(١).

وحدث ذلك أيضاً بعد وفاة المصونة الحجبة آمنة بنت إسماعيل، المشهورة ببنت الخازن سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، وكان النظر في أوقاف أبيها العديدة من بعدها ينتقل إلى قاضي القضاة الحنفية، لكن القاضي الشافعي أراد التكلم في هذه الأوقاف، وحين بلغ هذا الخبر إلى مسامع قايتباي قال: "... أنا أحق من الاثنين، ولكني أعمل فيهم بالشرط وأحميهم من الغاضبين"(٢).

أما أبو النصر طومان باي آخر سلاطين تلك الفترة (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م) فقد أبى فعل ما فعله الأشرف قايتباي، والسلطان الغوري في أخذ ستة أشهر من أجرة الأملاك والأوقاف، لكن يأخذ خراج سنة على أوقاف الرزق والإقطاعات ليستعين بها في صد الغزو العثماني، وقال: "... ما أحدث في أيامي هذه المظلمة أبدا، ما أجعل هذا يكون في صحيفتي..."(٣).

ولعل رغبة طومان باي في تلك الشدة تتضح أكثر في استرضائه لله تعالى، وتجنب المحارم، والتخفيف عن الناس.

ومن أدق اهتمامات المماليك، وعنايتهم بشؤون الأوقاف عموماً مراجعة تواقيع النظر في الأحباس، والأوقاف، وما يخص البيمارستان، ومن خلال الوثائق التي وجدت فإنها تنص على صرف الريع في مصارفه الشرعية، وجهاته المرعية، وعمارة وصيانة الأوقاف، واتباع شروط الواقفين فلا يجوز إدخال شرط عليها ولا تبديلها(٤).

ومن جملة تنظيم الوقف ما أظهره ديوان الإنشاء من اهتمام السلاطين بالأوقاف في كتابة تواقيع القضاة، أشار القلقشندي في هذا الصدد إلى ضرورة النص في وصايا القضاة بالنسبة للقاضي الشافعي "والصدقات الموكلة إلى تصريف قلمه المأكولة بعدم أمانة المباشرين، وهي في ذمه يتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها، والعمل بما لا يجب سواه في أخذها وإنفاقها"(٥).

وللقاضي المالكي زيادة على ذلك هي: "... قبول الشهادة على الخط، وإحياء مامات من الكتاب، وإدناء ما شط، وإسقاط غلة الوقف إذا استرد بعد بيعه مُدة بقائه في يد المشتري تحذيراً من الإقدام على بيع

السعي بإبطال ذلك حتى أبطله السلطان"، ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٣٢٥، ٥٣٨، ووثيقة وقف السلطان المؤيد رقم (٩٣٨) أوقاف، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٧٢٩.

(١) ابن الصيرفي، أنباء الهصر، ص ١٣١- ١٣٤، ١٦٨، ١٦٩.

(٢) ابن الصيرفي، أنباء الهصر، ص ٢٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٣، أيضاً باع جلال الدين عبد الرحمن بن سويد المالكي أوقافاً كانت على مدرسة جدة، بسببها تغيرت أحواله إلى التردي في الفقر، وكما يقول ابن إياس: "غاية البهدلة من إينال الأشقر - رأس نوبة النواب - في ذي الحجة سنة ٨٧٤هـ، وما خلص إلا بعد جهد كبير، وافتقر حاله عقيب هذه الكارثة، وباع جميع مايملكه حتى سد ماجاء عليه من المال"، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٥.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١٢٧، ١٧٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص ٢٥٦ - ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٧.

(٥) المصدر نفسه ، ج١١، ص ١٩٩.

الوقف، وعقوبة رادعة لبائعه المجترئ"[١] ، وهناك زيادة للقاضي الحنبلي نصها "... وليتحرز لدينه في بيع ما دثر من الأوقاف، وصرف ثمنه في مثله، والاستبدال بما فيه المصلحة لأهله"[٢].

ومما ساعد على تنظيم هذه الأوقاف حمل ريعها وتوصيله إلى مستحيقه، وظهر ذلك جليّاً من خلال وثائق الوقف، من ذلك حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون التي تبين أن من مهام عمل ناظر الوقف جمع ريع الوقف سنويّا، ويقوم بإرسال ما يتحصل منه في بداية كل عام، ويرسله مع من ينوب عنه صحبة الركب الشريف، وقد وضحت الوثيقة ذلك، وجاء منها: "... ويصرفه المسير على يده في تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة لعدم الزاد والرحلة يصرف ذلك إليهم على مايراه فيما يحتاجون إليه من زاد وراحلة لتوصلهم إلى أوطانهم..."[٣].

وكذلك كانت حجة الصفوي جوهر، ومن نصها في ذلك "... ويصرف الناظر على هذا الوقف من ريع الوقف المذكور في كل سنة مائتي درهم... ترسل إلى المدينة النبوية... صحبة من يراه من الثقات ليسلمها لشخص يرتبه الناظر في هذا الوقف يتولى سقيا الماء بالحرم الشريف..."[٤].

ومما يجب لفت النظر إليه أن بعض الوثائق قد أغفلت اسم الشخص المكلف بتوزيع ريع الموقوف على مستحقيه بالحرمين الشريفين، وبعضها الآخر قد عين اسم من يقوم، أو ينوب عن الناظر بتوزيع الريع على مصارفه في الحرمين المذكورين، ومن ذلك حجة وقف جمال الدين محسن الإخميمي، وقد أشارت حجته إلى ذلك في نصها فكان منها "... ويصرف من ريع هذا الوقف في كل سنة مائتي درهم... يرسلها الناظر في كل سنة صحبة من يراه من الثقات المتوجهين صحبة الركب الشريف إلى مكة المشرفة شرفها الله وعظمها ليسلمها إلى الشيخ الصالح العابد عمر بن عبد الله التعكري[٥] اليمني، المجاور بالحرم الشريف بمكة المشرفة... يصرفها في ثمن ماء عذب برسم المجاورين بالحرم الشريف... في طول السنة على مايراه الشيخ عمر المذكور... مادام حيّا يتولى صرفها بنفسه، ثم من يراه من الثقات على الوجه المشروط فيه، فإن تُوفي الشيخ عمر المذكور أرسلها الناظر في كل سنة إلى قاضي القضاة بمكة المشرفة أعزه الله تعالى، ليصرفها فيما عين الصرف فيه... ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف في كل سنة ستين درهما نقرة ... يرسلها الناظر في كل سنة إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ... ليسلمها لشيخ الحرم الشريف النبوي... يصرفها في تسبيل ماء عذب..."[٦].

---

(١) المصدر نفسه ، ج١١، ص ١٩٢ - ١٩٣، ٢٠١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص ٩٥، ٢٠١ - ٢٠٢، وهذه من شروط الواقف التي تجوز مخالفتها بإذن القاضي: لأنه هو الذي يقدر الطوارئ، ويحكم بأن تنفيذ الشروط مفوت لمنفعة الوقف، أو لمصالح المستحقين، فمثلاً إذا شرط الواقف ألا يستبدل بوقفه، ثم كانت هناك ضرورة، أو اقتضت مصلحة بالاستبدال جاز الاستبدال بإذن القاضي، عشوب، كتاب الوقف، ص ٨٠، وعبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، ص ١١٧.

(٣) حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون، المؤرخة في ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ، رقم الوثيقة (٣٠) محفظة (٥)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٨٧ - ٨٨، ٨٩، ٩٠.

(٤) حجة وقف الصفوي جوهر، المؤرخة في ٢٤ من شعبان سنة ٧٤٤هـ، رقم الوثيقة (٣٤) محفظة (٥)، دار الوثائق القومية، سطر ٣٥ من نهاية الوثيقة.

(٥) **هو: عمر بن عبد الله بن يحيى**، المعروف بابن الهليس اليمني، أحد التجار المجاورين بالحرمين الشريفين، توفي في آخر العشر الأخيرة من ذي الحجة سنة ٧٧٣هـ، ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٣١٠، برقم ٣٠٧٢، وذكر ابن فهد أنه عمر بن عبد الله بن يحيى بن الهليس القرشي المخزومي، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣١٧ حوادث سنة ٧٧٣هـ.

(٦) حجة وقف جمال الدين محسن الإخميمي، المؤرخة في ٢٩ من رجب سنة ٧٦٠هـ رقم الوثيقة (٣٨) محفظة (٦)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥.

وأحياناً ينيب الواقف أمير الحاج في الإشراف على نظارة وقفه، إضافة إلى شروط من يقوم بصرف ريع وقفه، من ذلك حجة وقف السلطان الناصر فرج بن السلطان الظاهر برقوق، ومما جاء فيها: "... يجهز الناظر صحبة الركب الشريف والمحمل السلطاني المتوجه إلى الحجاز الشريف كل سنة من يوثق بدينه، وخيره، وعفته، وأمانته، وكفايته... ويصرف لمن يباشر ذلك ممن هو بالصفة المشروحة... مايراه الناظر، وذلك بمباشرة أمير الحاج وإطلاعه على ذلك..."[١].

وقد أشارت بعض الوثائق إلى ترك حرية التصرف للناظر، ومن ذلك حجة وقف السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري، التي جاء فيها : "... يصرف الناظر في كل سنة من السنين المقمرة... على ما يراه الناظر في ذلك ويؤدي إليه اجتهاده من تفرقة دراهم، أو إطعام طعام، أو تسبيل ماء، أو كساء عار على مايراه في ذلك على ماهو أنفع... يصرف الناظر على هذا الوقف فيما يراه من وجوه البر إن شاء تصدق به ... وإن شاء اشترى به برا وفرقه عليهم، وإن شاء ثياباً وفرقها عليهم، وإن شاء صرف ذلك في تكفين أموات المسلمين..."[٢].

ومن الوظائف التي اهتم بها الواقفون وسجلوها في حجج وقفهم: وظيفة شاهد[٣] الوقف، أو ضابط الوقف، ووظيفة جابي ريع الوقف، وقد أشارت إلى ذلك حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة في نصها فجاء فيها: "... ويقرر الناظر شاهداً ضابطاً لمتحصل الوقف، وتحرير مايقبضه الجباة... وما يتحصل من ذلك يجعل الحاصل في صندوق داخل الرباط، ومفاتيح هذا الحاصل مع الشاهد الضابط المذكور... ويصرف لرجل يجبي ريع الموقوف المذكور بمكة المشرفة خير، دين، أمين، في كل سنة ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده على الوجه الشرعي..."[٤].

---

(١) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن الظاهر برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، ورقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٥.

(٢) حجة وقف السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٣٣هـ، رقم الوثيقة (٨٢) محفظة (١٣)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٦٤، ٦٦، ٨٤ - ٨٥.

(٣) **شاهد الوقف:** هو ضابط متحصل الوقف، يقوم بتحرير ما يقبضه الجباة، وتجمع شاهد على شهود، وردت في كتابة أثرية بمرسوم بتاريخ ١٧ من ربيع الأول سنة ٨٨٣هـ على حجر بحائط جامع العمري بقوص قبلي مصر باسم المقر الأشرف العالي السيفي يشبك أمير دوادار كبير وأمير أستادار العالية وصاحب إقطاع الكشف السعيد بالوجه القبلي قضى "... أن يفرج عن جميع أوقاف الرزق الكائنة بقوص الجارية بيد أربابها من السادة القضاة والشهود... على حكم مكلفات المساحة لسنة ٨٨٢هـ الخراجية حسب المربعة المخرجة من ديوانه العالي..."، وشاهد بمعنى شاهد العدل في القضاء، أو على وثيقة، أو أداء عمل، كما وردت للدلالة على موظف من المدنيين، ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٤، والباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٦١٨.

(٤) حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة، المؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ، رقم الوثيقة (٩٠) محفظة (١٥)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٣٨.

رابعاً - ديوان الأحباس[١]:

اقتصر نظره على أوقاف الرزق، وهي تابعة لرئاسة هذا الديوان[٢]، والرزق نوع من أنواع الوقف، ويقصد به الأراضي الزراعية التي تمنح من السلاطين والملوك، ومن في مستواهم إلى بعض الناس من الفقراء، والمساكين على سبيل الإحسان، والإنعام والصدقات بمقتضى حجج شرعية، أو تقاسيط ديوانية[٣]، وتنوعت أوقاف الرزق في تلك الفترة، فمنها ماكان يصرف ريعه على المساجد كالحرمين الشريفين[٤] بمكة والمدينة وغيرهما من سائر المساجد، ومنها ما كان يصرف على العلماء، أو أحد الفقهاء، أو طلبة العلم، ومنها ماكان يصرف من ريعه على المبرات الخيرية الدينية والاجتماعية والعلمية كالأربطة[٥]، والزوايا[٦] والمدارس، إلى جانب الإحسان إلى من وفد إلى هذه المبرات، وعرفت أوقاف الرزق في المصطلح باسم "الرزق الأحباسية" أو "الأراضي المؤبدة"، وحتى تستمر في عطائها، فقد توارثها الخلف عن السلف[٧].

وهناك "أوقاف رزق" أخرى لا ينص على أنها وقف بل هي من قبيل الإرصاد المؤقت، يصرف ريع ما تغله إلى المستحقين، لكنها تتوقف بانقراضهم، ثم تعود إلى الديوان الذي خرجت منه[٨]، وكانت تخرج من بيت المال.

---

(١) **الأحباس:** لفظ جمع يرادف في معناه لفظ الأوقاف، وقد انتشر هذا اللفظ في العصر الفاطمي عن طريق المالكية، المذهب السني الوحيد الذي سمح به في هذا العصر، ولكن منذ العصر المملوكي، وفي مصطلح الدواوين أصبح هناك فارق كبير بين اللفظين، وقد أسهب علماء اللغة في معنى الأحباس، وهي جمع لحبيس، ويقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفاً محرماً لا يورث، ولا يباع من أرض ونخل وكرم يحبس أصله وقفاً مؤبداً، وتسبل ثمرته تقرباً إلى الله تعالى، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٥٣، وابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٤٤ - ٤٥.محمد أمين ، الأوقاف، ص ١٠٨.

(٢) **ديوان الأحباس:** هو ديوان الأوقاف، ولفظة ديوان عرفت أولاً في الدولة الإسلامية بمعنى السجل، وأول من دون الدواوين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأول من رتب الدواوين عبد الملك بن مروان، الباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٥٤١.

(٣) محمد أمين ، الأوقاف، ص ١٠٩.

(٤) حجة وقف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المؤرخة في ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ برقم (٣٠) محفظة (٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) مثل رباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٧.

(٦) الزاوية : وجمعها زوايا ، وقد أطلق اللفظ علي أول الأمر علي الحلقات العلمية التي كانت تعقد في الجوامع الكبري ، ثم تطورت الزوايا بعد ذلك ، لتصبح منشآت مستقلة مخصصة للعلم وللعبادة ، وقد تخصص لتدريس مذهب معين أو علم معين أو لتحفيظ القرآن ، وقد احتوت الزوايا علي مساكن للعلماء والطلبة ، وعلي عدد من الملحقات ومنها قاعات للدرس ، حيث يتحلق حول العلماء تلاميذهم ، واحتوت بعض الزوايا علي مسجد أو مصلي ، محمد أمين ، ليلي إبراهيم ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، ص ٥٩ وعبد الله الحداد ، الآثار الاسلامية ، ص ٤٦. وقد انتشرت الزوايا في بلاد الواقفين ، ووردت ضمن أوجه الصرف في وثائق كثيرة .

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٥١.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ٥٣، حاشية ٦، وفيها أن أوقاف الرزق تعود إلى بيت المال.

وبمرور السنين زادت أعمال ديوان الأحباس، واتسعت مسؤولياته باتساع مساحة أوقاف الرزق التابعة لرئاسة هذا الديوان، فقد بلغت أوقاف الرزق الأحباسية وحدها في عهد الناصر محمد سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م حوالي مائة وثلاثين ألف فدان[١]، معفاة من الضرائب، وهذه الزيادة لفتت أنظار المسؤولين الذين طالبوا سلاطينهم بزيادة عدد وظائف أوقاف الرزق الأحباسية، ومما يؤكد ذلك ما اقترحه ناظر الخاص السلطاني المعروف بالنشو[٢] على السلطان المذكور على أن يقابل هذه الزيادة بإقامة شاد يحسن اختياره، وتقع عليه مسؤولية كشف أوقاف الرزق الأحباسية، فما يجده منها مخصصاً على موضع عامر بذكر الله يصرف له نصف ماهو مقرر عليه، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة درهم الفدان، ويلزمه بخراج ثلاث سنين، أما ما خصص على مكان خال من ذكر الله، أو خراب، وما خصص على خطباء الأرياف الجهال ومن على نحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان[٣]، وتشدد النشو، فألزم كل أرباب أوقاف الرزق الأحباسية بإحضار تواقيعهم، وبعث المراسلات إلى العمل بذلك، وتشدد كثيراً على ديوان الأحباس، وألزمهم بكتابة أوقاف الرزق كلها[٤] ولكن مقترحات النشو، وقراراته في تدبير هذه الأموال باءت بالفشل ودفع في مقابلها حياته، فنجده عندما عرض هذه المقترحات طالباً من ورائها موافقة السلطان حـبّا في تدبير ما قصد من أموال أجملها المقريزي قائلاً: "... جميع أوقاف الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل والتقرب إلى الأمراء والحكام، وأكثرها بأيدي أناس من فقهاء الأرياف لا يدرون الفقه يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرأون القرآن، وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب" وانتهى الأمر بالقبض على النشو، ثم قتله قبل اتخاذ قرار على مقترحاته في هذا الأمر[٥].

وكثرة أوقاف الرزق في هذه الفترة كانت مثار حديث لبعض المؤرخين، واهتم بشأنها السلاطين، وعلق على وفرتها ابن تغري بردي فذكر ضمن حوادث سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م أنه "في هذه الأيام توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والجواري، وأخذهم الرزق بأرض بهتيم من الضواحي وبأراضي الجيزة وغيرها بحيث إنه أخذ مقبل الرومي عشرة آلاف فدان"[٦].

وقد تمتع ديوان الأحباس بأهمية كبيرة جعلت سلاطين المماليك يولونه أهم عنايتهم وتقديرهم لمسؤولياته، حكى القلقشندي ذلك عند حديثه عن أوقاف الرزق فقال: "... وهي تارة يتحدث فيها السلطان بنفسه، وتارة النائب، وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدوادار الكبير على ما استقر عليه الحال آخرا..."[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٤٧٤، والخطط، ج٢، ص ٢٩٥، وابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ١٣٢.

(٢) هو: شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله (ت ٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، المقريزي، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٤٨٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٤٧٣ - ٤٧٤، وابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ١٣١ ، ١٣٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٧٥.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٩٥.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٥٦، والمقريزي، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٧٢٤.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٨.

وقد ظهر من هذا النص أنه كثيراً ما تولى السلطان الإشراف العام على ديوان الأحباس بنفسه، وتارة أسند هذا الإشراف وفوضه إلى نائب السلطنة، وكثيراً ما أسنده إلى الدوادار الكبير، ومما يؤكد هذه الحقيقة ما أقره المقريزي من تولية الملك الناصر محمد للأمير بيبرس المنصوري الدواداري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) الذي شغل ثلاث وظائف في وقت واحد، هي: نيابة السلطنة، ووظيفة الدوادارية، ونظر الأحباس[١].

وأول دوادار تولى نظر الأحباس وليس نائباً للسلطان هو: الأمير أيدمر الشامي الذي خلع السلطان الأشرف شعبان عليه بذلك وأقره "مقدم ألف ناظر الأحباس دوادارا كبيراً" وتم ذلك في سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م، لكن هذا السلطان عاد وخلع على الأمير منجك نيابة السلطنة، ونظر الأحباس في سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م.

وقد ذكر المقريزي تقليد هذا الأمير وأن "السلطان قد أقامه مقام نفسه في كل شيء بيده، وفوض له ما فوض إليه الخليفة من سائر أمور المملكة"[٢].

ويتضح مما سبق أن الإشراف العام على ديوان الأحباس لم يستقر على شخص معين، لكن في بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، استقر الإشراف على النظر في الأحباس على الدوادار الكبير[٣].

ذكر القلقشندي ذلك قائلاً: "وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدوادار الكبير على ما استقر عليه الحال آخراً" وعن الأحباس قال المقريزي: "ويتولى هذه الجهة دوادار السلطان، وهو أحد الأمراء، ومعه ناظر الأحباس، ولا يكون إلا من أعيان الرؤساء، وبهذه الجهة ديوان فيه عدة كتاب ومدبر"[٤].

وما قام به السلاطين، أو نواب السلطنة[٥]، أو الدوادار الكبير، بالنسبة لديوان الأحباس ، كان من قبيل الإشراف العام على هذا الديوان، وقد كان هناك للديوان ناظر – من الأعيان – ومعه مباشرون، وعديد من الكتاب، ويؤكد هذا ما قاله ابن حجر من أن بعض الأحكام الخاصة بالأحباس،كان لها مجلس يعقد لها، وهذا المجلس كان يحضره الدوادار الكبير[٦].

وحدث أحياناً في بعض فترات هذا العصر أن كان مع ناظر الأحباس: صاحب ديوان الأحباس، يعمل نائبا له، وكان يكتب في كل شيء كان يكتب فيه ناظر الأحباس، وأبطلت هذه الوظيفة في زمن القلقشندي[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق ١، ص ١٣٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٢٢٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ١، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٣) من الأمراء الذين تولوا الإشراف على ديوان الأحباس في هذه الفترة الأمير بركة سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م" وفيه استقر الأمير بركه ناظر الأوقاف جميعها" ، المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٣٣٧، والأمير طنبغا الحلبي الدوادار سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٦٦٠، ثم الأمير يشبك مرة ثانية سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٣، ص ١٠٨٨،

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٨.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٩٥.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٤٩٤.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٤.

خامساً - تدهور الأوقاف:

بلغت الأوقاف درجة كبيرة من التدهور والانهيار، نتيجة لوهن نظام الوقف، فعلى الرغم من كثرة الأوقاف وتنوع مصارفها، فإنها كانت مطمعاً للسلاطين والأمراء، خاصة وقت الشدة والأزمات، فتطلعوا إلى حلها أو استبدالها، أو اغتصابها واستغلالها، وزاد في ضعف نظام الوقف أكثر أولئك الذين عملوا في وظائفه كالقضاة والمباشرين الذين تطلعوا إلى أموال الأوقاف أيضاً كسلاطينهم، بل استغلّوا وظائفهم في حل هذه الأوقاف بفتاواهم لحكامهم ولأنفسهم،وإن كان حكامهم في أكثر الأحوال لم يكونوا بحاجة إليها، ونفذوا ما أرادوا دون الرجوع إلى العلماء أو القضاة، فالظاهر بيبرس حاول امتلاك الدولة لأراضي مصر على أساس "أنها فتحت عنوة، وصارت لبيت المال، فلا يصح وقفها..." وقصد بذلك الاستيلاء على الأراضي ومن بينها الأوقاف، وتحقيقاً لذلك أراد مطالبة أصحاب العقارات بالمستندات الدالة على ملكيتهم، وإلا انتزعها منهم، فمن قدم ذلك تركه، ومن لم يستطع ذلك - كما هو السائد - استولى عليها، وقد تصدى له الإمام النووي[١] قائلاً إن ذلك "غاية الجهل والعناد، وإنه لا يحل عند أحد من علماء المسلمين، ومن في يده شيء فهو ملكه لا يحل لأحد الاعتراض عليه، ولا يكلف إثباته، فاليد دليل الملك ظاهراً..." ومازال النووي يواصل اعتراضه حتى رجع بيبرس عن ذلك[٢].

ومحاولة الظاهر بيبرس هذه، قام بها آخرون من السلاطين، منهم السلطان برسباي الذي أراد الحصول على فتوى من العلماء بأخذ أموال الناس بما فيها أموال الأوقاف، استعداداً لقتال شاه رخ بن تيمور لنك، فجمعهم لهذا الغرض في ١٣ من ربيع الآخر سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م طالباً فتواهم، فانفضوا دون إجابته[٣].

أما المحاولات التي استشار فيها السلاطين وأمراؤهم القضاة والفقهاء، ثم صرفوا النظر عن رأيهم، واستباحوا لأنفسهم الأوقاف وأموالها، فقد تكررت مراراً، منهم السلطان برقوق الذي بدأ بها في أثناء أتابكيته للسلطان المنصور علي بن شعبان سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، ولم يكن هناك عدو يتربص بالبلاد، ولكن يبدو أنه كان يعد العدة لتولي السلطنة، فبذل جهده ليحصل أعوانه على إقطاعات كبيرة، ولم يجد أمامه إلا الأوقاف العامة وأوقاف الرزق الأحباسية، وذكر المقريزي أن هذه المحاولة كانت في ١٦ من ذي الحجة سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وأفاد أن السلطان المذكور جمع العلماء، وتحدث معهم في حل وقف الأراضي الزراعية، سواء كانت موقوفة على المساجد ونحوها، أو على أولاد الملوك والأمراء وغيرهم، وحاول أن يقنع العلماء بحل هذه الأوقاف، فتصدى له شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني بإجابة توضح مناقشة هذا السلطان، وإجابته على ذلك ذكرها المقريزي بقوله: "إن أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك التي هي على علماء الشريعة، وفقهاء الإسلام، وعلى المؤذنين، وأئمة الصلوات، ونحو

---

(١) هو: الشيخ يحيى بن شرف النووي أبو زكريا محيي الدين، ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي في ٢٤ من رجب سنة ٦٧٦هـ، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، المجلد السابع، تحقيق قسطنطين زريق ص ١٠٨ - ١١١، والذهبي، العبر، ج ٥، ص ١٣٢، ٣١٣.

(٢) محمد أمين ، الأوقاف، ص ٣٢٥

(٣) قيل إن بعض الفقهاء قال: كيف نفتيه بأخذ أموال المسلمين "وكان لبس زوجته يوم طهور ولدها العزيز يوسف ما قيمته ثلاثون ألف دينار وهي بدلة واحدة وإحدى نسائه..."، "ولما بلغ الناس ذلك كثر قلقهم من هذا الخبر" ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص ٦٨.

ذلك لا يحل لأحد أن يتعرض بحلها بوجه من الوجوه، فإن للمسلمين حقا لم يدفع إليهم، وإلا فانصبوا لنا ديوانا نحاسبه على حقنا، حتى يظهر لكم أن ما نستحقه أكثر مما هو موقوف علينا..."[١].

وعلى الرغم من هذا، فقد وُجد من القضاة من نافق الأمراء، ففي أثناء هذه المناقشة عقب قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء على قول شيخ الإسلام المذكور بقوله "يا أمراء أنتم أصحاب الشركة والأمر لكم"، فثار عليه شيخ الإسلام وأغلظ له بقوله: "اسكت ما أنت وهذا؟" فسأل الأمير بركة والأمير برقوق ابن أبي البقاء "من أين يشتري السلطان هذا" فقال "الأرض كلها للسلطان" فعقب عليه قاضي العسكر: البدر محمد البلقيني بقوله: "كيف تقول هذا؟ من أين للسلطان ذلك؟، وإنما هو كآحاد الناس"، فقال قاضي القضاة: "أنتم تأمرون القضاة، فإن لم يفعلوا ما ترسمون به عزلتموهم، كما جرى لشرف الدين بن منصور مع الملك الأشرف لما لم يفعل ما أراد عزله"[٢].

وقد نجم عن اختلاف رأي شيخ الإسلام، وقاضي القضاة تشجيع الأمراء على إخراج عدة أوقاف وأقطعوها إقطاعات[٣].

ومحاولة برقوق حل هذه الأوقاف أكثر من مرة[٤]، مع أنه كانت له أوقاف، وعدم فرض رأيه، يفيد أنه رأى مسايرة الأوضاع التي كانت سائدة في عصره وهو استغلال المشاعر الدينية لدى الناس لاسترضائهم، ويدعم هذا ما ذكره المقريزي: "أنه كان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل منهم أحد عليه، ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله، وتنكر للفقهاء في سلطنته الثانية من أجل أنهم افْتَوا بقتله، فلم يترك إكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم..."[٥].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ١، ص ٣٤٥ وما بعدها

(٢) يشير ابن أبي البقاء بذلك إلى رفض قاضي القضاه شرف الدين بن منصور الحكم باستبدال بعض الدور الموقوفة لصالح بعض الأمراء، المقريزي، السلوك، ج٣ ق ١، ص ٢٦٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١ ص ٣٤٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١ ص ١٦٦.

(٤) حاول برقوق حل الأوقاف مرة ثانية في أثناء سلطنته بحجة تحصيل الأموال استعداداً لملاقاة تيمور لنك، وذلك حين عاد الأمير طغاي إلى القاهرة سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م من بلاد الشرق، وأخبر بوصول قوات تيمور لنك إلى الرها، وعلى الفور عقد السلطان برقوق مجلساً استدعى فيه القضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني وأعضاء هيئة الفتوى بحضور سائر الأمراء، وأشار على الجميع بضرورة أخذ الأوقاف من الأراضي الخراجية، فلم يوافق على ذلك شيخ الإسلام المذكور ولا القضاة الأربعة، واعتذر السلطان بأن الخزانة خاوية والعدو زاحف على البلاد، فثار في المجلس جدل أشار إليه ابن إياس بقوله: "... ودافعوا السلطان وأغلظوا عليه في القول" وانتهى رأيهم بالاتفاق على أخذ مال الوقف من أجرة الأماكن وخراج الأراضي الزراعية سنة كاملة مع بقاء الأوقاف على حالها، وواضح في هذه المرة أن ما يريد أخذه من الأوقاف هي "الأوقاف من الأراضي الخراجية" أي الأراضي الزراعية التي لا يزال السلطان برقوق يراها من أملاك بيت المال، ومن المعلوم أن فشل برقوق في استرداد كل الأراضي الزراعية الموقوفة في المرتين كان دافعاً له أن يفكر مرة أخرى في طريقة لاستغلالها لصالحه وصالح أمرائه، وعلى الرغم من تعصبه أنها لبيت المال ولا يجوز وقفها فإنه وقف ناحية بهتيت على سحابة مصاحبة لركب الحجاج سنويّا إلى مكة، ومعها جمال تحمل المشاة من الحجاج ولهم مصروفاتهم بخصوص الماء والزاد في الذهاب والعودة وكان يبعث في كل سنة إلى الحجاز ثلاثة آلاف إردب قمحاً تفرق في الحرمين، المقريزي، السلوك، ج٣ ق ٢ ص، ٩٤٤، ٩٤٥، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٢٤٧، ج١٢، ص ١٠٨، وابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، المجلد التاسع، ج١، ص ١٠ - ١١، وابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٦٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٩٤٤.

وعلى النهج المذكور جرت محاولات مماثلة، وكلها تدور حول حل الأوقاف والغمل على استغلالها، من الملك الناصر فرج بن برقوق[١] وغيره. وتعمد بعض سلاطين المماليك حل أوقاف السلاطين والأمراء السابقين وإقطاعها دون الرجوع إلى مسوغ شرعي، فقد قام السلطان الملك الناصر محمد بحل أوقاف بيبرس الجاشنكير، وسلار نائب السلطنة، واسترداد ما كان بأيديهما من أوقاف الرزق الأحباسية، وإضافة ذلك كله إلى الخاص السلطاني[٢].

وجرياً على ذلك استولى السلطان فرج بن برقوق على أوقاف الطواشي فيروز الخازندار بعد وفاته سنة ٨١٤هـ/١٤١١م، وقرر السلطان ما قرره الطواشي من الوقف على الفقهاء والأيتام وغيرهم إلا أنه أضاف باقي الريع لصالح التربة الظاهرية التي بناها على قبر أبيه[٣].

وأقطع السلطان الغوري بعض أوقاف الرزق الأحباسية وعنها يقول ابن إياس "... فأخرج نحوا من ثلاثمائة إقطاع ورزق من غير حجة ولا سبب وصار ينعم بها على المماليك بمكاتبات... وأنا ممن وقع له ذلك، وخرج إقطاعي لأربعة من المماليك، ولكن أعان الله تعالى ورجع إلى إقطاعي ولله الحمد"[٤] ، وقام الغوري أيضاً بنزع ملكية أراضي جزيرة الروضة، ووقفها بعد أن عوض أصحابها[٥].

ومن عوامل انهيار الأوقاف اغتصابها عن طريق الاستبدال، وقد اتخذه سلاطين المماليك وأمراؤهم وسيلة شرعية للاستيلاء على مايرغبون فيه من الأوقاف، وأعانهم في ذلك بعض الفقهاء الذين أجازوا للواقف أن يشترط لنفسه أو لمن يراه الحق في استبدال الموقوف بوقف آخر على الشروط نفسها المنصوص بها في كتاب وقفه، وإلا فلا استبدال إلا بإذن القاضي إذا تطلبت المصلحة ذلك، وله أيضاً بيعه، وبثمنه يشتري غيره بشروط الوقف المستبدل نفسه [٦].

واستغل الأمراء ذلك، إضافة إلى الاختلافات بين المذاهب بخصوص الاستبدال، وسار على ذلك ضعاف النفوس من القضاة في تلك الفترة، ويؤكد ذلك أنه استُدْرِجَ بعضُ القضاة إلى نوع آخر من الاستبدال وهو أن يقام شهود القيمة فيشهدوا أن هذا الوقف أو ذاك ضار بالجار والمار، وأن المصلحة في بيعه أنقاضاً، فيحكم القاضي الشافعي المذهب ببيع أنقاضه[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٣، ص ١٠٢٨ - ١٠٢٩، ١٠٥٢ - ١٠٥٣، والمواعظ والاعتبار، ج٢، ص ٢٩٢، ٤٢١، وابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ١٢٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٣٣٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص ٨٩، وابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ٥٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ق ١، ص ٢٠٢، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٥٠١.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٣٦، ج٥، ص ٩٠.

(٥) جزيرة الروضة اشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر سنة ٥٦٦هـ، ووقفها على المدرسة التقوية (منازل العز) حتى استأجرها الصالح أيوب من مدرس مدرسة التقوية لمدة ستين سنة، ثم قرر النشو ناظر الخاص في عهد الناصر محمد أن يضمها إلى أراضي الخاص، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٨٤ - ١٨٥، ٣٦٤ - ٣٦٥، والسلوك، ج٢، ق ٢، ص ٤٧٤، وعلي مبارك، الخطط التوفيقية، ج٣، ص ٢٥، وابن دقماق، الانتصار، ج٤، ق ١، ص ١١٠.

(٦) محمد أمين، الأوقاف، ص ٣٤٢.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٩٦.

وما ذكر يبين الخلل بصورة واضحة في نظام الأوقاف، الذي أوهنها وحط من شأنها وأضعف من فاعليتها، لذا يقول المقريزي عن أوقاف ذلك العصر: "... إلا أنها اختلت وتلاشت في زماننا هذا، وعما قليل إن دام ما نحن فيه لم يبق لها أثر البتة..."[١]، وعن استمرار حال الأوقاف من سيء إلى أسوأ يقول: "واستمر الأمر على هذا إلى وقتنا – أي المقريزي – هذا، ثم زاد بعض سفهاء قضاة زماننا في المعنى، وحكم ببيع المساجد الجامعة إذا خرب ما حولها وأخذ ذرية واقفها ثمن أنقاضها، وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل، فامتدت الأيدي لبيع الأوقاف حتى تلف بذلك سائر ماكان في قرافتي مصر من التُّرب، وجميع ماكان من الدور الجليلة والمساكن الأنيقة بمصر والفسطاط"[٢]. ومن خلال ما ذكر وغيره يتضح لنا مدى الفساد الذي استشرى في البلاد في ذلك العصر بسبب استيلاء السلاطين والأمراء[٣] على الأوقاف عن طريق الاستبدال، فقد استولى السلطان الأشرف برسباي على كثير من العقارات الموقوفة عن طريق الاستبدال، ثم أعاد تعميرها، ووقفها على منشآته كالفنادق والحوانيت بين المدرسة السيوفية بسوق العنبريين والتي أقام عليها المدرسة الأشرفية[٤] وغيرها[٥].

ومما يجب التنويه إليه في هذا الصدد أن الاستبدال لم يكن هو المسلك الوحيد للاستيلاء على الأوقاف في تلك الفترة، فقد كانت هناك مسالك أخرى أقرها أيضاً قضاة تلك الفترة منها: إرغام الواقف على أن يشهد على

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٩٦.

(٢) المرجع نفسه والجزء والصفحة.

(٣) من الأمراء من كان شرهاً في اغتصاب الأوقاف، مثل الأمير جمال الدين الأستادار الذي اغتصب أوقافاً كثيرة، وأعاد وقفها مرة ثانية على مدرسته، ومن الأوقاف التي اغتصبها قصر بُشتاك، وكان من وقف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وهذا القصر أنشأه الأمير سيف الدين بشتاك الناصري سنة ٨٣٧هـ، الذي اشتراه من ورثة أمير سلاح، ثم أضاف إليه من بيت المال قطعة أرض، وهدم دار تطوان الساقي، وأحد عشر مسجداً، وأربعة معابد، وأدخل بشتاك كل ذلك في البناء عدا مسجدا عمره، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٧٠.

واغتصب جمال الدين الأستادار أيضاً قصر الحجازية، وهو ضمن الموقوف على المدرسة الحجازية، ومما يدل على شراهته وفحشه في اغتصاب الأوقاف أنه أخذ هذا القصر بتشعث شيء من زخارفه، وحكم له قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفي باستبداله، واستولى على عمارة خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان، وكانت تحتوي على قيسارية رَبْع جليل يشتمل على عدة طبقات، وكان من أوقاف مدرسة أم السلطان، المقريزي، ج٢، ص ٧١، ٧٩، والسلوك، ج٣، ق ١، ص ٢١٠.

واستولى جمال الدين المذكور على كثير من الدور منها دار القليجي، ودار أوحد الدين عبد الواحد، ودار الأمير شمس الدين قرا سنقر، ودار ابن رجب، وحوانيت تعرف بوقف تمرتاش، ومما يدل على عظم شراهته في هذا الصدد أنه لم يقنع بمساعدة قاضي القضاة الحنفي في اغتصاب الأوقاف، فقد عمد إلى إجبار المستحقين على استبدال أوقافهم، فمن رفض بيع وقفه أفسد أساسه وحذر سكانه حتى يبادر المستحق إلى الاستبدال، وإذا سقط الوقف نقصت قيمته عما كان يدفعه له لو كان قائماً، ولم يكتف بالاستيلاء على الأوقاف عن طريق الاستبدال لإنشاء مدرسته والوقف عليها، بل اشترى الكتب والمصاحف التي وقفها السلطان الأشرف شعبان بثمن زهيد، قيمتها كانت عشرات أمثال ذلك، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٢، ٥٨، ٦٥، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٩١، ٤٠١، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٤٤٧، محمد أمين ، الأوقاف، ص ٢٠٠.

(٤) كانت وقفاً على المدرسة القطبية وغيرها، المقريزي، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٦٣٦، محمد أمين، الأوقاف، ص٣٤٣.

(٥) كالحوانيت المواجهة لشبابيك المدرسة الصالحية بجوار قبة الملك الصالح وكانت من وقف الجوكندار، وربع الحلزون تجاه قبو الخرنفش وكان وقفاً على الحرمين وغيرهما، فأصبح من جملة الأملاك السلطانية، المقريزي، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٦٦٥، ٧٨٠.

نفسه أن أوقافه من مال السلطان، أو أن ريع وقفه لأولاد السلطان، كالسلطان الناصر محمد الذي أمر القضاة بحل أوقاف كريم الدين[١]، وبامتناعهم غضب عليهم السلطان المذكور، ولإرضائه أجمعوا على أن كريم الدين يشهد على نفسه أن كل ما وقفه من مال السلطان، ولم يكن له ولا لذريته فيه مطعن[٢].

وتعددت الطرق في استغلال هذه الأوقاف، ومنها ما فرضه السلاطين من أموال على أوقاف الرزق بكافة أنواعها[٣]، ومنها استئجار هذه الأوقاف بثمن أقل من أجر مثلها، ثم إعادة تأجيرها للناس بأكثر مما استأجروها لينتفعوا بالفرق بين الأجرتين[٤].

ومن أهم عوامل انهيار الوقف التي أثرت على نظامه: أولئك الذين كانوا ضمن إدارته وعملوا علىنظامه كالقضاة والمباشرين الذين جنحوا إلى السلاطين، منهم علم الدين البلقيني[٥] الذي استغل فرصة انتشار الطاعون في ولايته الثانية وحصل الكثير من أموال الأوقاف والتركات، وكتب مرسوماً "استكتب فيه خطوط جميع شهود المراكز" ألا يشهد أحدهم في الوصية حتى يوصي صاحب الوصية فيها بشيء للحرمين[٦] فكان يوصي بما تجود به نفسه، وبموته من يومه غالباً يرسل نقيبه فيأخذ ما أوصى به، ولم ينل أهل الحرمين من ذلك شيئاً[٧]، ومن القضاة من استولى على الأوقاف لنفسه بحكم وظيفته مثل قاضي

---

(١) **القاضي كريم الدين عبد الكريم** بن العلم بن هبة الله بن السديد، ناظر الخاص ووكيل الملك الناصر محمد، قبض عليه هذا السلطان في ١٤ من ربيع الآخر سنة ٧٢٣هـ، المقريزي، السلوك، ج٢، ق ١، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق ١، ص ٥٤٨، والخطط، ج٢، ص ٥٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق ٣، ص ٦٨٩.

(٤) حدث هذا في عهد السلطان برقوق، فصار أمراؤه يستأجرون الأوقاف بأمره بالأقل ثم يؤجرونها على الناس بالأكثر، وازداد الأمر سوءاً بعد وفاة هذا السلطان، مما جعل المقريزي يقول: "... واستولى أهل الدولة على جميع الأراضي الموقوفة بمصر والشامات وصار أجودهم من يدفع فيها لمن يستحق ريعها عشر ما يحصل له، وإلا فكثير منهم لا يدفع شيئاً البتة" المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٩٦، والسلوك، ج٤، ق٢، ص ٧٩٧.

(٥) تولى قضاء الشافعية ثلاث مرات، أولاها في ذي الحجة سنة ٨٢٦هـ ومكث فيها أقل من سنة، وأعيد في صفر سنة ٨٣٣هـ ومكث فيها سنة وثلاثة أشهر، ثم أعيد في شوال سنة ٨٤١هـ، ومكث فيها سنة، ابن حجر، رفع الإصر، ج٢، ص ٢٥٦ - ٢٥.

(٦) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٥٦٠، ٥٧٩، وابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ١٣٧ - ١٣٨، ومحمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٣٦١.

(٧) يؤكد ابن حجر ذلك قائلاً: "ولا وجدنا في حساب السنة التي باشرها أنه ورد للحرمين شيئا إلا من جهة واحدة هي بلدة بالريف بمبلغ تافه، مبلغه فضة أربعمائة درهم، ولعله حصل من الجهة المذكورة وحدها عشرة أضعافها ذهباً، وأما أوقاف الحرمين والصدقات فتحيل على الانفراد بها بكل حيلة، وأما المدارس ومتحصلها، فلم يصرف للطلبة إلا اليسير..."، ابن حجر، رفع الإصر، ج٢، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

القضاة الشافعي ولي الدين السفطي[١]، ومنهم من أهمل وترك أوقاف اليتامى لابنه الذي باعها وأنفق ثمنها في المعاصي، كتقي الدين أحمد بن عز الدين عمر بن محمد المقدسي[٢]. ومما يجب لفت النظر إليه أن المباشرين كان لهم دورهم في التأثير على نظام الوقف بمساعدتهم على تدهور الأوقاف وخرابها، فبصدد المدرسة الجمالية[٣] يقول المقريزي: "وكان شأن هذه المدرسة كبيراً يسكنها أكابر فقهاء الحنفية... ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية، وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها، وتخريبهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس..."[٤].

ويتضح مما سبق ذكره أن سلاطين المماليك والأمراء والقائمين علي أمر الأوقاف ، تلاعبوا بهذه الاوقاف ولم يوفوا بحقوق الوقف كما يجب ، ولم يراعوا صرف ريع هذه الاوقاف في مصاريفها التي وقفت من أجلها ، كما أنهم أهملوا في الإشراف عليها ، مما أدي إلي تدهور أحوالها .

---

(١) تولى ولي الدين السفطي القضاء في عهد السلطان جقمق في ١٥ من ربيع الآخر سنة ٨٥١هـ، وعزل في ربيع الآخر من العام الذي بعده، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٥٠، ١٦٠، ١٦١، وقد اشترى القاضي المذكور حمام الزيني قاسم، وعلى الرغم من وقفه فإنه أرغم الواقف على بيعه له، واستولى على حمامين وفرن ودكاكين من وقف المدرسة الطيبرسية وجبر صالح مستحقي الوقف بألف دينار، ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ١٦١، محمد أمين ، الأوقاف، ص٣٦٥.

(٢) ولي قضاء قضاة الحنابلة في مصر في ١١ من ربيع الأول سنة ٧١٢هـ حتى عزل في ١٨ من ربيع الأول سنة ٧٣٨هـ، المقريزي، السلوك، ج٢، ص ١١٧، ٤٤٣.

(٣) أنشأها الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي (ت٧٣٢هـ، وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للمتعبدين ووقف عليها وقفاً كبيراً، وثيقة وقف العلاء الجمالي رقم (١٦٦٦)، أوقاف، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٩٢.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٩٢.

الفصل الرابع

أثر الأوقاف على الحياة العامة فى المدينتين المقدستين

أولاً: أثر الأوقاف على الحياة الدينية:

أ - الشعـــــــور الديـــــــني.

ب - الوظائـــــف الدينيـــة.

١ – القضـــــاء في الحرمين الشريـــفين.
٢ – الخطابـــــة في الحرمين الشريـــفين.
٣ - الإمامة في الحرمـــين الشريـــــفين.
٤ - سدانة الكعبة المشرفة وخدام المسجد والحجرة النبوية الشريفة.
٥ - الأذان في الحرمـــــين الشريـــفين.
٦ - النظـارة علـــى الحرمـــين الشريـــفين.
٧ - ناظـر العمـــارة في الحرمين الشريفين.
٨ - السقايـــة في الحـرمـــين الشريـــفين.
٩ - وظيفة الفراشة في الحرمين الشريـفين.
١٠ - وظيفة البوابين في الحرمين الشريفين.
١١ - الوقـــادة في الحرمـــين الشريـــفين.

ج - النفقات الدينية (الإنفـــــاق).

ثانياً: أثر الأوقاف على الحياة الاجتماعية.

١ - توفير الحياة الكريمة لجميع طبقات المجتمع المكي والمدني.
أ - أمـــــراء الحرمـــــين.
ب - طبقة العلماء وأرباب الوظائف بالحرمين الشريفين.
ج - طبقة الأهالي والمجاورين.
٢ - توفير الرعاية الصحية لأفراد المجتمع المكي والمدنـي.
أ - الرعاية الصحية.
ب - الوظائف الطبية.
٣ – توفـــــير الميـــاه في المدينتـــين المقدســـــــتين.
أ - توفير المياه داخل المدينتين المقدستين.
ب - توفير المياه خارج المدينتين المقدستين.

ثالثاً: أثر الأوقاف على الحياة الاقتصادية:

أ - أثر الأوقاف في ازدهار الحياة الاقتصادية بالحرمين الشريفين.
ب - أثر الأوقاف في تخفيف أعباء الحياة والأزمات الاقتصادية على أهالي الحرمين الشريفين.

رابعاً: أثر الأوقاف على الحياة العلميـــة :

- أثر الأوقاف في ازدهار الحياة العلمية في المدينتين المقدستين.
أ - كـــــثرة العلمـــــاء بالمدينـــتين المقدستين.
ب - كـــثرة طلبـــة العلـــم بالمدينـــتين المقدستين.
ج - نشـــر العلم في مؤسساتـــه بالمدينتين المقدستين.
د - توافر خزائن الكتب والمكتبات بالمدينتين المقدستين.

أثر الأوقاف على الحياة العامة في المدينتين المقدستين

لم تكن رعاية سلاطين المماليك للحرمين الشريفين مقصورة على العناية بالمقدسات الإسلامية وعمارتها، ودعم الأمن والاستقرار، ورفع الظلم عن كاهل السكان، بل إنها تعدّت ذلك لتشمل أيضاً أوجه الحياة المختلفة. ولما كان الوقف في الإسلام من رسالته تحقيق التكافل بين المسلمين، فقد امتد أثره ليطبع الحياة العامة في المجتمع الإسلامي بطابع البر والخير، فهو صدقة جارية، تنبع من قلب مليء بالإيمان، ورغبة في المثوبة والرضوان من الله سبحانه وتعالى.

وإذا كان هذا الشعور الديني العميق بالتعاطف مع المسلمين عامة دافعاً إلى التنافس في قربة الوقف، فلا شك أن نصيب الحرمين الشريفين وحظ المدينتين المقدستين، سيكون الأوفر والأوفى من هذه الأوقاف، وهذا سرّ كثرة ما وقف وحدّد صرف ريعه على أوجه الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وكان له أثره الواضح على قاطني مكة والمدينة، ومن جاء إليهما مجاوراً أو مقيماً أو حاجّاً أومعتمراً.

وسيتعرض هذا الفصل بالدراسة والبحث لآثار الأوقاف على الحياة العامة في المدينتين المقدستين، بما يبرز ألوانا من الحضارة الإسلامية في ذلك العصر، تعتمد على الوثائق التي تمد الدارسين بمعلومات قيمة في هذا المجال، لم يرد لها ذكر في المصادر والمراجع المطبوعة التي عنيت بهذا الموضوع.

أولاً: أثر الأوقاف على الحياة الدينية:

أ - الشعور الديني:

للشعور الديني أهمية كبيرة في حفز المسلمين على الوقف، فعلى أساس من الأثر العميق للدين في النفوس كثرت الأوقاف وازدهرت في العصر المملوكي، وتسابق السلاطين والأمراء والأعيان في الوقف على مصالح الحرمين الشريفين، وعلى أهالي المدينتين المقدستين، ومن يجيء إليهما من مختلف الجنسيات والألوان، كما تنطق بذلك معظم وثائق الوقف في تلك الفترة [1] ، وهذا لا ينفي الاهتمامات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للواقفين.

وتظهر أهمية الشعور الديني واضحة في افتتاحية معظم وثائق الوقف، من ذلك ماجاء في افتتاحية حجة وقف السلطان قلاوون الصالحي (٦٧٨ - ٦٨٩هـ/١٢٧٩ - ١٢٩٠م) ونصه "... بسم الله الرحمن الرحيم... قابل الصدقات، وفاتح أبواب الرحمة... أولئك الذين وفقهم لمرضاته مولاهم، وحقق لهم الأمان، لما وهبه لهم من نعمه المترادفات، لقد سعدوا في دنياهم وأخراهم، بما حصل لهم من أجور صدقاتهم... وعد المتصدق بصدقته استمرار أجوره حال حياته وبعد الممات، فأخبرنا نبينا محمد المصطفى المخصوص بأطيب السلام وأفضل الصلوات، أن العبد إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، وعدّ منها: الصدقة الجارية، وحث على الخير وتوخيه،

---

(١) منها: حجة وقف السلطان حسن، رقم الوثيقة (٤٢)، دار الوثائق، وحجة وقف برسباي، رقم الوثيقة (٨٨٠ق) أوقاف، وحجة وقف الغوري، رقم (٨٨٣ق) ورقم (٨٨٢ق) وزارة الأوقاف.

وأخبر أن الله جل جلاله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، في السكون والحركات... فطوبى لمن عامل مولاه العزيـــز الغفـــار، وراقـــبه مراقبة العالم بسره ونجواه في الإيراد والإصدار، وأقرضه أحسن القروض على حسب الإمكان والافتداء وانتهز الفرصة بالاستباق، وأحرز باغتنام أجرها قصد السباق، فساعد الفقير المسلم على إزالة ألمـــه ومداواة سقمه، تنجيه غداً من عذاب ربه الخلاق، ورجا أن تكون له بها عند الله الرتبة العظمى، والقربة التي لا يخاف بأجرها ظلما ولا هضما، والحسنة التي لا تبقى لذنبه غما..."[١].

ويؤكد ابن تغري بردي، هذا الشعور الديني، الذي كان من سمات ذلك العصر، فمن حديثه عن السلطان جقمق، (٨٤٢ - ٨٧٥هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٣م)، "قلت، والناس على دين ملوكهم، وهو أنه لما كانت الملوك الســـابقة تهـــوى التنـــزه والترف عمرت في أيامهم بولاق[٢]، وبركة الرطلي[٣]، وغيرهما... إلى أن تسلطن الملك الظاهـــر جقمـــق وسار في سلطنته على قدر هائل من العبادة والعفة... فعند ذلك تاب أكثرهم وتصوف وتزاهد، فصار كل أحد منهم يتقرب إلى خاطره بنوع من أنواع المعروف، فمنهم من صار يكثر من الحج، ومنهم من تاب وأقلع عما كان فيه، ومنهم من بنى المساجد والجوامع..."[٤].

ويدل على قوة هذا الشعور الخيّر ، كثرة الأوقاف على مصالح الحرمين الشريفين وأهاليهما، وإنشاء المساجد والمدارس، والأربطة لإقامة الشعائر الدينية، والدفاع عن الإسلام، وتسهيل تأدية فريضة الحج، ولا سيما لغير القادرين، فاشترط كثير من الواقفين أن يصرف ريع أوقافهم أو جزء منه في مساعدة غير القادرين لأداء فريضة الحج، مع علمهم أن الحج لم يفرض إلا على المستطيع، لقوله تعالى : "ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا "[٥]، إلا أن قوة الشعور الديني في هذا العصر جعلت الكثيرين يتوقون إلى تأدية فريضة الحج، ووجد الواقفون أن في إعانتهم على ذلك وجها من وجوه البر التي ينفقون فيها صدقاتهم من ريع أوقافهم. ومن حجج الوقف في هذا الصدد حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، الذي حدد صرف عشرين ألف درهم من ريع وقفه، تصرف لرجلين ممن لم يحجا حجة الإسلام، ليستعين كل منهما بالمبلغ المذكور في أداء حجته وعمرته، وقد اشترط الواقف في صفات هذين الرجلين أن يكون كل منهما حسن السيرة والسريرة من أهل

---

(١) وثيقة وقف السلطان المنصور قلاوون الصالحي، رقم الوثيقة (١٠١٠) أوقاف، نشرها محمد محمد أمين في ملاحق كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب الحلبي، ج١ ص ٣٣٠-٣٣٣، من مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٦م.انظر افتتاحيات وثائق الوقف المختلفة: سلاطين، أمراء، أعيان، على مصالح الحرمين وأهاليهما، مقدمة حجة وقف السلطان حسن، رقم الوثيقة، (٨٨) أوقاف، وافتتاحية حجة وقف السلطان قانصوه الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٤ق) وزارة الأوقاف، وافتتاحية حجة وقف السيفي أيتمش بن عبد الله الظاهري الأتابكي، رقم الوثيقة (١١٤٣ق) أوقاف، ومقدمة حجة وقف قراقجا الحسني، رقم الوثيقة، (٩٢) أوقاف.

(٢) **بولاق**: من أعمال القاهرة وتشرف على النيل، عمرت سنة ٧١٣هـ لشغف السلطان الملك الناصر بها فعمر بها العمائر، وبها عدة جوامع وحمامات ورباع وغيرها، المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٢١٢.

(٣) **بركة الرطلي**: وعرفت ببركة الطوابين من أجل عمل الطوب بها. وهي من أجمل أراضي الطبالة من أعمال القاهرة، ويمر بها الخليج الذي حفره الأمير بكتمر الحاجب، فلما جرى ماء النيل وروى أرض البركة، عرفت ببركة الحاجب، وسميت الرطلي نسبة لصناعة أرطال الحديد، المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٢٦٤.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١١٨ - ١١٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية (٩٧).

القرآن وطلب العلم الشريف وأرباب البيوت العاجزين عن القيام بتأدية فريضة الحج، ويقدم لمن يظهر احتياجه لذلك وشوقه إليه، لكل رجل عشرة آلاف درهم[١]، كما حدد الواقف صرف أجرة عشرين جملاً تجهز لحمل المنقطعين العاجزين عن الاستئجار، وإطعامهم حتى وصولهم إلى بلادهم[٢].

واشترط بعض الواقفين أن يصرف جزء من ريع وقفهم في كل سنة في مساعدة الذين يخرجون لتأدية فريضة الحج، ويشرفون على الهلاك، إما لضعفهم أو لفقرهم، سواء في طريق الذهاب أو العودة، ومن ذلك: حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، والمؤرخة في ٢٦ من ربيع الثاني، سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، والتي حددت ضمن أوجه الصرف بها، على الفقراء والمنقطعين من الحجاج بمكة، الذين ليس لهم زاد ولا راحلة، وأن يصرف لكل منهم ما يحتاج إليه حتى وصوله إلى وطنه[٣]، وكذلك حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، إذ قرر الواقف الصرف على المنقطعين من الحجاج في أجرة الحمل، والإطعام، وسقاية الماء، في طوال الطريق ذهاباً وإياباً حتى وصولهم إلى بلادهم[٤]، وقد حددت حجة وقف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ضمن أوجه صرفها: تجهيز المنقطعين بالمدينتين المقدستين برسم الزاد والراحلة، حتى وصولهم إلى ديارهم[٥].

ولتسهيل أداء فريضة الحج، ومساعدة المشاة من الحجاج، وتقديم ما يحتاجون إليه من الماء ذهابا وإيابا، وقف السلطان برقوق (٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٧٩-١٣٨٨م)ناحية بمتيت علىسحابة تسير مع ركب الحاج المتوجه إلى مكة في كل سنة لتحقيق هذا الغرض.

وحرص الأمراء والأعيان ومساتير الرجال مثل سلاطينهم على الإنفاق في أوجه البر والإحسان وإغاثة الملهوف، ومن انقطعت بهم السبل، أو أشرفوا على الهلاك لضعفهم أو لفقرهم، ومساعدتهم بالإنفاق على حملهم وإطعامهم وسقايتهم، ورعايتهم حتى وصولهم إلى أوطانهم[٦]. وكان الركب السلطاني يخرج من مصر محملاً بالماء والزاد والأشربة والأدوية والعقاقير، والأطباء والكحالين والمجبرين، والأدلاء. والأئمة والمؤذنين، والأمراء والجند والقضاة والشهود والأمناء، ومغسلي الموتى، كل هؤلاء في خدمة ركب الحاج[٧].

---

(١) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، ناظر الخواص الشريفة، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ رقم الوثيقة (١٠٥) رقم المحفظة (١٦)، دار الوثائق، سطر ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية الدراسة .

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١.

(٣) حجة وقف السلطان حسن، رقم الوثيقة (٤٢)، دار الوثائق، سطر ٤٥ ، ٤٦. انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية الدراسة .

(٤) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الوثيقة (٦٦)، محفظة (١١)، دار الوثائق، سطر ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية الدراسة .

(٥) حجة وقف الملك الناصر محمد بن قلاوون، رقم الوثيقة (٣٠)، دار الوثائق القومية، ص ٨٩، ٩٠ ، ٩١.

(٦) الوثائق التي حددت أوجه الصرف بها على المنقطعين من الحجاج وإطعامهم وسقايتهم كثيرة، ومنها: حجة وقف سيف الدين بكتمر، رقم (٢٠)، دار الوثائق، وحجة وقف خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان برقم (٤٧)، دار الوثائق، وحجة وقف أردكين ابنة السيفي نوكيه، رقم (٢٦)، دار الوثائق.

(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٦٥.

وارتبط اهتمام سلاطين المماليك بإرسال كسوة الكعبة والحجرة النبوية برباطين، أحدهما:سياسي والآخر ديني، فكانت ترسل الكسوة[١] بصحبة محمل الحج المصري، وكان يقام لهذه المناسبة احتفال في القاهرة، قبل خروجها إلى مكة المشرفة يسمى دوران المحمل، تعرض فيه الكسوة، والبرقع، وكسوة مقام إبراهيم على السلطان المملوكي، ثم يدور المحمل في شوارع القاهرة، وأمامه الطبل والزمر، وقضاة المحمل الأربعة، وأمير الحج وناظر الخزانة السلطانية، وناظر الكسوة الشريفة، وأعيان الحج، وتزين الشوارع والحوانيت التي في طريق دوران المحمل[٢]، ويصاحب ذلك شعور ديني ورغبة قوية للحج والزيارة، وتدل معظم الوثائق على أن الناس يقبلون على الوقف باعتباره من القربات الدائمة والصدقات المستمرة، فكانت الرغبة في عمل الخير دافعاً أكيداً وصادقاً من أهم دوافع الوقف، بل إن حب الناس للواقفين، والدعاء لهم بالأجر والثواب عند الله تعالى، كان عظيماً، لاطمئنانهم على أرزاقهم، ولما قامت به الأوقاف من تخفيف أعباء الحياة ومستلزماتها عن الناس ، وتأمين لقمة عيش طيبة في عصر عانى من كثرة الفتن والاضطرابات.

ب - الوظائف الدينية:

حرص سلاطين المماليك وأمراؤهم وأعيانهم على تثبيت أركان الشعائر الدينية بالعطف على رجالاتها من العلماء، والأئمة والقراء، والمؤذنين ،وغيرهم من أرباب الوظائف بالعمائر الدينية، ومن ريع الأوقاف تم تعيين الجوامك الشهرية والسنوية لهم وكانت تصرف لهم الملابس في المواسم والأعياد، وتشير وثائق الوقف في العصر المملوكي إلى أهمية عمارة بيوت الله بصفة عامة، والعناية بمصالح الحرمين الشريفين بصفة خاصة، بغية الثواب والأجر عند الله تعالى. لذا نالت الأماكن المقدسة اهتمام سلاطين المماليك الذين حرصوا على شؤون الحرمين الشريفين وتنظيماتها الإدارية، ووظائفها الدينية.

١ - القضاء في الحرمين الشريفين:

يأتي في مقدمة الوظائف الدينية منصب القاضي[٣]، ويندرج في معظم الحالات ضمن الوظائف الدينية المرتبطة بالحرمين الشريفين، لأن القاضي بجانب وظيفة القضاء، كثيراً ما كان يجمع وظائف أخرى مرتبطة بالحرم،

---

(١) وقف الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٤٣ - ٧٤٦هـ/١٣٤٢ - ١٣٤٥م) على كسوة الكعبة وكسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي، بعض القرى في صعيد مصر وثلث قرية بيسوس، وكانت الحجرة النبوية تكسى كل خمس سنوات، وتكسى الكعبة سنويًا، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ١٨٤، ج٤، ص ٣٠٢، والنهروالي، الإعلام، ص ١٤٤، وفي عام (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، وقف الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد ثلثي سندبيس وقرية (سردوس) على كسوة الكعبة وكسوة الحجرة الشريفة وعلى ستة عشر خادماً برسم خدمة الحجرة الشريفة النبوية، الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٥٩، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٢٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٥٧، والمقريزي، السلوك، ج١ ق ٢ ص ٥٠٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٨٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٧٢، ج٥، ص ٢٢٤.

(٣) وقد وضع الفقهاء المسلمون شروطاً دقيقة يجب أن تتوافر فيمن يتولى هذه الوظيفة، مثل: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والذكورة، والحرية، والعدالة، وسلامة الحواس، والعلم بالأحكام الشرعية. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥٩، والسبكي، معيد النعم، ص ٥٥ - ٥٨.

ويعتبر منصب القضاء من أجلّ الوظائف الدينية في المجتمع الإسلامي، إذ أن وظيفة القاضي هي الوظيفة الثانية في الوظائف الإدارية، ولابد أن يكون القاضي من كبار العلماء والفقهاء[١].

وكان القضاء في مكة في بداية العصر المملوكي على المذهب الشافعي، وهو الذي كان سائداً، حتى استحدث عام (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) في مصر، ولأول مرة، تعيين أربعة قضاة على المذاهب الأربعة (الشافعي – والحنفي – والمالكي – والحنبلي)[٢]، ويرأسهم القاضي الشافعي، الذي كان قاضي القضاة، لأن الدولة المملوكية تتبع المذهب الشافعي، ثم ظهرت وظيفة قاضي القضاة على المذاهب الأربعة في مصر[٣]، وظل القاضي شافعيّاً في مكة حتى عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م[٤]، حيث استحدثت وظيفة القاضي الحنفي، ثم القاضي المالكي سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م[٥]، أمَّا القاضي الحنبلي فكان آخرهم في عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م[٦]، وهناك ظاهرة ملحوظة ارتبطت بمنصب القضاء في مكة وهي نظام الوراثة في الأسرة الواحدة، و على الرغم من أن السلطان المملوكي هو الذي كان يصدر أمر تعيين القاضي، فإن هذا المنصب بمكة كان لا يتعدى بعض البيوتات العريقة، فكان معظم القضاة من الطبريين والظهيريين والنويريين والفاسيين، ويكاد القضاء يكون وراثيّاً فيهم.

وقد أشارت وثائق الوقف في أوجه صرفها إلى تعيين رواتب للقضاة وجوامك شهرية وسنوية، ومن ذلك حجة وقف السلطان الأشرف شعبان، التي حددت الصرف على القاضي في مكة المكرمة كل سنة ألف درهم نقرة، بشرط أن يكون نظره على ماقرره السلطان من أموال ومصروفات، على الوظائف المقررة في الحرم[٧]،

---

(١) من مهام القاضي: النظر في جميع القضايا، على اختلاف أنواعها: الجنائية والمدنية، كما يدخل في اختصاصه النظر في عقود الزواج والبيع والإجارة، والوصية، وبيت المال، والأوقاف، وتسليم ريعها وصرفه في وجوهه الشرعية، والاهتمام بشؤون الصلاة والزكاة، والإشراف على أموال الأيتام والمحجور عليهم، وأموال المواريث الحشرية، وقد يعهد إليه بالإشراف على تعمير المباني الدينية، فقد كان القاضي يتولى الكثير من مهام الأوقاف كما ذكر ومنها أنه في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، أجر القاضي جمال الدين الشيبي (المربد) (وهو المكان الذي تحبس فيه الإبل ويسمى مناخ الإبل) ويطلق أيضاً (على المكان الذي يجفف فيه التمر) الموقوف على بيت النبي ﷺ الملاصق (لقبة الوحي) وتقع بزقاق الحجر على يمين الذاهب للمسجد الحرام وهي دار السيدة خديجة رضي الله عنها وبها مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها) لبواب بيت النبي ﷺ إبراهيم السيرجي، وأذن له في العمارة، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٤، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٤٣٧، والطبري، الأرج المسكي، ص ٧٠، وياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٩٨، وابن جبير، الرحلة، ص ١٤١، كما أن من مهام القاضي الكشف عما يحتاج إليه الحرم من ترميمات، ففي عام ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، حضر قاضي القضاة ناظر الحرم برهان الدين بن ظهيرة القرشي الشافعي بالمسجد الحرام، وحضر الأمير المحتسب سنقر الجمالي، وكشفوا أماكن بالرواق من الناحية الغربية بالمسجد الحرام تحتاج إلى إصلاح، عبد الله غازي، إفادة الأنام، ج١، ص ٦٥٥، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٦ – ٤١، والخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٦، وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٣١ والمقريزي، الخطط، ج١، ص ٤٠٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٤٣٩، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٣٢١، والطبري، الأرج المسكي، ص ٤٨.

(٣) أشارت المصادر التاريخية إلى هذه الوظيفة وهي قاضي القضاة الحنفي وهو (سراج الدين عمر الهندي) في عهد السلطان (الأشرف شعبان)، انظر المقريزي، السلوك، ج٣ ق ١ ص ٣٥٨ ، ٣٥٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ١٩٣.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ١٧٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص ٤٣٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٨٧.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٣٨، والمقريزي، السلوك، ج٣، ق ٣، ص ١١٥٦.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٥٤٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٣٣٣.

(٧) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان،ص ١٠٠.

حيث جمع القاضي أبوالفضل النويري بين القضاء والخطابة والنظر في الحرم[١]، كذلك خصص الأشرف شعبان صرف ألفين وخمسمائة درهم نقرة، تصرف على مشايخ المذاهب الدينية، فيصرف للشيخ شهاب الدين أحمد بن ظهيرة المكي الشافعي، ألف درهم نقرة، على أن يتصدى للاشتغال بالعلم الشريف ونشره، وإحياء معالم الدين على عادة أمثاله، ويصرف للشيخ عبد الرحمن بن أبي الخير المكي المالكي[٢]، مبلغ خمسمائة درهم نقرة نظير اشتغاله بالعلم كسابقه، ويصرف للشيخ الصالح محمد بن يعقوب الفيروزآبادي[٣]، مبلغ ألف درهم على أن يتصدر في كل يوم على عادة أمثاله، ويلاحظ أنه خصص مرتبات ثلاثة فقط من شيوخ المذاهب الأربعة ولم يخصص ضمن أوجه صرفه راتباً لشيخ المذهب الحنبلي، ويلاحظ أيضاً أنه حتى تاريخ صدور هذه الوثيقة فإن إصدار أحكام القضاء كان فقط للقاضي الشافعي، ثم تدرج بعد ذلك التاريخ فشمل قضاة المذاهب الثلاثة الباقية بالترتيب: الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي، وهم مشايخ المذاهب الذين أصبحوا قضاة فيما بعد[٤].

وكانت أحكام القضاء في المدينة المنورة في بداية العصر المملوكي على المذهب الجعفري أو الإمامي الاثنا عشري، غير أنه وردت إشارات إلى وجود بعض القضاة من أهل السنة في المدينة خلال تلك الفترة، ومن هؤلاء الحسين بن أحمد بن علي أبي النصر الحنفي قاضي الحرمين[٥]، وعبد الله بن يحيى الشيباني الطبري قاضي الحرمين[٦]، ومن الواضح أن هؤلاء جميعاً كانوا أساساً قضاة في مكة ثم ندبوا لتولي القضاء في المدينة فأصبحوا قضاة للمدينتين، غير أن الأوضاع المذهبية في المدينة بدأت في التحول التدريجي لصالح أهل السنة ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع الهجري، ففي سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، أخذت الخطبة من آل سنان الذين كان منهم الخطباء والأئمة والقضاة الإمامية، وأسند أمرها لأحد علماء السنة الذي قدم من مصر لهذا

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٣٠١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٩٦.

(٢) هو: عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي، المكي، يكنى بأبي زيد، شيخ المالكية بمكة ولد عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م، وتوفي عام ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٤٠٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ١٤٩.

(٣) هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي القاضي مجد الدين أبو الطاهر الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي، اللغوي، المجاور بمكة، ولد بشيراز سنة ٧٢٩، وتوفي ليلة الثلاثاء ٢٠ من شوال سنة ٨١٧هـ بزبيد، ودفن بمقبرة الشيخ إسماعيل الجبرتي ، مسموعاته وإسماعاته كثيرة على مشاهير علماء مصر واليمن ومكة والمدينة، فقد سمع من إمام خليل بن عبدالرحمن المالكي ، والقاضي الحرازي، ونور الدين على بن القسطلاني قرأ عليه الموطأ لمالك، رواية يحيى بن يحيى ، ولقي جمعا كثيرا من الفضلاء، أخذ عنهم وأخذوا عنه، منهم المؤرخ الصفدي. ومصنفاته كثيرة، منها: شرح الفاتحة، ألفه في ليلة واحدة، والمغانم المطابة، في معالم طابة، والوصل والمنى في فضائل منى، وفي الحديث: كتاب شوارق الأسر العلمية، شرح مشارق الأنوار النبوية، وغيرها. العقد الثمين، ج٢، ص ٣٩٢ – ٤٠١ برقم ٤٨٨ ترجمة طويلة، وابن حجر إنباء الغمر ، ج٧، ص١٥٧-١٦٣، والسخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠، ص ٧٩-٨٦.

(٤) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠١.

(٥) الحسين بن أحمد بن علي بن أبي النصر الحنفي قاضي الحرمين، توفي عام (٤٥٦هـ/١٠٧٢م)، القرشي (عبد القادر بن محمد) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة دار العلوم، الرياض، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص ١٠٠، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٥٠٣.

(٦) عبد الله بن يحيى الشيباني قاضي الحرمين توفي بعد سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٢٩٩، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٤٣٤.

الغرض، وهو القاضي سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري الدمنهوري الشافعي[١]، وقد أشارت إلي ذلك وثائق الوقف في أوجه صرفها على القضاة في المدينة النبوية، ونصت حجة وقف الأشرف شعبان على أن يصرف لقاضي الحكم في المدينة الشريفة مبلغ ستمائة درهم نقرة، بشرط أن يكون نظره على الوظائف التي قررهـا السـلطان شعبان بن حسين، ولم تحدد الوثيقة هذه الوظائف، ولعلها الوظائف نفسها التي كانت لقاضي الحكم الذي بمكـة المشرفة، إلا أنه يلاحظ أن راتب قاضي الحكم في المدينة يقل عن راتب نظيره في مكة الذي يتقاضى ألف درهـم سنويا، أي بزيادة أربعمائة درهم عن قاضي الحكم في المدينة[٢] .

٢ - الخطابة في الحرمين الشريفين:

الخطابة من الوظائف الدينية المهمة في الحرمين الشريفين، ومكانتها جليلة، ومتوليها هو الخطيب[٣]، وعليه إلقاء خطبة الجمعة والعيدين في الحرم، وفي عرفة ومنى أيام موسم الحج من كل عام، وقد احتفظ خطيب المسجد الحرام بمنزلة كبيرة في نفوس المسلمين بمختلف طبقاتهم، وكان لا يتولاها إلا كبار علماء مكة الشافعية، وذلـك بمرسوم صادر من السلطان في مصر، ففي عام ٨١٦هـ/١٤١٣م وصل للقاضي عز الدين النـويري، مرسـوم بتوليه الخطابة[٤].

---

(١) سراج الدين عمر بن أحمد الخضرى الأنصاري الدمنهوري الشافعي، توفي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٢٢٤، ٢٢٥، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص ٣١٢ - ٣١٧، وفي سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، عزلت الطائفة الإمامية عن القضاء وانكسرت شوكتهم، فارتفع شأن أهل السنة وعلا أمرهم، وساد المذهبان: الشافعي والمالكي من بين مذاهب أهل السنة حتى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، وبدأ ظهور المذهب الحنفي في المدينة الذي كان له بعض الفقهاء في المدينة قبل ذلك التاريخ.

(٢) يشترط فيمن يتولى وظيفة الإمامة: أن يكون مسلما، بالغا، ذكرا، عاقلا، قارئا، سليما من الأمراض التي تنقض طهارته في صلاته، ويجأر في دعائه، ويتضرع في ابتهاله، ويحضر إلى المسجد أول الوقت، فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة، وإلا انتظر الجميع ما لم يفحش الانتظار، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥ - ١٩، والسبكي، معيد النعم، ص ١١٤.

(٣) الخطابة مصدر خطب، ويقال: خطب الخطيب على المنبر. ويشترط في الخطيب: أن يكون مسلما بالغا، ذكرا، عاقلا، عارفا لأحكام الصلاة والخطبة، سليما مما يعيق ذلك، وأن يكون سليم اللسان من العيوب اللفظية، مسموع الصوت، ويكون عند إلقائها طاهرا حسن المظهر، ولقد أجمل لنا المؤرخ السبكي ذلك بقوله: "عليه أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفسا من أهل الجمعة، فلو خطب سرا بحيث لم يسمع غيره، لم تصح خطبته، أما الالتفات في الخطبة، والدق على درج المنبر عند صعوده، والمبالغة في وصف السلاطين عند الدعاء لهم، والإسراع في الخطبة الثانية فكل ذلك مكروه، ولا بأس من الدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه ففي صلاحه صلاح المسلمين، ولا يطيل الخطبة على الناس، فإن وراءه الشيخ والضعيف والصغير وذا الحاجة، ولا يذكر ألفاظا يصعب فهمها على غير الخاصة، ولا يتكلف السجع". العمري، المصطلح الشريف، ص ١٢٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٩، والسبكي، معيد النعم، ص ١١٢، وابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٨٥٥.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٧٤، ج٢، ص ٥٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٩،وتكاد وظيفة الخطابة تكون طوال العصر المملوكي محصورة في بعض الأسر المكية عن طريق التوريث، كذلك كان يحدث أن تكون الخطابة مناصفة، بين اثنين من أسرة واحدة، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٦٠٣، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٨٨.

أمّـــا في المديـــنة المنورة، فقد كانت الخطابة مقصورة على آل سنان[١] خلال العصرين الفاطمي والأيوبي وبداية العصر المملوكي، وفي عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م نزعت الخطابة من يد آل سنان في عهد السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون، وعين لها الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الخضري الشافعي[٢].

٣ - الإمامة في الحرمين الشريفين:

الإمامة من الوظائف الدينية المهمة، ويقصد بها إمامة[٣] المصلين في الصلوات الخمس والتراويح في رمضان في الحرمين الشريفين، والإمامة في الصلاة لها مكانة كبيرة عند المسلمين[٤]، لأن رسول الله ﷺ هو الذي كان يقوم بها في حياته، وهي من اختصاصات أمراء البلدان، وحكام الأقاليم في العهود الإسلامية الأولى.

وكان الناس في مكة يصلون في المسجد الحرام، خلف مقام واحد، وهو مقام إبراهيم عليه السلام[٥]، حتى حـــدثت بدعـــة المقامات في مكة، فأنشئت حول الكعبة أربعة مقامات، لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة: الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي، وكان يضاف إليها مقام خامس هو مقام الشيعة الزيدية، يؤم في كل واحد منها إمام يصلي خلفه أتباع مذهبه[٦]. ويلزم أن يكون قرار تعيين الإمام في وظيفته صادراً من السلطان المملوكي، لأهمـــية هذه الوظيفة، ففي عام ٨١٩هـ/١٤١٦م، ولي إمامة المالكية بالمسجد الحرام محمد بن أبي الخير الفاسي

---

(١) هو سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الشريف الحسيني ،وكانت الخطابة في آل سنان ،وكان الحكم مرجعه إليهم وهم على مذهب الإمامية،ولم يكن لأهل السنة خطيب ولا حاكم ،السخاوي ، التحفة اللطيفة ،ج١،ص٥٢، ٥٣ .

(٢) **سراج الدين الخضري الشافعي**، سبق التعريف به.
وقد شهد المسجد النبوي خلال العصر المملوكي تولي عدد من الفقهاء من داخل المدينة وخارجها لمنصبي الخطابة والإمامة، ومن بينهم أفراد من الأسر العلمية كأسرة المطري، حيث تولى جمال الدين المطري الإمامة والخطابة سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م وأسرة ابن صالح وأسرة الكازروني، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٥٤، والفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٢٩٣.

(٣) الإمامة: من أمّهم وأم بهم: تقدمهم، والإمام كل من ائتم به قوم، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠١.

(٤) يشترط فيمن يتولى وظيفة الإمامة: أن يكون مسلماً، بالغاً، ذكراً، عاقلاً، قارئاً، سليماً من الأمراض التي تنقض طهارته في صلاته، ويجأر في دعائه، ويتضرع في ابتهاله، ويحضر إلى المسجد أول الوقت، فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة، وإلا انتظر الجميع ما لم يفحش الانتظار، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥ - ١٩، والسبكي، معيد النعم، ص ١١٤.

(٥) **مقام إبراهيم**: الركن العراقي عن يمينه والحجر الأسود عن يساره، وهو الحجر الذي وقف عليه خليل الله عليه السلام حينما بنى الكعبة، وقيل حين أذن للناس بالحج، وكان المقام عبارة عن قبة عالية من الخشب على الصخرة قرب زمزم وتُغطى بالحديد في موسم الحج، الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٢٨، والفاكهي، أخبار مكة، ج١، ص ٤٤، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٨٧.

(٦) لم تذكر المصادر التاريخية متى بدأت بدعة المقامات الأربعة صراحة، ولكن من المرجح أن ذلك كان قبل منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لأن المؤرخ ابن عبد ربه في مصنفه العقد الفريد حينما وصف المسجد الحرام لم يذكر المقامات الأربعة، وتوفي ابن عبد ربه عام (٣٢٨هـ/٩٣٩م)، وحج الرحالة ناصر خسرو عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م وحين وصف المسجد الحرام ذكر المقامات الأربعة، وقد ذكرها بعد ذلك كل من كتب وصنف عن المسجد الحرام، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٧، ص ٢٤٦، وناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٤٥، وابن جبير، الرحلة، ص ٧٨، وابن بطوطة، الرحلة، ص١٦٠، والتجيبي، مستفاد الرحلة، ج١، ص ٢٩٦.

المكـــي، بتفويض من السلطان بمصر[١]، وقد عرفت وظيفة الإمامة في المسجد الحرام نظام الوراثة[٢]، ونظام النيابة في الإمامة[٣].

وكانـــت تصـــل إلى الأئمة مع قرار التعيين خِلَع من السلطان في مصر، وقد عينت حجة وقف الأشرف شعبان الصرف: من ريع الوقف على أربعة من أئمة الحرم المكي، لإمامة الصلوات الخمس، بجامكية سنوية مقدارها أربعمائة درهم نقرة لكل واحد منهم، وهو مايعادل ثلاثة وثلاثين وثلث الدرهم شهريّا[٤] وعدا ذلك كان للأئمة نصيب من الصدقات المالية الواصلة لمكة[٥].

وكانت الإمامة في المدينة المنورة مثل الخطابة، متوارثة في آل سنان، وفي أوائل العصر المملوكي كان هناك إمام شـــافعي يؤدي الصلاة بالناس أمام المحراب العثماني[٦]، وفي عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م أحدث محراب للحنفية إلى جانب محراب الشافعي[٧]، ويرى السمهودي أن حالة تعدد الأئمة في الحرم النبوي قد انتقلت إليه من الحرم المكي[٨].

٤ - سدانة الكعبة المشرفة وخدام المسجد والحجرة النبوية الشريفة:

صاحب هذه الوظيفة هو السادن، ووظيفته هي خدمة الكعبة المشرفة، وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه، والسدانة وظيفة قديمة جدّا، يرجع تاريخها إلى بداية بناء الكعبة، فقد كانت في يد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ثم من بعدهم جرهم ثم خزاعة، ثم انتهى أمر البيت إلى قصي بن كلاب، الذي جعل لابنه عبد الدار حجابة الكعبة[٩] ،وهي سدانتها ، وتولي حفظها، وقد جعل عبد الدار الحجابة بعده لابنه عثمان، ثم تولاها بعد

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٣١٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٣٨.

(٢) عرفت وظيفة الإمامة نظام الوراثة مثلها مثل الوظائف الدينية في الحرمين الشريفين، فقد تولى الشهاب أحمد بن الضياء بن التوروزي القسطلاني إمام المالكية في المسجد الحـــرام بعد أبيه، ولما توفي عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م خلفه أخـــوه البهاء عبد الرحمـــن بن الضياء التوروزي القسطلاني، وفي عام ٧٦٠/١٢٧٢م تولى إمامة المالكية عمر بن عبد الله المالكي بعد وفاة عمه خليل بن عبد الرحمن المالكي، الفاســـي، العقد الثمين، ج٤، ص ٤٢٣، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣٣٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٧٩، كما عرفت وظيفة الإمامة نظام المشاركة، وقد شمل هذا النظام كل المذاهب، الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ١٥١، ج٨، ص ٨١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣١٦، ٤٣٩.

(٣) للإمام أن يعين نائباً، وعادة يكون ولده أو أحد أقاربه، وإن مات أحد المشاركين في منصب الإمامة، فإن أبناءه عادة يخلفونه، وقد يكون النائب من أحد العلماء المجاورين، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ١١٨، ج١، ص ٢٨٤، ج٥، ص ٥٣٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٩١، ٤٣٤، ٥٧٠.

(٤) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ٩٩.

(٥) في عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، حج الشيخ بدر الدين الأقصرائي، ومكث بعد سفر الحاج يومين بمكة لتفرقة قمصان أرسلها السلطان المؤيد شيخ، وكان للأئمة نصيب منها، وفي عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م لما قدم ناظر الخواص السلطانية إلى مكة نال الأئمة الشافعية اثنى عشر أشرفية والحنفية أربع أشرفيات والمالكية والحنابلة كذلك، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٧٤، وعبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ١٧٤.

(٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٨٣.

(٧) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٢٦٧، وكان إحداث المحراب باقتراح من الأمين الأقصرائي على طوغان شيخ الأحمدي والذي كان أحد أمراء السلطان الأشرف إينال، أمَّا الصيرفي فيذكر أن إحداث محراب للحنفية تم سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م بمرسوم من السلطان الملك الظاهر برقوق، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ٤٩٣، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٤٥.

(٨) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٨٣.

(٩) الفاكهي، أخبار مكة، ط١ ج٥، ص ١٧٦، والطبري، والقرى لقاصد أم القرى، ص ٥٠١.

عثمان ابنه عبد العزيز، ثم ابنه عبد الله، وبعده ابنه طلحة، حتى فتح الرسول ﷺ مكة عام ٨هـ/٦٢٩م، وفتح الكعبة ودخلها، ثم خرج منها ومعه المفاتيح، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى:" **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها** "[١]، ولا شك أن أهم واجبات ومهام السادن هو فتح باب الكعبة، ذلك أن المفتاح عنده لا يفتحها غيره، وذلك في مواعيد فتحها، كما يتولى السادن نزع الكسوة القديمة وإسبال الكسوة الجديدة، كما يتولى الإشراف على الأعمال التي تتم داخل الكعبة وخارجها من الإصلاحات والترميم ويشارك في غسل الكعبة بماء زمزم[٢].

ومن المؤكد أنه كان للسدنة القائمين على خدمة الكعبة، رواتب مقررة من بيت المال، وإن لم تحدد المصادر مقدار هذه الرواتب، فقد حددتها الوثائق، وأشارت إليها حجة وقف السلطان الأشرف شعبان التي جعلت ضمن أوجه الصرف بها على مصالح الحرم المكي الشريف بتخصيص مبلغ ألف وخمسمائة درهم نقرة كل سنة تصرف لسدنة الكعبة المشرفة، ولكنها لم تحدد عملهم أو عددهم[٣]، كما كان للسدنة نصيب من الصدقات والأموال الواصلة إلى مكة، ففي عام ٩٠١هـ/١٤٩٥م، وصلت الصدقة البنغالية، وكان نصيب شيخ الكعبة أربعين ديناراً، ولما وصلت الصدقة اليمانية عام ٩١٨هـ/١٥١٢م أخذ السادن الشيبي خمسة دنانير[٤].

وكانت خدمة الحرمين الشريفين والحجرة النبوية الشريفة من أجل الخدمات التي يطمح إليها الكثير من المسلمين تقرباً إلى الله عز وجل، وأصبح لهذه الخدمة تنظيم خاص ابتداء من العصر الأيوبي، وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري أصبح لخدام المسجد النبوي مشيخة[٥]، وقد وردت أول

---

(١) سورة النساء، الآية (٥٨)، وقد طلب العباس بن عبد المطلب الحجابة والسقاية من رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية السابقة، فدعا الرسول ﷺ عثمان بن طلحة، فدفع إليه المفتاح، ثم قال: "خذوها يابني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا يترعها من أيديكم إلا ظالم" وظلت الحجابة (السدانة) كما أمر المولى عز وجل في نسل هذه الأسرة يتوارثونها بتنظيم خاص، وهو أن يتولى الوظيفة أكبرهم سنّا، الأكبر فالأكبر، إلا أنه حتى في العصر المملوكي كانت السلطة تتدخل كنوع من ممارسة سلطتها ولو بطريقة اسمية بواسطة المرسوم السلطاني، كما عرفت وظيفة السدانة نظام النيابة، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٥٨، والفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٣٦، وابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص ٤٠٥، والفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٧٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ١٥٣.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٨، وابن بطوطة، الرحلة، ص ١٧١، والمقريزي، السلوك، ج٢ ق٢، ص ٣٦٣.

(٣) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠٢.

(٤) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ٨٨، ص ٢٠٥.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٥٨، والبرزنجي، نزهة الناظرين، ص ٩٠. وكانت خدمة المسجد النبوي موجودة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ، خدمة تطوعية، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه أول من أجرى الرواتب للعاملين بالمسجد النبوي من المؤذنين وغيرهم، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٦٣، وذكر المؤرخ الأنصاري: "إنما كان القائم بخدمة الكعبة الشريفة والحجرة المنيفة في أيام الخلفاء والدولة العباسية: الفقهاء وأهل العلم والفضل". الأنصاري (عبد الرحمن) (ت١١٢٤هـ/١٧١٢م) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق، العروسي المطري، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م، ص ٥٤، وهناك عديد من الآراء حول أول من رتب وظيفة الخدام في المسجد النبوي، الرأي الأول أن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب هو أول من قرر الخدام الخصيان بمدينة النبي ﷺ ولم يكن بها أحد، والرأي الثاني أن ذلك تم في عهد السلطان نور الدين الشهيد في أول دولة الأكراد عام ٥٥٧هـ، وأرسل اثني عشر نفراً من خدمة الطواشي إلى المدينة

إشـــارة إلى شيـــخ الخدام في العصـــــر المملوكي سنة ٦٦١هـــ/١٢٦٢م حين تحـــــدث الميورقي[١] عن شيخ الخدام: بدر الدين الشهابي[٢]، ولخدام المسجد النبوي مراتب ، ولكل مرتبة عمل معلوم[٣]، ونظـــراً لأهمية وظيفة شيخ الخدام، فإن تعيينهم يأتي مباشرة من السلطان المملوكي في القاهرة، حيث يصدر مرسوم بذلك[٤].

وكانت الرواتب الشهرية لخدام المسجد والحجرة الشريفة تصرف من مصر، وإن كانت المصادر التاريخية لم تحـــدد مقدارها، وقد وُقفت أوقاف متعددة على خدام المسجد النبوي منها، وقف السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين الأيوبي والذي ظل يؤدي دوره في الصرف على هذه الفئة والإنفاق عليها حتى نهاية القرن الـــثاني عشر الهجري[٥]، ويحدّد العديد من وثائق الوقف في العصر المملوكي ضمن أوجه الصرف: خدام المسجد والحجـــرة النبوية الشريفة، ومن ذلك حجة وقف الزيني عبد اللطيف منصور بدوي، الزمام بالآدر الشريفة، والتي حددت صرف مبلغ ثمانمائة وخمسة وسبعين درهماً لتعيين خادم بالحجرة الشريفة النبوية، كما قررت الوثيقة صرف

النبوية ليكونوا سدنة القبر الشريف، وزاد عليهم السلطان صلاح الدين فيما بعد اثني عشر خادماً خصيّا، الأنصاري، تحفة المحبين والأحباب، ص ٥٤، والبرزنجي، نزهة الناظرين، ص٩٠.

(١) الميورقي (أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري)، بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، تحقيق إبراهيم الزيد، ط١ ، الطائف، ١٤٠٤هـــ، ص ٣٤.

(٢) بدر الدين أبو الضياء الحبشي الشهابي الطواشي، توفي بالمدينة سنة ٦٦١هـــ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٦٣.

(٣) يبدو أن أسماء الرتب قد أصابها بعض التغيير من وقت لآخر، فنجد العياشي يذكر مراتبهم وأعمالهم بقوله: "إن أكبر الرتب بالنسبة لخدام المسجد النبوي هي رتبة شيخ الحرم يليه النقيب، ثم المستلم وهو المسؤول عن استلام الصدقات وعن جميع ما يتصرف فيه، ومصالح المسجد من زيت وشمع وخلافه، وعنده مفاتيح الحجرة الشريفة، والشيخ والنقيب والمستلم هي أكبر الوظائف عند الأغوات، ثم بعد ذلك البطالون وهم يعملون في النظافة خارج الحجرة، والمسجد النبوي، ولا يحق لهم الجلوس مع الأكابر في الدكة وإنما يجلسون خارجها". العياشي (أبو سالم بن محمد بن أبي بكر)، ماء الموائد، المطبعة الحجرية الفاسية، فاس، ١٣١٦هـــ، ص ٣٠٥، أمّا بشكارى زاده فيقسم الأغوات إلى قسمين "أولهما الأعاجم وهؤلاء يعرفون بالبطالين والخبزيين وقسم شيخ الحرم وأربعة ضباط هم نائب الشيخ والمستلم والخزيندار والنقيب" بشكارى زاده (درويش أحمد) رسالة في تاريخ المدينة المنورة (باللغة التركية)، مكتبة السليمانية، قسم برتونيال، رقم (٤٤٠)، ومكتبة جامعة إسطنبول، رقم (ت٦٧٠٦)، ص ١٧ ، ١٨، وأيوب صبري، مرآة الحرمين، ص ٧٦. وأورد السخاوي الوظائف التي يقوم بها العاملون في مشيخة الخدام: وهي: "حفظ المسجد نهاراً، ومباشرة قفل أبوابه، والمبيت في حراسته... وتنزيل القناديل وتعليقها للتعمير والوقود، وغسلها أو مسحها، وإسراج ما يوقد منها سحراً، والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل، لتفقد من يخشى من مبيته، ولا يبيت فيه إلا الفراش لطفي القناديل وفتح الباب للمؤذن قبل صلاة الفجر، وكنس المسجد والروضة والحجرة كل جمعة وفرش بساط أمير المدينة، ولبخور المسجد أيام الجمع خادم يخصه". السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٣.

(٤) أورد القلقشندي نص مرسوم تعيين شيخ الخدام في الحرم الشريف النبوي، صبح الأعشى، ج١٢، ص ٢٦٠.

(٥) وقف السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين الأيوبي،ي والأعيان الموقوفة قريتي (نكاده) و (سندبيس) على خدام المسجد والحجرة النبوية الأربعين وكان ريع هذه الأعيان الموقوفة سنويّا ثمانين ألف نصف فضة ديوانية. انظر: أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة، حجة مؤرخة ٢٦ من شوال سنة ١١٢٨هـــ/١٧١٥م رقم الوثيقة (٦١٧/١١٤١/٤١٨/٢ج) بتسليم أمير الحج الشريف الصرة من وقف صلاح الدين الأيوبي لخدام الحجرة الشريفة النبوية، كما أورد برتون تفصيلاً لمرتبات الأغوات:

Burton: (Narratve of a Pilgrimage, V, 1, p. 371.

سبعين ديناراً من الذهب لخدام المدينة الشريفة[١]، وكذلك حجة وقف الزيني عبد اللطيف القجاجقي، التي نصت على الصرف "... لخدام الحجرة الشريفة بالحرم الشريف النبوي"[٢]، كما نصت حجة وقف الأشرف شعبان على تعيين عشرين خادماً من الخدام البطالين، واشترطت على كل منهم أن يقوم بخدمة المسجد والحجرة الشريفة وحددت مجموع أجورهم بخمسة آلاف درهم نقرة سنويّا توزع بالسوية بينهم بواقع مئتين وخمسين درهماً سنويّا لكل واحد منهم[٣]، وعلى نسق ما ذكر حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله التي قررت ضمن أوجه الصرف بها، صرف أربعة أسهم من ريع الوقف في مصالح الخدام البطالين بحرم سيدنا رسول الله ﷺ[٤]، كما وقف السلطان الأشرف برسباي، وقفاً لخدام الحرم المكي، فقد قرر صرف ثلاثين ألف نصف فضة ديوانية سنويّا ترسل بصحبة الركب الشريف مع أمير الحاج المصري ليسلمها لشيخ الحرم الشريف المكي[٥].

٥ - الأذان في الحرمين الشريفين:

صاحب هذه الوظيفة هو المؤذن، ووظيفته : إعلام الناس بدخول وقت الصلاة، وهذه الوظيفة من أقدم الوظائف الدينية، حيث شرعها الرسول ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، وأول مؤذن في الإسلام هو بلال بن رباح، ونظراً لأهميتها الدينية كان لمتوليها شروط ، منها: أن يكون مسلماً عاقلاً ذكراً بالغاً عالماً بأوقات الصلاة، حسن الصوت، مسموعاً، ذا معرفة بالوقت[٦]، وكان المسجد الحرام في العصر المملوكي، يحتوي على ست منائر[٧]، يؤذن عليها في الأوقات الخمسة، وكانت هناك منائر أخرى على رؤوس الجبال،

---

(١) حجة وقف الزيني عبد اللطيف منصور بدوي، المؤرخة في ١١ من جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ، رقم الوثيقة (٢٢٢) محفظة (٣٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة .

(٢) حجة وقف الزيني عبد اللطيف القجاجقي، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨٤٦هـ، رقم الوثيقة (١٠١) محفظة (٦)، دار الوثائق.

(٣) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٢٢.

(٤) حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر، رقم الوثيقة (٢٧٤) محفظة (٤٢) دار الوثائق سطر ٥٥ - ٥٦. كما أن هناك العديد من الوثائق التي وجهت صرف ريعها في مصالح خدام المسجد النبوي والحجرة النبوية الشريفة، لمزيد من المعلومات. انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٥) استمر صرف ريع وقف السلطان الأشرف برسباي على خدام الحرم الشريف المكي حتى العصر العثماني وأضيف في أعيانه الموقوفة لتقوية ريع الوقف، ففي سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م قرر (بشير أغا) لأغوات الحرم المكي جزءاً كبيراً من خلال وقفيته على الحرمين الشريفين قدرها (١٨٢٢٥) نصف فضة ديوانية يستلمها شيخ الأغوات، دار الوثائق القومية، سجلات الديوان العالي، سجل واحد، مادة ٤٧٧، ص ٢٣١، وثيقة وقف مؤرخة في ذي الحجة سنة ١٠٨٣هـ، بإيصال ريع وقف السلطان الأشرف برسباي للناظر بمكة المشرفة، رقم الحجة (١٢٧٧/١٤٧٨/١٣٩٦/١ج) أرشيف وزارة الأوقاف.

(٦) السبكي، معيد النعم، ص ١١٥، وابن الإخوة، معالم القربة، ٢٦٧، والعبدري، رحلته، ص ٦٠.

(٧) كان للمسجد الحرام ست منارات، الأولى: منارة باب العمرة وقد عمرها أبو جعفر المنصور (١٣٨ - ١٥٨هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٦م)، ثم سقطت فعمرها صاحب الموصل محمد الجواد الأصفهاني عام ٥٥١هـ/١١٥٦م، الثانية: منارة باب السلام أو شيبة وقد عمرها أمير المؤمنين المهدي عام ١٦٨هـ/٨٧٤م، وأعيد تعميرها في عهد الناصر فرج عام ٨١١هـ/١٤٠٨م، الثالثة: منارة باب علي أنشأها أمير المؤمنين المهدي، الرابعة: منارة باب الحزورة أو باب الوداع أنشأها المهدي العباسي، ثم أعاد تعميرها الأشرف شعبان عام ٧٧١هـ/١٣٦٩م، الخامسة: وهي في زيادة دار الندوة أو منارة سويقة بناها الخليفة المعتضد العباسي، وأعاد بناءها الأشرف برسباي عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، السادسة: منارة قايتباي في باب النبي ﷺ أنشأها قايتباي عند مدرسته عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، النهروالي، الإعلام، ص ١٤٦، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٨٥، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص ٣٣٠.

ولكن هذه المنائر لم يعد لها وجود في العصر المملوكي[١].

وذكر ابن جبير، وابن بطوطة أن رئيس المؤذنين في المسجد الحرام، كان يؤذن على سطح قبة زمزم، وقد استمر ذلك في العصر المملوكي[٢]، وهناك وظيفة في المسجد الحرام ارتبطت بوظيفة المؤذن وهي وظيفة المسيعاد أو (المؤقت أو الميقاتي)[٣]، ولم تحدد المصادر التاريخية مقدار الرواتب التي كانت تصرف للمؤذنين.

وقد أشارت حجة وقف السلطان الأشرف شعبان ضمن أوجه الصرف بها إلى ما رتبته على خمسة مؤذنين من جلبي الصوت، وحددت مكان عملهم، بأربعة يعلنون الأذان من المآذن التي بالحرم، كل منهم في مئذنة منها، والخامس يعلن الأذان على سطح زمزم، ونصت الوثيقة على أن يكون مؤذن سطح زمزم هو حسين بن يوسف المادح إلى أن يتوفى، فيقرر الناظر لهذه الوظيفة من يراه ويؤدي إليه اجتهاده، ويصرف لهؤلاء الخمسة مبلغ ألفي درهم نقرة كل سنة، أي أن كلاً منهم كان يتقاضى أربعمائة درهم سنويّا، بمعدل ثلاثة وثلاثين درهماً وثلث الدرهم شهريّا، وهناك أربعة آخرون يعلنون الأذان، على الجبال الأربعة المحيطة بمكة، ليبلغ الأماكن البعيدة عن الحرم، واشترطت الوثيقة أن يدعو هؤلاء المؤذنون في وقت السحر للسلطان الواقف، ولجميع المسلمين، ورتبت لكل منهم راتباً سنويّا قدره: مائة وعشرون درهما نقرة، بمعدل عشرة دراهم في الشهر[٤].

وكان للمؤذنين نصيب من الصدقات الواصلة إلى مكة، ففي عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م قدم ناظر الخواص إلى مكة وفرق صدقة، وحصل المؤذنون في كل مئذنة على أشرفي[٥].

ولم يكن بالمدينة المنورة في أوائل العصر المملوكي -كما يقول ابن فرحون - : "من يوثق به في معرفة الأوقات وتحريرها، فبعثوا لها من مصر ثلاثة، أحدهم والد الشيخ جمال الدين أحمد بن خلف المطري، والثاني الشيخ إبراهيم بن محمد الكناني العسقلاني بن إبراهيم، والثالث عز الدين المؤذن"[٦]، واستمرت وظيفة الأذان وراثية في بعض الأسر، منها: أسرة المطري، الكناني، بني الخطيب، يتولاها الأبناء عن الآباء، مثال ذلك: خلف أحمد المطري الذي ولى ابنه أبا عبد الله جمال الدين والذي اشتهر بحسن الصوت وناب كذلك في الحكم

---

(١) كانت هناك منارات على رؤوس الجبال بسبب أن الأذان في المسجد لا يسمعه من يسكن في فجاج مكة ومن كان نائياً عن المسجد الحرام، وفي عصر هارون الرشيد، أمر عبد الله الخزاعي أن تتخذ على رؤوس الجبال منارات وأجرى للمؤذنين الأرزاق، عبد الله غازي، إفادة الأنام، ج١، ص ٦٤٩، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٨٨، والطبري، الأرج المسكي، ص ٧٨، ٧٩.

(٢) كان المؤذنون في منائرهم عند وقت السحور في ليالي رمضان، يعمدون إلى إيقاد قنديلين من الزجاج ويضعونهما على خشبة، فإن حان وقت الأذان، أطفئ القنديلان وناموا، ويراقب الناس حول المسجد هذه القناديل فإذا أطفئت امتنعوا عن الطعام، أمَّا ليلة عيد الفطر فيقضيها المؤذنون في منائرهم مهللين مسبحين مكبرين، ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٣، وابن بطوطة، الرحلة، ص ١٦٦، وتكاد تكون وظيفة الأذان وراثية في الأسرة الواحدة، فأغلب المؤذنين من أسرة الكازروني (نسبة إلى مدينة كازرون بفارس) وكانت لهم رئاسة المؤذنين بالمسجد الحرام، وكان كبيرهم يعرف (بالريس) كما عرفت وظيفة المؤذن نظام الجمع بينها وبين غيرها من الوظائف ونظام المناصفة في وظيفة الأذان.

(٣) المؤقت: أو الميقاتي، من يقوم بالإعلام بالوقت من خلال مزولة أو من خلال خزانة فيها مناكيب زجاج لمعرفة الوقت، ولابد أن يكون متوليها على علم بالمواقيت، السبكي، معيد النعم ، ص ١١٥، والجزيري، درر الفوائد، ص ١٥٦.

(٤) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ٩٨.

(٥) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ٧٤.

(٦) ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٥١ - ١٥٤ - ١٥٥.

والخطابة[١]، ولم تحدد المصادر التاريخية مقدار الرواتب المرسلة من مصر للمؤذنين في المدينة، علماً بأن وثيقة وقف الأشـــرف شعبان قد أشارت إلى ذلك ضمن أوجه الصرف بها فقد قررت الوثيقة صرف مبلغ أربعمائة درهم نقرة لكـــل مؤذن من المؤذنين بمآذن الحرم النبوي سنويّا، وهو مساوٍ لما يتقاضاه نظراؤهم في حرم مكة المكرمة، ولكن الوثيقة لم تذكر عدد هؤلاء المؤذنين ولا إجمالي المبلغ الذي كان يصرف لهم حتى يمكن تحديد عددهم آنذاك[٢].

٦ - النظارة على الحرمين الشريفين:

صاحب هذه الوظيفة هو ناظر الحرم أو شيخ الحرم ، وهي وظيفة إدارية بحتة، والقائم بها مهمته الرئيسية الإشـــراف التام على ما يحدث في داخل الحرم من بناء أو تعمير أو ترميم أو إصلاحات[٣]، وفي العصر المملوكي كـــان الخلـــيفة العباسي في مصر، هو الذي يصدر قرار تعيين ناظر الحرم[٤]، ثم أصبحت مراسيم تعيين ناظر الحرم تصـــدر مـــن قـــبل الســـلطان المملوكي، ففي عام ٧٦٠هـــ/١٣٥٨م، باشر الضياء الحموي وظيفة نظر الحرم ومشيخته[٥]، كما عرفت وظيفة نظر الحرم نظام التوارث[٦]، ونظام النيابة[٧].

---

(١) **أبوعبد الله جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف المطري** (نسبة للمطرية في مصر) توفي سنة ٧٤١هـــ/١٣٤٠م، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٥١، والفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٢٦٢، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٤٠٣، والسخـــــاوي، التحفـــــة اللطيفة، ج٣، ص ٤٦٦ - ٤٦٧. وكان للمسجد النبوي أربع منائر ، والمنارة الرابعة مطلة على دار مروان، فلما زار سليمان بن عبد الملك المدينة في حجته أطل عليه المؤذن حين الأذان فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت إلى ظهر المسجد، وظل المسجد النبوي بثلاث منائر حتى سنة ٧٠٦هـــ/١٣٠٦م، فأمر حينذاك السلطان محمد بن قلاوون ببناء المنارة الرابعة في مكانها عند باب السلام، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٥٢٦، وقد أشار ابن جبير وابن بطوطة والعبدري ضمن مشاهداتهم في المسجد النبوي في فترات رحلاتهم إلى أن للمسجد ثلاث منائر، ابن جبير، رحلته، ص ٢٠٥، وابن بطوطة، رحلته، ص ١١٥، والعبدري، رحلته، ص ٢٠٥.

(٢) راشد القحطاني أوقاف السلطان الأشرف شعبان ، ص١٢٠.

(٣) محمد الطاسان، الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك، العصور، المجلد الخامس، الجزء الثاني، لندن، دار المريخ، ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م، ج٢، ص ٣٠٢.

(٤) أورد ابن فهد نص قرار تعيين ناظر الحرم الصادر من الخليفة العباسي المستنصر بالله أبي القاسم عام ٦٥٩هـــ/١٢٦٠م للوجيه عبد الرحمن بن عبد المعطي وابن أخيه الشريف عبد المعطي، ومهمتهما: النظر في مصالح المسجد الحرام، والنظر في الأوقاف والربط في مكة، وإظهار شعار الخلافة في مكة وغيرها، والنظر في المدارس وإقامة الخطبة للخليفة وضرب السكة والإشراف على السبل، وقيادة المحمل والحجيج، وأن يكاتبا زعماء الحجاز واليمن، وسائر البلاد من أجل مبايعة الخليفة وطاعته وعونه، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٨٥ - ٨٦.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٨٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٧٩، ومن التنظيم المتبع في هذه الوظيفة أن يتولاها في بعض الحالات اثنان مشاركة كما حدث عام ٦٥٩هـــ/١٢٦٠م، وكذلك عام ٨٢٤هـــ/١٤٢١م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٨٢، ويقرأ مرسوم تعيين الناظر في المسجد الحرام، وبحضور جمع من أعيان أهالي مكة، ويصل مع المرسوم خلعة مهداة من السلطان لصاحب الوظيفة، وكما أن التعيين للناظر بمرسوم سلطاني، فكذلك العزل بمرسوم سلطاني ويكون فيه مرسوم لمن يتولى النظارة وقد يكلف ناظر الحرم بمجموعة من الوظائف بجانب مهام وظيفته مثل القضاء - الحسبة - الخطابة - سدانة الكعبة - مشد العمارة، ومن غرائب الأمور ما حـــدث عام ٨٣٩هـــ/١٤٣٥م حيث جمع ولي الدين محمد بن قاسم نظارة الحرم، ومشيخة خدام المسجد النبوي بالمدينة، المقريزي، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٩٦١، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص ٣٧٩، وابن تغـــري بردي، حوادث الدهـــــور، ج١، ص ٢٣٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٩٤، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣٣٥.

(٦) والاستشهادات على ذلك من خلال المصادر التاريخية كثيرة، انظر الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ١١٠، وابن فهد، إتحاف الـــورى، ج٣، ص ٥٤٠، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ١٠٤، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٣٧٧.

(٧) والأمثلة على ذلك كثيرة، انظر الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٢١١، ج١، ص ٣٧٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٤٥.

وكانـــت النظارة في المدينة النبوية من الوظائف المهمة، وكان من يشتغل بها يعرف بناظر الحرم النبوي، ففـــي عـــام ٨٩١هـــ/١٤٨٦م، أصدر السلطان الأشرف برسباي مرسوماً بتعيين شاهين الجمالي[١]، متولياً ناظر الحـــرم النبوي وعمارة المسجد النبوي[٢]، ومن النظار في الحرم النبوي: محمد بن أحمد الجبرتي[٣]، وأحمد الشهاب السندوي[٤].

٧ - ناظر العمارة في الحرمين الشريفين:

صاحب هذه الوظيفة، هو ناظر العمارة، ويتولاها أمراء مماليك، وهي وظيفة مؤقتة، حيث يرسل السلطان أحـــد أمرائه للقيام بعمارة معينة في أحد الحرمين الشريفين أو خارجهما، وتنتهي مهام هذه الوظيفة بانتهاء المكلف مـــن أداء العمـــل المطلوب منه[٥]، ففي عام ٧٢٧هـــ/١٣٢٦م أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون، علاء الـــدين علـــي بـــن هلال الدولة، لعمارة ما تهدم من الحرم، وجهز بما يحتاج إليه من مال وصناع وآلات، وكتب لشريف مكة بمساعدته[٦]، كما أنه في عام ٨٢٨هـــ/١٤٢٤م، عمر الشبابيك المحيطة بمقام إبراهيم[٧].

وقـــد تتسع صلاحيات ناظر العمارة، ففي عام ٨٤٣هـــ/١٤٣٩م، أرسل السلطان الظاهر جقمق الأمـــير سودون المحمدي إلى مكة، ليكون مشد العمارة بمكة، وأميراً على خمسين فارساً من الترك المقيمين بهـــا[٨]، وكـــان يحـــدث أن يجمع ناظر العمارة بين مهام وظيفته ومهام وظيفة أخرى، فمثلاً قد يجمع بين النظر في العمـــارة ونظـــارة الحـــرم كما حدث سنة ٧٣٧هـــ/١٤٣٣م، حينما أضيفت وظيفة نظر الحرم، لمتولي العمارة سودون المحمدي[٩].

---

(١) هو: الأمير شجاع الدين شاهين الجمالي الرومي ثم القاهري، الحنفي، أحد أمراء العشرات، ولد سنة ٨٣٨هـــ/١٤٣٤م، وعمل في وظائف متعددة بالمدينة المنورة منها ناظر الحرم النبوي ومتولي عمارة المسجد النبوي، بعد عزل السلطان الأشرف برسباي متولي عمارة المسجد النبوي لما لاحظ منه من استعمال مؤن غير صالحة، ثم أضاف إليه مشيخة الخدام وناظر السماط، كما أنيط به مهمة ترميم حصن المدينة، وبعض السور المحيط بها، كما فوض بعمارة القبة التي على الحجرة النبوية، وعين نائباً في جدة وناظراً على عمارة المسجد الحرام وعلى المقام الحنفي وسقيا العباس بمكة، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٨٢، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٩٣، والتحفة اللطيفة، ج٢، ص ٢١٠ - ٢١٣.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٦، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٢١٢.

(٣) محمد بن أحمد الجبرتي، توفي سنة ٧٦٥هـــ/١٣٩٤م، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٤١٦، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص ٤٧.

(٤) أحمد الشهاب السندوي، توفي سنة ٧٩٧هـــ/١٣٩٤م، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٢٧٧.

(٥) يقول القلقشندي عن مهام وظيفة نظار العمارة : هو الذي له الأمر على المهندسين والحجارين، وصُناع العمائر ونحوهم، وكان يتولاها في بادئ الأمر أمير عشرة، ثم صار يتولاها قوم بغير إمرة" القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٣.

(٦) المقريزي، ج٢ ق ٢ ص ٢٩٠، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣ ص ٢١١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٨٥.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢ ق ١، ص ٣٠٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٨٧.

(٨) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٨، والنهروالي، الإعلام، ص ١٤٥.

(٩) والأمثلة على ذلك كثيرة، انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٩٦١، وابن تغري بردي، حوادث الدهر، ج١، ص ٢٣٤، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص ٣٧٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص٧٤، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣٣٥، وعبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ١٨٨ - ١٨٩.

وتشير بعض ثائق الوقف ضمن مصروفاتها إلى مرتبات القائمين بمهام هذه الوظيفة، فقد نصت وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان ضمن أوجه الصرف بها على صرف مبلغ ألف درهم نقرة في كل سنة، للمباشرين على عمارة المسجد الحرام وترميمه وإصلاحه، ولم تحدد الوثيقة عددهم، لكنها نصت على أن ذلك المبلغ يقسم عليهم بالسوية على قدر عددهم[١].

وأول من تولى وظيفة ناظر العمارة بالمدينة المنورة الأمير جمال الدين محسن الصالحي، بتكليف من السلطان الظاهر بيبرس، وذلك لعمارة المسجد النبوي من الحريق الذي أصابه سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وباشر العمارة سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م[٢]، وعندما احترق المسجد النبوي في عام ٧٨٦هـ/١٤٨١م أرسل السلطان الأشرف قايتباي الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن، ناظراً على عمارة المسجد النبوي وانتهى العمل في أواخر سنة ٧٨٧هـ/١٤٨٢م[٣]، وضمن أوجه الصرف على القائمين بمهام هذه الوظيفة من خلال وثائق الوقف المملوكية على مصالح الحرمين الشريفين، قررت حجة وقف الأشرف شعبان صرف مبلغ ستمائة درهم نقرة سنويّا، لمباشري العمارة بالحرم النبوي الشريف، ولم تحدد عددهم أو تشترط عليهم أية شروط[٤].

٨ - السقاية في الحرمين الشريفين:

السقاية[٥] وظيفة قديمة، وهي من الوظائف التي وزعها قصي بين أولاده، فكانت من نصيب ابنه عبد مناف، ثم تولاها ابنه هاشم، ثم عبد المطلب بن هاشم، الذي أعاد حفر بئر زمزم، ثم تولى السقاية ابنه العباس، ولما فتح الرسول ﷺ مكة عام ٨هـ/٦٢٩م، أبقى العباس على وظيفته فبقيت في عقبه من الخلفاء العباسيين، ولكن بني العباس حالت أعمال الملك دون قيامهم بأمر السقاية فكانوا يعهدون بذلك إلى آل الزبير المتولين التوقيت بالحرم، للقيام بأعمال السقاية بالنيابة، ثم تركوها لهم وأشركوا معهم آخرين للعمل في هذه الوظيفة عرفوا باسم الزمازمة، لأن السقاية مرتبطة ببئر زمزم[٦]، وأول ما ذكر في المصادر عن هذه الوظيفة في العصر المملوكي، يعود إلى عام ٧٣٠هـ/١٢٣٢م، ففي العام المذكور قدم من العراق إلى مكة علي بن محمد البيضاوي[٧]، الذي عرف

---

(١) راشد القحطاني ، أوقاف الأشرف شعبان، ص١٠٠.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤١،وابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٩٤.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٣٤، والضوء اللامع، ج٦، ص ٢٠٦، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤١، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٥، وابن الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص ٢٩٩.

(٤) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٢١.

(٥) السقاية: يقصد بالسقاية حياض من أدم، كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة ويُسقى منها الماء العذب تحمله الإبل من الآبار ويُسقاه الحجاج، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١١٠، والفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص ١١ - ٧٠.

(٦) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ١٠٥، والفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٧٣، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٢١١ - ٢١٢، وابن الضياء المكي، تاريخ مكة، ص ٧٠ - ٧٣. ووظيفة السقاية من الوظائف المرتبطة بالمسجد الحرام، وخدمة زواره طوال العام، وللزمازمة رئيس يسمى شيخ الزمازمة، يشرف على أعمالهم ويوزع العمل بينهم، وتكاد تنحصر هذه الوظيفة في الأسرة التي عرفت باسم الزمزمي.

(٧) هو: **علي بن محمد بن داود البيضاوي** المعروف بالزمزمي، نزيل مكة، قدم إليها عام الفيل (٧٣٠هـ/١٢٣٢م) "نسبة إلى الفيل الذي خدم مع حجاج العراق وما صاحب ذلك من فتنة بمكة" توفي سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٢٣٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٩٢، وعبد الله غازي، إفادة الأنام، ج١، ص ٥٥٢. (والبيضاوي): نسبة إلى قرية في شيراز من بلاد فارس، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٥٢٩.

فيما بعد بالزمزمي وعمل عند الشيخ سالم بن ياقوت[١]، المؤذن في بئر زمزم، الذي أعجب بمهارته في العمل، فنزل له عن السقاية، وزوجه ابنته، فأنجبت له الأبناء الذكور، الذين صار لهم أمر بئر زمزم[٢]، وسقاية العباس[٣].

كما حددت وثائق الوقف على مصالح الحرمين الشريفين ضمن أوجه الصرف بها: الصرف على السقاية على الحرمين الشريفين بصفة عامة، لما في سقاية الماء من ضرورة لحياة الإنسان وأهميته للطائفين من الحجاج والمعتمرين ومرتادي المسجد الحرام، وللواقف الأجر والثواب عند الله تعالى. ومن أوائل تلك الوثائق حجة وقف الأشرف شعبان التي خصصت صرف ثلاثمائة وستين درهماً سنويّا لتعيين سقاء يسقي الماء من بئر زمزم لسائر الناس، كما حددت ما يصرف له على مصالح البئر كثمن دلاء وبكر وسلب مائتي درهم نقرة سنويّا، فيكون مجموع ما كان مخصصاً لبئر زمزم وسقائها خمسمائة وستين درهماً نقرة سنويّا، كما عينت الوثيقة نفسها اثنين من السقائين يسقيان الماء في الحرم المكي ووزعت العمل بينهما، فأحدهما يعمل بالنهار والآخر بالليل، كما حددت الوثيقة مكان عملهما فيما بين المقام الشريف والكعبة الشريفة، يسقيان الطائفين بالكعبة وغيرهم، وقررت لهما عن ثمن الماء وأجرة الماعون وأجرتهما ألفاً وخمسمائة درهم سنويّا، بواقع سبعمائة وخمسين درهماً لكل سقاء منهما، وهو أجر كبير إذا قيس بسقاء بئر زمزم، كما رتبت الوثيقة لمن يسقي الماء طول النهار بمكة، مبلغ ستمائة درهم مقابل ثمن الماء العذب والماعون وأجرة تسبيله على الناس أي بواقع خمسين درهماً شهريّا[٤].

و أشارت حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، ضمن أوجه الصرف بها في مصالح الحرمين الشريفين إلى الصرف على تسبيل الماء في الحرمين الشريفين على ما يراه الناظر "... بما يكون أعظم أجراً وأكثر ثواباً للواقف يفرق ذلك فضة أو فلوساً أو طعاماً أو ما يكون أكثر نفعاً للآخذ وأجرا للواقف خلد الله تعالى ملكه وسلطانه كما عم الوجود بفضله وإحسانه..."[٥].

وعلى نسق ما ذكر تجيء حجة وقف السلطان الغوري، والتي وجهت مصاريفها في شؤون الحرمين الشريفين، فنصّت على صرف عشرة دنانير أو ما يقوم مقامها من النقود، في ثمن تسبيل عشرة دوارق وما يقيها

---

(١) هو: سالم بن ياقوت المكي أبو أحمد المؤذن في الحرم الشريف، كان حياً في بداية سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٤٩١.

(٢) بئر زمزم: تقع داخل المسجد الحرام، وهي عبارة عن بناء كبير عليه قبة كبيرة، وداخلها سقاية سعتها شبر وعمقها شبران، وارتفاعها عن الأرض خمسة أشبار، تملأ ماء للوضوء، وهي مقابل الحجر الأسود بينهما أربع وعشرون خطوة، وحول البئر مسطبة يجلس عليها الناس للوضوء، الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٥٩، والفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص ٧٩، وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٧، ص ٢٥٠، وناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٥٢.

(٣) سقاية العباس، تلي بئر زمزم، وهي موضع مجلس العباس، وتقع في يسار الداخل إلى زمزم، وأول من عمل لها قبة سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، في زمن ولاية خالد القسري، عامل سليمان بن عبد الملك الأموي، وقد وصفها المؤرخون والرحالة، الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٦٠، والعبدري، الرحلة المغربية، ص ١٧٧، والتجيبي، مستفاد الرحلة، ج١، ص ٣٢٣، وابن بطوطة، الرحلة، ص ١٣٨، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٤١٦.

(٤) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠٤.

(٥) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١)، دار الوثائق، سطر رقم ٥١١.

مـــن حر الشمس ولمن يملؤها من ماء زمزم أو غيرها من الآبار المباركة والسيول والعيون ويسبل ذلك طول السنة بعد تبريده في باب السلام، على الخاص والعام في الحرم الشريف المكي[١].

أمَّـــا السقاية في المدينة المنورة فكان من مهامها تزويد المسجد النبوي بالماء اللازم للشرب من السقايات الموجودة داخل المسجد أو خارجه[٢]، وكان السقاؤون يملأون الدوارق بالماء، ويضعونها أمام المصلين[٣]، وحددت وثائـــق الوقـــف ضمن مصاريفها: الصرف على السقاية بالمسجد النبوي، ومن تلك الوثائق حجة وقف الأشرف شعبان، فقد قررت الوثيقة تعيين رجل يسقي الماء العذب في كل يوم بالحرم النبوي على عادة أمثاله، وجعلت راتبه ســـتمائة درهـــم سنويّا بما فيها ثمن الماء العذب وثمن الدوارق وأجرة تسبيل الماء بالحرم[٤]، كما أشارت كل من وثيقتي السلطان فرج، والسلطان الغوري، إلى أن يكون من ضمن أوجه صرف كل منهما: الصرف على السقاية بكل من حرم مكة والمدينة[٥].

وعلـــى نســـق ماذكر حجة وقف السيفي أيتمش بن عبد الله الظاهري الأتابكي، فقد حدد صرف مبلغ ثلاثـــين درهماً نقرة شهريّا، تصرف في ثمن ماء عذب وثمن دوارق وأجر تسبيله في الحرم الشريف المدني[٦]، وحدد الســـيفي تغري بردي بن عبد الله الأحمدي في حجة وقفه الصرف في تسبيل عشرة دوارق، توضع داخل المسجد النبوي طوال السنة حتى في أيام الموسم، وحدد مبلغ ثلاثة آلاف درهم، ما يعادل عشرة دنانير من الذهب النقي، أو ما يقوم مقام ذلك من النقود في ثمن الدوارق والمغارف والماء وأجرة التسبيل[٧].

---

(١) حجة وقف السلطان الغوري، المؤرخة في ٢٦ من محرم سنة ٩٠٩هـــ، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) أوقاف، وهناك العديد من الوثائق التي وجهت صرفها على السقاية بحرم مكة، انظر حجة وقف السيفي أيتمش الظاهري، رقم (١١٤٣ق) أوقاف، وحجة وقف السيفي تغري بردي الأحمدي، رقم (١٥٢)، دار الوثائق، وحجة وقف قاني باي الرماح، رقم (١٠١٩ق) أوقاف، وحجة وقف السيفي أسنبغا، رقم (٨٢)، دار الوثائق، وحجة وقف جمال الدين الإحميمي، رقم (٣٣)، دار الوثائق، وحجة وقف عبد اللطيف الصالحي، رقم (٧١)، دار الوثائق، وحجة وقف فاطمة زوجة الزيني شعبان، رقم (١٥٠)، دار الوثائق.

(٢) ابن النجار (محمد بن محمود) (ت٦٤٧هـــ/١٢٤٩م)، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، الملحق الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لتقي الدين الفاسي، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (د.ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، د.ت) ج٢، ص ٣٧٧، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٧٨.

(٣) ذكر ابن فرحون عن السقائين بالحرم المدني قوله (تصفّ الدوارق من باب الرحمة إلى باب النساء ويجعل في أعناق الدوارق مقطع يقيدها به حتى لا تسرق ولا تغير من مكانها...)، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٩٩.

(٤) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠٤.

(٥) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، رقم (٦٦)، دار الوثائق، حجة وقف السلطان الغوري، رقم (٨٨٢ق)، أوقاف.

(٦) حجة وقف السيفي تغري بردي بن عبد الله الظاهري، رقم الوثيقة (١١٤٣ق) أوقاف مكرر.

(٧) حجة وقف السيفي تغري برديين عبد الله الأحمدي، أمير آخور الملكي الظاهري، رقم الوثيقة (١٥٢) التي وجهت ريع صرفها على السقاية بحرم المدينة، انظر حجة وقف الطواشي جمال الدين محسن الإحميمي، رقم الوثيقة (٣٣)، دار الوثائق، وحجـــة وقف الصفوي جوهر، رقـــم الوثيقة (٣٤)، دار الوثائق، وحجة وقف عبد اللطيف بن عبد الله الصالحي، رقم الوثيقة (٢٧)، دار الوثائق، وحجة وقف جمال الدين أبي المحاسن يوسف، رقم الوثيقة (١٠٦)، دار الوثائق، وحجة وقف السيفي دولات باي، رقم الوثيقة (١٢٩)، دار الوثائق، وحجة وقف الزيني عبد الباسط، رقم الوثيقة (١٨٩ج)، وزارة الأوقاف، ولمزيد من المعلومات عن أوجه الصرف في هذه الوثائق، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة .

٩ - وظيفة الفراشة في الحرمين الشريفين:

صاحب هذه الوظيفة هو الفراش، أما ما تتطلبه هذه الوظيفة، فهو المحافظة على نظافة الحرمين الشريفين وكنس الأوساخ منهما، وكان فراشو الحرم المكي يشاركون في غسل الكعبة المشرفة بالإضافة إلى مهمتهم الأساسية، وكانت هناك بعض الوظائف التي تسند إلى الفراشين، فقد يجمع الفراش بين وظيفته والتكبير بأحد المقامات، وممن تولى ذلك عبد الله بن محمد بن علي المصري، المكي[١]، الذي كان فراشا بالمسجد الحرام ومكبرا بمقام الحنابلة[٢]، وجمع بين الفراشة والأذان: أحمد بن سالم بن ياقوت المكي[٣]، الذي كان مؤذنا بالحرم الشريف، وشيخ الفراشين وأمينا على شمع الحرم والزيت[٤] . ويرأس الفراشين بالمسجد الحرام رئيس يسمى شيخ الفراشين، وتسمى وظيفته مشيخة الفراشين[٥]، وبحكم وظيفته كان عليه مراقبة الفراشين، للتأكد من أداء عملهم على الوجه الأكمل، كذلك عرفت مهنة الفراشة نظام التوريث[٦]، أما عن رواتبهم فقد عينت وثيقة وقف الأشرف شعبان، ثمانية من الفراشين يتناوبون على خدمة الحرم المكي، وتنظيف أروقته، وأسطحه من الأوساخ وكنس أبواب الحرم، وأمام مدخل الأبواب، وقد حدد لهم مبلغ ألف وسبعمائة درهم نقرة، توزع بينهم بالسوية، أي أن راتب الفراش الواحد كان ثلاثمائة درهم سنويا، بواقع خمسة وعشرين درهما شهريا كذلك قررت الوثيقة مبلغ ثلاثمائة درهم، لثلاثة أنفار يتولون تنظيف الحرم المكي، من الهوام والحشرات حتى لا يتأذى الحجاج، وعينت الوثيقة شخصين يتوليان تنظيف مابين الصفا والمروة من العظام والأوساخ، بحيث يكون المسعى بين الصفا والمروة نظيفا باستمرار، وقد خصصت لهم الوثيقة ألف درهم سنويا، تقسم بينهما بالسوية، أي خمسمائة درهم لكل منهما[٧]، وكان الفراشون يتلقون أحيانا أموالا على شكل أعطيات أو إنعامات زيادة على رواتبهم[٨].

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل المصري المكي، توفي بمكة عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ١٦.

(٢) ابن فهد، الدر الكيمين، ص ٣٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ١٧٣.

(٣) أحمد بن سالم بن ياقوت المكي، توفي عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٢٥٥.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٤٣، وكان في الحرم المكي قبة تسمى قبة الفراشين تلي بئر زمزم معدة لمصالح الحرم من فوانيس وشمع ومسارج وزيت وشمعدانات، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ٢٥٨، والطبري، الأرج المسكي، ص ٧٧.

(٥) وممن شغل وظيفة مشيخة الفراشين في المسجد الحرام، أحمد بن سالم بن ياقوت المكي، المتوفى عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٤٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٢٨، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٢٥٥، وكذلك محمد بن علي بن عبد الكريم المصري، المتوفى عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٢٢٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٢٨.

(٦) ورث محمد بن محمد بن يوسف الذردي الشهير بالمصري ولده في وظيفة الفراشة في المسجد المكي، وفاته عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٣٢٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٣٩.

(٧) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠٦.

(٨) من الإنعامات والأعطيات على فراشي الحرم المكي ماحدث عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م، حين دعا الخطيب محب الدين النويري، للسيد جازان على مظلة زمزم، على عادة أمراء مكة، فأمر جازان بخمسة دنانير للفراشين وخدام الدرجة، وفي عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م، قدم ناظر الخواص إلى مكة، وفرق صدقته، فنال الفراشون أشرفيا لكل منهم ، عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ١٢٥ - ١٧٤.

أمَّـــا وظيفة الفراشة في المدينة النبوية فقد حددها السخاوي في عصره بأربعين شخصاً، كما حدد مهامهم الـــتي كان منها، فرش الروضة، وجهة باب السلام شتاءً وصيفاً، وتزاد الروضة أيام الجمع، ونصب الستائر على الأبـــواب الأربعة للحجرة، وحمل السناجق ونصبها، وإخراج الشمع في كل ليلة، ويزاد في شهر رمضان، وتعمير القـــناديل وإســـراجها مع المغرب، وإطفاؤها صباحاً، وإخراج الزيت من الحاصل[١]، وللفراشين أوقاف معلومة، يصرف ريعها عليهم، وكان وقفهم أواخر القرن التاسع الهجري، تحت نظر شخص من مصر شافعي المذهب[٢].

١٠ - وظيفة البوابين في الحرمين الشريفين:

صـــاحب هـــذه الوظيفة يسمى بواباً، وكان المسجد الحرام قد اتسع في العصر المملوكي، وكثرت أبوابه حيث أصبح عددها تسعة عشر باباً[٣]، ومعنى هذا أن هناك تسعة عشر بواباً، مهمتهم ملازمة الأبواب ليلاً ونهاراً وعـــدم التغيب عنها إلا للضرورة[٤]، وبالنسبة لما قد يناله صاحب هذه الوظيفة، فقد نصت وثيقة وقف الأشرف شعبان، على تخصيص مبلغ ألفي درهم للبوابين بالحرم المكي، تقسم بينهم بالسوية، ولم تحدد الوثيقة عددهم، أمَّا ما يخـــص كـــل واحـــد منهم[٥]، ففي عام ٨٣٠هـــ/١٤٢٦م أصدر الأشرف برسباي مرسوماً به تنظيم إداري بالنسبة للعاملين بهذه الوظيفة، كما تضمن مرسوم الأشرف برسباي أن يقرر لكل بواب عشرة أشرفية سنوية، تحمل من أوقاف الحـــرمين الشريفين[٦]، هذا عدا ما قد ينالهم من الصدقات الواصلة إلى مكة، ففي عام ٩٢٠هـــ/١٥١٤م، وصل إلى مكة محمد بن السلطان قانصوه الغوري وفرق صدقته بمكة، نال البوابون منها ثمانين ديناراً[٧].

أمَّـــا بوابو المسجد النبوي: فهم القائمون على خدمة أبواب المسجد النبوي، ومن الذين اشتغلوا في هذه الوظـــيفة في فترة هذه الدراسة عبد الله الزيلعي الذي كان بواباً على باب الرحمة (أحد أبواب المسجد النبوي)[٨]،

---

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦١، وذكر ابن فرحون أن الفراشين الذين أدركهم اثنا عشر فراشاً، كما أشار إلى أن الفراشين فئتان إحداهما مقابل أجر، والأخرى تمارس العمل تطوعاً، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٩٨.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦١.

(٣) وكان للمسجد الحرام أربعة أبواب في الجانب الشرقي (باب بني شيبة، وباب الجنائز، وباب العباس، وباب علي) ومن الجانب الغربي ثلاثة أبواب (باب العمرة، وباب إبراهيم، وباب الحزورة)، ومن الجهة الشمالية خمسة أبواب (باب الدريبة، وباب سويقة، وباب دار الندوة، وباب الزيارة، وباب العجلة)، وفي الجانب الجنوبي سبعة أبواب (باب بازان، وباب البغلة، وباب الصفا، وباب أجياد، وباب المجاهدية، وباب عجلان، وباب أم هانئ) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٩٢، وناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٤٧، وابن جبير، الرحلة، ص ٨٢، والطبري، القرى لقاصد أم القرى، ص ٦٤٧.

(٤) في عام ٨٣٠هـــ/١٤٢٦م، وصل إلى مكة مرسوم من السلطان الأشرف برسباي، صحبة ركب الحاج أمر فيه أن تسد أبواب المسجد بعد انقضاء الموسم إلا أربعة أبواب، وهي باب السلام، وباب العمرة، وباب إبراهيم، وباب الصفا، فروجع السلطان في ذلك فوصل مرسوم أن تفتح الأبواب كلها، ويعزل البوابون القدامى، وكانوا من القضاة والفقهاء، وألزم البواب المعين ملازمة باب الحرم، ويتعهد بكنسه ورشه وتنظيفه، المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٧٥٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٦٤٥، وعبد العزيز بن فهد، غايـــة المرام، ج٢، ص ٢٦٤، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١١٧.

(٥) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠٦.

(٦) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٦٤٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧١٦.

(٧) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ٢٢٣.

(٨) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٤٤١.

وسليمان بواب باب السلام[١]، وأحمد بن محمد اليماني ثم المدني البواب[٢]، وقد حددت وثيقة وقف الأشرف شعبان لأصحاب هذه الوظيفة مرتبات بلغت ألفاً ومائتي درهم نقرة سنويّا ولم تحدد الوثيقة عددهم، أو ما يخص كلاّ منهم، ومن الوظائف التي استحدثت في المسجد النبوي، ولم يكن لها نظير في الحرم المكي، وظيفة حراس نعال المصلين على كل باب من أبواب المسجد النبوي، وحددت الوثيقة أجرهم بثمانمائة درهم، وحدد أجر كل منهم بمئتي درهم سنويّا، وهذا يعني أن عدد أبواب المسجد النبوي في فترة الوثيقة كانت أربعة أبواب[٣].

١١ - الوقادة في الحرمين الشريفين:

متولي هذه الوظيفة هو الوقاد، ومهمته وضع الزيت في القناديل التي بحرمي مكة والمدينة وإشعالها لتضيء جوانبهما ليلاً، وممن شغل هذه الوظيفة في الحرم المكي، ياقوت بن عبد الله المكي[٤]، وكان للوقادين شيخ مسؤول عنهم، يعرف بشيخ الوقادين، ينظمهم[٥]، وكان في المسجد الحرام مكان لآلات الوقادة، يسمى بيت الوقادين[٦]، وقد نصت وثيقة الأشرف شعبان، على أن يصرف للوقاد مبلغ خمسمائة درهم سنويّا، ولم تشترط عليه شروطاً سوى إيقاد المسارج في الحرم والمشاعل في الطرق المؤدية إليه[٧].

أَمَّا الوقادة في المسجد النبوي، فقد كان يقوم بمهام هذه الوظيفة، خدام المسجد والحجرة النبوية، كما أشار إلى ذلك السخاوي، بقوله: "ومن وظائفهم.... تنزيل القناديل وتعليقها للتعمير والوقود وغسلها أو مسحها، وإسراج ما يوقد منها سحراً، والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل، لتفقد من يخشى من مبيته..."[٨]، ولم يهمل الواقفون ضمن أوجه الصرف في حجج وقفهم : الصرف على المصالح التي تصب على القائمين بمهام هذه الوظيفة، ففي حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، ناظر الخواص الشريفة، تحديد صرف: ستة دنانير من الذهب الظاهري، وذلك في كلفة تعمير سبعة قناديل بباب الحجرة الشريفة في كل ليلة من ليالي السنة، ولمن يتولى غسل القناديل المذكورة، وتنظيفها، وتعميرها بالماء والزيت، وإيقادها وإطفاءها على العادة في ذلك[٩].

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص ١٩١.

(٢) توفي سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٢٦٧.

(٣) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٢٤.

(٤) **ياقوت بن عبد الله المكي**، المعروف بالحزام، كان وقاداً بالمسجد الحرام، وقد باشر هذه الوظيفة خمساً وخمسين سنة، وعرف بمهارته فيها، فكان يضع في القناديل زيتاً، يقدر أنه يكفي إلى وقت طلوع القمر، في الليالي التي يتأخر فيها طلوعه من أول الليل، فلا يفرغ الزيت إلا في ذلك الوقت، توفي عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٤٢٥.

(٥) ممن شغل هذا المنصب، محمد الشهيب بن يوسف بن غليظة توفي عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م، عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ورقة ٢٧.

(٦) **بيت الوقادين بالمسجد المكي**، كان خلف سقاية العباس، توضع به الآلات الخاصة بالوقادة كالعيدان الخاصة بالقناديل، والقصب المجدف الذي يطفأ به المصباح، والزيت الذي يستخدم في الوقود والقناديل الزجاج والحرايق التي توقد على المقامات، وكان عدد القناديل في المسجد الحرام ثلاثة وتسعين قنديلاً، وفي رمضان يزاد ثلاثون قنديلاً حول المطاف، وفي موسم الحج يزاد في عدد القناديل ما يزاد في رمضان. الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٨٠، ٣٨١، والبلوي، تاج المفرق، ج١، ص ٣٠٦، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٢١٦.

(٧) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠٦.

(٨) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٣، وابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ٢٠٣.

(٩) حجة وقف الجمالي أبي المحاسن يوسف، ناصر الخواص الشريفة، رقم الوثيقة (١٠٥)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨، للمزيد من الاستفادة، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة .

جـ - النفقات الدينية (الإنفاق)

قال الله تعالى في كتابه العزيز: " يآيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفعة والكافرون هم الظالمون " [١]،

وقال تعالي: " الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [٢].

كانت قوة الشعور الديني لدى سلاطين المماليك، وأمرائهم، وأعيانهم، حافزا على إنفاقهم على مصالح الحرمين الشريفين وأهاليهما، وتمثل هذا الإنفاق في الهبات والأعطيات والصدقات، كما تمثل في الأوقاف التي وسعت ضمن أوجه صرفها كل وجوه البر والإحسان على من بالمدينتين المقدستين، وكانوا يفعلون ذلك كله رغبة في عمل الخير واكتساب مثوبة الله [٣]، وحرصا على محبة الناس ودعائهم لهم بالأجر والثواب، هذا بالإضافة إلى التخفيف عن الناس، وخاصة في سنوات الجفاف التي تعز فيها الأقوات ويعم الغلاء، فضلا عن ذلك تحصين أموالهم وممتلكاتهم من المصادرات والضرائب، والظهور بمظهر أهل الخير والإحسان، وكان هذا الإنفاق أيا كان قدره، أو وجهة صرفه، مرتبطا في أدائه أو منعه، بارتفاع وانخفاض منسوب مياه النيل ، الذي يترتب عليه انخفاض أو ارتفاع الأسعار في كل من مصر والمدينتين المقدستين.

بيد أن هذه الأوقاف قد أسهمت بريعها الوفير في مساعدة القاطنين والعاجزين والمنقطعين والمجاورين بالحرمين الشريفين، وفي عمل الخير الدائم باعتبار الوقف صدقة جارية[٤]، وخير دليل على هذا الإنفاق الوثائق الوقفية التي وجهت جل ريع صرفها في كل وجه من أوجه البر والقربات وكان لذلك أثره البالغ على أهالي الحرمين الشريفين ومن جاور بهما.

وواضح من التشريعات الإسلامية أنها تهدف إلى تحقيق التكافل في المجتمع الإسلامي، وإلى رفع مستوى المعيشة بين الأفراد، وإلى الحرص على أن تمتلئ قلوب المسلمين بالحب والصفاء، وتبتعد عن الكراهية والبغضاء، وقد أدت النفقات الدينية دورها لتحقيق هذه الغايات في المدينتين المقدستين وتمثلت هذه النفقات في الصدقات والأعطيات والمعونات، التي كانت ترسل إلى مكة والمدينة في أوقات الأزمات والمجاعات، [٥] بطريقة غير منتظمة، وفي ريع الأوقاف الذي كان وصوله للمدينتين بانتظام في معظم الأحوال ، نقدا أو عينا. [٦]

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥٤).

(٢) سورة البقرة، الآية رقم (٢٧٤).

(٣) حاول ابن خلدون أن يعطي تعليلا لهذه الظاهرة التي لفتت نظره في كثرة الأوقاف في هذا العصر واقترانها بعدة أسباب منها الإكثار من عمل المبرات طلبا للمثوبة، ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٠٠.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٣٤، وعبد اللطيف إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٥) وقد سجلت المصادر التاريخية التي عنيت بتاريخ المدينتين المقدستين في فترة هذه الدراسة: فترات الأزمات والمجاعات وما بصاحبها من ارتفاع الأسعار والغلاء، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٧١، والعقد الثمين، ج٦، ص ٩٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٢٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٢٨، ٢٢٧، والمقريزي، السلوك، ج٢ ق ٢، ص ٢٣٦.

(٦) نصت وثائق الوقف ضمن أوجه الصرف بها إن كان الصرف نقدا أو عينا حسب ما يشترطه الواقف "... يصرف الناظر الشرعي لمصالح الحرمين الشريفين والفقراء والمساكين والمجاورين بهما على ما يراه الناظر في ذلك..." حجة وقف شمس الدين أبي عبد الله، المؤرخة في ٢٥ من شعبان سنة ٨١٤هـ، رقم الوثيقة (٧٦١ق) أوقاف، كما تشير حجة وقف الزيني عبد الباسط بنصه "... يجهز كل سنة ثلاثين - مثقالا - من الذهب... ويصرف في مصالح السبيل المعروف بإنشاء الواقف بحدرة المعلا بمكة المشرفة... والسبيل المعروف بإنشاء الواقف بباب السلام بالمدينة المشرفة..." حجة وقف الزيني عبد الباسط، المؤرخة في ٢١ من محرم سنة ٨٢٩هـ، رقم الوثيقة (١٨٩ج)، أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة .

كمـــا ســـاعد على تحقيق تلك الأهداف الإسلامية بطريقة غير مباشرة ما خصّص من الأوقاف للصرف علـــى المنشـــآت العلمية والاجتماعية والصحية، وما جُعل للمحتاجين وطلبة العلم والمعلمين، وما كان يرسل من القمـــح ســـنويا إلى الحجاز لعمل الدشيشة لإطعام أهل العلم في الربط والزوايا والمدارس، والذي يشير إلى كميته السخاوي قائلا: بلغ مقدار الإنفاق على عمل الدشيشة في المدينة المنورة وحدها نحو سبعة آلاف إردب وخمسمائة تحمل كل سنة [١].

هـــذه المـــوارد وغيرها رفعت مستوى المعيشة في المدينتين المقدستين، وأوجدت وظائف كثيرة وأنعشت الأســـواق، وخفضـــت الأسعار، وعمّ الخير أهالي الحرمين ، والمجاورين، بهما والوافدين إليهما، وخاصة الفقراء والعاجزين والمنقطعين والأرامل واليتامى والمساكين . [٢]

ثانياً ـ أثر الأوقاف على الحياة الاجتماعية:

أدت الأوقـــاف رســـالتها، وحققت الهدف منها في كل نواحي الحياة، وفي هذا المبحث يظهر بجلاء مدى تأثير الأوقاف في الحياة الاجتماعية.

لقـــد وفرت الأوقاف حياة كريمة لجميع طبقات المجتمع المكي والمدني، وقدمت الرعاية الصحية للمرضى والعجزة والمحتاجين، وضمنت للفقراء والمساكين من أهل المدينتين المقدستين ولكل من يجاور فيهما، بل لمن يحج أو يعتمر، مستوى المعيشة اللائق بالإنسان الذي كرّمه الله، وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال.

١ ـ توفير الحياة الكريمة لجميع طبقات المجتمع المكي والمدني:

أ ـ أمراء الحرمين:

كان أمراء مكة من الحسنيين[٣]، وأمراء المدينة من الأشراف الحسينيين، وقد شكلت لهم الأوقاف مـــورداً مهمّـــا في الإنفاق عليهم، ولتصريف شؤون إمارتهم، يضاف إلى هذا ما نالوه من الهبات والعطايا والأمـــوال في صـــورة إعانـــات مالية، أو عينية، فالأموال التي كانت تصل إليهم من السلاطين والملوك، والأمراء، وكبار رجال الدولة من مصر ومن سائر البلاد الإسلامية كثيرة، ولم تكن لها قاعدة تنظمها أو تحكمها، لكـــنها غالباً ما تصل إليهم في أوقات الرخاء والشدة، ولا سيما إن كانت لأمن الحجاج وراحتهم وتسهيل أداء مناســـكهم[٤]، وإن كانـــت مـــرتبطة إعطاءً ومنعا برضا السلاطين وسخطهم عليهم، فكانت تصرف مع رضاهم وتحبس مع عدمه[٥]، ويظهر ذلك من خلال الوثائق الوقفية، فحجة وقف السلطان الأشرف شعبان قد خصت في

---

(١) السخاوي ، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٤١١.

(٢) عبداللطيف إبراهيم، وثائق الوقف ، ص٢٥٢.

(٣) **الأشراف الحسنيّون:** من أبناء محمد بن جعفر الحسني ، محمد بن سليمان، البرادي، الدرة السنية، ص ٢٢ ومساعد بن منصور، جداول أمراء مكة، ص١٨، ومالكي، بلاد الحجاز، ص ١٠٩، وقد يتساءل البعض عن سبب قبول الأشراف الحسنيين والحسينيين من الأوقاف وهي نوع من الصدقة لا تحل لأهل البيت ،والظاهر أن معظم ما كانوا يأخذونه كان فيه معنى الهدايا والأعطيات ، وإن ذكرت وثيقة واحدة أنهم أخذوا من ريع الوقف وأمواله.

(٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٣٨٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٩٧.

(٥) بعث أبو نمي أمير مكة وفداً إلى مصر مصحوباً بعدد من أشراف الحجاز برفقة ابنه وقابلوا السلطان منصور قلاوون، فأكرمهم وأغدق عليهم كثيراً من الهبات والعطايا، كما صرف لهم ما كان موقوفاً من أوقافهم، ابن الفرات، تاريخه، ج٧، ص ٢٥٢.

أوجه صرفها أميري الحرمين بكثرة نفقاتها عليهما، وتتضح هذه النفقات وكثرتها من خلال ما حددته هذه الوثيقة، فقد خصت أمير مكة[١] بمائة وستين ألف درهم نقرة سنويّا، لكن الواقف اشترط على أميرها ألا يحصّل شيئاً من المكوس على سائر الحجاج، أو المقيمين والزائرين، أو المجتازين برّا أو بحراً وألا يأخذ شيئاً من المكس على ما يباع بأسواق مكة، وألا يتناول شيئاً من المكوس على المزروعات من الفواكه والخضراوات، وألا يأخذ شيئاً من المكس على الأعسال والأدهان ، وألا يتناول شيئاً من المكس على الحيوانات كالإبل والبقر والغنم ، ولا مكس على ما يحضر إلى مكة من البر أو البحر، ولا على عشر النخل الذي في ولايته ، وألا يحصلها بواسطة أي شخص من معاونيه لا وكالة ولا بدالة ولا عرافة ولا رياسة، ولا أحد من ذريته، ولا من نوابه ومباشريه أو عبيده[٢].

كما خصصت الوثيقة لأمير المدينة[٣] النبوية مبلغ مائة ألف درهم سنويّا ، بشرط ألا يتناول شيئاً من المكوس التي حظرت على أمير مكة[٤].

وقد سار الأمراء على نهج سلاطينهم، فحجة وقف فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب بعد أن تناولت الصرف من ريع وقفها على مصالح الحرمين الشريفين وأهاليهما تناولت من جملة أوجه صرفها: الصرف على الأشراف الهاشميين والبكريين[٥] المقيمين بمدينة سيدنا رسول الله ﷺ[٦].

أمّا وثيقة بدر بن رزيك فقد وسعت بمنافع وقفها السادة الأشراف الحسينيين المقيمين بمكة شرفها الله تعالى، والحسينيين المقيمين بمدينة رسول الله ﷺ[٧].

وقد كان لأمراء الحرمين الشريفين موارد أخرى أفادتهم في تصريف شؤون إمارتهم، وهذه الموارد كان تدفقها مرهوناً بأوقات الشدة والرخاء من قبل السلاطين وأمرائهم، وكبار موظفي دولتهم، وظهر ذلك من خلال حوادث السنين، ففي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م عندما حج الظاهر بيبرس البندقداري رتب لأميري مكة إدريس بن قتادة وأبي نمي عشرين ألف درهم نقرة عوضاً عما يؤخذ بمكة من المكوس[٨] وقد سافر الشريفان عنان بن مغامس، وحسن بن ثقبة إلى مصر سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م ، شاكيين من الشريف

---

(١) أمير مكة في فترة الوثيقة هو أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، ولي إمرة مكة شريكاً لأبيه، ثم انفرد بالإمرة سنة ٧٧٤هـ، وأشرك ابنه محمد معه سنة ٧٨٠هـ، وتوفي ليلة السبت ٢٠ من شعبان سنة ٧٨٨هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٨٧.

(٢) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ٨٩، ٩٠

(٣) أمير المدينة فترة الوثيقة هو: هبة بن جماز بن منصور، ويعود نسبه إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الحسيني أمير المدينة في سنة ٧٧٣ هـ، ومات في سنة ٧٨٢هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٩٥.

(٤) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١١٧.

(٥) **البكريون:** نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ارتحل بعضهم إلى مصر فأقاموا بها وتناسلوا على أرضها، وكان بالمدينة المنورة شخص منهم يقال له جمال البكري، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٨٧، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٤٢٩، ولعل نسبتهم إلى الأشراف يعود إلى إدخال أبناء البطون في الأوقاف الحشرية، وهذا يتنافى مع أصول وقواعد النسب الشريف.

(٦) حجة وقف فخر الدين يعقوب بن السلطان أبي بكر بن أيوب، المؤرخة في ٥ من محرم سنة ٦٦٢هـ، رقم الوثيقة (٨) محفظة (٢)، دار الوثائق القومية.

(٧) حجة وقف بدر الدين بن رزيك، المؤرخة في ١٧ من محرم سنة ٦٦٥هـ، رقم الوثيقة (٩)، محفظة (٢)، دار الوثائق القومية.

(٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٣٨٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٩٧، حوادث سنة ٦٦٧هـ.

أحمـــد بن عجلان، وطلبا من السلطان الظاهر برقوق أن يتفضل عليهما سنويّا بصرف ما يتسع له خطام[١] الـــزاملة[٢]، وهو خمسة وسبعون درهماً، وقرية أبي عروة[٣]، وربع ما يتحصل عليه أمير مكة من التجار في ميناء جـــدة، وقد وافق السلطان المذكور على طلبهما[٤]، وقد أعطي السلطان برقوق للشريف علي بن عجلان أربعين فرساً، وثلاثة آلاف إردب من القمح، ومن الشعير ألف إردب إضافة إلى عشرة مماليك من الأتراك، وألف إردب مـــن الفول، وفرساً خاصّا له، وسرجا مغرقا بالذهب وكنبوش[٥] ذهب، وسلسلة من الذهب؛ وحصل على مائة غلام مـــن التـــرك، ومائة من الخيل، وقد حصل على جملة ذلك فضلاً عن تفويض لإمرة مكة حين وصل إلى مصر في شعبان سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م[٦].

وقـــد اعـــتاد سلاطين مصر إكرام أمراء الحرمين وخاصة إذا زاروا القاهرة، فحين زار حسن بن عجلان القاهـــرة في ١٤ من محرم سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م وجد حفاوة كبيرة من السلطان الأشرف برسباي الذي أغدق علـــيه الكثير من هباته وأعطياته، وقدم له الهدايا وكل مايليق بضيافته من كل أعيان الدولة، فضلاً عما أهدوه إليه مـــن الخيول، والسروج المحلاة بالفضة والذهب[٧]، وحين وصل الشريف بركات بن محمد بن بركات إلى مصر في المحـــرم مـــن عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م نيابة عن والده الذي طلبه السلطان قايتباي أنعم عليه بمائتي ألف إردب من الفـــول ومـــثلها مـــن الشعير ومن الأموال بألف دينار، ومائتي حمل من التبن، وفي رمضان من العام نفسه توالت إنعاماتـــه علـــيه، فأعطاه ألف دينار، ومن الإنعام الخاص والعام ما لم يحدث أو يشاهد قبل ذلك، ومن الصرر مالا حصر له[٨].

واســـتمرت إنعامـــات سلاطين مصر وكثرة أعطياتهم وتنوع هباتهم إلى أمراء الحرمين حتى نهاية فترة حكمهـــم ويـــبدو - حسب إشارات المؤرخين - أن حرص سلاطين مصر على ذلك كان نوعاً من اجتذاب الأمراء إلى جانبهم فضلاً عن فرض هيبتهم على الحرمين الشريفين، وحين توجه أبو نمي نيابة عن أبيه إلى مصر ســـنة ٩١٨هـ/١٥١٢م أغدق عليه السلطان الغوري الكثير حين عزم على الرحيل إلى الحجاز، فأعطاه من

---

(١) الخطام: ما يوضع في أنف البعير حتى يسهل قياده منه، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص ١٠٨.

(٢) الزاملة: البعير الذي يحمل الطعام والأمتعة، ويستعان به في الأسفار، الطبري، حسن القرى، ص ١٨٦.

(٣) أبو عروة: عين ماء تقع بمر الظهران، وهي من أكبر عيونها، وأعذبها ماء، وتنسب القرية إلى هذه العين لعظمها وغزارة مائها، البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٦، ص ٨٥.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٩٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٤٤، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ١٨٩.

(٥) الكنبوش: غطاء يحمل على ظهر الحصان تحت السرج، ويطلق على الستر، أو الطرحة المزركشة التي تستر الحصان، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٨٤ هامش (٢).

(٦) ابن الفرات، تاريخه، ج٩، ص ٣٠٨، والفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٣١٠، والمقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٧٧٠، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٢٦٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٨٤، والصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٣٤٧، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ٢٣٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٧٩.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٧٠٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٦٢٧، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ٣٤٧، وعبد العزيز غازي، إفادة الأنام، ج٦، ص ٢١٤.

(٨) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٦٥، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٣، ص ٤٩.

الذخائـــر السلطانية سنجقاً[١] ، وأربعين مملوكاً، ومبلغاً من المال، وكل احتياجاته من سائر الأطعمة كالدقيق والأرز والسمن والسكر والعسل[٢]، وعندما حجت زوجة السلطان الغوري عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م رافقها إلى مصـــر الشـــريف بـــركات، فأنعم عليه السلطان بإنعامات جزيلة، منها: عشرون مملوكاً وخيول وجمال أصيلة، وعشـــرة آلاف ديـــنار[٣]، ولما زار شريف مكة بركات بن محمد بن بركات مصر عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أغدق علـــيه الســـلطان قانصـــوه الغوري ألف دينار، وعند مغادرته مصر أهداه ثلاثة آلاف دينار، وخمسة مماليك على خـــيولهم بكامـــل لباسهم وسلاحهم، ومائة قطعة قماش، وصنجقا سلطانيا، وطبلا وسيفا من ذخائر الملوك، عدا الخيول والهجن والجمال البخاتي[٤].

وقـــد توالت الأعطيات والهبات على حكام مكة من قِبَلِ أمراء مصر، فحين حج الأمير أنس بن السلطان العادل كتبغا[٥] عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م بذل لصاحب مكة الشريف أبي نمي سبعين ألف درهم[٦].

وفي عـــام ٧٣١هـ/١٣٣٠م أعطى الأمير أيتمش مقدم العسكر للشريف رميثة بن عجلان أربعين ألف درهم[٧].

وفي عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م عندما حج السلطان الظاهر بيبرس تصدق على أمراء الحجاز ومن بـــهما ما عدا أمير المدينة[٨].

وأمـــراء المدينـــة أيضاً حصلوا على الكثير من الإمدادات والعطايا، ففي عام ٧٩٢هـ/١٣٨٩م أبطل الســـلطان بـــرقوق جميع المكوس وعوض أمير المدينة عنها بإقطاعات في مصر والشام، وخصص ريعها لأميرها[٩]، كمـــا لم يغفـــل السلطان قايتباي ضمن مبراته بالمدينة الإنفاق على أميرها، وأشار السمهودي إلى أن السلطـــان أمـــر"... بإرســـال ســـبعة آلاف إردب وخمسمائة إردب من الحب في كل سنة... وأن السلطان... رسم بإبطال المكوس بالمدينة وتعويض أميرها..."[١٠].

---

(١) السنجق:يطلق في أصله على الرمح، وهو لفظ مفرد يجمع على سناجق، وهذه يحملها السنجقدار الحامل للرمح، وقد يقصد بها رايات صفر توضع في أعلى الرمح، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٨، ج٥، ص ٤٥٨.

(٢) عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٣، ص ٢٥١، والعصامي، سمط النجوم، ج٤، ص ٣١١.

(٣) الجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ٧٩٦، والعصامي، سمط النجوم، ج٤، ص ٣١١.

(٤) عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٣، ص ٣١٦، وبلوغ القرى، ص ٢٢٦، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٥٦، والجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ٧٩٧.

(٥) كتبغا: هو السلطان العادل كتبغا المنصوري التركي، زين الدين أبوالفتح، تولى السلطنة عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، وخلع عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٣٩، وابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٣١٩، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٤٩،

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٤٧، وابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص ٥٧، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٣٨٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٢٧.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢ ق٢، ص ٣٢٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٩٦، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ١٩٦.

(٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٢٧١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٩٤ - ٩٧. وقد شملت عطايا الملك الظاهر أمراء الحجاز ماعدا أميري المدينة: جماز ومالك اللذين هربا من بين يديه. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٥٦.

(٩) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢١٤.

(١٠) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٤، وفيها: وكان ذلك في أثناء حجته سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، كما شرع في شراء عدة أماكن ورباع في المدينة المنورة، وقف متحصلها على منشآته بها.

ب - طبقة العلماء وأرباب الوظائف بالحرمين الشريفين:

أسهمت الأوقاف في ضمان حياة كريمة للعلماء، فأنفقت على رواد العلم الشيء الكثير، حيث خصصت لهم الجوامك الشهرية، والسنوية، حتى يتفرغوا لتحصيل معارفهم ونشرها من خلال حلقاتهم العلمية الرائدة بحرمي مكـــة والمديـــنة، وسائر الأمصار الإسلامية، و إلي هذا أشارت وثائق الوقف ، فقد حددت حجة وقف السلطان الأشـــرف شـــعبان، الصرف على قاضي مكة المكرمة بألف درهم نقرة سنويّا، وكذلك خصصت ألفين وخمسمائة درهـــم نقـــرة تصرف على مشايخ المذاهب الدينية شريطة أن يتصدروا للاشتغال بالعلم الشريف ونشره، وإحياء معـــالم الدين على عادة أمثالهم[١] وخصصت لقضاة المدينة النبوية وعلمائها المشتغلين بالعلم والمتصدرين لعلومه[٢] وجها من أوجه صرفها.

ومن طبقات العلماء من اشتغل بالإمامة والخطابة بالحرمين الشريفين، وقد كان للأوقاف دورها في الإنفاق علـــى هـــؤلاء بتأمين معايشهم وتوفير سبل أرزاقهم حتى يتفرغوا لأنشطتهم الجليلة الشأن ، فكانت تصل إليهم الكثير من الخلع التي تصاحب مراسيم تعيينهم في أعمالهم هذه تنويهاً بتقلدهم مهام هذه الوظائف[٣] إضافة إلى ما قررت لهم في هذا الصدد حجة وقف السلطان الأشرف شعبان، فقد جعلت من أوجه صرفها جامكية سنوية على الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة السنية المشهورة مقدارها أربعمائة درهم نقرة لكل واحد منهم[٤].

وقـــد اهتمت الأوقاف برعاية المؤذنين في الحرمين الشريفين فأغدقت عليهم الكثير من نفقاتها حتى يتفرغوا لأداء رســـالتهم المنشودة خمس مرات في اليوم والليلة، ومقابل ذلك كانت تصلهم رواتب شهرية من مصر وإن كانت المصادر لم تشر إلى تحديدها[٥]، لكن بعض الوثائق قد حددت رواتبهم ،كوثيقة السلطان الأشرف شعبان التي كان من أوجه صرفها: تخصـــيص ألفي درهم سنويّا لخمسة مؤذنين من جلبي الصوت، ولأربعة مؤذنين آخرين يعلنون الأذان على الجبال الأربعة المحيطة بمكة، وقد خصصت الوثيقة لكل واحد منهم مائة وواحداً وعشرين درهماً سنويّا[٦].

---

(١) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص١٠٠.

(٢) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شبعان، ص١٢١.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٣١٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٣٨، وابن طولون (شمس الدين محمد)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، حققه وكتب مقدمته وحواشيه وفهارسه، محمد مصطفى، القسم الثاني، من سنة ٩٢٢ - ٩٢٦هـــ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للكتاب والتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨٤هـــ/١٩٦٤م، ص ٢٣.

(٤) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شبعان، ص٩٩

(٥) ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ٢٠٦.

(٦) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شبعان، ص٩٨.

وحـــيث إن خدمـــة الحرمين الشريفين من الوظائف الرفيعة الشأن، فقد كان لأربابها بالحرم المكي مبلغ يتراوح بين مائة قرش وألف قرش شهريّا[١].

ويذكر العياشي أن أرزاق هؤلاء ومؤن كبارهم كانت تأتي من مختلف البلاد الإسلامية[٢]، كما أنه كانت تصرف رواتب شهرية لخدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة، وإن لم تذكر المصادر تحديدها، لكنها كانت كثيرة ومقررة قبل هذه الفترة واستمرت إلى ما بعدها[٣].

وهـــناك وثائـــق في هذه الفترة، خُصص ضمن أوجه الصرف فيها : الصرف على خدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة، ومنها حجة وقف الزيني عبد اللطيف منصور بدوي، وقد حدد الواقف فيها صرف مبلغ ثمانمائة وخمســـة وســـبعين درهمـــاً لتعيين خدم الحجرة النبوية، كما قررت صرف سبعين ديناراً من الذهب لخدام المدينة الشريفة[٤]، كما أكدت ذلك حجة وقف الزيني عبد اللطيف القجاجقي التي نصت على صرف ذلك "... لخدام الحجـــرة الشـــريفة بالحرم الشريف النبوي.."[٥]، ولم تغفل وثيقة السلطان الأشرف شعبان ذلك، وحددت تعيين عشـــرين خادمـــاً، واشترطت على كل منهم أن يقوم بخدمة المسجد والحجرة الشريفة، وحددت مجموع أجورهم بخمسة آلاف درهم نقرة سنويّا توزع فيما بينهم بالسوية بواقع مائتين وخمسين درهماً سنويّا لكل منهم[٦]. وتـــتوالى الإنعامات على هؤلاء من خلال وثائق الأوقاف من كبار الواقفين كالسلاطين، أو من الأمراء، كحجة وقف الأمير صـــواب من عبد الله التي كان من أوجه صرفها:صرف أربعة أسهم من ريع الوقف في مصالح الخدام بحرم المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[٧].

وكـــان لسدنة الكعبة القائمين على خدمتها رواتب مقررة، حددت في وثائق وقفياتهم وإن لم تشر الحجج إلى أعدادهم ومهام أعمالهم، وقد خصصت حجة وقف السلطان الأشرف شعبان من أوجه الصرف

---

(١) Burton: Personal narrative of a pilgrimage, V.L, p. 319.

(٢) العياشي، ماء الموائد، ج١، ص ٣٠٥.

(٣) وقف السلطان نور الدين الشهيد، والسلطان صلاح الدين الأيوبي قريتي نقادة، وسندبيس بمصر على خدام المسجد والحجرة النبوية الأربعين، وريع ما تدره هذه الأعيان سنويّا بلغ ثمانين ألف نصف فضة ديوانية، انظر وزارة الأوقاف بالقاهرة، حجة مؤرخة في ٢٦ من شوال سنة ١١٢٨هـــ/١٧١٥م، رقم الوثيقة (٦١٧/١١٤١/٢/٤١٨ - ج)، بتسليم أمير الحج الشريف الصرة من وقف صلاح الدين الأيوبي لخدام الحجرة الشريفة النبوية، وأورد برتون تفصيلاً لمرتبات الأغوات
Burton: Personal narratve of a pilgrimage, V.L p. 371

(٤) حجة وقف الزيني عبد اللطيف منصور بدوي، المؤرخة في ١١ من جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـــ، رقم الوثيقة (٢٢٢) محفظة (٣٥)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف الزيني عبد اللطيف القجاجقي، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨٤٦هـــ، رقم الوثيقة (١٠١)، محفظة (٦)، دار الوثائق القومية، انظر نص الوثيقة والأعيان الموقوفة بها في ملاحق هذه الدراسة.

(٦) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص١٢٠

(٧) حجة وقف الأمير صواب بن عبد الله، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـــ، رقم الوثيقة (٢٧٤) محفظة (٤٢)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٥٥ - ٥٦.

علـــى مصالح الحرم المكي مبلغ ألف وخمسمائة درهم نقرة سنويّا لسدنة الكعبة المشرفة[١]، هذا فضلاً عما كان يصل إلى السدنة من أموال الصدقات المرسلة إلى مكة[٢].

وهكـــذا وفـــرت الأوقـــاف الحياة الكريمة لجميع طبقات المجتمع المكي والمدني، من حيث ضمان وســـائل معيشتهم، واستطاع الأمراء الإنفاق على أنفسهم وعلى شؤون إمارتهم، وكانت الأوقاف عليهم وعلـــى غيرهـــم مـــن بقية الطبقات خيراً وبركة، أعانتهم على أداء ما أسند إليهم، وكما أفادت الأمراء والعلمـــاء والمؤذنين وغيرهم ، فإنها أفادت رواد الحركة العلمية وقدمت لهم ما يكفيهم من مؤن ووفرت كـــل احتياجاتهم الضرورية، وشيدت لهم أماكن تعليمهم، فزادوا من عطائهم لنمو الحياة العلمية بالحرمين الشـــريفين، ومـــن أمراء الحرمين من عكف على العلم وأحبه، وكان منهم العلماء والأدباء الذين عقدوا للعلـــم مجالسه، ودعوا إليها أفاضل العلماء، وأصغوا إليهم، وأولوهم عنايتهم وحسن تقديرهم، بل منهم من قرض الشعر وأنشده بنفسه[٣].

وأثـــرت هـــذه الأوقـــاف على العلماء، بتوفير حياة كريمة لهم فتفرغوا لمهام وظائفهم، ومارسوا الأنشـــطة العلمية سماعاً وإسماعاً، وقراءة وإقراء، ووعظا وتحديثاً وتدريساً، ومن خلال مناظراتهم العلمية أحقـــوا الحـــق وأبطلوا الباطل، واجتهد الطلاب في تحصيل العلوم فأمدتهم بفيض معارفها، وأصبحوا من العلمـــاء المشـــتغلين بخدمة العلم ونشـــــره في بلاد الحجاز وغيرها[٤]، وقـــــــد كان من المشاركين في الحـــركة العلمية أيضاً المؤذنون [٥] وحجاب أو سدنة الكعبة[٦]، وهؤلاء وغيرهم قد وفرت لهم الأوقاف حياة مريحة، وأبعدتهم عن العوز والحاجة، فتمكنوا من تحصيل معارفهم، وبعدها كانوا مشاعل نور وهداية.

---

(١) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شبعان، ص١٠٢.

(٢) هذه الصدقات كثر ذكرها في مصادر حوادث السنين، منها عام ٩٠١هـ/١٤٩٥م، فقد وصلت فيه الصدقة من البنغاليين، وكان نصيب شيخ الكعبة أربعين ديناراً، وبوصول الصدقات اليمانية سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م أخذ السادن الشيبي خمسة دنانير، عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ص ٨٨، ٢٠٥.

(٣) كالأمير حسن بن علي بن قتادة الذي كان له شعر وافر، جمع بين الشجاعة والكرم، والعلم والعمل، وكان ينظم الشعر، وينثر، وفاته سنة ٦٥١هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ١٦٠ - ١٦٣ برقم ١٠٠٠، وعبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج١، ص ٦٣٢ - ٦٣٨ برقم ١٧٠.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٢٥٨ - ٢٦٠.

(٥) رئيس المؤذنين بالحرم النبوي المحدث الفاضل جمال الدين المطري من المطرية بمصر، واسمه محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عساس بن يوسف، الحافظ الجمال أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي.. المدني الشافعي، المؤذن بالحرم النبوي، ولادته سنة ٦٧٣هـ، وفضلاً عن شغله رئاسة المؤذنين، فقد كان إماماً وخطيباً، ومن مصنفاته "التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة" ابن بطوطة، رحلته، ص ١١٦، والذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ١١٠.

(٦) من هؤلاء الشيخ مجد الدين الشيبي، وهو أحمد بن ديلم بن محمد شيخ الحجبة وفاتح الكعبة، المتوفى بمكة سنة ٧١٢هـ، وبالرغم من عمله في الحجابة فإنه كان مكبا على العلم وتحصيل معارفه سماعاً، فسمع من أبي الفضل المرسي الأربعين للفرادى، وعلى ابن مسرى السيرة لابن إسحاق وغيرهما، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، والمتوفى بعد الوافي، ج١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ برقم ١٥٤.

ج - طبقة الأهالي والمجاورين:

بلغت عناية الواقفين بأهالي الحرمين ومجاوريهما مبلغاً عظيماً، فكثرت أوقافهم الواسعة عليهم، إضافة إلى العديد من الصدقات التي كانت تفد إليهم أوقات الشدة والرخاء، وقد أدى ذلك إلى اطمئنان الناس على أرزاقهم وسائر أمور معايشهم، فتفرغوا لعبادتهم، وتجارتهم، وانصرف بعضهم إلى مدارسة العلم وقراءة القرآن وإقرائه لغيرهم، وكانت أوقاف الدشيشة الكبرى من قبل أهل الخير كالسلطان جقمق[١]، والسلطان قايتباي، والسلطان الغوري لها أثر في ذلك، ذكر السخاوي أن السلطان جقمق:"قرر لأهل الحرمين دشيشة للفقراء في كل يوم، ولكثير منهم رواتب الذخيرة في كل سنة، تحمل إليهم من مائة دينار إلى عشرة أو أكثر من ذلك، وقراءة البخاري بمكة، وما يفوق الوصف مما كثر الدعاء له بسببه..."[٢].

وقد أشارت حجة وقف السلطان قايتباي بالصرف على تجهيز سماط لعمل الدشيشة والبر بالمدينة الشريفة[٣]، وكما أشار السمهودي إلى ذلك بقوله "... وقد شرعوا في عمارة سبيل وفرن وطاحون، ومطبخ للدشيشة، ووكالة ذات حواصل في الدور التي اشتراها قبل ذلك السلطان من دور العباسة... ثم كتب إلى بعض الثقات بتحصيل ريع الأماكن التي اشتراها بالقاهرة، وأن متحصلها سبعة آلاف إردب وخمسمائة إردب من الحب كل سنة ... فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه بحسب عدة عياله لكل فرد سبع إردب مصري... وسوى في ذلك بين الصغير والكبير، والحر والعبد..."[٤].

وكان لكميات القمح التي ترسل إلى الحرمين لعمل الدشيشة أثرها على أهالي الحرمين والمجاورين، والفقراء والمساكين، وطلبة العلم والعاجزين، والأرامل واليتامى والمنقطعين، فقد سعدوا بها وزادتهم محبة في واقفيها فضلاً عن الدعاء لهم بالمثوبة والمغفرة والرضوان، لأنها خففت عليهم أعباء الحياة، بالإضافة إلى خفض الأسعار على المأكولات كالقمح والشعير والزيت.

ومن الحجج الوقفية التي عنيت بهؤلاء: حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، وقد جعل من أوجه صرفها: الإنفاق على الفقراء والمساكين والأرامل، والأيتام والمحتاجين والمجاورين، والمقيمين، وفي تسبيل الماء، وإطعام الجائعين، وكسوة العرايا والمقلين، وستر عورات الضعفاء والعاجزين، ويفرق ذلك على الجميع نقداً، أو عيناً على مايراه الناظر في ذلك ويؤدي إليه اجتهاده[٥].

---

(١) حجة وقف السلطان أبي سعيد محمد جقمق، المؤرخة سنة ٨٥٣هـ، رقم الوثيقة (١٠٨) محفظة (١٧)، دار الوثائق القومية، والتي قام بنشرها جرجس ميخائيل في ملاحق رسالته للماجستير ،كلية الآداب ،القاهرة .

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٧٣ ترجمة رقم ٢٨٧، والجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ٦٩٦.

(٣) حجة وقف السلطان قايتباي، المؤرخة في ١٥ من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ، رقم الوثيقة (٨٩٠ق) أوقاف.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٤ - ٦٤٥.

(٥) حجة وقف الناصر فرج بن برقوق، المؤرخة في ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١)، دار الوثائق القومية، سطر ٥١٠ - ٥١١.

وعيـــنت حجـــة وقف السلطان برسباي من أوجه الصرف فيها: شراء ثمانمائة قميص، تحمل في كل سنة صحبة الركب الشريف، وتوزع على فقراء الحرمين والمجاورين بهما[١].

كما سار الأمراء على نهج سلاطينهم في هذا الصدد فحرصوا على وقف ما يحقق السعادة لأهالي الحرمين، فوقفـــوا عليهم أوقافاً كافية لمتطلبات حياتهم ، ومن ذلك حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار، وقد خصص الواقـــف مـــن خلالها صرف ريع الربع لأهالي الحرمين والمجاورين والمنقطعين، وعلى أصحاب الحاجة من الفقراء والمعـــوزين، وطلبة العلم، وكل أوجه من وجوه الخير لهؤلاء، ويتولى صرف ذلك الناظر على ما يراه ويؤدي إليه اجتهاده[٢].

ولم يـــنس الأمير أحمد، الشهير بابن الخطابي أن يخصص من أوجه صرفه في حجة وقفه: أن يكون لأهالي الحرمين الشريفين ومن بهما من الفقراء والمساكين وغيرهم مبالغ نقدية كبيرة، توزع بالسوية بين أهالي الحرمين[٣].

وقـــررت حجة وقف الأمير يشبك من مهدي الدويدار، أن يكون من أوجه صرفها: ما ينفق علـــى الفقراء والمساكين بالمدينة النبوية فضلاً عن تحديد مبلغ نقدي على تحصيل بُر طيب يعمل به قمحـــية تطبخ بلحم ولبن وقمح وتوزع يوميّا على سائر الفقراء والمساكين والمحتاجين وطلبة العلم وذوي الحاجات[٤].

واشـــترطت حجـــة وقـــف أسنبغا بن عبد الله الطياري تعيين مبلغ ألف درهم شهريّا تصرف على أهالي الحـــرمين في إطعام طعام، أوتسبيل ماء، أو كساء عار ، على ما يراه الناظر أيها أنفع لذوي الحاجات، وما يؤدي إليه اجتهاده[٥].

وكـــان للأربطة دورها المهم في خدمة أهالي الحرمين الشريفين والمجاورين وغيرهم وقد عضد من دور هذه الأربطة، وزاد من فعاليتها الأوقاف التي أثرت تأثيراً إيجابيّا ومباشراً على سكان هذه الأربطة والمتعبدين فيها، والدارسين في حلقاتها العلمية المقامة في أروقتها، وتختلف شروط الواقفين من رباط لآخر، فبعضها كان الانـــتفاع بـــه عامّـــا لسائر المسلمين من كافة الأجناس والمذاهب، وبعضها الآخر يحدد عدد الساكنين، أو مدة إقامـــتهم، وكانـــت هناك أربطة للرجال وأخرى للنساء[٦]، ومنها ما كان للأرامل المنقطعات الفقيرات بالمدينتين

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـــ، رقم الوثيقة (٣٨٠ ق) أوقاف، سطر رقم ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير خاندار، المؤرخة في ١٤ من محرم سنة ٧٠٧هـــ، رقم الوثيقة (٢٠) محفظة (٤)، دار الوثائق القومية، سطر ١٢٧ ، ١٢٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٥٧.

(٣) حجة وقف الأمير أحمد، الشهير بابن الخطابي، المؤرخة في ٢٠ من رجب سنة ٨٦٩هـــ، رقم الوثيقة (١٤٥)، محفظة (٢٢)، دار الوثائق القومية.

(٤) حجة وقف الأمير يشبك من مهدي الدويدار، المؤرخة في ٩ من ربيع الآخر سنة ٨٨٥هـــ، رقم الوثيقة (٦٦ ج)، أوقاف.

(٥) حجة وقف أسنبغا بن عبد الله الطياري، المؤرخة في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٣٣هـــ، رقم الوثيقة (٨٢) محفظة (١٣)، دار الوثائق القومية.

(٦) انظر رباط النساء، أو الظاهرية نسبة إلى عائشة بنت علي بن عبد الله بن عطية، الشهيرة بالظاهرية، وفاتها ليلة الخميس ١٦ من جمادى الأولى سنة ٨٣٧هـــ، ورباطها أسفل مكة، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٧٤، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٧٧.

المقدستين[١]، أو الشافعيات، أو غير المتزوجات أو المطلقات، وقد سكن الحجاج بعض الأربطة في مكة والمدينة، وسكنها في باقي أيام السنة الفقراء من بلد صاحب الوقفية، ويعتبر الاهتمام بالأرامل[٢] في المدينتين المقدستين، من أهم عوامل الرعاية الاجتماعية وتوفير الحياة الكريمة التي لم تغفلها الأربطة، فضلاً عن رعايتها العلمية حيث وفرت هذه الأربطة حياة كريمة للطلاب .

وقد خصصت حجة وقف خوندبركة أم السلطان شعبان (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)[٣]، من أوجه صرفها النصف الثاني من جملة وقفها على الفقراء والمساكين والأرامل بالمدينتين المقدستين، واشترطت في الوثيقة [٤] أن يقسم نصفين بالسوية: "... فالنصف من ذلك يصرف إلى الفقراء والمساكين والأرامل من النسوة المقيمات، خاصة بحرم مكة شرفها الله تعالى وعظمها، والنصف الثاني يصرف إلى الفقراء والمساكين من النسوة المقيمات بحرم المدينة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والرحمة، يفرق الناظر ذلك في كل من الحرمين[٥] على المذكورين على مايراه ويؤدي إليه اجتهاده، فإن تعذر الصرف إلى الفقراء والمساكين المقيمين بأحد الحرمين من النسوة صرف إلى النسوة المقيمات بالحرم الآخر، فإن تعذر الصرف إليهما جميعاً صرف إلى الفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيث ما وجدوا فإن عاد إمكان الصرف إلى ما تعذر عاد الصرف إليه وقدم على غيره، يجري الحال في ذلك كذلك وجوداً وعدماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين[٦]".

وللأوقاف أثرها الطيب على مجاوري الحرمين الشريفين. وقد شجع ذلك بعضهم على المجاورة أكثر من مرة مثل محمد بن أحمد بن علي المصري، (ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م) الذي تعدد قدومه إلى الحجاز قاصداً الحج والمجاورة، لذلك لقب بحمامة الحرم[٧] وجاراه في ذلك علي بن محمد المصري (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) وهو المجاور الزاهد

---

(١) انظر حجة وقف خوند بركة، المؤرخة في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٧٧١هـ، رقم الوثيقة (٤٧) محفظة (٧)، دار الوثائق القومية، وفيها ما خصص على النساء الأرامل المنقطعات بالمدينتين المقدستين، ومثل رباط فاطمة، وتدعى ستيتة بنت ناصر الدين محمد ابن شهاب الدين أحمد المعروفة بالمسكينة، وهذا الرباط بأجياد، وقفته على النسوة الفقيرات الغريبات سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م، ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٦.

(٢) انظر رباط أم الكامل ابنة الشريف عجل بن رميح، أنشأته بأجياد سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، وأوقفته على النساء والأرامل والمنقطعات، عبد العزيز بن فهد، غاية المرام ج٣، ص ٢٩٢، وبالنسبة لأربطة النساء بالمدينة، فقد كان منها الرباط الذي أنشأته زوجة السلطان أشرف إينال حين حجها في عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م وأنشأت ميضأة في الرباط نفسه وخصصته للنساء المنقطعات والأرامل، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٠، والجزيري، درر الفوائد، ص ٧٠٣، ومن أربطة المدينة رباط قايتباي وهو ضمن منشآته الخيرية بالمدينة التي ضمت مدرسة وسكنها طلبة العلم، ورباط ابن الزمن المنسوب إلى صاحبه محمد بن عمر بن محمد الخواجا الشمس بن السراج المعروف بابن الزمن (ت٨٩٧هـ) وترددت المصادر في تاريخ إنشائه، ويبدو أنه أنشئ مابين سنتي ٨٨٢- ٨٨٨هـ، وهي الفترة التي قضاها بالحرمين الشريفين، وقام فيها بعمائر قايتباي، وتولى مشيخته الكثير من العلماء منهم كما يقول السخاوي ابن عُطيف وغيره، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٧٣،والتحفة اللطيفة، ج١، ص ٢٦٩ - ٢٧٠، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٢ - ٦٤٣.

(٣) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ١٩٠ برقم ٦٦١، وفيها ترجمتها.

(٤) حجة وقف خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان، المؤرخة في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، رقم الوثيقة (٤٧)، محفظة (٧) دار الوثائق القومية، ، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٥) حجة وقف خوند بركة، رقم الوثيقة (٤٧) دار الوثائق القومية، سطر رقم ٨٦، ٨٥، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧.

(٦) حجة وقف خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان، رقم الوثيقة (٤٧) محفظة (٧)، دار الوثائق سطر رقم ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢.

(٧) هو: شمس الدين محمد بن أحمد بن علي المصري، كان معنياً بالعلم، وسمع الحديث، ومسموعاته كثيرة عن العلماء ومشاهيرهم، وجاور كثيراً بالحرمين الشريفين، وكان يسكن الناصرية بين القصرين، وصحبه المؤرخ ابن العماد الحنبلي، وتوفي في جمادى الأولى سنة ٧٩٢هـ، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٢٤.

بحرم رسول الله ﷺ[١] ، ومن المجاورين من كان صاحب مركز مرموق في بلده قبل المجاورة، ومن هؤلاء أحمد ابن آل ملك الجوكندار (ت٧٩٣هـ/١٣٨٩م) وهو الذي أحسن إلى الفقراء ولبس زيهم[٢].

ولم تقتصر المجاورة على القادمين من خارج مكة والمدينة بل إن المكي كان يجاور بالمدينة، والمدني كان يجاور بمكة، ومنهم العلماء الذين اشتهروا بحلقاتهم العلمية الزاخرة بكل من حرم مكة أو المدينة، فمن أسرة الطبريين المشهورين بعلمهم كان أحمد بن محمد الطبري المكي (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) الذي كان مجاوراً بالمدينة لسنين طويلة[٣].

وكثرة المجاورين بالحرمين في هذه الفترة ذكرها المقريزي في أحداث سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م قائلا: "...قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحاج وأن كراء الحمال بلغ الغاية، لكثرة من بمكة من المجاورين... بلغ كراء الجمل أربعين ديناراً"[٤].

وقد شجعت على الإقبال على المجاورة تلك الأربطة المتزايدة بالحرمين بما تتيحه من حياة كريمة للمجاورين شملت كل أوضاع حياتهم، ووفرت لهم وقتهم الذي استثمروه في تحصيل معارفهم، فكثرت أعدادهم، وكانوا يصطحبون معهم أحياناً أسرهم متحملين مشاق السفر، ليفوزوا بشرف المجاورة، وكان الوضع السياسي بالحرمين عاملاً مساعداً على كثرة المجاورين، إذ حرص السلاطين على راحتهم بكثرة أعطياتهم ، ليكسبوا ودهم ودعاءهم، فضلاً عن اعتمادهم على الإمكانات الهائلة العائدة على الحرمين الشريفين من الأراضي والعقارات الموقوفة على مصالح الحرمين وأهاليهما والمجاورين بهما وهذا أمر كان يدفع الكثيرين إلى المجاورة، وخاصة الطبقات الفقيرة، أو متوسطة الحال حيث تتوافر لهم كل حاجاتهم بالأربطة، أو المبرات الخيرية[٥] التي تيسر لهم مطالب الحياة من خلال الأموال الموقوفة عليهم والصدقات التي كانت ترسل من السلاطين وأمرائهم وأعيانهم وكبار رجال دولتهم[٦].

---

(١) هو: علي بن محمد بن سند المصري، كان بمكة ثم سافر إلى مصر في موسم حج سنة ٨١٨هـ، ثم توجه إلى مكة مع الحجاج المصريين في سنة ٨٢٠هـ، حضر دروساً كثيرة بمصر، وكان ملماً بمسائل الفقه، وتاجر بمكة، ووقف كتبا اقتناها، وجعل مقرها برباط ربيع بمكة، وتوفي بها في ربيع الأول سنة ٨٢٧هـ، العقد الثمين، ج٦، ص ٢٣١ - ٢٣٢ برقم ٣٠٠٤، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٣٠٧، برقم ١٠١٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٦١٢.

(٢) هو : أحمد بن آل ملك بن عبدالله الجوكندار، تأمر في أيام الناصر الكبير، ثم تقدم في سلطنة حسن، ثم تنقل في الولايات بغزة، ثم رمى الإمرة، ولبس زي الفقراء. وحج كثيرا، وجاور إلى وفاته في جمادى الأولى سنة ٧٩٣هـ، ابن حجر. إنباء الغمر، ج١، ص٤٢٢، والدرر الكامنة، ج١، ص٢٩٨.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر، القاضي زين الدين، أبوالطاهر ابن قاضي مكة جمال الدين، بن الشيخ محب الدين الطبري المكي، ولادته سنة ٦٩٣هـ، مسموعاته كثيرة ، وأجاز له جماعة من مشاهير علماء مصر ومكة، سمع منه أبو اليمن الطبري، وقطب الدين الحلبي وغيرهما، وله محاضرة حسنة واشتغال بالعلم، وأحسن الله إليه كثيراً بمصر، وجاور بالمدينة، وفاته بمكة سنة ٧٤٢هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ١١٩ - ١٢٦ برقم ٦١٦، والدرر الكامنة، ج١، ص ٢٥٩ برقم ٦٢٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٢٣، حوادث سنة ٧٤٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ١١٩٣.

(٥) سكن المجاورون بالأربطة، وعملوا على مصلحتها وممن كان على ذلك إضافة إلى مشيختها حضر إلى مكة محمد الإربلي، (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م) وكان مجاوراً بمكة وشيخ رباط السدرة، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٣١٩، وشفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٠، ومحمد بن موسى الغماري، (ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م) الذي سكن وولى مشيخة رباط الموفق الذي يقع بأسفل مكة، ووقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الإسكندري، على فقراء العرب الغرباء ذوي الحاجات سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٥، وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص ٧٠٨.
وقد سكن رباط الخوزى بمكة وولى مشيخته مهنا بن أبي بكر البغدادي (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م) وكان موصوفاً بالخير والإحسان لجماعة من الفقراء، وخدم الفقراء برباط الخوزى سنين، ورباط الخوزي كان موقوفا على الغرباء والمتجردين حوالي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٢، والعقد الثمين، ج٧، ص ٢٩٦، أمَّا المجاورون الذي اتخذوا المدارس سكنا لهم فكانوا كثرة على جميع مستوياتهم منهم إبراهيم الرومي (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) سكن بالمدرسة الشيرازية بالمدينة أكثر من خمسين سنة، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ١٣٨، ولم يقتصر السكن بالمدارس على المحتاجين وطلبة العلم من المجاورين إنما سكنها شخصيات مهمة كوالدة السلطان شاهي خوبان في حجها سنة ٩٦٤/١٥٥٦م وجاورت بمكة وسكنت بمدرسة قايتباي، الجزيري، درر الفوائد، ج٢، ص ١٩١٢.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٥٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ١، ص ٤٥٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٦٢٤، الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ١٦٩٨.

ولأن الحـــرمين الشريفين كانا المحطتين العلميتين لرواد العلم والمعرفة، فقد التقى فيهما مشاهير العلمـــاء أيـــام الموســـم، وكثير من هؤلاء كانوا يحرصون على المجاورة بعد أداء مناسك حجهم، وفي الحرمين كانت تتجلى معارفهم بمدارسة العلم مستفيدين من الجو الروحي بالحرمين، ومن كثرة الأربطة والمدارس المطلة عليهما.

٢ - توفير الرعاية الصحية لأفراد المجتمع المكي والمدني:

أ - الرعاية الصحية:

اهـــتم الواقفون بالرعاية الصحية، باعتبارها وجهاً من وجوه الارتقاء بالحياة الاجتماعية، وأثر الأوقـــاف كان واضحاً على " بيمارستان " كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقامت أوقاف مصر بالـــدور الأكبر في علاج المرضى بالمدينتين المقدستين وارتقت بذلك مهنة الطب، وارتفع مستوى الأطباء والممرضين، وجميع من عملوا في الوظائف الطبية التي سيأتي ذكرها.

وأدت عـــناية الـــواقفين بالـــرعاية الصحية إلى ازدهار العلوم الطبية والصيدلة وما يتعلق بهما، وحـــددت حجـــج الوقف ما يصرف على مصالح "البيمارستان "بما في ذلك إعادة ترميمه، أو عمارته، وكان بالبيمارستان تخصصات مختلفة، منها ماهو للرمد أو الأمراض العقلية، أو لمعالجة الجذام، أو العناية بالعجزة[١].

وقد عضدت الأوقاف المدارسة بالبيمارستان الإسلامي، فضلاً عن تأليف الكتب الطبية والصيدلية[٢].

وكـــان العـــلاج بالبيمارســـتان، سواء في مكة، أو المدينة، عامّا يدخلُه الفقير والغني ، ويقيم به المرضى الفقـــراء، وذوو الحاجـــة والعاجـــزون، والمنقطعون من الرجال والنساء لمداواتهم وتستمر إقامتهم حتى برئهم أو شفائهم، ويصرف لهم مايلزمهم من الدواء ، ولم يفرق الواقفون بين مرضى البيمارستان، فقد كان العلاج مكفولا لجميع من يدخله، أو يأتي إليه من سائر الناس، من أهالي الحرمين، أو غيرهم[٣]،وكانت الخدمة الطبية تقدم من غير اشـــتراط لعـــوض من الأعواض، ولا تعريض بإنكار على ذلك ولا اعتراض، بل لمحض فضل الله وطَوْله الجسيم، وأجره الكريم.

---

(١) يقال إن أول من سن هذه الطريقة الخليفة المأمون إذ شيد في المدن الكبيرة منشآت علاجية متخصصة، ووقف عليها الحوانيت والمسقفات للصرف عليها وعلى كل احتياجاتها من ريع وقفها، القديس مظهر بن طاهر: كتاب البدء والتأريخ، نشر بعناية: كليمان هوارد، طبع باريس، ص ٣٧، وقد ذكر ناجي معروف أن أول من أنشأ مستشفى متكاملاً وثابتاً في الإسلام هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، وعين له الأطباء، وأنفق عليه، ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٥م، ص ٣٤.

(٢) وقد وجد ذلك قبل هذه الفترة في القرن الخامس الهجري من أمثلة:"كتاب البيمارستانات" لزاهد العلماء الفارقي عميد أحد المستشفيات في القرن الخامس الهجري وكتاب "مقالة أمينية في الأدوية البيمارستانية" لابن التلميذ، والدستور البيمارستاني، تأليف ابن أبي عبيان،و"صفات البيمارستان" للرازي في العلوم الطبية، ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، ص ١٦١، ٢٥٩، وكان في بيمارستان المنصور قلاوون وغيره كالبيمارستان النوري في دمشق مراكز تعليمية حوت مشاهير الأطباء الذين ألفوا وترجموا العديد من الكتب المهمة وعلى رأسهم: أبوبكر الرازي الذي ألف ٢٣٧ كتاباً ورسالة في الطب والفلسفة من أهمها (الحاوي في الطب)، والرئيس ابن سينا صاحب (كتاب القانون)، وعلي بن عيسى طبيب العيون الذي ألف (تذكرة الكحالين) الذي وصف فيه ١٣٠ مرضاً من أمراض العيون، وابن جزلة صاحب كتاب (تقويم الأبدان)، والرازي الذي وصف أمراض الحصبة والجديري، وكيفية علاجهما، وابن زهر، الذي وصف الحوادث السريرية والأمراض الباطنية، وكل هؤلاء وغيرهم من المسلمين قد وضعوا بصماتهم على الطب الحديث ونقلت كتبهم إلى اللغات الأوربية، ودرست في معاهد الغرب، ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء ص ٢٥٩، وناجي معروف، أصالة الحضارة، ص ٤٥٦.

(٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ١٧٤، والسيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٦٠، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٢٣، وشـــفاء الغرام، ج١، ص ٥٣٨، والزهور المقتطفة، ص ٧٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٩.

وأمّنت الأوقاف النفقات لكل من يقوم بمصالح مرضى " البيمارستانين" في مكة[١] والمدينة[٢] كالأطباء والكحالين، والجراحين، أو الجرائحيين، وطباخي الشراب والطعوم، وصانعي المعاجين، والأدوية والأكحال، والمسهلات المفردة والمركبة، وحددت وثائق الوقف ما يصرف على كل العاملين بالبيمارستانين من الفراشين والأمناء والمباشرين وغيرهم ممن جرت عادة أمثالهم بذلك، كما التزمت الحجج الوقفية بتوفيركل ما تدعو إليه حاجة المرضى كالأقداح والأواني والكيزان الخاصة بشربهم، وزيت الإضاءة، ومن قبل ذلك أغذية المرضى وكل ما يلزمهم، بحسب ما تدعو إليه الحاجة، لزيادة الأجر والثواب. ومن أهم حجج الوقف في هذا الصدد في تلك الفترة: حجة وقف السلطان الأشرف شعبان[٣]، فقد حدّد صاحبها أن يكون من أوجه صرف ريعها: توفير الرعاية الصحية الكاملة لمجتمعي مكة والمدينة وما يلزمهما جميعاً دون تفرقة بين المرضى، سواء كانوا من السكان المقيمين، أو من المجاورين، أو الوافدين من الحجاج والزائرين وغيرهم من سائر المسلمين، كل هؤلاء يوفر لهم الواقف الأطباء وسائر الموظفين بالبيمارستان، القائمين على خدمتهم وعلاجهم، إضافة إلى النفقات الجارية، وحتى يظهر أثر ذلك ويعم نفعه على أكمل وجه من وجوه الرعاية الصحية للمرضى، خصص الواقف مبلغ خمسة عشر ألفا ومائتي درهم تكون ثمناً لشراء ستة وسبعين إردبّا من القمح وطحنه، وإذا انخفض السعر وبقي شيء من هذا المبلغ صرف في شراء دقيق أو قمح، وقد احتاط الواقف في توزيع هذه الكمية سواء كانت قمحاً، أو دقيقاً، فحدد في وثيقة وقفه : أن يوزع نصف إردب يوميّا من يوم ١٣ من ذي الحجة حتى آخر المحرم من السنة التي بعدها، وفي حالة زيادة الدقيق المترتب على انخفاض سعره تضاف هذه الزيادة إلى المدة المذكورة ليستفيد منها أكبر عدد من الفقراء عموماً وخاصة فقراء الحج في تلك الفترة وهي نهاية موسم الحج، وعن بقية أيام العام فيصرف ناظر وقفه يوميّا سدس أردب إلى طباخ يتولى طبخه ويقوم بتوزيعه على ضعفاء الرجال والنساء، والأرامل والأيتام، وذوي الحالات المزمنة المقيمين بالبيمارستان[٤]، ولم ينس متطلبات هذا الطبخ، فخصص للسمن سبعمائة وعشرين درهماً شهرياً.

ويتضح الاهتمام بالرعاية الصحية من نص وقفية السلطان برسباي، فقد قرر من أوجه الصرف في وثيقته قائلاً: "... فيصرف لثمن ثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهماً على مصالح البيمارستان الكائن بمكة المشرفة زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً، المعروف لواقفه تغمده الله تعالى برحمته، ومصالح الضعفاء الذين يترلون به من الفقراء والمحتاجين على مايراه الناظر في الوقف المذكور"[٥].

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٩، وقد ذكر أيضاً عمارة الشريف حسن بن عجلان لبيمارستان مكة بالجانب الشامي من المسجد الحرام وبالغ في وصفه وبما أحدثه فيه حتى يتم النفع به، بل وقف ما عمره، وما يستحقه من منافعه مدة تسع وتسعين سنة وأياماً متوالية "... على الفقراء والمساكين والمنقطعين، المرضى والمجاورين يأوون فيه، ويؤوون إليه علوا وسفلاً، وينتفعون بالإقامة فيه والارتفاق به انتفاع مثلهم بمثله، لا يُزعج أحد منهم ولا يخرج منه بغير اختياره إلا بعد حصول العافية والشفاء... إلخ" وانظر بقية شروطه التي بينت آثار وقفه على جميع من ارتاده، أيضاً إدارته وحسن تنظيمه التي دلت على أنه كان يدار بطريقة حضارية، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٧ - ٥٠٨، ٤٩٦، والفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧، والعقد الثمين، ج٤، ص ١١٥.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٦٥، وأحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ج٤، ص ١١.

(٣) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ص ١١٥.

(٤) راشد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١١٢.

(٥) حجة وقف السلطان برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٣٧هـ، رقم الوثيقة (٨٨٠ق) أوقاف، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

وكـــان للأوقـــاف آثـــرها علـــى حسن الرعاية الصحية بالمدينة المنورة، فقامت بدور مهمّ في تعضيد رسالة البيمارســـتان بهـــا حتى يعظم نفعه، ويستمر في أداء رسالته لمرضاه، وكان الإنفاق من ريع هذه الأوقاف كبيراً على مـــرتبات العـــاملين به، واحتياجاته السنوية من حطب وزيت زيتون لإضاءته، وثمن لحوم لمرضاه، إضافة إلى الأشربة والأدوية والمعاجين، والأكحال، وغيرها من أدوات الطبخ، أو النظافة مثل المكانس وأسطال النحاس وغيرها[١].

ولم يقتصر الإنفاق الطبي على الإنسان ، بل شمل الحيوانات والرفق بها، والعناية بصحتها، ووجدت الحيوانات اهـــتماما ورعايـــة من الواقفين، لأن المسلمين يستخدمونها في حلهم وترحالهم، وفي أيام حروبهم أو سلمهم، وكانت الوســـيلة البرية الوحيدة لنقل الحجاج من عواصمهم الإسلامية، وقد كان من الوظائف الملحقة بأمير الحاج: البيطري الـــذي يهـــتم بأمـــر الدواب وعلاجها، ويحمل معه أدويتها وآلاتها، إضافة إلى النعالات الخاصة بها، وتتبعه الجرايات والأعمال التي تخصه بصددها[٢].

ب - الوظائف الطبية:

حرص الواقفون على التنظيم الداخلي "للبيمارستان" حتى يؤدي رسالته ويحقق الرعاية الصحية لمرضاه، ومن خلال ما ورد في وثائق الأوقاف فإن العاملين في البيمارستان هم:

– حكيم "البيمارستان"، ويطلق على كل طبيب من الأطباء الجرائحيين والكحالين، ومهمتهم مباشرة المرضى مجـــتمعين ومتناوبين، والسؤال عن أحوالهم، وما يجدّ على كل واحد منهم مما يتعلق بالمرض، ويقررون ما يصلح لكل مـــريض من أدوية وشراب أو غذاء، وقد أوضحت حجة وقف الأشرف شعبان أن حكيم البيمارستان كان يتقاضى أكـــبر راتب عن بقية الموظفين به، ولا يزيد عليه إلا أمير مكة فقط، إذ حددت هذه الوثيقة راتبه بمبلغ ألفين وأربعمائة درهـــم ســـنويّا، وذلك مقابل إشرافه على مرضاه وعلاجهم ومداواتهم من سائر الأمراض كالرمد والجراحة على العادة في مثل ذلك، ولم يكن له عمل إداري آخر، حتى يتفرغ لمهمته الأصلية وهي علاج المرضى.

– الشـــاهدان: مهمـــتهما الحضـــور يوميّا إلى البيمارستان، لصرف ما يحتاج إليه المرضى، وضبط ما به من حواصل، وحددت الوثيقة راتبهما معاً بألف درهم سنويّا [٣].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٩٤، والكتبي، وفيات الوفيات، ج١، ص ١٦٨، وابن بهادر، فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، ج٧، ص ١٣٦، وابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص ٣٥٤. ولقد أشار ابن فهد إلى ازدهار دراسة الطب، وأن بيمارستان المدينة قد وجد كل عناية وتقدير، وقدم خدماته الطبية ورعايته لسكان المدينة والمجاورين بها وغيرهم من زوارها = =والوافدين عليها حتى أواخر عصر المماليك، ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ١١٦، وقد ذكرت بعض المصادر أن بيمارستان المدينة لم يكن لعلاج المرضى فحسب بل كان مدرسة للطب، فكان رئيس الأطباء يجمع الطلبة حوله بعد مرورهم على مرضاهم، ويستعرض معهم الحالات المختلفة، وأعراضها، وغالباً ما ينصحهم بالرفق بالمرضى، كذلك كان يلفت أنظارهم إلى معرفة فائدة كل دواء من الأدوية، وكيفية الاستعاضة بدواء آخر في حالة عدم وجود الدواء المطلوب، وينصحهم بأنه إذا دخل واحد على المريض أن يسأله عن سبب مرضه وعما يجد من الألم، ثم يرتب له نظاماً غذائيّا يتفق مع حالته المرضية، ونظاماً علاجيّا كذلك، السبكي، معيد النعم، ص ١٣٣، والعصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٢٥١، وابن الإخوة، معالم القربة، ص ١٦٦ – ١٦٨.

(٢) الجزيري، درر الفوائد، ص ١٦٩.

(٣) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص١١٣، ١١٤.

– أمـــين الحواصل: مهمته توزيع الطعام والشراب على مرضى البيمارستان يوميّا على عادة أمثاله، وأقرت الوثيقة أجره السنوي بثلاثمائة وستين درهماً.

– بـــواب البيمارستان: مهمته تنظيم الدخول إليه، ومنع الخارجين على الأنظمة من الاختفاء فيه، وحددت الوثـــيقة سنويّا له ثلاثمائة وستين درهماً، كما حددت مهامه قائلة: "... على أن يتولى ما جرت به عادة أمثاله من غلق باب البيمارستان وفتحه وصونه عن أرباب التهم والفساد...".

– ســـقاء البيمارستان: نصت الوثيقة على أن مهمته سقي الماء العذب لمرضى البيمارستان مقابل مبلغ قدره ســـبعمائة وستون درهماً، وهذا المبلغ على قسمين، الأول عن المدة الأولى، "المعينة أعلاه"، ولم يوضح الواقف قصده بـــأعلاه، وربما يشير إلى أنها مدة نهاية الحج وازدحام البيمارستان بالمرضى فيها أمر وارد، لذا حدد لها ثلاثمائة درهم، والثاني عن بقية السنة وراتب السقاء فيها أربعمائة وستون درهما.

– الفراشـــون والفراشات: حددت الوثيقة تعيين ثمانية من الفراشين والفراشات على أن تكون أعمالهم على أكمل وجه من أوجه الرعاية بمرضى البيمارستان، وأوجبت "... على كل واحد من الفراشين من الرجال والنسوة أن يـــتعاهد مـــن بإزائه من المرضى ويقوم بمصالحهم في شربهم وأكلهم، وغسل ما يحصل منهم من الأوساخ، وتنظيفهم وملازمتهم على العادة".

ولم تكتف الوثيقة بإلزامهم بماسبق من واجبات، بل طلبت من كلّ منهم أن يتقـــي الله تعالى "ويعلم أنه رقيب علـــيه فـــيما هو لازم له من الخدمة"، وقد سوى الواقف بين الرجال والنساء في الراتب، فذكرت وثيقته أن للجميع ألفين وثمانمائة درهم توزع فيما بينهما مناصفة[١].

– ناظـــر البيمارســـتان: وهـــي أهم وظيفة إدارية وتموينية ويتضح عظم مهمته من خلال ما أسند إليه من واجبات في الوثائق الوقفية، ويطلق عليه ناظر البيمارستان [٢] وشيخه، وقد حددت وثيقة الأشرف شعبان أن يصرف للناظر على البيمارستان مبلغ خمسمائة درهم سنويّا للإنفاق عليه، وعلى ما تقتضيه مصلحة المرضى، وما يحتاجون إليه من سكّر، وأدوية وأشربة وغيرها، وما يحتاج إليه البيمارستان من مكانس وأسطال وقدور وغيرها بحيث يستمر نفعه على الدوام. وفي الختام طلبت هذه الوثيقة من كل من له وظيفة بالبيمارستان أن يلازمها ويراقب الله تعالى ويخشاه.

وكانـــت نفقـــات البيمارســـتان كبيرة، انعكست على مرضاه بالخير، وكانت سبباً في تعجيل شفائهم، وقد ضـــمنت الوثـــيقة احتـــياجاته السنوية من الحطب وزيت الزيتون للإضاءة، وثمن اللحم للضعفاء والسكّر والأشربة والأدويـــة ونحوها، فحددت ثلاثمائة درهم ثمن حطب يطبخ به الدقيق والسمن وغير ذلك مما يحتاج إليه المريض يوميّا، وأربعمائة وخمسين درهماً في ثمن زيت الزيتون، وما يقوم مقامه ليضاء به لمرضى البيمارستان سنويّا[٣] .

---

(١) المصدر السابق، ص١١٢، ١١٣.

(٢) ذكر ابن فهد أن الشريف حسن بن عجلان جعل النظارة على البيمارستان لولديه وقال: "وجعل النظر فيه – أي في البيمارستان – لولديه بركات وأحمد، ينفردان بذلك مدة حياتهما لا يشركهما فيه شريك، لا يتأول عليهما فيه متأول، ويتصرفان في ذلك مجتمعين ومفترقين، ومن بعدهما للأرشد فالأرشد من ذريته الذكور منهم دون الإناث من ولد الظهر دون البطن..."، ابن فهد، إتـــحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٨.

(٣) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص١١٤-١١٥

وهـــناك وظائـــف ملحقـــة ومصـــاحبة لأمير ركب الحاج مثل الكحال[١] والجرائحي، وهو طبيب عارف، وجرائحـــي حـــاذق يصرف لكل مريض من حجاج الركب ما يحتاج إليه من أدوية كالأشربة والعقاقير، والبذورات والعطـــريات، والأكحال والمراهم والأدهان، وحين وصولهم إلى مكة ينضمون إلى البيمارستان ليقدموا خدماتهم التي تخـــص الرعاية الصحية لكل من يفد إليهم من حجاج وغيرهم، والجرائحي المذكور كان له ركاب خاص به، ويتبعه القـــبابي الـــذي كـــان يزن الأعشاب والأدوية التي تخص المرضى، وأيضاً البيطاري وهو طبيب الدواب والقائم على علاجها، ويحمل معه آلاتها ونعالاتها على التكفية.

ومـــع اهـــتمام الواقفين بالمرضى وعلاجهم ورعايتهم، فقد أولوا عناية بغسل وتكفين من مات منهم أو من غيرهم من المسلمين، وأنشئت لذلك وظيفة تكفين الموتى، وشرط القائم بها أن يكون ديناً، أميناً، موثوقاً به. ويصرف لـــه الناظر ما تدعو الحاجة إليه في تكفين من يموت بالبيمارستان من مرضى الرجال والنساء، ويصرف كل متطلبات الميت من غسله وثمن كفنه وحنوطه، وأجرة غاسله وحافر قبره، ومواراته في قبره على السنة النبوية، والحالة المرضية، ومـــن الوثائـــق التي جاء من أوجه صرفها: أكفان الموتى، وثيقة الأشرف شعبان التي قررت مبلغ ألفي درهم سنويّا، يشـــتري الناظر بألف درهم منها أكفاناً، ويحملها صحبة الركب السلطاني إلى المدينة، ويسلمها إلى الناظر على الحرم النبوي، ومعها الألف درهم الأخرى لتكفين من يحتاج من موتى المسلمين، ودفع كلفة غسلهم ودفنهم، ومواراتهم في لحـــدهم أســـوة بأمثالهم على الوجه الشرعي، وثلاثة آلاف درهم سنويّا أخرى خصصت للغرض نفسه بمكة المكرمة، نصفها لشراء الأكفان، والآخر لنفقات غسل الميت ولحده[٢].

وقرّر أسنبغا الطياري لموتى المسلمين ما يكفي لتكفينهم حتى مواراتهم في قبورهم، وجاء في حجة وقفه صرف ألفـــي درهم سنويّا في مصالح أهالي الحرمين الشريفين والفاضل منها يصرفها الناظر في أوجه البر ومنها تكفين أموات المسلمين الذين لا مال لهم وتجهيزهم حتى لحدهم[٣].

٣ ـ توفير المياه في المدينتين المقدستين:

لعـــبت الأوقاف دوراً رئيسيّا في توفير الماء النقي لأهالي المدينتين والقادمين إليهما للمجاورة والحج والعمرة، ويشكل نقص الماء مشكلة كبيرة في مكة على الخصوص وعلى المدينة أيضاً لكن بدرجة أقل، فالأمطار نادرة، والآبار قليلة، والطلب على الماء يكثر وخاصة في المواسم مع كثرة الوافدين.

ويـــتم الـــتغلب على هذه المشكلة من خلال حفر الآبار، وعمارة العيون، وإنشاء البرك والخزانات، وزيادة الأسبلة ، وفيما يلي أمثلة من الأوقاف التي أثرت في توفير المياه داخل المدينتين المقدستين وخارجهما.

أ ـ توفير المياه داخل المدينتين المقدستين:

١ ـ مكة المكرمة:

تـــناولت يـــد الإصلاح في مكة توفير المياه من بعض البرك التي بها، فهناك بركتان بسوق الليل تم اصلاحهما وتعميرهما في عهد السلطان الملك الناصر حسن سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٨م، وبركة ماجن عند باب مكة، فجرى ماؤها وعم النفع بها [١].

---

(١) الجزيري، درر الفوائد، ص ١٥٧.

(٢) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١٠٩

(٣) حجة وقف السيفي أسنبغا بن عبد الله الطياري، رقم الوثيقة (٨٢)، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٨٤ – ٨٥.

وأنشأ السلطان برقوق حوضاً لسبيله عند باب المعلاة[٢]، وأقام الخواجا أحمد بن علي المصري[٣] سبيلاً بالبستان الذي اشتراه من ورثة سعيد جبروه بالأبطح سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م[٤]، وبنى بيرم خجا[٥] سبيلاً بالمعلاة عند وصوله إلى مكة لولاية نظر المسجد الحرام سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م وقد انتفع من أثره الناس جميعاً[٦]، وقام جانبك الظاهري في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م ببناء بستان بمكة، وحفر فيه عدة آبار وجعل له أوقافاً كبيرة بمكة[٧]، وعُمِّرت فسقية[٨] الحاج الصغرى بباب المعلاة[٩].

وعندما وصل سنقر[١٠] الجمالي في ١٠ من رمضان سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م كان معه مرسوم لجانبك الظاهري بعمارة سبيل وميضأة[١١] وبعد هذا التاريخ بعامين بنى السلطان قايتباي بالمسعى سبيلاً كان من جملة منشآته الخيرية بمكة[١٢].

ومن الذين اهتموا بتوفير الماء في مكة السلطان الأشرف شعبان الذي عين مجموعة من السقائين لسقى الطائفين وغيرهم بالمسجد الحرام وخارجه، وزاد في مخصصاتهم مقابل ثمن الأدوات التي كانوا يستخدمونها في استخراج الماء أو حمله ونقله، وهؤلاء كان منهم سقاء بئر زمزم، وكان من مهامه سقيا الناس أجمعين من بئر زمزم، وقد عينتهم الوثيقة لهذا الغرض، وحددت راتبا لكل منهم ثلاثمائة وستين درهماً سنويّا، كما حددت ما يصرف على مصالح البئر وأدواتها كثمن دلاء، وسلب وبكر وغيرها، بمائتي درهم سنويّا، فيكون مجموع ما كان مخصصاً لبئر زمزم والسقاية منها خمسمائة وستين درهماً سنويّا.

---

(١) الفاسي ، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٩-٣٤٠، ٣٤٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٥١٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٤١، وابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ٨٨، وقد عمرو أبو راشد سبيل الزنجيلي، ويقال له سبيل أبي راشد لتجديده له، وقد كان ينسب إلى من قام بتجديده، فحينما جدده المكيون نسب إليهم، فكان يقال له سبيل المكيين، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٨، وفي سنة ٧٦٥هـ أنشأت زينب بنت شهاب الدين الطبري سبيلاً بالمسعى من المسجد الحرام، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٨، كما عمر الشريف عجلان بن رميثة سبيلاً للماء بالمروة عند العلقمية، الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٧٢، والعلقمية هي: دار ابن علقمة قريبة من المسعى، الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) هو: **أحمد بن علي بن محمد الشهاب المصري**، ويعرف بالكواز، مآثره كثيرة كإصلاح الحرم الشريف، وعين حنين، وسبيل الأبطح، وكان جواداً كريماً يكرم من قدم إليه، أو قصده، وكان شاد بندر جدة، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٤٣.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٩٢.

(٥) **بيرم خجا بن قشتدى**، ولي نظر المسجد الحرام في أواخر سنة ٨٥٠هـ عوضاً عن الخواجا الظاهر، وسمع على أبي الفتح المراغي في السنة التي بعدها، وله بالمعلاة سبيل وحوض للبهائم، عم النفع بهما، مات بمكة في ظهر يوم الاثنين ١١ من صفر سنة ٨٦٠هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٢ برقم ١٠٨.

(٦) النهروالي، الإعلام، ص ٣١٧.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٣١٧.

(٨) **الفسقية**: هي الحوض المخصص للوضوء، وهي لفظة لاتينية تطلق على فوارة المياه، أو الغرفة تحت الأرض، صالح لمعي، التراث المعماري، ص ١٦.

(٩) الجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٤٧.

(١٠) هو: **أبو السعادات الزيني** مملوك ناظر الخواص الجمالي يوسف، وشقيق شاهين الجمالي، ترقى في الخدمة إلى أن صار شادا على عمائر السلطان قايتباي بمكة سنة ٨٧٤هـ، ثم أضيف إليه الحسبة بمكة سنة ٨٨٣هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٧٣، والتحفة اللطيفة، ج٢، ص ١٩٧.

(١١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٨٣.

(١٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣١، والعقد الثمين، ج٨، ص ٣٣١ - ٣٣٢، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ٢٦٠ - ٢٦١، وقطب الدين الحنفي، تاريخ القطبي، ص ٢٠٥.

وقد رتبت حجة وقف السلطان المذكور اثنين من السقاة لسقيا الماء بالحرم المكي، على أن يسقى أحدهما الماء نهاراً، والآخر ليلاً، وحددت مكان عملهما بين مقام إبراهيم عليه السلام، والكعبة الشريفة، ويستمران بهذا المكان لسقيا الطائفين بالكعبة وغيرهم، وخصصت الوثيقة لهما عن ثمن الماعون والماء وأجرتهما ألفاً وخمسمائة درهم سنويّا، وهو مبلغ كبير بالنسبة لسقيا بئر زمزم المحدد بمبلغ خمسمائة وستين درهماً سنويّا، ولم ينس السلطان المذكور سقاية أهل مكة ومن فيها فعين لهذا الغرض سقاء لمكة كلها. وقد خصصت وثيقة الوقف لمن يتولى سقاية الماء بمكة شرفها الله تعالى مبلغ ستمائة درهم مقابل ثمن الماء العذب والماعون وأجرة تسبيله على الناس أجمعين[١].

وأنفق الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في رجب سنة ٧٤٨هـ/١٤٣٧م في عمارة عين جوبان مبلغ مائتي ألف درهم من مال الحرمين، وفوض الأمير فارس الدين، فأصلحها حتى جرى ماؤها[٢].

وأشارت حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق إلى الإنفاق في أوجه البر،ومنها : تسبيل الماء وإطعام الجائعين وكسوة العرايا والمقلين، وستر عورات الضعفاء، والعاجزين من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمحتاجين والمجاورين والمقيمين بالحرمين الشريفين[٣].

واهتمت حجة وقف السلطان الغوري بتوفير الماء وتسبيله للطائفين والعاكفين والمصلين والواردين والمترددين والمارين من الرجال والنساء، فخصص صرف عشرة دنانير من الذهب، أو ما يقوم مقامها من النقود في ثمن عشرة دوارق، وما يقيها من حر الشمس، وفي أجرة ملئها من ماء زمزم، أو غيرها من الآبار المباركة والسيول والأعين، ويسبل ذلك طوال السنة بعد تبريده في باب السلام، على الخاص والعام بالحرم الشريف بمكة[٤].

و في سنة ٨٢٠ هـ/١٤١٧م انتدب السلطان المؤيد شيخ[٥] قائده علاء الدين لعمارة عين حنين، وزوده بألفي مثقال ذهباً، فعمرها، ثم زاد في عمارتها، فجرى الماء وزاد جريانه حتى بلغ البركة التي بأسفل مكة سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م[٦].

---

(١) راشد القحطاني ، أوقاف الأشرف شعبان، ص ١٠٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٦٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٣٧، وفي السنة التي بعدها قام الأمير فارس الدين قريب آل ملك الجوكندار، نائب السلطنة بمصر من قبل أولاد جوبان، ومعه عشرة آلاف درهم لعرب بني شعبة، ورسم سنة ٧٥٠هـ لقاضي القضاة عز الدين بن جماعة بالإنفاق عليها من مال الحرمين، المقريزي، السلوك، ج٢، ق ٣، ص ٧٦٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٤٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٦٤٧. عز الدين هو: أبو عمر بن القاضي بدر الدين بن جماعة، تولى القضاء بالديار المصرية سنة ٧٣٨هـ، فحج وزار المدينة، وتوفى بمكة سنة ٧٦٦هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٤٥٧ - ٤٥٨.

(٣) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق، رقم الوثيقة (٦٦)، دار الوثائق القومية، سطر ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢، وفي سنة ٨١٣هـ أرسل السلطان فرج بن برقوق للشريف حسن بن عجلان اثني عشر ألف مثقال من الذهب لصرفها على عمارة عين بازان، فعين الشهاب بركات المكي، وأمره بتفقدها، وأصلح بركتين، إحداهما عند سور المعلاة، وعمر وأصلح مجاريها، وجعل ماء العين تتدفق إلى البركتين، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٨٢.

(٤) حجة وقف السلطان الأشرف الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ ق) أوقاف.

(٥) هو: المؤيد شيخ المحمودي الظاهري الجركسي، تسلطن في مستهل شعبان يوم الاثنين سنة ٨١٥هـ، ومات يوم الاثنين ٨ من محرم سنة ٨٢٤هـ، المقريزي، السلوك، ج٤ ق ٢، ص ٥٩٤، والخطط، ج٢، ص ٢٤٣، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ١٠٩، والدليل الشافي، ج١، ص ٣٤٧.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٤٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٦٠، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ٧٠٣.

٢ - المدينة المنورة:

المدينة تمتاز عن مكة بكثرة آبارها وعيونها، فمدار شرب أهلها على الآبار وكثرة العيون، وأسهمت الأوقاف بما تغله في زيادة تحسين آبارها وعيونها، بتعميرها أو مرمتها، وتجديدها حتى يعظم نفعها، وممن كان معنيّا بذلك السلطان الأشرف قايتباي الذي أجرى ترميما في عين الزرقاء بالمدينة على يد الخواجا شمس الدين بن الزمن[١]، وبإصلاحها جرى ماؤها إلى المدينة المنورة، وتم ذلك في ٨٨٦هـ/١٤٨١م[٢].

وعمّر أبوبكر بن مزهر[٣] رئيس ديوان الإنشاء بمصر، في سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م فسقية متصلة بباب الرحمة، وفوق هذه الفسقية قبة، وعلى الجانب الأيمن منها فسقية للمياه[٤].

وأشارت حجة وقف السلطان الغوري إلى أن يكون من أوجه الصرف بها: صرف عشرة دنانير من الذهب سنويّا، أو ما يقوم مقامها من النقود في ثمن دوارق وأجرة من يتولى تزويدها بالماء وتسبيلها على الخاص والعام بالحرم الشريف المدني[٥].

وفي حجة وقف الزيني عبد الباسط تحديد صرف ثلاثين مثقالاً من الذهب سنويّا في مصالح السبيل المعروف بإنشاء الواقف المذكور بباب السلام بالمدينة النبوية الشريفة[٦] كما خصص قاني باي قرا الرماح أمير آخور كبير جامكية لشخصين يتوليان تسبيل الماء العذب بالحرم النبوي، على أن يصرف لهما خمسة عشر ديناراً سنويّا مناصفة بينهما[٧].

ب - توفير المياه خارج المدينتين المقدستين:

لم يغفل الواقفون توفير المياه خارج منطقة المدينتين المقدستين فامتدت أياديهم بأوقافهم الواسعة في تلبية هذا الغرض وتأمينه في أمكنة المشاعر المقدسة، وسائر الطرق كالطريق الذي بين مكة والمدينة أو طريق ركب الحجاج إلى الحجاز، فقاموا بإصلاح العيون وترميمها، وحفر الآبار، وتزويد الفساقي بالماء، وكل ما يساعد على وفرة المياه للحجاج وغيرهم عبر هذه الطرق، وممن أسهم في توفير المياه خارج مكة السلطان الأشرف شعبان الذي اهتم بوصول الماء للحجاج

---

(١) هو: **محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمن**، الخواجا الشمس بن السراج القرشي الدمشقي، ثم القاهري الشافعي، ويعرف بابن الزمن، ولد في سنة ٨٢٤هـ بدمشق، وأشرف على عمائر السلطان قايتباي بالحرمين الشريفين، كما باشر بالمدينة النبوية سنة ٨٧٩هـ عمارة وترميم عين الزرقاء، وسائر منشآت السلطان المذكور، مات يوم الأحد ١٨ من شوال سنة ٨٩٧هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ٢٦٠ - ٢٦١ برقم ٧٠٣.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٥٥٤، وابن بطوطة، رحلته، ص ١١٦، والخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ٢١٠، والبلوي، تاج المفرق، ص ٢٨٨، والمطري، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، ص ١٧.

(٣) هو: **أبوبكر بن محمد بن محمد الزين بن البدر الأنصاري الدمشقي**، ويعرف بابن مزهر، ولد سنة ٨٣١هـ، زار مكة والمدينة المنورة وغيرهما واشتهر بوفرة الذكاء، حج غير مرة، وله سبيل بمكة ومدرسة ورباط بالمدينة المنورة، وفاته سنة ٨٩٣هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٨٨ - ٨٩.

(٤) أيوب صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق؛ أحمد فؤاد متولي، (ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص ٨٧٥.

(٥) حجة وقف السلطان الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) أوقاف.

(٦) حجة وقف الزيني عبد الباسط، رقم الوثيقة (١٨٩ج) أوقاف.

(٧) حجة وقف قاني باي قرا الرماح أمير آخور كبير، رقم الوثيقة (١٠١٩ق) أوقاف، قام بنشرها سامي أحمد عبد الحليم في رسالته للدكتوراه بعنوان:" آثار الأمير قاني قرا باي الرماح "، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٧٥م .
وهناك العديد من حجج الوقف التي خصصت ضمن أوجه صرفها: الصرف على تسبيل المياه داخل المدينة والمسجد النبوي الشريف منها: حجة وقف السيفي أيتمش بن عبد الله الظاهري، رقم الوثيقة (١١٤٣ ق) أوقاف، وحجة وقف السيفي تغري بردي بن عبد الله الأحمدي، رقم الوثيقة (١٥٢)، دار الوثائق القومية، وحجة وقف السيفي أسنبغا الطياري، رقم الوثيقة (٨٢)، دار الوثائق القومية، وحجة وقف الطواشي محسن الإخميمي، رقم الوثيقة (٣٣)، دار الوثائق القومية، وحجة وقف السيفي دولات باي، رقم الوثيقة (١٢٩)، دار الوثائق القومية.

في عـرفة، وخصص مبلغ ألف درهم لعمارة الفساقي في عرفة وأجرة من يقوم بتنظيفها على عادة أمثاله، كما خصص مبلغ ألفي درهم لصيانة وتنظيف عين الجوبانية وترميمها، وأجرة من يقوم بنظافتها[١].

ومـن آثـار الأوقـاف على هذا إجراء عين بازان، فقد خصص على مصالحهـا السلطـان برسبـاي ثلاثـة أسهم من ريع أوقافـه الواسعـة، وإجراء المـاء منهـا إلى مكة المكرمة "على ما يـراه النـاظـر ويـؤدي إليـه اجتهـاده في مثلهـا..."[٢] وتـاريـخ هـذه الوثيقـة سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م.

وفي سنـة ٨٤١هـ/١٤٣٧م بعث السلطـان برسـاى خمسـة آلاف أشرفـي على يـد ابن المـزلّق لتعمير عين عرفـة حتى يعـم نفعها[٣]، وجـرى على نسـق السلطـان المـذكـور كثيـر مـن السلاطـين وغيرهـم[٤]، وقد خصص الجمـالي يـوسف ناظر الخواص الشريفة خمسين ديـناراً من الذهب الظاهري سنويّا للعناية بفساقي عرفـة وملئها "... بالماء العذب وغيره في كلفة عوامل وعدة رجال في أثنـاء السنة لتكـون مملوءة بالمياه عنـد قدوم الحاج للوقوف بعرفة، يجهز الناظر على الواقف المـبلغ المذكور، ويرسـله صحبة موثوق به ليسلمه لمن يعيـنه الناظر المتولي صرف ذلك في المصرف المعين فيه، ويكـون الإرسال في زمـن مع السفر وملء الفساقي المذكـورة فإن تعذر ملء الفساقي المذكورة يشتـرى بذلك ماء وينقـل إلى عرفة ويسبل للحجاج يوم الوقوف بها بحيث يعم النفع به..."[٥].

وامـتـدت يد الإصـلاح لتوفـّر الميـاه بمنى[٦]، وممن أسهم في ذلك نائب السلطنة بمصر الأمير آل ملك الجوكندار ففي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، عمّـر بركة بطريـق منى، وهي معـروفة بـبركة أم السـلـم، وأصلـح القنـوات التي تصـل إليها من منى، وتولى مباشرتهـا نجـم الدين بن خليفـة الكيـلاني[٧]، وانتفع بها الحجـاج وعـامة الناس[٨].

---

(١) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص ١١٦.

(٢) حجة وقف السلطان برسباي، رقم الوثيقة (٨٨٠ق) أوقاف، ص ١٨٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ١٠٢٨ - ١٠٣٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٩٠، وابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص ٤٠٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٢٥.

(٤) وهؤلاء كان منهم السلطان جقمق الذي أرسل من قبله بيرم خواجا في سنة ٨٥٢هـ لترميم عدة برك بطريق عرفة، وقام بذلك فطهرها من التراب، وأصلحها وساق الماء إليها من الآبار التي بقربها ليشرب منها الحجاج، السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٦٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٣٧، والنهروالي، الإعلام، ص ٣١٨، وقد أمر قايتباي الأمير سنقر الجمالي سنة ٨٧٥هـ بتعمير عين عرفة، وأرسل مائة عامل من مصر، وبدأ في عمارتها من سفح جبل الرحمة إلى وادي النعمان، فتواجد الماء بكثرة، كما أصلح البركة وملأها بالماء، وعمَّر عدة فساقي مطمورة عم نفعها، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٥٦ - ٥٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٠٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٥١، وقد عاد السلطان المذكور مرة ثانية سنة ٨٩٨هـ وأصلح عين عرفة وجرى ماؤها بعد خرابها الذي تسبب في مشقة الحجاج وأهل مكة، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢١٩.

(٥) حجة وقف الجمالي أبي يوسف ناظر الخواص الشريفة، المؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م، رقم الوثيقة (١٠٥) محفظة (١٦)، دار الوثائق القومية، انظر جدول فهرس الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

(٦) **منى: تقع بين جبلين**، بينهما وبين مكة ثلاثة أميال، وبها مسجد الخيف وكثير من الآبار، تعمر أيام الموسم، وتكون خالية بقية أيام السنة، القزويني، أخبار البلاد وآثار العباد، ص١٢٣ - ١٢٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٥٧.

(٧) **هو: خليفة بن محمود الكيلاني**، المقلب بنجم الدين إمام الحنابلة بالمسجد الحرام، تولى إجراء عين بازان، فضلاً عن إصلاحاته للقنوات وتعميره بركة أم السلم بمنى، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٣٢٠.

(٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٨، والعقد الثمين، ج١، ص ١٢٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٨٦.

وفي سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م أنشأ الخواجا شهاب الدين أحمد العاقل[١] سبيلاً في بيته بمنى، وسبَّل الماء فيه أيام التشريق.

وأنشأ الخواجا بدر الدين الظاهر[٢] سبيلاً في بيته بمنى سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، وأنشأ أبوبكر الشمري[٣] في بيته بمنى سبيلاً[٤].

وهدفت الأوقاف إلى توفير المياه في طريق الحج بين مكة والمدينة، وفي الطريق البري بينهما وبين مصر والشام، وممن أسهم في ذلك السلطان الأشرف شعبان الذي خصص لتوفير المياه في خليص[٥] مبلغ خمسمائة درهم لعمارة عين خليص وترميمها، والفسقية وترميمها[٦]، وقد قرّر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في حجته الثانية سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة، وجعلها مقررة سنويّا لصاحب خليص فأجرى ماءها فوراً[٧]، ونظراً لأهمية عين خليص وعذوبة مائها للحجاج، فقد أمر السلطان قايتباي بإصلاحها سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م بمبلغ ألف أشرفي على يد الأمير شاهين الجمالي[٨] وأضاف السلطان الأشرف شعبان إلى أوقافه العديدة مبلغا لإجراء ماء عين حنين، وقد خصص لها مع خفارة الحجاج ألفي درهم لكل من مشايخ حنين الأربعة، واشترط عليهم أن "... يسقوا من العين المذكورة من يمر بهم...".

ولم ينس عين ودان[٩]، فخصص لها عشرة آلاف درهم تصرف على مصالحها، وهي بطريق الحجاز الشريف، وهذا المبلغ مقابل توفير احتياجاتها من :سلب، ودلاء، وبكر، وأجرة سواق، وغير ذلك، مما تحتاج إليه برسم سقي من يمر بالمكان من سائر الناس أجمعين.

وقد خصصت الوثيقة مبلغاً مماثلا، لمغارة شعيب[١] مقابل من يسقى الماء وأجرة دلاء وبكر وسلب وغيرها، بحيث يسقون الماء لمن يمر بهم من سائر الناس، وخصصت أيضاً خمسة آلاف درهم سنويّا لمصالح البئر المعروفة بالروحاء[٢]، وألف درهم سنويّا لمن يتولى تنظيفها ويسقى الماء منها.

---

(١) هو: أحمد بن علي بن محمد بن الشهاب المصري، المعروف بالعاقل، المجاور بمكة، أنشأ بها داراً، وبمنى أيضاً، وفاته ٢٠ من رمضان سنة ٨٦٤هـ ودفن بالمعلاة بمكة، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٤٣.

(٢) هو: بدر الدين بن حسن بن محمد الظاهر، عمر عين حنين، وكان متواضعا وخيراً ساكناً، وفاته بمكة سنة ٨٧١هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ١٩٠.

(٣) أبوبكر الشمري، تردد إلى بلاد كثيرة، وأنشأ سبيلاً في بيته بمنى سنة ٨٥٠هـ، وفاته في ربيع الأول سنة ٨٧٠هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص ١٠٠.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٢٠٠.

(٥) خليص: واد على طريق حجاج مصر على أربع مراحل من مكة وبه الكثير من العيون والآبار، وبه عين غزيرة الماء، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٦٠، والجزيري، و درر الفوائد، ج٢، ص ١٤٥٩.

(٦) راشد القحطاني، أوقاف الأشرف شعبان، ص ١٣٠.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق ١، ص ٢٠٠ - ٢٠١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٦٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٦٥، والرشيدي، حسن الصفا، ص ١٣٢.

(٨) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٠٨ - ٥٠٩، والنهروالي، الإعلام، ص ٢٢٤. والأمير شاهين الجمالي هو ناظر الخواص يوسف بن كاتب جكم، ولد سنة ٨٣٨هـ تقريباً، كان مقبلاً على العلم والقراءة فيه، مآثره بمكة كثيرة كعمارة المسجد الحرام، وعلو بئر زمزم، ثم سقاية العباس، وإجراء عين حنين، وعمر منشآت قايتباي لمكتبي السبيل وغيرهما، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٩٣ برقم ١١٢٣.

(٩) ودان: تقع أسفل الفرع، وتبعد عن المدينة بحوالي ٢٥٠ كيلو متراً، أبو إسحاق الحربي، كتاب المناسك، ص ٤١٤ هامش ٢.

ولتوفير الماء على طريق ركب الحاج المصري، خصص لمصالح بئر عجرود[٣] ونخل[٤] ألفي درهم[٥] إضافة إلى مـــا كـــان يصرف لهما من غير وقف السلطان شعبان، وهذا المبلغ مقابل عمارة الفساقي، وأجرة من يتولى سقى الماء منها على أن يستمر ذلك في أثناء ذهاب الحجاج وعودتهم، وعلى نمط هذه الوثيقة كانت هناك وثائق كثيرة خصصت من أوجه صرفها مبالغ سخية على مصالح هذه الآبار[٦].

وقـــام أهـــل الخير من السلاطين بتوفير سحابات تحمل الماء لإرواء العطشى في كل مكان ترحل فيه القافلة، وأنفقـــوا عليها أموالاً طائلة. من ذلك ما وقفه السلطان برقوق ناحية بهتيت[٧] على سحابة تسير مع قافلة الحجيج إلى مكـــة المكـــرمة ســـنويّا، ومعها جمال ومياه وشقادف، وأكفان لمن يتوفى بالطريق من غير القادرين، وكانت تصرف للحجاج ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهاباً وإياباً[٨] وقد جعلت وثيقة السلطان فرج بن برقوق مصاريف ذلك من خـــلال توجيـــه جـــزء من ريع وقفها ".. ويجهزه الناظر في كل سنة صحبة الركب الشريف والمحمل السلطاني، المتوجه إلى الحجاز الشريف صحبة، من يوثق بدينه وخيره وعفته وأمانته وكفايته، والذي يصرف ذلك بطول الطريق ذهابـــاً وإياباً على المنقطعين من الحجاج الذين قاربوا الإشراف على الهلاك من المسلمين، في أجرة حمل، وإطعام طعام، وإسقاء ماء، وكلفة ما يكون في ذلك إبقاء لمهجهم وحفاظاً لأبدانهم في إيصالهم إلى مأمنهم على العادة، ويصرف ذلك علـــيهم بمباشـــرة مـــن يكـــون متصـــفاً بصفات العدالة والخير والعفة والديانة، ويصرف لمن يباشر ذلك ممن هو بالصـــفات المشـــروطة من الجعالة ما يـــراه الناظر، وذلك بمباشرة أمير الحاج، واطلاعه على ذلك، فإن فضل من ذلك شيء فرقه بالحـــرمين المذكورين، فإن تعذر صرف ذلك على المنقطعين، فرق على الفقراء والمساكين والأيتام والضعفاء والعاجزين بالحرمين المذكورين، أو بأحدهما إن تعذر الآخر.."[٩].

وســـحابة الســـلطـــان الغوري أيضاً كانت لسقيا الفقراء بطريق الحاج، وتتحرك بتحرك الحجيج في مكة وأمكنة المشاعر والمدينة المنورة، وتستمـــر هذه السحابة في كل سنة، وكانت تجهز من ريع وقفه سنويّا[١٠].

---

(١) **مغارة شعيب:** بها نخل وبساتين ومياه عذبة، وتقع في وادي من أهم أودية شمال الحجاز، ويمر بها الطريق بين حقل وتبوك، البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٣٥، وسيد بكر، الملامح الجغرافية، ص ١٢٤.

(٢) **الروحاء:** موضع قريب من المدينة من أعمال الفرع على بعد أربعين ميلاً من المدينة، الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ١٦٠.

(٣) **عجرود:** جنوب غرب السويس، وتقع في شبه جزيرة سيناء، البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٣٣.

(٤) **نخل:** أهم محطة في طريق الحاج المصري عبر شبه جزيرة سيناء، سيد بكر، الملامح الجغرافية، ص ١٠٨.

(٥) راشد القحطاني، أوقاف الأشرف شعبان، ١٣٢، ١٣٣.

(٦) من ذلك حجة وقف عبد اللطيف المنصوري، رقم الوثيقة (٧١)، دار الوثائق القومية، وضمن عناية الواقفين بتوفير المياه لحجاج بيت الله الحرام على الطرق البرية والبحرية كانت حجة وقف الجمالي أبي المحاسن، فقد جعل مبلغ أربعة وعشرين ديناراً من الذهب في كلفة نقل الماء إلى السبيل الكائن ببندر الينبوع، وكان محسوباً ضمن مبراته الخيرية في البندر المذكور، حجة وقف الجمالي أبي المحاسن، رقم الوثيـــقة (١٠٥)، دار الوثائق القومية، سطر ٤٠٨.

(٧) **بهتيت:** قرية من قرى الجيزة القديمة بمصر، المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٩٤٤ حاشية ١.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، ص ٩٤٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٠٨- ١٠٩.

(٩) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم (٦٦) محفظة (١١)، دار الوثائق القومية.

(١٠) حجة وقف السلطان قانصوة الغوري، مؤرخة في أول ربيع سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، رقم الوثيقة (٨٧٢) أوقاف.

ووقف السلطان طومان باي سحابة مرافقة لركب الحاج المصري تسقي الحجاج في مكة والمدينة وأمكنة المشاعر في منى وعرفة، واستمرت هذه السحابة في مرافقتها للحجاج سنويّا في ذهابهم وإيابهم[١] وقد استمرت الأموال الموقوفة تدعم هذا الغرض وتعضده حتى أواخر العصر المملوكي، واستمرت كذلك خلال العصر العثماني[٢].

ثالثاً - أثر الأوقاف على الحياة الاقتصادية:

أثرت الأوقاف إيجاباً على الحياة الاقتصادية بالمدينتين المقدستين ، ووفرت العمل لعدد كبير من الموظفين، ونشطت حركة البيع والشراء، وازدهرت التجارة نتيجة العناية بالطرق وتوفير المياه، وكان لميناء جدة وميناء ينبع دور كبير في النشاط التجاري الذي أفاد المدينتين: مكة والمدينة. وفي موسم الحج السنوي فرصة مواتية للنشاط الاقتصادي إذ تأتي من البلاد الإسلامية المؤن والاحتياجات والأعطيات والصدقات، ويشتري الحجاج حاجاتهم طول مدة إقامتهم في مكة والمدينة، ويؤجر الأهالي مساكنهم للحجاج ولم يقتصر دور الأوقاف في الحياة الاقتصادية على أوقات الرخاء، بل امتد إلى أوقات الشدائد والأزمات والمجاعات والكوارث، فكانت الأوقاف عاملا مخففا على أهالي الحرمين الشريفين، خاصة أن السلاطين والأمراء والأعيان كانوا يضيفون إلى ريع الأوقاف، منحا وعطايا وهبات ونفقات استثنائية للحد من الأضرار التي تحدث في تلك الظروف، وفيما يلي تفصيل لهذا الإجمال:

أ - أثر الأوقاف في ازدهار الحياة الاقتصادية بالحرمين الشريفين:

يشكل الوقف مورداً اقتصادياً مهمّا، قد لايتيسر في أي دولة بصورته التي نعمت بها المدينتان المقدستان، ومع تعدد الأوقاف وتنوعها، وضخامة ريعها وعوائدها دارت في عجلة الحياة الاقتصادية في مصر والمدينتين المقدستين، فاستوعبت عدداً كبيراً من الموظفين، وأتاحت فرصاً لتشغيل الأيدي العاملة، وحدّت من البطالة التي تتهم بها الأوقاف[٣]، وتحققت فوائد مالية كثيرة من ريع الموقوفات من جوامك ومصروفات مختلفة، وما أنفقته الأوقاف في عمليات شراء الأطعمة ، والحبوب، والملابس ، والزيوت ومواد بناء وغيرها، كل ذلك أنعش الحياة الاقتصادية،

---

(١) الإسحاقي، محمد بن عبد المعطي، ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف بمصر من أرباب الدول، مطبعة المليجي، القاهرة، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) دار الوثائق القومية، سجلات الروزنامه، دفتر إيرادات ومصاريف خزانة مصر المحروسة، واجب سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م، فقد ذكرت سجلات الروزنامه والحجج الشرعية بأرشيف الدفتر خانه بوزارة الأوقاف، والحجج الصادرة من المحكمة العليا والصالحية مصروفات السحابة وأسماء الواقفين والتي استمرت طوال العصر العثماني، على مبارك، الخطط، ج١، ص ١٥١.

(٣) يصف البعض نظام الوقف بأوضاعه وظروفه في العصر المملوكي بأنه كان مدعاة للبطالة والبعد عن الحياة الجادة العاملة، وأنه ترتبت عليه نتائج اقتصادية سيئة نتجت عن اعتماد البعض على الأوقاف سواء كانوا مستحقين فيها أو من أرباب الوظائف، ولاسيما المقيمين منهم بالربط والزوايا، إذ كان تقرير الوظائف طبقاً لشرط الواقف، وكان توارث البعض لهذه الوظائف، قاضياً على الدوافع الشخصية في نفوس المتوارثين لهذه الوظائف للاتجاه للعمل والإنتاج، فقد ضمنوا وهم في طفولتهم وظائف محددة بمرتبات مغرية حصلوا عليها بحكم مولدهم ونظام التوريث الذي اشترطه الواقف، وعلى ذلك فإن معظم الوظائف الإدارية والدينية الخاصة بشئون الحرمين الشريفين هي على نظام الوراثة في الأسرة الواحدة، مثال ذلك ورث محمد بن محمد بن يوسف الذردى الشهير بالمصري ولده في مهنة الفراشة في الحرم المكي، وفاته عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٣٢٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٣٩، كما عرفت وظيفة الإمامة والخطابة في الحرمين نظام الوراثة وكانت محصورة في بعض الأسر، فقد تولى الشهاب أحمد بن الضياء بن التوروزي القسطلاني إمام المالكية في المسجد الحرام (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) بعد أبيه ثم خلفه أخوه البهاء عبدالرحمن بن الضياء بن التوروزي القسطلاني، الفاسي، العقد الثمين، ج٣ ص١٥٩، ج٥، ص٤٠٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٠٢، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٢٤٤.

وأحدث رواجاً في الحركة الشرائية في الأسواق بالمدينتين المقدستين.

وساعدت الأوقاف بطريق غير مباشر في ازدهار طرق التجارة؛ بما وفرته من الرعاية والعناية لطرق ركب الحاج البرى والبحري المتوجه إلى الحرمين الشريفين بعمل البرك والأسبلة وأحواض المياه المخصصة للدواب وحفر الآبار، وتمهيد الطريق، فكل هذه المبرات المتجهة بشكل مباشر لخدمة ورعاية حجاج بيت الله الحرام، أدت إلى ازدياد عدد الحجاج ورواج النشاط الاقتصادي على هذه الطرق ومحطاتها، فظهر أثر ذلك على الحالة الاقتصادية بالمدينتين المقدستين بوجه عام، وكان لميناءي جدة وينبع دورهما في إنعاش اقتصاد الحرمين الشريفين، وقد تحدث المؤرخون عن أهمية هذين الميناءين والدور البارز الذى لعباه في جلب المتاجر إليهما من بقاع العالم كله شرقه وغربه، والذي انعكس بشكل مباشر على المدينتين المقدستين، فأقيمت فيهما الأسواق العالمية وقت مواسم الحج.

وأسهمت الأوقاف في رفع مستوى المعيشة للفرد بالمدينتين المقدستين من خلال المؤسسات الاجتماعية والتعليمية، فإنشاء الأربطة لإيواء الأرامل والمطلقات والفقراء والمنقطعين والمجاورين وطلبة العلم الفقراء وغيرهم من أهل الاحتياج والإنفاق عليهم، وعلى الوظائف الخاصة بهذه المنشآت، وإنشاء المدارس والمكاتب والتعهد بالصرف على طلبة العلم والمعلمين. وعلى المشتغلين بالعلم والمتصدرين له، وكفالة الأيتام وتأديبهم، كل ذلك كان من ثمار الأوقاف الطيبة ، فمن ريعها قامت هذه المؤسسات ودعمت مكانتها للقيام برسالتها على أكمل وجه، من خلال الصرف والانفاق عليها ورعايتها، فوفرت الوظائف، وأمنت الرواتب مما أدى إلى تنشيط الدورة الاقتصادية لهذه الأموال فانعكس ذلك على الحالة الاقتصادية في مكة المكرمة.

ولايمكن إغفال دور الحج الذى هو بمثابة منتدى عام لجميع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، في إنعاش الحياة الاقتصادية ورواج الأسواق بالمدينتين المقدستين والسبب أن جموع الحجيج الوافدين لأداء شعائر الحج بمكة، وزيارة المدينة، كانوا يقيمون فترة طويلة تزيد على شهرين، ففي مكة كانت إقامتهم أكثر من شهر، حتى إذا انقضي حجهم كانوا يمكثون بها عشرة أيام في انتظار إذن أمير مكة لهم بالرحيل الذى لايتم إلا بعد هذه الفترة حتى ينفق الحجاج مامعهم في شراء احتياجاتهم من أسواق مكة التي يحدث موسم الحج فيها رواجاً هائلاً[١]، هذا بالإضافة إلى الرواج الذي يحدث في سوق منى في أثناء موسم الحج[٢]. وتستفيد المدينة المنورة اقتصاديّا من الحجاج الذين يمرون بها في الذهاب والإياب، خصوصاً حجاج مصر والشام، ويقفون بها لزيارة قبر النبي ﷺويعتبر موسم الحج ومايدره من رواج اقتصادي بالأسواق من أهم أيام السنة بالنسبة لأهالي المدينة وتجارها[٣]، وكان هؤلاء المعتمرون والحجاج يأتون ومعهم الكثير من السلع

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٩، والبتنوني، الرحلة الحجازية، ص٢٠٦، وفي وثائق الجنيزة معلومات قيمة عن أهمية موسم الحج في حركة التجارة الدولية، إذ احتوى بعضها على نصائح من بعض التجار في مصر لشركائهم بعدم التسرع في شراء البضائع حتى عودة الحجاج من مكة، ويستدل من ذلك على كثرة ماينفقه الحجاج في شراء البضائع التى يأخذونها معهم إلى بلادهم، حسنين ربيع، وثائق الجنيزة، ص٣٥.

(٢) ابن جبير، رحلته، ص١٣٣، وابن بطوطة، رحلته، ص١٦٥، كما نوه ابن جبير عن رواج الأسواق في مكة وفي منى فقال: "... ولم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب... إلى غير ذلك من السلع الخرسانية والبضائع المغربية مالاينحصر ولاينضبط مالو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ..." رحلته ص٩٨، وعبدالله غازى، إفادة الأنام، ص١٢٦.

(٣) محمد أخزون، المدينة المنورة في رحلة العياشي، الطبعة الأولى، دار الأرقم،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٤٣.

التجارية، وعادة ماكانت القوافل تصل إلى المدينة النبوية قبل وصولها إلى مكة المشرفة قبيل موسم الحج، فضلاً عما كان يصل إلى ميناء ينبع باب المدينة ورئتها التي تتنفس منها على العالم الخارجي، حيث ترد إليها السفن من مصر، والحبشة والهند، محملة بكثير من السلع ، بالإضافة إلى مايرسله السلاطين المماليك من احتياجات ومؤن وجملة مايريدون أن ينفقوه على أهالي المدينة ومجاوريها[١]، ولم تكن نفقات الحجاج مقصورة على مايصرفونه في أسواق المدينتين ومشاعرهما المقدسة، فإنهم كانوا يحتاجون إلى مأكل ومسكن وغير ذلك، وكل هذه يوفرها لهم أهالي المدينتين بمقابل مادي، كما أسهمت بعض الأوقاف في توفير السكن والمأكل لبعض الحجاج ضمن منشآتها الاجتماعية والتعليمية في الحرمين الشريفين، مثال ذلك المدرسة المنصورية، ٦٤١هـ/١٢٤٣م، بمكة المشرفة، التي استخدمت مسكناً لبعض الحجاج والزائرين القادمين إلى مكة المشرفة ، منهم الرحالة ابن بطوطة[٢]، والأمير خشقدم الزمام، وكذلك مدرسة قايتباى ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م بمكة المشرفة، فقد استخدمت دار ضيافة، ينزل فيها أمراء الحج المصرى، وممن سكنها أمير المحمل المصرى جوشن عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م[٣]، وكان ينزل بها كبار الوافدين إلى مكة، ففي عام ٨٨٩هـ/١٤٨٤م وصل إلى مكة حاجّا القاضي أبوالعباس بن الجيعان وسكن مدرسة قايتباى[٤]، والواقع أن المنشآت الاجتماعية لاتقل في أهميتها عن المنشآت التعليمية في توفير الرعاية للحجاج الوافدين إلى مكة والزائرين للمدينة، حيث كانت هذه المنشآت توفر سبيل الإعاشة والإقامة والراحة لنزلائها، ليس فقط للحجاج والزائرين بل شملت رعايتها الغرباء والأرامل والمنقطعين والفقراء وطلاب العلم والمجاورين من كافة الأجناس، ومثال ذلك رباط القزويني ٥٢٩هـ/١١٣٤م بمكة المشرفة وكان ينزل به حجاج قزوين في أثناء موسم الحج[٥]، ورباط الموفق ٦٠٤هـ/١٢٠٧م بمكة المشرفة وقد نزل به الرحالة ابن بطوطة ووصفه بأنه من أحسن الأربطة بمكة[٦]، وسكن فيه الرحالة التجيبي السبتي[٧]، وكذلك الرحالة القلصادى[٨].

وبالتالي فإن هذه المنشآت كان لها دور مهم لايمكن إغفاله في إنعاش الحياة الاقتصادية بالمدينتين المقدستين، فمعظم هذه المنشآت أوقاف، سواء كانت اجتماعية[٩]، أو تعليمية[١]، أسسها الواقفون، وتعهد

---

(١) المقريزي، السلوك،ج١ ص٩١٧، وابن إياس،بدائع الزهور، ج٤ ص٣٠٧، وحمد الجاسر، بلاد ينبع، ص٣١.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص١٥٠، وذكر ابن بطوطة أنه في أثناء إقامته بمكة سكن في رباط الموفق والمدرسة المظفرية وذلك نسبة إلى الملك المظفر والد الملك المنصور عمر بن رسول مؤسس هذه المدرسة. وقد سكنها الملك المنصور وزوجته في أثناء إقامتهم بمكة لأداء فريضة الحج، كما أمرت زوجته بحفر بئر بها لكى ينتفع طلبتها بسقيا مائها، الفاسي، العقد الثمين، ج١ ص١١٧، وشفاء الغرام، ج١ ص٢٥٤

(٣) عبدالعزيز بن فهد، بلوغ الفري، ورقة ١٨٣.

(٤) الرشيدي، حسن الصفا، ص١٤٨.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١ ص١١٠، وشفاء الغرام، ج١، ص٥٢٩، والزهور المقتطفة ص٦٨، وتحصيل المرام ص١٩٤، وعبدالله غازى، إفادة الأنام ج٢ ص٤٤٦.

(٦) ابن بطوطة، الرحلة، ص١٤٠. نزل به ابن بطوطة في حجته الأولى عام ٧٢٦هـ/١٣٢٥م.

(٧) التجيبي، مستفاد الرحلة، ج٢ ص٤٥٦. نزل بهذا الرباط التجيبي عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م.

(٨) القلصادى: هو أبو الحسن على القلصادى الأندلسي، ولد عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، بمدينة سبطة الأندلسية وهو رحالة أندلسي زار مكة عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م، وتوفي ببجاية الأفريقية عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م، القلصادى، الرحلة، ص١٣٤.

(٩) كان بمكة والمدينة العديد من المنشآت الاجتماعية كالأربطة وقد أسهمت الأوقاف في إنشائها وتعددت فئات الواقفين بين سلاطين وأمراء وأعيان ومساتير الرجال ونساء كبار رجال الدولة، وقد رعوها بناء وتعميراً أو ترميماً وإعادة بناء. وتعددت شروط الواقف التى شملت رعايتها معظم طبقات المجتمع وفئاته، كما شملت الأجناس والمذاهب، وعلى ذلك حجة وقف الزيني خشقدم الزمام الآدر

ريع الوقف بالصرف والإنفاق عليها، فأدت دورها الاجتماعي والاقتصادي، مما ترك أثره على الحياة العامة بالمدينتين المقدستين.

وقد شهد العصر المملوكي من الظروف الاقتصادية والنظم المالية ما أدى إلى انتشار الأوقاف، ونتج عن ذلك انتعاش الحياة الاقتصادية في بلد المستفيدين من ريع تلك الموقوفات، فالظروف الاقتصادية والتحولات التي صاحبتها نتيجة لرواج التجارة العالمية العابرة عن طريق البحر الأحمر وازدحام التجار على الموانئ المصرية والحجازية بعد اضمحلال طرق التجارة الرئيسية الأخرى بين الشرق والغرب، نتيجة لهجمات المغول واستيلائهم على بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وامتداد نفوذهم على طرق التجارة البرية، مما أتاح الفرصة لسلاطين المماليك للاستفادة من القيام بدور الوسيط التجاري بين تجار الشرق وتجار الغرب، هذا بالإضافة إلى سياسة الاحتكار التى مارسوها نتيجة اختلال النظام الإقطاعي والحصول على الثروات من أيسر الطرق، وبذلك جمعوا الثروات الطائلة التى حرصوا على المحافظة عليها وتحصينها ضد المصادرات، فاتجهوا إلى نظام الوقف مدفوعين بعوامل سياسية وأحاسيس دينية[٢]، وكانت هذه الأوقاف معفاة من الخراج والضرائب وكان الأساس في هذا الإعفاء هو أن الأموال الموقوفة في سبيل الله ليس فيها زكاة، لأن المفروض في الوقف أنه صدقة، كذلك وجد من النظم المالية ماساعد بطريق غير مباشر على زيادة الأوقاف وانتشارها، من ذلك ديوان المواريث الحشرية الذي كانت تؤول إليه تركة المتوفي بلا وارث، وفي بعض الأحيان كان ديوان المواريث الحشرية يستولى على التركات رغم وجود ورثة مستحقين[٣]، لذلك لجأ كثير من الناس ممن لاوارث لهم إلى وقف مدخراتهم على أنفسهم مدى حياتهم وبعد مماتهم على عتقائهم أو على وجوه البر والاحسان حتى لاتذهب أموالهم إلى ديوان المواريث الحشرية، ومن عوامل تسابق الواقفين على إنشاء الموقوفات ورصد الأوقاف عليها: التنافس والمباهاة[٤]، وزادت الموقوفات في نهاية العصر المملوكي للإحساس بدنو أجل الدولة بعد اضطراب أحوالها وخاصة تدهور الأحوال الاقتصادية بعد

الشريفة، رقم الوثيقة، (٩٠) دار الوثائق القومية، الفاسي، العقد الثمين، ج١ ص١١٨-١١٩، وشفاء الغرام، ج١ ص٥٣٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٦٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١ ص٣٠٨، ج٣، ص٣١٢.

(١) كان بالمدينتين المقدستين العديد من المنشآت التعليمية كالمدارس ومكاتب تعليم الأيتام، والكتاتيب، ومدارس الأربطة، وقد اهتم الواقفون بهذه المنشآت ابتداء من إنشائها وتجهيزها إلى الاعتناء باختيار مدرسيها وطلبتها ومؤدبيها وأمنت الرواتب والوظائف المساعدة لهذه المنشآت، كما اهتم الواقفون بإرسال كل ماتحتاج إليه من كتب وغلال يستفيد منها العاملون والدارسون، ومن هذه المدارس بمكة المشرفة المدرسة الباسطية ٨٣٤هـ/١٤٣٠هـ، والمدرسة الزمامية ٨٣٥هـ/١٤٣١م، ومدرسة قايتباى، ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، وبالمدينة الشريفة المدرسة الزمنية نسبة للشمس بن الزمن ناظر العمارة بالمسجد النبوى، والمدرسة الأشرفية نسبة إلى الأشرف قايتباى، الفاسى، العقد الثمين، ج١ ص١١٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٦٤، والنهروالي، الإعلام، ص١٥٢، وابن إياس ، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٢٩، وابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١ ص٣٣، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١ ص٦٤.

(٢) عاشور، العصر المماليكي، ص٢٩٥، والأيوبيون والمماليك، ص٣٥١، والمجتمع المصرى، ص٢١.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر ، ج١ ص٢٥٤، والمقريزي، السلوك، ج٢ ص٤٣٥.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢ ص٤٠١.

اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، وفقدت مصر أهميتها التجارية ، فأراد الواقفون تأمين أموالهم وسط مظاهر الخلل[١] المحيطة بهم .

وقد وفرت الأوقاف الكثير من الوظائف وفرص العمل، وتولى هذه الوظائف مايمكن أن يطلق عليه "مجموعة الوظائف الإدارية" مثل النظارة، والمباشرين، والكتاب والجباة وغيرهم. و"مجموعة الوظائف الفنية" مثل العامل، والشاد، والصيرفي، والمهندس، والمعلم، والممرض وغيرهم.

ب - أثر الأوقاف في تخفيف أعباء الحياة والأزمات الاقتصادية عن أهالى الحرمين الشريفين:

على الرغم من تدفق أموال الأوقاف على المدينتين المقدستين وما صاحبه من الرغبة في البذل والعطاء مما أدى إلى الرواج الاقتصادي، فإنه قد تحدث أحياناً بعض الأزمات الاقتصادية، التي تعكر صفو الحياة العامة بالمدينتين المقدستين، وقد تكون من الخطورة بحيث تعم آثارها السيئة ، وتترك بصماتها واضحة على أحوال المجتمع وأوضاعه.

وقد دلت الشواهد التاريخية على ارتباط الحالة الاقتصادية بالحرمين الشريفين بارتفاع وانخفاض منسوب مياه النيل[٢] وما يؤدي إليه من انخفاض أو ارتفاع الأسعار في كل من مصر والمدينتين المقدستين، وهذا التأثير انعكس سلبيّا على اقتصاد الحرمين المعتمد على موارد غير ثابتة لأنها مرتبطة بالغير، وتظل هذه الموارد الخارجية معرضة للتقلبات الاقتصادية. ومع ذلك لم نسمع أن أوجه مصارف الأوقاف قد توقفت، أو أن موارد الإنفاق والأعطيات قد نضبت، أو أن المنح والصدقات قد انقطعت، وما دام للأوقاف دور مسلم

---

(١) عبداللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية، ص١٢٣.

(٢) المعروف أن نهر النيل لعب دوراً خطيراً في حياة أهل مصر والبلاد المرتبطة بها اقتصاديّا وإذا كان بالاستطاعة الآن التحكم في مصادر المياه بإقامة الخزانات والسدود، فإنه في فترة الدراسة لم تكن تلك الأنظمة موجودة، فكانت الحياة كلها بمصر تتوقف على وفاء النيل أى على بلوغ ماء الفيضان الحد اللازم لري كافة الأراضي الزراعية في البلاد والذى عليه يتحدد مصير البلاد والعباد، هذا بالاضافة إلى ماكان يصيب المحاصيل الزراعية من آفات أو رياح عاصفة مما ينتج عنه ضعف المحصول وقلة الغلال أو عدمها ومايترتب عليها من حدوث الأزمات الاقتصادية، كما أن هناك عاملاً آخر متعلقاً بالأزمات الاقتصادية هو ارتفاع الأسعار خاصة أسعار الغلال وهو العامل الذى أشار إليه تقي الدين المقريزي بقوله "إن الناس دائماً إذا توقف النيل في أيام زيادته، أز ازداد قليلاً، يقلقون ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل، فيقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع الأسعار أو لطلب ادخار قوت العيال، فيحدث بهذا الغلاء" المقريزي، الحفظ، ج١، ص٩٨، ومن العوامل المسببة للأزمات الاقتصادية التلاعب بالنقود وتزييفها، فقد كثر ضرب النقود التي تختلف أوزانها، مما يؤدي إلى اضطراب المعاملات وإلى إغلاق التجار لحوانيتهم خوفاً من بخس بضائعهم، وماكان يصاحب ذلك من ارتفاع في السعر وقلة الغلال ويترتب على ذلك على قول المقريزي : "... توقف أحوال الناس" المقريزي، النقود الإسلامية، ص٦١، وإغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٧٦، ويظهر من خلال مطالعة وثائق الوقف حرص الواقفين على أن يكون صرفهم من النقود الجيدة الخالصة من الذهب أو الفضة سواء كانت دنانير أو دراهم أو فلوسا، انظر: حجة وقف الجمالي يوسف، رقم الوثيقة (١٠٥) دار الوثائق القومية، وحجة وقف شمس الدين أبوعبدالله محمد، رقم الوثيقة (٧٦١ق) أوقاف، حجة وقف الزيني عبداللطيف منصور بدوي، رقم الوثيقة (٢٢٢)، دارالوثائق القومية، وبالإضافة إلى ماسبق من عوامل، كان لاضطراب الأحوال السياسية بمصر والحرمين الشريفين في عصر سلاطين المماليك دور كبير في ارتفاع الأسعار وقلة الغلال ومانجم عنها من حدوث الأزمات الاقتصادية، وأخيراً يأتي سوء الإدارة والحكم بمصر ليضيف سبباً جديداً لحدوث الأزمات الاقتصادية، ويشير المقريزي وهو شاهد عيان إلى تفشي الفساد والرشوة في الدواوين وفي المناصب السلطانية والدينية ، المقريزي، إغاثة الأمة، ص٤٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣ ص١٨، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤١٧ .

به في ازدهار اقتصاد المدينتين المقدستين في أوقات الرخاء، فإن هذا الدور يظل قائماً في فترات الشدائد والأزمات، ويبدأ المبحث بذكر أمثلة لهذه الأزمات ثم بعدها يشرح ما قامت به الأوقاف وغيرها من الأعطيات للتخفيف من أثر هذه الأزمات على أهالي الحرمين.

ومن الأزمات الاقتصادية التى وقعت بالمدينتين المقدستين ماسجله المؤرخون في حولياتهم التى عنيت بتاريخ مكة والمدينة وذكروا العديد من الأسباب التي أدت إلى حدوثها، ومنها الفتن والاضطرابات الناتجة عن الصراع بين أمراء الحرمين على الحكم، وحرص أمراء الحرمين على بسط سيطرتهم على التجارة الدولية التى كانت تمر بمدن الحجاز للاستفادة من أموال العشور التى كانت تجبى من التجار وفرض المكوس الباهظة على متاجرهم وعلى الحجاج[١]، كما أن قلة الأمطار وانقطاع الميرة عن أهالي الحرمين وعدم وصول الأوقاف والصدقات والأعطيات والغلال من مصر واليمن كان سبباً لشح الأقوات وارتفاع الأسعار بالمدينتين المقدستين، وقد حفلت المصادر بأخبار الغلاء في فترات على امتداد العصر المملوكي.

ففي عام٦٤٩هـ/١٢٥١م،قلت الأمطار في مكة،مما ترتب عليه حدوث غلاء عظيم[٢].

وفي عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م، ارتفعت حدة الغلاء، فبلغت شربة الماء بدرهم في مكة[٣]، وعمّ الغلاء أرض الحجاز سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م واستمر حتى سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، مما أدى إلى شدة ارتفاع الأسعار فيبيع الشعير ربع مدّ وثلثاه بدينار، إلا أن الأزمة انفرجت عند وصول الميرة والمؤن سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، والسنة التى تلتها[٤]، وفي عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، على أثر الصراع بين أمير مكة أبي نمى ، وأمير المدينة جمار بن شيحة، ارتفعت الأسعار حيث بيع الدخن المد والربع بدينار[٥].

وفي عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ازدادت حدة الغلاء بسبب الفتنة التي كانت بين أمير مكة أبي نمي وأمير الركب المصري، بحيث بيعت غرارة القمح بألف ومائتى درهم، وفي المدينة النبوية بتسعمائة درهم[٦]، وفي عام ٦٩١هـ/١٢٩١م، قلت الأمطار فحصل الغلاء في مكة فكانت الحنطة ربع مد بدينار، والراوية بأربعة دنانير[٧] وستة عشر درهماً مسعودية[١]، وفي سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣، غلت الأسعار، حتى بلغ مد

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢ ص١٣٨، وابن جبير، رحلته، ص١٣٧، والمقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢ ص٩٠، والفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٤٦٦-٤٦٧.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٤٣٢، والمقريزي، السلوك،ج١ ق٢ ص٣٨٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٧٠، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢ ص٣٠٦، والجزيري ، درر الفوائد، ج١ ص٥٩٧، ومقياس فيضان النيل على مقياس الروضـــــة في هذه السنة ١٨ قيراطاً، الذراع ١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ ص٦٧.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧ ص٣٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٧٥ .

(٤) الجزيرى، درر الفوائد، ج١ ص٦٠١، وفي سنة ٦٦١هـ وقع الغلاء بمصر لعدم ثبات النيل وعدم وفائه فارتفعت الأسعار، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧ ص ٢١٣.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٣٠٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص ١٠٨.

(٦) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٢٨، وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ص٢١٢، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٠٨.

(٧) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٢٢، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦١٠.

الملح ستة دنانير، وراوية الماء بأربعة دنانير، ثم رحمت البلاد والعباد بهطول الأمطار، فسالت الأودية والشعاب[٢]، وفي عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، انتشر الوباء والقحط مما دفع أهل مكة والقرى المجاورة إلى الرحيل إلى منطقة حلى بنى يعقوب، كما فتك الجوع بعدد كبير من الناس فبلغت غرارة القمح ألفا ومائتي درهم وفي المدينة ألف درهم وغرارة الشعير سبعمائة درهم[٣]، وفي سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، ارتفعت أسعار الطعام لندرة الأمطار في سنوات متتالية وعاني الحجاج من قلة الماء وغلاء الأسعار، وجفت القرب بطريق الحجاج، ومات خلق كثير وبيعت ويبة الشعير بأربعـــين درهماً، وويبة الدقيق بستين درهما[٤]. وتكرر هذا الغلاء عام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م، بسبب أن سلطان اليمن المؤيد، قطع الميرة عن مكة لخلافه مع حميضة ورميثة ابنى أبي نمي، فبيعت غرارة الحنطة بألفين وخمسمائة درهم، والذرة بأكثر من سبعمائة درهم[٥]، غير أن ركب الرجبية في مصر حل أزمة الأسعار لجلبه معه ألفي حمل مؤناً وإمدادات ورسائل لصاحب اليمن ليتراجع عن قراره بمنع تجار الميرة بالسفر إلى الحجاز[٦]، وبسبب عدم سقوط المطر بمكة عام ٧٢١هـ/١٣٢١م، عم الغلاء جميع الحبوب والسمن واللحم فبلغ سعر الإردب المصري من القمح مائتين وأربعين درهماً، والسمن كل أوقية[٧] بخمسة دراهم وكذلك اللحم[٨] وأما التمر والسمن فعدما من الأسواق، مما دفع الشريف عطية إلى التوجه إلى مصر، وطلب المعونة من صاحب مصر، شاكياً له ندرة الأمطار وقلة الواصل من البحر فرسم السلطان

---

(١) **الدراهم المسعودية**: ينسب ضربها إلى الملك المسعود الأيوبي بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، الذي انتزع إمرة مكة من حسن بن قتادة وظل والياً عليها حتى سنة ٦٢٦هـ، وزنة هذا الدرهم مثقال وحدد الدرهم بأربعة وعشرين فلساً، القلقشندي، صبح الأعشي، ج٣ ص٤٤٠، والمقريزي، إغاثة الأمة، ص٣٧، وابن مماتى، قوانين الدواوين، ض٣٣، وعبدالرحمن مهمني، النقود العربية، ماضيها وحاضرها، ص٩٢.

(٢) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٢٥، والمقريزي، السلوك، ج١ ق٣ ص٨٠٤، ولعدم ثبات النيل وقع الغلاء في مصر سنة ٦٩٣هـ واستمر للسنة التي تليها ٦٩٤هـ/١٦٩٦م، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ ص٦٨،والمقريزي، السلوك ج١ ص ٨١٠.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٥ ص٣٩١، وفي هذه السنة هبت رياح عاصفة محملة بالأتربة أدت لفساد المحاصيل الزراعية بمصر مما أدى لارتفاع الأسعار، المقريزي، إغاثة الأمة، ص٣٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢ ق١ ص١٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٤١، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦١٧، وقد ذكر ابن فهد والجزيري أن هذه الأزمة وقعت سنة ٧٠٤هـ.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٤٣٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٤٤.

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢ ص٣٠٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٥٩٧.

(٧) **الأوقية**: من الموازين المشهورة وهي في كتب اللغة، سبعة مثاقيل شرعية، والأوقية المكية رطلان مصريان ونصف أو ثلث رطل، والأوقية الشامية تساوى خمسين درهماً، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٤٣٥، والمقريزي، النقود الإسلامية، ص٩٤ .

(٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٤٣٥، والعيني، عقد الجمان، ج٣ ص٥٧٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٧٣، والجزيـــري، درر الفوائد، ج١ ص٦٢٧.

وذلك لضبط الأمن الناتج عن الخلاف بين أمراء مكة وأشرافها على الحكم، كما أسقط هذا الأمير المكس المتعلق بالمأكولات، فانتعشت الأسواق بمكة[١].

وفي عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، عانت مكة من أزمة اقتصادية، فارتفعت الأسعار حتى إن غرارة الحنطة بلغت ستمائة درهم، والذرة أربعمائة درهم، وعدم الحب ولم يتوافر منه شيء، وكذلك عدم التمر من الأسواق، وشحت اللحوم والخضر وعز وجود الأقوات بشكل عام، وهلك كثير من الناس من الجوع، وعرفت هذه السنة عند المكيين بسنة أم جرب، لأن المواشي عم الجرب فيها[٢].

وفي سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، حصل للحجاج مشقة كبيرة بسبب ارتفاع الأسعار فبلغت ويبة الشعير خمسين درهماً فضة، ثم زادت حتى أصبحت بمائة دينار[٣].

وحدث قحط شديد في الحجاز عامة في عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م زادت فيه الأسعار، فبيعت ويبة الدقيق بخمسين درهماً ومافوق، وويبة الشعير بأربعين درهماً، ومات من أهالي الحرمين الكثير جوعاً[٤]، غير أن الاضطرابات التي حدثت في مصر في بداية سلطنة السلطان برقوق ٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢- ١٣٨٩م، قد صاحبتها الاضطرابات الاقتصادية بحدوث الغلاء، حيث تزايد سعر الغلال، وعدم وجود الخبز في الأسواق[٥]، مما أدى إلى عدم الالتفات لركب الحجاج والاهتمام بأموره، وسبب للحجاج في موسم حج تلك السنة مشقة عظيمة في أثناء رجوعهم بالطريق، لقلة الماء، وعدم وجود المال الكافي لديهم لشراء الأطعمة الباهظة الثمن وذلك كان ناتجاً عن الاضطرابات بمكة إثر التنافس بين أشرافها على إمرتها بعد موت أمير مكة محمد بن حسن بن عجلان[٦].

وفي سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، نشب خلاف بين أشراف مكة على إمرتها، مما دفع السلطان الظاهر برقوق إلى التدخل في شؤون الإمارة ليحسم الخلافات القائمة بين أشرافها ويعيد الاستقرار إليها، لذلك بعث مرسوماً بتولية علي ابن عجلان إمرة مكة، شريكاً لعنان بن مغامس[٧] ، فخرج عنان إلى وادى نخلة وكان يتعرض للقوافل المتجهة إلى مكة مما أدى إلى وقوع الغلاء وارتفاع الأسعار بمكة فوصل الأمير قرقماس الطشتمري

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٨، والعقد الثمين، ج٢ ص١٤١، والمقريزي، السلوك، ج٣ ق١ ص٤٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠ ص٣١٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٢٧٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٥٧-٦٥٨، والكردي، التاريخ القويم، ج٢ ص ١٨٠.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٤٣٧، وتحصيل المرام، ص٣٢٧، والعقد الثمين ج١ ص٢٠٩، والمقريزي، السلوك، ج٣ ق١ ص٩٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٣٠٢، وعبدالله غازي، إفادة الأنام، ج٢ ص٥٧٥.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص٢٣٨.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ ص٤٦٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٣٣٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٦٩، وعبدالله غازي، إفادة الأنام، ج٢ ص٥٧٥، وفي سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، انتشر وباء في مصر وهلك به عدد عظيم من الناس، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١ ص٢٠٢.

(٥) الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١ ص٨٧، والمقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ ص٤٦٦.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٢٤،والعقد الثمين، ج٣ ص٢٢، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٢ ص٢٤٨.

(٧) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩ ص١٨، وابن خلدون، العبر، ج٤ ص١٠٨، والفاسي، العقد الثمين، ج٦ ص٢٠٧.

الدقيق بخمسين درهماً، ورطل البقسماط بثلاثة دراهم، كما أن حرمان الشريف عجلان التجار والسفن القادمة من اليمن من الدخول إلى مكة، أدى إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية وبالتالي إلى زيادة الأسعار وهلاك البعض من الحجاج في حج هذا الموسم(١)، ومما زاد من تفاقم هذه الأزمة أيضاً احتكار سلاطين المماليك وأمرائهم لبعض السلع التجارية، مما أدى إلى نقص عام في السلع والأطعمة في الأسواق مما دفع الأسعار إلى الارتفاع(٢).

وفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، وقع غلاء بمكة، فبلغ إردب القمح ثلثمائة درهم، وغرارة الذرة مائة درهم، وويبة الدقيق ستة وأربعين درهماً، وويبة الشعير سبعين درهماً(٣).

وفي عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م، قدم الأمير فارس علاء الدين أمير الركب إلى القاهرة وأخبرعن شدة غلاء الأسعار بمكة، وقلة المياه، بحيث بيعت الراوية بعشرين درهماً وهمّ أهل مكة بالخروج منها والنزول ببطن مر، لكن الله بعث لهم سقيا رحمة استمرت يومين امتلأت بها الآبار والبرك، كما قدمت مكة عدة قوافل من اليمن فانخفضت الأسعار(٤). وفي سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢، ارتفعت أسعار الغلال، فبلغ إردب القمح ثلثمائة درهم والشعير مائتي درهم، وراوية الماء أربعة دراهم، ثم انفرجت الأزمة بسقوط المطر فانحلت الأسعار، وبيع إردب القمح بمائة وخمسين درهماً، كما توافرت المياه لجريان عين حنين(٥). وفي سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م، أرسل السلطان حسن بن قلاوون عسكراً إلى مكة ليمكن الشريفين سند بن رميثة ومحمد بن عطيفة من تقلد الحكم في الإمارة(٦)، وكان على رأس ذلك العسكر الأمير جكتمر الماردياني الحاجب(٧)،

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٢٢٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٤٥، والعاصمي، سمط النجوم، ج٤ ص٢٢٥، والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١ ص٥١، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٣٥، وفي هذا العام ٧٤٤هـ زاد النيل إلى أن بلغ عشرين ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً، فغرقت البساتين وفسدت المحاصيل الزراعية، وانقطعت الطرق والجسور، المقريزي، السلوك، ج٢ ق ٣ ص٦٦٠.

(٢) في سنة ٧٤٧هـ أدى احتكار السلاطين المماليك وأمرائهم لبعض السلع التجارية والأطعمة وأنواع من البهار إلى تفاقم هذه الأزمة لشح هذه السلع من الأسواق، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٢٣٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٤٦، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٣.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٢٣٨، كما صاحب هذه الأزمة في الحرمين الشريفين وباء عام في مصر في السنة نفسها ٧٤٩هـ/١٣٤٩م، خلال سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الأولى، وكان بداية ظهوره عام ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م في بلاد المشرق ثم أخذ ينتقل عن طريق العدوى مصاحباً الطرق التجارية حتى وصل إلى القسطنطينية وشرق أوربا، ثم وصل إلى العراق والشام، كما تفشى في جزر البحر المتوسط حتى وصل غرب أوربا وعرف باسم (الوباء الأسود) ثم انتقل إلى مصر، فأدى إلى اضطراب الحياة وتوقفت معظم الصناعات، وتلفت معظم المحاصيل الزراعية لعدم وجود من يحصدها، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠ ص٢١٠، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج١ ص٢، Hodgeft: Asociai and Economic hist of the medieval Euiole P.208 .

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢ ق٣ ص٨١٦، وفي هذه السنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م هبط منسوب النيل في مصر فعطشت الأراضي وتلفت المحاصيل الزراعية، ووقع غلاء وارتفعت الأسعار.

(٥) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٢٥٨، والمقريزي، السلوك، ج٢ ق٢ ص٨١٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٥٤.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ ص٤٨، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣ ص٢١٢.

(٧) جكتمر الماردياني:من مماليك محمد بن قلاوون، وتولى الحجوبية الكبرى في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ومات في سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩، المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ ص٩٨٧، وابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٢ ص٧١.

الناصر محمد بن قلاوون بنقل الحب إلى مكة في كل عام من الصعيد[١] بشرط أن يسقط المكس عن الواردين بالميرة إلى مكة فوافق على ذلك[٢].

وفي سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، اشتد الغلاء بمكة، فوصل إردب القمح مائتين وخمسين درهماً فرسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بتخفيف المكس عليهم، فأبقاه على سلع التجار وسلع الحجاج الثمينة، وأسقط مكس الطعام، وعوض صاحب مكة بثلثي قرية دمامين بصعيد مصر، كما أرسل لهم ألفي إردب قمح، وبذلك انخفضت الأسعار وعم الرخاء[٣].

وفي عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م ارتفع سعر الأطعمة، فبيعت غرارة الحب الشامية فوق ألف وثلثمائة درهم، ثم مالبث أن انخفض السعر[٤]، وفي السنة التالية ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، عاد الاضطراب في الأسعار على اثر وصول عسكر السلطان الناصر محمد بن قلاوون من مصر، متوجهين إلى اليمن لنجدة الملك المجاهد بن الناصر صاحب اليمن، ودخلوا مكة في السادس والعشرين من جمادى الأولى فخرج إمام الزيدية من مكة إلى وادى مر، وأقام العسكر بمكة إلى أن قدمت مراكبهم من مصر إلى ميناء جدة، محملة بالغلال، فقد بيع إردب الشعير بثلاثين درهماً، وويبة الدقيق بعشرين درهماً، ثم انحل السعر بعد رحيلهم في الخامس من جمادى الأولى فبيعت غرارة الشعير باثنى عشر درهماً، وإردب القمح بثمانية عشر درهماً[٥].

وفي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، بيع بمكة إردب الشعير من عشرة دراهم إلى عشرين درهماً، وبيع البقسماط بالعدل[٦]، كل رطل بفلس[٧] واحد، ورطل السكر بدرهمين[٨]، وحدث عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م، أن قاسي الحجاج مشقة عظيمة لقلة الماء، وارتفاع أسعار الأطعمة والحبوب، فبيعت ويبة الشعير بأربعين درهماً، وإردب القمح بمائتي درهم، كما بلغ إردب القمح بمنى أربعمائة وخمسين درهماً لقلة الجمال، والويبة من

---

(١) **الصعيد**: هو الإقليم الجنوبي من مصر، ومايعرف بالوجه القبلى، ياقوت، معجم البلدان، ج٣ ص٤٠٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١ ص٢٣٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٢٧، وفي سنة ٧٢٠ هـ هبط مستوى النيل في مصر فشرقت الأرض، ويشير ابن الوردى إلى أنه صاحب ذلك أمراض حادة وارتفعت أسعار الأطعمة والأدوية ، ابن الوردى، تتمة المختصر، ج٢ ص ٣٨٦.

(٣) ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج٢ ص١٢٥، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٤، والعقد الثمين، ج٦، ص٩٣، وابن الوردى، تتمة المختصر، ج٢ ص٣٩٠، والمقريزي، السلوك، ج٢ ق١ ص٢٣٨، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٢٧، وفي هذه السنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، كان مقياس النيل٢١ قيراطاً، و١٦ ذراعاً، على مقياس الروضة، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩ ص١٩٢.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص ١٧٨ .

(٥) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢ ص٣٢، والفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٢، والمقريزي، السلوك، ج٢ ق١ ص٢٦٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٨٠، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٢٨.

(٦) **العدل**: جمعه عدول، وهو نصف الحمل، المقريزي، السلوك، ج٢ ق ٢ ص٣٥٧.

(٧) **الفلس**: من السكة النحاسية، وهي مستعارة من العملة البيزنطية، وتساعد على إجراء العمليات التجارية البسيطة، ولضبط جميع أوزان العملات صنع العرب صنجات زجاجية خاصة مقدرة بالقراريط، عبدالرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص١١.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٢ ق٢ ص٣٥٧.

الخازندار[١]، أمير الركن بتقليد الشريف علي بن عجلان إمرة مكة بدون شريك[٢]، فدخلت القوافل مكة واستقرت الأسعار[٣].

وفي عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، عاود أهل مكة انتشار الأوبئة مع ارتفاع أسعار الأطعمة فبيعت غرارة الحنطة بمكة بخمسمائة درهم كاملية[٤]، إلا أن السلطان الظاهر برقوق قام بإرسال الهبات والأعطيات من المؤن والحبوب لتخفيف حدة هذه الأزمة، عن أهالي الحرمين، فانخفضت الأسعار[٥].

وفي بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ارتفعت أسعار الأطعمة بمكة، ففي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، بيعت غرارة القمح بخمسمائة درهم كاملية، ولم تتوقف الأسعار عن الارتفاع إلا بدخول الجلاب القادمة من سواكن[٦].

ونتيجة للأزمة التى عصفت بمصر في سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م انقطعت الإمدادات والمؤن عن المدينتين المقدستين، فاستفحل القحط بمكة سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م[٧]، فبيع حمل الجمل المتوسط من القمح بعشرين ذهبية، وغرارة الحنطة بعشرين أفلوريا، وبلغ مد التمر ثمانية مسعودية، وويبة الدقيق بأفلوريين، وويبة الأرز بعشرة أفلوريات، وكان صرف الأفرنتى[٨]،في مكة ستين مسعوديّا ونحوها، فبلغ نوى علف الجمال كل ويبة مصرية بإفرنتى وربع، والبطيخة الكبيرة بيعت بعرفة ومنى بأفرنتي وأزيد[٩]، كما انقطعت الإمدادات

---

(١) الأمير قرقماس الطشتمري الخازندار توفي سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، المقريزي، السلوك، ج٣ ق١ ص٧٣٠.

(٢) ابن الفرات، تاريخه، ج٦ ص٢١، وابن خلدون، العبر، ج٤ ص١٠٨، والخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢ ص١٩٤.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر ، ج١ ص٣٣٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٣٦٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٧٥.

(٤) الدرهم الكاملى: نسبة إلى السلطان الكامل سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد، وهو درهم ضرب بالقاهرة في عهده في سنتي ٧٤٦هـ ٧٤٧هـ، سامح فهمي الوحدات النقدية، ص١٥٦.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٣٧٩، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٧٨، وفي هذه السنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، انخفض منسوب مياه النيل في مصر فحصل للناس منه الضرر الشامل، وارتفعت الأسعار، وبلغ سعر إردب القمح سبعين درهماً والفول والشعير أربعين درهماً، وزاد الحالة سوءاً على قول المقريزي " كثرة ظلم الدولة ووقوع الوباء والغلاء ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب..."، المقريزي، السلوك، ج١ ق٢ ص٨٢٦، والصيرفي، نزهة النفوس، ج١ ص٣٩٩.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٤٣٢، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٨٧، وشهدت مصر خلال عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، شدة عظمي نتيجة انخفاض ماء النيل ثم توقفه عن الزيادة، فارتفع سعر الغلال حتى وصل ثمن إردب القمح إلى مائة وعشرين درهماً (وأمر الناس بالاستسقاء) وصاحب تلك الشدة الاقتصادية انتشار الأمراض والأوبئة بالديار المصرية صاحب ذلك أيضاً هبوب رياح مليئة بالرطوبة أدت إلى انتشار السعال والحمي وتفشي الموت بين الناس، المقريزي، السلوك ج٣ ق٣ ص١١١٥، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ص١٨٠-١٨٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣ ص١٥٢.

(٧) وفي عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، أصاب الطاعون الديار المصرية، منذأواخر شهر ذي الحجة، وأخذت الحمى تنخر في أبدان أهالي مصر لاسيما الأطفال والشباب، وازداد الوباء انتشاراً وكثرت الوفيات، الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ص٣١١-٣٢٦.

(٨) الأفرنتي : عملة بندقية (نسبة إلي مدينة البندقية بايطاليا) وأطلق عليها البندقي و الدوكة والمشخصه لوجود صور الملك الذي أمر بضربها، وكثر تداولها في مصر وبلاد الشام لدقة سكها ووزنها الثابت ، رأفت النبراوي ، السكة الإسلامية في مصر ،(د.ت) ص ٣٣٩.

(٩) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٥، والمقريزي، السلوك، ج٤ ق١ ص٥٣، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ص٣١٩، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٦٥.

من الذرة والغلال القادمة من بلاد سواكن واليمـــــن لغلاء وقع فيهما[١]، ولاسيما في سواكن، وسبب الغلاء أن الجراد أكل الزرع في اليمن والتى منها يحمـــل الذرة إلى سواكـــن فبلغ سعر غرارة الذرة في مكة ثلاثين ديناراً ذهبياً[٢].

وفي سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، استمر ارتفـاع الأسعار في مكة، فكانت غـــرارة القمح بتســعـة أفلوريات وزيادة، والذرة نحو ذلك، وامتد الغلاء إلى اليمن فبيعت غرارة الذرة بثلاثين منـــقالاً ذهبيّا، وصار أهل اليمن وسواكن يشترون الذرة من قرية تسمى قنونا[٣] بقرب حلى، ومنها تجلب إلى مكـــة[٤].

في عام ٨١٨هـ/١٤١٥م، بيعت كل ويبة ونصف بدينار[٥]، واستمر تذبذب الأسعار وعدم استقرارها في الأعوام التالية، فبلغت غرارة الذرة ثلاثة عشر أفرنتي عام ٨٢٠هـ/١٤١٧هـ، بمكة المشرفة[٦]، وفي عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م كان القحط شديداً على سكان الحرمين الشريفين وارتفعت الأسعار واشتد الغلاء في سائر المأكولات وعدمت الأقوات حتى إن بعض الناس أكلوا القطط والكلاب، وامتنع الناس من مغادرة منازلهم وهلك الفقراء والمساكين وبلغت غرارة القمح عشرين أفلوريّا وأكثر، والذرة مثل ذلك، وحمل الدقيق خمسة عشر أفلوريّات، والمد من السمن ستة أفلوري ونصف،

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٤٤٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٥١٠.

(٢) كانت الذرة من أهم حاصلات اليمن الزراعية في تلك الفترة، محمد عسيري، الحياة السياسية، ص٢٦٩.

(٣) قنونا: أو قنون بالفتح ونونين: واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن وهي تمتد بين جبال خثعم إلى القنفذة، الأزرقي، أخبار مكة، ج١ ص١٩١، وياقوت، معجم البلدان، ج٤ ص٤٠٩.

(٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٦، والبلادي، بين مكة واليمن، ص١٢٦.

(٥) الجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٩٩، وفي هذه السنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، انتشر بالديار المصرية منذ بداية شهر محرم الطاعون، وبدأت الأسعار في الارتفاع ويرجع ذلك إلى عدة أسباب بالاضافة إلى الوباء، ومنها نقص منسوب مياه النيل عن معدله وثانيها إتلاف الفئران للمحاصيل والغلال وثالثها ماأفسدته الجيوش السلطانية من المحصولات الزراعية في أثناء خروجها لردع الخارجين عن طاعة السلطان وإخماد الفتن التى حدثت في بعض أقاليم البلاد المصرية، ونتج عن كل هذه الأسباب مجتمعة ارتفاع الأثمان وقلة الغلال حيث بلغ إردب القمح أربعمائة درهم وإردب الشعير مايزيد على مائتين وخمسين درهماً، على الرغم من الجهود التي بذلها السلطان المؤيد شيخ للحد من ارتفاع الأسعار ومنها أنه ضبط التعامل بالنقود، وسك دنانير مؤيدية جديدة وعمل على تخفيض أســـعار الغلال بشراء الغلال وطرحها في الأسواق، المقريزي، السلوك، ج٤ ق١ ص٢٥٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٤٣، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ص٣٥٦.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٥٦١، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ص٤٠٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٠٠، وفي تلك السنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، وقف النيل عن الزيادة، وقلق الناس، وارتفع سعر القمح، المقريزي، السلوك، ج٤ ق١ ص ٣٤٤.

والحمص سبعة عشر أفلوريّا، والفول أربعة عشر أفلوريّا[١]. وفي عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، زادت حدة الغلاء، وانعدمت الأقوات في الأسواق، فبيعت ويبة الفول بأربعة عشر ديناراً، والحمص بسبعة عشر ديناراً والحنطة والدقيق بخمسة عشر ديناراً[٢]، وعندما رأى السلطان ططر الظاهري[٣] سنة ٨٢٤هـ/ ١٤١٢هـ، الأزمة الاقتصادية التى حلت بالحرمين، ألغى المكوس التى تفرض على الخضراوات والفواكه وعوض أمير مكة ألف أفلوري سنويّا ، وكتب ذلك على أسطوانة بالمسجد الحرام[٤].

وفي عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م، ارتفعت الأسعار فبيع حمل الدقيق بخمسة وثلاثين أفلوريّا، وبيعت ويبة الشعير بالأزلم بخمسين مؤيديّا [٥]، وإردب الشعير بألفين ومائة درهم[٦]، وفي سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، اشتد الغلاء بمكة على سائر الأطعمة[٧]، وفي عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، أصاب مكة قحط ووباء شديد، ومات بها

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٤٤١، المقريزي، السلوك، ج٤ ق١ ص٥٠٩، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٥٦٧، الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ص٤٥٣، والجزيري، درر الفوائد ج١ ص٧٠٣، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٤٠، وفي هذه السنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م، فشا الطاعون في البلاد المصرية، وأخذت الأمراض تتزايد وكثرت الوفيات، المقريزي، السلوك، ج٤ ق١ ص٤٨٦.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص٥٢، وفي حوادث سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م: توقف ماء النيل عن الزيادة في النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة، مما أدى إلى اضطراب الأحوال الاقتصادية وارتفاع أسعار الغلال والمأكولات، فنودي أن يصوم أهل مصر ثلاثة أيام من أجل تطهير النفوس، والخروج للصحراء لتأدية صلاة الاستسقاء، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٨٠، والمقريزي، السلوك، ج٢ ق١ ص٥٣٢، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ص٤٧٦.

(٣) **السلطان الظاهر ططر:** هو الملك الظاهر سيف الدين أبوالفتح ططر، تسلطن بدمشق في التاسع عشر من شعبان سنة ٨٢٤هـ، ومات في الرابع من ذي الحجة منها، فمدته ثلاثة شهور ويومان، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١ ص٣٦٣، والنجوم الزاهرة، ج١٤ ص ٢٠٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤ ص٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص٧٥، وابن حجر، إنباء الغمر ، ج٣ ص٢٥، وذكر أنه مات يوم الأحد الخامس من ذي الحجة سنة ٨٢٤هـ.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى،ج٣ ص٥٨١، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص٧٥، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٠٥، والنهـــــروالي، الإعلام، ص٢٠٥،وقد ذكر النهروالي أن هذه الأحداث كانت سنة٨٣٤هـ وأن السلطان عوض أمير مكة بألف دينار ذهبا،وقد يكون المؤلف قد التبس عليه الأمر في تاريخ السنة، لأن السلطان الظاهر ططر ولي الحكم مدة ثلاثة شهور ويومين في سنة ٨٢٤هـ، وفي هذه السنة في البلاد المصرية، زاد النيل زيادة مفرطة، فحصل للناس ضرر عظيم، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٩٨.

(٥) **الدرهم المؤيدي**، منسوب إلى المؤيد سيف الدين أبي النصر شيخ المحمودي ٨١٥هـ-٨٢٤هـ، سامح عبدالرحمن فهمي، الوحدات النقدية، ص١١٨.

(٦) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٥٥٨، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٠٥، وفي عام ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م، تفشى الوباء بالقاهرة والوجه البحري، هذا بالإضافة إلى ارتفاع منسوب مياه النيل واستمرت الزيادة إلى نصف هاتور، ولم يهبط وحصل منه غاية الضرر للمزارعين، وتأخر الزرع عن أوانه واستمرت الأمراض والأوبئة فاشية بين الناس طيلة أعوام (٨٢٦و ٨٢٧ و ٨٢٨هـ/ ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥م)، المقريزي، السلوك، ج٤ ق٢ ص٩٢٦، ٦٦٧، ٦٨٩، والصيرفي، نزهة النفوس، ج٣ ص٢٥-٢٦.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص١٣، وفي عام ٨٣١هـ أصيبت الديار المصرية برياح حارة أفسدت جميع المحاصيل مماأدى إلى قلة محصول القمح والشعير وأدى إلى رفع سعرهما، كما عاودت الهبوب في السنة التالية، مما أدى إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية بمصر وتأثيرها على الأوضاع الاقتصادية بالمدينتين المقدستين، كما أن سياسة الاحتكار التى اتبعها السلطان برسباى ٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧ م، وأمراء دولته أثرت كثيراً على أثمان المبيعات بالأسواق، ففي عام ٨٣٢هـ أصدر مرسوماً بألا يباع السكر إلا للسلطان كما أنه احتكر بيع الغلال واقتصر البيع على المتجر السلطاني، ولم تقف سياسة برسباى الاحتكارية عند هذا الحد، بل وصل إلى درجة أنه انتهز فرصة رخص الأسعار عام ٨٣٥هـ، وأصدر أمراً سلطانيا بألا يبيع أحد غلالاً إلا للسلطان وقام بتخزينها، ثم قام ببيعها بعد ذلك بسعر كبير، الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣ ص١٥٥-٢٣٩، والمقريزي، السلوك، ج٤ ق٢ ص٧٠٩، وابن خلدون، المقدمة ص٢٨١-٣٩٧.

خمسون شخصاً في اليوم الواحد، وارتفعت الأسعار على سائر المأكولات[١]، وفي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م أخذت الأسعار في الاضطراب والتذبذب، فبيع الدقيق في أول النهار بسبعة دنانير عندما وصلت الأخبار بوصول ركب الحجاج إلى بندر ينبع، وفي الظهر ارتفع إلى اثني عشر ديناراً، وفي العصر وصل إلى عشرة دنانير، ثم جاءت الأخبار بوصول مراكب تجارية إلى ميناء جدة فاستقرت الأسعار[٢]، وفي عام ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م زادت أسعار المأكولات والغلال، فبيع الدقيق بستة أفلوريات، والدخن بسبعة أفلوريات ونصف، والحنطة بثمانية، واللحم بأربعة، والسمن بخمسة[٣]. وفي عام ٨٦٣هـ/١٤٥٨م ارتفعت الأسعار بمكة فبيعت غرارة الحنطة بسبعة ونصف أشرفية، وكذلك الذرة والدخن، وبلغ مَنَا السمن ثلاثة أشرفية [٤]، وفي سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م أصاب مكة وباء مات على إثره جماعة من أهل مكة والغرباء، كما أصاب جدة طاعون مات به جماعة كثيرة[٥].

وفي عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، وقع غلاء بمكة فارتفعت الأسعار بشكل كبير، وقلت الأقوات، فبيعت غرارة القمح الزيلعية بأربعة عشر أشرفيا، وغرارة الذرة والدخن بتسعة أشرفية، وبيع حمل الدقيق بثمانية عشر أشرفيّا، هذا بالإضافة إلى أن الجراد قضى على الزرع والنخيل التي في نواحي مكة حتى إن الجراد أكل طلع النخيل[٦]، وفي عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩، دخل الحجاج القاهرة، وأخبروا بشدة ارتفاع الأسعار والغلاء على سائر الأطعمة بمكة[٧]. وفي سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م، كان الغلاء بمكة شديداً[٨]، ودخل ركب الحجاج القاهرة مخبرين عن الشدة والعناء والعطش الذي قاسوه بسبب قلة الماء وغلاء الأسعار بمكة[٩]، وفي سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، حصل بمكة غلاء، بحيث بيعت كل أربعة أرطال من اللحم بمحلق[١٠] والمن من السمن بعشرين محلقاً[١١].

وفي عام ٨٩٩هـ/١٤٩٣م، ارتفعت الأسعار وعم الغلاء سائر المأكولات، وحصل الموت من شدة الجوع ، كما صاحب ذلك ماقام به الأمير قانصوه ومعه خمسمائة أمير في الركب من سوء معاملة للحجاج

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٢٢.

(٢) السخاوي، البئر المسبوك، ص١٨، ١٩، وفي هذه السنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، زاد النيل زيادة مفرطة فغرقت الأراضي الزراعية وحصل الضرر، المقريزي، السلوك، ج٤ ق٣ ص١٠٩٨، ١١٠٩.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص١٦٧، والسخاوي، التبر المسبوك، ص٧٤؛ وفي أواخر هذه السنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م، أصيبت الديار المصرية بالطاعون، السخاوي، التبر المسبوك، ص٨٧، ومما يجدر ذكره أن المؤرخ أحمد بن حجر العسقلاني أصيب بالطاعون في عام ٨٤٨هـ أشار إلى ذلك تلميذه السخاوي.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٣٩٦، والجزيري، درر الفوائد، ج٢ ص٣٣٣ وفي عام ٨٦٣هـ، حصلت اضطرابات في الديار المصرية مما أدى إلى ارتفاع أسعار المأكولات والغلال، فقد عاث المماليك الجلبان فساداً في أنحاء الديار المصرية، على الرغم من إصدار الأشرف إينال العلائي ٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦٠م، أوامره للمماليك الجلبان بعدم التعرض للأهالي، هذا إلى وباء الطاعون الذي تفشى في هذا العام والعام الذي يليه، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦ ص٩٨.

(٥) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٦١٢، والجزيري، درر الفوائد، ج٢ ص٣٣٨، وفي سنة ٨٨٢هـ زاد منسوب مياه النيل، فغرقت الأراضي الزراعية في الحسينية وغيرها، وعم الضرر، بالإضافة إلى الطاعون الذي أصاب الديار المصرية في عام ٨٨١هـ، واستمر إلى بداية سنة ٨٨٢هـ، كما انتشر الوباء في بلاد الحجاز، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص١٦٩، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦ ص٣١٦ .

(٦) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص ٦٣٩.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٦٤٤، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣ ص١٤٤.

(٨) وقد ذكر الجزيري أن في تلك السنة ٨٩١هـ كان الغلاء بمكة والديار المصرية شديداً، درر الفوائد، ج١ ص٧٥٧.

(٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣ ص٢٢٥.

(١٠) المحلق: وجمعه محلقات وهو في اصطلاح بعض العامة الدراهم والدنانير، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٦٣٩، حاشية ( ).

(١١) الجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٦٣، وفي عام ٨٩٦هـ-٨٩٧م، أصيبت الديار المصرية بالطاعون وصاحب انتشاره انتشار الغلاء حتى بيعت الكمثرى كل رطل بأشرفيين ولاتوجد، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص٢٧٤، وابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١ ص١٤٦.

وأخذ جمالهم ونزلت جماعة منهم منقطعين ببندر الينبوع[١]، في عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، كان الغلاء وإرتفاع الأسعار بمكة في جميع البضائع حتى عدمت بعض الغلال ونفقت من الأسواق[٢].

أما مايخص المدينة النبوية فإن مصادرها التاريخية عامة ومصادر العصر المملوكي خاصة، لم يرد بها إلا أمثلة قليلة ومتقطعة لما تعرضت له المدينة في هذا العصر من أزمات اقتصادية وغلاء في الأسعار، وربما يرجع ذلك إلى ما تتمتع به المدينة من طبيعة جغرافية قد توافرت فيها المياه الجوفية في بعض الآبار والعيون ، بالإضافة إلى تربتها الزراعية، مما ساعد في التخفيف من أعباء الحياة بها، وغالباً ما كانت المشاكل بالمدينة النبوية تحتدم بسبب الصراع بين أشراف المدينة على الحكم، وفرضهم المكوس على السلع الاستهلاكية فيؤدي ذلك إلى شح الأقوات وارتفاع الأسعار، كما أن انقطاع وصول الصدقات والأعطيات كان من أسباب حدوث الأزمات، بالإضافة إلى عدم سقوط المطر الذي يؤدي إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية، وبالتالي إلى نضوب الآبار، وما ينتج عن ذلك من تلف المحاصيل الزراعية.

ومن الأزمات التي عانى منها أهالي المدينة النبوية ماحدث سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، فقد احتبست الأمطار وشحت الأقوات، وهبت ريح مؤذية فارتفعت أسعار المأكولات والغلال ارتفاعاً شديداً، حتى بلغت غرارة القمح ألف درهم و غرارة الشعير سبعمائة درهم[٣]، وفي عام ٧٠١هـ/١٣٠١م، وقع بالمدينة زلزال شديد أعقبته حالة من الاضطراب فارتفعت أسعار المأكولات والغلال[٤]، وفي سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، فرض أمير المدينة منصور بن حجاز[٥]، المكوس على البضائع القادمة إلى المدينة فزادت الأسعار وقلت الأقوات وأصبح غالب عيش أهل المدينة من زرعها، وزرع السويرقية[٦]، وكانت العقوبة تفرض على من يشتري أو يبيع دون دفع المكس المخصص، فتضرر الناس وشكوا الأمر إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، عندما حج عام ٧١٢هـ/١٣١٢م، فأبطل المكوس، وعوض أمير المدينة بإقطاعات في مصر والشام، وجعلها وقفاً يخصص ريعها لأمير المدينة[٧].

وفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م، نزلت أمطار غزيرة على المدينة، فاضت على أثرها الأودية، فدخلت البيوت وحملت الماشية، وتضررت المزارع ناحية جبل أحد وجبل عينين[٨]، ومكث الماء أربعة أشهر لا يصل الناس إلى هناك إلا بمشقة كبيرة، وفي السنة التالية انتشر وباء (الخناق) فمات بسببه خلق كثير، مما أدى إلى

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص٢٨٥، وفي سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م توقف ماء النيل عن الزيادة مماأدى إلى اضطراب الناس وتكالبهم على شراء القمح والشعير وغير ذلك من الغلال، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار بالديار المصرية، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص٢٨٤.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤ ص٤٣٣، وفي سنة ٩٢٠هـ انتشر الطاعون بالديار المصرية مما صاحبه ارتفاع لأسعار الغلال، وفي نهاية العام عندما رفع الله الضر والوباء عن الناس أصدر السلطان الأشرف قانصوه الغوري أوامره بفرض بعض المكوس على التجار والحرفيين، واحتكار بعض السلع التجارية، فشق على الناس ذلك، ابن اياس، المصدر السابق، ج٤ ص٤٤٥. هذا بالإضافة إلى أن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي جاء إيذاناً بضياع أهمية مصر بوصفها المهيمنة على طرق التجارة إلى الشرق وأفقدها مركزها التجاري مما أدى إلى تدهورها اقتصادياً.

(٣) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٣ ص١٤٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ ص٩٥٤.

(٥) **منصور بن حجاز بن شيحة** ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، الحسيني، أمير المدينة من سنة ٧٠٠هـ -٧٢٥هـ ومات مقتولاً سنة ٧٢٥هـ، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤ ص١٩٥، والعقد الثمين، ج٣ ص٤٣٧.

(٦) السويرقية: بالتصغير هي قرية زراعية كانت لبني سليم بين مكة والمدينة ويزرع فيها الحنطة والشعير، العباسي، عمدة الأخبار، ص ٣٧٨

(٧) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣ ص٧٠٩، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٦٥، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٧٧.

(٨) **جبل عينين**: أو عينان تثنية العين. اسم الجبل الذي كان عليه الرماة يوم أحد، ويقال اسم جبلين عند أحد، العباسي، عمدة الأخبار، ص ٣٧٨.

اضطراب الأحوال الاقتصادية بالمدينة[١]. وفي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م وسنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، ارتفعت أسعار الغلال والمأكولات بالمدينة بسبب المكوس التي فرضها أميرها على التاجر والمستهلك فتضرر الناس فأسقط السلطان الكامل شعبان[٢]، المكوس وعوض أمير المدينة بدلاً عنها بعض الأموال، وبذلك رخصت الأسعار وتوافرت الأطعمة[٣].

وفي عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م، شحت الأمطار، وأصيب الحجاز بصفة عامة بقحط شديد مماأدى إلى زيادة الأسعار وشح الأقوات والغلال، فبيعت غرارة الدقيق بأربعمائة درهم وويبة الشعير بأربعين درهماً، ومات الكثيرون من أهالي الحرمين جوعاً[٤]، وفي السنة التالية وصلت عطايا وصدقات السلطان برقوق من القمح، وصار يخبز ثمانية آلاف رغيف يوميّا وتوزع على أهالي المدينة والمجاورين والمنقطعين والفقراء، كما وُزّع على الأهالي من ذوي الحاجات ألف وخمسمائة إردب من القمح فانفرجت الغمة وانخفضت الأسعار[٥]، وفي عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م ارتفعت أسعار المأكولات والغلال بالمدينة فبلغت ويبة القمح ثمانية عشر درهماً، وويبة الشعير خمسة عشر درهماً، وويبة الدقيق ثمانية عشر درهماً[٦].

وعلى الرغم من معاناة أهالي المدينتين المقدستين بسبب هذه الأزمات الاقتصادية، فقد خفف من آثارها اهتمام سلاطين المماليك وغيرهم من الملوك والأمراء والأعيان، بسكان مكة والمدينة، والقادمين إليهما ، وتظهر تلك العناية فيما وقفوه وأنفقوه، وخاصة في سنوات الجفاف التى تشح فيها الأقوات ويعم فيها الغلاء .

ففي عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، أرسل السلطان الظاهر بيبرس الأموال والصدقات لأهالي المدينة النبوية، بصحبة علم الدين غازي اليغموري، وكانت مهمته استطلاع أحوال المسجد النبوي ومايحتاج إليه من مواد وغيرها للقيام بالاصلاحات والترميمات مما أصابه في الحريق عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢ ق٣ ص٣٧٤، والفيروزبادي، المغانم المطابة، ص٢٧٧.

(٢) **الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون** الملك الكامل سيف الدين أبوالفتح، ابن الناصر تسلطن يوم موت أخيه الصالح سنة ٧٤٦هـ، وخلع سنة ٧٤٧هـ، المقريزي، السلوك، ج٢ ق٣ ص٧١٣، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠ ص١٤٠.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢ ص٧١٣؛وجمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص١٢٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ ص٤٦٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٣٣٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٦٩.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢ ص١٠٩.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣ ص١٧٣.

(٧) المقريزي، السلوك، ج١ ق٢ ص٤٤٥، ومحمد هزاع الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، لم تنشر، ١٤٠٢هـ، ص٢٢٤، وفي هذه السنة في شوال ٦٥٩هـ، وصل الملك المظفر يوسف بن منصور بن عمر بن علي بن رسول إلى مكة حاجّا وقد سلك طريق الساحل ومراكبه المحملة بالغلال والعطايا والهبات تسايره في البحر، وفرق صدقاته وأعطياته التي شملت الفقير والغني، الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١ ص١٣٤، والمقريزي، الذهب المسبوك، ص٨٤، والسلوك، ج١ ق٢ ص٥٦٣، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٥ ص٣١.

وفي سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م، وصلت إلى المدينة النبوية الهدايا والأعطيات وكسوة الحجرة النبوية والشموع والبخور والزيت والطيب، بصحبة الطواشي جمال الدين محسن الصالحي[١].

وفي عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م حج الأمير عز الدين أيدمر[٢]، الموفد من قبل السلطان الظاهر بيبرس، ومعه الكثير من الصدقات والغلال، وزعت على أهالي مكة ومجاوريها وفقرائها، تخفيفاً عن الأهالي من حدة الغلاء الذي عانت منه الأسواق في مكة[٣]، وفي حجة السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، زار المدينة النبوية وتصدق على الفقراء والمساكين، وعمّت أعطياته أهالى المدينتين المقدستين[٤]، كما أحسن إلى أميري مكة الشريف أبي نمي، وعمه إدريس بن قتادة، وتصدق على أهل مكة بالكثير من الأموال والأكسية، وأعطي خواصه جملة من الأموال لتفرق سرّا على كل مترل، وأعطي أمير ينبع، وأمير خليص من كبار وأشراف الحجاز الشيء الكثير، كما أمد أميري مكة بالأموال والغلال في كل سنة شريطة توفير الراحة للحجاج[٥]، كما تصدق على أهل المدينة، وأمر بعمل منبر مسقف بالذهب، ودار بزين حول القبر الشريف[٦].

وفي عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م، بعث الشريف أبو نمي أمير مكة وفداً إلى القاهرة مصحوباً بعدد من الأشراف، وزعماء الحجاز يرافقهم ابنه واستقبلهم السلطان المنصور قلاوون، وأكرمهم وأغدق عليهم الهبات والعطايا، كما أجرى ماكان موقوفاً من أوقافهم، وأرسل معهم الكثير من الصدقات والأموال لأهالي الحرمين الشريفين، والمجاورين، والعلماء والقضاة ومشايخ الربط والوزايا[٧].

وفي عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م وصلت إلى مكة مائة جمل من جمال السبيل من قبل السلطان المنصور قلاوون، وكان أمير الركب سيف الدين بلبان الحبشي، ووصلت معه تشاريف لأمراء الحرمين.

وفي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م توجه الركب المصرى إلى الحجاز بقيادة بدر الدين بكتوت العلائي[٨] من قبل سلطان مصر الأشرف خليل بن المنصور قلاوون[٩] الذي أحسن إلى أهالي المدينتين المقدستين[١٠]،

---

(١) المقريزي، السلوك ج١ ق٢ ص٤٤٥.

(٢) عزالدين أيدمر الحلبي الصالحي اللخمي توفي سنة٦٦٧هـ،ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١ ص١٦٧.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٩٠، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٠١، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٢٣.

(٤) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٣٥٦، وقد فرّ أميرا المدينة جماز ومالك من بين يديه وهربا، وفي العام نفسه أعطي السلطان ، الطواشي جمال الدين محسن الصالحى شيخ خدام المسجد النبوي، مائتي ألف درهم عندما قدم عليه بمصر، القرماني، أخبار الدول، ص ١٩٩، وابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٣٥٦-٣٥٧، والمقريزي، السلوك، ج١ ق٢ ص٥٨١، والذهب المسبوك، ص٤٠.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٠، والمقريزي، السلوك، ج١ ق٢ ص٥٨٢، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٩٦، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٢.

(٦) القرماني، أخبار الدول، ص ١٩٩ .

(٧) ابن الفرات، تاريخه، ج٧ ص٢٥٢.

(٨) بدرالدين بكتوت العلائي المنصوري ولي نيابة دمشق، وتوفي سنة ٦٩٣هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١ ص١٩٦.

(٩) الأشرف خليل بن المنصور قلاوون: هو الملك الأشرف صلاح الدين أبوالفتح، تسلطن سنة ٦٨٩هـ ومات مقتولاً في عاشوراء سنة ٦٩٣هـ، ابن دقمان، الجوهر الثمين، ج٢ ص١٠٥، والمقريزي، السلوك، ج١ ق٢ ص٧٥٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ ص٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ص٣٣٧.

(١٠) ابن عبدالظاهر، الألطاف الخفية، ص ٥٣ .

وفي سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، حج ولد صاحب مصر المجاهد أنس بن العادل كتبغا[١] في موكب عظيم من الأمراء وكبار رجال الدولة، وأنفق الأموال والأعطيات، وخلع على الأمراء العطايا ، كما أعطى أمير مكة ألف دينار، وأولاده خمسمائة دينار ، وفرق الصدقات على أهالي المدينتين المقدستين ومجاوريهما[٢].

وفي سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، تولى إمرة الحج المصري الأمير بكتمر الجوكندار الذي أنفق في حجته ثمانين ألف دينار، بالإضافة إلى المراكب المشحونة بالغلال، والأطعمة، والحبوب، والأعسال، والحلويات وغير ذلك، وقد شملت عطاياه أهالى الحرمين وينبع وجـــدة والحاج الشامي[٣]، وفي عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، حج الأمير سلار[٤] نائب السلطنة بالديار المصرية، وبصحبته ثلاثون أميراً وفرق على أهالي الحرمين والمجاورين والفقراء المنقطعين المؤن والغلال فشملت عطاياه الجميع وعم بها النفع[٥]، وفي حجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأولى سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، والثانية ٧١٩هـ/١٣١٩ م عمت أعطياته أهالي الحرمين، فتصدق بعشرين ألف دينار بمكة ومثلها بالمدينة[٦] وأحسن إلى المجاورين المنقطعين، هذا بالإضافة إلى عدد من السفن المحملة بالحبوب والغلال وصلت إلى بندر ينبع وميناء جدة [٧]، ووزعت حمولتها على أهالي المدينتين[٨] وكانت صدقاته في حجته الثالثة عام ٧٣٢هـ/١٣٣١م قد وسعت أهالي الحرمين، وأعطياته شملت أمير مكة الشريف رميثة، فقد خصه بخمسة ألاف دينار ولزوجته

---

(١) **أنس بن العادل كتبغا المنصوري:** يدعى أنص أو أنس ويلقب بالمجاهد، وأراد الأمراء سلطنته بعد أبيه، توفي سنة ٧٢٣هـ بسهم أصابه على غرة، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١ ص٤٤٥.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ ص٥٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٢٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦١١-٦١٢، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٢٧، وفي العام نفسه ٦٩٤هـ، حجت عمة صاحب ماردين الملك السعيد شمس الدين داود، وكانت لها صدقات ومبرات انتفع بها الحجاج وأهالي الحرمين الشريفين وأمراؤهما، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ ص٩١٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٣٢، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٩١٤، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٢٨، وفي سنة ٦٩٦هـ توجه المحمل اليمنى من قبل الملك المؤيد داود إلى مكة وشملت عطاياه أهالي الحرمين ومجاوريهما وأمرائهما، إتحاف الورى، ج٣، وفي سنة ٦٩٧هـ، حج الخليفة العباسي ثاني خلفاء بني العباس بمصر أبوالعباس أحمد (ت سنة ٧٠١هـ)، وقد أعطاه السلطان لاجين سلطان الديار المصرية سبعمائة ألف درهم تصدق منها وأطعم الحجاج وشملت نفقاته أهالي الحرمين ومجاوريهما والمنقطعين بهما، الفاسي، العقد الثمين، ج١ص١٩٣، وشفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٢، والمقريـــزي، الذهب المسبوك، ص٥٩-٦٠، وابن فهد ،

= إتحاف الورى، ج٣ ص١٣٠، وفي العام نفسه ٦٩٧هـ، حج أمير العرب مهنا بن عيسى أمير آل فضل، ولد سنة ٦٥٠هـ، وتوفي سنة ٧٣٥هـ، وشملت عطاياه وصدقاته أهالي الحرمين الشريفين، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٣٨، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥ ص١٣٨، وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢ ص٧٤٧ .

(٤) **الأمير سلار بن عبدالله المنصوري،** نائب السلطنة بالديار المصرية في عهد بيبرس الجاشنكير، قتل في السجن في جمادى الأولى سنة ٧١٠ هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١ ص١٣٥.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٢، والمقريزي، السلوك، ج١ ق١ ص٥، ج٣ ق١ ص٩٥٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩ ص٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٤٠، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٢٩، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦١٧.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام،ج٢ ص٢٢٤، والمقريزي، الذهب المسبوك، ص١٠٣-١٠٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٩، ص٦٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٦٤، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١ ص٤٤٣.

(٧) المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٠١.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١ ص٤٠٥.

خمسمائة دينار، خلاف ماأنعم به على أولاده وبناته[١]، وقد حرص السلطان الناصر قلاوون على أن يخفف عن أهالي المدينة النبوية وطأة الأزمة الاقتصادية التي عانت منها البلاد سنة (٧٢٠-٧٢٣هـ/ ١٣٢٠- ١٣٢٣م) فأسقط المكوس على المأكولات[٢].

وفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م، حج الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى، نائب السلطنة بالقاهرة، وعمت صدقاته مكة والمدينة[٣]، وفي سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م حجت خوند طغاي جارية الملك الناصر وأم ولده أنوك، وقامت بتوزيع الخلع على جبل عرفات، وفرقت ثلاثة آلاف دينار ذهباً على الفقراء والمساكين[٤].

وخلال الأزمـــــة الاقتصادية التى عانى منها أهالى مكة المشرفة سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م سافر الشريف عطيفة بن أبي نمي إلى مصر شاكياً غلاء الأسعار، وقلة الطعام، فأرسل معه الملك الناصر محمد بن قلاوون، ألفي إردب، كما أمده نائب السلطنة بألف إردب أخرى، وأمر بتخفيف المكوس على الطعام، وعوض أمير مكة بثلثى قرية دمامين بصعيد مصر[٥]. وفي سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، حج الأمير سيف الدين يشبك[٦]، وقام بالكثير من أعمال الخير والبر، ووزع مبالغ تقدر بثلاثين ألف دينار، وأربعمائة ألف درهم، غير المراكب المشحونة بالغلال، على أهالي الحرمين ومجاوريهما وفقرائهما[٧].

وفي عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، كان بمكة غلاء شديد وارتفعت أسعار المأكولات، وقلت الأقوات، فما كان من الأمير يلبغا الخاصكى[٨] مدبر الدولة بمصر إلا أن أسرع بارسال الغلال للحد من تفاقم الأزمة الاقتصادية فأرسل في البداية حوالي ألفي إردب من القمح ثم قام بعد ذلك بإرسال السفن المحملة بالغلال إلى مكة وعليها اثنا

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢ ق٢ ص٣٦٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١ ص٤٦٢، وقد أشار ابن بطوطة إلى مبرات الملك الناصر محمد بن قلاوون في حجته الثالثة والتى شملت أهالي الحرمين والمجاورين بهما، أحمد هاشم البدرشيني، مكة المكرمة والمدينة المنورة في رحلة ابن بطوطة، دراسة تاريخية وحضارية مقارنة في القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١٣١.

(٢) العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٧٢٢هـ، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ حوادث سنة ٧٢٠هـ-٧٢٣هـ.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٣٢، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٢٢.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٧٣، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١ ص٤٥٢.

(٥) ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج٢ ص١٢٥، والفاسي، العقد الثمين، ج٦ ص٩٣، وشفاء الغرام، ج٢ ص٢٤٤، المقريزي، السلوك، ج٢ ق١ ص٢٣٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٧٥، والجزيري،دررالفوائد،ج١ ص٦٢٧، وحياة الحجي،السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف، ص٤٠.

(٦) **يشبك بن عبدالله الناصري**، توفي مقتولاً سنة ٧٤٢هـ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩ ص٧٤.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢ ق٢ ص٤٧٢، وابن الوردى، تتمة المختصر، ج٢ ص٤٦٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٤٣، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٣٤-١٣٥، وفي سنة ٧٤٢هـ حج الملك المجاهد علي بن داود يوسف بن علي بن رسول (٧٢١هـ-٧٦٤هـ) وعمت صدقاته ومبراته أهالي المدينتين المقدستين، الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢ ص٦٩، والفاسي، العقد الثمين ، ج٦ ص ١٦٩، وابـــن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٢٠١، وابن الديبع، قرة العيون، ج٢ ص٨٥ .

(٨) **يلبغا العمري الخاصكى الأتابكى**: استاذ الملك الظاهر برقوق وأصله من مماليك الناصر حسن، هو الذي قتل أستاذه، فقتله مماليكه يوم الأحد من ربيع الأول سنة ٧٦٨هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢ ص٧٩٣.

عشر ألف إردب قمح فرقت على الناس، فعم بها النفع وانخفضت الأسعار[١]، وفي سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م، جهز الأمير جركس الخليلي[٢]، الكثير من القمح إلى مكة المشرفة، ليعمل كل يوم خبزاً، حوالي خمسمائة رغيف، وتفرق على الفقراء والمساكين بمكة ومثلها بالمدينة[٣]. وفي عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، حج بالناس آقبغا الماردياني[٤]، وشملت عطاياه أهالي الحرمين[٥].

وفي سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، وبسبب الأزمة الاقتصادية وقلة الأقوات وارتفاع الأسعار اضطربت الأحوال بمكة، فما كان من السلطان برقوق إلا أن أرسل إلى مكة الكثير من الحنطة ورسم بإرسال ثلاثة آلاف إردب قمح تفرق على أهل الحرمين[٦]. والعام التالى ٧٩٤هـ/١٣٩١م، رسم السلطان الظاهر برقوق لأمير مكة الشريف علي بن عجلان بأربعين فرساً خاصّا، وبعشرة مماليك، وثلاثة آلاف إردب من القمح، وألف إردب من الشعير، وألف إردب من الفول، وأمر أن ترسل هذه الأعطيات بصحبة مائة فارس من الأتراك إلى مكة[٧]، ومن مبرات السلطان برقوق توفير سحابة تحمل الماء لإرواء العطشى من الحجاج والمنقطعين في كل مكان ترحل فيه القافلة، ووقف عليها ناحية بهتيت[٨]، يصرف من ريع ذلك الوقف على مصالح هذه السحابة تجهيزاً وإعداداً للمياه والجمال والشقادف، وأكفاناً لمن يتوفى بالطريق من غير القادرين، بالإضافة إلى توفير الماء والزاد ذهاباً وإياباً[٩]، وقد أكثر السلطان الظاهر برقوق من مبراته وصدقاته وأعطياته على أهالي الحرمين إذ أرسل سنويّا ثلاثة آلاف إردب من القمح إلى مكة والمدينة، للتخفيف عن أهاليهما من شظف العيش[١٠].

وفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، أمر الأمير شيخ المحمودى، وهو الذى أصبح سلطان مصر فيما بعد، وذلك سنة ٨١٥هـ-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م، بصرف مائتي قميص وألفي درهم فضة توزع على فقراء المدينتين المقدستين[١١].

---

(١) الفاسي شفاء الغرام، ج٢ ص٢٧٤، والعقد الثمين، ج١ ص٢٠٩، والمقريزي، السلوك، ج٣ ق١ ص٩٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٣٠٢، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص١٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٦٦.

(٢) جركس بن عبدالله الخليلي، تركماني الأصل، من مماليك يلبغا الخاصكي، توفي سنة ٧٩١هـ، ابن حجر، إنباء الغمر، ج١ ص ٣٨٥.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٣٤٨، وابن إياس ، بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص٣٦٦، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٧١.

(٤) أقبغا بن عبدالله الماردياني، نائب الوجه القبلى وأحد مقدمي الألوف بالقاهرة، قتل سنة ٧٩٣هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١ ص١٣٨

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢ ص ١٠٩ .

(٦) الجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٧٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١١٠.

(٧) الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٣٤٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢ ص٥٣١، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٦٧٩

(٨) بهتيت: قرية من قرى الجزية القديمة بمصر، المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ ص٩٤٤، حاشية (١).

(٩) المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ ص٩٤٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢ ص١٠٩.

(١٠) الفاسي، العقد الثمين، ج٣ ص٣٦٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٩. وفي سنة ٨٠٥هـ، حجت جميلة الموصلية ابنة ناصر الدولة، وقد شملت صدقاتها الحجاج والمقيمين وتصدقت على أهل مكة بعشرين ألف دينار، السنجارى، منائح الكرم، ج٢ ص٢٣٦.

(١١) المقريزي، السلوك، ج٤ ق١ ص٥، وفي سنة ٨٠٩هـ، أرسل السلطان غياث الدين صاحب بنجالة، توفي سنة ٨١٥هـ، صدقة عظيمة لأهل الحرمين عم بها الجميع، كما جعل للناس خياماً يستظلون بها يوم الجمعة في أثناء الصلاة بمكة، الفاسي، العقد الثمين، ج٤ ، ص١٠٥، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٤٥٢، والنهروالي، الإعلام ، ص١٩٨. وفي سنة ٨١٣هـ، حج صاحب كلوة الملك المنصور حسن بن سليمان (٧٩٣-٨١٥هـ/١٣٨٩-١٤١٢م) وكلوة على الطرف الشمالي الغربي لجزيرة تقع أمام الساحل

=

وفي سنة ٨١٧-٨١٨هـ/ ١٤١٤-١٤١٥م، أرسل السلطان المؤيد شيخ الكثير من المبرات ممثلة في أموال وغلال لتوزيعها على أهالي المدينتين المقدستين[١]، وفي عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، حج بدرالدين الأقصرائي[٢] وفرق صدقة السلطان المؤيد شيخ من القمصان على الفقهاء والأئمة والقضاة بمكة، والنصف الثاني على الفقراء والأرامل وذوى الحاجات[٣].

وفي عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، بعث السلطان الأشرف برسباى، مركباً فيه قمح وكلف الأمير أقبغا التركماني[٤] بتوزيعه على أهالي المدينتين المقدستين، وبدأ بتوزيع القمح بالمدينة وفرق خمسمائة إردب على القضاة، والعلماء، والفقهاء، والخدام، والأيتام، والأرامل، وذوى الحاجات بالأربطة، كما وزع مثلها بمكة[٥]، وفي العام نفسه أرسل السلطان الأشرف برسباى مع أمير المحمل قراسنقر[٦] وأمير الأول إينال الششماني[٧] عشرة آلاف أفلوري لتعمير عين حنين بخمسة آلاف ، ويتصدق بالخمسة الأخرى على أهل الحرمين[٨].

وفي عام ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، حجت زوجة السلطان الملك الأشرف وقد عمت صدقاتها أهالي الحرمين[٩]، وفي سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م، وصل ركب الرجبية من الديار المصرية ومعهم سبعمائة جمل إلى مكة محملة بالغلال والأطعمة والحلويات، فرقت على الفقراء والمنقطعين[١٠]. وفي عام ٨٥٠هـ/

الشرقي لأفريقية وتقع على بعد نحو ٢٤٠كيلو متراً إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا، وقد أحسن الملك المنصور، إلى أهالي مكة والمدينة ، الفاسى، شفاء الغرام، ج٢ ص٢٥٤، والزهور المقتطفة، ص١٣٨، والعقد الثمين، ج١ ص١٩٩.

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٣ ص٣٨٣، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٥٢١-٥٢٩.

(٢) **بدرالدين الأقصرائى:** هو محمود بن محمد البدر بن الشمس الأقصرائي ، ولد سنة ٧٩٠هـ، توفي سنة ٨٢٥هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠ ص١٤٣.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٥٧٤، وفي سنة ٨٢٤هـ، أرسل السلطان العثماني مراد الثاني لفقراء الحرمين مبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار لتفرق عليهم، زيني دحلان، خلاصة الكلام ص٧٧، والسباعي، تاريخ مكة، ج٢ ص٣٤٣.

(٤) **أقبغا التركماني:** الناصري فرج، تولى عدة مناصب منها أمير عشرة وتولى إمرة الحج ثم نيابة الكرك في عهد السلطان الأشرف برسباى، توفي سنة ٨٤٣هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢ ص٣١٦.

(٥) ابن فهد، إتحاف الورى،ج٣ ص٦٣٤،وفي سنة٨٣١هـ،وصلت أعطيات ملوك كريجة من آل بهمان لأهالي الحرمين،ومال يشترى به بساتين توقف على أشراف المدينة، الجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧١٧.

(٦) **قراسنقر بن عبدالله بن عبدالرحمن الظاهري** برقوق، من أمراء الطبلخانات بالقاهرة، توفي سنة ٨٣٩هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢ ص٥٣٩.

(٧) **إينال بن عبدالله الششماني الناصري فرج**، راس نوبة النواب ثم نيابة صفد، توفي بدمشق سنة ٨٥١هـ، ابن تغري بردي، الدليل الشافعي، ج١ ص١٧٥.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٤ ق٢ ص٧٨١، وابن حجر، إنباء الغمر ، ج٣ ص٤٠٤، والصيرفي، نزهة الأبدان، ج٣ ص١٣٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٧، والنهروالى، الإعلام، ص٢١٢.

(٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٣٥٤.

(١٠) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص١٦٤، والجزيرى، درر الفوائد، ج١ ص٧٣٣.

١٤٤٦م، حجت مغل[١] زوجـــــة السلطان جقمق، وقامت بالكثـــــير من المبـــرات في طريق حجها، وشملت أعطياتها أهل مكة[٢]، وفي سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م، حج أحمد بن السلطـــان إينال[٣] مع والدته زينب الخاصكيـــــة[٤] وعمت صدقاتهـــــم فقراء ومجاوري الحرمين الشريفين[٥].

وفي عام ٨٦٣هـ/١٤٥٨م، كان أميـــــر المحمل برد بك الدوادار[٦] وحجت معه زوجته ابنة السلطان الأشرف إينال وفرق صدقته على أهل الحرم[٧]، وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وصل مباشر جدة شاهين الجمالى إلى مكة، وقرأ مرسوم السلطان الأشرف قاتيباى بتوليه مقاليد السلطة وقد أنعم على شريف مكة بخلعة شريفة وللقاضي الشافعي خلعة وكذلك أخلع الخوجا محمد قاوان[٨] وعمت صدقاته وأعطياته الفقراء والمجاورين[٩].

وفي سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، أرسل السلطان قايتباى مبلغاً من المال ليقسم بين أمراء مكة وأشرافها وبصحبة المال خلعة لأمير مكة[١٠]. وفي عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، توجه السلطان الأشرف قايتباى إلى الحجاز قاصداً الحج، وفي طريق حجه فعل الكثير من أوجه الخير والبر، ثم عرج إلى المدينة الشريفة لزيارة المصطفى ﷺ وفرق فيها ستة آلاف دينار[١١]، كما خلع على علمائها وقضاتها، ثم قصد مكة وحج، وفرق

---

(١) **مغل ابنة القاضي ناصرالدين البارزى**، زوجة الظاهر جقمق، ولدت سنة ٨٠٣هـ، وحجت عدة مرات ، وزارت بيت المقدس، توفيت سنة ٨٧٦هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢ ص١٢٦.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٧٢، والسخاوي، التبر المسبوك، ص١٤٧، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٣٤، وفي العام نفسه ٨٥٠هـ، حج وزير السلطان العثماني مراد الثاني ووزع الكثير من الصدقات على المجاورين والفقراء بالمدينتين المقدستين، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ص١٩٩، والسخاوي، التبر المسبوك، ص٤٨، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٣٥.

(٣) **أحمد بن السلطان إينال المؤيد الشهاب** أبوالفتح بن الشرف بن النصر العلائى الظاهري، أمه ابنة خاص بك ، ولد سنة ٨٣٥هـ، وتوفي سنة ٨٩٣هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٦.

(٤) **زينب ابنة العلائي خاص بك**، تزوجها إينال في إمرته وكل أولاده منها، وماتت وقد قاربت الثمانين من العمر، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٤٤.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦ ص١١١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٢٨٠، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص ٧٤٤.

(٦) **برد بك الدوادار**: زوّجه الأشرف إينال ابنته، وقلده العديد من المناصب منها دوادار وأمير محمل، قتل بخليص سنة ٨٦٨هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣ ص٤-٥.

(٧) الجزيري، درر الفوائد، ج١ ص ٧٤٥.

(٨) **الخوجا محمد بن قاوان**: نزيل مكة، ولد قبل العشرين وثمانمائة، وجاور بالحرمين وتولى سنة ٨٨٩هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٧ ص٥٣.

(٩) النهروالى، الإعلام، ص ٣٦٩ .

(١٠) أيوب صبرى باشا، مرآة الحرمين، ص٦٦٧، وفي سنة ٨٧٥هـ ، أوصى الخواجا مصطفى بن صاحب طرابلس الرومى التاجر نزيل مكة الذي عمر عين عرفة ومسجدها، ومسجد الخيف وفسقية خليص، وبعد وفاته وزعت تركته على الفقراء بالحرمين وقاضي مكة الشافعي وقد أعطي مائة دينار لكل قاضٍ من قضاة مكة على المذاهب الأربعة ولأمير مكة خمسمائة دينار، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٤٠٤، وفي سنة ٨٧٦هـ، وصل المحمل العراقي بصدقة عظيمة إلى مكة فرقت على فقراء الحرمين، الجزيري،درر الفوائد،ج١ ص٧٥٢.

(١١) السمهودى، وفاء الوفا، ج٢ ص٧١٠، والسيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٥، والقرماني، آثار الدول، ص٢١٧، وابـــن إيـــاس، بدائع الزهور، ج٣ ص١٦١.

صدقاته وكان يطوف في أنحاء مكة يتفقد أحوال الناس، ووزع على أهل مكة خمسة آلاف دينار، ثم رجـــع إلى مصر[١]، وفي السنة التالية، كان السلطان قايتباى في جمع من أمرائه وكبار رجال دولته والقضاة والعلماء والفقهاء بقلعة الجبل، وكان بين أيديهم مبلغ جملته ستون ألف دينار من الذهب، وأخبر السلطان الجالسين أنه لما حج في العام الماضي وجد أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة وأزمة اقتصادية خانقة من شح الأقوات، فعزم على أن يفعل في المدينة خيرا يكون مستمراً من بعده، فأخرج من ماله الخاص المبلغ المذكور ليشترى به مايوقفه على هذه المدينة من ضياع وأماكن وربوع ووكالة، وغير ذلك، والمتحصل من ريع تلك الموقوفات يصنع بالمدينة الشريفة كل يوم دشيشة من الخبز والزيت، كما يفعل بمدينة الخليل عليه السلام، ثم شرع السلطان في بناء وكالة على تلك الربوع التى أنشأها في باب النصر، وفي البندقانيين والخشابيين والدجاجيين وغيـــر ذلك من الأماكـــــن ليكـــــون ريعها مصروفاً على الفقراء وذوي الحاجات بالمدينة النبوية[٢]، كما أشار السمهودي إلى وقف السلطان قايتـــــباى بالمدينة الشريفة بقوله: "... وقد شرعوا في عمارة السبيل وفرن وطاحون ومطبخ لعمل الدشيشة ووكـــــالة ذات حواصل في الدور التي اشتراها قبل ذلك السلطان من دور العباسة ومايلي ذلك من الجهة القبليـــــة ... ثم كتب إلى بعض الثقات بتحصيل تلك الأماكن (والتي اشتراها في القاهرة) وأن متحصل ذلك سبعـــــة آلاف إردب وخمســـمائة إردب من الحب في كل سنة ... وقد صرف لكل شخص من المقيمين من الحـــــب مايكفيه على حسب عدة عيـــــاله، لكل نفر سبـــع إردب مصرى ... وسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد..."[٣].

وفي سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م، جهز الأشرف قايتبـــــاى بصحبـــــة الأمير بهاء الدين أبوالبقاء ابن الجيعان[٤] أحـــمالا من الحب والدقيق، والقدور النحاسية والتي جعلت برسم سمـــاط المدينة النبويـــــة[٥]. وفي عام ٩١١هـ/١٥٠٥م، أرسل السلطان الغوري الكثير من الصرر والغلال والزيت

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤ ص٥٠٥، والجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٥٧، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣ ص١٦٠-١٦١، والرشيدي، حسن الصفا، ص١٤٧.

(٢) حجة وقف السلطان قايتباى، رقم الوثيقة (٨٩٠ق) أوقاف. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣ ص١٦٥، انظر نص الوقف والمكتوب على باب وكالة قايتباى في باب النصر بالقاهرة في ملاحق هذه الدراسة.

(٣) السمهودى، وفاء الوفا ، ج٢ ص٦٤٥، كما خصص السلطان قايتباى مركبين كبيرين لنقل الغلال من القمح وغير ذلك من المستلزمات إلى الحرمين الشريفين، كما أن الأمير تنم الناظر على هذا الوقف، صنع مركباً لنقل دشيشة قايتباي الأهال الحرمين عام ٩٢٧هـ، طولها مائة وعشرون ذراعاً، وبها فرن وطاحون وصهريج ماء وإسطبل للخيل، وثيقة وقف السلطان قايتباى، رقم الوثيقة (٨٨٥ق) أوقاف، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢ ص١٠٨، وابن إياس، بدائع الزهور، ج٤ ق١ ص١٠٣، وعبداللطيف إبراهيم، وثائق الوقف في الأماكن المقدسة، ص ٢٥٢ .

(٤) أبوالبقاء بن الجيعان؛ البدر محمد بن يحيى بن شاكر بن عبدالغني، ولد سنة ٨٤٧هـ، وكان يقوم بالمهمات السلطانية، مات في العشر الأول من القرن العاشر، السخاوي، الضوء اللامع، ج١١ ص٨-٩.

(٥) السمهودى، وفاء الوفا ، ج٢ ص٦٤٥، وفي سنة ٨٩٦هـ وصلت إلى مكة المشرفة صدقة من بلاد الروم مقدارها خمسة آلاف دينار وستمائة وعشرون ديناراً من الذهب عم بها النفع، الجزيري، درر الفوائد، ج١ ص٧٦٣.

لسكان الحرمين[١]، كما كان يرسل القمصان لتوزع على الفقراء والمنقطعين وذوى الحاجات بصحبة الركب الشريف[٢]، وفي سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، أرسل السلطان قانصوه الغوري بصحبة ركب الحاج المصري الكثير من الهبات والأعطيات لأهل مكة والمدينة[٣].

ومن أوقاف البر والصدقات على أهالى المدينتين المقدستين ماقام به السلطان طومان باي بعد أدائه فريضة الحج في سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، وهو في هذه الفترة كان أمير الركب الأول في حج تلك السنة، من وقف أماكن في مصر، ينفق ريعها على أهالى المدينتين المقدستين[٤].

رابعاً: أثر الأوقاف على الحياة العلمية:

كما أن للأوقاف أثرها في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية لأهالي الحرمين الشريفين، فإن لها دوراً بارزاً في ازدهار الحياة العلمية في هذا العصر. ويتناول هذا المبحث هذا الدور العلمي ، كما ظهر للعيان في كثرة العلماء وطلبة العلم ، والمؤسسات العلمية، وخزائن الكتب والمكتبات.

أثر الأوقاف في إزدهار الحياة العلمية في المدينتين المقدستين :

شهدت بلاد الحجاز حركة علمية واسعة، ويعود الفضل في ذلك إلى الحرمين الشريفين، فقد كان كل منهما مصدر إشعاع فكري لطلاب العلم والمعرفة، والتقى فيهما العلماء والمفكرون في حلقات علمية رائدة ودائبة لاتنقطع نفعاً وانتفاعاً[٥]، وكان العلماء والطلاب يجدون في الأموال والمؤن وصدقات أهل الخير الأوقاف الدائمة والمرصودة التي كانت محبوسة عليهم ما يلبي مطالب حياتهم ويساعدهم على التفرغ لمهمتهم، واجتذب الحرمان الشريفان الكثير من العلماء، لاسيما من عصفت بهم الفتن في بلادهم، ولم يجدوا

---

(١) حجة وقف السلطان قانصوه الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) أوقاف، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢ ص١٥٦، وعبداللطيف إبراهيم، وثائق الوقف، ص ٢٥٣.

(٢) حجة وقف السلطان الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق)، أوقاف.

(٣) حجة وقف السلطان الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٤ق) أوقاف، وعلى السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص١٧٧.

(٤) حجة وقف السلطان طومان باى (الثاني) الأشرف، رقم الوثيقة (٨٨٢) دار الكتب بالقاهرة.

(٥) ماذكر مستفاد من تراجم علماء كثيرين ، منهم: عبدالوهاب بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقي، الملقب بتاج الدين، والمعروف بابن عساكر، ومن خلال ترجمته نعلم أنه كان أحد الحجاج المشهورين الذين ذاع صيتهم في سائر البلاد كمصر وحلب ونابلس ومكة والمدينة، وأثرى الحياة العلمية بمكة حين حج إليها مرتين آخرهما قبل وفاته بعام، وقد استفاد منه في موسمي حجه خلق كثير تحديثا وإسماعا وإقراء في حرمي مكة والمدينة، وممن سمع عليه، واستفاد من حلقاته العلمية الشريف أبوالقاسم الحسيني، وقال: كان شيخاً مشهوراً بالعلم والصلاح، ومن بيت العلم والحديث، وبعد حجه الأخير جاور بمكة حتى وفاته في يوم الاثنين ٢١ من جمادى الآخرة سنة ٦٦٠هـ، ودفن بمقبرة المؤذنين الكازرونيين بمعلاة مكة، الفاسي، العقد الثمين، ج٥ ص٥٣٢ برقم ١٩١٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٨٧، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥ ص٣٣٢، ٥٣٤، ومنهم: عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر، الذي كثر تردده على بلاد الحجاز حاجّا، وتفاعله مع الحركة العلمية يتضح من خلال تلمذته على مشيخته التي زادت على الألف، أجازه بالمدينتين وغيرهما كثير من علماء تلك البلاد، وأجاز غيره، وأسمع عليه الكثير، وحدث وأسمع جمهور الوافدين وغيرهم في مواسم حجه وغيرها، وذلك كان واضحاً في أثناء حجه سنة ٦٥٧هـ وتردده إلى بلاد الحجاز حتى سنة ٦٩٠هـ، واستقراره بها من هذا العام حتى وفاته في ١١ من ربيع الآخر سنة ٧١٣ هـ، وصلى عليه في مقام إبراهيم، ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٦ ص٤١-٤٧ برقم ١٩٦٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص١٥٠ حوادث سنة ٧١٣هـ.

ملاذاً يؤويهم سوى مهبط دينهم مكة، أو مثوى رسولهم ﷺ بالمدينة، ينشدون فيهماالأمن والاطمئنان بعيداً عن الفتن والاضطرابات، وأدوا رسالتهم يعلمون ويتعلمون حبا في التعليم وسط مايحوطهم من جو روحي بالحرمين، وطمعاً في ثواب الله الكريم، كما جمع الحج كثيرا من العلماء من البلدان الإسلامية المختلفة أفادوا في النهضة العلمية، وشملت الدراسات في تلك الفترة: العقيدة والتفسير والحديث والفقه وسائر العلوم الدينية الأخرى، والعلوم العربية المساعدة على فهمها، أما العلوم العقلية فقد قل المشتغلون بها في الحرمين، وفي المنشآت الاجتماعية التعليمية بالمدينتين المقدستين[١] عن بقية البلاد الإسلامية الأخرى[٢].

وكانت مجاورة الحرمين الشريفين أمل الكثيرين في هذه الفترة، وساعد عليها الأموال الموقوفة المنتظمة سنويّا ، أو شهريّا، وكثرة الصدقات من أهل الخير ومن أثرياء المسلمين، وشملت الأوقاف إنشاء المبرات الخيرية التعليمية كالأربطة والمدارس، والمقامات، وإقامة الدروس في الحرمين الشريفين، ورصد الأموال للكتب والمجاورين.

وبازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية ازدهرت الحياة العلمية، ووفرت المنشآت الوقفية للمجاور جوا مريحاً في جميع شؤون حياته، ووجد فيها أمنه وطمأنينته، ولم يعد يخشى ألا يجد مأوى أو طعاماً إذا ضاقت به سبل العيش بجوار الحرمين الشريفين[٣]، وكثرة رواد العلم من الدارسين والمدرسين كانت ملحوظة في الرحلات العلمية التى لعبت دوراً بارزاً في إحياء العلوم والمعارف.

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١ ص٣٤٦، وابن خلدون، مقدمته ص ٤٨٤-٤٨٨، والسليمان، العلاقات الحجازية المصرية ص٢٠٣، ٢٢٢،٢٢

(٢) ذكر المقريزي وغيره كثرة العلوم العقلية التي سادت هذه الفترة في مصر كالحساب والأحياء والكيمياء والطب الذى درس بمدرسة المهذبية الموجودة بحارة حلب خارج القاهرة، بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبي الوحش، المعروف بابن أبي حليقة تصغير حلقة، رئيس الأطباء بمصر ولي رياستها في ١١ من رمضان سنة ٦٨٤هـ، واستقر مدرس الطب بالبيمارستان المنصوري، المقريزي، الخطط، ج٢ ص٣٩٧، وأحمد بدوي، الحياة العقلية، ص٧٧، ٢٩٩، أما دراسة العلوم العقلية بالمدينتين المقدستين، فكانت قليلة، فنادراً ماتذكر = المصادر عمن زاولها، وهذا يدل على أن تدريس المواد الدينية قد طغى على المواد العقلية، ولم نجد لمدارستها وفرة، وأفاد الفاسي بذلك عن مجاور مكة علي بن مسعود بن فيروز، المتوفي سنة ٦٥٥هـ، وقد ناهز المائة من عمره، نشاطه العلمي، كان سماعه من أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، وأجاز لابن مسدى، وإضافة لمعارفه الدينية، فقد كان مجبراً بالبيمارستان المستنصري بمكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام، وقفه المستنصر العباسي سنة ٦٢٨هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٦ ص٢٦٨ برقم ٣٠٢٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٤٩.

وفي التعريف بمجاور المدينة عبدالله بن حجاج، أبومحمد المغربي، المتوفي سنة ٧٠١هـ، نقل السخاوي مما قيل عنه إنه كان "من الشيوخ المعدودين في زمانهم من العلماء والحكماء المجدين، المطلعين على علوم الأولين من حكمة ومنطق، وهندسة وفلسفة، خبرا منقطعاً للمجاورة، مشغولاً بنفسه، جمع من الكتب الجليلة ما لا يجمعه أحد من جنسه، أتى بها من بلاده مشتملة على أصول وأمهات، ودواوين من تفسير وفقه، وحديث، وتاريخ، وطب ومنطق، وحكمة وعلوم شتى لايعرفها أهل زماننا، ولايفهمها إلا من عالج أصولها، وأدرك شيوخها، وقل من يفهمها من أهل المدينة، وكان فيها من كل فن تصانيف عدة " السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢ ص٢٩ برقم٢٠٠٦.

(٣) ابن بطوطة، رحلته ص١٢٤، ١٢٥، ومكانة الحرمين الشريفين في قلوب المسلمين جعلت الكثير يفضلون مجاورتهما للاستزادة من علوم الدين بصرف النظر عن المناصب الدنيوية التي كانوا يبتعدون عنها، رغبة في المجاورة وحبّا في تحصيل علومهم ومعارفهم، كنصر الله بن سالم بن محمد ابن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي، الذي كان ناظراً للدواوين والخزانة، وحج وجاور بمكة، وسمع الحديث وأسمعه، ومات بدمشق سنة ٦٩٨هـ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ص٧ .

والرحلة إلى أرض الحجاز أشار إليها ابن خلدون بأنها أطيب الرحلات، وقال أيضا "... وأما مالك فاختص بمذهبه أهل المغرب لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذٍ دار العلم ... فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي هي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل.."[١]. ومن خلال إشارات ابن خلدون وغيره تتضح ثمار هذه الرحلات خاصة إلى الأماكن المقدسة.

وتوالت هجرات العلماء وطلبة العلم بصورة ملحوظة إلى حرمي مكة والمدينة وكان من بينهم كتاب الرحلات الأدباء الذين رافقوا قوافل الحج في كل مكان، ولم يتركوا شاردة أو واردة إلا سجلوها ضمن مؤلفاتهم التي أصبحت تراثا خالداً لمن أتى بعدهم، كابن رشيد الذي حج في عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، وعاد في العام الذي بعده[٢].

ومن العلماء الكتاب الذين تألقوا بمعارفهم في الحرمين الشريفين، العبدري[٣]، الذي تميز بتصدره في مناظراته لنقد أساطين العلم في كل أنواع المعارف بجرأة لاتصدر إلا عن متمكن في علومه محيط بمعارفه[٤].

وما كان لهذه النهضة العلمية أن تتم إلا بمصارف الأوقاف والأموال الواسعة التي كان الإنفاق فيها على التعليم مطلباً رئيسيّا، ولذلك نجد السلطان الأشرف شعبان يخصص مبالغ سخية لمدرسي المذاهب الأربعة، على أن يتفرغوا للاشتغال بالعلم الشريف، ونشره، وإحياء معالم الدين، وشد أزره تجاه الكعبة الشريفة على عادة أمثالهم، وقد خصص أسماء علماء، منهم : العالم الشهير شهاب الدين، أحمد بن ظهيرة المكي الشافعي[٥]، ولم ينس السلطان المذكور مدرسي المذاهب الأربعة بالمدينة وطلابهم، فقرر لهم أموالاً كثيرة، واشترط عليهم كما اشترط على نظرائهم بمكة المكرمة، كما خصص مبالغ كبيرة لمدرسي الحديث وطلبته، وقارئ الجمعة بالحرم النبوي الشريف، ولم يغفل متصدر العلم بالروضة الشريفة، فرتبه وخصص له مبالغ كبيرة تصرف سنويّا ، لكنه لم يعين ولم يحدد أوقات عمله، كما حدث بالنسبة لأقرانه في مكة المكرمة، فقد حدد عملهم بما تجاه الكعبة الشريفة، وشرط على عالم المدينة الاشتغال بالعلم الشريف ونشره وإحياء معالم الدين وشد أزره على عادة أمثاله، كما أنه عين في مكة ثلاثة من المشتغلين بالعلم، بينما عين واحداً في

---

(١) ابن خلدون، مقدمته ص٤٩٧، ٤٩٨.

(٢) قام ابن رشيد برحلته إلى بلاد المشرق، فزار مصر والشام وبلاد الحجاز في مكة والمدينة بطريق الحاج الشامي في ٢٣ من ذي القعدة سنة ٦٨٤ هـ، وعاد منها بعد حجه في ٢٨ من ذي الحجة سنة ٦٨٤هـ بطريق الساحل مارّا بالعقبة في ٢٥ من محرم سنة ٦٨٤هـ، ودون كثيراً من مشاهداته بكتاب رحلته المذكور، حمد الجاسر، أشهر رحلات الحج، ص١٦-١٩ .

(٣) العبدري، رحلته، ص (خ)، ١٥٣، ١٦٩، ٢٠١، ٢٢٠ .

(٤) العبدري، رحلته، ص (خ)، (س)، ص ٢٠٠، ٢٠٦، وسيد بكر، الملامح الجغرافية ص ٧٩ .

(٥) أحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي، قاضي مكة وخطيبها، شهاب الدين أبوالعباس، وفاته في ربيع الأول سنة ٧٩٢ هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٢ ص٥٢-٥٣، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٣ ص٣٥-٣٦، والسيوطي، طبقات الحفاظ، ص٥٤٨.

المدينة المنورة، ولم يذكر اسمه [١]، وقد جرى على ذلك أغلب الواقفين[٢]، وقد وجد علماء هذه المذاهب حظوتهم فعاشوا عيشة هنيئة طيبة تحت ظل هذه الأوقاف التى أثرت على ازدهار هذه العلوم، وانعكست على روادها ثراء على أوجه وسبل معيشتهم .

واستتبع وجود العلماء من المدرسين والقضاة والخطباء كثرة الطلبة، وراغبي العلم من مختلف البلاد الإسلامية، وأكثرهم كانوا شبانًا قدموا في موسم الحج، وقلما خلا عام من أعوام هذه الفترة من علماء مشهورين بالحرمين، يأخذ عنهم شبان العالم ويحذون حذوهم في الدراسة والاطلاع ، ولم يعد أكثر هؤلاء الدارسين إلى بلادهم، فشكلوا على مر العصور جزءاً من أجزاء مجتمع المدينتين المقدستين، وتعلموا، وتزوجوا وعلموا أولادهم بحرمي مكة والمدينة، وقد رفعهم جدهم ونشاطهم في طلب العلم إلى منزلة علمية أهلتهم للتدريس لغيرهم من الطلاب، سواء كانوا في مقتبل أعمارهم، أو كانوا أقل علماً منهم، وكثرة الطلاب في الحرمين الشريفين لم يعقها فقر أو عقبات على امتداد هذه الفترة وغيرها[٣].فقد تكلفت الأوقاف بالرعاية العلمية.

وحث ابن جبير على الذهاب إلى الشرق [٤] حيث الحلقات بالحرمين التي شاهدها[٥]، كماشاهدها التجيبـــي أيضاً، وذكر من أخذ عنهم من كبار علماء الحرمين في حجه عام ٦٩٦هـــ/ ١٢٩٦م[٦]، وقد وفرت الأوقاف الواسعة الكثير من الأموال والمؤن لرواد العلم الذين تزايدت أعدادهم في هذه الفترة وسط ماأحيط بهم من تشجيع مادى ومعنوى، فضلاً عما تميزوا به عن غيرهم من وجودهم في حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ.

---

(١) راشد القحطاني ، أوقاف الأشرف شعبان، ص ١٢١.

(٢) من الوثائق التى اهتمت بتدريس هذه العلوم وخصصت لعلمائها رواتب سنوية، أو شهرية حجة وقف السلطان قانصوه الغوري، المؤرخة في محرم/ شعبان سنة ٩٠٩هـــ/١٥٠٣م، رقم الوثيقة (٨٨٤ق) أوقاف، وحجة وقف الأمير صواب بن عبدالله، المؤرخة في ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـــ/١٣١٧م، رقم الوثيقة (٢٧٤) محفظة (٤٢) دار الوثائق القومية، وحجة وقف جمال الدين بن أبي المحاسن، المؤرخة في ١٠ من ذي القعدة سنة ٨١٥هـــ/١٤١٢م، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة (١٧) دار الوثائق القومية، وغيرها.

(٣) لم يكن الفقر عائقاً لراغبي العلم والساعين لارتشاف المعرفة، فالإمام الشافعي صاحب المذهب المشهور كان فقيراً، ولم يجد من يمده حتى بوسائل الكتابة، لكنه حين التحق بالحرمين الشريفين، وانضم إلى الإمام مالك رضي الله عنه بالمدينة وجد منه الرعاية وحسن التقدير، مما أعانه على طلب علمه وتحصيله حتى صار أحد الأئمة الأربعة، والإمام الغزالي أيضا علي الرغم من فقره فقد حصل معارفه من مشاهير علماء مكة والمدينة وسائر البلاد، ابن قنفذ القسنطيني، (أبوالعباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب) (ت٨٠٩هـــ)، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ط٢، ١٩٧٨م، ص ١٣٥ والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٧٤ – ٢٧٧، و الحنبلي، وشذرات الذهب، ج٤ ص١٠.

(٤) ذكر ابن جبير "... فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة فأولها فراغ البال، من أمر المعيشة ثم خاطب كل مهموم بأن طلب المعيشة يحول بينه وبين مقصده وفي وطنه من الطلب العلمي، قائلا: "فهذا الشرق بابه مفتوح لذلك، فادخل أيها المجتهد بسلام.." ابن جبير، رحلته ، ص ١١٩، ٢٠٠.

(٥) ابن جبير، رحلته، ص٥٠، ٥١، ٢٠٩ .

(٦) التجيبي، مستفاد الرحلة، ص٣٦٢ بدأ بمن أخذ عنهم من علماء الحجاز، ومنهم أبوالحسن المكي، واستمر في ذكر باقيهم في هذه الصفحة ومابعدها.

وكان المتبع في إلقاء الدروس، أن يلقى الأستاذ ما أعده من محفوظاته مراعياً أحوال طلابه في دراستهم عليه، فيبطئ حين يلقي عليهم ما أعده، فقرة فقرة، أو حديثا حديثا مع اتصـــال السند، ويعقب بالشرح على ما أملاه، ومن حين لآخر يتوقف لشرح لفظ غريب، أو جملة غامضة، والطلبة معـه يسجلـون على هوامـش ما معهم من كتب، وكان لهذه الكتابات أهميتها .

وتباينت أنظمة الدراسة في تلك الفترة، فهناك مدارس نظامية مخصصة كان يدرس فيها عدة أساتذة، يقضي الطلاب فيها سنوات محددة، ثم يخرجون بإجازات من مدرسيهم توضح ماقرأوه، ثم تفتح لهم الأبواب للتدريس لغيرهم[١]، وهناك دراسة بالمقامات الأربعة أي مقامات المذاهب الأربعة بالحرمين، وفي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م رتب فيها الأمير أرغون درساً للحنفية، ودروساً بالمدارس الأخرى برواتب ثابتة لرواد العلم من علمائه وطلابه[٢]، وهناك الكثيرون من الطلبة الذين ترددوا على الحرمين والأربطة والمدارس، وصرفوا همهم إلى تحصيل المعارف، فكانوا أحفظ أهل زمانهم علماً وتحديثاً وتدريساً، وقد بلغ مشايخ بعضهم في الحرمين وغيرهما، ألفاً وثلاثمائة[٣] ، ومما ساعد على كثرة الطلبة والعلماء وازدار الحياة العلمية بالحرمين الشريفين كثرة الكتب الموقوفة المعدّة للدراسة والاطلاع بالحرمين، وبمدارس مكة والمدينة والأربطة بهما، وقد أشار إليها الواقفون من السلاطين وغيرهم في وثائق وقفهم[٤].

ومن الدروس التي شجعتها الأوقاف درس ليلبغا الخاصكي[٥]، وكان من أهم الدروس التي أفادت رواد العلم بالمسجد الحرام، وقد قرره يلبغا في شوال سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م، وخصصه لتدريس المذهب الحنفي، لأنه كان يميل إليه، وكان يجزل العطاء لمن يقدم على دراسته، واجتذبت أعطياته بعض أنصار المذهب الشافعي، وقد ولي تدريس هذا المذهب الكثير من العلماء المشهورين بتدريس الحنفية، وأقبل عليه العديد من

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧ ص٨٤، ج٩ ص١٩، وقد ذكر الفاسي الكثير من الطلبة الذين درسوا بالحرمين وبالمدارس، الفاسي، العقد الثمين، ج٣ ص٢٣١-٢٣٢، ج٧ ص٣١٦ ومابعدها.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج١ ص٣٢٨، والسليمان، العلاقات الحجازية، ص٢٢٤.

(٣) مثل شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي، المتوفي سنة ٧٠٥هـ قال عنه ابن كثير: رحل وطاف وحصل وجمع فأوعى، ولكن مامنع ولابخل، بل بذل وصنف ونشر العلم، وجمع معجماً لمشايخه الذين لقيهم بالحرمين، وغيرهما يزيدون على الألف وثلاثمائة شيخ، وهو مجلدان، ابن كثير البداية والنهاية، ج١٤ ص٤٠ وقد سمع شرف الدين الدمياطي برباط خاتون فضائل العباس لحمزة السهمي على كثير من العلماء كأبي بكر بن عمر بن شهاب الهمداني (ت٦٤٤هـ)، الفاسي، شفاء الغرام، ج١ ص٣٣١، والعقد الثمين، ج٨ ص ٢٣٨-٢٣٩ برقم ٣٣٧٢ من ترجمة المسموع عليه .

(٤) حجة وقف أبي بكر بن مزهر الأنصاري، رقم الوثيقة (١٧٥)، محفظة (٢٧) دار الوثائق القومية.

(٥) يلبغا بن عبدالله الخاصكي الناصري الأمير الكبيرا لمشهور، وكان ليلبغا صدقات كثيرة على طلبة العلم، ومعروف كثير في بلاد الحجاز، وهو الذى حط المكس عن الحجاج بمكة، وعوض أمراءها بقرى مصر، وكان يتعصب للحنفية حتى كان يعطى من يتمذهب لأبي حنيفة العطاء الجزيل، ورتب لهم الجامكية الزائدة، فتحول جمع من الشافعية لأجل الدنيا، وحاول في آخر عمره أن يجلس الحنفي فوق الشافعي، فعاجله القتل، وذلك أن المماليك اجتمعوا على قتله، وذلك في ربيع الآخر سنة ٧٦٨هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤ ص ٤٣٨-٤٣٩.

طلاب العلم والمعرفة، وممن ولى تدريسه ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد الحنفي (٧٨٠هـ/١٣٧٨م)، وقد كان مشهوراً بزيادة ميله لهذا المذهب، وكان عالماً بارزاً في تدريسه وتدريس اللغة العربية[١]، وتولى التدريس بعده أبناؤه ثم أحفاده، وقد تولى هذا الدرس ابنه أحمد (ت ٨٢٥هـ/١٤٢١م)[٢]، وانتفع من حلقاته العلمية الكثيرون من رواد المعرفة، وقد جرت العادة أن يحظى الدارس عند إتمامه لأحد الكتب أو إنهائه موضوعاً معينا، بإجازة من شيخه، وبحصوله عليهاكان يخول له تدريس ماأجيز فيه، أو رئاسة إحدى الحلقات العلمية، وأعداد من أجازوا وأجيزوا في هذه الفترة كثيرون[٣]، وقد تبين من خلال عرض ماسبق أن ازدهار الحياة العلمية كان من أسبابه : رعاية العلماء والطلاب، وضمان وسائل معيشتهم وأماكن تعليمهم، فالأموال الموقوفة عليهم من السلاطين وأهل الخير قد أسهمت بشكل أو بآخر في إثراء هذه الحركة.

أ - كثرة العلماء بالمدينتين المقدستين :

أجاز الفقهاء الوقف على رواد العلم من العلماء والطلاب، واعتبروا ذلك من أوجه البر، وأن الإنفاق في هذا الوجه يعادل الجهاد في سبيل الله[٤] استناداً إلى الأحاديث النبوية مثل قوله ﷺ : " أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاء به الرسول ﷺ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ماجاءت به الرسل"[٥]، وقوله ﷺ "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء"[٦] أي أن المداد الذي ينفقه العالم في تأليف الكتب النافعة للناس يعادل دم الشهيد، بل رجحته بعض الروايات[٧]، وبالتالي فإن إنشاء المؤسسات الثقافية كالمدارس والأربطة، ومكاتب تحفيظ القرآن وغيرها، والنفقة على من يقوم بالتدريس فيها من العلماء وغيرهم، تعادل، أو ترجح نفقة الجهاد في سبيل الله تعالى[٨]، وعلى هذا الأساس حرص الواقفون من سلاطين المماليك وغيرهم على إنشاء المدارس السنية، وقد ساروا في ذلك على نهج أساتذتهم الأيوبيين في محاربة التشيع الذي كان سائداً في الدولة الفاطمية، وزاد عدد

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٢ ص٢٩١،٢٩٢، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣ ص٢٩٦.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٣ ص١٦٩،وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢ ص١٧٩، ١٨٣، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٢ ص١٧٩ ، والتحفة اللطيفة، ج١ ص٢٥٠، ٢٥١، وقد ولي هذا الدرس الكمال محمد (ت٨٣٠هـ) الذي تنازل له والده عن وظيفة درس يلبغا، وتولى التدريس بعدهما أحفادهما، السخاوي، الضوء اللامع، ج٧ ص٨٧.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج١ ص٣٣١-٣٨٣ برقم ٣٨ .

(٤) ابن عابدين، رد المحتار، ج٣ ص٣٨٧، وله شاهد في حديث الترمذي بكتاب الصلة، برقم ١٨٩٨، ج٤ ص٧٤، عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٥) رواه بلفظه الديلمي في كتاب الفردوس، ج٣ ص٨٥، وذكره المتقي بكتر العمال، برقم ١٠٦٤٧، وقال عزاه السيوطي للديلمي عن ابن عباس، وذكره الزبيدي، بإتحاف السادة المتقين، ج١ ص٧٣، وقال أخرجه أبونعيم في فضل العالم العفيف.

(٦) أخرجه السهمي في تاريخ جرجان، ص٩٢، عن النعمان بن بشير مرسلا، وابن الجوزي بالعلل المتناهية، ج١ ص٧١، عن ابن عمر قال عن رسول الله ﷺ ، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم، ج١ ص٥٥، وعزاه لإبراهيم بلاغاً، وذكره المتقي، بكتر العمال، برقم ٢٨٩٠٢، وعزاه لابن الجوزي بالعلل، وذكره الزبيدي، بالإتحاف، ج١ ص٤١، وعزاه لابن عبدالبر في العلم بسند ضعيف عن أبي الدرداء، وذكره المناوي بفيض القدير، ج٦ ص٤٦٦، وعزاه للشيرازي في الألقاب عن أنس وقال حديث ضعيف.

(٧) الغزالي، إحياء علوم الدين ج١، ص ٥ .

(٨) الزبيدي، التحريد الصحيح، ج٢ ص ٧٥ .

المدارس في عهد المماليك لدرجة كبيرة، وتكفلت الأوقاف بصرف ريعها على أوجه الحياة العلمية، فتوافر المناخ العلمي السليم الذي ساعد بدوره على جذب العلماء بمختلف تخصصاتهم، وكان منهم الذين عكفوا على تحفيظ القرآن الكريم، وتجويده، وتلاوته بقراءات مختلفة[١].

عرفت قراءة القرآن، في بعض حجج الواقفين باسم الرباع، أو (الربعة)، أى قراءة ربع من القرآن الكريم، وعادة مايتناوب القراءة مجموعة من القراء في حلقة، يحدد مكانها أحيانا الواقف وقد يغفله لتقرأ في أي مكان بحرمي مكة أو المدينة لكن كثيراً ماينص الواقف على شيخهم الذي يدعى بشيخ القراء، أو المتصدر للقراءة، أو المتصدر للإقراء، وعادة مايشترط في نظام قراءتهم أن يكونوا مجتمعين، وبأصوات جهرية عقيب الصلوات الخمس يوميّا في المسجد الحرام، أو المسجد النبوي، أو هما معاً، يرتبهم الناظر في الحرم، وأخيراً يهدون ثواب ذلك للواقف، ولوالديه وذريته ولجميع المسلمين، وترتب الوثائق لكل من هؤلاء ومن درسوا على أيديهم وتحلقوا في حلقاتهم رواتب سنوية أو شهرية ثابتة، وجد فيها العلماء دافعا قويا للتسابق في تحفيظ القرآن وتدريس القراءات الخاصة به عملاً بقول الرسول ﷺ : "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[٢]، وعلى هذا الغرض جاء في حجة وقف المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان، أن يصرف جزء من ريع وقفها على أوجه الخير، ومنها مايصرف كل سنة لقارئ المصحف الشريف "... الذي قررته الواقفة المذكورة أعلاه بالحرم النبوي الشريف على الحالّ به أفضل الصلاة والسلام ماجملته من الذهب ... ديناران ذهباً أو مايقوم مقامها من النقود على أن يقرأ في صبيحة كل يوم بالمصحف الشريف عند الضريح الشريف النبوي حزباً شريفاً من القرآن من تجزئة ستين حزبا، ويهدى ثواب ذلك لسيدنا رسول الله ﷺ وللواقفة المذكورة ولوالديها ولأقاربها ولذريتها ولجميع المسلمين ..." وعن الحرم المكي ذكرت: "...ويصرف في كل

---

(١) كان من هؤلاء بالمسجد الحرام، يوسف بن علي بن سليمان القروي، المجاور، المحفظ للقرآن الكريم بالحرم الشريف، سمع على الزين الطبري وغيره بمكة، وكان قارئ الحديث بدرس وزير بغداد في الحرم الشريف، وتوفي بمكة بعد أن جاور بها سنين كثيرة وذلك في سنة ٧٦٤هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٧ ص٤٨٨ برقم ٢٧٧٧، وعبدالمؤمن بن عبدالدائم بن علي السمنودي - ويقال له مؤمن، وبها اشتهر - وكان مؤدبا بالحرم المكي ، جاور بمكة سنين، على طريقة حسنة، وانتشر علمه، ووفاته بمكة سنة ٨٠٧هـ، ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٥ ص٥١٩،٥٢٠ برقم ١٨٩٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٥ ص٨٩.

= وممن برزوا في أنشطتهم العلمية، واصبحوا لامعين في تحفيظهم للقرآن الكريم صالح بن محمود بن محمد، المجاور بمكة سنين كثيرة، والمتوفى سنة ٦٥٧هـ وإضافة لما ذكر فقد كان أحد المقرئين بالسبع، وهوالفقيه الإمام المحدث بالحرم، الفاسي العقد الثمين، ج٥ ص٢٩ برقم ١٣٩٣، وعثمان بن محمد بن عثمان، المولود بالحنبوشية من بلاد الفيوم بمصر سنة ٦٣٠هـ، وفاته سنة ٧١٣هـ، وتميز بنشاطه في إقراء القرآن الكريم بمصر وبحرمي مكة والمدينة، وتلا القرآن بالسبع، كان إماماً للحديث والقراءات، وكان له أثر كبير في الإقراء والتدريس، وانتفع به خلق كبير، اليافعي، مرآة الجنان، ج٤ ص٢٥٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص٦٩، والفاسي، العقد الثمين، ج٦ ص٤١-٤٧ برقم ١٩٦٨، وكان بمكة عبدالله بن عبدالحق المصري، أثره ملحوظ في تحفيظ القرآن بغير أجر تجاه الكعبة، وكان محدثاً، أقرأ وقرأ عليه جماعة، منهم أبوعبدالله الوادياشي، عدة ختم، ومن حبه للقرآن حفظه لابنه محمد، وخلفه في الحرم متصدرا للإقراء والعلم، التجيبي، مستفاد الرحلة، ص٤٣٣-٤٣٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ص١٠٠، والفاسي، العقد الثمين، ج٥ ص١٩٦-١٩٩ برقم ١٥٦٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢ ص٦٤ وقد حفظ القرآن بالمدينة رضوان المغربي، السخاوي، التحفة اللطيفة ج١ ص٢٨٩ برقم ٩٦٥، وحفظ القرآن بالمدينة أيضاً الحسن القطان، وانتشرت معارفه بالحرم النبوي، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١ ص٣٤٨ برقم ١٢٦.

(٢) الحديث مروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، رواه البخاري ومسلم وأبوداود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم في كتاب (الترغيب والترهيب) ج٣ ص٢ (انظر ابن الإخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة ص٢٦٠ حاشية رقم ١).

سنة من السنين لرجل من أهل الخير يقرأ في كل يوم بالمصحف الشريف بمقام سيدنا خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه بالحرم الشريف المكي.. ماجملته من الذهب ديناران ذهباً أو مايقوم مقامهما من النقود على أن يقرأ في كل يوم حزباً شريفاً من القـــرآن العظيم، ويهدى ثواب ذلك للنبي ﷺ وللواقفة المذكورة ولوالديها ولذريتها ولجميع المسلمين ...[١]".

وخصص السلطان الغوري في وثيقة وقفه مبالغ كبيرة تصرف سنويّا في كل سنة تمضي من سني الأهلة، لرجل من أهل الخير شريطة حفظه لكتاب الله تعالى من المقيمين في مكة، وأسند هذا الأمر إلى ناظر وقفه، أو المتولى عليه، ولفت نظره في صورة شروط منها أن يقرأ تجاه البيت في أى وقت أراد هذا القارئ ليلاً أو نهاراً لكن عليه أن يختم قراءته بسورة الإخلاص والمعوذتين وخاتمة الكتاب العزيز، وفواتيح سورة البقرة وخواتيمها، وبعدها يواصل ذكر الله تعالى مصلياً على نبيه صلوات الله وسلامه عليه، داعياً، ويهدي في نهاية ذلك ثواب هذه القراءة والأذكار والصلوات لسيد الأولين والآخرين رسول رب العالمين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ثم إلى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ثم إلى الآل والصحابة والتابعين، وجميع العلماء، وأولياء الله الصالحين، ويواصل دعاءه في النهاية لصاحب هذا الوقف السلطان الأشرف قانصوه الغوري وأولاده وذريته. ولم ينس السلطان الغوري المدينة، فخصص لها عالماً حافظاً لكتاب الله على أن يقرأ يوميّا ماتيسرت له قراءاته من القرآن بالروضة تجاه الحجرة الشريفة ويدعو بما كان نظيره داعياً في مكة المكرمة .

كما خصص السلطان الغوري جزءاً من ريع وقفه لعالم حافظ متقن لحديث رسول الله ﷺ على أن يقرأ في كل سنة من أوائل شهر رجب وشعبان ورمضان صحيح البخاري بالروضة الشريفة تجاه الحجرة الشريفة، ويختم هذه القراءة بذكر الله والصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس، داعياً على حسب ماسبق ذكره[٢]، وقرر الواقف في ذلك العالم الجليل الشيخ زين الدين بن القطان[٣].

وذكرت المصادر عدداً وافراً من علماء الحديث في كل من مكة والمدينة، فقد حدث بمكة – على سبيل المثال – عبدالله بن محمد العفيف النشاورى[٤]، وحدث بالمدينة محمد الشرف[١].

---

(١) حجة وقف المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان، رقم الوثيقة (١٥٠) محفظة (٢٣) دار الوثائق القومية سطر رقم ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠.

(٢) حجة وقف السلطان قانصوه الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) أوقاف، ص ٥٥٥ .

(٣) حجة وقف السلطان الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٢ق) أوقاف، وقد ذكر الواقف في هذه الحجة عن هذا العالم أنه سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العامل، العلامة المحقق شمس الدين خطيب الخطباء، فصيح البلغاء، عالم المسلمين أبو عبدالله محمد بن المرحوم الشيخ زين الدين ابن القطان، المقرئ المدني، الإمام الخطيب بالمحراب الشريف والمنبر المعظم المنيف، ودعا له الواقف بقوله أدام الله تعالى النفع بعلومه، وكان حيّا في سنة ٩١٨هـ واستمر في منصبه حتى عزل بالقاضي أحمد المغربي الغرياني، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١ ص٦٠.

(٤) عبدالله بن محمد العفيف النشاوري (ت٧٩٠هـ) وحدث بالبخاري وسمعه عليه ابن حجر المؤرخ المشهور سنة ٧٨٥هـ، وتحديثه كان كثيراً بمكة، فسمع عليه تقي الدين الفاسي شيئاً من سنن النسائي، وسمع عليه محمد بن جامع بن إبراهيم البوصيري (ت٨٢٤هـ) أجزاء من الثقفيات، وقرأ عليه بمكة كثيراً من الحديث محمد بن محمد بن محمد القاياني (٨٠٨هـ)، كما سمع عليه يوسف بن عيسى بن عباس التجيبي (ت٧٩٤هـ) السيرة للمحب الطبري، والشفاء للقاضي عياض وغيرهم كثيرون، الفاسي، العقد الثمين، ج٥ ص٢٧٠، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢ ص٣٠٠، إنباء الغمر ج١ ص٣٥٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٢ ص٨١، ج٧ ص٢٠٩.

وإلى جانب محفظي القرآن الكريم ، والعلماء بقراءاته، كثر الفقهاء من المذاهب الأربعة المشهورة وقد أفاضت المصادر في سرد الأنشطة العلمية لهؤلاء، وحدد السلطان الأشرف شعبان أربعة من العلماء لتدريس المذاهب الأربعة المشهورة: الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي، ورتبت الوثيقة لكل منهم أعداد الدارسين عليه، وخصصت رواتب سخية لمشايخ هذه المذاهب الدينية[٢]، وقد أفرد الشيخ شهاب الدين[٣] بمبلغ كبير مقابل تصديه للاشتغال بالعلم الشريف ونشره وإحياء معالم الدين وشد أزره، يوميّا تجاه الكعبة الشريفة كما هو متبع على عادة أمثاله، وقد وقع اختيار الواقـــف على علماء غير ابن ظهيرة المذكور وخصص لهم مبالغ سخية، كالشيخ الصالح محمد بن يعقوب وغيره[٤]، وقد اشترط على هؤلاء اشتغالهم بالعلم، وتصدرهم له بنشره، وذيوعه بين رواده على عادة أمثالهم المشهورين بتبليغه على من تحلقوا عليهم في حلقاتهم العلمية المشهورة[٥] ومن الملاحظ أن الواقف خصص مرتبات لثلاثة فقط من علماء المذاهب الأربعة، بخلاف فقيه وشيخ المذهب الحنبلي الذي لم يقرر أو يصرف له راتباً، كما لوحظ زيادة راتب شيخ المذهب الحنفي إلى ألف درهم كراتب شيخ المذهب الشافعي محمد بن يعقوب السابق، تقديراً لوالده المشهور بعلمه تعليماً وتصنيفاً فهو صاحب التنبيه والإشراف، وأشارت الوثيقة في النهاية، إلى أنه إن تعذر اشتغال العلماء المذكورين، أو واحد منهم يقرر الناظر على الوقف بدلاً منهم على الصفة المذكورة التي قررها الواقف في وثيقة وقفه. أما المدينة فقد خصص رواتب سخية لمدرسي المذاهب الأربعة عدا مدرس الحنابلة الذي قل راتبه عن مدرس المذاهب الأخرى ، ولكن اشترط على المدرسين أن يجلس كل منهم بالحرم النبوي في الأيام التي جرت بها العادة بحضور الدروس فيها[٦].

وتنصّ كثير من الوثائق على أنه إذا تعذر اشتغال العلماء الذين اختارهم الواقف في وثيقة وقفه، أو واحد منهم، فعلى ناظر الوقف أن يقرر منهم على الصفة المذكورة التي اشترطها الواقف في

---

(١) محدث المدينة محمد شرف (ت٨٥٩هـ) وقد كثر تحديثه بها، فقرأ عليه أخوه محمد الصحيحين والشفا بالروضة، وآخرون كأبي الفتح بن تقى، وانتقل إلى مكة، فحدث بالكتب الستة وغيرها، وسمع عليه الكثير من القادمين إلى مكة والمدينة ومن أهاليهما، السخـــاوي، التحفة اللطيفـــة، ج٣ ص٥٣٥، ٥٣٧ برقم ٣٦٧٨.

(٢) راشد القحطاني، أوقاف الأشرف شعبان ص ٩٦ .

(٣) هو: أحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي، الملقب بشهاب الدين، والمكني بأبي العباس، المكي الشافعي، قاضي مكة وخطيبها، أثرى الحياة العلمية بمكة سماعاً وإسماعاً، قراءة وإقراء، وفاته في ربيع الأول سنة ٧٩٢هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٢ ص٥٢ -٥٣، ابن حجر، إنباء الغمر ، ج٣ ص٣٥، ٣٦، والسيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٥٤٨.

(٤) مثل الشيخ العالم الجليل الصالح عبدالرحمن بن أبي الخير، المكي المالكي، وقد حدد الواقف له مبلغ خمسمائة درهم سنويّا نظير اشتغاله بالعلم كسابقه.

(٥) اشترط بعض الواقفين صفات خاصة يجب أن تتوافر في العالم الذي يقوم بتدريس المذهب، ومن أمثلة ذلك مااشترطته وثيقة وقف جمال الدين الأستادار بأن يكون من "أهل العلم والصلاح شافعي المذهب، عالماً بمذهب الإمام الشافعي، حسن الهيئة، سني الاعتقاد، حافظاً لنقول الفقهاء، وأقاويل العلماء، واختلاف المذاهب، ونصوص الإمام الشافعي، عارفاً بكل كتب السادة الشافعية، متبيناً مسائلها، وموضحاً مشكلها بالأحكام بدلالاتها الشرعية والفقهية، وتسهيل عسيرها، أهلا للتدريس والفتوى"، وثيقة وقف جمال الدين الأستادار، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة (١٧) دار الوثائق القومية، وهناك وثيقة أخرى اشترط الواقف في عالم المذهب أن يكون "فيه أهلية الاشتغال بمذهبه، عالماً بمذهب الإمام الحنفي"، وثيقة وقف الأمير ضرغتمش، رقم الوثيقة (٣١٩٥) أوقاف، نشرها: عبداللطيف إبراهيم ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلدان ٢٧و ٢٨ سنة ١٩٦٥ و ١٩٦٦م.

(٦) راشد القحطاني ، أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٩.

العالم ومايقوم بتدريسه، ومكان وزمن دراسته، ونحو ذلك مما اشترطه الواقفون في تنفيذ حيثيات وقفهم، نظير مرتبات ثابتة لهؤلاء سنوية كانت أو شهرية، والذين اشتغلوا بالتدريس بأجر كانوا كثرة، أغفلت المصادر أسماءهم ربما لحساسيتهم أو تحرجهم بين نظرائهم الذين اشتغلوا بالتدريس بلا أجر، ومن ذلك يظهر أن هناك دروساً كانت مخصصة قررها الواقفون من السلاطين وغيرهم بأجر كبير لمن عملوا في تدريسها واستمرت باستمرار اهتمام منشئيها بها، بخلاف الدروس أو الحلقات العامة التي استمرت بوجود مدرسيها، وعادة ماتنتهي بوفاتهم، من هذه الدروس: علم القراءات، وقد احتلت القراءات السبع والقراءات العشر[١] مكاناً كبيراً عند دارسي هذا العلم ومدرسيه، وساعد على الإقبال عليه كثرة مشاهير علمائه في مكة والمدينة، وكان منهم بمكة عبدالله بن عبدالمؤمن بن الوجيه بن عبدالله بن علي بن المبـــارك الذي أقرأ القــرآن بمكة وسائر البلاد، وصنف في القراءات:المختار، والكتر[٢]، وقاضي المدينة محمد بن سليمان المصري[٣] وغيرهما[٤] ممن تعددت أنشطتهم العلمية والتصنيفية.

وكان للنساء دورهن في النهضة العلمية في ذلك العصر، ومنهن : علماء بنت أبي اليمن[٥] التي سمعت وأجيزت، وروى عنها النجم بن فهد[٦]، وزينب ابنة محمد بن أحمد التي سمعت كثيراً وأسمعت غيرها من الرجال والنساء، وأجيزت وحدثت[٧]، وغيرهما كثيرات.

---

(١) القراءات السبع تنسب إلى نافع بن عبدالرحمن، وعبدالله بن كثير، وأبي عمرو بن العلاء، وعبدالله بن عامر، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب، وأبي الحسن الكسائي. والقراءات العشر تنسب إلى السبعة السابقين مضافا إليهم: أبومحمد يعقوب بن إسحاق، وأبوجعفر بن يزيد، وأبومحمد خلف بن هشام، طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ج٢، ص٢٤، ٤٠، وأشار ابن جبير إلى كثرة القراء والوعاظ في الحرم المكي الشريف وأن الأسئلة كانت تمطر عليهم للاستفسارات والتفقه في موسم الحج وكانت إجابتهم عليها سريعة بليغة، ابن جبير، رحلته، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) كثرت عنايته بالقرآن الكريم إقراء أو تأليفاً وتدريساً، وصنف في القراءات (المختار والكتر) ونظمه في قصيدة لامية سماها الكفاية، وأبياتها ١٢٧٣ بيتاً، ونظم الإرشاد للقلانسي، وزاد عليه (الإدغام الكبير) لأبي عمرو وسماه (روضة الأزهار في قراءات العشرة أئمة الأمصار) وهو ١١٥٣ بيتاً، وصنف (تحفة الإخوان في مآرب القرآن) وانتشرت معارفه في مكة والمدينة وغيرهما، وكانت وفاته سنة ٧٤١هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢ ص٢٧٠-٢٧٢ برقم ٢١٦٣.

(٣) كان قاضيا بالمدينة النبوية، وتفقه ومهر في كثير من العلوم، ومن مصنفاته في القراءات (النجوم الزاهرة في السبعة المتواترة)، (وشرح الحاوي والألفية)، وفاته سنة ٧٦٦هـ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣ ص٤٥١ برقم ١٢١٥، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣ ص ٥٨٠، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٦ ص٢٧٧، والزركلي، الإعلام، ج٦ ص١٥٠.

(٤) مثل المحب الطبري أحمد بن عبدالله (ت٦٩٤هـ)، وأنشطته العلمية كثيرة والتصنيفية أكثر . منها كتاب "مرسوم المصحف العثمـــاني المدني"،و"الكافي في غريب القرآن الجامع بين العزيزي والبيان"، وكتاب "القراء"، الفاسي، العقد الثمين، ج٣ص٣٧٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١ ص٣٧٢.

(٥) هي: علماء بنت الشيخ المقرئ عفيف الدين عبدالله بن عبدالحق عبدالأحد المخزومي الدلاصي، المكية،وفاتها بمكة سنة ٧٠٥هـ، سمعت كثيراً وأسمعت، وأجاز لها العز الفاروثي، وكانت زوجة لابن خالها محمد بن الزين القسطلاني المكي فهي زوجة عالم وبنت عالم ومن أسرة علمية، الفاسي، العقد الثمين، ج٨ ص٢٨٠ برقم ٣٤١٨.

(٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٨٤ .

(٧) هي: زينب بنت قاضى مكة وخطيبها، كمال الدين أبي الفضل محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن القاسم بن عبدالرحمن، الشهيد الناطق العقيلي الطالبي المكي، وكنيتها أم السعد، سمعت وأجيزت عن ابن أميلة وغيره من أصحاب الفخر بن النجاري وغيره، وروت كثيراً من =

ومن السلاطين المماليك من كان مولعا بشتى المعارف والعلوم ومقرّباً لأهل العلم في مجالسه، فالناصر محمد بن قلاوون كان لا يقطع في الأمور إلا إذا أخذ رأي العلماء خاصة إذا تعلق الأمر بولاية منصب علمي أو قضائي بالحرمين الشريفين، فكان يتحرى عمن يلي هذا المنصب ويوالي التحري والبحث عنه[١] آخذا برأى نظرائه المقربين إليه، وتجلّت سعة ثقافة هذا السلطان في جمعه بين شتى المعارف الأدبية والعربية، وقد قيل عنه إنه: "كان يتفقد مايعرض عليه من المراسيم، ويصلحها، ولا يعلم على مكتوب حتى يقرأه كله، ولابد أن يستدرك على الكتاب مايبين لهم فيه الصواب"، وكان " يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط"[٢]، واهتمام السلاطين باللغة العربية يعود إلى تعلقهم بلغة القرآن الكريم الذي أنزل بلسان عربي مبين، فضلاً عن كونها لغة العالم الإسلامي[٣]، وحاجتهم إليها كانت ضرورية من حيث كتابة التقاليد[٤]، والأمور الأخرى كالقضاء والتشريع الذي كان لا يتم إلا باللغة العربية ومعرفة أدق أمورها النحوية، وتدعيماً لذلك شجعوا علماء العربية بأوقافهم الواسعة التي فرجت همومهم وبدلتها أمنا مستقراً أهّلهم لمواصلة رسالتهم العلمية في الحرمين الشريفين، ثم منهما إلى سائر بلاد المسلمين[٥] .

الأحاديث مع زوجها القاضي جمال الدين بن ظهيرة، وكانت تقرأ القرآن، وتذاكر بأخبار وأشعار حسنة، وكانت ناظرة على أوقاف والدها أم الحسين بنت القاضي شهاب الدين الطبري، وفاتها بمكة سنة ٨٢٣هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٨٠ ، ٢٨١.

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص١٤٧-١٤٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣، ص٧٩١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٧٣-١٧٤.

(٣) وكان السلطان جقمق (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م) يجل العلماء، ويبالغ في إكرامهم، ويرفع من مقامهم، ويبحث معهم في مجالات علمية متباينة، ويلازم مشايخ القراءات، فيقرأ عليهم دقائقها بصورة منتظمة، ويتأسف على مفارقتهم، فقد حزن كثيراً على وفاة ابن حجر الذي كان =

= يطلق عليه أمير المؤمنين، فضلاً عن اقتنائه لأنفس الكتب الذي كان يشتريها بأضعاف ثمنها، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥ ص٤٥٩، وأيضاً كان السلطان قايتباى (ت٩٠١هـ) وله ديوان لطيف من نظمه وإنشائه في مناقبه ومآثره سماه(الدرة المضيئة في المآثر الأشرفية)، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨ ص٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٤٥٩.

(٤) التقاليد، مفردها تقليد وهو المرسوم الموقع من السلطان لتعيين شخص في وظيفة كبيرة، الفيروزابادي، القاموس، ص٣٩٩، وسعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٤٠٢.

(٥) برز عدد من علماء اللغة كان منهم ابن منظور المصري (ت٧١١هـ) وابن منظور هو محمد بن مكرم بن علي، أبوالفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي، الإمام اللغوي المشهور، وفاته بمصر، وله الكثير من المؤلفات اللغوية منها معجمه المشهور (لسان العرب)، الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ج٤ ص٣٩، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤ ص٢٦٢، ومن السلاطين من اشتهر بسعة معارفه كالمؤيد شيخ (ت٨٢٤هـ) الذي كانت له الصدارة العلمية للإقراء والتدريس حيث كان معه إجازة برواية صحيح البخاري من شيخه سراج الدين البلقيني (ت٨٠٥هـ) وقد سمع على هذا السلطان المؤرخ المشهور ابن حجر العسقلاني ومسموعاته عليه الحديث، وترجم له في عداد مشايخه في كتابه المشهور(المعجم المؤسس) وفضلاً عن معارف هذا السلطان فقد كان محبّا للعلماء كثير التعظيم لهم ويجالسهم ويجل الشرع النبوي، لذا سمع عليه مشاهير العلماء كالبلقيني السابق الذي كان ضمن مشاهير العلماء في الحديث =

وبهذا يظهر بوضوح أن للأوقاف الدور البارز في النهضة العلمية في فترة الدراسة، وبدونها ما توافد العلماء على الحرمين بهذه الكثرة ولا كانت الحياة العلمية على الصورة التي ارتقت إليها بالحرمين الشريفين في تلك الحقبة من التاريخ.

ب ـ كثرة طلبة العلم بالمدينتين المقدستين :

حث الإسلام على طلب العلم، فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"(١)، وروى أبوالدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع"(٢)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لافقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"(٣).

واستجابة لحث الإسلام على العلم اجتهد الطلاب في تحصيله وقد فضل معظم الطلبة في ذلك العصر الرحلة إلى بلاد الحجاز، لأداء فريضة الحج في مكة، وزيارة قبر الرسول ﷺ بالمدينة، ولطلب العلم على مشاهيرهما من أقطاب العلماء والفقهاء والقضاة، وقد حض على هذه الرحلة كثير من المؤرخين(٤) وخاصة من تعودوا عليها وأخذوا العلم على مشاهير علماء الحرمين، وقد شجعهم على ذلك أمور كان من بينها: قدسية هذه الأماكن، ومكانة الحرمين الشريفين في قلوب المسلمين وكثرة الأوقاف التي هيأت لطلبة العلم جواً طيباً ومناخاً سليماً ليتوفروا على العلم وطلبه والاستزادة منه ونشره(٥)، ومن خلال إشارات

والفقه والأصول، فضلاً عن مصنفاته، المقريزي، السلوك، ج٤ ق١ ص٥٥٠، وابن حجر، إنباء الغمر ، ج٣ ص٢٣٧، ٢٥٧، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦ ص٨٥، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٧ ص٥١ .

(١) رواه أبوداود في السنن في كتاب العلم، ج٤ ص٥٧، ورواه الترمذي في جامعه في كتاب العلم، ج٤ ص١٣٧، والإمام أحمد في المسند، ج٢ ص٢٥٢، ٣٢٥، ٤٠٧، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أبي داود، ج٤ ص٥٧، والترمذي، ج٤ ص١٥٣، وابن ماجه في المقدمة، ج١ ص٤٧، رقم ٢٣٦، والمسند، ج٥ ص١٩٦.

(٢) رواه أبوداود في كتاب العلم، ج٤ ص٥٧، والترمذي فيه أيضاً، ج٤ ص١٥٣، وابن ماجه في المقدمة، ج١ ص٤٧، حديث رقم ٢٣٦، والإمام أحمد في المسند، ج٥ ص١٩٦، وهو جزء من الحديث الأول في بعض طرقه، وله شاهد في المسند من حديث صفوان بن عسال المرادى، ج٤ ص٢٣٩-٢٤٠.

(٣) رواه الترمذي في كتاب العلم، ج٤ ص١٤١، والإمام أحمد في المسند، ج١ ص٤٣٧، وله شواهد من حديث أنس بن مالك في المسند، ج٣، ص٢٢٥، ومن حديث زيد بن ثابت عند أبي داود، ج٤ ص٦٨، وابن ماجه،ج١ ص٤٩،والمسند،ج٥ ص١٨٣، ومن حديث جبير بن مطعم في المسند، ج٤ ص٨٠-٨٢.

(٤) الرحلة في طلب العلم إلى أهل الحجاز هي أطيب الرحلات بل هي من أوجب الواجبات بالنسبة لطالبي العلم ويؤكد ذلك ابن خلدون بصدد رحلة طلبة العلم إلى البلاد المتبحرة في العلم فيقول: (ولابد من الرحلة في طلبه .. - أى طلب العلم -... فكانوا يرحلون إلى أهل الحجاز ... والمدينة يومئذ دار العلم ، .. فكانوا إلى أهل الحجاز أميل.."، ابن خلدون، مقدمته، ٤٨١-٨٤٢، ٤٩٧-٤٩٨، وأشار ابن جبير إلى ذلك، بل حض طلبة العلم من المغرب على الرحلة قائلا: " ... فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة..." ابن جبير، رحلته، ص١١٩، ٢٠٠.

(٥) التجيبي، مستفاد الرحلة والاغتراب،ص٣٦٢،والفاسي،العقد الثمين، ج٣ ص٢٣١ ومابعدها، ج٧ ص٣١٦.

المصادر لاسيما كتب التراجم ، نجد جمعاً كبيراً من طلبة العلم الذين سلكوا طريقه الموصل إلى الجنة، لم يدخروا وسعاً في سبيل بلوغهم إلى هدفهم السامي، فرحلوا إلى المدينتين المقدستين في طلب العلم.

وكثر عدد الطلاب في الحرمين الشريفين، وفي المؤسسات العلمية في المدينتين المقدستين، للعديد من الأسباب، وفي مقدمتها المساعدات المادية والعينية الممثلة في الأوقاف ومساعدة السلاطين التي أدت إلى نمو الحياة العلمية، فأقبل الطلاب على الدراسة المفتوحة الأبواب لجميع الراغبين في تحصيل العلوم على مشاهير العلماء، وقد كفل لهم ريع الوقف استمرارهم في طلب العلم: ووجدوا في هذه المؤسسات مايكفيهم مؤونة البحث عن المسكن والمأكل والملبس وشتى أمور معايشهم، هذا إلى جانب الجوامك الشهرية أو السنوية التي تشبه المنح الدراسية في العصر الحديث، وأيضاً الهبات السنوية في المواسم والأعياد للتشجيع على طلب العلم[١].

وفي بعض الوثائق حدد الواقفون أعداد الطلبة الدارسين لأى علم من العلوم المتداولة في تلك الفترة، وبالنسبة لدراسة الفقه على المذاهب الأربعة، فقد حددوا طلبة كل مذهب، فمثلاً رتبت إحدى الحجج لكل مدرس عشرة من الطلبة عدا الحنابلة التى اقتصرت منهم على خمسة واشترطت هذه الوثيقة على الطلاب أن يجلس كل منهم أمام شيخه يوميّا بالحرم النبوي الشريف وهذا الشرط كان مطبقا على طلبة العلم بالحرم المكي أيضا، وقد حددت الوثيقة صرف ٢٨٠ درهماً شهرياً لكل طالب من طلبة المذاهب الثلاثة، أما طلبة الحنابلة فكان لهم ١٢٠ درهماً شهرياً، وهي المرتبات المقرة نفسها لنظرائهم بمكة المكرمة ويلاحظ أن أعداد طلبة كل مذهب لايزيدون على عشرة، ولايقلون عن خمسة وهم الحنابلة، مما يدل على أن هذا المذهب كان أقل انتشاراً بخلاف المذاهب الثلاثة الأخرى التي كانت أكثر انتشاراً في تلك الفترة، ويعضد ذلك أيضاً ضعف معلوم الحنابلة في الوثيقة عن بقية المذاهب الأخرى، وهذا واضح أيضاً فيما يتقاضاه مدرسو المذاهب الثلاثة المتفاوتة، فكل منهم كان يتقاضى أكثر من مدرس المذهب الحنبلي، أما في مكة فلم تحدد الوثيقة له شيئاً[٢]، وحددت بعض الوثائق أربعة طلاب من المسلمين يشتغلون بالعلوم الشرعية على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحرم مكة الشريف في كل يوم من أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة وأيام الأعياد لإشغال من أراد الاشتغال بالعلم الشريف من أى علم أراد من العلوم الشرعية في الفترة مابين صلاة الظهر والعصر في أى وقت يشاءون وبأى مكان بالحرم الشريف على شيخهم ويصرف لهم مائة درهم نقرة جيدة من الفضة البيضاء في كل سنة من السنين العربية، أو مايعادلها من النقود، وبحرم المدينة كذلك

---

(١) حجة وقف شاهين بن عبدالله الحسني، رقم الوثيقة (٦٢) دار الوثائق القومية، وحجة وقف جمال الدين الأستادار، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة (١١٧) دار الوثائق، وحجة وقف الأمير صرغتمش، ١٦٥ رقم (٣١٩٥) أوقاف، نشر ودراسة: عبداللطيف إبراهيم، ص١٦٤، والمقريزي، الخطط، ج٢ ص٣٧١، السلوك، ج١ ق٢ ص٩٩٩ .

(٢) راشد القحطاني ، أوقاف الأشرف شعبان، ص ٩٦.

لأربعة أنفس من المسلمين يشتغلون بالعلم الشريف على مذهب الإمام أبي حنيفة ويصرف لهم ماصرف لنظرائهم بمكة من الشافعية[١].

وبعض الوثائق اقتصرت على سبعة طلبة أحناف لدراسة العلم الشريف الحنفى بحرم مكة، واشترط صاحب الوثيقة أن يكون حضورهم بين طلوع الشمس إلى الزوال يوميّا خلا يوم الجمعة والثلاثاء وأيام العطلات العادية ويصرف لهم مقابل ذلك ثمانمائة درهم نقرة وأربعين درهماً، وعلى نظرائهم أيضاً من الأحناف بحرم المدينة مابين طلوع الشمس إلى الزوال كنظرائهم بمكة ويصرف لهم بالسوية سنويّا ما يصرف لنظرائهم بمكة[٢].

وهذه الشروط الخاصة بأعداد الطلاب ومذاهبهم، قد كان لها أثر في اجتذاب الطلبة نحو دراسة مذهب معين دون آخر[٣] وقد حددت بعض الوثائق عشرة طلاب يحفّظون القرآن الكريم من الأيتام إضافة إلى تعليمهم الخط العربي وإتقانه على عادة أمثالهم في ذلك أى إتقاناً لتلاوته وتجويداً وتحسيناً لخطهم، ومقابل ذلك يصرف لهم في غرة كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم النقرة الجيدة، أو مايقوم مقامها من النقود بقيمة الفضة المتعامل بها في مصر لكل نفر عشرة دراهم نقرة، وتعليمهم ذلك بحرم الله الشريف بمكة المكرمة، وقد أمنت الوثيقة كسوتهم سنويّا بخمسين درهم نقرة فضة، وقد اشترطت الوثيقة على معلمهم مراعاة طاقاتهم، فيعلمهم مايطيقون من القرآن، أو الخط العربي على عادة أهل مكة في كل يوم من أيام الأسبوع عدا أيام البطالة المعتادة، ولنظرائهم بالمدينة كذلك على عادة أمثالهم بمكة، وفي كل شهر من شهور الأهلة لكل منهم ثلاثون درهماً نصفها مقابل قراءتهم قصار سور القرآن مجتمعين بعد انصرافهم وقت العصر، وبعد صلاتهم على النبي ﷺ يهدون ثواب ماقرأوا للنبي ﷺ وآله وأصحابه وعترته والتابعين، ثم للواقف وللمسلمين[٤]، وحددت بعض الوثائق عشرة طلاب من أيتام المسلمين يصرف لهم ثلاثة آلاف وستمائة درهم بواقع ثلاثمائة وستين درهماً لكل يتيم عن نفقته وكسوته، وأدوات تعليمه، ومن طلبة الحديث أيضاً عشرة مع مبالغ سخية تكفهم عن العوز والحاجة، وهكذا يتضح أثر الأوقاف ودورها البالغ في عنايتها بالقرآن الكريم تحفيظاً وتلاوة، وقد شملت الأيتام اجتماعيّا وعلميّا منذ نعومة أظفارهم، وكان الواقفون يرجون ثواباً

---

(١) حجة وقف شاهين بن عبدالله الحسني، رقم الوثيقة (٦٢) دار الوثائق القومية.

(٢) وقف السيفى أيتمش بن عبدالله الظاهري، رقم الوثيقة (١١٤٣ق) أوقاف.

(٣) ويؤكد هذا القول ماذكره المقريزي من أن الأمير يلبغا الخاصكى حدد درساً بجامع أحمد بن طولون، ورتب فيه سبعة مدرسين للحنفية، وقرر لكل فقيه من الطلبة شهريّا أربعين درهماً وإردب قمح، ولما كان هذا القدر يرتفع نسبيّا عماهو مقرر للمذاهب الأخرى "فانتقل جماعة من الشافعية إلى مذهب الحنفية"، حجة وقف السيف أيتمش بن عبدالله الظاهري، رقم الوثيقة (١١٤٣ق)، أوقاف، المقريزي، الخطط، ج٢ ص٢٦٨.

(٤) حجة وقف شاهين الحسني، رقم الوثيقة (٦٢) دار الوثائق القومية .

مضاعفا بتخصيصهم الصرف على ذلك في الحرمين الشريفين ، وفي بقية المنشآت التعليمية كالأربطة والمدارس، وهذا لايمنع الوقف على هذا الغرض في البلاد الأخرى[١].

ونتيجة للموارد المالية من الأوقاف التي أرست أسس المدارسة في الحرمين، تخرج عدد من الطلاب الذين أتموا حفظ القرأن الكريم دون أن يبلغ أحدهم الخمسة عشر عاماً، شاهدهم ابن بطوطـــة ومن قبله ابن جبير، وقد كانوا يجتمعون في احتفال كبير في كل وتر من العشر الأواخر من رمضان، ويحيون هذه الليالي من خلال إمامتهم للناس في الصلاة وختمهم للقرآن، ففي ليلة الحادي والعشرين من رمضان كان يختم أحدهم القرآن، وكان يحضر هذا الختم الكثير من القضاة والأعيان ومشاهير العلماء، ثم في بقية ليالى الوتر التي لاتخلو جميعها من حفظة القرآن الذين أتموا حفظه دون بلوغهم خمسة عشر عاماً، وهذه الاحتفالات وصفت بأنها كانت بهيجة، فلا يكاد يرى المسجد الحرام من كثرة شعاع الشمع المحدق به، وكان هذا لتدريب الطلاب على مواجهة الناس، فكان الطفل يقف وكأنه واعظ متمرس يلقى عظاته بعد تلاوته وختمه للقرآن وإمامته بالناس[٢]. وما كان يتم في مكة كان يحدث مثله بالمدينة في الحرم النبوي [٣]، وفي المدينة تكاثرت أعداد الطلاب بشكل

---

(١) إسهام الأوقاف في جذب الطلبة إلى دور العلم ورعايتها لهم منذ صغرهم هي إسهام كامل في تكوين أجيال من الطلبة المؤهلين لمواصلة دراساتهم في المنشآت التعليمية الأخرى عن طريق هذه الأوقاف أيضاً، وماوفرته لهم من مدارس أو أربطة أو مدرسين وما إلى ذلك، لكنها اختلفت في مصر عن بلاد الحجاز بالنسبة لحجة كل بلد عن الآخر في كثافة مكانه عدا أيام مواسم الحج في الحرمين الشريفين فمثلاً بمصر نرى أن الأوقاف قامت بدور كبير في إثراء الحياة العلمية بها في مسجد عمرو بن العاص، ويؤكد ذلك المقريزي نقلاً عن شمس الدين بن الصائغ الحنفي أنه " أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل سنة تسع وأربعين وسبعمائة: بضعاً وأربعين حلقة لإقراء العلم لاتكاد تبرح مكانه"، ويذكر ابن حجر نقلاً عن ابن الصائغ المذكور أيضاً أنه "شاهد بمصر بجامع عمرو أكثر من خمسين متصدراً يقرأ عليهم الناس العلوم" وسواء أخذنا بما ذكره المقريزي، أو بما ذكره ابن حجر فإنه يدل دلالة قاطعة على كثرة الطلبة وكثرة دروسهم بهذا الجامع في العصر المملوكي، المقريزي، الخطط، ج٢ ص٥٦-٢٥٦، ابن حجر، إنباء الغمر، ج١ ص٩٥-٩٦، وعناية المماليك بالأطفال وتعليمهم بحبس الأوقاف عليهم التي ضمنت غذاءهم وكساءهم وتعليمهم كما كان في مكة والمدينة قد كان في مصر أيضاً. مثال ذلك مكتب السبيل الذي أنشأه الظاهر بيبرس، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم والكسوة في فصلي الشتاء والصيف، المقريزي، السلوك، ج١ ق٢ ص٥٠٤، والخطط، ج٢ ص٣٧٩، ويتضح من ذلك أن الأوقاف إذا كانت أساساً للمدارسة في العصر المملوكي فهي أكثر أهمية لمكاتب تعليم الأطفال، وبالتالي للمرحلة الأولى من التعليم بصفة عامة، لكن على الرغم من بساطة التعليم في المكاتب في مصرأو بلاد الحجاز، فقد كان للأوقاف آثار بعيدة المدى في هذه المرحلة المهمة من التعليم إذ حرص الواقفون على تحديد كل مايتعلق بالعملية التعليمية في هذه المرحلة، وشروط الواقفين وحرص نظارهم على تنفيذها سنة بعد أخرى أرست نوعاً من التقاليد التى أصبح معمولاً بها حتى لو لم ينص عليها.

(٢) ابن جبير، رحلته، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ، ص١١١، وابن بطوطة، رحلته، طبعة بيروت، ١٣٩٩هـــ، ص١١٤ ، ١١٥، ١٣٧، ١٦٧،١٦٦.

(٣) ذكر ابن بطوطة أن إقامته بالمدينة أربعة أيام، ومبيته بالحرم النبوي، والناس قد حلقوا في صحته حلقاً، وأوقدوا الشمع الكثير، وبعد أن أفاض في وصف هذا الحفل ذكر أن حلقاتهم كانت تضم حفظ القرآن الكريم، وبينهم أربعمائة لتلاوته، ومنهم من يحفظه لغيره، وبعضهم يذكرون الله وبعضهم في مشاهدة التربة الشريفة الطاهرة زادها الله طيباً، والحداة بكل جانب، وذكر أخيراً: "وهكذا دأب الناس في تلك الليالى المباركة" ابن بطوطة، رحلته، ص ١٢٦ .

ملحوظ، كان منهم ابن فرحون (ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م) مؤرخ المدينة المشهور صاحب كتاب المدينة المنورة المسمى (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، وغيره [١].

واستفاد الطلاب من مشاهير العلماء كالمحب الطبري (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) الذي تتلمذ عليه جمع كبير من طلبة العلم في حلقاته العلمية بحرمي مكة والمدينة[٢]، وقد توفر الطلبة على الحلقات العلمية التي أقامها حسام الدين شيخ الحرم النبوي (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م) وقد ضمت حلقته أعداداً وفيرة من طلبة العلم منهم أحمد بن محمد الشهاب الصنعاني (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) وقد اكتظت حلقته العلمية حينما كان يحدث بكتاب (المصابيح وجامع الأصول) بإسنادين له عن مؤلفيهما[٣]، ومن الطلاب من لم يقنع بتحصيل معارفه على مشاهير علماء مركز علمي واحد بل ساح لتحصيل معارفه من الحرمين والأربطة والمدارس بل طوف في أغلب البلاد الإسلامية، وحصل معارفه بسائر مراكزها العلمية[٤]، وكثرة أعداد الطلبة تبدو من خلال كتب التراجم فما من ترجمة إلا ويذكر فيها أعدادهم وجملة أنشطتهم مقروءة كانت أو مكتوبة.

وقد فضّل بعض الطلبة أن يمارس مهنة تعينه على أعباء حياته ولم يرض أن يعيش معتمداً على غيره، ومنهم محمد بن خالد الجويني[٥] (ت في حلب ٦٨٧هـ/١٢٨٨م) الحموى الشافعي الكتبي، وكان تاجراً في الكتب، ولم تشغله مهنته هذه عن تحصيل معارفه[٦]، ومجدالدين الشيبي، أحمد بن ديلم بن محمد شيخ الحجبة وفاتح الكعبة (ت بمكة ٧١٢هـ/١٣١٢م)، وعلى الرغم من عمله في الحجابة فإنه كان مكبّا على تحصيل معارفه، ومسموعاته كثيرة شاهدة على طلبه للعلم من خلال حلقات المشهورين من العلماء[٧]، وقدم إلى المدينة المنورة مع خلق كثيرين المؤرخ الحسن بن عمر بن حبيب في سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) والتقى هو ومن معه من الطلبة

---

(١) منهم محمد بن غصن المجاور بالمدينة، كان مقرئاً وعالماً فذا بالقراءات وشتى معارف العلوم في زمانه جود القرآن عليه خلق كثيرون وافادت معارفه الكثير من الطلبة كان من بينهم، أخو عبدالله بن علي وكثير من الطلبة، وفاته بالقدس سنة ٧٢٣هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢ ص٥٩٩-٥٦١ برقم ٤٠٦٧.

(٢) تتلمذ على يديه في جمادى الأولى سنة ٦٤٩هـ بالروضة الشريفة جمع كبير منهم عبيدالله المهدوى مع القطب القسطلاني ونجم الدين عبدالحميد، وعلاء الدين العطار وشمس الدين بن مسلم، والحافظ الدمياطي، وعلم الدين البرزالي، ونجم الدين الطبري، وقطب الدين الحلبي، وأثير الدين أبي حيان، وكثير بالمدينة، وبمكة تفقه عليه أعيانها كالمدينة وانتفع به الطلبة الذين نهلوا من شتى معارفه واختلاف جلساته بكل المراكز العلمية، وهؤلاء وغيرهم بترجمة المحب الطبري، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤ ص١٤٧٤ برقم ١١٦٣،و ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ ص٣٤ وابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج١ ص٣٢٤-٣٤٨ برقم ١٨٤ وفيها جمع كبير من خيرة الطلاب، الفاسي، العقد الثمين، ج٣ ص٦١، ٧٢، والمقريزي، السلوك، ج١ ق٣ ص٨١١.

(٣) وقد أخذ عنه الكثير، منهم: أبوعبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق وذكره في مشيخته قائلاً: "سمعت منه بقراءة الأقشهري"، انظر ترجمة الشيخ في السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١ ص١٥٥، برقم ٣١٢، ص٢٢٢ برقم ٦٦٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٤٠ .

(٥) الجويني: نسبة إلى جوين، وهي كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، وسميت على اسم بعض أمرائها، وقيل إنها من قرى سرخس، بها كثرة من العلماء منهم أبوالحسن علي بن يوسف الجويني، المعروف بشيخ الحجاز، ياقوت، معجم البلدان، ج٢ ص١٩٢-١٩٣.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣ ص٣٦ برقم ٩٢١.

(٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج١ ص٢٧٨-٢٧٩ برقم ١٥٤.

بعدد من علمائها، منهم الشيخ أمين بن محمد بن محمد الأندلسي[١] وكثر وفود طلاب العلم إلى المدينة وشجعهم على ذلك ماقدمته لهم الأوقاف من سكن في الأربطة والمدارس إضافة إلى تأمين معاشهم بصورة منتظمة أو غير منتظمة كالمساعدات المادية والعينية التي كانوا يحصلون عليها في صورة حبوب أو دشيشة وغيرذلك مما سبق ذكره.

وقد ذكر السخاوي الكثير من هؤلاء الطلاب منهم ابن حجر وغيره الذين قدموا إليها للأخذ عن العلماء والحصول على شهادتهم لهم، كعبدالملك بن علي القزويني الذي التقى به في سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)[٢].

وقد ارتحل ابن فهد إلى المدينة ومعه جمع كبير من الطلبة وتلقوا العلم على عدد كبير من شيوخها بعد أن رحلوا في طلبه إلى أقطار عديدة كالشام ومصر[٣]، وكثرت رحلات تقي الدين الفاسي إلى سائر البلاد ومكث بالمدينة المنورة، مرافقاً لخاله القاضي محب الدين النوري حيث سمع وقرأ على كثير من العلماء برفقة كثير ممن كانوا معه الذين اشتغلوا بفقه الإمام مالك وغيره من العلوم الدينية الأخرى، وكانت رحلته إلى المدينة ضمن عدة رحلات إلى مختلف البلاد الإسلامية ومنها مصر والشام[٤].

---

(١) ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج٢ ص٢٤٣-٢٤٤، ٢٥٧ وقد ذكر بالصفحة الأخيرة أنه توفي سنة ٧٣٤هـ، وأفاد أنه: الشيخ الصالح الجليل الفاضل أبوالبركات أمين بن محمد بن محمد بن محمد السعدي الأندلسي، التونسي، الذي فارق أهله إلى المدينة الشريفة وجاور بها عدة سنين قضاها في نشر معارفه وعبادته، ومدحه للنبي ﷺ ، رآه ابن حجر بالمدينة النبوية وزاره، وسمع من نظمه وفوائده، ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢ ص٢٥٧.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥ ص٨٦ .

(٣) شيوخ ابن فهد في معجم شيوخه من الرجال، ص ٣٨، ٧٨، ١١٨، ١١٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨-١٩٠، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٢-٢٣٣، ٢٣٩، ٢٦١، ٢٦٧، ومن النساء، ص٣١٤-٣١٦، ٣٢٥.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج١ ص٣٣١-٣٣٤، ومن هؤلاء أيضاً شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي الذي سمع على مشاهير علماء المدينة حتى صار شيخ الحديث بلا منازع في وقته بالمدينة، ثم رحل منها إلى سائر البلاد حتى وصل إلى شيراز، ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢ ص٤٨، ومنهم أيضاً أبوعبدالله محمد بن أحمد الأقشهري الذي ارتحل إلى العلم في بلاد كثيرة وجاور بالمدينة وحصل معارفه على مشاهير علمائها، الفاسي، العقد الثمين، ج١ ص٢٨٦، وابن حجر، الدرر، ج٣ ص٣٩٨، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣ ص٤٦، وأقشهر: تابعة لقونية في بلاد الروم، وهي من أطيب المدن، بها بساتين كثيرة، ياقوت، معجم البلدان، ج٤ ص٤١٥. والرحلات إلى المدينة المنورة كانت محببة إلى نفوس قاصديها لمكانتها الدينية فضلاً عن أهميتها كمركز ثقافي مهم، ويؤكد ذلك ماورد في رحلة الغنامي أن مامن عالم صنف كتاباً بالمشرق أو بالسند، أو الهند، أو العراق وغيره من الأمصار إلا ويصرف نسخة للمدينة تبركاً وحتى يلقى كتابه قبولاً، عبدالرحمن بن أبي القاسم الشاوى، المعروف بالغنامي، رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، مخطوط الخزانة الملكية - الرباط، رقم ٥٠٥٦، ص٩، وكان المسجد النبوي مقرّا لحلقات العلم في العلوم لكل فن منها أوقات وأماكن محددة، النابلسي، الحقيقة والمجاز، ورقة ٦٨، وكان العلماء لهم مكتبات خاصة، كانوا يسمحون بالنقل منها، والنقاش حول المسائل العلمية يدور في المكتبات المترلية، النابلسي، الحقيقة والمجاز، ورقة ٨٣، ٨٦، وكان بالمسجد كتب بالمكتبة العمومية تعار لطلبة العلم، وكانت الإجازة: الثلاثاء والجمعة للمدرسين والطلبة، العياشي، ماء الموائد، ج١ ص٢٠٩، ومناقشات الطلبة كانت علمية في أثناء الزيارة، ولم يكن للطلبة ولا للمدرسين دخل ثابت، وإنما كانوا يعيشون على الأجور من أولياء الطلبة ونسخ الكتب، وإن كانت تأتى لهم أوقاف فهي غير مستمرة، السنوسي، رحلته، مجلة العرب، ج٣ ص٤، رمضان، شوال، ١٣٩٨هـ، أيلول ١٩٨٧م، كما أن العلماء كانوا يجيزون طلبتهم في شتى أنواع المعرفة، وتتضمن الإجازة التعريف بالعالم وشيوخه واسم الطالب وتوقيع العالم واسمه وتاريخ الإجازة، رحلة السنوسي، ج٣ ص ٤ .

ج - نشر العلم في مؤسساته بالمدينتين المقدستين:

اهتم الواقفون بإنشاء المدارس والأربطة والمكاتب لإثراء الحركة العلمية، وكثرت المدارس في مكة والمدينة وإن كان عددها في مكة أكثر، فقد أورد الفاسي من مدارس مكة كمّا هائلاً في تلك الفترة[١]، ومما شجع على كثرة المدارس في الحجاز نظام الوقف الذي مكن هذه المدارس من أن تؤدي رسالتها التعليمية بانتظام، وكان يتم اختيار مدرسيها بعناية كبيرة من قبل الواقف.واشتملت وثائق الأوقاف على تفصيلات كثيرة، ومنها الشروط الواجب توافرها فيمن يقومون بالتدريس ومواعيد الدراسة وعدد الطلاب ومخصصات الأساتذة والطلاب، وغير ذلك من الجزئيات، فمدرسة دار العجلة[٢] كان التدريس فيها سائداً على المذهب الحنفي، وكانت أوقافها مضافة لقاضي الحنفية في القاهرة[٣]،وقام بالتدريس بها كثير من العلماء، منهم: يوسف بن الحسن الحنفي الذي حدث ودرس وأفتى، وقد ولي تدريس مدرسة أرغون بولاية من الواقف[٤]، وقد سكن بهذه المدرسة العالم إبراهيم بن أحمد المصري[٥]، ودرس بها أيضاً إمام الأحناف في مقام الأحناف بمكة أحمد بن علي بن يوسف السجزي (ت٧٦٣هـ/١٣٦١م)[٦]، وأحمد بن محمد الصاغانيّ الحنفي (ت ٨٢٥هـ/١٤٢١م) وقد انتشرت معارفه فيها وفي المسجد الحرام أيضاً[٧] ولأن هذه المدرسة كانت مقصورة على تدريس المذهب الحنفي، فإن الذين نشروا معارفهم فيها كانوا من الأحناف وانطبعت عليهم شروط الواقفين التي تضمنت أهليتهم لتدريس الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وهم عارفون بأصول مذهبه، متقنون لأدق مسائله، فضلاً عن ديانتهم وحسن مروءتهم[٨].

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٢٨.

(٢) هذه المدرسة بناها أرغون بن عبد الله الناصري، المعروف بالنائب، لأنه كان نائب السلطنة في مصر، عن ابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون، وتردد إلى الحج مرات، آخرها سنة ٧٢٦هـ، ومن حبه للعلم بنى هذه المدرسة بمكة للحنفية سنة ٧٢٠هـ، وهي منسوبة إلى دار العجلة لأنها محل دار العجلة، ووقف عليها وقفاً، وقد ولي نيابتها بعد رجوعه من الحجاز في سنة ٧٢٠هـ عند تغير ابن مولاه عليه، وكان فصيحاً شجاعاً كريماً محباً للعلم في علمائه وطلابه، مسموعاته كثيرة في مكة على مشاهير علمائها، وأذن له في التدريس والفتوى، وقد جعل مدرسها يوسف بن الحسن الحنفي المكي الذي أثرى الحياة العلمية بها مدة سنين طويلة، وفاة أرغون المذكور بحلب في ربيع الأول سنة ٧٣١هـ. الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١١٧، وشفاء الغرام، ج١، ص ١٢٨، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٣١٨.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص١١٧، ج٣، ص ٢٨٣، وشفاء الغرام، ج١، ص ٥٢٣، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٣٥١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٣٠٦، المنهل الصافي، ج٢، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٧٠.

(٤) يوسف المذكور كان يلقب بالجمال بن البدر بن التاج، مسموعاته كثيرة، وأجيز من مشاهير العلماء، وممن أجازه فخر الدين التورزي الذي أسمعه الملخص للفاسي، وفضلاً عن نشاطه العلمي تدريساً وتحديثاً وإفتاءً، فقد كانت له تصانيف في العروض والشعر، واناب عن عمه الشهاب الحنفي بمقام الحنفية، وعن القاضي شهاب الدين الطبري في العقود، وفاته بمكة في صفر ٧٦١هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ برقم ٢٧٦٨، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص ٣٠٦ - ٣٠٨.

(٥) وهو الملقب ببرهان الدين، مسموعاته كثيرة على مشاهير علماء مكة، وفاته بمكة في ٢٦ من رجب سنة ٧٧٩هـ ودفن بالمعلاة، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٠٣، برقم ٦٨٤.

(٦) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ١١١، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٢٢٣.

(٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ١٦٩، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ١١٩.

(٨) حجة وقف أيتمش بن عبد الله الظاهري، رقم الوثيقة (١١٤٣ق) أوقاف، قام بنشرها د. عدنان الحارثي في رسالته للدكتوراه وعنوانها (عمارة المدرسة في مصر والحجاز) في القرن ٩هـ ،

وقد والت الحركة العلمية انتشارها في مدرسة الباسطية[١]، وتميزت هذه المدرسة بكثرة الأوقاف والأنظمة التي وفرت جوّا علميّا أتاح لروادها تحصيل معارفهم، وكانت بها خلاوي للفقراء وبجانبها سبيل، وفضلاً عن مشيختها والإشراف عليها، فقد كان من وظائفها نظر المواريث، وكان لأوقافها مباشر، وتعددت شروط واقفها[٢]، وقد أثرى الحياة العلمية بها كثير من العلماء، منهم: الشيخ عمر بن محمد الشيبي[٣] الذي ولي التدريس فيها وولاية مشيختها من سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م إلى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م وغيره[٤].

وممن أسهم في ازدهار الحركة العلمية أحمد بن أحمد بن جوغان الواعظ المجاور بمكة الذي ولي التدريس والمشيخة بمدرسة الزمامية[٥] بولاية من واقفها خشقدم بن عبد الله الظاهري، وابن جوغان[٦] وغيره[٧] ممن تولوا مشيخة الزمامية والتدريس فيها، وزادوا في أنشطتهم العلمية بما وفرته لهم الأوقاف في هذه المدرسة، فقد كان بها خلاوي يسكنها الفقراء وكان فيها صهريج[٨] يجتمع فيه الماء من سطح المسجد الحرام، ووقف عليها خشقدم وقفاً بالمسعى يعرف بربع التوريزي، وجعل الناظر على ذلك الشيخ شمس الدين متولي عمارة هذه المدرسة[٩] وسكن هذه المدرسة أعداد كثيرة من العلماء والصالحين[١٠].

---

(١) أنشأ هذه المدرسة خليل بن إبراهيم، الملقب بالزيني عبد الباسط، حج كثيراً، ومآثره بطريق الحاج ومكة كثيرة، وفي عام ٨٣٤هـ اشترى الواقف دار أرغون الناصري على يسار الداخل إلى الحرم المكي من باب العجلة، وأمر أستاداره عمر الشامي أن يعمر مكانها مدرسة، وفي عام ٨٣٥هـ ابتدأت عمارتها وتمت في العام نفسه ، وبناؤها جاء في غاية الإتقان، وشبابيكها مشرفة على الحرم، وبها خلاوي للفقراء وبجانبها سبيل، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٥٩، ٦٤، والسيوطي، نظم العقيان، ص ١٢٢، والنهروالي، الإعلام، ص ١٤٣، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٢٠، والسنجاري، منائح الكرم، ج٢، ص ٣٤٧.

(٢) واقف هذه المدرسة كانت له شروط منها ما ذكره ابن فهد في ترجمة القاضي جمال الدين أبوالسعادات بن ظهيرة (ت ٨٦١هـ) حيث قال: "ولي تدريس المدرسة الباسطية بمكة أول ما أنشئت في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، ثم عزل عنها في سنة سبع وثلاثين لما ولي القضاء، لأن واقفها شرط ألا يكون مدرسها قاضياً"، ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٥٦ ب.

(٣) **هو: عمر بن محمد بن علي بن محمد**، ابن أبي غانم العبدري الشيبـــي، حفظ القرآن، وتلا به على بعض القراء، قرأ في التنبيه على الشمس البرماوي، ولي مشيخة الباسطية المكية من واقفها في سنة ٨٤٢هـ، وتقلد وظائف دينية كثيرة، وفاته الخميس ٢٦ من رجب سنة ٨٨١هـ، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ١٢٢ برقم ٣٩١.

(٤) كان من مدرسيها ومشيختها أحمد بن علي الشويطي، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٦٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٢٨ و ٢٩، ومحمد بن محمد بن محمد البخاري الحنفي، السخاوي، الضوء اللامع ج٩، ص ٢٢٢ وغيرهم، وممن سكن هذه المدرسة، عطية بن أحمد بن جار الله، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٤٨، وغيره من سائر الوافدين لتأدية فريضة الحج، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٨٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٤، والجزيري، درر الفوائد، ج١، ص ٧٢.

(٥) هذه المدرسة أنشأها خشقدم بن عبد الله الظاهري عند دار العجلة سنة ٨٣٥هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ١٧٥.

(٦) **ابن جوغان نزيل مكة**، ولي مشيخة الزمامية، ومات في ربيع الآخر سنة ٨٥٠هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢١٠.

(٧) وبعد وفاة ابن جوغان تولى مشيختها والتدريس فيها عدد كبير من العلماء منهم محمد بن أبي بكر المراغي الذي جعل وقت حضور الدرس فيها بعد صلاة العصر، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٢١، وبعد وفاته جلس للتدريس بها يوم الأربعاء من كل أسبوع علي ابن أيوب (ت٨٧٨هـ)، ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ١٥٠ ب، ١٥١أ، كما درس بها حسن بن علي بن علي الفقه والعربية، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ١١٢.

(٨) حجة وقف الزيني خشقدم، رقم الوثيقة (٩٠)، دار الوثائق القومية.

(٩) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص٦٤.

(١٠) منهم أحمد بن صدقة الشهاب القاهري الحنفي، جاور بمكة سنة ٨٠٨هـ، وسكن بالمدرسة الزمامية، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢٣٩.

أما المدرسة الجمالية[١] بمكة ، فكان لها دور بارز في نشر العلم والمعرفة، بروادها الذين كان منهم محمد ابن أبي بكر الحسين المراغي (ت٨٥٩هـ/١٤٥٤م) وهو الذي ولي مشيختها والتدريس فيها أول ما أنشئت، وقد كثرت بهذه المدرسة الحلقات العلمية، وألقى المراغي دروسه الفقهية والحديثية بعد صلاة الفجر لضيق وقته وانشغاله، فقد كان يدرس بعد صلاة العصر بالمدرسة الزمامية، واستمر في ذلك حتى وفاته[٢]، ثم ولي أوقافها ونظارتها بعد وفاته برهان الدين بن ظهيرة[٣] (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) الذي جعل حضور درسه بعد العصر[٤].

كما أسهمت منشآت قايتباي في الحركة العلمية[٥] بما ضمته من مدرسة، واثنتين وسبعين خلوة، ومكتب للأيتام، ومئذنة[٦].

وقد ازدهرت الحركة العلمية بهذه المدرسة نظراً لما ضمته في أروقتها من كثرة المدرسين والطلبة وخزانة كتبها الموقوفة على طلبة العلم وكان لها خازن عينه الواقف براتب شهري، ومرتبات الموظفين كانت تدفع ذهباً من ريع ما وقفه قايتباي بمصر[٧].

---

(١) هذه المدرسة تدعى المدرسة الجمالية اليوسفية نسبة إلى الذي أنشأها وهو ناظر الخاص، يوسف بن عبد الكريم بن بركة (ت ٨٦٢ هـ)، وذلك في سنة ٨٥٧هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٢١، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ١٦٢ - ١٦٥.

(٣) ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٩٥ ب، ورقة ٩٦ أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٩٣.

(٤) مواعيد الدراسة حددتها وثائق الوقف بدقة تامة، حتى أصبحت تقليداً متبعاً ومعمولاً به، فكان اليوم الدراسي ممتداً مابين طلوع الشمس إلى أذان العصر، فكان على المدرس اختيار الوقت المناسب حسب إمكانات المكان، أو على حسب ظروفه وذلك خلال دراسة هذه المدة على ألا يقصر في هذه الدراسة أي لا تقل فترة الدراسة الفعلية عن ثلاث ساعات، وإحدى الوثائق أكدت ذلك، إذ جاء من نصوصها أن "الشيخ المذكور يجلس هو وطلبته المذكورون... من وقت صلاة الظهر إلى أذان العصر، أو مقدار ذلك مابين طلوع الشمس إلى أذان العصر... بحيث لا يزاحمهم - بقية الدروس الأخرى-"، وثيقة وقف جمال الدين الأستادار، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة (١٧)، دار الوثائق القومية، ووثيقة الأمير صرغتمش، رقم الوثيقة (٣١٩٥) أوقاف، وهي التي حددت مواعيد درس الحديث بين صلاة الظهر وصلاة العصر، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ٢٩، وانظر أيضاً وثيقة وقف برقوق، رقم (٥١) محفظة (٩) مجموعة دار الوثائق التي حددت ساعات الدراسة بثلاث ساعات ونصف.

(٥) ازدهرت منشآت قايتباي بالحجاز، فأنفق غياث الدين على مدرسته بمكة، وتوج بقية منشآته كرباط يأوى إليه الفقراء والمساكين، فأرسل وكيله الخواجا شمس الدين محمد، المعروف بابن الزمن (ت٨٩٧هـ) ومعه سنقر الجمالي (ت٩٠٢هـ) ليبحثا له عن موقع مشرف على الحرم سنة ٨٨٢هـ فاشتريا رباطين هما رباط السدرة ورباط المراغي، وداراً للشريفة شمسية بنت حسن بن عجلان (ت٨٨٢هـ) وهدم الجميع وكملت المدرسة وغالب الرباط سنة ٨٨٣هـ، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٩، ٦٣٩، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٧٣، ج١٢، ص ٦٩، والتحفة اللطيفة، ج٢، ص ١٩٧.

(٦) كانت وظيفة المدرسة في هذا العصر تعليمية ومع ذلك اتخذت لإقامة الشعائر الدينية أي أنها اتخذت مسجدا تقام فيها الصلوات المفروضة وغير المفروضة، ويؤكد ذلك المقريزي في سنة ٧٣٠هـ بأن "يوم الجمعة ١١ من ربيع الأول - من السنة المذكورة - رتب الأمير جمال الدين أقوش - المعروف بنائب الكرك - جمال الدين الغزاوي خطيباً بإيوان الشافعية من هذه المدرسة - أي الصالحية، ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفاً جارياً، فاستمرت الخطبة هناك إلى - يوم المقريزي -"، مما يؤكد أن المدرسة كانت محلاً للدراسة والعبادة، وكذلك كان المسجد في بلاد الحجاز ومصر وغيرهما، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٧٤.

(٧) حجة وقف السلطان قايتباي رقم الوثيقة (٨٩٠ج) أوقاف، وعلى الرغم من كثرة المدارس في تلك الفترة فإنه لم توجد سياسة تعليمية في بلاد الحجاز أو مصر، فالدوافع السياسية كانت الأساس لإنشائها، وهنا يظهر دور الأوقاف وأهميتها الخاصة بالنسبة للتعليم في المدارس، أو المكاتب، التي عرفت في تلك الفترة بكتاب السبيل، فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المدرسة ودعمت نظامها، ومكنتها من أداء رسالتها في هذا العصر، وكان الريع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة شهرياً أو سنوياً نقداً أو عيناً هو ضمان استمرار العمل بهذه المدرسة أو تلك، لأنها كانت توفر على الطالب أو المدرس العناء والبحث عن قوت يومه وحسب شرط الواقف فقد وفرت له مطالبه وتفرغ لتحصيل علمه،

Ibrahim Salama: op. cit. p. 67.

وقام مدرسو هذه المدرسة [١] بتدريس الفقه على المذاهب الأربعة لأربعين طالباً حسب شروط الواقف، ومن الذين تولوا التدريس بها بولاية من الواقف: أبوالقاسم الصاغاني (ت٨٨٥هـ/١٤٨١م)[٢] ،و البرهان بن ظهيرة[٣]، أمَّا عن الأطفال المخصصين للكتاب، فقد اختلفت المصادر حول تحديد أعدادهم، فذكر البعض أنهم عشرة أيتام[٤] وحددهم البعض بأربعين[٥]، وقد يكونون عشرة ثم زادوا إلى أربعين، خاصة أن قايتباي عاش كثيراً بعد وقفه، فالمدة بين وقفه لهذه المدرسة ووفاته تزيد على سبعة عشر عاماً لأنه توفي سنة (٩٠١هـ/١٤٩٥م)، وقرر الأشرف قايتباي شيخاً لرباط مدرسته هو شمس الدين المسيري[٦]، ومؤدباً للأيتام، علاوة على ستة قراء للقرآن، وقارئ للحديث الشريف، وخدم ، وغير هؤلاءمما تحتاج إليه المدرسة من وظائف[٧].

واشترط قايتباي ألا يسكن بمدرسته ورباطها أحد من فقراء العجم، وأن تظل مقصورة على فقراء العرب وساكني مكة المكرمة، ووقف عليها ما يكفيها من نفقات منها رباع ودور بمكة[٨].

وأسهمت المدينة المنورة بنصيب وافر في الحركة العلمية من خلال ما أنشئ بها من المدارس، كالمدرسة الباسطية[٩] التي كان من روادها الشيخ علي بن إبراهيم بن محمد الحسيني العجمي الشافعي

---

(١) وعن شروط مدرسي هذه المذاهب، اشترط كثير من الواقفين صفات خاصة في المدرس، فمدرس الشافعية على ماجاء في وثيقة جمال الدين الأستادار يجب أن يكون "من أهل العلم والصلاح، شافعي المذهب، عالماً بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، حسن الهيئة، سني الاعتقاد، حافظاً لنقول الفقهاء، وأقاويل العلماء، واختلاف المذاهب ونصوص الإمام الشافعي، عارفاً بكل كتب السادة الشافعية، ويتبين مسائلها، وإيضاح مشكلها بالأحكام بدلالتها الشرعية والفقهية، وتسهيل عسيرها، أهلاً للتدريس والفتوى"، وبالنسبة لشرط أن يكون عالماً بالمذهب الشافعي، فقد اختلف تبعاً لاختلاف المذهب المطلوب التدريس له إن كان مالكيا أو حنفيا، أو حنبليا مع بقاء الشروط العامة غير المتعلقة بالمذهب، وثيقة وقف جمال الدين الأستادار، رقم (١٠٦) محفظة (١٧)، دار الوثائق القومية، واشترطت في وثيقة أخرى في مدرس الحنفية أن تكون "فيه أهلية الاشتغال بمذهبه" وثيقة وقف الأمير صرغتمش، رقم الوثيقة (٣١٩٥)، أوقاف، ص ٢٦، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ٢٧. ومن دراسة النصوص يتضح أن شروط الواقف على المدرس أصبحت مع الحرص على تنفيذها على مر السنين تقليداً معمولاً به حتى لو لم ينص على ذلك، وواضح أن المدرس في مصطلح ذلك العصر هو أستاذ المادة، ومكانة المدرسة ارتبطت بمكانته، فهو القائم بالتدريس فيها وسمعته تضفي على المدرسة السمعة الحسنة، بل تجذب إليه الطلبة، ولذلك حرص الواقفون على أن يكون على درجة عالية من العلم والتخصص في مادته، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٦٤، السبكي، معيد النعم، ص ١٠٥.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ١٣٨.

(٣) هو: **القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي**، عالم الحجاز وقاضيها، تصدر للتدريس والتحديث والإفتاء، وولي وظائف كثيرة، فضلاً عن كثرة مصنفاته، وفاته سنة ٩٠١هـ، السخاوي، ج١، ص ٨٨.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤٨.

(٥) النهروالي، الإعلام، ص ١٠٤، العصامي، سمط النجوم، ج٤، ص ٤٤.

(٦) **شمس الدين محمد بن أحمد المسيري، القاهري**، جاور بمكة واستقر بها، وفاته سنة ٨٨٥هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص٢٨٩.

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤٨.

(٨) الطبري، الأرج المسكي، ص ٧٠. وقد ذكر النهروالي (ت٩٨٨هـ) أن المدرسة في عصره أصبحت سكناً لأمراء الحج، وأن أوقافها صارت مأكلة للنظار، النهروالي، الإعلام، ص ٢٢٦.

(٩) المدرسة الباسطية أنشأها الزيني عبد الباسط في سنة ٨٤٠هـ، حيث قام بشراء دار مطيع التي كانت بيد أويس بن سعد بن أبي السرح، وهدمها وأقام عليها مدرسة، كانت قائمة في مواجهة المدرسة الأشرفية التي بناها فيما بعد السلطان الأشرف قايتباي، السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢٩، وأشار السمهودي إليها بقوله : "... المدرسة الباسطية التي أنشأها القاضي عبد الباسط سنة بضع وأربعين وثمانمائة..."، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧٢٢.

المكتب (ت ٨٦٢هـ/١٤٥٧م)[١]، وهو الذي قرره منشئ هذه المدرسة في مشيختها وأفاد جمعاً من الطلبة في سائر العلوم، منهم من جود الخط على يديه كعبد الله بن إبراهيم الخجندي[٢] المدني (ت٨٦٣هـ/١٤٩٢م)[٣]، وقرأ على يديه كثيراً من الكتب، وولي مشيختها وتدريس العلوم بها من بعد علي المذكور إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن المدني، المعروف بابن صالح[٤]، وسكن بهذه المدرسة السخاوي المؤرخ المشهور[٥] ولم تتوافر أي معلومات عن أوقاف هذه المدرسة، والتي قد تكون بمصر كما هو الحال بالنسبة لباسطية مكة المكرمة، لكن دروسها كانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعي حيث وليها علماء من الشافعية واشتهرت بتدريس الخط، لأن واقفها جعلها بيد عالم معروف بالمكتب.

ولا يمكن إغفال دور منشآت[٦] السلطان قايتباي، في خدمةالعلماء وطلبة العلم، يساعدهم على ذلك ما أرسله هذا السلطان من خزانة كتب كبيرة جعل مقرها المدرسة ووقفها على الطلبة، إضافة إلى جملة من المصاحف،

---

(١) هو: **علي بن إبراهيم بن محمد الزيني الحسيني العجمي**، الشيرازي، الشافعي المكتب، شيخ الباسطية بالمدينة النبوية، ويدعى بضياء، ولد في حدود سنة ٧٨٥هـ، ومسموعاته كثيرة في علوم القرآن والنحو والصرف، وأخذ الفقه عن يوسف الحلاج، جاور بالمدينة في حدود سنة ٨٤٠هـ، وقرره الزيني عبد الباسط في مشيخة مدرسته بها، بل لم يَبْنِها فيما قيل إلا له، وتصدى فيها لإقراء العلوم والتكتيب، والتكرم على أهلها، والواردين إليها، مع لسان فصيح وقدرة على التعبير، ووصفه بعض نظرائه بأنه جوهرة بين الفضل، ولم يختلف على تقدمه في العلم والصلاح من أهل المدينة اثنان، وفاته بالمدينة قيل سنة ٨٦٠هـ، وقيل ٨٦٢هـ، ودفن بالبقيع، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٥٨ برقم ٥٤٧، والتحفة اللطيفة، ج٣، ص ٢١٠.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٢.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ١٢٢ - ١٢٣، برقم ٥٩، وفيها ذكر أنه قرأ على السيد علي شيخ الباسطية المدنية سنة ٨٥٥هـ صحيح البخاري وغيره، بل لازمه في قراءة المطول والكافية وشرحها، والمتوسط، وقرأ على غيره، وفاته سنة ٨٩٨هـ.

(٤) ذكره السخاوي أن ولادته بالمدينة سنة ٨٢٩هـ، وحفظ القرآن، والأربعين والمنهاج كلاهما للنووي ودرس كثيراً من الكتب في الحديث واللغة العربية على مشاهير علماء مكة والمدينة والقاهرة، وأثرى الحياة العلمية بالمدينة حين استقر في مشيخة الباسطية بها بعد السيد علي، وباشر إمامة التراويح في المسجد النبوي ثم الخطابة، وسمع السخاوي خطابته، وسمع على السخاوي بالقاهرة والمدينة، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ١٤٨ - ١٤٩، والتحفة اللطيفة، ج١، ص ١٤٠، ١٤١ برقم ١١٨، وكان حيّا سنة ٨٩٧هـ.

(٥) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٥٠.

(٦) **منشآت قايتباي:** أمر بإنشائها السلطان قايتباي ضمن مشروع عمارة المسجد النبوي بعد أن أصابه الحريق سنة ٨٨٦هـ، وموقعها بين بابي السلام والرحمة، وهذه المنشآت كانت مدرسة ومكتباً للأيتام وسبيلا، وصفها النابلسي بأنها: "على شكل قاعة بأربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة الملونة، والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر، وفي وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط وشبابيكها مطلة من داخل الحرم النبوي من جهة الغرب قبالة الحجرة، وفيها الخلوات للمجاورين، ولها شباك مطل على باب السلام"، النابلسي، الرحلة، ص ٣٣٥، وقد أصبحت في عصر النابلسي (القرن الثاني عشر الهجري) محكمة، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٠٧، والتحفة اللطيفة، ج٣، ص ٤١٠، ٤١١، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٣، وتذكرنا أواوين مدرسة قايتباي بإحدى الوثائق التي نظمت التدريس فيها بأن يجلس المدرس بأحد هذه الإيوانات والمعيدون والطلبة حوله، ويقرأون ما تيسر لهم قراءته من القرآن من ربعة شريفة، ويدعون عقيب ذلك للواقف ولذريته وللمسلمين، ثم يقرأ المعيدون على مدرس المادة ثلاثة دروس من الفقه، فإذا كان على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فكل معيد يقرأ درساً واحداً من كتاب يقرره له المدرس المذكور في الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، ويقرأ المعيدون مما يقرره لهم المدرس واحداً بعد واحد، والطلبة يسمعون ذلك، ويبحث من فيه أهلية البحث من الطلبة، ويبين المدرس للطلبة ما يشكل عليهم من ذلك من كشف غامض أو حل مشكل، وثيقة وقف الأمير صرغتمش، رقم الوثيقة (٣١٩٥) أوقاف، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ١١٦، ١٦٧.

ولاستمرار هذه المدرسة في أداء رسالتها وقف عليها عدة قرى في مصر تحمل غلاتها إلى روادها من الطلبة والعلماء والمجاورين، ولاستقرار نظامها، كان بها مشرفان[١]، وقد جعل من مشرفيها السمهودي المؤرخ المشهور، الذي أشرف على نظارتها وما بها من الكتب، وذلك بوساطة من البدري أبي التقا[٢]، ويظهر من هذه المنشآت أن هذا السلطان أراد من إلحاق المكتب بالمدرسة أن يواصل الطالب تعليمه في المدرسة بعد تخرجه من الكُتاب[٣] الذي تعود فيه حسن الانضباط في تعليمه وتنظيم وقته[٤].

وللأوقاف دورها في تعليم الأيتام، فبالإضافة إلى مكتب السبيل الذي ألحقه السلطان قايتباي بمدرسة بمكة، والذي سبقت الإشارة إليه، جاء في وثيقة وقف شاهين بن عبد الله الحسني أنه أقر بالصرف من ريع وقفه على عشرة من الأيتام يتعلمون القرآن الكريم والخط العربي على عادة أمثالهم أي تعليماً جيداً، ويصرف لكل منهم في أول كل شهر من شهور الأهلة عشرة دراهم فضة بيضاء مقابل تعليمهم ما ذكر بالحرم الشريف المكي، فضلاً عن خمسين درهماً على الوصف المذكور سنويّا لكسوة الأيتام العشرة، واشترط الواقف على معلمهم أو مؤدبهم أن يكون خيراً، ديناً، متصفاً بالصلاح والأمانة والعفة، حافظاً لكتاب الله العزيز، متقناً لأحكامه، محرراً ألفاظه، وأن يكون من أهل الفصاحة والأناة والحلم، عارفاً بتعليم القرآن، على أن يقرئ الأيتام ما يطيقون تعلمه من القرآن، أو الخط العربي، في كل يوم من أيام الأسبوع خلا أيام البطالة المعتادة في مكة والمدينة، وهذه الشروط

---

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٤، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٢ – ٦٤٣.

(٢) هو: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد، الدمشقي، القاهري الشافعي، ويعرف بابن البدري، ويكنى بأبي التقا، وجاور بالمدينتين المقدستين، وفاته بغزة سنة ٨٩٤هـ، ومن مصنفاته "غرر الصباح في وصف الوجوه الصباح"، و"نزهة الأنام في محاسن الشام" وغيرهما، السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص ٤١ – ٤٢.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٠٧، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٣.

(٤) من الملاحظ عموماً أن الدراسة كانت تتراوح مابين ثلاثة إلى خمسة أيام في الأسبوع وكلها ترجع إلى شرط الواقف، فقد حدد جوهر اللالا أيام الدراسة في ثلاثة أيام من كل أسبوع هي السبت والأحد والأربعاء، كما حددت إحدى الوثائق أنها "أربعة أيام، هي السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع"، ونصت وثيقة أخرى على أن أيام الدراسة "كل يوم من أيام الأسبوع خلا يوم الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع، وخلا أيام الأعياد وأيام التشريق"، وثيقة وقف جوهر اللالا، رقم الوثيقة (٨٦) محفظة (١٤)، دار الوثائق القومية، ووثيقة وقف الأمير صرغتمش، رقم الوثيقة (٣١٩٥) أوقاف، ص ٢٧، وأيام شهر رمضان وغير ذلك من أيام البطالة على العادة الجارية، وثيقة وقف جمال الدين الأستادار، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة (١٧)، دار الوثائق القومية، أمَّا الإجازات السنوية فكانت (شهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان والعشرين من شوال من كل سنة فإنهم يبطلون حضور الدرس في هذه المدة، ثم يشرعون في حضور الدرس ويحضرون في الحادي والعشرين من شوال إلى سلخ ذي القعدة ويبطلون الدرس من مستهل ذي الحجة إلى آخر الخامس عشر منه، ثم يحضرون للدرس في سادس عشر من ذي الحجة ويبطلون يوم تاسوعا ويوم عاشورا من كل سنة، يجري ذلك كذلك في كل سنة" يوم تاسوعا وعاشورا هو يوم التاسع والعاشر من المحرم، وثيقة وقف الأمير صرغتمش، رقم الوثيقة (٣١٩٥)، أوقاف ص ٢٧، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ٢٧، أمَّا وثيقة وقف السلطان حسن فقد زادت خمسة أيام أخرى على ماجاء بالنص السابق من وثيقة وقف صرغتمش، فجعلت الإجازة في شهر ذي الحجة عشرين يوماً بدلاً من خمسة عشر يوماً، وثيقة وقف السلطان حسن رقم (٨٨١) أوقاف، ص ٤٧٧، بيد أن وثيقة وقف السلطان برقوق حددت الإجازة بشهري شعبان ورمضان وعشرة أيام من شوال ومثلها من ذي الحجة، وثيقة وقف برقوق، رقم الوثيقة (٥١) محفظة (٩)، دار الوثائق، ويلاحظ أن الإجازات توافقت مع المناسبات الدينية، وأغلبها نص بالسماح لأرباب الوظائف والطلبة بتأدية فريضة الحج مع صرف مرتباتهم إذا كان الحج الأول مرة أي فريضة وما عدا ذلك فيستنيب عنه، أو يقطع مرتبه حتى يعود، وثيقة وقف الأمير صرغتمش، رقم الوثيقة (٣١٩٥) أوقاف، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ٢٨.

على أمثالهم ونظرائهم بالمدينة لكن يصرف للمؤدب والأيتام ثلاثون درهماً نقرة في كل شهر من شهور الأهلة، نصفها خمسة عشر درهماً نقرة مقابل اجتماعهم عند انصرافهم وقت العصر، ويقرأون سورة الإخلاص، والمعوذتين، وفاتحة الكتاب، وافتتاح سورة البقرة، وآية الكرسي وخواتيمها، ويصلون على النبي ﷺ ، والرضى عن الصحابة، ومهدين ثواب ذلك للنبي ﷺ وآله وأصحابه وعترته والتابعين لهم بإحسان إلى يـــوم الديـــن، ثم للواقف ولأموات المسلمين وأحيائهم وفي الختام دعواهم بالصلاة والتسليم على رسول الله والرضى عن الصحابة[1].

وقد أسهمت الأربطة في نمو الحركة العلمية إذ لم تكن مأوى لساكنيها بالمدينتين المقدستين فحسب، ولم تقتصر على الفقراء والمساكين الذين قصدوها بغية تحصيل أقواتهم فقط، بل ارتادها العلماء الذين عقدوا في جنباتها الحلقات العلمية، ونشروا معارفهم فيها وعظاً وإرشاداً وتحديثاً وتدريساً، وحضر على أيديهم جمهرة كبيرة من الطلبة استفادوا في شتى معارفهم وحصلوا على إجازات علمية، وأصبحوا في مصاف علمائهم يدرسون ويفتون في المسائل، ويناقشون، ويقيمون الحلقات العلمية، ويقومون بالتأليف والتصنيف.

وقد أشار المؤرخون إلى ما وفرته الأربطة لطلاب العلم والوافدين والفقهاء والمجاورين في مكة والمدينة ممن كان لهم دور كبير في النهضة العلمية، وشجعهم على ذلك أمور كثيرة منها: قرب الأربطة من الحرمين الشريفين، وإدارتها التي كانت في يد أحد ساكنيها من العلماء ممن يطلق عليهم شيخ الرباط[2]، إضافة إلى شيخ يتولى النظر في الأربطة كلها ويتفقدها كعز الدين يوسف بن الحسن الزرنـــدي الذي تولى

---

(١) حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسني، رقم الوثيقة (٦٢)، دار الوثائق القومية، سطر ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥ - ٣٧٢، ووثيقة وقف خشقدم زمام الآدر الشريفة، رقم الوثيقة (٩٠)، دار الوثائق القومية، سطر ٣٩، وعلى الرغم من بساطة التعليم في هذه المكاتب، فقد كان للأوقاف آثار بعيدة المدى في أدق مراحل التعليم، إذ حرص الواقفون على تحديد كل ما يتعلق بالعملية التعليمية في هذه المرحلة، وكان حرص الواقفين في شروطهم، وحرص نظار الوقف على تنفيذها سنة بعد أخرى مما رسخ نوعاً من التقاليد التي أصبح معمولاً بها ولو لم يُنص عليها، والتدريس في مكتب تعليم الأيتام، كان يقوم به معلم، يطلق عليه عادة (المؤدب) وأحياناً (الفقيه)، وثيقة وقف جمال الدين الأستادار، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظـــة (٧)، دار الوثائق القومية، وفي وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم (٨٨٩) أوقاف اعتبر المؤدب من بين فقهاء المكاتب، وسواء كان فقيهاً أو مؤدباً كان يشترط فيه شروط خلقية واجتماعية منها أن يكون ذا عقل وعفة، متزوجاً، صحيح العقيدة، وقد كان يساعد المؤدب أو الفقيه عريف مثله في ذلك مثل معيد المدرسة الذي لم يكن سوى طالب علم متقدم، أو مساعد مدرس الذي يتبعه في مذهبه ومادة التخصص في أعماله، ويحضر الدرس الذي يكلفه به "فكل معيد يقرأ درساً واحداً من كتاب يعينه له المدرس.. والطلبة يسمعون ذلك"، وثيقة وقف الأمير صرغتمش (٣١٩٥) أوقاف، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ١٧٣، كما كان على المعيد أن يجلس مع الطلبة قبل وبعد الدرس لمساعدتهم على استيعاب دروسهم، وهذه الشروط تنطبق على العريف بالمكتب أي أنه كان يقوم بمساعدة المؤدب، وقد جاء في بعض الوثائق ما يؤكد ذلك مثل: "ويرتب الناظر شخصاً يكون عريفاً لهم مساعداً للمؤدب"، وثيقة وقف الأمير صرغتمش (٣١٩٥) أوقـــاف، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ١٧٤، ".. ويصرف لرجل يكون عريفاً للأيتام.. معيناً لمؤدبهم على تأديبهم، ويعلمهم القرآن العظيم والخط العربي على عادة العرفاء في ذلك"، وثيقة وقف السلطان قايتباي، رقم (٨٨٦) أوقاف، ص ١٣٥، وشروط العريف هي شروط المؤدب السالف الذكر.

(٢) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص ٧٠٨.

مشيخة الربط بالمدينة المنورة، وتولى تعمير رباط الأصفهاني[١]، فضلاً عن الإدارة العليا لهذه الأربطة التي كانت بيد قاضي الحرمين الذي كان من اختصاصه نظر الأوقاف والربط[٢]، وعلى رأس ذلك كله الموارد المالية .

وامتلأت منشآت الباسطية الاجتماعية والتعليمية بالعلماء والطلاب، وازدهرت بها الحلقات العلمية، وممن أثرى العلم بها قاضي القضاة[٣] جلال الدين أبو السعادات محمد بن محمد بن محمد المكي الشافعي[٤]، الذي قام بالتدريس فيها منذ إنشائها[٥] سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م واستمر في عطائه ما يربو على عامين، ومعه بعض أئمة المسجد الحرام مثل الشمس البخاري[٦]، والقاضي أبو اليمن النويري أحد القضاة الأربعة بمكة، المشهور بعلمه الفياض، وسماعاته الكثيرة، وقد أجيز من الكثيرين، ونشر علمه على طلاب هذا الرباط، وناب في الخطابة

---

(١) ذكر ابن فرحون أن برباط الأصفهاني جماعة أولهم وأولاهم بالذكر الحبر الكبير والسيد الشهير ذو العلوم المتعددة عز الدين يوسف ابن الحسن الزرندى، المحدث، سكن رباط الأصفهاني، فعمره، ورده إلى أهله على شرط الواقف بعد أن كان متزلاً للنساء، وكان شيخ الربط كلها يتفقدها ويعمرها، سكن في حجرة الرباط، فما كان يعرف الرباط إلا به، وكان يقرئ به وبالروضة الشريفة (البخاري)، فيختمه في كل جمعة، وقيل إنه ختمه في ثلاثة أيام، لأنه صار على قلبه وطرف لسانه يؤديه بفصاحة ومعرفة لا يمل سامعه قراءته، ومن غاب أعاد له ما فاته، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) وممن تولى ذلك محمد بن أحمد بن محمد ... القرشي العقيلي، قاضي مكة وخطيبها، عز الدين أبو المغافر بن قاضي الحرمين وخطيبهما محب الدين أبي البركات بن قاضي مكة كمال الدين أبي الفضل النويري، المكي الشافعي، ولادته بالمدينة المنورة في رمضان سنة ٧٧٥هـ، وبها نشأ، مسموعاته وإسماعاته بالمدينة ومكة وغيرهما لا حصر لها وكما سمع من الرجال فقد سمع من النساء كأم الحسن بنت الفقيه أحمد بن قاسم الحرازي وأجيز من بلاد كثيرة، فضلاً عن مكة والمدينة، فقد أجازه برهان الدين الأنباسي في سنة ٨٠١هـ لما قدم من مصر إلى مكة، وقرأ عليه في الحاوي، وأجازه بالتدريس والإفتاء، ناب لأبيه في الخطابة سنة ٧٩٦هـ وما بعدها، وناب عنه في الحكم سنة ٧٩٧هـ وفي درس بشير، وباشر جميع وظائف أبيه إثر وفاته، لأن أباه استنجز له توقيعاً من الملك الظاهر بأن يكون نائباً عنه في حياته مستقلاً بعد وفاته، وقد ولاه السلطان الظاهر بمصر قضاء مكة وخطبتها وحسبتها، ونظر المسجد الحرام والأوقاف والربط في أثناء شهر رمضان سنة ٨٠٦هـ، وقد أثرى الحياة العلمية، فدرس بالمدرسة الأفضلية بمكة ودرس بشير وانتشرت معارفه بالمدينة وغيرها، وفاته بمكة ليلة الأحد ٢١ من ربيع الأول سنة ٨٢٠هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٧٢ - ٣٧٦ برقم ٤٧، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٠٦.

(٣) وجدت وظيفة قاضي القضاة أيام الفاطميين في عهد العزيز ثاني خلفائهم في مصر، وقبلهم كان تابعاً لبغداد، وتعيينه في أيام الفاطميين من الشيعة الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وفي عهد الوزير أحمد بن الأفضل عين لكل مذهب قاضي قضاة، فكان في منصب: قاضي القضاة، أربعة: أحدهم شافعي، وآخر مالكي، وثالث إسماعيلي، ورابع من الإمامية، ولما ولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة للعاضد اكتفى بقاضي قضاة شافعي واحد، وظل ذلك إلى عصر المماليك، وفي عهد السلطان بيبرس البندقداري عين في هذا المنصب أربعة لأصحاب المذاهب السنية، وكل منهم كان مستقلاً عن الآخر، وكان يعين على هذا المنصب وزير التفويض عن الخليفة في آخر حكم الفاطميين، وفي العصر الأيوبي والمملوكي من قبل السلطان، وعلى الرغم من تواجد هذا المنصب للحنابلة في مصر، فإنه لم يكن له أتباع بها وإنما كان نفوذه في العراق، وبسقوط الخلافة فيها قضى عليه وانتقل إلى مصر، وفي سنة ٦٦٣هـ كان الأمر بتعيين أربعة قضاة يمثلون المذاهب السنية الأربعة، ابن خلدون، مقدمته، ص ٢٢٢، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٦، ٤١، والبقلي، التعريفات بمصطلح صبح الأعشى، ص ٢١٦.

(٤) أبو السعادات المذكور أثرى الحياة العلمية من خلال وظائفه التي أسندت إليه مثل نظر المسجد الحرام والخطابة والقضاء، وإشرافه على الأيتام والربط، وتولى التدريس في أغلب الربط والمدارس بمكة، وفاته ٨٦١هـ، ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٥٥.

(٥) منشآت الباسطية التي تتضمن الرباط منسوبة إلى واقفها الزيني عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم، وأصل موقعه بدار تعرف بدار العجلة، استولى عليها أولاد راجح بن أبي نمي، ثم باعوها على الواقف سنة ٨٣٤هـ، واختلف في وظيفة هذه المنشآت، منهم من وصفها بالمدرسة وآخر بأنها رباط، ومنهم من وصفها بغير ذلك، لكنها على أي حال كانت لها مهام اجتماعية وعلمية، السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٣١، ودحلان، خلاصة الكلام، ص ٨٥.

(٦) هو: **الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن شرف الدين بن علي البخاري**، (ت٨٩٥هـ) وقد حصل معارفه من بلده بخارى وعلى مشاهير بمختلف البلاد الإسلامية كمصر ومكة والمدينة، جاور بمكة سنة ٨٥٦هـ، وتولى إمامة المقام الحنفي سنة ٨٦٧هـ، ودرس بهذا الرباط وبمقام الحنفية وغيرهما، السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ برقم ٥٤٣.

عن الخطيب أبي الفضل النويري، ثم عن ولده أبي القاسم، ثم شاركه فيها، ثم جمعت له، وولي قضاء مكة وجدة، ونظر المسجد الحرام، ومشيخة هذا الرباط ونظارته، وكثر تحديثه بمكة وسائر البلاد كالقاهرة، وسمع منه الفضلاء، وأجاز له السخاوي المؤرخ المشهور، ونشاطه في الحديث وتدريسه كثير، وأسهم من خلال وظائفه في أكثر من علم[١]، وهناك كثيرون علّموا وتعلّموا في هذا الرباط[٢].

ومن الأربطة التي أسهمت في الحركة العلمية رباط الزمامية المنسوب إلى خشقدم زمام الآدر الشريفة[٣]، ورباطه كما ذكر في وثيقة وقفه مطل على المسجد الحرام والكعبة المعظمة، وقد جعلت حجة الوقف لسيدنا الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد أن يقرر شيخاً من أهل العلم والدين، وأن يرتب معه عشرة من الطلبة الغرباء، ليجلسوا حوله بعد صلاة العصر، ويفرق خادم الربعة على القارئين الربعات ليقرأوا في ربعاتهم المذكورة جزءاً من القرآن وهو حزبان، وبعد قراءتهم يقرأ ثلاثة فيهم سورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة، وآخر سورة البقرة، ويذكرون الله تعالى بعد ذلك ويصلون على النبي ﷺ، ثم يبدأ أحدهم بالدعاء، مهدياً ثواب ما قرأوا في صحيفة الواقف، ومن بعده لأموات المسلمين ثم ينصرفون إلى مقر سكنهم بالرباط، ويكررون ذلك يوميّا، عدا أيام الأعياد، ومقابل ذلك يقرر لهذا الشيخ أربعة عشر من الذهب الأفلوري كل شهر، ولكل قارئ من القراء العشرة عشرة من الذهب الأفلوري شهريّا، ولخادم الربعة أفلوريان ونصف[٤]، وقد أسندت الوثيقة إلى الشيخ الوكيل أن يقرر إماماً مجيداً لقراءة القرآن يصلي بهم التراويح في كل سنة، ومكبِّراً، ومقابل ذلك فقد حددت للإمام أفلوريّا وثلثاً في كل شهر رمضان، وللمكبر نصف ما للإمام أي ثلثا أفلوري[٥]، وكان بهذا الرباط عدد كبير من رواد الحركة العلمية منهم الشيخ محمد بن أبي بكر بن الحسين، المصري المدني (٧٧٥ - ٨٥٩هـ/ ١٣٧٣ - ١٤٥٤م) الذي انتشرت معارفه تدريساً وتحديثاً في مكة والمدينة المنورة، وخارجهما إلى سائر البلاد الإسلامية، بالإضافة إلى ولايته مشيخة هذا الرباط ورعايته[٦].

---

(١) هو: أبو اليمن محمد بن محمد بن علي بن أحمد النويري، ولد بمكة سنة ٧٩٣هـ، ونشأ بها، حفظ القرآن وجوده، وتفقه في فقه المالكية، ثم تحول شافعيّا، وحضر دروس مشاهير العلماء كالجمال بن ظهيرة. والشمس البرماوي، واعتنى به أخوه لأمه التقي الفاسي، وأجاز له خلق كثير منهم البلقيني، والتنوخي، وابن الملقن وغيرهم،ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٨، ص ٤٤٧، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٦٩، إتحاف الورى، ج٤، ص ١٣٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص ١٤٣، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٧٨، والتبر المسبوك، ص ٢٩٠.

(٢) منهج الشيخ سراج الدين عمر بن أبي راجح محمد بن علي الشيبي، ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٠٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ١٢١، برقم ٣٩١، والإمام الشيخ أحمد بن محمد بن محمد، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ١٧٩.

(٣) هذا الرباط وقفه الزيني خشقدم الزمام الظاهري برقوق (ت٨٣٩هـ/١٤٣٥م) ، ومآثره كثيرة وحسنة، وتاريخ وقف رباطه لم تحدده المصادر، وقد ذكره ابن فهد في قوله: "... أول ما أنشئ ... في سنة... وثلاثين وثمانمائة..."، مما يشير إلى أنه أنشئ قبل وفاة الواقف، وحجة وقفه مؤرخة في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ .

(٤) حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة، رقم الوثيقة (٩٠)، دار الوثائق القومية، سطر ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٥) حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة، رقم الوثيقة ٩٠، دار الوثائق القومية، سطر رقم ٤٤، ٤٥، وهذا الرباط وقف عليه الواقف وقفاً جليلاً، وهو الربع الذي بالمسعى، ويعرف بربع التوريزي، وعرف بذلك لولايته على عمارته، وجعل الناظر على ذلك الشيخ شمس الدين عمر الشامي، حجة وقف الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة، وثيقة رقم (٩٠)، دار الوثائق القومية، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦٤.

(٦) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٢٠ - ٢٢٢، والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ١٤٦ - ١٤٧.

وقد أثرى الحياة العلمية في رباط ابن الزمن عدد كبير من رواد هذه الحركة، منهم الشيخ الفقيه نور الدين علي بن محمد، الشافعي الذي أقرأ الفقه به، وأذن له بالفتيا والتدريس[١].

وقد أسهم رباط قايتباي[٢] في زيادة النشاط العلمي من خلال كثرة رواده، وساعد على ذلك كثرة أوقافه من خبز و دشيشة تصرف يومياً، وقمح يأتي سنويّا، لذا وجد قاصدو الرباط كل مطالبهم فتوفروا على العلم تحصيلاً وتدريساً، ممن تولى التدريس بهذا الرباط إسماعيل بن أبي يزيد بن الشيخ جمال الدين التوريزي الأصل اليماني، ثم المكي الشافعي، أقرأ بالأشرفية بمكة كثيراً من الطلبة، ودرس للطلبة الفقه والعربية وغير ذلك[٣].

وأسهمت أربطة المدينة في نشر الحركة العلمية، فقد تلقى فيها طلبة العلم المواد المختلفة على أشهر العلماء النابغين، فمن تلك الأربطة رباط دكالة، ويقال له رباط المغاربة[٤]، وسكنه كثير من طلبة العلم وأشهر العلماء والصالحين وممن سكن بهذا الرباط عبد الواحد الجزولي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) وقد اشتهر بغزارة علمه في الحديث والقراءات، وكان مكبّا على مدارسة العلم ونسخ الكتب بهذا الرباط[٥].

وكان بهذا الرباط أيضاً سعد الله بن عمر بن محمد الشافعي، المجاور بالمدينة الشريفة. وقد أثرى الحياة العلمية بتدريسه فيه، وممن حضروا عليه وقرأوا على يديه النور علي بن محمد بن مرسي المحلي في جمادى الآخرة سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م كتاب (الشفا)[٦].

ومن الأربطة التي سكنها رواد المعرفة من طلبة العلم والعلماء: رباط الأصفهاني، وممن سكنه حين حضر إلى المدينة يوسف بن الحسن الزرندى، وأثنى عليه ابن فرحون كثيراً لعلمه وسعة خلقه وحبه للخير حيث قال:

---

(١) علي بن محمد بن عيسى بن عمر بن عطيف نور الدين العدني اليماني الشافعي، نزيل مكة، ولادته سنة ٨١٢هـ بالسلامية (السلامية من كبرى قرى الموصل بالعراق، يكثر بها البساتين)، الحموي، البلدان، ج٣، ص ٢٦٥)، مسموعاته وقراءاته كثيرة في سائر البلاد، قطن مكة دهراً، ومكث بالمدينة الشريفة، وأخيراً استقر بمكة، فتصدى لإقراء الفقه بها وسائر منشآتها العلمية، وتصدر أيضاً للفتيا، واستقر ناشراً علمه في الزمامية وغيرها، وتركها بعد تباينه مع شيخها البرهان، وفاته في جمادى الأولى سنة ٨٨٦هـ، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ١٣٦.

(٢) هذا الرباط لا نظير له، واكتمل بناؤه ضمن منشآت قايتباي سنة ٨٨٣هـ، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٢٩، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧١٦، والنهروالي، الإعلام، ص ٣٣٦.

(٣) وهو المعروف بابن بنت غناء، لازم الفخر أبا بكر بن ظهيرة، وكان هو القارئ عليه في دروسه غالباً، ثم قرأ على ابن أخيه الجمال أبي السعود، بل على أبيه من قبله برباط الأشرفية المكية وغيرها، ودرس للطلبة الفقه والعربية وغيرهما، وصف بأنه كان عالماً متواضعاً، لين الجانب، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٣٠٩ برقم ٩٦٤.

(٤) ذكر السخاوي أن رباط دكالة يقال له رباط المغاربة، ويعرف بسيدنا عثمان، أو بدار عثمان بن عفان، وقام بتجديده وعمارته محمد ابن عبد الله بن زكريا (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٥٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥، والضوء اللامع، ج٨، ص ٨٨.

(٥) ذكر ابن فرحون أن الشيخ عبد الواحد الجزولي كان من العلماء المشهورين بالمدينة، ومجاوراً في رباطه، مكبّا على نسخ العلم، عالماً بالحديث والقراءات وغيرها، له كتب كثيرة بخطه وقفها كلها، وأثرى الحياة العلمية كثيراً، وكان متصدياً للمنكر ،"إذا رأى منكراً غيره بيده ولسانه"، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ٦٧، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ٨٨.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ١٢٢ - ٢٢٣.

"وكان برباط الأصفهاني جماعة أولهم وأولاهم بالذكر، الحبر الكبير والسيد الشهير، ذو العلوم المتعددة والمقامات الربانية... عز الدين يوسف بن الحسن الزرندى المحدث"[١].

وازدهرت الحركة العلمية برباط الشيرازي، وسكنه مشاهير العلماء والصالحين، ومنهم أبوبكر الشيرازي[٢].

وكان رباط قايتباي بالمدينة، معدّا لسكن طلبة العلم وكان ضمن منشآته، وربطه بالمدرسة ليسكن به طلبة العلم[٣].

وعندما يصل الطالب إلى الدرجة التي يصبح فيها أهلاً لحمل أمانة نشر العلم وإذاعته بين طالبيه، مشاركة مع شيوخه، جرت العادة أن يحظى في نهاية دراسته بإجازة، وهي شهادة علمية تمنح له من قبل شيخه الذي درس عليه في نهاية دراسته لأحد الكتب، أو في إنهاء موضوع معين، وحتى ينال الطالب هذه الإجازة لابد له من شيخ يقرأ عليه ما يريد، لأن قراءته مع نفسه لا تكفي، ولا توصل صاحبها لأن يكون في مصاف العلماء، ويشترط لصحة هذه الإجازات، أن يكون المجيز عالماً بما يجيز به، وثقة في دينه وروايته، وأن يكون معروفاً بالعلم، وأن يكون المستجيز من أهل العلم أيضاً حتى لا يوضع العلم في غير أهله، وممن أجيزوا أو أجازوا علي بن يعلى بن على المعروف بالسختيلي (ت٦٥٢هـ/١٢٥٤م) الذي أجاز للقطب القسطلاني، وولده أمين الدين[٤]، وأجاز له أيضاً الحافظ أبوالفتح الحصري إمام الحنابلة بالحرم الشريف[٥]، وما من ترجمة لعالم من العلماء إلا يذكر فيها أعداد من أجازوا له، ومن أجاز هو لهم، وقد قدم الفاسي صورة من هذه الإجازة في ترجمته لنفسه حيث ذكر أنه في سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، زار المدينة وحضر بها مجلس الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الوانوغي في الأصول والفقه والحديث والتاريخ وغير ذلك مما كان سائداً تدريسه في هذا العصر، وأذن له شيخه الوانوغي المذكور في الإفتاء والتدريس، وكتب له بخطه إجازته بمنى في أيامها من سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م، ومما كتبه الوانوغي في إجازته للمذكور "... كان ممن اجتمعت به وذاكرته وباحثته مراراً عديدة في مسائل كثيرة من مسائل الفقه وغوامضه، ومايتعلق بها، وتكررت أسئلته عن ذلك كله ومباحثه فيها مرة بعد أخرى: السيد الفقيه الفاضل، الأعدل، الأكمل، الجامع للصفات الفاضلة، الحسيب الأصيل، القاضي تقي الدين محمد بن الشيخ الحسيب الأصيل شهاب الدين أحمد بن علي الفاسي، نفع الله بفوائده وعلومه الجليلة، وقد ورد علينا بالمدينة الشريفة، وحضر معنا درس الفقه والأصول، وأبدى فيه من فوائده ومباحثه الجليلة ما يليق بعلمه وفضله على طريقة أهل

---

(١) وفضلاً عن تحديثه ونشره العلم بين أهله، فقد عمر هذا الرباط ورده إلى أهله على شرط واقفه، وكان شيخاً للربط كلها، وما كان يعرف الرباط إلا به، ولزم قراءة البخاري في الروضة المشرفة، وكان يختمه كل جمعة، وقيل في ثلاثة أيام، لأنه صار على قلبه وطرف لسانه يؤديه على طلابه بكل فصاحة ومعرفة، لايملّ سامعه قراءته ، ومن غاب أعاد له ما فاته، ذكرت وفاته من خلال ترجمته بأنه توفي (بطريق العراق ذاهباً في سنة ٧١٢هـ)، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٠٤ ، ١٠٥.

(٢) أبوبكر الشيرازي، توفي سنة ٧٣١هـ، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١١١، وسكن رباط التستري بعض العلماء والطلبة منهم الشيخ محمد الكازروني، وعمر الكازروني، والفيروزآبادي ، وهذا الرباط بالقرب من المسجد الشريف ويعرف بعش الصالحين، وبه جمع من العلماء الذين ذكروا ، ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١١٢.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٦٤٢ - ٦٤٣، وإبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٧١٤ - ٧١٦.

(٤) أحمد شلبي، الحضارة الإسلامية، ج٥، ص ٢٦٧.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٢١.

الفنون والمباحث. فرأيته في ذلك كله: أهلاً للتدريس، والفتوى، والحكم وإفادة الطالبين، مع ما جبل عليه من حسن الفهم، وحسن الإيراد وسعة البال في البحث والمراجعة فيه، فأوجب ذلك كله الإذن له في التدريس والفتوى، وإفادة الطلبة حثه إلى الاشتغال بذلك كله، والملازمة له لينتفع به الناس عموماً، وأهل بلده خصوصاً، فإني لم أر في فقهاء المالكية بالحجاز كله من يقاربه في جميع ما ذكرناه – نفع الله به – ولا في اتصافه في العلم ولا الفهم عن الأئمة. انتهى باختصار من أوله وآخره"[١].

وقد أجاز كبار علماء مصر والإسكندرية ودمشق وبغداد أحمد بن عبد القوي بن شداد، كمال الدين برهان الربعي، المجاور بالمدينة (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)[٢].

وفي المصادر ما يفيد أن هذه الإجازة كانت تكتب على الورقة الأولى والأخيرة من الكتاب الذي درسه الطالب، وأحياناً على ورقة منفصلة كإجازة الفاسي السالفة الذكر، وهذه المهمة لم تكن سهلة على طالب الإجازة لأنه إذا عجز عن القيام بها عاد إلى مكانه في حلقة أستاذه[٣].

وعني الواقفون من السلاطين وغيرهم باختيار العلماء والمدرسين للتدريس بمدارسهم، واشترطوا أن يكونوا من المعروفين بالعلم والفضل من ذوي المذاهب الأربعة السنية، وهذا أيضاً ما كان سائداً في الحرمين الشريفين، فقد اشترط بعض الواقفين على ذوي هذه المذاهب أن يتصدوا للاشتغال بالعلم الشريف ونشره بين أهله، وإحياء معالم الدين وشد أزره في كل يوم تجاه الكعبة الشريفة، أو الحرم النبوي. ومدرس الحديث كمدرس الفقه اشترط الواقفون صدقه وديانته وعدالته وصيانته، وأن يكون له رواية ودراية بحديث الرسول ﷺ، حافظاً قدراً في متون الأحاديث والأسانيد، عارفاً ببعض علومها[٤].

وهذه الشروط كان يُطلب توافرها في الأستاذ أو المدرس، فمكانته، وخاصة المشهورين منهم في ذلك العصر كانت تفوق مكانة أو مركز المدرسة نفسها، لأن رواده من طلبة العلم كانوا يرتحلون إليه بالذات

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ من ترجمة الشيخ تقي الدين الفاسي، والوانوغي مانح هذه الإجازة هو محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي، العلامة المفنن، البارع، أبو عبد الله، المعروف بالوانوغي نزيل الحرمين الشريفين، ولادته بتونس سنة ٧٥٩هـ، وفاته بمكة ١٩ من ربيع الآخر سنة ٨١٩هـ، وقد أفاض الفاسي في صفاته العلمية والخلقية، ودرس بالحرمين، وأفتى فيهما كثيراً، وذكر أنه كان يتعرف رأيه في كثير من مسائل الفقه لما في كثير منها من الغموض، وكان يستحسن تقرير الفاسي للسؤال عنها، وما أشير إليه من أثناء السؤال من الجواب عنه، ويقول أيضاً وقد سوغ لي الإفتاء والتدريس في المذهب ورواية ما له من مروي ومصنف، وكتب لي خطه بذلك وصورة ما كتبه: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم يقول كاتبه العبد الفقير إلى ربه: محمد بن أحمد الوانوغي: إنه لما من الله سبحانه علي بالتردد إلى مكة المشرفة حاجّا ومعتمراً ومجاوراً، وطلبت الاجتماع بعلمائها وفضلائها وصلحائها، وحكامها، كان ممن اجتمعت به... وكمالة ذلك مذكورة، الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣١٤ ترجمة رقم ٣٢.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج١، ص ٣١٨، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦١٥.

(٣) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٥، القاهرة، مكتبة النهضة الإسلامية، ط٦، ١٩٨٧م، ص ٢٦١. وقد أورد صاحب هذا المرجع نسخة خطية من مقامات الحريري، كتبت عليها إحدى وعشرون إجازة بدار الكتب المصرية، كتب الأولى مؤلف المقامات نفسه، ونصها "سمع علي المقامات الخمسين التي أنشأتها الشيخ أبو معمر المبارك أحمد بن عبد العزيز الأنصاري، وأحسن الله توفيقه وكُتب القاسم بن علي بن محمد بمدينة السلام في شعبان سنة أربع وخمسمائة، وقد أجزت له رواية جميع مالي من مسموع"، أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٥، ص ٢٦٤.

(٤) راشد القحطاني ، أوقاف الأشرف شعبان ص ٩٤.

أينما كان ويحصلون منه على الإجازات العلمية المؤكدة لنبوغهم، أو تفوقهم في علم أو عدة علوم، ولهذا كان من شرط الواقفين أن تكون مشيخة مدارسهم وأربطتهم على نوابغ العلماء، فمدرسة الباسطية بالمدينة الذي أنشأها الزيني عبد الباسط قرر في مشيختها علي بن إبراهيم بن محمد الزين الحسيني العجمي، الشافعي المُكتب، المجاور بالمدينة، بل لم يبنها فيما قيل إلا له، وتصدى فيها لأمراء العلوم والتكتيب مع لسان فصيح وقدرة على التعبير، ولم يختلف على تقدمه في العلم والصلاح من أهل المدينة اثنان[١]، ورباط ابن الزمن الذي تولى مشيخته علي بن أحمد بن علي بن عبد الله، القاهري، الفرضي (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م) وقد تولى مشيخته بولاية من الواقف محمد بن عمر بن محمد الخواجا، المعروف بابن الزمن (ت٨٩٧هـ/١٤٩١م) قد أثرى الحياة العلمية بهذا الرباط، واجتمع الطلاب على دروسه المتميزة في الفرائض والحساب والفقه[٢].

وكانت الإجازة تمنح للطالب في علم أو عدة علوم، والعلوم المتداولة هي العلوم الشرعية التي طغت على بقية المواد كاللغة العربية التي قلت عن العلوم الشرعية وبالطبع فهذا يعود إلى الرغبة الملحة والقوية في نشر العلوم الدينية، وهذا ظهر واضحاً من خلال تراجم علماء هذه الفترة، هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أن السلاطين الواقفين كانوا يجلون الفقهاء والمحدثين أكثر من علماء اللغة، وهذا واضح من خلال المناصب الدينية بالحرمين كالإمامة والخطابة والقضاء، التي كان يعين بها فقهاء الشريعة، ونادراً ما نجد وثيقة وقف حضت على دروس هذه اللغة، ويأتي بعدها العلوم العقلية التي قل المشتغلون بها.

ومن البديهي أن يكون في مقدمة العلوم الشرعية: القرآن الكريم، والعناية به وتحفيظه للأطفال وكيفية تلاوته وتجويده بعيداً عن اللحن[٣]، وممن اشتهروا بهذا الفن من العلماء صالح بن محمود بن محمد بن إبراهيم، الأصبهاني (ت بمكة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م) ومن خلال ترجمته تبين أنه أحد المقرئين بالسبع، والمدرس لعلم القراءات وغيره كالحديث، فضلاً عن إقرائه للقرآن الكريم[٤]، كما اشتهر قاضي المدينة

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٨٥ برقم ٥٤٧، والتحفة اللطيفة، ج٣، ص ٢١٠، وفيها وفاته مابين سنة ٨٦٠هـ، ٨٦٢هـ، ومثل هذه الحقيقة قد ترددت كثيراً منها ما شرطه الواقف مثلاً أن تكون مشيخة الجمالية لأعلم علماء الشافعية بمصر، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٣٣٨.

(٢) هذا الرباط بمكة، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ٢٦٠، ٢٦١، وشيخ الرباط المذكور كان بولاية من الواقف ابن الزمن، ولادته قبيل ٨٣٠هـ، مسموعاته كثيرة في الحساب والفقه، وتميز في الفرائض والحساب، وأقرأهما الطلبة، فأجاد مع ظواهر الفقه، واستقر به ابن الزمن في مشيخة رباطه وأقرأ الطلبة فيه، وجاور بالمدينة أشهراً، وتردد إلى السخاوي بمكة، وقال عنه نعم صلاحاً وسلامة فطرة وانعزالاً عن الناس، مات بمكة في مجاورة بها على المشيخة مرة أخرى في صفر سنة ٨٩٣هـ، ودفن بالمعلاة، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٧٣ برقم ٥٩٨.

(٣) ابن جبير، رحلته، ص ١٢٧ - ١٢٩، وراجع التعليم في مكاتب السبيل بهذا المبحث.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٢٩ - ٣٠ برقم ١٣٩٣، ومن تلا بالروايات بعشرين كتاباً هو عبد الله بن عبد الحق المصري، وفاته ٧٢١هـ، سماعه ومسموعاته كثيرة وسعت سائر العلوم الدينية، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ١٠٠، والفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ١٩٦ - ١٩٩ برقم ١٥٦٢، وخلفه ابنه محمد (ت٧٢٣هـ) الذي أسمع مشاهير علماء الحجاز، اجتمع به الناس وبغيره بعرفة وسمعو بقراءاته، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٦٤ برقم ٣١٦.

محمد بن سليمان المصري (ت٧٦٦هـ/١٣٦٤م) في علم القراءات، ومن أهم مصنفاته "النجوم الزاهرة في السبعة المتواترة"[١] وفي التفسير ألف عبد الله بن فرحون (ت٧٦٩هـ/١٣٦٩م) في هذه المادة "نهاية الآية في شرح آية"[٢].

واشتهر بعض علماء الحديث بالإملاء[٣]، قال السخاوي في كتابه "فتح المغيث" "وأمليت بمكة وبعدة أماكن من القاهرة، وبلغ عدة ما أمليته من المجالس إلى الآن – أي عصره – نحو الستمائة، والأعمال بالنيات"[٤]، والتقي الفاسي (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) الذي حصل معارفه الفقهية على مشاهير البلاد الإسلامية ومكة والمدينة وحدث بها وألم بسائر العلوم الشرعية والعربية والتاريخية، له في الحديث (أربعون حديثاً متباينة الأسانيد والمتون بالسماع المتصل من حديث العشرة المشهود لهم بالجنة، والصحابة الذين انتهى إليهم العلم، والصحابة المكثرين والعبادلة الأربعة والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة)[٥].

وأما الفقه فقد انتشرت مذاهبه في بلاد الحجاز، وأول هذه المذاهب انتشاراً المذهب الشافعي كما كان كذلك في البلاد الإسلامية، لا سيما مصر والشام بلاد السلاطين المماليك، والحجاز بحكم تبعيته آنذاك لحكمهم، ويفسّر هذا كثرة مصنفات الفقهاء أنصار المذهب الشافعي إذا قورنت بمؤلفات أنصار المذاهب الأخرى، وأدى تشجيع السلاطين وغيرهم إلى تحول بعض العلماء والطلبة من مذاهبهم إلى هذا المذهب من خلال أموالهم الموقوفة التي أسهمت في إنشاء المؤسسات التعليمية [٦] ومن قصر منصب من المناصب الدينية على علماء الشافعية، وقد تميز هذا المذهب على غيره في إمامة المقام، فالشافعي هو الذي يبدأ أولاً الصلاة بالحرم الشريف، ومن المؤلفات الشافعية الكثيرة :(التنبيه في فروع الشافعية) لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الفقيه الشيرازي الشافعي (ت٤٧٦ هـ/١٠٨٣م) وأحد الكتب المشهورة والأكثر تداولاً[٧]، و(منهاج الوصول إلى علم الأصول) مختصر للإمام ناصر الدين عبد الله البيضاوي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)[٨] وغيرهما.

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج٦، ص ١٥٠.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص ٤٥٧، وممن اشتهر بكثرة أنشطته العلمية والتصنيفية في أكثر من علم : المحب الطبري (ت٦٩٤هـ) ومن مصنفاته في التفسير (الكافي في غريب القرآن الجامع بين المقريزي والبيان) مجلد، وكتابه (مرسوم المصحف العثماني المدني) وغيرهما، وله في الحديث (كتاب الأحكام الكبرى)، و(الأحكام الوسطى)، و(الأحكام الصغرى)، يتضمن ألف حديث وخمسة عشر حديثاً، الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٦١ – ٦٣ برقم ٥٧١.

(٣) الإملاء اشتهر في هذه الفترة، والمُمْلي: هو المحدث، والتلاميذ يكتبون ما يمليه، والإملاء يشبه في عصرنا الحاضر المحاضرات التي يلقيها الأستاذ على طلابه وهم يكتبون عنه ما يمليه، الشوادفي، منهج ابن حجر في كتابه فتح الباري، ص ٢١ ، ٢٢ والهامش.

(٤) السخاوي، فتح المغيث، شرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص ١٩، وللقطب القسطلاني ت ٦٨٦هـ كثير من المؤلفات منها (الورد الزائد في بر الوالد)، و(وسيلة العباد في فضيلة الجهاد) وغيرهما، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص ١٣٢، واليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ٣١٠، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٢١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٧٣.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٣١، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ١٩.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

(٧) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٤٨٩.

(٨) المرجع السابق، ص ١٨٧٨.

وبعد هذا المذهب في الأهمية يأتي أتباع المذهب المالكي، وأغلب من اعتنق أو انتمى إلى هذا المذهب ترجع أصولهم إلى المغرب العربي[١] والأندلس، كالفاسي في مكة المكرمة[٢]، وابن فرحون[٣] في المدينة، وغيرهما ممن لهم نشاط ملحوظ في تدريس الفقه المالكي بالمدينتين المقدستين.

ومن المؤلفات التي تناولها فقهاء هذا المذهب كتاب (منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل) للعالم الشهير جمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي، والمتوفى سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، وقد صنفه أولاً، ثم اختصره، وهو مشهور (بمختصر المنتهى)، (مختصر ابن الحاجب)[٤] وغيره من كتب المالكية[٥].

ويأتي بعده المذهب الحنفي، ومن المؤلفات التي تناولها فقهاء الحنفية (كتر الدقائق) في فروع الحنفية لأبي البركات عبد الله بن أحمد، المعروف بحافظ الدين النسفي (٧١٠هـ/١٣١٠م)[٦].

وأخيراً يأتي المذهب الحنبلي، وأتباعه قلة، ونشاطه أقل من بقية المذاهب السابقة، ومن مؤلفاته التي تناولها فقهاء هذا المذهب (الكافي في فروع الحنبلية) للشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)[٧].

ومن خلال ما سبق يتضح أهمية الوقف والدور الذي لعبهُ في النمو العلمي من خلال مدارسة المذاهب الأربعة المشهورة في بلاد الحجاز، ومن مشاهير العلماء في تلك الفترة سليمان بن خليل العسقلاني، المكي الشافعي، إمام وخطيب المسجد الحرام ومفتيه، حدث بالكثير، ودرس وأفتى، وألف كتاباً في المناسك، يقول الفاسي: "رأيته بخطه في مجلدين"، اشتغل بمدارسة (التنبيه)[٨] على مذهب الشافعي، وكان أبوه حنبليا، ولما ولي الخطابة بالحرم أقام السنة في الخطبة بمنى[٩]، ومن العلماء المشهورين محمد بن عيسى الأزدي الدوسي،

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٣) ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٨٥٣.

(٥) كان بمكة خزانة المالكية، وقد وقف محمد بن عبد الله المكناسي إمام المالكية بالحرم الشريف سنة ٥٨٨هـ (المقرب) لابن أبي زمنين المالكي لست مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة، وجعل مقره بخزانة المالكية، (ولم يذكر الميورقي وفاته)، المكناسي نسبة إلى مكناسة وهي مدينة بالمغرب من بلاد البربر، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ١٨١، وابن زمنين هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الأليدي المكي، المتوفى سنة ٣٩٩، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٧٤ وحاشيتها.

(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٥١٥.

(٧) المرجع السابق ج٢، ص ١٣٧٨.

(٨) التنبيه في فروع الشافعية لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي، المتوفى سنة ٤٧٦هـ، وهو أحد الكتب المتداولة بين الشافعية تدريساً، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٤٨٩.

(٩) يقول الفاسي في خطيب وإمام الحرم خليل المذكور، كان مفتي الحرمين، يعيب على الخطباء بمنى الخطبة قبل الرمي، فلما ولي الخطابة أقام السنة، وجملة ما قيل فيه يشهد له بسمو خلقه وفيض علمه، وأنه كان عليه مدار الفتيا أيام المواسم، وفاته ٦٦١هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ٦٠٣ - ٦٠٥ برقم ١٣٣١، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٨٨.

المتوفي بالمدينة، ومن مؤلفاته نظمه (للتنبيه) لأبي إسحاق الشيرازي، وشرحه لذلك في أربع مجلدات، وله في الفقه أيضاً (المقتضب) وتم وقفهما برباط ربيع[١].

وممن وسعت معارفهم العلوم الشرعية والتاريخية القطب القسطلاني[٢] ومن مصنفاته كتاب في المناسك، وله مؤلفات في التاريخ: (عروة التوثيق في النار والحريق)، واستفاد منه السمهودي في كتابه وفاء الوفا[٣].

ومن العلماء المشهورين المحب الطبري الذي أثرى المكتبة الإسلامية بكثير من مصنفاته، فله في الفقه مجموع من الخلاف، وشرح التنبيه في عشرة أسفار، ونكت كبرى عليه، ونكت صغرى لم يتم منها إلا مجلد، وله في التاريخ: (الرياض النضرة في فضائل العشرة)، وكتاب: (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى)، وكتاب: (السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين)[٤]، ولابنه محمد المتوفى سنة وفاة أبيه كتاب في المناسك سماه: التشويق إلى البيت العتيق[٥]، وهذا الكتاب يتضمن أسرار الحج والشوق إليه، وما ينبغي على كل حاج عمله، ويتحدث عن البيت الحرام وحدوده، وقد قسمه إلى ثلاثين باباً وخاتمة، وهو كتاب جامع للفقه والتاريخ، وممن اشتهر في الفقه وبرع فيه وفي أصوله، فضلاً عن النحو والمنطق وغيره أحمد بن محمد الشيرازي، المجاور بمكة (ت٨٦١هـ/ ١٤٥٦م)، وكان بليغا بشرح التوحيد، واستفاد منه كثير من طلبة العلم ، ومن مؤلفاته شرحه على الحاوي[٦]، كما اشتهر عبد الرحمن بن الحسين الكردي، المجاور بالمدينة بكثرة مصنفاته التي منها: (الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين في مكان واحد)، و(تاريخ تحريم الربا)، و(تكملة شرح المهذب للنووي)[٧] وغير ذلك.

وممن اشتهروا من فقهاء المالكية علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون (ت٧٤٦هـ/١٣٤٥م) الذي أثرى الحياة العلمية عن طريق اشتغاله بالفقه والعربية بالمسجد النبوي، ومن مصنفاته في الفقه (الجواب الهادي عن أسئلة الشيخ أبي هادي)[٨]، وكان لابنه إبراهيم (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) في الفقه المالكي (منضدة الأحكام) ويسمى (تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام)[٩].

---

(١) وفاته بالمدينة سنة ٦٧٤هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ برقم ٣٥٢، ورباط ربيع : موقوف عن موكله الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتاريخ وقفه سنة ٥٩٤هـ،والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن علي، وفاته سنة ٦٨٦هـ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص ١٣٢ برقم ٤٨٠، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٢٢.

(٣) نقل منه السمهودي في جزئه الأول من ص ١١٤ وما بعدها، وفي جزئه الثاني من ص ٥٩٧ وما بعدها، وذكر حريق المسجد النبوي، وعظم لطف الله تعالى في حدوث ذلك.

(٤) هو: أحمد بن عبد الله بن محمد، المتوفى سنة ٦٩٤هـ، ومصنفاته كثيرة من خلال ترجمته في الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٦٣ - ٦٤ برقم ٥٧١.

(٥) توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية، مخطوطة برقم ٢١٢/٨ب حوالي ١١٣ ورقة، فهرس المخطوطات بدار الكتب من عام ١٩٣٦ — ١٩٥٥م ، تصنيف فؤاد سيد، ج١، ص ١٥٩.

(٦) ابن فهد، الدر الكمين ورقة ١٤٩أ، والسخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٨٩.

(٧) وفاته سنة ٨٠٦هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٥٦٢ - ٥٦٣.

(٨) وكان أبوهادي المذكور من شيوخ القيروان، وله حاشية على شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام، تحدث فيها على ما لم يتكلم عليه الشارح من أصل المؤلف، وعقب على الشارح في مواضع كثيرة إلى أثناء كتاب الحج، ابن فرحون،الديباج المذهب، ج٢، ص ١٢٤ - ١٢٦.

(٩) طبع بمراجعة وتقديم طه عبد الرءوف سعد، ونشرته مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ وهو جزءان في مجلد واحد، وله أيضاً "درة الغواص في محاضرة الخواص"، و"إرشاد السالك إلى أفعال المناسك"، و"قواعد الإسلام" وغيرها، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤٨، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ١٣١ - ١٣٢، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٣٣٩.

واشتهر كثيرون من علماء المذهب الحنفي، منهم ابن الضياء، محمد بن أحمد بن محمد (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م) ومن مصنفاته الكثيرة (المسرع في شرح المجمع) ويسمى أيضاً (شرح مجمع البحرين) لابن الساعاتي في أربع مجلدات[١]، وغيره، ولابنه محمد الرضى، أبو حامد (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م) شرح على الكنز، وصل فيه إلى الظهار في نحو مجلدين، وصنف غير ذلك[٢].

وعلى الرغم من قلة أنصار المذهب الحنبلي، فقد كان له نشاطه على يد محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي الحلبي، المجاور بمكة من سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م حتى وفاته سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) وقد كان عالماً مشهوراً أهّله علمه لقضاء الحنابلة وإمامة الحرم الشريف، من مصنفاته (الشافي في الكافي) في مجلد، و(كشف الغمة بتيسير الخلع لهذه الأمة) في مجلد، و(سفينة الأبرار الجامع للآثار والأخبار) في المواعظ في ثلاث مجلدات، و(الآداب)[٣] ومن علماء الحنابلة أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الفضل شهاب الدين، المجاور بالمدينة، ومن مصنفاته (التوضيح)[٤].

ولم يكن ببلاد الحجاز في تلك الفترة اهتمام كبير بعلم العقائد لذلك قل المشتغلون به والراغبون فيه، وكانت عقيدة أهل السنة والجماعة هي السائدة في مصر والشام وفي المدينتين المقدستين، وكان ما يحدث من خلافات حول بحوث العقيدة يكون له في بلاد الحجاز صدى، كخلاف علماء الشام ومصر حول ابن عربي[٥] وعقيدته، فقد انتقل صداه إلى بلاد الحجاز لكن على صورة مصغرة لقلة المهتمين بدراسة العقائد فيها، وعلى الرغم من ذلك نجد علي بن أحمد بن محمد الشيرازي، ثم المكي الشافعي[٦] (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م)، تحدث في علم التوحيد، وأخذ عنه الكثيرون من أهل مكة والوافدين إليها، وعبد المحسن بن عبد الصمد بن لطف الله الشرواني الشافعي (ت٨٨٩هـ/١٤٨٤م) الذي جاور بمكة وأخذ عنه الفضلاء شرح العقائد وأثنوا عليه[٧].

ولمؤرخ المدينة السمهودي (الأنوار السنية في أجوبة الأسئلة اليمنية) وهي ثماني أسئلة في العقيدة وردت من الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجيد اليمني سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م) فأجاب عنها[٨].

---

(١) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢١٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٨٦.

(٣) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٣٠٩، والتبر المسبوك، ص ٣٦٣، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص ٢٨٦، والزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٣٣٢.

(٤) الزركلي، الأعلام، ج١، ص ٢٣٣.

(٥) **ابن عربي هو**: محمد بن علي بن محمد بن أحمد، أبو بكر، المعروف بابن عربي، وفاته بدمشق سنة ٦٣٨هـ، وكان مجاوراً بالحرمين، وآثر العزلة ليتفرغ إلى التأليف فبرزت عنه مؤلفات لا حصر لها تدل على تبحره في العلوم ، وقد غصت هذه المؤلفات بمنظوم شعره، وكثير مما ورد عنه كان محل خلاف بين علماء عصره ومن أتى بعدهم، منهم من أوصله إلى الإلحاد والكفر - والعياذ بالله - بعد أن صرح بالوحدة المطلقة التي هي مذهبه ومذهب أمثاله، ممن يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الخالق بائن عن مخلوقاته، وقد تصدى له علماء كل بلد طوف فيه، كابن تيمية، وجماعة من الشافعية والمالكية والحنابلة، وابن جماعة، وقاضي الحنابلة بالقاهرة، وكثير من علماء مصر وقضاتها وغيرهم، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ١٦٠ - ١٩٩ برقم ٣٢٢، وفيها ترجمته وآراء العلماء حول عقيدته، والصفدي، الوافي بالوافيات، ج٤، ص ١٧٣ - ١٧٨، والكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص ٤٧٨، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ١٩٠ - ٢٠٢.

(٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ١٨٩.

(٧) المرجع السابق، ج٥، ص ٧٨، ج٦، ص ٤٨.

(٨) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ١٩٤.

وآخر من كانت لهم عناية بهذا العلم في عصر المماليك: عبد رب النبي بن محمد بن عبد رب النبي المغربي، ثم الدمشقي المالكي (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م) الذي درّس بمكة وغيرها أصول الدين لمبتدئي الطلبة[١].

وشاركت مكة والمدينة في إثراء علوم اللغة والنحو من خلال علمائهما والوافدين إليهما كمحمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) الذي قام بدور ملحوظ في إثراء الحياة الأدبية ببلاد الحجاز، وترجم له المحب الطبري في كتابه (التعريف بمشيخة الحرم الشريف)، وتناول ذكره في كتابه الآخر المسمى (العقود الدرية والمشيخة المكية المظفرية) وأثنى عليه قائلاً: "... لم يزل مشتغلاً من صغره إلى كبره، وله المباحث العجيبة والتصانيف الغريبة... – إلى أن قال – ناظر وقرأ وأقرأ، واستفاد وأفاد... ويقر له بعلمه وفضله كل محل ثم قال: وجاور بمكة سنين كثيرة"[٢]، وقد اشتهر بنبوغه في كل فن من فنون العلم كعلوم القراءات، والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، وغيرها، وله مؤلفات فيما ذكر[٣]، من مصنفاته في اللغة (الضوابط الكلية في علم العربية)[٤]، و(الكافي في النحو)[٥]، (الإملاء على المفصل)[٦]، وقد ألف محمد بن المحب الطبري (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) كتاباً في اللغة سماه "عمدة المتلفظ بتنظيم كفاية المتحفظ في اللغة"[٧].

وقد شارك شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الأبشيطي (ت ٨٨٣هـ/١٤٧٨م) في الحركة العلمية، بمؤلفاته التي شملت العلوم الشرعية كالفقه وأصوله، واللغة العربية كالعروض، والعلوم العقلية كالحساب والفروض والمنطق، ومن خلال مجاورته بالمدينة أكثر من عشرين سنة انتفع به العديد من طلبتها، ومن مؤلفاته (التحفة في العربية)، و(شرح البردة)، و(شرح قواعد ابن هشام).

وممن برع في الأدب علي بن حمد بن أبي القاسم فرحون (ت٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، ومن مؤلفاته (الزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والذخائر)[٨].

ومن خلال المصادر يبدو أن بعض العلماء كانوا يتخصصون في علم واحد، وكثير منهم يتبحّر في مجموعة من العلوم، ويجمع بعضهم بين التدريس والتصنيف، وفي ترجمة علي بن مسعود بن فيروز البغدادي، المجاور بمكة (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) أنه سمع من مشاهير علماء مكة، وأجاز لابن مسْدى[٩]، وذكر الفاسي أنه كان مجبراً

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٩٠.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٨٢ – ٨٣.

(٣) السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ١٤٤ – ١٤٦.

(٤) منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكروفيلم، رقم ١٣٣٦ نحو، عن مكتبة برلين بألمانيا الغربية برقم ٢٤٢، أوراقه ١٤٣ ورقة.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٨٢، والسيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ١٤٥.

(٦) ذكر هذا الكتاب ياقوت في معجم الأدباء، ج٥، ص ٣٤٩، المفصل هو كتاب في النحو لجار الله أبي القاسم الزمخشري، وقد تناوله في أربعة أقسام، الأول في الأسماء، والثاني في الأفعال، والثالث في الحروف، والرابع في المشترك من الأسماء والأفعال، ثم اختصره وسماه "الأنموذج" وقام كثير من العلماء بشرحه، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٧٧٤.

(٧) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٢٩٤، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٥٠٠.

(٨) مخطوط ،(الزركلي ، الأعلام، ج٥، ص٦).

(٩) ابن مسدى الذي أجازه ابن فيروز المجبر بالبيمارستان المكي هو الحافظ أبوبكر محمد بن يوسف الأسدي الغرناطي، الشهير بابن مسْدى، المجاور بمكة وخطيبها، توفي بمكة في رباط القزويني مقتولاً سنة ٦٣٣هـ، وهو العالم الشهير الذي أثرى الحياة العلمية من خلال ما رواه =

=

بيمارستان مكة[١]، ويبدو أن البيمارستان المستنصري بمكة لم تقتصر مهامه على استقبال المرضى من سكان مكة والمجاورين والوافدين، وعلاجهم من جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وغيرها، بل كان يدرس به الطب، وقد أفاد السخاوي بأن من جملة أطبائه الذين ورثوا الطب عن آبائهم محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الطبيب الفاضل شمس الدين، ولادته في منتصف جمادى الأولى سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م) بمكة ومال إلى الطب، وحفظ الموجز لابن نفيس وشرحه، وتصرف في معالجة المرضى، وصحب مشاهير هذا الفن، فمهر فيه، وساعده على ذلك كثرة الوقفيات على هذا البيمارستان من السلاطين الذين وقفوا على بيمارستان مكة والمدينة وعلى الموظفين والأطباء أموالاً سخية، يضاف إليها – كما ذكر السخاوي – أن هذا الطبيب :" تعلق بالذكي الخروبي التاجر، وجاور معه بمكة، فأجزل له من المال بحيث إنه دفع له مرة في مجاورته معه ألف مثقال ذهب... دفعة. ذكره المقريزي في عقوده، وقال: كان يتردد إليّ – أي إلى المقريزي – كثيراً، وله ثروة وحسن شكا لة" وفاته في ١٠ من شوال سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م[٢]، وكان بهذا البيمارستان محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير الطبيب الذي قرأ الطب على والده، والأدب على مشاهير علمائه، وحج في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م[٣]، وكان بهذا البيمارستان كثيرون من الأطباء الجراحين والكحالين وحكيم البيمارستان ، ومنهم : محيي الدين أحمد بن الحسين بن تمام الذي أرسله السلطان الظاهر بيبرس من الديار المصرية[٤] للمشاركة في معالجة مرضى البيمارستان مع نظرائه من الأطباء[٥]، ومهمة هؤلاء كانت في مباشرة المرضى مجتمعين، ومتناوبين، والسؤال عن أحوالهم، وما يستجد على مرضاهم، وتقرير ما يصلح لكل منهم من أدوية، أو أشربة، أو نحو ذلك.

ومن الأطباء المجاورين الذين كانت لهم معرفة بالطب، ويقومون بمعالجة المرضى مع تقديم مايلزمهم من دواء إبراهيم بن أحمد بن محمد الإردبيلي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٠م) الذي جاور بمكة مدة طويلة زادت على تسع

= وما جمعه وصنفه، واتصف بصفات تنم عن سعة علومه، وبأنه علامة، ذو رحلة واسعة إلى مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وأجيز من فيروز المذكور ومن غيره وأجاز لغيره، من مصنفاته (الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة) وغيرها، وكثرة مصنفاته تدل على أنه من بحور العلم، لكنه كان يأخذ الأجرة على تحديثه بالمدينة المنورة، الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٤٠٥، ٤٠٧، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص ٢٥، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ٣١٣.

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٢٦٨ برقم ٣٠٢٦، وقد كان يعالج من الاستسقاء ببيمارستان مكة عبد الله بن منصور الوجدي التلمساني المغربي الذي كان يعمل بمهنة السقاية بمكة، لكن العلاج لم يسعفه فمات بهذا البيمارستان على إثر مرضه (الاستسقاء) وذلك في جمادى الأولى سنة ٨٥٥هـ، ودفن بالشبيكة، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٧١ برقم ٢٦٣.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٣٢٣ برقم ١٠٥٩.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص ١٩٠ برقم ٥١٠، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٣٢٤.

(٤) الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص ٢٤٣.

(٥) خدمات البيمارستان لم تقتصر على معالجة المرضى، بل شملت تدريس الطب، والعناية به، ويشبه تدريسه إلى حد كبير في هذه الفترة مايتم في المستشفيات الكبرى في العصر الحاضر من إلحاق كليات الطب بالمستشفيات التي تتوافر فيها مدراسته العملية على أيدي أساتذته المهرة، وقد نصت إحدى الوثائق على تعيين شيخ للاشتغال بالطب، وهو من بين أطباء البيمارستان، وخصص له الواقف مكاناً محدداً لإلقاء دروسه على طلبته، ونصت هذه الوثيقة على أن "... يصرف الناظر في هذا الوقف لمن ينصبه شيخاً للاشتغال عليه بعلم الطب على اختلافه – بمجلس في الأماكن المعينة له في كتاب الوقف المشار إليه للاشتغال بعلم الطب على اختلاف أوضاعه في الأوقاف التي يعينها له الناظر، ما يرى صرفه إليه، وليكن من جملة أطباء البيمارستان... من غير زيادة عن العدد" وثيقة وقف السلطان قلاوون، رقم الوثيقة ١٠١٠، أوقاف، ووثيقة أخرى له رقم (١٥) محفظة (٢)، دار الوثائق القومية، سطر ٢٨٤ – ٢٨٧، نشر ودراسة محمد محمد أمين، وحيث إن هذا التعليم كان يتطلب اقتصاداً كافياً لنموه وازدهاره، فقد وجد في مجال الوقف خير معين على ذلك وهذا ماجاء في وثيقة وقف حسام الدين لاجين التي أفادت بالوقف على مدرس وعشرة طلاب يشتغلون بالطب على أن يكون المدرس: (... عارفاً بطب الأبدان، مشهور المعرفة للأمراض والأدوية...لإقراء الطب وتعليمه، ويرتب له من الطلبة عشرة يشتغلون بالطب ويلزمهم المدرس بحفظ ما يجب حفظه في الطب وعرضه وتصحيحه ويوضح لهم مشكله..." وثيقة وقف حسام الدين لاجين، رقم (١٧)، محفظة (٣)، دار الوثائق القومية.

وثلاثين سنة، وكان مشهوراً بالطب والكيمياء، ومحاضراته مشهورة بالمسجد الحرام[١]، ومحمد بن إسحاق الشيرازي (ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م)[٢] المجاور بمكة سنين كثيرة، وأفاد السخاوي ببراعته في الطب، وانتفع به خلق كثير، وكان يقدم ما يحتاج إليه مرضاه من أدوية وغيرها[٣].

وأسهم أبو عثمان الحكيم المغربي في الرعاية الطبية بدور كبير، فقد جاور بمكة أعواماً طويلة، وزادت حجاته على الستين، وتشير بعض المصادر إلى أنه كان من الأطباء المشهورين بمكة في تلك الفترة[٤] وكان محمد ابن عبد الله المصري، ثم المعروف بالخضري، متفوّقا في الطب والكيمياء والنجوم، وأقام بمكة مجاوراً، وفاته سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)[٥]، أمَّا من كان حجة في الطب والمنطق والفلسفة، فهو محمد بن عبد الله بن محمد الكازروني، المجاور بمكة (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)[٦].

وممن جمعوا بين علاج المرضى، وتدريس الطب: لطف الله بن يعقوب بن إسماعيل الهمذاني، المجاور بمكة، وذكر السخاوي معالجته لأخيه في أثناء إقامته بمكة[٧].

وبرع في الحساب مع اشتغاله بالفقه والفرائض: محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن ظهيرة (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م)[٨]. وإبراهيم بن علي بن محمد الزمزمي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م) الذي كان عالماً بالحساب والفرائض والجبر والمقابلة، والهيئة والهندسة وعلم الميقات[٩].

وكانت النهضة العلمية ثمرة من ثمرات الأوقاف التي وفّرت كل الوسائل للرقي بالعلوم المختلفة.

د ـ توافر خزائن الكتب والمكتبات بالمدينتين المقدستين:

قامت الأوقاف بدور مميز في الحركة العلمية في تلك الفترة عن طريق توفير الكتب[١٠] بالحرمين الشريفين، وسائر المنشآت التعليمية بالمدينتين المقدستين.

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ١٣٢.

(٤) ذكر الفاسي أنه جاور بمكة سنين كثيرة، حتى مات بها في أوائل المائة الثانية، كما ذكر "أظنه سعيد بن عبد الله بن محمد الزواوي المليانى)، الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٧١ برقم ٢٩٤٤.

(٥) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٣٤٦، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص ١٢١.

(٦) ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٣٢ب.

(٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٣٣.

(٨) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٦.

(٩) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٤٥.

(١٠) تطلب توفير الكتب إنشاء المكتبات في الإسلام ووقفها، أو الوقف عليها من الكتب والأموال، ولقد اتخذت هذه المكتبات أسماء متعددة مثل خزانة الكتب، أو محل الكتب، أو بيت الكتب، أو دار الكتب، أو دار العلم ونحوها، وجميعها كانت تقوم بمثل ما تقوم به المكتبات العامة في وقتنا الحاضر، وقد تفرع عنها في القرن الخامس الهجري المؤسسات الوقفية الأخرى التي كانت تدعى باسم دور القرآن الكريم، ودور الحديث وكانت هذه الأماكن مقر اجتماع المسلمين الذين يناقشون أمورهم فيها بحرية كاملة، ولا شك أنهم واجهوا المسائل التي واجهت العالم =

= الإسلامي في وقتها بكل ما وجد فيه من اتجاهات فقهية، أو ملل ونحل عقائدية، أو مذاهب أخرى كان بها مشاكل مطروحة واجهوها بشجاعة لم تعرفها سائر الأمم الأخرى إلا في وقت متأخر، ومما ساعد رواد الحركة العلمية من الطلاب والعلماء على مثل هذه الحرية أن العلماء لم يعتمدوا على موارد يأخذونها من الدولة بل اعتمدوا في أمور حياتهم للحصول على شتى المعارف بما أتاحته لهم المكتبات الموقوفة، والموقوف عليها بسخاء، لأن أكثر الوقف آنذاك لم يكن مقصوراً على بناء المكتبات، أو شراء كتبها، بل شمل ما ينفق على روادها، فبعدوا عن الخضوع للسلطات، أو أي مذهب عقائدي، أو اتجاه ديني متزمت قد يطالبهم بالالتزام به، وهذه الركائز التعليمية في مجتمعنا الإسلامي قد استفاد منها من الغرب الذي بنى على نمطها منظماته التعليمية، عبد الملك أحمد السيد،
Classical Arabic Islamic political theories, autsg, Boulder, 1979, p 485.

ولأهمية الكتب ونفعها في تعليم وتثقيف أجيال الأمة الإسلامية، فقد وقفها السلاطين وغيرهم من أثرياء المسلمين على الحرمين الشريفين، والمساجد عموماً، ودور العلم المختلفة كالمدارس والأربطة[١] ونحوها، ووقف هذه الكتب مثل مصدراً رئيسياً من مصادر تزويد المكتبات بما يلزمها، وقد كثرت الكتب الموقوفة في هذه الفترة وتعددت مصنفاتها، ولم يقتصر وقفها على السلاطين والأمراء والأعيان، بل شمل العلماء المجاورين، كرشيد بن عبد الله شهاب الدين، وهو الفقيه المتدين المتعبد الذي كان يصحب العلماء، ويأخذ عنهم، ويشتري كتب العلم ويوقفها عليهم، وفضلاً عن ذلك فقد كانت لديه خزائن تضم غرائب المصنفات[٢]، وكذلك فعل إبراهيم بن رجب بن حماد العاري السلماني الشافعي الذي كانت له كتب نفيسة وقفها بالمسجد النبوي[٣].

وعندما تعرض المسجد الحرام لسيل عظيم سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) ، وتعرض المسجد النبوي لحريق في رمضان سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م) ، أثر السيل والحريق على خزائن الكتب في الحرمين الشريفين، مما دعا الواقفين إلى تعويض تلك الخزائن بمصاحف وكتب أخرى بدلاً من التالفة والمحترقة.

وقد أرسل السلطان قايتباي وغيره مصاحف كثيرة، وكتبا لخزانة المسجد النبوي [٤].

وفي مدرسة قايتباي بمكة، خزانة كتب وقفها السلطان على طلبة العلم، وجعل لها خازناً[٥]، وعين له راتباً مقابل عمله في حفظ الكتب والعناية بها وتنظيمها لرواد هذه المدرسة، ومرتبات هذا الخازن وغيره كانت تصرف

---

(١) حرص الواقفون في العصر المملوكي على أن يلحقوا بكل مدرسة "خزانة كتب" يرجع إليها رواد العلم من العلماء والطلبة، ولا سيما الفقراء منهم مثال ذلك ماجاء في وثيقة وقف السلطان الغوري التي ذكر بمدرسته مكتبة "... لخزن الكتب بها جنبات خشب نقي يمنة ويسرة وصدراً مثبتة معدة لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفة على طلبة العلم الشريف لانتفاعهم بها في المدرسة" وثيقة وقف السلطان الغوري، رقم الوثيقة (٨٨٣) أوقاف، سطر ١٣٢، ١٣٣، دراسة عبد اللطيف إبراهيم، وانظر أيضاً وثائق وقف كل من السلطان برسباي، رقم الوثيقة (٨٨٠) أوقاف ص ١٩١، وحسام الدين لاجين، رقم الوثيقة (١٧)، (١٨) محفظة (٣)، دار الوثائق، السلطان حسن، رقم الوثيقة (٨٨١) أوقاف، ص ٤٣٧، ٤٥١، وغيرها من وثائق الوقف.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٦٤ - ٦٥.

(٣) هو: **إبراهيم بن رجب بن حماد**، نزيل المدينة، الشافعي، الذي جمع بين العلم والعمل، وفاته سنة ٧٥٥هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ١١٣ - ١١٤ برقم ٤١.

(٤) السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج٣، ص ٤١٠، والسمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٦٤٣، والعصامي، النحوم العوالي، ج٥، ص٤٥.

(٥) وأشرف على خزانة الكتب من أطلق عليه في ذلك العصر اسم (خازن الكتب)، أو (شاهد خزانة الكتب) أو (خازن الكتب والربعات الشريفة)، وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق، رقم الوثيقة (٦٦) محفظة (١١)، دار الوثائق القومية، ووثيقة وقف جمال الدين الأستادار، رقم الوثيقة (١٠٦) محفظة (١٧)، دار الوثائق القومية، وكان يشترط في هذا الخازن أن يكون "ثقة خيراً أميناً يقظاً، ذكيّا فطناً عاقلاً، مأموناً بالغاً في الأمانة والثقة ونزاهة النفس، وقلة الطمع، قادراً على القيام بخدمة الكتب عارفاً بترتيبها" وحرص الواقفون على أن يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عوناً لرواد هذه الحركة والباحثين ليرشدهم إلى ما يحتاجون إليه من مصادر أو مراجع، وقد كان في هذا العصر أمين للمكتبة، وقد حددت وثائق الوقف مهمته في العصر المملوكي إذ تبدأ مهمته حين يقوم الناظر بتسليمه الكتب، "ويشهد عليه بتسلمها، وجاء ذلك في وثيقة السلطان الغوري، وفيها جاء "ويسلمه جميع مافيها من الكتب من تفسير وحديث وفقه ولغة.. وأصول فقه وأصول دين... =

= ونحو وغيرها" ثم يقوم خازن الكتب بعد ذلك حسب ماجاء بوثائق الوقف "بإحراز الكتب المذكورة بالخزانة المذكورة - أي خزانة المدرسة - ونفضها من الغبار وتعهدها على العادة"، كما جاء في وثيقة السلطان فرج "حفظها ونفضها ويتفقد أحوالها بالإصلاح، ووضعها بمواضعها بالخزانة المرصدة لها"، وثائق وقف كل من المؤيد شيخ برقم (٩٣٨) أوقاف، والسلطان قايتباي برقم (٨٨٦) أوقاف ص ١٢٩ ، ١٣٠، وقاني باي الرماح برقم (١٠١٩) أوقاف، وجمال الدين الأستادار برقم (١٠٦) محفظة (١٧) دار الوثائق القومية، وعبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية، تحقيق رقم ٦٢٨، ووثيقة وقف السلطان الغوري برقم (٨٨٣) أوقاف، سطر ١٤٤٥، وسعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٤٦، وعبد اللطيف إبراهيم، المكتبة المملوكية، ص ٢٩.

ذهباً من ريع وقف هذا السلطان[١]، أمَّا مدرسة قايتباي بالمدينة، فقد أرسل لها هذا السلطان خزانة كبيرة من الكتب، وهي موقوفة على طلبة العلم، وأرسل مصاحف كثيرة، وجعل الإشراف والنظر على هذه الكتب وغيرها للسمهودي[٢] مؤرخ المدينة، وذلك بوساطة من البدري أبي التقا[٣].

وقايتباي من بين سلاطين المماليك، هو الذي اعتنى بوجود خزائن الكتب في منشآته العلمية بالحرمين الشريفين، وكان من جملة خزائنه التي وقفها على مدرسته بمكة لطلبة العلم ربعة مكتوبة بالذهب الخالص من أولها إلى آخرها، ويفيد النهروالي أن أيدي المستعيرين[٤] استولت عليها وضيعوا أغلبها، ولم يبق منها سوى ثلاثمائة كتاب، قام النهروالي بصيانتها وتجليد بعضها[٥]" كما جهز السلطان قايتباي بهاء الدين أبوالبقاء بن الجيعان البدر محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية، وكان من بينها مصحف كبير الحجم، ووقفها كلها على المدرسة الأشرفية بالمدينة المنورة[٦]، كما وقف يحيى بن زكريا (ت٧٢١/١٣٢١م) خزانة كتب بالمدرسة الشهابية، ووقف محمد بن فرحون (ت٧٢١هـ/١٣٢١م) كتاب الروضة للنووي، الذي نسخه بخط يده، ووقفه بهذه المدرسة، ووقف إبراهيم بن رجب المجاور بالمدينة (ت ٧٥٥هـ/١٣٥٤م) كتباً جليلة في الفقه والأصول وغيرها وقف بعضها بالمدرسة الشهابية، والآخر، وكان الأكثر بمكة[٧].

---

(١) القطبي، الإعلام ، ص ٢٢٥، والعصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٤٤.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٢٤٧.

(٣) هو: **أبوبكر بن عبد الله بن محمد**، الدمشقي، القاهري، الشافعي، المجاور بمكة والمدينة، وفاته بغزة سنة ٨٩٤هـ، وله كتب منها (غرر الصباح في وصف الوجوه الصباح)، و(نزهة الأنام في محاسن الشام)، السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ١٤٥.

(٤) حدد الواقفون نظام الاستعارة، محافظة على الكتب من الضياع، فمن الواقفين من منع خروج الكتب نهائيًا خارج مؤسسته، بل حرمها على من عرف بالتفريط، فنصت إحدى الوثائق على ألا "يخرج من ذلك شيء من الأشياء... برهن ولا بغيره، ولا يعطى من ذلك شيئ لمن يعرف فيه التفريط"، وثيقة وقف الأبشادي، برقم (٢٧٨) محفظة (٤٣)، دار الوثائق القومية، سطر ٨٩، ٩٠، دراسة ونشر عبد اللطيف إبراهيم، ومن الواقفين من سمح لطلبة العلم باستعارة الكتب لمدة شهر، وسمح لهم بأخذها إلى مساكنهم بشرط أن يكونوا ثقة، وجاء في وثيقة جمال الدين الأستادر "ومن حضر إليه من طلبة العلم لاستعارة شيء من الكتب.. يشتغل فيه سلم إليه إن كان ثقة، وإن كان مما يخشى منه منعه إلا أن يضمنه نفر... ولا يترك شيء من الكتب المستعارة بيد المستعير أكثر من شهر واحد من حين استعارته بل يأخذه منه عند مضي الشهر، ولا يمكن أحد من إخراج شيء من الكتب للخارج...، وإذا كان المستعير – خارج هذه المؤسسة – سلم إليه مايريد استعارته يطالع فيه نهاراً – أي في هذه المؤسسة – ثم يبيتها عند الخازن ثم يستعيرها منه نهاراً" وثيقة جمال الدين الأستادار، رقم (١٠٦) محفظة (١٧) دار الوثائق القومية، وزيادة في الحرص على الكتب نجد من الواقفين من ينص على ضرورة عزل (خازن الكتب) "إن بدا منه تقصير أو خيانة في الكتب، استبدل الناظر غيره" وثيقة وقف صرغتمش برقم (٣١٩٥) أوقاف ص ٣٤، نشر عبد اللطيف إبراهيم، وعن مواعيد فتح المكتبة فكانت غالباً في الأوقاف المخصصة للدروس طبقاً لشرط الواقف، "ويفتتح الخزانة في أيام الدروس يومين في الجمعة لطلبة العلم" وثيقة وقف السلطان الغوري برقم (٨٨٣) أوقاف سطر ١٤٤٨، دراسة عبد اللطيف إبراهيم.

(٥) النهروالي، الإعلام ، ص ٣٣٥.

(٦) بهاء الدين المذكور وصل إلى المدينة ومعه هذه الكتب في ٧ من ذي القعدة سنة ٨٨٩هـ، وكان يقوم بالمهمات السلطانية، ولادته سنة ٨٤٧هـ، وفاته في العشر الأول من القرن العاشر الهجري، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ق ١، ص ١٩٩، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٣٠٧، والسمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٤٦١، ج٢، ص ٦٤٣ – ٦٤٥، والنهروالي، الإعلام ، ص ٢٢٩، العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٤٤.

(٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٤٣٥، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص ٧٠٧، والمدرسة الشهابية بناها الملك المظفر شهاب الدين غازي الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شادي (ت٦٤٥هـ)، ووقفها على المذاهب الأربعة من أهل السنة والجماعة، وجعل لها أوقافاً بدمشق وغيرها، كما كان لها أوقاف بالمدينة المنورة، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٨٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٥٦ – ٢٥٧.

وقد اشتهرت بعض الأربطة بنشاطها التعليمي ولذلك كثرت بها الكتب من مختلف العلوم والفنون، ففي رباط ربيع[١] بمكة كتب منها (المجمل) لابن فارس[٢]، والاستيعاب لابن عبد البر[٣]، وكان برباط الموفق[٤] مكتبة كبيرة، وهذه المكتبة كانت زاخرة بمختلف الكتب، وكانت سبباً لتزاحم رواد العلم عليه والسكن فيه[٥]، وقد اهتم المجاورون بالحرم الشريف بفهرسة مكتبات هذه الأربطة وتصنيفها بحيث يسهل تناولها، وقد ذكر السخاوي أن صالح بن عبد الله بن محمد المغربي المجاور بمكة فهرس كتب رباط الموفق السالف الذكر في سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) ويبدو أن هذه المكتبة حوت الكثير من الكتب وإلا ما احتاج الأمر إلى فهرستها[٦]، وحفاظاً على هذه الكتب فقد أسند أمرها إلى شيخ الرباط، كما تدل على ذلك ترجمة ابن فهد لأحمد بن محمد المصري، ثم المكي، (ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م) فقد ذكر أنه كان شيخاً لرباط ربيع السالف الذكر وحافظاً لكتبه[٧]، ومما تجدر ملاحظته في هذا المقام أن معظم الواقفين لكتب الأربطة وقفوها على ساكنيها، لعلمهم أن هذه الأربطة يقيم بها طلبة العلم المساكين الذين لايجدون ما يشترون به هذه الكتب فوقفوا الكتب عليهم خدمة لهم ثم لغيرهم من طلبة العلم الآخرين[٨]، ويلاحظ أيضا كثرة مصنفات ومؤلفات رواد الحركة العلمية في هذه الفترة مثل (النجوم الزاهرة في السبعة المتواترة) وهي من أهم مصنفات قاضي المدينة محمد بن سليمان المصري (ت٧٦٦هـ/١٣٦٤م)[٩]، وألف عبد الله بن فرحون (ت٧٦٩هـ/١٣٦٩م) في التفسير (نهاية الآية في شرح آية)[١٠] وغيرهـا، وللتقي الفاسـي (ت ٨٣٢ هـ/١٤٢٨م) "أربعون حديثاً متباينة الأسانيد والمتون بالسماع المتصل من حديث العشرة المشهود لهم بالجنة والصحابة الذين انتهى إليهم العلم والصحابة المكثرين والعبادلة الأربعة والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة"[١١]، وللمجاور محمد بن محمد بن شمس الدين الجزري (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) مؤلفات كثيرة، وقد

---

(١) أمر الملك الأفضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب صاحب دمشق بإنشاء رباط بمكة على يد ربيع بن عبد الله المارداني المنسوب الرباط إليه في سنة ٥٩٤هـ، الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٢٧٥ - ٢٧٦، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص ٥٦٤.

(٢) هو: **أحمد بن فارس بن زكريا** بن محمد الرازي اللغوي، من أئمة اللغة والأدب، صاحب (المقامات) ومؤلفاته كثيرة منها (حلية الفقهاء)، وفاته سنة ٣٩٠هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١١٨.

(٣) هو: **يوسف بن عبد الله القرطبي المالكي**، مؤلفاته كثيرة، والاستيعاب خاص بسير الصحابة رضي الله عنهم، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣١٤

(٤) رباط الموفق أنشأه علي بن عبد الوهاب الإسكندري في سنة ٦٠٤هـ، وذكر ابن بطوطة أنه من أحسن الأربطة في مكة، الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ويقع في أسفل مكة بالقرب من باب إبراهيم، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٥.

(٥) ابن بطوطة، رحلته، ص ١٣٤.

(٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٣١١.

(٧) ابن فهد، الدر الكمين ورقة ٨٦ب.

(٨) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٤٤، وابن فهد، الدر الكمين، ورقة ١١٦ أ.

(٩) الزركلي، الأعلام، ج٦، ص ١٥٠.

(١٠) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص ٤٥٧، وممن اشتهر بكثرة أنشطته العلمية والتصنيفية في أكثر من علم المحب الطبري، ومن مصنفاته في التفسير (الكافي في غريب القرآن الجامع بين العزيزي والبيان) مجلد، وكتابه (مرسوم المصحف العثماني المدني) وغيرهما وله في الحديث (كتاب الأحكام الكبرى)، و(الأحكام الوسطى)، و(الأحكام الصغرى) ويتضمن ألف حديث وخمسة عشر حديثاً، وفي التاريخ (الرياض النضرة في فضائل العشرة)، و(السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين) وغيرها، والفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٦١ - ٦٣ برقم ٥٧١.

(١١) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٣١، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص١٩.

أحصى محقق كتاب (التمهيد في القراءات) ما ألفه من كتب فوجدها أكثر من ثلاثين مؤلفاً[١]، وكان عبد الرحمن ابن أحمد بن عياش (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م) معلماً لأبناء مكة المكرمة، ونظم كتاب (ورقات المهرة) لوالده على طريقة (الشاطبية) وسماه (غاية المطلوب في قراءة أبي جعفر وخلف ويعقوب)[٢]، وبرع مثله أيضاً محمد بن محمد بن محمد أبو القاسم (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م)[٣] ومن مؤلفاته (الغياث في القراءات الثلاث الزائدة على السبعة)، و(شرح طيبة النشر)[٤] لابن الجزري في مجلدين، و(القول الجاد لمن قرأ بالشاذ)[٥]، و(شرح الدرة المضية)[٦]، وانتفع الكثير من أهل مكة بعلمه، ومن العلماء من جمع بين التصنيف في التفسير وغيره من العلوم، ومن هؤلاء القطب القسطلاني وهو محمد بن أحمد بن علي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)[٧] ومن تآليفه (كتاب المناسك)، و(لسان البيان عن اعتقاد الجنان)، و(حمل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز)، و(فواضل الزمن في فضائل اليمن)، و(منهاج النبراس في فضائل بني العباس)، و(جالة الدلالة على إقامة العدالة)، و(تأنيس النضارة على إقامة الوزارة)، و(الورد الزائد في بر الوالدين)، و(عروة التوثيق في النار والحريق)[٨]، ولمحمد بن المحب الطبري المتوفى سنة وفاة أبيه (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) كتاب في المناسك سماه (التشويق إلى البيت العتيق) وغيره[٩]، كما اشتهر عبد الرحمن بن الحسين الكردي، المجاور بالمدينة بكثرة مصنفاته التي منها (الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين في مكان واحد، و(تاريخ تحريم الربا)، (تكملة شرح المهذب للنووي)[١٠]، وغيرها، ولمحمد بن أحمد بن سعيد المقدسي الحلبي، المجاور بمكة من سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م حتى وفاته في سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) (الشافي في الكافي) في مجلد، و(كشف الغمة بتيسير الخلع لهذه الأمة) مجلد، (سفينة الأبرار الجامع للآثار والأخبار) للوعظ في ثلاث مجلدات، و(الآداب)[١١] وغيرها، ولمؤرخ المدينة السمهودي (الأنوار السنية في أجوبة الأسئلة اليمنية) فضلاً عن مصنفه (وفاء الوفا)[١٢] وغيره.

---

(١) الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، التمهيد في علم التجويد، تحقيق غانم قدوري حمد، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ، ص ١٨ - ٢١، وكان يحيى بن أحمد بن أحمد (ت٧٧٢هـ) أحد الأئمة القراء بالحرم المكي، عالماً بالقراءات، ومن مؤلفاته فيها (البيان في الجمع بين العقيدة والعنوان، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٤٢٩.

(٢) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ١٢٣ - ١٢٤، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ٥٩ - ٦٠.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص ٢٤٩.

(٤) الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ٤٨.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص ٢٤٦.

(٦) الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ٤٨.

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص ١٣٢ برقم ٤٨٠، والفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٣٢٢ ترجمة رقم ٣٥.

(٨) نقل السمهودي من (عروة التوثيق في النار والحريق) في جزئه الأول من كتاب وفاء الوفا، من ص ١١٤ وما بعدها، وفي جزئه الثاني من كتاب وفاء الوفا من ص ٥٩٧ وما بعدها، وذكر حريق المسجد النبوي، وعظم لطف الله تعالى في حدوث ذلك.

(٩) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٢٩٤.

(١٠) وفاة عبد الرحمن المذكور سنة ٨٠٦هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٥٦٢ - ٥٦٣.

(١١) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٣٠٩، والحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص ٢٨٦، والزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٣٣٢.

(١٢) هو: نور الدين علي بن أحمد السمهودي، المتوفى سنة ٩١١هـ، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ١٩٤.

ومن مؤلفات محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي في اللغة (الضوابط الكلية في علم العربية)[١]، (والكافي في النحو)[٢]، (الإملاء على المفصل)[٣]، ولمحمد بن المحب الطبري السابق كتاب في اللغة أسماه (عمدة المتلفظ بتنظيم كفاية المتحفظ في اللغة)[٤].

وقد كان لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الأبشيطي (ت٨٣٣هـ/١٤٧٨م)مؤلفات في سائر العلوم الشرعية والعربية والعقلية في أثناء مجاورته بالمدينة أكثر من عشرين سنة،ومن مصنفاته في العربية (التحفة في العربية)، و(شرح قواعد ابن هشام)، و(البردة)[٥]..

ومن المؤلفات ما يتصل بعلم الجغرافيا، فكتاب العقد الثمين قد تضمن الباب الأول منه ذرع مكة وجبالها، والباب الثامن ذرع الكعبة، والبابان الحادي والعشرون والثاني والعشرون تناولا ذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها، وغيرها من المعلومات التي تخللت بعض التراجم التي أرخها الفاسي[٦]، وتناول أيضا وصفاً شاملاً لمكة، والأسوار المحيطة بها، وأشار إلى الامتداد العمراني الذي كان بمكة منذ عهد الفاكهي في كتابه شفاء الغرام الذي أوضح معاناته حين قام بذرع مكة من حدها الشمالي والجنوبي والغربي[٧]، كذلك السمهودي في فصله الثامن من كتاب وفاء الوفا، الذي احتوى على بقاع المدينة وأعمالها ونحو ذلك ورتب أسماءها على حروف المعجم[٨].

وعلى الرغم من ندرة المؤلفات في الكتب العقلية فإن نجم الدين أبا القاسم عبد الرحمن بن يوسف الأصفوني (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) الذي أقام بمكة كان عالماً بالحساب، وصنف في الجبر والمقابلة كتاب (المسائل الجبرية في إيضاح المسائل الدورية)[٩]، وألف في الرياضيات والفرائض علي بن محمد بن إسماعيل الزمزمي (ت٨٥٥/١٤٨٠م)[١٠] ومن مؤلفاته (تحفة الطلاب) منظومة، و(كنز الطلاب) منظومة، و(فتح الوهاب)[١١] منظومة، وفي الفرائض (المشروع الفائض في الفرائض) ويزيد على ألف بيت، وأثنى عليه السخاوي قائلاً: (لم يخلف في فنونه بعده مثله)[١٢].

---

(١) مخطوط مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكروفيلم، رقم ١٣٣٦، نحو، عن مكتبة برلين بألمانيا الغربية برقم ٢٤٢، أوراقه ١٤٣ ورقة.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ٨٢، والسيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ١٤٥.

(٣) ذكر هذا الكتاب ياقوت في معجم الأدباء، ج٥، ص ٣٤٩، (المفصل) كتاب في النحو لجار الله أبي القاسم الزمخشري، وقد تناوله في أربعة أقسام الأول في الأسماء، والثاني في الأفعال، الثالث في الحروف، والرابع في المشترك، ثم اختصره وسماه (الأنموذج) وقام كثير من علماء النحو بشرحه، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٧٧٤.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٢٩٤، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٥٠٠.

(٥) السيوطي، نظم العقيان ص ٣٧ – ٣٨، والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢٣٥.

(٦) العقد الثمين، ج١، ص ٢٨ – ٥٣، ٩٤ – ١٠٤.

(٧) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص ١٤.

(٨) السمهودي، وفاء الوفا ج٤، ص ١١١٦ – ١٣٣٢.

(٩) مخطوط بمكتبة أوقاف بغداد (٤٢٧٢) ، الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٣٤٢ – ٣٤٣.

(١٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢٩١ – ٢٩٢.

(١١) البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص ٧٣٧.

(١٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٢٩٢.

ومن خلال ما سبق تتضح لنا أهمية الوقف في هذا النشاط ودوره الفعال في النموّ العلمي والتصنيفي.

وأكدت الأموال الوقفية إسهامها في النهضة العلمية في الحرمين وخارجهما ورعت هذه الأموال العملية التعليمية من مرحلة الطفولة حتى المراحل الدراسية العليا بعدها، وقد تضمنت الوثائق التخصيص عليهم من هذه الأموال وهم دون البلوغ برواتب ثابتة لهم تضمن عدم احتياجهم إضافة لباقي المعينات العينية من كساء أو حبوب وغيرها، وبذلك تكون قد هيأت جواً علمياً طيباً ومناخاً سليماً لنمو معارف الصغار استعداداً لدراساتهم اللاحقة، وبالطبع فهذه الدراسات قد اعتمدت على الأموال الوقفية إذ لم يكن هناك تخصيصات أخرى في المدينتين المقدستين، فأغلب رواد هذه الحركة ترعرعوا ونشأوا على ما وضعته أموال الوقف نقدية أو عينية، وكانت راتبة لهم، فضلاً عما كانوا يتقاضونه من مخصصات أوقاف الحرمين الشريفين، والصدقات الأخرى العينية والنقدية، وعضدت الأوقاف أماكن التعليم بإنشاء الأربطة والمدارس التي كانت كل منها محلاً للسكن والدراسة، وكثرت الأوقاف على المكتبات، وضمت الكتب الشرعية وغيرها لرواد العلم ، وهذه الكتب كان لها دورها في تنوع المعرفة وتطورها، وكل هذا يعلل النهضة التي شهدتها الحجاز جميعه والمدينتان المقدستان على وجه الخصوص وكانت الأوقاف سبباً مهماً من أسبابها.

الخاتمة

انتهـــى – بحمد الله وحسن توفيقه – بحث موضوع: "أوقاف الحرمين الشريفين في الدولة المملوكـــية"، بعـــد ســـياحة طويلة عريضة عميقة، عاش فيها الباحث بين الوثائق التي تضمها دور "أراشـــيف القاهـــرة"، والوثائـــق التي قدر الله لها أن ترى النور في دراسات قيمة قام بها أساتذة متخصصـــون ، ثم في مصادر عديدة ومتنوعة تتصل بالموضوع، وترتبط به، بين مخطوطة ومطبوعة، وقد ضمت هذه المصادر: الموسوعات الشاملة، وكتب التاريخ، والتراجم، والجغرافيا، والرحلات، وغير ذلك.

والـــباحث – إذ يشكر الله أن يسرّ له إتمام هذا العمل، وأعانه على التغلب على صعوباته يطيب له أن يسجل فيما يلي خلاصة لهذه الدراسة، تتضمن أهم نتائجها، ويشرفه أن يضيف بذلك لبـــنة في صـــرح الدراســـات التاريخية الحضارية الوثائقية الشامخ، فإن أصاب فذلك فضل من الله ونعمه وإن قصّر فإنه يرجو ألا يحرم الثواب، فقد اجتهد وبذل قصارى جهده، ثم إنه على استعداد لتقبل كل وجهة نظر قد تختلف معه، أو تسهم في سدّ ثغرة، أو تصحيح معلومة، في سبيل الارتقاء بالبحث في طريق الاكتمال، أما الكمال فلله وحده:

١ – اســـتولت الـــدول المملوكـــية على الحكم من الدولة الأيوبية، وكان نظام الوقف القائم في الدولة الأيوبية أمام نظر المماليك، وتأثروا في ذلك بمن سبقوهم.

٢ – تعـــددت دوافـــع الوقـــف لـــدى سلاطين المماليك وأمرائهم وأعيانهم بين دينية وسياسية واقتصـــادية واجتماعـــية، وحـــرص الســـلاطين على القيام بكل ما يؤكد زعامتهم للعالم الإســـلامي، ومن ذلك بسط سيادتهم على الحجاز، وبالتالي على الحرمين الشريفين، ليظهروا في صورة حماة الحرم المكي والحرم المدني أمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبذلك تتأكد شرعيتهم وتتوطد سلطتهم.

ووجّهـــوا ريـــع أوقافهم للعناية بطرق الحج، والاهتمام بالمحمل، وكسوة الكعبة، والحجرة النـــبوية، وكثـــرت الأوقاف والأعطيات والصدقات على أهالي الحرمين الشريفين للارتقاء بميناءي جدة وينبع، ليكونا من روافد الاقتصاد المملوكي.

٣– ثم إن الأوقـــاف شملـــت إنشاء وإصلاح المدارس والأربطة ومكاتب تعليم الأيتام،والصرف علـــى البيمارســـتانات، بهـــدف الإرتفاع بمستوى أحوال أهالي المدينتين المقدستين الصحية والعلمية.

٤ – تعـــددت مصارف الأوقاف، لكنها تجتمع في ثلاث جهات رئيسية، فهي إما لشئون الحرمين الشـــريفين ومصالحهما، وإما للأشراف والأهالي، وإما للخدمات العامة بالمدينتين المقدستين، والأوقاف على كل جهة من هذه الجهات، منها ما وقفه السلاطين، ومنها ما وقفه الأمراء،

ومنها ما وقفه الأعيان.

٥ - كانت التنظيمات الإدارية للوقف، ووظائفه والإشراف عليه من ضمانات نجاحه، وقد ذكرت هذه الوظائف بالتفصيل في هذه الدراسة، لكن بمرور الوقت جدّ من الأسباب ما أدى إلى تدهور الأوقاف.

٦ - كانت الثمرات والآثار الناتجة عن الأوقاف متوافقة مع الدوافع التي دفعت إليها، ونعمت المدينتان المقدستان بالنتائج الطيبة للأوقاف ، في كل جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، التي حققتها الأوقاف في تلك الفترة.

٧ - لايمكن إغفال العامل النفسي في حرص سلاطين المماليك على الاهتمام بأوقاف الحرمين الشريفين، وبكل ما يحقق مصالح الأهالي والمجاورين والحجاج، فقد كانوا يشعرون بالغربة، ويتهمهم العوام بأنهم ليسوا أهلاً للحكم، وعن طريق الأوقاف والعطايا والهبات والصدقات، كانوا يقتربون من قلوب الناس، وخاصة إذا كان ذلك على أقدس الأماكن وعلى من يسكنها.

٨ - لم تكن حماية طريق الحاج تتم مباشرة عن طريق السلاطين، بل كان في مقدمة مهام حكام الحرمين الشريفين، تأمين قوافل الحج وحمايتها عند دخولها في حدودهم، وكان المقصر في ذلك يتعرض لغضب السلطان.

٩ - بلغ النفوذ المملوكي على المدينتين المقدستين إلى درجة أن مراسيم تولية أمراء مكة والمدينة كان لابد أن تصدر من السلطان في مصر، ونظمت المراسيم العلاقة بين الطرفين، ومنها أن يصاحب المرسوم خلعة السلطان، وهي ترمز إلى رضاه عن الأمير، غير أنه في أواخر العهد المملوكي كان بذل المال للسلطان وسيلة لتعيين الحكام في المدينتين المقدستين.

١٠ - كان لأمراء الحرمين الشريفين في العصر المملوكي نواب وقواد، وهذا جزء من التنظيم الإداري لم يكن معروفاً قبل هذا العصر، ولعل ذلك قد شكل بداية لإرساء القواعد الإدارية، في المدينتين المقدستين .

١١- من الآثار الاقتصادية للأوقاف اكتمال دورة الأموال مما أدى إلى ازدهار الأحوال بسبب رواج الحركة الشرائية في الأسواق في المدينتين المقدستين.

١٢- أدى ازدهار ميناءي جدة وينبع في معظم فترة المماليك إلى أن أصبح نظر جدة وظيفة سلطانية، وتعددت الوظائف في هذا الميناء، ومنها: نائب جدة أو شاد جدة والمباشر لديوان جدة، والصيرفي، والقبان .

أما ميناء ينبع فقد كان لأمراء مكة حق الإشراف في بعض الفترات على حاكم ينبع الذي

كـــان في مرتبة أقل من أمير مكة، لأنه بدرجة نائب، ثم صار من حق أمير مكة أن يعين نائباً عنه في ينبع، لكن الوظائف الإدارية نفسها كانت كمثيلتها في مكة.

١٣- استوعبت الأوقاف كثيرا من الأيدي العاملة عن طريق الوظائف المتعلقة بها، والأعمال التي تتبعها، وبذلك حمت المجتمع من شرور البطالة.

١٤- مـــن آثار الأوقاف على الحياة الاجتماعية والعلمية ظهور المدارس لأول مرة في مكة المكرمة في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ثم توالى إنشاء المدارس في المدينتين المقدستين بعد ذلك التاريخ.

١٥ - أظهـــرت الوثائـــق معلـــومات عن حلقات العلم التي كانت تقام داخل الأربطة، وحددت الوظائـــف والأعمال التي كان يكلف بها العاملون بهذه الأربطة، ومرتباتهم، ومظاهر إدخال السرور والبهجة على نفوسهم في المناسبات الدينية.

١٦- ازدهرت الدراسات والعلوم الطبية في عصر المماليك، وكان مما أسهم في أسباب هذا التقدم مـــا تصـــرفه الأوقـــاف في هـــذا السبيل، حتى إن البيمارستان لم يكن مكانا لعلاج المرضى فحســـب، بل كان مدرسة للطب، فكان كبير الأطباء يجمع الطلبة حوله بعد مرورهم على مرضاهم، ويستعرض معهم الحالات المختلفة وأعراضها، ثم يقدم لهم خلاصة علمه وتجاربه، وهـــذا أشـــبه بنظام المستشفيات الجامعية في العصر الحاضر، التي يختص كل منها بالدراسة العلمية لطلبة كلية من كليات الطب.

١٧- شملت الأوقاف في أوجه صرفها كل من يقوم بمصالح البيمارستانين في مكة والمدينة ولم تقصر ذلك على الأطباء والطلبة فقط، وحددت الوثائق الوقفية ما يصرف على الفراشين والأمناء المباشـــرين وطباخي الشراب والطعوم، وصانعي المعاجين والأدوية والأكحال، وغيرهم، ولا شك في أن تأمين هؤلاء على معيشتهم يؤدي إلى إخلاصهم في خدمة المرضى وإدارتهم لدور العلاج بطريقة حضارية، تشهد على عظيم أثر الأوقاف في الرعاية الصحية.

١٨- الآثـــار الإيجابـــية للأوقـــاف علـــى الحياة العلمية، توفير المناخ الفكري الحرّ، لكل الآراء والمناقشـــات العلمـــية الجادة، لشعور المشاركين بأن أحد لايستطيع منع حقوقهم المعيشية المقررة لهم، نتيجة الخلاف في الرأي ، وهذا ما لم تصل إليه الأمم الأخرى إلا مؤخراً.

١٩- ومن الواقفين من اهتم بتخصيص ريع وقفه على الأرامل والمنقطعات والمطلقات في المدينتين المقدســـتين، وفي ذلك نظرة بعيدة المدى في الحفاظ على المجتمع المسلم، فإن من ذكرن يكن عرضة للخضوع عند الحاجة أكثر من غيرهن. وهذا يؤكد الترابط الاجتماعي الذي حققته الأوقاف في هذه الحقبة الزمنية.

٢٠- من المصارف الطريفة للأوقاف ، ما قد لا يخطر على البال، مع أن له أهمية كبيرة في اطمئنان

المتعبدين، والاحتفاظ بالخشوع في أثناء أداء الفرائض والمناسك، ومن ذلك الوقف على ضائدي الهوام والحشرات في الحرمين، وعلى حارسي نعال المصلين.وهذا يدل على مدى اهتمام السلاطين بهاتين المدينتين المقدستين.

٢١- أشار البحث إلى بعض الدوافع السلبية للوقف، كالمحافظة على الأراضي والعقارات من المصادرة أو التفتت، وكذلك لإفادة الورثة أو الاضرار بهم ، وغير ذلك من الأغراض الخاصة التي تبعد الوقف عن الهدف من تشريعه، لكن هذه السلبيات كانت محدودة، ولا تؤثر في احتفاظ الوقف بأداء رسالتة في الأغلب الأعم.

كما لم يؤثر في التيار العام للوقف، بعض محاولات التحايل عن طريق الإبدال أو الاستبدال، أو البيع أو الإيجار، بدون تحقق الشروط الشرعية المنظمة لهذه الأحوال.

٢٢- انحرف بعض القائمين على أموال الأوقاف وأعيانها، عن سواء السبيل، حتى فسدت ذممهم وضمائرهم، ووصل الأمر إلى عدم تحقيق الوقف لأهدافه.

وحاول بعض السلاطين حل الأوقاف والعمل على استغلالها ، وأقطعها بعضهم لمن لايستحقها بدون مسوّغ شرعي ، ومن المؤسف أن بعض الفقهاء كان يساعدهم على ذلك الجور بالتحايل على الفتاوى لهم.

٢٣- على الرغم مما للأوقاف من دور في ازدهار الحياة الاقتصادية في مكة والمدينة، فإن لها وجها سلبيّا ظهر في هذا العصر، وهو أن ضمان مصدر للرزق عن طريق الوقف كان مدعاة للبطالة والبعد عن الحياة الجادة العاملة، إذ كان المستحقون في الأوقاف أو أرباب الوظائف فيها، لاسيما المقيمين منهم بالأربطة والزوايا تصلهم رواتبهم طبقاً لشروط الواقف، وتوارث البعض تلك الوظائف مما قضى على دوافع العمل والإنتاج، فقد ضمنوا وهم في طفولتهم وظائف محددة بمرتبات مغرية حصلوا عليها بحكم مولدهم، ونظام التوريث الذي اشترطه الواقف.

٢٤- كان الشعور الديني واضحاً وغالبا في تلك الفترة ، وكان عاملا من عوامل انتشار الأوقاف وازدهارها في العصر المملوكي، لما للدين من أثر عميق على نفوس الواقفين فانعكس على تصرفاتهم، وكثرت الأوقاف على مصالح الحرمين الشريفين وعلى شؤونهما ومن بهما، كالقضاة، والخطباء، والأئمة والمؤذنين والنظار والفراشين والبوابين والوقادين.

٢٥- انعكس أثر الأوقاف على الحياة الاجتماعية بالمدينتين المقدستين، إذ كان للأوقاف التي حبست خلال العصر المملوكي أثرها البالغ وصلتها الوطيدة بالترابط الاجتماعي الذي دعا إليه المشرع، كما أسهمت في رفع مستوى المعيشة لقاطني مكة والمدينة، أيضاً في محبة الناس للواقفين، فضلاً عن اطمئنانهم على أمور معايشهم، فانتشرت المؤسسات الاجتماعية

والتعليمية والصحية، كما أوجد نظام الوقف فرص عمل لأهالي المدينتين المقدستين مما ساعد في الحد من وسائل الكسب غير المشروعة.

٢٦- مـــن آثار الأوقاف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية أن الموقوفات دارت في عجلة الحياة الاقتصـــادية، مـــن خلال دورها في مصر ومكة والمدينة، يضاف إلى ذلك أن دور الأوقاف كمؤسســـة جعلها تستوعب عدداً كبيراً من الموظفين لديها، وأتاحت فرص عمل للحد من الـــبطالة، وأنعشت الفوائد المالية الحاصلة من ريع الموقوفات من جوامك وغيرها من سائر المصـــروفات، الأسواق بعد إعادة طرحها فيها مما كان ينعش الدورة الاقتصادية، وأدى ما أنفقـــته الأوقـــاف في عمليات شراء الأطعمة، والحبوب، والملابس، والزيوت ومواد البناء وغيرها إلى الرواج في أسواق المدينتين المقدستين.

٢٧- أبـــرزت الدراسة دور الأوقاف في تخفيف أعباء الحياة على أهالي الحرمين، وتناولت الأزمات الاقتصـــادية بهما، وقد دلت كافة الشواهد التاريخية على ارتباط الحالة الاقتصادية بالحرمين الشـــريفين تأرجحـــاً في ارتفاع وانخفاض منسوب مياه النيل بمصر، وارتباط ذلك بانخفاض وارتفـــاع الأســـعار في كـــل من مصر والمدينتين المقدستين، وهذا التأثير انعكس سلباً على اقتصاد المدينتين المقدستين اللتين اعتمدتا على موارد غير ثابتة لارتباطها بالغير ، وتظل هذه الموارد الخارجية، خاضعة لعوادي الزمان والمكان والإنسان.

٢٨- أدت الأوقـــاف إلى ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في المدينتين المقدستين، فازدهرت الحركة العلمـــية بهمـــا تعلـــيماً وتعلماً ، وذلك بكثرة الدارسين والمدرسين الذين أسهموا في إثراء العلوم والمعارف في الحرمين الشريفين، وسائر المؤسسات الاجتماعية والعلمية الأخرى.

والشكر لله على عونه وحسن توفيقه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ملحق رقم (١)

جدول بأسماء سلاطين المماليك(١)

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

(أ) المماليك البحرية

(٦٤٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢م)

السلطان	مدة الحكم
١ - **أيبك ، المعز** ---------- قتلته شجرة الدر	٦٤٨ - ٦٥٤هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٦م
٢ - **علي أيبك ، المنصور** ---------- خلعه قطز	٦٥٥ - ٦٥٦هـ / ١٢٥٧ - ١٢٥٨م
٣ - **قطز ، المظفر سيف الدين** ---------- قتله بيبرس	٦٥٧ - ٦٥٨هـ / ١٢٥٨ - ١٢٥٩م
٤ - **بيبرس البندقداري ، الظاهر** ---------- توفي على عرشه	٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٧م
٥ - **محمد بركة بن بيبرس ، السعيد** -------- خلع	٦٧٦ - ٦٧٨هـ / ١٢٧٧ - ١٢٧٩م
٦ - **سلامش بن بيبرس ، العادل** ---------- خلعه قلاوون	ربيع أول - رجب ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م
٧ - **قلاوون ، المنصور** ---------- توفي على عرشه	٦٧٨ - ٦٨٩هـ / ١٢٧٩م
٨ - **خليل بن قلاوون ، الاشرف** ---------- قتله بيدرا	٦٨٩ - ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣م
٩ - **بيدرا ، الملك الأوحد** ---------- قتله الأمراء	تسلطن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل
١٠ - **محمد بن قلاوون ، الناصر** ---------- (السلطنة الأولى) خلع ثم تولى ثانية	٦٩٣ - ٦٩٤هـ / ١٢٩٣ - ١٢٩٤م
١١ - **كتبغا ، العادل زين الدين** ---------- طرده لاجين	٦٩٤ - ٦٩٦هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦م
١٢ - **لاجين ، المنصور حسام الدين** ------- قتله الأمراء	٦٩٦ - ٦٩٨هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٨م
١٣ - **محمد بن قلاوون ، الناصر** ---------- (السلطنة الثانية)	٦٩٨ - ٧٠٧هـ / ١٣٠٨ - ١٣٠٨م

---

(١) نقلا عن د. محمد محمد أمين – الملحق السادس من كتابه (الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر) ، الصفحات من ٣٨٨ إلي ٣٩١ .

السلطان	مدة الحكم
١٤ ـ **بيبرس الجاشنكير ، المظفر** ---------- قتل بأمر الناصر محمد	٧٠٨ - ٧٠٩هـ / ١٣٠٨ - ١٣٠٩م
١٥ ـ **محمد بن قلاوون ، الناصر** ---------- (السلطنة الثالثة) توفي على عرشه	٧٠٩ - ٧٤١هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠م
١٦ ـ **أبو بكر بن الناصر محمد ، المنصور** - خلعه قوصون بعد ٥٩ يوماً	٧٤١ - ٧٤٢هـ / ١٣٤٠ - ١٣٤١م
١٧ ـ **كجك بن الناصر محمد ، الأشرف** ----- خلعه الأمراء	صفر - شوال ٧٤٢هـ / ١٣٤١م
١٨ ـ **أحمد بن الناصر محمد ، الناصر** ----- اعتكف في الكرك فخلع	شوال ٧٤٢هـ - محرم ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م
١٩ ـ **اسماعيل بن الناصر محمد ، الصالح** -- توفي على عرشه	٧٤٣ - ٧٤٦هـ / ١٣٤٥ - ١٣٤٦م
٢٠ ـ **شعبان بن الناصر محمد ، الكامل** ----- خلعه الأمراء	٧٤٦ - ٧٤٧هـ / ١٣٤٥ - ١٣٤٦م
٢١ ـ **حاجي بن الناصر محمد ، المظفر** ---- ذبحه الأمراء	٧٤٧ - ٧٤٨هـ / ١٣٤٦ - ١٣٤٧م
٢٢ ـ **حسن بن الناصر محمد ، المظفر** ----- (السلطنة الأولى) خلع	٧٤٨ - ٧٥٢هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥١م
٢٣ ـ **صالح بن الناصر محمد ، الصالح** ---- خلعه شيخون	٧٥٢ - ٧٥٥هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٤م
٢٤ ـ **حسن بن الناصر محمد** ---------- (السلطنة الثانية) قتله يلبغا	٧٥٥ - ٧٦٢هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦٠م
٢٥ ـ **محمد بن حاجي بن الناصر محمد، المنصور**	٧٦٢ - ٧٦٤هـ / ١٣٦٠ - ١٣٦٢م
٢٦ ـ **شعبان بن الحسين بن الناصر محمد ، الاشرف** ---------- قتله الأمراء	٧٦٤ - ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦م
٢٧ ـ **علي بن شعبان ، المنصور** ---------- توفي على عرشه .	٧٧٨ - ٧٨٣هـ / ١٣٧٦ - ١٣٨٦م
٢٨ ـ **أمير حاج بن شعبان ، الصالح** ------- خلعه برقوق ثم خلع برقوق وعاد حاجي ثم خلع وعاد برقوق	٧٨٣ - ٧٨٤هـ / ١٣٨١ - ١٣٨٢م

(ب) المماليك الجراكسة
٧٨٤ - ٩٢٣هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧م

السلطان	مدة الحكم
١ - برقوق بن أنص ، الظاهر ----------	٧٨٤ - ٧٩١هـ / ١٣٨٢ - ١٣٨٨م
(السلطنة الأولى)	
خلع ثم عاد	
٢ - أمير حاج بن شعبان ----------	٧٩١ - ٧٩٣هـ / ١٣٨٨ - ١٣٨٩م
(السلطنة الثانية)	
خلع	
٣ - برقوق ----------	٧٩٢ - ٨٠١هـ / ١٣٨٩ - ١٣٩٨م
(السلطنة الثانية)	
توفي على عرشه	
٤ - فرج بن برقوق ، الناصر ----------	٨٠١ - ٨٠٨هـ / ١٣٩٨ - ١٤٠٥م
(السلطنة الأولى)	
خلع ثم عاد	
٥ - عبدالعزيز بن برقوق ، الناصر --------	ربيع أول - جماد آخر ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م
خلعه الأمراء	
٦ - فرج بن برقوق ----------	٨٠٨ - ٨١٥هـ / ١٤٠٥ - ١٤١٢م
(السلطنة الثانية)	
قتل	
٧ - الخليفة المستعين ----------	محرم - شعبان ٨٢٤هـ / ١٤٢١م
خلعه شيخ	
٨ - شيخ المحمودي ، المؤيد ----------	٨١٥ - ٨٢٤هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١م
توفي على عرشه	
٩ - أحمد بن شيخ ، المظفر ----------	محرم - شعبان ٨٢٤هـ / ١٤٢١م
خلعه ططر	
١٠ - ططر ، الظاهري ----------	شعبان - ذو الحجة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م
توفي على عرشه	
١١ - محمد بن ططر ، الصالح ----------	٨٢٤ - ٨٢٥هـ / ١٤٢١ - ١٤٢٢م
خلعه برسباي	
١٢ - برسباي ، الأشرف ----------	٨٢٥ - ٨٤١هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧م
توفي على عرشه	
١٣ - يوسف بن برسباي ، العزيز ---------	٨٤١ - ٨٤٢هـ / ١٤٣٧ - ١٤٣٨م
خلعه جقمق	
١٤ - جقمق ، الظاهر ----------	٨٤٢ - ٨٧٥هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣م
استعفي لمرضه	

السلطان	مدة الحكم
١٥ ـ **عثمان بن جقمق ، المنصور** --------	محرم – ربيع أول ٨٥٨هـ/ ١٤٥٣م
خلعه الأمراء	
١٦ ـ **اينال ، الأشرف** ----------	٨٥٨ – ٨٦٥هـ / ١٤٥٣ – ١٤٦٠م
استعفي لمرضه	
١٧ ـ **أحمد بن اينال ، المؤيد** ----------	محرم – رمضان ٨٦٥ / ١٤٦٠م
خلعه الأمراء	
١٨ ـ **خشقدم ، الظاهر** ----------	٨٦٥ – ٨٧٢هـ / ١٤٦٠ – ١٤٦٧م
توفي على عرشه	
١٩ ـ **بلباي المؤيدي ، المجنون** ----------	ربيع أول – جماد أول ٨٧٢ / ١٤٦٧م
خلعه الأمراء بعد ٥٦ يوماً	
٢٠ ـ **تمربغا ، الظاهر** ----------	جماد أول – رجب ٨٧٢ / ١٤٦٧م
خلعه الأمراء بعد ٥٩ يوماً	
٢١ ـ **خير بك ، الظاهر** ----------	تسلطن ليلة واحدة
خلع	
٢٢ ـ **قايتباي ، المحمودي ، الأشرف** ------	٨٧٢ – ٩٠١هـ / ١٤٦٧ – ١٤٩٦م
توفي على عرشه	
٢٣ ـ **محمد بن قايتباي ، الناصر** ----------	٩٠١ – ٩٠٢هـ / ١٤٩٦ – ١٤٩٧م
(السلطنة الأولى)	
خلع ثم عاد	٢٨ جماد أول إلى أول جماد آخر
٢٤ ـ **قانصوه خمسمائة ، (٣) أيام** -------	٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م
خلعه الأمراء بعد ٣ أيام	
٢٥ ـ **محمد بن قايتباي** ----------	٩٠٢ – ٩٠٤هـ / ١٤٩٦ – ١٤٩٨م
(السلطنة الثانية)	
قتله الأمراء	
٢٦ ـ **قانصوه الأشرفي ، الظاهر** ----------	٩٠٤ – ٩٠٥هـ / ١٤٩٨ – ١٤٩١م
خلعه الأمراء	
٢٧ ـ **جان بلاط ، الأشرف** ----------	٩٠٥ – ٩٠٦هـ / ١٤٩٩ – ١٥٠٠م
قتل خنقاً بسجنه بالاسكندرية	
٢٨ ـ **طومان باي بن قانصوه (الأول) ، العادل**	٦ جماد الاخرة – شوال ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م
قتل	
٢٩ ـ **قانصوه الغوري ، الأشرف** ----------	٩٠٦ – ٩٢٢هـ / ١٥٠١ – ١٥١٦م
قتل في مرج دابق	
٣٠ ـ **طومان باي (الثاني) ، الأشرف** ----	٩٢٢ – ٩٢٣هـ / ١٥١٦ – ١٥١٧م
شنق على باب زويلة بأمر سليم الأول	

ملحق رقم (٢)

أ - جدول بأمراء مكة المعاصرين لدولة المماليك[١]

بنو قتادة الحسنيون :

أبو عزيز بن إدريس المطاعن ..... (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)

الحسن بن قتادة ..... (٦١٧هـ - ١٢٢٠م)

راجح بن قتادة ..... (٦٢٩هـ - ١٢٣١م) - (٦٣٩هـ - ١٢٤١م)

أبو سعد علي بن قتادة ..... (٦٣٩هـ - ١٢٤١م) - (٦٥١هـ - ١٢٥٣م)

حماز بن الحسن بن قتادة ..... (شعبان ٦٥١هـ - ١٢٥٣م) - (ذو الحجة ٦٥١هـ - ١٢٥٣م)

راجح بن قتادة (للمرة الثانية) ..... (ذو الحجة ٦٥١هـ - ١٢٥٣م) - (ربيع الأول ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م)

غانم بن راجح ..... (ربيع الثاني ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م) - (شوال ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م)

أبو نمي محمد (الأول) بن أبي سعيد علي ..... (شوال ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م) - (صفر ٧٠١هـ - ١٣٠١م)

إدريس بن قتادة ..... (شوال ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م) - (ربيع ثاني ٦٦٩هـ - ١٢٧٠م)

غانم بن إدريس ..... (صفر ٦٧٠هـ - ١٢٧١م)

رميثة بن أبي نمي محمد (في فترات متقطعة) ..... (صفر ٧٠١هـ - ١٣٠١م) - (ذو القعدة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م)

حميضة بن محمد ..... (صفر ٧٠١هـ - ١٣٠١م) - (ذو الحجة ٧٠١هـ - ١٣٠١م)

« متنافسون »

محمد بن إدريس ..... (ذو الحجة ٧٠١هـ - ١٣٠١م) - (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م)

أبو الغيث بن محمد ..... (ذو الحجة ٧٠١هـ - ١٣٠١م) - (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م)

عطيفة بن محمد ..... (ذو الحجة ٧٠١هـ - ١٣٠١م) - (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م)

حميضة بن محمد (للمرة الثانية) ..... (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م) - (ذو الحجة ٧١٣هـ - ١٣١٣م)

أبو الغيث بن محمد (للمرة الثانية) ..... (ذو الحجة ٧١٣هـ - ١٣١٣م) - (صفر ٧١٤هـ - ١٣١٤م)

حميضة (للمرة الثالثة) ..... (صفر ٧١٤هـ - ١٣١٤م) - (شعبان ٧١٥هـ - ١٣١٥م)

---

١) المصدر : الفاسي ، العقد الثمين ، والسخاوي ، الضوء اللامع ، وتاريخ أمراء البلد الحرام .،وعبد الفتاح حسين راوة ، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر العصور الإسلامية ، وقام الباحث بإضافة التاريخ الميلادي بجانب التاريخ الهجري.

حميضة (للمرة الرابعة) ..... (المحرم ٧١٨هـ - ١٣١٨م)- (ربيع الثاني ٧١٨هـ - ١٣١٨م)

عطيفة (للمرة الثانية) ..... (المحرم ٧١٩هـ - ١٣١٩م) - (المحرم ٧٣١هـ - ١٢٣٠م)

عجلان بن رميثة (في فترات متقطعة) ..... (ذو القعدة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م) - (٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)

« متنافسون »

مُغامس بن رميثة ..... (٧٤٧هـ- ١٣٤٦م) - (٧٥٠هـ- ١٣٤٩م) - (٧٤٧هـ- ١٣٤٦م)

ثقبة بن رميثة ..... (٧٤٨هـ - ١٣٤٧م) - (شوال ٧٥٠هـ - ١٣٤٩م)

ثقبة بن رميثة (للمرة الثانية) ..... (٧٥٣هـ - ١٣٥٢م) - (ذو الحجة ٧٥٤هـ - ١٣٥٣م)

ثقبة بن رميثة (للمرة الثالثة) ..... (المحرم ٧٥٧هـ - ١٣٥٦م) - (ذو الحجة ٧٥٧هـ- ١٣٥٦م)

ثقبة بن رميثة (للمرة الرابعة) ..... (ذو الحجة ٧٥٨هـ - ١٣٥٧م) - (٧٦٢هـ - ١٣٦٠م)

محمد بن عطيفة ..... (جمادى الآخرة ٧٦٠هـ - ١٣٥٨م)- (ذو الحجة ٧٦٠هـ - ١٣٥٨م)

سند بن رميثة (للمرة الثانية) ..... (٧٦٠هـ - ١٣٥٨م) - (٧٦٢هـ - ١٣٦٠م)

أحمد شهاب الدين بن عجلان ..... (شوال ٧٦٢هـ - ١٣٦٠م) - (شوال ٧٨٨هـ - ١٣٦٨م)

عجلان بن رميثة (للمرة الثانية) ..... (ذو القعدة ٧٦٢هـ - ١٣٦٠م) - (٧٧٧هـ - ١٣٧٥م)

محمد بن أحمد ..... (٧٨٠هـ - ١٣٧٨م) - (ذو الحجة ٧٨٨هـ - ١٣٦٨م)

« مطالبون بالحكم »

عقيل بن مبارك ..... (ذو الحجة ٧٨٨هـ - ١٣٨٦م)

علي بن مبارك ..... (ذو الحجة ٧٨٨هـ - ١٣٨٦م)

عنان بن مغامس ..... (ذو الحجة ٧٨٨هـ - ١٣٨٦م) - (ذو الحجة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م)

أحمد بن ثقبة ..... (ذو الحجة ٧٨٨هـ - ١٣٨٦م)

علي بن عجلان (للمرة الأولى) ..... (شعبان ٧٨٩هـ- ١٣٨٧م)- (شوال ٧٩٧هـ- ١٣٩٤م)

عنان بن مغامس (للمرة الثانية) ..... (شعبان ٧٩٢هـ- ١٣٨٩م)- (ذو الحجة ٧٩٤هـ- ١٣٩١م)

محمد بن عجلان (للمرة الأولى) ..... (٧٩٤هـ - ١٣٩١م)

محمد بن عجلان (للمرة الثانية) ..... (٧٩٧هـ - ١٣٩٤م)- (ربيع الثاني ٧٩٨هـ- ١٣٩٥م)

الحسن بن عجلان ..... (ربيع الثاني ٧٩٨هـ- ١٣٩٥م)- (جمادى الآخرة ٨٢٩هـ- ١٤٢٥م)

بركات بن الحسن ..... (ذو الحجة ٨٠٩هـ - ١٤٠٦م) - (شعبان ٨٥٩هـ - ١٤٥٤م)

أحمد بن الحسن ..... (٨١١هـ - ١٤٠٨م)

رميثة بن محمد ..... (ذو الحجة ٨١٨هـ - ١٤١٥م) - (رمضان ٨١٩هـ - ١٤١٦م)

« متنافسون »

علي بن عنان ..... (٧٢٨هـ - ١٤٢٣م) - (ذو الحجة ٨٢٨هـ - ١٤٢٤م)

علي بن عجلان ..... (٧٢٨هـ - ١٤٢٣م) - (ذو الحجة ٨٢٨هـ - ١٤٢٤م)

علي بن الحسن ..... (شعبان ٨٤٥هـ - ١٤٢٣م) - (ذو الحجة ٨٢٨هـ - ١٤٢٤م)

أبو القاسم بن الحسن ..... (ذو القعدة ٨٤٦هـ - ١٤٤٢م) - (٨٥٠هـ - ١٤٤٦م)

محمد بن بركات ..... (شعبان ٨٥٩هـ - ١٤٥٤م) - (المحرم ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م)

بركات بن محمد ..... (المحرم ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م) - (ذو القعدة ٩٣١هـ - ١٥٢٤م)

هزاع بن محمد ..... (ذو القعدة ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م) - (جمادى الآخرة ٩٠٧هـ - ١٥٠١م)

أحمد جازان بن محمد ..... (شوال ٩٠٨هـ - ١٥٠٢م) - (رجب ٩٠٩هـ - ١٥٠٣م)

حميضة بن محمد ..... (رجب ٩٠٩هـ - ١٥٠٣م) - (المحرم ٩١٠هـ - ١٥٠٤م)

قايتباي بن محمد ..... (المحرم ٩١٠هـ - ١٥٠٤م) - (صفر ٩١٨هـ - ١٥١٢م)

علي بن بركات ..... (توفي سنة ٩١٣هـ) - (٩١٠هـ - ١٥٠٤م)

أبو نمي محمد (الثاني بن بركات ..... (شعبان ٩١٨هـ - ١٥١٢م) - (٩٧٤هـ - ١٥٦٦م)

ب - جدول بأمراء المدينة المعاصرين لدولة المماليك

بنو مهنا الحسينيون[١] :

حسين بن مهنا الأكبر ابن داود بن أحمد الحسيني ثم ابنه مهنا الأعرج الحسين بن مهنا العز أبو فليته القاسم ابن مهنا (أول من عرف من أمراء هذا البيت) ، كان أميراً بعد سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)

العز جماز بن القاسم ..... جد الجمامزة

قاسم بن جماز (ولى ٢٥ سنة) ..... (حول ٥٩٩هـ - ١٢٠٢م)

شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ..... (٦٢٤هـ - ١٢٢٦م)

عيسى بن شيحة ..... ( )

أبو الحسين منيف بن شيحة ..... (حول ٦٥٠هـ - ١٢٥٢م)

العز أبو سند جماز بن شيحة ..... (٦٥٧هـ - ١٢٥٨م)

أبو هاشم مالك بن منيف بن شيحة ..... (٦٦٦هـ - ١٢٦٧م)

جماز بن شيحة (مرة ثانية) ..... ( )

أبو غانم منصور بن جماز ..... (حول ٧٠٢هـ - ١٣٠٢م)

ودي بن جماز ..... (٧٢٧هـ - ١٣٢٦م)

طفيل بن منصور (مرة ثانية) ..... (حول ٧٢٨هـ - ١٣٢٧م)

ودي بن جماز (مرة ثانية) ..... (٧٣٦هـ - ١٣٣٥م)

طفيل بن منصور (مرة ثالثة) ..... (٧٤٦هـ - ١٣٤٢م)

سعد بن ثابت بن جماز بن شيحة ..... (٧٥٠هـ - ١٣٤٩م)

فضل بن قاسم بن جماز ..... (٧٥٢هـ - ١٣٥١م)

مانع بن علي بن مسعود بن جماز ..... ( )

جماز بن منصور بن جماز بن شيحة ..... (٧٥٩هـ- ١٣٥٧م)

عطية بن منصور ..... (٧٦٠هـ - ١٣٥٨م)

هبة بن جماز بن منصور ..... (٧٧٣هـ - ١٣٧١م)

عطيه بن منصور (مرة ثانية) ..... (٧٨٢هـ - ١٣٨٠م)

جماز بن هبة بن جماز ..... (٧٨٣هـ - ١٣٨١م)

جماز بن هبة ومحمد بن عطية بن منصور ..... (٧٨٥هـ - ١٣٨٣م)

جماز بن هبة (بمفرده) ..... ( )

---

١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص٨٠ .

٢) قام الباحث بإضافة التاريخ الميلادي بجانب الهجري .

محمد بن عطية (بمفرده) ..... (٧٨٧هـ - ١٣٨٥م)

جماز بن هبة (بمفرده) ..... (٧٨٧هـ - ١٣٨٥م)

ثابت بن نعير بن منصور بن جماز ..... (٧٨٩هـ - ١٣٨٧م)

جماز بن هبه ..... (٨٠٥هـ - ١٤٠٢م)

ثابت بن نعير (مرة ثانية) ..... (٨١١هـ - ١٤٠٨م)

عجلان بن نعير ..... (٨١١هـ - ١٤٠٨م)

سليمان بن هبه بن جماز بن منصور ..... ( )

غرير بن هيازع بن هبة بن جماز ..... (٨١٥هـ - ١٤١٢م)

عجلان بن نعير (مرة ثانية) ..... (٨١٩هـ - ١٤١٦م)

غرير بن هيازع (مرة ثانية) ..... (٨٢١هـ - ١٤١٨م)

عجلان بن نعير (مرة ثالثة) ..... (٨٢٤هـ - ١٤٢١م)

خشرم بن دوغان بن هبة بن جماز بن منصور ..... (٨٢٩هـ - ١٤٢٥م)

مانع بن علي بن عطية بن منصور ..... (٨٣١هـ - ١٤٢٧م)

أميان بن مانع ..... (٨٣٩هـ - ١٤٣٥م)

سليمان بن غرير ..... (٨٤٢هـ - ١٤٣٨م)

حيدرة بن دوغان بن هبة ..... (٨٤٦هـ - ١٤٤٢م)

يونس بن كبيش بن جماز ..... (٨٤٦هـ - ١٤٤٢م)

ضغيم بن خشرم بن نجاد بن نعير بن منصور ..... (٧٤٨هـ - ١٤٤٣م)

أميان ..... (٨٥٠هـ - ١٤٤٦م)

زبيري بن قبيس بن ثابت بن نعير بن منصور ..... (٨٥٤هـ - ١٤٥٠م)

زهير بن سليمان بن هبة بن جماز بن منصور ..... (٨٦٥هـ - ١٤٦٠م)

ضغيم بن خشرم بن نجاد (مرة ثانية) ..... (٨٦٩هـ - ١٤٦٤م)

زهير بن سليمان (مرة ثانية) ..... (٨٦٩هـ - ١٤٦٤م)

ضغيم بن خشرم بن نجاد (مرة ثالثة) ..... (٨٧٤هـ - ١٤٦٩م)

نسيطل بن زهير بن سليمان ..... (٨٨٣هـ - ١٤٧٨م)

زبيري بن قيس ..... (٨٨٧هـ - ١٤٨٣م)

حسن بن زهير ..... (٨٨٨هـ - ١٤٨٣م)

فارس بن شاهان بن زهير بن زيان بن منصور بن جماز ..... (٩٠١هـ - ١٤٩٥م)

ملحق رقم (٣)

(أ) جدول بأهم الوظائف التي عرف بها في البحث

الوظيفة	تعريفها
١ - ناظر الوقف	متولي الوقف أو المشرف عليه والراعي لمصالحه.
٢ - ناظر الأحباس	هو ناظر الوقف
٣ - مباشر الأوقاف	هو الموظف المكلف بإدارة العمل والإشراف عليه
٤ - الأغوات	الخدم من الخصيان
٥ - ناظر الجيش	من الوظائف الديوانية الرفيعة التي يعين شاغلها من قبل السلطان
٦ - الجوكندار	ممسك عصا الصولجان
٧ - ناظر الكسوة الشرفية	من الوظائف الدينية وكان يتولاها غالبا أحد القضاة
٨ - ناظر الخزانة السلطانية	من الوظائف الديوانية ،ويقال له: ناظر الخزانة الشريفة أو الكبري
٩ - أمير الحج	يصحب الركب الأول من الحجاج ،وهذه الوظيفة معروفة منذ عهد النبيﷺ
١٠ - المطوف	القائم بتطويف الحجاج ،وإرشادهم للمناسك ،وتلقينهم الأدعية
١١ - الدوادار	ممسك الدواة ، أو الموكل بالدواة أي دواة السلطان أو الأمير
١٢ - رأس نوبة النوب	الوظيفة الثالثة من الوظائف العسكريين ،ولأهميته يختار من الخاصكية
١٣ - أمير آخور كبير	يشغلها أحد الأمراء الكبار ،وهي الوظيفة السادسة من الوظائف العسكرية الكبرى
١٤ - شيخ الشيبية	يعرف بالسادن ،ووظيفته خدمة الكعبة المشرفة ،وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه .

الوظـــيفة	تعريفـــــها
١٥- مقدم المماليك ----------	الوظـيفة الخامسـة عشر من الوظائف التي يشغلها العسكريون
١٦- قاضي القضـاة	رئيس القضاة وكبيرهم
١٧- شـاد	موظف كان له الحق في الاشراف والسيطرة
١٨- شـاد الأوقـاف	مهمـته العمل علي ما فيه مصلحة الوقف من جمع الريع وحث الموظفين معه علي العمل
١٩- المبـاشر	موظـــف إداري للوقف
٢٠- موادع الحكم	يتولون حفظ الأموال في مودع الحكم تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي
٢١- شاهد الوقف	موظـف من المدنيين يضبط متحصل الوقف، ويقوم بتحرير ما يجمعه الجباة
٢٢- الخطيب	وظيفية دينية لها شروطها
٢٣ – شيخ الحرم	أكبر رتبة لخدام الحرم النبوي الشريف
٢٤- النقيب	يلي شيخ الحرم في الرتبة
٢٥- المستلم	مستلم الصدقات وما يخدم مصالح المسجد النبوي
٢٦- المؤذن	وظـيفو دينية لها شروطها ، وتكاد تكون وراثية في الأسرة الواحدة
٢٧- المؤقت أو الميقاتـي	مـن يقوم بالاعلام بالوقت ، ليعرف الناس مواقيت الصلاة في المسجد الحرام
٢٨- ناظر الحـرم	مهمـته النظر في مصالح المسجد الحرام ،والنظر في الأوقاف والربط والمدارس بمكة
٢٩- شـاد العمارة	يشـرف متولـيها علي العمائر السلطانية إحداثا أو تجديدا
٣٠- ناظـر العمـارة	يعـاون الشاد في مهمته ، وله الأمر علي المهندسين والحجارين وصناع العمائر ونحوهم .
٣١- السـقاية	من الوظائف المرتبطة بالمسجد الحرام وخدمة زواره طوال العام .
٣٢- شيخ الزمامة	يشرف علي أعمال موظفي السقاية ، ويوزع العمل بينهم
٣٣- الفـراش	وكـان في المسجد الحرام قبة للفراشين معدة لصالح الحرم من فوانيس ،وشمع ،..إلخ

الوظيفـــــة	تعريفها
٣٤- الوقـــاد	مهمته وضع الزيت في القناديل بالمسجد الحرام
٣٥- السنجقدار	حامل الرمح
٣٦- كاتب الوقف	من الوظائف الادارية بالوقف
٣٧- المشرف	أو المشارف ومهمته مراقبة الأمور المالية العامة للوقف
٣٨- الجـــابـــي	من يتولي جباية ريع الوقف
٣٩- الصيرفي	يتولي قبض الأموال وصرفها ،ومن عمله مبادلة مقادير العملة ،وسحب العملة الرديئة
٤٠- البردوارية	من الوظائف المستحدثة في الأوقاف ومهمتهم الاشراف علي بريد الاوقاف
٤١- المعماري	وظيفة يتولاها مهندس ، كانوا يطلقون عليه المعلم
٤٢- شاهد العمارة	من الوظائف الفنيةالمتعلقة بالإنشاء والتعمير
٤٣- المرخم	من الوظائف الفنية في الوقف ، ويتولاها العارف بصناعة الترخيم والتنعيم
٤٤- خازن الكتـــب	مما يشترط فيه أن يكون قادرا علي القيام بخدمة الكتب ومعاونة الباحثين
٤٥- الجـــدار	الذي يتولي إلباس السلطان أو الأمير
٤٦- السحابة	طائفة يرافقون الحاج للمحافظة عليهم
٤٧- أمير رأس نوبة	من الوظائف الكبري التي يشغلها عسكريون
٤٨- ناظر ديوان الأملاك	المشرف علي الأملاك السلطانية موقوفة كانت أو غير موقوفة ،وهذا الناظر يشرف علي ناظر الخواص السلطانية المسئول عن عامة أموال السلطان
٤٩- ناظر الخواص السلطانية	

(ب) جدول لطائفة من أهم المصطلحات الحضارية التي وردت في هذا البحث

١- الآدر	٢٦- الجامكية
٢- الآدر الشريفة	٢٧- الخان
٣- الأحكار	٢٩- الطراد
٤- الأردب	٣٠- الطرحاء
٥- الأرصاد	٣١- الطوافة
٦- الآفاقون	٣٢- العشور
٧- الأفلوري	٣٣- عين بازان
٨- الأملاك	٣٤- القيسارية
٩- الأملاك الشريفة	٣٥- المماليك الخاجكية
١٠- الأوقية	٣٦- المماليك السلطانية
١١- أيام البطالة	٣٧- مودع الأموال
١٢- بقسماط	٣٨- الخان
١٣- البيماريستان	٣٩- الخطام
١٤- تجار الكارم	٤٠- الدرهم
١٥- التقاليد	٤١- الدرهم النقرة
١٦- الزاملة	٤٢- الدشيشة
١٧- الزيدية	٤٣- القيسارية
١٨- السنجق	٤٥- الوقف الأهلي
١٩- الفاضل	٤٦- الوقف الخيري .
٢٠- الفندق	
٢١- القرصة	
٢٢- كنبوش	
٢٣- المجاورون	
٢٤- المدرسة الباسطية	
٢٥- المدرسة الجمالية	

ملحق رقم (٤)

فهرس وثائق وحجج أوقاف الحرمين الشريفين من واقع أرشيف دار الوثائق القومية ووزارة الأوقاف (مرتب تاريخيا)

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١	٨	دار الوثائق القومية	٥ محرم ٦٦٢هـ	وقف	فخر الدين يعقوب بن السلطان أبو بكر بن أيوب	آدر بدمشق ، حصة في ضيعة البويضا البحيرية بغوطة دمشق ، حصة تعرف بالقصر المعيني بدمشق	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لمصالح الحرم النبوي والأشراف الهاشميين البكريين	فاقد أولها ،
٢	٩	دار الوثائق القومية	٥ محرم ٦٦٥هـ	حجة تصادق على استحقاق وقف	بدر بن رزيك	حصة في بستان العدة الكبرى بظاهر القاهرة	بعد انقراض الموقوف يؤول ريع الوقف للأشراف الحسينيين بالحرمين الشريفين	ذائب وفاقد أولها وهامشها ممزقة وبها عدة ثقوب

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٣	٢٠	دار الوثائق القومية	١٤ محرم ٧٠٧هـ	وقف	سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير خازندار	القيسارية المعروفة بجهاركس بالقاهرة	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول نصف ريع الوقف على مصالح وعمارة وفقراء الحرمين الشريفين	فاقد جزء من أولها وطرفها الأيسر وهوامشها متآكلة
٤	٢٦	دار الوثائق القومية	١٨ ربيع الآخر ٧١٧هـ	وقف	أردكين ابنة السيفي نوكيه السلاح دار المنصوري	٣٢ مكانا بالقاهرة ما بين دور وقيساريه وفنادق وحمامات وغيرها	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف إلى فقراء الحرمين	فاقد أولها وأجزاء من وسطها وطرفها

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٥	٢٧٤	دار الوثائق القومية	٢٦ ربيع آخر ٧١٧هـ	وقف	الأمير صواب بن عبدالله الخوارزمي الزمام المالكي الناصري	دار واسطبل بظاهر القاهرة بالقرب من سويقة العزى	يخصص أولا سدس ريع الوقف لخدام الحرم النبوي والباقي يؤول للخدام بعد انقراض الموقوف عليهم	فاقد أولها
٦	٢٩	دار الوثائق القومية	٢٣ صفر ٧٢٣هـ ٤ شوال ٧٢٤هـ	وقف تعديل في شروط الوقف	السيفي بهادر السعيدي أمير علم	بناء ظاهر القاهرة بالحسينية (حوانيت ، قاعة ، مجلس ، دور ، قاعة ، بئر ، مطبخ ، إسطبل)	صرف ٢٠٠ درهم نقرة سنويا برسم قراءة قرآن كريم بالحرم النبوي	فاقد أولها وهامشها وبها رطوبة شديدة ومزقة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٧	٣٠	دار الوثائق القومية	١٠ جمادى الآخرة ٧٢٤هـ	وقف	السلطان الناصر محمد بن قلاوون	عشرين سهما من جميع أراضي سريا قوس بالقليوبية	صرف ريع عشرين سهم على المنقطعين بالحرمين الشريفين برسم الزاد والراحلة التي تقلهم	أولها مفقود وهامشها الأيسر ممزق ، نشرها د.محمد محمد أمين في ملاحق كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب الحلبي جـ ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م
٨	٣٣	دار الوثائق القومية	٢٥ جماد أولى ٧٤٤هـ	وقف	الطواش جمال الدين محسن الإخميمي	دار بالفسطاط حصة في فندق الصاحب بالفسطاط ، حصة في فرن وخمسة حوانيت بالفسطاط حصة في دار وستة حوانيت بالفسطاط حصة في إسطبل بمصر حصة في دار بالفسطاط	صرف ٢٤٠ درهما نقرة سنويا برسم قراءة قرآن بالمسجد الشريف النبوي	فاقد أولها وممزقة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٩	٣٤	دار الوثائق القومية	٢٤ شعبان ٧٤٤هـ	وقف	الصفوي جوهر	أراضي مقام عليها عدة دور بالقاهرة وضواحيها	صرف ٢٠٠ درهم نقرة سنويا لسقي ماء بالحرم النبوي ، صرف ٢٠٠ درهم نقرة سنويا برسم قراءة قرآن بالحرم النبوي	فاقد أولها وجزء من طرفها ووسطها وممزقة
١٠	٣٨	دار الوثائق القومية	٢٩ شوال ٧٤٦هـ ٨ محرم ٧٤٧هـ ٢٩ رجب ٧٦٠هـ	وقف إثبات وقف	جمال الدين محسن بن عبدالله الإخميمي الجمدار الملكي الكاملي	دار واسطبل بحارة اليانسية ، حصة قدرها النصف في فندق بمصر بخط كوم الجارح ، ٣٠ فدانا بضاحية بهتيت من ضواحي القاهرة	صرف ٢٠٠ درهم نقرة سنويا برسم تسبيل ماء بالحرم المكي ٦٠ درهما نقرة سنويا برسم تسبيل ماء بالحرم المدني	ذائب أولها

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١١	٣٩	دار الوثائق القومية	١٤ شوال ٧٦٠هـ	وقف	مسرور بن عبدالله الشبلي الجمدار	١٣ جورة ضرب طوب تقع فيما بين القاهرة ومصر (الفسطاط) بوسط الخليج الحاكمي	صرف ٣٠٠ درهم نقرة سنويا برسم قارئ بالحرم المدني ، ٣٥٠ درهم نقرة سنويا برسم عمارة ومصالح المسجد النبوي ، ٣٥٠ درهم نقرة سنويا إلى الفقراء المجاورين السنيين بالحرم المدني	فاقد أولها ، نشرها د. عبداللطيف إبراهيم بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ٢١ جـ ٢ ١٩٥٩م ،

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٢	٤٢	دار الوثائق القومية	٢٦ ربيع آخر ٧٦٢هـ	وقف	السلطان حسن بن محمد بن قلاوون	جميع بيت الأرجي العامر المحروسة بالقرب من الجامع البيمارستان النوري ويعرف بطاحون السوق ، نصف قرية كرك نوح	صرف ربع نصف سهم في مصالح الحرم المكي من عمارة وترميم وفرش ووقود وغيره وإلى الفقراء والمساكين المجاورين والحجاج بالحرم المكي ، نصف سهم في مصالح وفقراء الحرم المدني	فاقد أولها ومزقة نشرها علي حسن زغلول ملاحق رسالة ماجستير بعنوان : مدرسة السلطان حسن ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٧م ، ونشرها د. محمد محمد أمين ، ود. سعيد عبدالفتاح عاشور في تذكرة ابنية في أيام المنصور وبنية سنة ١٩٨٦م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٣	٤٤	دار الوثائق القومية	٢٩ جمادى الآخرة ٧٦٦هـ	وقف	الأمير مثقال مقدم المماليك السلطانية ،	١٩٤ فدانا بكوم الرسين من ضواحي القاهرة ، ٢٩٠ فدانا بالجزيرة الوسطى ، ٢١٠٩ فدانا بالجزائر المستجدة بالجيزة ٢٣٦٠ فدانا بالبحيرة ، ٣٢٧٦ فدانا بالبحيرة ، ٢٠٦٠ فدانا مكسور بناحية مباشر بالشرقية ، ١٦٠٠ فدانا بالأعمال الشرقية حصة في قرية نانون من عمل نابلس	بعد موت الواقف وانقراض العتقاء يؤول ريع الوقف للخدام البطالين بالحرم النبوي	فاقد أولها وبها عدة ثقوب نشرها د. زينب محفوظ ملاحق رسالة دكتوراه سنة ١٩٧٧م ، بعنوان : وثائق البيع في مصر خلال العصر المملوكي ، الرسالة لم تطبع .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٤	٤٥	دار الوثائق القومية	٣ شوال ٧٦٦هـ	إقرار وقف	عز الدين عبدالعزيز بن صلاح الدين محمد بن نور الدين علي الجزولي ،	دار بمصر بموردة ابن الخليلي	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف في مصالح الحرمين ونقد للمجاورين بمكة والواردين إليها	فاقد أولها ومتآكلة من الهامش .
١٥	٤٦	دار الوثائق القومية	١٧ القعدة ٧٦٧هـ	وقف	الجمالي عبدالله	ثمانية بيوت بالقاهرة بخط الجامع الأزهر	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف إلى مصالح الحرمين الشريفين	فاقد أولها وهوامشها ممزقة وبها عدة ثقوب

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٦	٤٧	دار الوثائق القومية	٢٥ القعدة ٧٧١هـ	وقف	خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان	دار بدرب الأسواني بالقاهرة ، بناءين بحكر سلامس بصليبة الجامع الطولوني ، قرية معر طعبل بحلب	يصرف سنويا ربع ريع الوقف للنساء الفقيرات بالحرمين	فاقد أولها وممزقة
١٧	٤٩	دار الوثائق القومية	٣ جمادي الآخرة ٧٧٧هـ	وقف	السلطان الأشرف شعبان	قرية بالشام ، قرية آدر بكرك الشوبك ، قرية ساسكور بحماه ، قرية عين جار بحلب ، قرية ارمنا بمعرة النعمان ، قرية فرعنا بنابلس ، قرية سيخ الحديد بحلب ، قرية معر حطاط بمعرة النعمان ، ناحية كورين بحلب ، قرية حيلان بحلب ، بستان وحمام بالكرك ناحية اللجينة وثلث دادنج	يصرف سنويا ٢١٥٠٠٠ درهم نقرة (مائتان وخمسة عشر ألف) سنويا إلى جانب ريع ناحية اللجينة وثلثا دادنج برسم مصارف متعددة بالحرمين	فاقد أولها وممزقة وهي أربع قطع نشرها في رسالته للماجستير د.راشد القحطاني بعنوان : أوقاف الأشراف شعبان على الحرمين الشريفين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وتم طباعتها عام ١٩٩٤م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٨	١١٤٣ مكرر ق	وزارة الأوقاف	٢ رجب ٧٩٠هـ	وقف	السيفي أيتمش بن عبدالله الظاهري الأنابكي رأس نوبة الأمراء الملكي الظاهري	الرزقة المعروفة بنمو وجزيرة الحجر ومغاغة بالبهنساوية ، حصة في ناحية برهتموسن الشرقية ، حصة في أراضي شيشين الكوم بالغربية ، مكان (دار) بالقاهرة بخط سويقة العزى	يصرف سنويا ٧٢٠٠ درهم فلوسا برسم قراءة وتسبيل ماء بالحرمين الشريفين	فاقد أجزاء منها

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٩	جـ ٧١	وزارة الأوقاف	٧ شوال ٨٠٢هـ	وقف	خوند شيرين والدة السلطان فرج بن برقوق	جميع أراضي ناحية الأخصاص وكفورها الثلاث	يصرف سنويا ثلث ريع الوقف في مصالح وفقراء وخدام الحرمين	فاقد أخر جهجزاء وممزقة .
٢٠	جـ ٦٨	وزارة الأوقاف	٢٦ ربيع الآخر ٨٠٤هـ	وقف	السلطان فرج بن برقوق		يصرف سنويا ثمن ريع الوقف في مصالح الحرمين وثمن للخدام بالمدينة بالحرم النبوي	فاقد أجزاء وممزقة .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٢١	٦٢	دار الوثائق القومية	٢٧ محرم ٨٠٨هـ	وقف	شاهين بن عبدالله الحسيني رأس نوبة	قطعة أرض بأراضي بركة الفيوم ، أرض بناحية طمويه ، أرض المقنن ، أرض معروفة بالجزيرة بمنى الأمير بالجيزة ، ثلاثة أبنية واسطبلين بظاهر القاهرة بحدرة البقر بالقرب من مدرسة السلطان حسن ، قطعة أرض ناحية دموه جيزة ، قرية دجانية بالقدس	يصرف بالحرم المكي ١٠٠ درهم نقرة شهريا لتعليم عشرة أيتام ، ٥٠ درهم نقرة سنويا لكسوتهم ، ٣٠ درهم نقرة شهريا لمؤدبهم ، ٢٠٠ درهم نقرة سنويا لمدرس شافعي ، ١٠٠ درهم سنويا لأربعة طلبة شافعية ، ٢٠٠ درهم نقرة سنويا لمدرس حنفي ، ١٠٠ درهم نقرة سنويا لأربعة طلبة حنفية ، ٢٠٠ درهم نقرة سنويا لقارئ قرآن ، ٢٠٠ درهم نقرة سنويا لمتصدر الفرائض ، ٥٠٠ درهم نقرة سنويا برسم تسبيل ماء ، يصرف بالحرم المدني ، ١٠٠ درهم نقرة شهريا لعشرة أيتام ، ٥٠ درهم نقرة سنويا لكسوتهم ، ٣٠ درهم نقرة شهريا لمؤدبهم ، ٣٠ درهم نقرة سنويا لقارئ بالروضة ، ٣٠ درهم فضة بيضاء برسم سقاية ماء ، ١٥٠٠ درهم نقرة سنويا للخدام البطالين بالحرم النبوي	فاقد أولها ومزقة وتشتمل على عدة وقفيات .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٢٢	٦٤	دار الوثائق القومية	٢٢ ذو الحجة ٨٠٩هـ	وقف	جركس بن عبدالله القاسمي	١٥٠ فدانا بناحية طموية بالجيزية	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ريع الوقف للحرمين الشريفين	فاقد أجزاء منها وبها تأثير رطوبة
٢٣	٦٦	دار الوثائق القومية	٧ محرم ٨١٢هـ	وقف	السلطان الناصر فرج بن برقوق	أراضي تاج الدول ، وأبي شنيف ، وزنين ، وترسا ، والأخصاص ، والبوهات بالجيزة ، وذات الصفا ، ونقليعه بالفيوم ، وقرية الحرجلة بدمشق	يصرف ثمن ريع الوقف في مصالح الحرمين والمحتاجين بهما ، وثمن ريع الوقف على المنقطعين من الحجاج وبعد انقراض الذرية يؤول النصف والربع الباقي للفقراء بالحرمين	فاقد أولها .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٢٤	٧٦١ ق	وزارة الأوقاف	٢٥ شعبان ٨١٤هـ	وقف	شمس الدين محمد بن أبو الحسن علي خليفة السيد البدوي	جميع أراضي قحافة بالغربية	يصرف سنويا ١٠٠٠ درهم فلوسا لمصالح الحرم المكي، ١٠٠٠ درهم فلوسا لمصالح الحرم المدني	بها ثقوب ورطوبة .
٢٥	٧١	دار الوثائق القومية	٢٧ شوال ٨١٨هـ	وقف	عبداللطيف بن عبدالله الصالحي المنصوري	ثلاثة أماكن بظاهر القاهرة بخط التبانة ، بنائين بظاهر القاهرة بالقرب من حمام البيسري ، دار بخط قنطرة سنقر	يصرف سنويا ١٥٠ درهما نقرة برسم تسبيل ماء بالحرم المكي ، ١٥٠ درهما نقرة برسم تسبيل ماء بالمدينة ، ٢٥٠ درهما فلوسا لقارئ مصحف بالحرم المكي ، ٢٥٠ درهما فلوسا بالحرم النبوي ، ٢٤٠ درهما فلوسا لمصالح بير عجرود ، ٢٠٠ درهما فلوسا لتسبيل ماء زمزم ، ١٢٠٠ درهما فلوسا للخدام البطالين بالمدينة	فاقد أجزاء منها وبها عدة وقفيات .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٢٦	٩٣٨ ق	دار الوثائق القومية	٤ من جمادى الأخرة سنة ٨٢٣ وآخرها في ١٢ من رجب ٨٢٣	وقف	المؤيد شيخ			أولها مفقود ، قام بالاستفادة منها د. عدنان الحارثي في رسالته للدكتوراه بعنوان : عمارة المدرسة بمصر والحجاز في القرن ٩هـ / ١٥م ، دراسة مقارنة ، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ / ١٩٨٩م
٢٧	٨٨٠ ق	وزارة الأوقاف	١٦ جمادى الآخرة ٨٢٧هـ	وقف	السلطان برسباي	أراضي ناحية الحمرا بالأعمال الجيزية ، أراضي ناحية أبو رجوان بالجيزة	يصرف سنويا ثمن ١٠٠ قميص لفقراء الحرمين بالسوية بينهما ، ويصرف لقارئ بالحرم المكي ٢٤ دينارا اشرفيا سنويا ، و٢٤ دينارا أشرفيا سنويا لقارئ بالحرم النبوي ، ويصرف ريع ريع ناحية أبو رجوان على المارستان بمكة وعين بازان	فاقد أجزاء منها وعدد أوراقها مائتان وتسع وعشرون ورقة درسها وحققها د. أحمد الدراج ضمن وثائق تتعلق بعصر السلطان برسباي ، المعهد الفرنسي بالقاهرة ١٩٦٣ن ، واستفاد منها د. عدنان الحارثي في رسالته للدكتوراه بعنوان : عمارة المدرسة بمصر والحجاز في القرن ٩هـ / ١٥م ، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٢٧	١٨٩	وزارة الأوقاف	٢١ محرم ٨٢٩هـ	وقف	الزيني عبدالباسط	قرية الليمون ببعلبك من جبل لبنان	يصرف سنويا ما جملته ١٠٠ مثقال ذهبا للبيمارستان بمكة ، ٣٠ مثقال ذهبا لتسبيل ماء بالحرم المكي	بها ثقوب ورطوبة .
٢٨	٨٢	دار الوثائق القومية	٢٠ جمادى الآخرة ٨٣٣هـ	وقف	السيفي اسنبغا بن عبدالله الطياري	جميع أراضي منية دويب بالشرقية ، ٢٨٧ فدانا بظاهر منية دويب	يصرف سنويا ٢٠٠٠ درهم فلوسا للفقراء بالحرمين بالسوية بينهما	فاقد أولها وأجزاء من أطرافها .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٢٩	٨٩٨ ق	وزارة الأوقاف	٢٦ رجب ٨٣٣هـ	وقف	الأمير أحمد بن السيفي أرغون شاه	١٠٤٠ فدانا من أراضي ناحية كوم أدرنجة من الأعمال البهنساوية	يصرف سنويا ١٠٠٠ درهم فضة مؤيدية وأشرفية لمصالح الحرمين	فاقد أجزاء منها .
٣٠	٨٥	دار الوثائق القومية	٢٣ رمضان ٨٣٤هـ	وقف	الصفوي جوهر الالا	دار بالقاهرة بحارة الجوانية ، بناء مجاور لمدرسته بالقرب من سوق السلاح ، ٢١ فدانا بناحية الجيداني بالجيزة ، نصف أراضي ناحية سلمون بجزيرة بني نصر منوفية	يصرف سنويا من ريع حصتي المعيصرة وسلمون ثمن خمسة قناطير زيت الزيتون للحرم النبوي ، والباقي من ريع الحصتين المذكورتين للخدام البطالين بالحرم النبوي بعد انقراض الموقوف عليهم للحرمين	فاقد أولها وتشمل على عدة وقفيات

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٣١	٩٠	دار الوثائق القومية	٤ ذو الحجة ٨٣٧هـ	وقف	الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة	رباط ملاصق للكعبة عدد ٢٢ مخزنا بحوش مكة ، حصة قدرها النصف في ٢٠ حانوتا يعلوها ٢٠ طباقا ، والدار المعروفة بالخضر بالسوق بمكة	يصرف سنويا ٢٠ دينارا فلوري لشيخ الرباط ، ١٠٠ دينارا فلوري للبواب ، ٨ دينارا فلوري لخادم الربعة ، ٥ دينارا فلوري للسقاء ، ٤ دينارا فلوري للوقاد ، ٦ دينارا فلوري لشاهد الوقف ، ٨ دينارا فلوري لخازن الكتب ، ١ فلوري وثلث لإمام التراويح ، ١ فلوري وثمن للمكبر ، ١ فلوري شمع ، ١ فلوري ثمن حلوى ١٤٠ فلوري لخادم بالحرم ، ١٠ فلوري للناظر	أولها مفقود وبها عدة ثقوب وعدة وقفيات

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٣١م	٥٦٠ جـ	وزارة الأوقاف	٥ رمضان ٨٣٨هـ	وقف	كزل ابنة اسندمر	حصة قدرها النصف في مكان بباب الجامع الطولوني	بعد انقراض الموقوف عليهم كان مصروفا لمصالح الحرمين خارج عماشه المصحف والجزء المعين	بها ذوبان في أطرافها .
٣٢	١٠١	دار الوثائق القومية	٧ محرم ٨٤٦هـ	وقف	الزيني عبداللطيف القجاجقي	٨٤ فدانا بصافور بالشرقية ، ٨ أفدنة بالحرانية جيزة ، دار بظاهر القاهرة بخط بركة الفراين ، اسطبل بخط بركة الفراين ، ٥ أبنية بخط سويقة الفهادة ، بناء بخط حدرة الكماجين ، دار بخط سويقة الفهادة	يصرف سنويا ٢٠٠٠ درهم فلوسا لقارئين تجاه الحجرة النبوية بالحرم النبوي ، ٢٠٠٠ درهم فلوسا لخدام بطالين بالمدينة	فاقد أولها وأجزاء من هامشها ، بها عدة وقفيات

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٣٣	٧٤٩ جـ	وزارة الأوقاف	٢٢ جمادى الآخرة ٨٤٨هـ	وقف	أبو المحاسن يوسف	معصرة سكر ظاهر القاهرة بخط فم الخور ، بساتين بفم الخور ، جنينة بحكر ابن الأثير ، معصرة بقوص ، حصة في أراضي منية نوسا بالدقهلية ، حصة في أراضي صندلا بالغربية ناحية الحوراني بدمياط ، بستان الصيقل بدمياط ، حصة في أبنية بدمياط	يصرف سنويا لقارئ مصحف بمكة ١٢ دينارا شرفية ولقارئ مصحف بالمدينة ١٢ دينارا أشرفية	فاقد أخر جهجزاء منها وبها ثقوب
٣٤	١٠٥	دار الوثائق القومية	٢ ذي القعدة ٨٤٩هـ	وقف	الجمالي أبو المحاسن يوسف ناظر الخواص الشريفة	خانقاه بالقاهرة ، مسجد وخان سبيل وحوض وبير بالرحمانية بالبحيرة ، دكان بخط فم الخور (صهريج وسبيل وحوض وحانوت وطباق أربعة) مكان بخط البندقين، مكان بخط سويقه اللبن (حوانيت وطاحون) بناء بباب الشعرية (٤ حوانيت وفندق وثلاثة مخازن وثلاثة طباق) ٣٠ فدانا بطهرس بالجيزة أرض بابي صبر ، أرض بناحية قرقشنده ، حصة في ناحية منيل بدر سلسبيل بالدقهلية حصة في ناحية منية بجاية بالدقهلية ناحية التركمانية بالبحيرة وناحية كتامة بالعربية ، حصة في شبرا قلوج غربية	يصرف سنويا ٥٠ دينارا لملأ فساني عرفة ، ١٢ دينارا لقارئ مصحف بمكة ، ١٢ دينارا لقارئ بالمدينة ، ثم ٥٠٠ رطل زيت للحرم النبوي ، ٢٤ دينارا لسبيل الينبع ، وثمن تسع عشرة أرداب دشيشة لفقراء الينبع وثمن قنطارين زيت ، ٢٠٠٠٠ درهم لحج فقيرين ، ١٢ دينار لقارئ قرآن بالروضة ، ٢٠ دينار لقارئ حديث بالروضة ، ١٢ دينار للمجز بالروضة ، ٧ دنانير لقناديل بالحجرة النبوية	فاقد أولها وأجزاء من هامشها وتشتمل على عدة وقفيات

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٣٥	١١٤٣ مكرر	وزارة الأوقاف	١٩ من المحرم سنة ٨٥١هـ	وقف	ايتمش بن عبدالله الظاهري			قام بدراستها والاستفادة منها د. عدنان الحارثي في رسالته للدكتوراه بعنوان عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن ٩هـ / ١٥م ، جامعة أم القرى ١٩٩٧م .
٣٥	١٠٦	دار الوثائق القومية	١٦ جمادى الأولى ٨٥٢هـ	وقف	جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الشهابي أحمد بن الناصري محمد	(مفقود أول الوثيقة التي بها الأعيان)	٦٠ درهما نقرة شهريا لمدرس شافعي بالمسجد الحرام بمكة ، ٣٠٠ درهم نقرة سنويا لقارئ حديث البخاري بالحرم ، ١٢٠ درهما نقرة شهريا لاربع قراءة قرآن بالحرم ، ٣٠٠ درهم سنويا لسقا بالحرم المكي ، ونظيرا لمصارف السابقة للحرم النبوي للمدرس الشافعي ، وقارئ البخاري ، والأربع قراءة والسقا	أولها مفقود وآخرها كتبت بعد وفاة الواقف والتاريخ مأخوذ من أحد السجلات بظاهرها

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٣٦	١٠٨ /١٧ ١٠٩ / ١٧	دار الوثائق القومية	١١ من ربيع الأول سنة ٨٥٣هـ و٢٢ من رمضان سنة ٨٥٣هـ	وقف	السلطان أبو سعيد محمد جقمق			قام بدراستها ونشرها جرجس ميخائيل في ملاحق رسالته للماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة برقم ١٠٩ / ١٧ ، ، ١٠٨ / ١٧ في كتاب مجلد من ٧٣ صفحة ، منه نسخة في دار الكتب المصرية قسم المخطوطات
٣٦	١١٧	دار الوثائق القومية	١٦ ربيع أول ٨٦٢هـ	وقف	السيفي تاني بك بن عبدالله الجكمي	ثلاث بيوت بظاهر القاهرة بخط السبع سقايات	يصرف نصف ريع الوقف للفقراء بالحرم النبوي في ثمن قمصان	فاقد أجزاء منها وبها رطوبة .
٣٧	١٢١	دار الوثائق القومية	١٣ جمادى الأولى ٨٦٤هـ	وقف	يشبك بن عبدالله المحمدي الدوادار	حصص في أراضي شيبة شقارة بالشرقية ، وتل أبو روزن ، وطنطا وناحية دمروا محلة سليمان بالغربية ، ١٨ فدانا بدنصوا ، سكن ظاهر القاهرة بخط الصليبية	يصرف سنويا ٣٠٠ درهم فلوسا برسم تسبيل ماء بمكة ، ٥٠ قميصا لفقراء مكة والمدينة بالسوية بينهما ، ٤٠٠٠ درهم لفقراء مكة والمدينة بالسوية بينهما وآل الوقف كله بعد انقراض الموقوف عليهم للحرمين	فاقد أولها وأجزاء من هوامشها .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٣٨	١٨٨	أوقاف	٩ من ربيع الآخر سنة ٨٨٥هـ	وقف	بشبيك بن مهدي الدويدا			نشر ودراسة وتحقيق عبداللطيف ، مجلة الآداب ، الخرطوم ، ١٩٧٤ن
٣٨	١٢٣	دار الوثائق القومية	١٢ جمادى الآخرة ٨٦٤هـ	وقف	عائشة بنت برجك بن عبدالله الأقبغاوي ، وزوجها تاني بك بن عبدالله الإلياسي	أرض حصة خلف بالدقهلية ، ودر بحطهر بالقليوبية ، والطوفلة بالزيتون الغربية	يصرف سنويا ٢٤٠٠ درهم فلوسا لقارئ قرآن بالحرم النبوي	فاقد أولها وجزء من هامشها الأيمن
٣٩	٧٧٧	وزارة الأوقاف	٢٢ جمادى الآخرة ٨٦٤هـ	وقف	السيفيان جانم وقانصوه		إن تعذر الصرف للمصارف المذكورة بالوثيقة يشتري بثمنها قمصان للفقراء بالحرمين	أولها مفقود وبها ثقوب .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٤٠	١٢٤	دار الوثائق القومية	١٥ شوال ٨٦٤هـ	وقف	الست بيرم ابنة السيفي قرقماش بن عبدالله	دار وقاعة ومقعدين وأربع طباق وبناء داخل باب الفتوح بسوق أمير الجيوش	الباقي من ريع الوقف للحرمين بالسوية	أولها مفقود وقطعة من وسطها وبها ثقوب .
٤١	١٢٥ مكرر	دار الوثائق القومية	٢٩ الحجة ٨٦٤هـ	وقف	سودون بن عبدالله	حصة من دار وأرض بالغربية وناحية الوزيرية بالغربية ونواح بالغربية	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف في مصالح الحرمين	بها آثار رطوبة ومتآكلة .
٤٢	١٢٩	دار الوثائق القومية	٢٧ رمضان ٨٦٥هـ	وقف	السيفي دولات باي	دار بالقاهرة	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ريع الوقف للفقراء بالحرمين	فاقد أولها وممزقة
٤٣	١٣٢	دار الوثائق القومية	٨ جماد أول ٨٦٦هـ	وقف	أبو العباس أحمد بن السيفي استبغا الطياري	حصة في ناحية بالغربية	يصرف سنويا ٣٠٠٠ درهم فلوسا برسم قراءة قرآن تجاه الحجر الأسود ، ٣٠٠٠ درهم فلوسا سنويا برسم قراءة قرآن تجاه الحجرة النبوية الشريفة	فاقد أولها وتالفة من الرطوبة .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٤٤	١٣٣	دار الوثائق القومية	٦ شوال ٨٦٦هـ	وقف	المصونة خديجة ابنة أحمد بن ارغون شاه	ثلاث قطع أرض بالمطرية من ضواحي القاهرة	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ريع الوقف للحرمين	ممزقة وأطرافها ذائبة .
٤٥	٦٢ جـ	وزارة الأوقاف	٢٤ جمادى الآخرة ٨٦٧هـ	وقف	السيفي جرباس بن عبدالله اللاح دار	مكان بظاهر القاهرة بخط سوق الغنم	الفاضل من ريع الوقف لفقراء الحرمين	أولها مفقود وبها ثقوب .
٤٦	١٣٧	دار الوثائق القومية	١٥ ذو الحجة ٨٦٧هـ	وقف	الشرفي يونس	بناء بالقاهرة	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ريع الوقف للحرمين	فاقد أولها وناقصة .
٤٧	١٣٨	دار الوثائق القومية	أول محرم ٨٦٨هـ	وقف	أركماس بن عبدالله بن ططخ	غير معلومة لقطع الوثيقة	الفاضل من ريع الوقف	فاقد أولها وممزقة ومثقوبة .
٤٨	١٤٠	دار الوثائق القومية	٢٣ ربيع أول ٨٦٨هـ	وقف	المصونة بركة المدعوة آمنة ابنة شرف الدين	طاحون بالقاهرة ، حصة في بناء بالقاهرة بالقرب من البسطيين ، حصة في بناء بالقاهرة بخط سويقة أبي الوفا ، سكن بخط الحطابة ، حصة في شونه بالمقسم ، قاعة قزازة بدرب ابن الشماع بالمقسم	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لمصالح الحرمين	أولها مفقود وبوسطها ثقوب .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٤٩	١٤١	دار الوثائق القومية	١٣ رمضان ٨٦٨هـ	وقف	العلائي علي الشهير بالعمري	حصة في دار بالقاهرة بخط خزانة البنود ، حصة في أراضي ناحية سدلا بالغربية	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ريع الوقف لفقراء الحرمين	أولها مفقود
٥٠	١٤٣	دار الوثائق القومية	٢٤ صفر ٨٦٩هـ	وقف	عمر بن الغرسي خليل بن البدري حسن المشهور والده بالمشطوب	قاعة حرير وثلاثة أبنية بالقاهرة بحارة بهاء الدين قراقوس	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف ريعه على مصالح وفقراء الحرم النبوي	بها ثقوب وتآكل بسيط
٥١	١٤٥	دار الوثائق القومية	٢٠ رجب ٨٦٩هـ	وقف	الخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف أمير المؤمنين والأمير أحمد الشهير بابن الخطابي	حصة في سلايخ أراضي ناحية منية بدر خميس بالدقهلية وحصة في سلايخ الأراضي منية خميس	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف الريع على فقراء الحرمين	أولها مفقود وبها ثقوب وهامشها الأيمن ممزق .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٥٢	٧٦٩ جـ	وزارة الأوقاف	١١ ذو الحجة ٨٦٩هـ ٢٥ صفر ٨٧٤هـ	وقف تعديل شروط الوقف	السيفي قجماس الإسحاقي	جميع أراضي البيرموت بالدقهلية والمرتاحية	نصف ريع الوقف لفقراء الحرم النبوي	بها رطوبة وثقوب
٥٣	١٥٠	دار الوثائق القومية	١٩ القعدة ٨٧٠هـ	وقف	المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان	دار ببولاق ، ثلاثون فدانا بجزيرة محمد بالجيزة ، حصة في أراضي البشطيم بالدقهلية	يصرف سنويا دينارين لقارئ قرآن الحرم النبوي ، ٤٠٠ درهم فلوسا برسم تسبيل ماء بمقام الحنابلة بالحرم المكي ، ٥٠٥ دنانير في ثمن قمصان على الفقراء بالحرمين والقاهرة	فاقد أجزاء منها وهوامشها ممزقة .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٥٤	١٥١	دار الوثائق القومية	١٤ ربيع أول ٨٧١هـ	وقف	موسى بن عيسى بن أحمد بن أمير الغرب البيروتي	حصتان في القريتين المسمتان عين كسور وظردلا من عمل بيروت بالشام	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف للفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين لكل فقير مائة درهم فضة سنويا	بأولها ثقوب
٥٥	١٥٢	دار الوثائق القومية	٢٧ شعبان ٨٧١هـ	وقف	السيفي تغري بردي بن عبدالله الأحمدي	ثلاثة بيوت بظاهر القاهرة بخط اليانسية ، حصة في أراضي شفا وقرون بالغربية ، وحصة في ناحية اشنويه بالغربية	يصرف سنويا ١٥٠٠ درهم فلوسا لقارئ قرآن بالروضة بالحرم النبوي ، ٣٠٠٠ درهم فلوسا لمزملاتي بالحرم النبوي	أولها مفقودة وبها ثقوب
٥٦	١٥٣	دار الوثائق القومية	١٩ ذو الحجة ٨٧١هـ	وقف	السيفي جاني بك بن عبدالله بن محمود شاه أمير دوادار	حصة في أراضي بالمطرية بمسلة فرعون	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف الفاضل من ريع الوقف لمصالح الحرمين الشريفين	بها ثقوب ورطوبة .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٥٧	١٥٤	دار الوثائق القومية	٢٢ ذو الحجة ٨٧١هـ	وقف	شرف الدين يحيى رئيس المجبرين والجراحين بالخدم الشريفة والبيمارستان المنصوري	دار بالقاهرة بخط حارة زويلة بحارة القرايين ، دار بخط حارة أمير جوان ، حصة في دار بحارة زويلة بالقرب من السويقة	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ثلثا ريع الوقف لفقراء الحرمين والثلث الأخير للبيمارستان المنصوري	سليمة إلى حد كبير .
٥٨	١٥٥	دار الوثائق القومية	٨ محرم ٨٧٢هـ	وقف	السيفي طوغان بن عبدالله	اسطبلين بخط التبانة ، حصة في سلايخ أراضي ناحية طما بالقليوبية	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف بعد المصارف المعينة لفقراء الحرمين	بها تمزيق .
٥٩	١٠١٨ ق	وزارة الأوقاف	١٣ شعبان ٨٧٢هـ	وقف	تمر باي بن عبدالله الجهدي	مكان بخط قناطر السباع	يصرف سنويا ٨٥٠٠ درهم في ثمن قمصان وطرح مخيطة بالحرمين منها ٧٥٠٠ درهم ثمن القمصان ، ١٠٠٠ درهم لمفرقها	فاقد أولها وبها رطوبة .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٦٠	١٥٨	دار الوثائق القومية	١٠ ذو الحجة ٨٧٢هـ	وقف	تغري بردي بن عبدالله الزيني الحمدي	مكان بظاهر القاهرة بخط بركة النيل ، بناء بخط سويقة السباعين ، دار بالقاهرة بخط اسطبل الطارمة ، دار بظاهر القاهرة بخط قبو الكرماني، بناء بالخط المذكور	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف الريع بعد المصارف المعينة لفقراء الحرمين	فاقد أولها
٦١	١٥٩	دار الوثائق القومية	٣ جمادى الآخرة ٨٧٣هـ	وقف	الزيني سرور بن عبدالله	مكان بظاهر القاهرة (دار) خارج باب زويلة والقوس، ومكان ملاصق له ، حصة في طباق وحوانيت بنفس الخط	يصرف سنويا لشيخ حقي ١٥٠٠ درهم فلوسا بالحرم المكي ، وما فضل من ريع الوقف يصرف ربعه في مصالح الحرم المكي	بها تآكل وبها ثقوب .
٦٢	١٦٠	دار الوثائق القومية	١٩ رجب ٨٧٣هـ	وقف	شمس الدين محمد بن الشهابي	مكان بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب زويلة بخط القشاشين	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لفقراء الحرمين	أولها مفقود وبها رطوبة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٦٣	١٦٢	دار الوثائق القومية	٢٤ شعبان ٨٧٣هـ	وقف	السيفي تنم جرباس المحمدي الأتابكي الخاصكي	حصة في مكانين متلاصقين مختلطين ببعضهما بظاهر القاهرة بخط جامع ألماس	ما فضل من ريع الوقف يصرف لفقراء الحرمين الشريفين	فاقد أجزاء من آخرها وبها تآكل ورطوبة
٦٤	١٦٤	دار الوثائق القومية	١٢ شوال ٨٧٣هـ	وقف	فاطمة ابنة الناصري محمد	حصة في ثلاثة أبنية بظاهر القاهرة بخط سويقة السباعين	الفاضل من ريع الوقف يصرف في مصالح الحرم الشريف النبوي	أولها ذائب .
٦٥	١٦٥	دار الوثائق القومية	٢٤ ربيع أول ٨٧٤هـ	وقف	فاطمة بنت الشهاب الدين أحمد	حصة قدرها النصف في جنينة بدمياط	الفاضل من ريع الوقف يصرف في مصالح الحرم الشريف النبوي	أولها مفقود وبها ثقوب وذوبان
٦٦	١٧٢	دار الوثائق القومية	١١ ذو القعدة ٨٧٦هـ ٢٩ ربيع الأول ٨٧٢هـ	وقف	السيفي تغري برمش بن عبدالله الشمسي	حصص في أراضي من عمل القدس ، حصة في أراضي قرية منية الطبيل بالدقهلية ، مكان بظاهر القاهرة بخط سويقة منعم، بناء بظاهر القاهرة بخط القناطر السباع	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لفقراء الحرمين	أولها مفقود

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٦٧	١٧٥	دار الوثائق القومية	٨ صفر ٧٨٩هـ	وقف	أبو بكر بن مزهر الأنصاري	حصة في مكان بخط بركة الحاجب بظاهر القاهرة ، دار بالقاهرة ، دار بالقاهرة بحارة أمير جوان ، سكن بالقاهرة بحارة أمير جوان ، حصة في مكانين بالقاهرة بخط الجامع الأزهر (سكن وحوانيت)، حصة في بناء بخط الجامع الأزهر، مائة فدان بناحية جروان بالأعمال المنوفية، ٤٠ فدانا بناحية طنبشا بالغربية، ٢٣ فدانا بمنية الأمراء، حصة في معصرة بجزيرة أروى، بناء ببولاق	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف للفقراء بالحرمين	أولها مفقود وهامشها الأيسر متآكل
٦٨	١٧٦	دار الوثائق القومية	١١ محرم ٨٨٠هـ	وقف	الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين علي الخزعلي	حصة في سلايخ أراضي ناحية منوفية الصافية بالسنهورية من عمل الغربية	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لفقراء الحرمين	بها تآكل ورطوبة .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٦٩	١٨٠	دار الوثائق القومية	١١ جماد آخر ٨٨٠هـ	وقف	علاء الدين علي بن خاص بك	بناء على النيل	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لفقراء الحرمين	بها ذوبان
٧٠	١٨٢	دار الوثائق القومية	٨ شوال ٨٨١هـ	وقف	السيفي جاني بك بن عبدالله الظاهري وزوجته نسطلياس	بناء بظاهر القاهرة بخط الكبسن	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول نصف الريع لفقراء الحرمين	فاقد أولها وبها ذوبان
٧١	١٨٣	دار الوثائق القومية	٢ ذو القعدة ٨٨١هـ	وقف	الناصر محمد بن الزيني مسافر بن عبدالله	حصة في سلايخ أراضي منية الرخا بالغربية، بناء بظاهر القاهرة بخط درب النيدي والمجنونة، مناخ بخط الناصرية، مكان بمصر العتيقة، حصة في سلايخ أراضي منية جنيب الشرقية بالغربية	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول الوقف في مصالح الحرمين	فاقد أولها

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٧٢	١٨٤	دار الوثائق القومية	٨ محرم ٨٨٢هـ	وقف	قراجا بن عبدالله الجمال الخاصكي	حصة في أراضي شندويل بالسيوطية، بناء بخط قنطرة الموسكي، مكان داخل باب الخوخة، بناء بالقاهرة بخط درب الكافوري، حصة في ناحية منية يزيد بالشرقية	الفاضل من ريع الوقف يصرف الربع منه لفقراء الحرم المكي، والربع الثاني لفقراء الحرم النبوي والباقي لخيرات	أولها ذائب وممزق .
٧٣	٦٦ جـ	وزارة الأوقاف	٩ ربيع الآخر ٨٨٥هـ	وقف	الأمير يشبك بن مهدي الدوادار	أرض بالأشوشنين، أرض ماكوسة	قال الوقف يصرف ريعه لفقراء الحرم النبوي	فاقد أجزاء من طرفها نشر ودراسة وتحقيق: عبداللطيف إبراهيم ، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، العدد الثاني ، سنة ١٩٧١م
٧٤	٦٨٩ جـ	وزارة الأوقاف	٢٩ محرم ٨٨٦هـ	وقف	السيفي قجماس الإسحاقي		يصرف سنويا ١٠٠٠٠ درهم فلوسا لفقراء الحرمين الشريفين	بها ثقوب في وسطها ورطوبة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٧٥	١٨٩	دار الوثائق القومية	٩ جماد أول ٨٨٦هـ	وقف	زين الدين عبدالرحمن بن محمد	أربعة أبنية بظاهر القاهرة بخط السبع سقايات، حصة في بناء بالقاهرة بخط الفحامين	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لفقراء الحرمين	أولها مفقود وبها ثقوب .
٧٦	١٩١	دار الوثائق القومية	٢ جماد آخر ٨٨٧هـ	وقف	أبو الرحاب محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالله الصالحي	بناء بمصر القديمة بخط زرينة بشتاك، بناء بظاهر القاهرة بالدرب الأحمر	بعد انقراض الموقوف عليهم ما يفضل من غلة الوقف يصرف لرؤساء المؤذنين بالحرم النبوي	هامشها ذائب وبها ثقوب
٧٧	١٩٢	دار الوثائق القومية	٧ رمضان ٨٨٧هـ	وقف	زينب بوكالة زوجها السيفي جقمق	ـــــ بناء ، ـــــ حصة في بناء ومكانين كائنين بظاهر القاهرة بخط باب الوزير، حصة في أراضي ناحية شبرا بابل بالغربية	يصرف لقارئين أحدهما بمكة والآخر بالمدينة عشرة دنانير سنويا لكل واحد خمسة	أولها مفقود وهوامشها ذائبة
٧٨	١٩٣	دار الوثائق القومية	٢٢ رمضان ٨٨٧هـ	وقف	حليمة (لم يعلم نسبها لقطع في أول الوثيقة)	بناء خارج باب الفتوح بخط زقاق الكحل، مكان بظاهر القاهرة بحدرة الجنينة ظاهر باب الشعرية	الفاضل من ريع الوقف يصرف للحرمين	أولها وأجزاء من طرفها الأيسر مفقودة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٧٩	٨٨٥	وزارة الأوقاف	٢٤ من صفر ٨٨٨	وقف	السلطان قايتباي	حصة في أراهي ناحية شبين الكوم		كتاب متوسط الحجم به مجموعة من الوقفيات أولها ٨٨٨هـ ، وآخرها ٦من ربيع الآخر ٨٩٤هـ ، وقام بنشر الحجة الأخيرة د. حسني نويصر في ملاحق رسالته للدكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٥ بعنوان منشآت السلطان قايتباي الدينة في مدينة القاهرة .
٧٩	٢٠٧	دار الوثائق القومية	٢ رجب ٨٩٥هـ	وقف	الناصري محمد بن محمد الشعير بابن النحي	حصة في أراضي ناحية نواج بالغربية	الفاضل من ريع الوقف يصرف لمصالح الحرم الشريف النبوي	فاقد أولها وهامشها .
٨٠	٢١٢	دار الوثائق القومية	٦ ربيع الآخر ٨٩٥هـ	وقف	السيفي طقطمش	بناء بخط الدرب الأحمر	بعد انقراض الموقوف عليهم والمصارف المعينة يصرف باقي ريع الوقف لمصالح الحرم الشريف النبوي	أولها مفقود ومتآكل .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٨١	٢٧٠	دار الوثائق القومية	٢٠ ذو الحجة ٨٩٧هـ	وقف	المصونة فاطمة المدعوة ستيتة بنت تاج الدين أبو الإخلاص	بناء ببولاق ـــ حصة في بناء ظاهر القاهرة بخط بين السورين	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول الريع لفقراء الحرمين	أولها مفقود .
٨٢	٥٥٩ جـ	وزارة الأوقاف	١٥ جمادى الآخرة ٨٩٨هـ	وقف	السيفي خشكلدي وزوجته زهرا	حصة في أراضي ناحية برشنيس بالمنوفية	نصف الفاضل من ريع الوقف لفقراء الحرمين	بها ثقوب ومتآكل طرفها الأيسر .
٨٣	٢١٣	دار الوثائق القومية	١٤ رمضان ٨٩٨هـ	وقف	القاضي محمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري	عدة أبنية بالقاهرة وبساتين بجزيرة النيل	٣٠٠ درهم سنويا للفقراء الافاقية بالحرمين الشريفين	ذائب أولها وبها تمزيق
٨٤	٢١٦	دار الوثائق القومية	٩ شعبان ٨٩٧هـ	وقف وتعديل شروط الوقف	الزيني فرج بن السيفي بردبك بن عبدالله	ـــ بناء بالقاهرة بخط البيمارستان المنصوري ـــ مكان بالقاهرة بخط باب سر البيمارستان المنصوري	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف الريع لمصالح الحرمين	أولها مفقود

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٨٥	٢٢٢	دار الوثائق القومية	٢ و ١١ جماد الأول ٩٠٣هـ	وقف	الزيني عبداللطيف منصور بدوي الزمام بالآدر الشريفة	ـــ دار بظاهر القاهرة بالقرب من الجامع الصالحي، دار بحكر أقوس مطل على بركة النيل، حصة في قاعة وطبقتين علوها بظاهر القاهرة بخط الهلالية، حصة في أرض وأصول نخل بظاهر منية المكرم بالشرقية، حصة في أراضي ناحية أبقار بالشرقية، عشرة فدادين بأراضي ،احية المطرية، حصة في أراضي ناحية جفنا بالشرقية، حصة في أراضي ناحية الحضوص من ضواحي القاهرة، حصة في أراضي ناحية سرور بالمنوفية	يصرف سنويا ٨٧٥ درهما فضة وزنا لخادم بالحرم النبوي ، والباقي من ريع الوقف يفرق على الأشراف الحسينيين بالمدينة	أولها مفقود وتشتمل على عدة وقفيات وتعديل لشروط الوقف آخرها بتاريخ ١٥ من جمادى الآخرة ٩١٦هـ
٨٦	٢٢٣	دار الوثائق القومية	٢٠ جمادى الآخرة ٩٠٣هـ	وقف	شمس الدين محمد بن نور الدين علي	حصة في مكان (دار) بظاهر القاهرة بخط سويقة أبي الوفا	بعد انقراض الذرية يؤول ريع الوقف لمصالح الحرمين	سليمة نشرها د.محمد محمد أمين في ملاحق فهرس وثائق القاهرة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٨٧	٢٢٤	دار الوثائق القومية	أول شعبان ٩٠٣هـ	وقف	شهاب الدين أبو العباس أحمد البسطامي	مكان (سكن) بظاهر القاهرة بخط الحسينية، مكانين متجاورين بظاهر القاهرة بخط حدرة عكا، بناء بالخط المذكور بالقرب من المكانين المذكورين	إذا تعذر الصرف للمصارف التي عينها الواقف صرف الريع للحرمين	أولها مفقود
٨٨	٧٥٨ جـ	وزارة الأوقاف	٢٣ شعبان ٩٠٣هـ	وقف	الناصري محمد بن خليل بن خاص بك	٣٠ فدانا بالمطرية، دكان بحارة بهاء الدين قراقوش، بناء بالمسطاح ظاهر القاهرة بخط باب الشعرية، دكان بخط درب ابن الخازن، حصة في مكان ببركة جناق، شونتين ببولاق، وكالة وربع ببولاق	يصرف سنويا ٣٠٠ درهم فلوسا لقارئ بالحرم النبوي	فقاد أولها وبها ثقوب
٨٩	٧٨٤ جـ	وزارة الأوقاف	٦ رمضان ٩٠٣هـ	وقف	المقر الأشرفي المؤتمني السابقي		الباقي من ريع الوقف يصرف لفقراء الحرم النبوي في ثمن زاد وأحذية وقمصان	فقاد أجزاء من هامشها
٩٠	٢٢٧	دار الوثائق القومية	١١ شعبان ٩٠٥هـ	وقف	أبو العباس أحمد بن محمود	حصة قدرها النصف في ستين حانوتا ظاهر دمشق بمحلة تحت القلعة	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول نصف ريع الوقف للحرمين والنصف الآخر للبيمارستان النوري	فقاد أولها وبها ذوبان

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٩١	٢٣١	دار الوثائق القومية	٢٥ رمضان ٩٠٦هـ	وقف	الشريف بدر الدين حسن بن أبي عبدالله محمد بن حسن (نقيب الأشراف)	حصته في ناحية مشال بالغربية، حصة في ناحية منية بدر حلاوة بالغربية، حصة في ناحية شبرا خلفون بالمنوفية، حصة في ناحية طوة بني إبراهيم بالأشمونية، ٧٠ فدانا بناحية بانوب بالغربية، دكان ظاهر القاهرة بخط المسجد المعلق	ما فضل من ريع الوقف يصرف لجامع بكتمر ثم للحرمين إذا تعذر الصرف لجامع بكتمر	فقاد أولها وبها ذوبان غير مضر
٩٢	٢٧٧	دار الوثائق القومية	٩ صفر ٩٠٨هـ	وقف	السيفي دولات باي	دكان بالرملية، حصة في منية أبو عبدالله بالدقهلية، حصة في سفط العرفا بالبهانساوية، بيت بظاهر القاهرة بخط زقاق البركة	يصرف سنويا ٤ دنانير ذهبا برسم تسبيل ماء بالحرم المكي، يصرف ١٦ دينارا لأربع قراء قرآن بالحرم المكي، يصرف ٦ دنانير لقارئ قرآن بالحرم النبوي، يصرف ٤ دنانير برسم تسبيل ماء بالحرم النبوي	ذائب أولها وبها تمزيق
٩٣	٢٣٦	دار الوثائق القومية	١، ٢ رجب ٩٠٨هـ	وقف	السيفي طقطباي	مكان بالقاهرة بخط سويقة المسعودي، بناء بخط قناطر السباع، بناء بدرب الشمس، دكان بخط درب الطغالة، دكان بخط التبانة، حصة في أراضي شبين الكوم، ٢٥ فدانا بالمكرية	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول نصف ريع الوقف على مصالح الحرمين	أولها مفقود وبوسطها ثقوب وهي قطع منفصلة

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٩٤	١٠١٩ ق	وزارة الأوقاف	١٠ رمضان ٩٠٨هـ	وقف	قاني باي قرا الرماح أمير آخور كبير		يصرف سنويا ١٦ دينارا لقارئين بالحرمين بالسوية، يصرف ٤ دنانير لقارئ البخاري بالحرم المدني، يصرف ١٥ دينارا لشخصين برسم تسبيل الماء بالحرمين بالسوية	فقاد أولها ، نشرها في ملاحق رسالته للدكتوراه سامي أحمد عبدالحليم بعنوان: آثار الأمير قاني باي قرا الرماح بالقاهرة ، دراسة أثرية مقارنة ، جامعة القاهرة١٩٧٥م
٩٥	٢٣٩	دار الوثائق القومية	١٧ رمضان ٩٠٨هـ	وقف	السيفي بكبردي بن عبدالله بن عبدالكريم	مكانين بظاهر القاهرة بخط الجامع الطولوني	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لفقراء الحرم النبوي	سليمة
٩٦	٢٧٩	دار الوثائق القومية	١٩ صفر ٩٠٩هـ	وقف	الناصر محمد بن السيفي أزبك	مكان بظاهر القاهرة بحارة اليانيسية	الفاضل من ريع الوقف يصرف لفقراء الحرم المدني	ممزقة وبها ثقوب
٩٧	٢٤٢	دار الوثائق القومية	٢٠ شعبان ٩٠٩هـ	وقف	شمس الدين محمد الأحمدي	حصة في أراضي ناحية عدوه سبله بالفيوم حصة في ناحية بطرطارس بالفيوم	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف الريع لزاوية بالفيوم ثم من بعدها في مصالح الحرمين	أولها ممزق ولكن النص سليم

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
٩٨	٢٥٥	دار الوثائق القومية	٢٧ ربيع الأول ٩١٢هـ	وقف	المصونة جان سوار	عقار (لم يعلم مكانه لفقد أول الوثيقة)	يصرف سنويا فلوسا لفقراء مجاورين الحرم النبوي	فقاد أولها بها آثار رطوبة
٩٩	٢٦٢	دار الوثائق القومية	٢٩ رمضان ٩١٢هـ	وقف	السيفي قرقماس بن علي باي	حصة في أراضي ناحية البسراطين بالدقهلية، حصة في أراضي ناحية أم صالح بالغربية	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول ريع الوقف لفقراء الحرمين	أولها ممزق
١٠٠	٢٦٦	دار الوثائق القومية	٢٤ رمضان ٩١٤هـ	وقف	ناصر الدين محمد بن أحمد بن سعيد اليساري الركاب في الخدمة الشريفة	حصة في أراضي أطفيح، حصة في ناحية شبرا أم قمص بالشرقية، حصة بناحية سفط العرفا بالبهانساوية، حصة في ناحية منبال بالبهنساوية	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف الريع على فقراء ألحرمين	فاقد أجزاء منها وفي أولها بياض

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٠١	٢٧١	دار الوثائق القومية	أول محرم ٩١٧هـ	وقف	السيفي طراباي بن عبدالله بن جانم	حصة في أراضي ناحية أبو صير دفدنوا بالفيوم، حصة في سلايخ أراضي منية علي بالدقهلية	بعد انقراض الموقوف عليهم يصرف سنويا ٣٥٠٠ درهم فلوسا لفقراء الحرمين	ذائبة وبها ثقوب
١٠٢	٢٧٢	دار الوثائق القومية	٢٧ محرم ٩١٧هـ	وقف	السيفي طقطباي	جميع البناء القائم على الأرض المحتكرة الكاين داخل درب القطبية (بالقاهرة)	على قراءة المصحف الشريف بالحرم الشريف بمكة وعلى الفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين	فاقد أولها
١٠٣	٢٧٣	دار الوثائق القومية	٣ صفر ٩١٧هـ	وقف	أم الحسن البلقيني	جميع المكان الكامل أرضا وبنا الكاين ظاهر القاهرة المحروسة خارج باب البحر ببولاق	لخادم البيت الشريف ولخدام الحجرة الشريفة النبوية	فاقد أولها وبها ثقوب وتمزيق

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٠٤	٢٧٤	دار الوثائق القومية	٢٦ ربيع الآخر ٧١٧هـ	وقف	الأمير صواب ابن عبدالله	جميع البناء على الأرض المحتكرة دار وأسطبلا بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب زويلة ((ب))القاهرة)	للفقراء البطالين المجاورين بحرم سيدنا رسول الله ...	فاقد أولها
١٠٥	٨٨٢ ق	وزارة الأوقاف	٢٣ شعبان ٩١٩هـ	وقف	طومان باي أمير دوادار كبير	وكان بخط التبانة، بنائين داخل درب ابن البابا أحدهما يطل على بركة النيل، والثاني بحكر الخازن، مكانين بدرب الخازن، حصة في ناحية بساط شار مساح بالدقهلية، حصة في أراضي ناحية ظهر بني محمد بالدقهلية مساحتها ٧٠٠ فدانا، حصة في سلايخ أراضي ناحية القطايع بالشرقية	يصرف سنويا ١٠٧ دينار بمكة كالتالي : ١٢ دينار لقارئ بالحرم ١٠ دنانير لقارئ بالحرم ١٠ دانانير لداعي للواقف ١٠ دنانير لفقير ٣ دنانير لفقير ١٠ دوارق يصرف بالمدينة ٥٢ دينارا ١٠ دنانير لقارئ بالمدينة ١٠ دنانير لقارئ حديث بالمدينة ١٠ دنانير ثمن دوارق بالحرم ٢٢ قراءة ربعه شريعه يصرف سنويا ٦٠ دينارا في كلفة سماط سيدنا إبراهيم	فاقد أولها وبها رطوبة وثقوب ، نشرها عماد بدر الدين أبو غازي في رسالة علمية بعنوان . دراسة وثائقية في أوقاف الأشراف طومان باي ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م .

م	رقم الوثيقة	مكان الحفظ	تاريخ الوثيقة	موضوع التصرف	اسم المتصرف	الأعيان الموقوفة	المصارف المخصصة للحرمين الشريفين	حال الوثيقة
١٠٦	٢٨٣	دار الوثائق القومية	١٢ رمضان ٩٢٠هـ	وقف	ورد خان بنت عبدالله	حصة في أراضي تحسين بالدقهلية	بعد انقراض الموقوف عليهم يؤول الريع للحرمين	بها تمزيق وثقوب (وتعديل في شروط الوقف)
١٠٧	٣٨٣ ق	وزارة الأوقاف	٢٦ من المحرم ٩٠٩هـ	وقف	السلطان الغوري			قام بدراستها وتحقيقها في ملاحق رسالته للدكتوراه عباللطيف إبراهيم بعنوان دراسة تاريخية وأثرية في وثائق من عصر السلطان الغوري ، كما نشرها محمد محمد أمين في فهرس وثائق القاهرة حتى عصر المماليك ، المعهد الفرنسي بالقاهرة ، ١٩٨٠م .

ملحق رقم (٥)

أ - نصوص من الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة

نص من وثيقة
حجة رقم (٨) دار الوثائق القومية

المتصـــرف : فخر الدين يعقوب ابن السلطان أبو بكر بن أيوب[1] .

تاريخ التصرف: ٥ من محرم سنة ٦٦٢هـ .

التصـــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: (طول ٦٤٨ سم × ٣٣سم)

حال الوثيقـــة: فاقد أولها .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع الآدر السفل والعلو المتلاصقات للأرض بمدينة دمشق خارج باب الجامع المعمور القبلى بنواحي الحواصين بمحلة الحويرة البائكية ودرب مغرد ويعرف قديما بابن عنبر
- حصة قدرها ٢٣ سهما من ٢٤ سهما في جميع الضيعة الخراجية التي من جملة الضياع للغوطة من كور غوطة دمشق القبلية وتعرف بالبويضا الجيرية يومئذ وقديما ببويضا الطغتكى
- جميع الحصة ومبلغها ٩ أسهم من ٢٤ سهما في جميع الضيعة المعروف بالقصر المعيني ومن مزارعها مجموعة مزارع وطواحين معاصر قصب سكر وبيادر وبساتين

(بعد انقراض الذرية يصرف ريع الوقف)

- ..... على مصالح الحرم الشريف النبوي المحمدي بمدينة رسول الله ... بيثرب وعلى خدام الضريح النبوي وعلى الأشراف الهاشميين والبكريين المقيمين
- بمدينة رسول الله ...

نص من وثيقة
حجة رقم (٩) دار الوثائق القومية

المتصـــــــرف : بدر بن رزيك[1] .

تاريخ التصرف: ١٧ من محرم سنة ٦٦٥هـ .

التصـــــــرف: (تصادق على استحقاق في وقف) .

شكل الوثيقـــــة: ملف (٢٦٥ سم × ٣٦,٥ سم) .

حال الوثيقـــــة: ذائب أولها وهامشها وفاقد أولها وبها ثقوب .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع الحصة التي مبلغها سهم واحد وخمس سهم من ٢٤ سهما شايعة من جميع البستان المعروف بالعدة الكبرى خارج بابي زويلة والخرق وخط خليج القاهرة والقنطرة المستجدة أمام باب الخرق على يمنة السالك إلى بركة الشقاف وميدان اللوق

(بعد إنقراض الموقوف عليهم)

- ..... فإذا انقرض جميع أهل هذا الوقف رجع منافعه إلى جماعة السادة الأشراف
- الحسينيين المقيمين بمكة شرفها الله تعالى والحسينيين المقيمين بمدينة رسول الله ﷺ

نص من وثيقة

حجة رقم (٢٠) دار الوثائق القومية

(١) سيف الدين بكتمر بن عبد الله الجوكندار أمير خازندار كان أميرا كبيرا ضخما ، أمسكه الملك الناصر محمد بن قلاوون وقتله ا

المتصـــــــرف : سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير خازندار[1] .

تاريخ التصـرف: ١٤ من محرم سنة ٧٠٧هـ .

التصـــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف (٩٠ سم × ٣٠ سم) .

حال الوثيقـــة: فاقد جزء من أولها وطرفها الأيسر ، وهوامشها متآكلة .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع القيسارية المعروفة بجهاركس الكاملة أرضا وبنا سفلا وعلوا باطنا وظاهرا بالقاهرة المحروسة على يمنة السالك من سوق السراجين طالبا إلى السقطيين

(بعد وفاة الواقف وانقراض ذريته)

١٢٢- ..... وقفا على مصالح المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى وعلى الميضأة التي بالقرب من المسجد المذكور

١٢٣- ومرمتها وإصلاحها ومهما فضل من ريع هذا الربع يصرف للمجاورين بالمسجد الحرام المذكور

١٢٤- والفقراء والأرامل والمحتاجين المنقطعين والعاجزين المقيمين بمكة شرفها الله تعالى يصرفه الناظر كيف شاء

١٢٥- والربع الثاني من الثلاثة وعشرين سهما المذكورة وقف على مصالح المسجد الذي بمدينة طيبة على ساكنه

١٢٦- أفضل الصلاة والسلام والرحمة يصرف الناظر في عمارته ومرمته وإصلاحه وما فيه بقاء عينه ومهما

١٢٧- فضل من ريع هذا الربع الثاني يصرف للفقراء والأرامل والمجاورين والمنقطعين والعاجزين بمدينة طيبة

١٢٨- شرفها الله تعالى يصرفه الناظر على هذا الوقف على ما يراه ويؤدي إليه اجتهاده .....

نص من وثيقة
حجة رقم (٤٢) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون[1] .

تاريخ التصـرف: ٢٦ من ربيع ثان سنة ٧٦٢هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (٦٢١ سم × ٣٢ سم) .

حال الوثيقـــة: فاقد جزء من أولها وهامشها ووسطها ومزقة .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع بيت الأرجى العامر الراكب على النهر العاصي وذلك بحماه المحروسة بباطن باب الناعورة بالسوق الأسفل بالقرب من الجامع والبيمارستان النوري ويعرف بطاحون السوق

سطر ٣٠- ..... أنشأ مولانا المقام الأعظم الشريف

٣١- العالي المولوي السلطاني المالكي الملكي الناصري (مكررة في الأصل) الواقف المسمى أعلاه

٣٢- خلد الله مملكته وقفه هذا على حكم الصادر منه

٣٣- خلد الله ملكه في النصف من قرية كرك نوح وغيرها على الحرمين الشريفين والفقراء بهما

.....

٤١- ..... ومن مضمون شروط الواقف

٤٢- الأول أنه يصرف سهم منه نصفين فالنصف منه في مصالح الحرم الشريف المكي

٤٣- من عمارة المسجد الحرام وترميم وفرش ووقود وغير ذلك مما يحتاج إليه من المصالح

٤٤- المذكورة وإلى الفقراء والمساكين من المجاورين بالحرم الشريف المذكور من الذكور

٤٥- والإناث السنيين غير الزيدية والروافض وإلى الفقراء المنقطعين من الحجاج بمكة

٤٦- المشرفة الذين ليس لهم زاد ولا راحلة كل ذلك على ما يراه الناظر ويؤدى إليه

٤٧- اجتهاده خلا الفقراء المنقطعين من الحجاج فإنه يصرف إلى كل منهم ما يحتاج إليه

٤٨- من وصوله إلى وطنه فإن تعذر الصرف إلى شيء مما ذكر فيه صرف ذلك مدة التعذر إلى باقي

٤٩- المصارف فإن تعذر الصرف إلى مجموع المصارف صرف ذلك إلى الفقراء والمساكين

٥٠- المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا على ما يراه الناظر فيه ويؤدى إليه اجتهاده وإن

٥١- عاد إمكان الصرف إلى شيء مما تعذر الصرف فيه عاد الصرف إليه والنصف

٥٢- الثاني يصرف في المدينة الشريفة النبوية على ما شرح أعلاه يجري الحال في ذلك كذلك

نص من وثيقة
حجة رقم (٤٧) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : خوند بركة أم السلطان من شعبان سنة[1] .

تاريخ التصـرف: ٢٥ ذي القعدة سنة ٧٧١هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: (١٦٧٠ سم × ٣٠ سم)

حال الوثيقـــة: ممزق أجزاء من أولها وفاقد بعض أجزاء منها .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع الدار التي بالقاهرة بدرب الأسواني
- جميع البناء بظاهر القاهرة المخروسة في خارج باب زويلة بصليبة الجامع الطولوني داخل الدرب المعروف بحكر سلاش شارع بأول الدرب المذكور وهو على يمنة السالك من الجامع الطولوني طالبا الصليبة الكبرى وقلعة الجبل المخروسة وغير ذلك من الأماكن (اسطبل كبير به قاعات سكنية عديدة)
- جميع المكان الثاني الكامل أرضا وبنا المقابل للمكان المذكور بالزقاق المذكور (اسطبل وسكن)
- جميع القرية المعروفة بمعر طعبل من العربيات من عمل حلب المخروسة

(بعد وفاة الواقفة)

سطر ٨٧ من نهاية الوثيقة : - ثم من بعد وفاتها رزقها الله أطول الأعمار يعود ذلك وقفا

٨٦- على ما يأتي ذكره مبينا وشرحه مفصلا معينا فمن ذلك حصة مبلغها الربع

٨٥- ستة أسهم من الموقوف المعين أعلاه وقفتها الواقفة المذكورة تقبل الله منها وقفا

٨٤- شرعيا على أن الناظر في هذه الحصة المذكورة يستغل ريعها بوجه الاستغلال الشرعي

٨٣- ويصرف من ريعها ما يحتاج إليه لحمل المبلغ المذكور وأجرة متسفر صحبة الركب الشريف

٨٢- في كل سنة إلى حرمي مكة والمدينة شرفهما الله تعالى وعظمهما تسلم لمن يرا الناظر في

٨١- هذا الوقف تسليمه إليه يفرقه على من يذكر فيه والثاني من ريعها يقسم نصفين بالسوية

نص من وثيقة
حجة رقم (٦٤) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : جركس بن عبدالله القاسمي[1] .

تاريخ التصـرف: ٢٢ من ذي الحجة سنة ٨٠٩هـ .

التصـــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (٤٦٢ سم × ٣٤ سم) .

حال الوثيقـــة: فاقد أجزاء من طرفها الأيمن ، وبها تأثير رطوبة .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

– جميع قطع الأرض التي عدتها ستة الكاين ذلك باراضي ناحية طمويه بالأعمال الجيزية مساحتها ماية وخمسين فدانا

(بعد إنقراض الذرية والمصارف المعينة)

– وما فضل بعد ذلك يصرف بتمامه وكماله على مصالح الحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة وحرم المدينة

– الشريفة مدينة يثرب على الحال بها أفضل الصلاة وأزكى السلام بالسوية فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للحرم الآخر فإن تعذر

– الصرف لهما معا والعياذ بالله تعالى صرف ما كان يصرف لهما من ذلك للفقراء

(الوقف الأول مفقود لقطع أول الوثيقة)
(الوقف الثاني)

– جميع الأماكن الثلاثة الكاملة أرضا وبنا بظاهر القاهرة خراج بابي زويلة بخط التبانة

سطر ٧١– ويرتب الناظر أيضا بحرم مكة المشرفة شرفها الله تعالى .....

٧٢– العذب في كل يوم من ماء زمزم وبالحرم المذكور في أيام موسم الحاج خاصة عن الحجاج و .....

٧٣– على عادة أمثاله في مثل ذلك ويصرف له عن ذلك في كل سنة من ريع الوقف المذكور في أجرته وثمن دور (ارق) .....

٧٤– ماية درهم نقرة نصفها خمسون درهما نقرة ويرتب أيضا بحرم النبي ... بمدينة طيبة المشرفة .....

٧٥– العذب بالحرم المذكور أو جوارا للحجاج الزائرين ومن قصد الزيارة من غير الحجاج والمقيمين بالمدينة الشريفة ومن قصد التربة ...

٧٦– في الايام التي عادة الحاج يأتون فيها لزيارة النبي ﷺ ويصرف له في ثمن الماء والدوارق وأجرة تسبيل الماء في

٧٧– كل سنة من ريع الوقف المذكور ماية درهم نقرة نصفها خمسون درهما نقرة

– ... وشرط الواقف أن يصرف من ريع الوقف المذكور أجرة حمل المبلغ إلى الحرمين

– الشريفين المسمى أعلاه برسم سقى الماء ليسلم

(الوقف الثالث)

– جميع البنائين القائمين على الأرض المحتكرة المتجاورين الكاينة ظاهر القاهرة المحروسة بالقرب من حمام البيسرى على يمنة السالك من التبانة طالبا قلعة الجبل (مخازن، اسطبل، حوانيت، طبقات سكنية)

– جميع الدار الكاملة أرضا وبنا وما هو من حقوقها الكاين خارج بابي زويلة والخرق بالقرب من قنطرة سنقر بمكان يعرف بمكسر الحطب قديما

١١٢– ..... ويصرف من ريع الأوقاف المذكورة في كل سنة لرجل من أهل الخير والـــــــدين)

١١٣– حافظا لكتاب الله العزيز ليقرأ في كل يوم بحرم مكة بالمسجد الحرام بعد صلاة الصبح في المصحف الشريف نصف حزب

١١٤– من القرآن العظيم ويدعو عقيب قراءته ويهدى ثواب ذلك للواقف المذكور ولجميع المسلمين ويكون سنبا مبلغا (قدره من)

١١٥– الفلوس الجدد المذكورة مايتا درهم وخمسون درهما أو ما يقوم مقام ذلك من النقود ويرتب أيضا رجلا بالصفة المذ(كورة)

١١٦– سنيا يقرأ في كل يوم بالحرم الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام بالروضة الشريفة نصف حزب من الـــ(ـــقرآن العظيم)

١١٧– بعد صلاة الصبح في المصحف الشريف ويدعو عقيب قراءته ويهدى ثواب ذلك للواقف المذكور ولأخيه الجناب المرحوم الصفوي جو(هر)

١١٨– الالا ولجميع المسلمين ويصرف له من ريع الأوقاف المذكورة في كل سنة مايتا درهما وخمسون درهما من الدراهم الفلوس المذكورة أو ما يقوم مقام ذلك من النقود

.....

١٧٢– ..... ويصرف الناظر من ريع الأوقاف

١٧٣– في كل سنة لمصالح بير عجرود من منازل الحجاز الشريف مايتا درهم وأربعون درهما حسابا عن كل شهر عشرون درهم من الدراهم الفـــ(ـــلوس)

١٧٤– أو ما يقوم مقامها من النقود لينتفع بذلك من عمارة وإجراء ماء إلى الفساقي التي هناك لينتفع الحجاج به في الشرب

١٧٥– ولسقى دوابهم على العادة في مثل ذلك ويصرف الناظر من ريع الأوقاف المذكورة في كل سنة أربعمائة درهم من الدراهم الفلوس المذكورة

١٧٦– أو ما يقوم مقامها من النقود إلى الحرمين الشريفين حرم مكة شرفها الله تعالى وعظمها وزادها شرفا وتكريما وتعظيما (وحرم النبي)

١٧٧– ﷺ بمدينة طيبة المشرفة بالسوية لكل حرم النصف من ذلك يدفع من ذلك إلى رجل من أهل الخير والدين ليد .....

١٧٢– ماء عذب من زمزم أو غيرها من المياه المعتاد الشرب بمكة المشرفة وفي ثمن دوارق وفيما ينتفع به المـــ .....

١٧٣– ذلك في زمن الحاج في الموسم لمن يرد إليه من الحجاج وغيرهم أجمعين لينتفعون به في الشرب خاصة النصف من المبلغ المذكور والنصف

١٧٤– لرجل من أهل الخير والدين بالمدينة المشرفة مدينة طيبة صلى الله على مشرفها وآله وصحبه وسلم تسليما ليفعل فيه كما شرح

١٧٥– لينتفع به الزائرون من الحاج والمقيمون بالرت (ربما بالبيت) خاصة ويصرف الناظر من ريع الأوقاف المذكورة فيه في كل سنة ألف

١٧٦– ومايتا درهم نصفها ستماية إلى الخدام المقيمين بالمدينة المشرفة من الخدام البطالين وغيرهم ليفرق ذلك عليهم بالسوية بر(سم ..)

١٧٧– إليهم مع ما يصرف بسبب تسبيل الماء بالحرمين إلى مكة والمدينة ولقارئ المصحف بهما على ما شرح فيه مع أحد .....

١٧٨– ذلك إليهم والذي لبير عجرود بسبب مصالحها ويصرف للمسفر على ذلك أجرة تسفيره من ريع الأوقاف المذكورة على العادة .....

١٧٩– بحيث يصل ذلك إلى مستحقيه كاملا

نص من وثيقة
حجة رقم (٨٢) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : السيفي اسنبغا بن عبدالله الطياري[1] .

تاريخ التصـرف: ٢٠ من جماد الآخرة ٨٣٣هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (٤٨٠ سم × ٤١ سم) .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها وأجزاء من طرفها .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع أراضي منية دويب من أعمال الشرقية
- جميع القطعة الارض الكاينة بظاهر منية دويب المذكورة ومساحتها مايتا فدان وسبعة وثمانون فدانا

(ما يخص الحرمين)

سطر ٦٤- ويصرف الناظر في كل سنة من السنين المقمرة ما جملته من الفلوس الجدد معاملة مصر يومئذ ألفا درهم أو ما يقوم مقامها من النقود يتصدق بذلك في الحرمين

٦٥- الشريفين حرم مكة والمدينة في كل حرم نصف المبلغ المذكور وهو ألف درهم على ما يراه الناظر في ذلك ويؤدى إليه إجتهاده من تفرقة دراهم أو إطعام

٦٦- طعام أو تسبيل ماء أو كساء عار على ما يراه في ذلك على ما هو أنفع للفقراء

.....

٨٣- ومهما فضل بعد ذلك صرفه الناظر على هذا الوقف فيما يراه من وجوه البر إن شاء تصدق به على فقراء

٨٤- الحرمين الشريفين مكة المشرفة والمدينة المنورة وإن شاء اشترى به برا وفرقه عليهم وإن شاء ثيابا وفرقها عليهم وإن شاء صرف ذلك

٨٥- في تكفين أموات المسلمين الذين لا مال لهم وتجهيزهم

نص من وثيقة
حجة رقم (٨٥) دار الوثائق القومية[١]

المتصـــــــرف : جوهر اللالا[٢] .

تاريخ التصرف: ٢٣ رمضان ٨٣٤هـ .

التصـــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (١٠٥٠ سم × ٣٨ سم) .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها وأجزاء من طرفها الأيمن وعلى هامشها وقف مؤرخ ١٠ جماد الآخره ٨٣٦هـ .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع المكان الكاين ذلك بالقاهرة المحروسة بالقرب من باب النصر داخل حارة الجوانية (دار)
- جميع البناء المجاور لمدرسته
- جميع القطعتي الأرض الطين السواد الكاينتين بناحية الجيداني بالجيزة ومساحتها واحد وعشرون فدانا بالقصبة الحاكمية
- جميع الحصة التي مبلغها النصف اثني عشر سهما من أربعة وعشرين سهما شايعا ذلك في أراضي ناحية سلمون القبلي عمل ابيار بجزيرة بني نصر من أعمال القليوبية

سطر ٨٢- ..... فيصرف من ريع الحصة التي مبلغها الثمن ثلاثة اسهم من أربعة

٨٣- وعشرين سهما من جميع أراضي ناحية المعيصرة المحدودة الموصوفة أعلاه ومن ريع الحصة التي مبلغها الربع ثلاثة أسهم من اثني عشر سهما من

٨٤- ناحية سلمون المحدودة بأعاليه في ثمن حمل زيت من زيت الزيتون زنته خمسة قناطير بالقنطار المصري بالسعر الواقع في كل سنة وفي كلفة

٨٥- حمله وتسفيره ما جرت العادة به في مثل ذلك وتجهيزه صحبة الركب الشريف المسير في كل سنة إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ

٨٦- برسم الوقود بالحرم الشريف النبوي على الحال به أفضل الصلاة والسلام والرحمة يسلم ذلك لشيخ الخدام بالحرم المشار إليه

٨٧- ويؤخذ بذلك رجعة في كل سنة ومهما فضل من ريع الحصتين المذكورتين يجهزه الناظر على هذا الوقف صحبة موثوق به من أهل الخير والدين والأمانة

٨٨- في كل سنة إلى الحرم الشريف المشار إليه يفرق ذلك على الخدام البطالين المجاورين بالحرم المشار إليه يفرقه المجهز ذلك على يده بالحرم

٨٩- المشار إليه بحضرة شيخ الخدام بالحرم المشار إليه في كل سنة بالسوية عليهم ويأخذ بذلك رجعة أيضا فإن عجز ريع

---

(١) وتوجد منها صورة طبق الأصل برقم ٨٦

الحصتين المذكورتين عن

٩٠- المصرف المذكور قدم الزيت المذكور .....

.....

١٦٧- ..... فإن تعذر الصرف والعياذ بالله تعالى إلى الجهات المعينة أعلاه حمل جميع المذكور إلى مكة

١٦٨- المشرفة ومدينة سيدنا رسول الله ... فيفرق على الفقراء أهل الحاجة المقيمين بالحرمين المشار إليهما نصفين بالسوية على

١٦٩- قدر إحتياجهم فإن تعذر الصرف والعياذ بالله تعالى إلى أحد الحرمين المشار إليهما صرف بالحرم الآخر فإن تعذر الصرف والعياذ بالله

١٧٠- تعالى إلى الحرمين المشار إليهما صرف للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا .....

(وقف آخر بالهامش بتاريخ ١٠ من جمادى الآخرة سنة عام ستة وثلاثين وثمانماية من الهجرة)

- جميع المكان المعروف بانشاء الواقف المشار إليه أدام الله تعالى نعمه عليه وعمارته الكاين ذلك بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابي زويلة بخط المصنع (سكن)

- وجميع القطعة الأرض الطين السواد الكاينة بأراضي صهرجت الخمارية بالشرقية مساحتها مايتا فدان بالقصبة الصندفاوية

سطر ١٢ من أسفل الوثيقة : ..... فإن تعذر الصرف إلى المدرسة المذكورة صرف ريع ذلك للحرمين الشريفين مكة المشرفة ومدينة

سطر ١١- طيبة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والرحمة يفرق ذلك على الفقراء والمساكين أهل الحاجة المقيمين بهما نصفين بالسوية فإن تعذر الصرف

سطر ١٠- والعياذ بالله تعالى إلى أحد الحرمين الشريفين صرف لفقراء الحرم الآخر فإن تعذر والعياذ بالله صرف ذلك إلى الحرمين صرف ريع ذلك للفقراء

سطر ٩- والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا

نص من وثيقة
حجة رقم (٦٦) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : السلطان الناصر فرج بن السلطان الظاهر برقوق[1] .

تاريخ التصـرف: ٧ من محرم سنة ٨١٢هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- أراضي ناحية تاج الدولة بأراضي مصر من أعمال الجيزية
- جميع أراضي ناحية أبي شنيف من أعمال الجيزية والتي جملتها ٤٨٢ فدانا وكسور
- جميع أراضي ناحية زينين بالأعمال الجيزية
- جميع أراضي ذات الصفا من أعمال الفيوم
- جميع أراضي ناحية ترسه من الأعمال الجيزية ومساحتها ١٧٨٢ فدانا
- جميع أراضي الأخصاص من الأعمال الجيزية
- جميع القرية المعروفة بقرية الحرجلة من إقليم دمشق المحروسة
- جميع أراضي ناحية قانون ونقليعه بالفيوم
- جميع قطعتي أرض طين سواد بناحية البوهات بالجيزة

(الصرف على مصالح الحرمين الشر يفين)

سطر ٥٠٦- ومهما فضل بعد ذلك يصرف منه الربع ويقسمه نصفين فالنصف من ذلك وهو الثمن من جميع الريع يصرف

٥٠٧- على مصالح الحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها وحرم مدينة سيدنا رسول الله

٥٠٨- ... بالمدينة المشرفة من وقود وعمارة وفرش وغير ذلك بحسب ما تدعو إليه الحاجة ويفرق ما فضل

٥٠٩- بعدما تدعو الحاجة إلى صرفه في المصالح المذكورة أو الجميع إن لم يكن حاجة إلى ذلك على

٥١٠- الفقراء والمساكين والأرامل والايتام المحتاجين المجاورين والمقيمين بالحرمين المذكورين من المسلمين

٥١١- وفي تسبيل الماء وإطعام الجائعين وكسوة العرايا والمقلين وستر عورات الضعفاء والعاجزين

٥١٢- على ما يراه الناظر بما يكون أعظم أجرا وأكثر ثوابا للواقف يفرق ذلك فضة أو فلوسا أو طعاما أو ما يكون

٥١٣- أكثر نفعا للآخذ وأجرا للواقف خلد الله تعالى ملكه وسلطانه كما عم الوجود بفضله وإحسانه

٥١٤- فإن تعذر أن يكون بالحرمين فيكون بأحدهما فإن تعذر ذلك كله صرف في وجوه البر والقربات المطلقة العامة

.....

٥١٩- ..... والنصف الثاني وهو الثمن يجهزه الناظر صحبة الركب الشريف والمحمل

٥٢٠- السلطاني المتوجه إلى الحجاز الشريف كل سنة صحبة من يوثق بدينه وخيره وعفته وأمانته

٥٢١- وكفايته لذلك يصرف ذلك بطول الطريق ذهابا وإيابا على المنقطعين من الحجاج الذين قاربوا

٥٢٢- الإشراف على الهلاك من المسلمين في أجرة حمل وإطعام طعام واسقاء ماء وكلفة بما يكون في ذلك ابقى

٥٢٣- لمهجهم وحفظا لابدانهم وإيصالهم إلى مأمنهم على العادة يصرف ذلك عليهم لمباشرة من يكون

٥٢٤- متصفا بصفات العدالة والخير والعفة والديانة ويصرف لمن يباشر ذلك ممن هو بالصفة

٥٢٥- المشروحة من الجعالة ما يراه الناظر وذلك بمباشرة أمير الحاج واطلاعه على ذلك فإن فضل من

٥٢٦- ذلك شيء فرق بالحرمين المذكورين فإن تعذر صرف ذلك على المنقطعين فرق على الفقراء والمساكين والأيتام

٥٢٧- والضعفاء والعاجزين بالحرمين المذكورين أو بأحدهما فإن تعذر ذلك كله فرق على من ذكر

٥٢٨- عند تعذر الثمن الأول مما شرح بأعاليه فإن تعذر ذلك فللفقراء أينما كانوا وحيثما وجدوا

(بعد انقراض الذرية والعتقاء يصرف ريع الوقف من النصف والربع إلى ....)

٧٠٥- ..... ولم يوجدا كان للفقراء والمساكين والأيتام

٧٠٦- والأرامل والمحتاجين المجاورين بالحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة وحرم سيدنا رسول الله صلى الله

٧٠٧- عليه وسلم وللقاطنين بالحرمين المذكورين فإن تعذر فبأحدهما فإن تعذر فللفقراء والمساكين

٧٠٨- من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا

نص من وثيقة
حجة رقم (٩٠) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : الزيني خشقدم[1] زمام[2] الآدر الشريفة .

تاريخ التصـرف: ٤ من ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (٧٠٧ سم × ٢٩ سم) .

حال الوثيقـــة: أولها مفقود ، وهي قطعتان منفصلتان ، وبها عدة ثقوب وعدة وقفيات آخرها مؤرخ ١١ صفر ٨٣٩هـ .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- رباط مطل على الحرم الشريف والكعبة المعظمة
١٨- [أما] الرباط فانه برسم سكنى الشيخ والصوفية وحاصل الكتب وحوائج وبسط وقناديل وغير ذلك وأما الصهريج وقف
١٩- على الصوفية المقيمين به وأما الميضأة فإنهم ينتفعون بها لإزالة ضررهم دون غيرهم وأما
٢٠- السطح فإنه برسم رقادهم في زمن الصيف وأما الخلوه التي بالدهليز فإنها برسم سكنى البواب على أن سيدنا الشيخ الامام العلامة
٢١- شمس الدين محمد المشار إليه أعلاه أعزه الله وأعلاه يقرر شيخا من أهل العلم والدين وصوفية عشرة غربا(ء)
٢٢- فيجلس أسوة المشايخ بالخوانق والصوفية حوله بعد صلاة العصر ويفرق الخادم الربعة على السادة الصوفية فيقرؤن جزءا
٢٣- من كتاب الله تعالى وهو حزبان ثم بعد القراءة يقرأ ثلاثة من الصوفية صيلت .. سورة الاخلاص والمعوذتين والفاتحة
٢٤- وآخر سورة البقرة ويذكرون الله عقيب ذلك ويصلون على رسول الله ... ثم يبدأ أحدهم بالدعا(ء) فيدعوا
٢٥- مثل ثواب ذلك في صحيفة المقر المشار إليه الواقف المذكور ثم من بعده لأموات المسلمين ثم ينصرفون بعد ذلك على خلاويهم يفعلون
٢٦- ذلك في كل يوم خلا أيام الأعياد وان يقرر للشيخ في نظير معلومه عن كل سنة من الذهب الافلوري أو الأشرفي
٢٧- أو ماهو مقامه من النقود أربعة عشر شخصا ولكل من الصوفية العشرة والبواب سبعة أفلورية أو ما يقوم مقامها من النقود
٢٨- ولخادم الربعة وفراش الرباط والميضأة خمسة افلورية على أنه يتولى كنس الرباط ونفض البسط وكنس الدهاليز
٢٩- والميضأة ويملأ من الصهريج للفقراء ما يحتاجون إليه من شرب وللسقا الذي يحمل الماء للوضوء خمسة افلورية في كل سنة
٣٠- بما فيه من زيادة الموسم للسقا المذكور وأن يقرر للوقاد في كل سنة أربعة افلورية على أن يتولى تعمير القناديل ووقيدها
٣١- وما جرت بها العادة وأن يقرر شاهدا ضابطا لمتحصل الوقف وتحرير ما تقبضه الجباة من السكان بالطباق والمخازن
٣٢- المستجده وغيرها بداخل الحوش وبدار الخضر وما يتحصل من ذلك يجعل في الحاصل في صندوق داخل الرباط ومفاتيح
٣٣- هذا الحاصل مع الشاهد الضابط المذكور على أنه في كل سنة له أربعة افلورية فيصرف المصاريف المعينة فيه على أربابها
٣٤- بمحضر يشهد عليهم فيه بالقبض ثم يشتري ماء للصهريج بقدر الحاجة إليه وزيادة للوقيد بحسب الافتقار إليه ...

.....

٤٣- ..... مستدرك وان
٤٤- يقرر الشيخ الوكيل المذكور شخصا قارئا إماما للصوفية يصلي بهم التراويح في كل سنة ومكبرا ويكون للإمام في كل شهر
٤٥- رمضان افلوري وثلث وللمكبر ثلثا افلوري وثمن شمع نصف افلوري وثمن حلوى ليلة الختم للصوفية افلوري
٤٦- وأن يكترى للصوفية في كل سنة في زمن منى بافلوري ونصف بيتا يسكنون فيه ويشترى حصرا
٤٧- في كل سنة للرباط بافلورين وقرر شخصا حارسا يحرس الرباط في زمن الحج وله افلوري

(١) خشقدم الظاهري برقوق الحضي، تنقل إلى أن صار خازندارا في الأيام الأشرفية ثم استقر زماما إلى أن مات في جماد الأول سنة

(في ظهر الوثيقة)

زيادة الأعيان الموقوفة :

- جميع المخازن الكائنة داخل الحوش الكائن بمكة المشرفة وعددها اثنان وعشرون مخزنا

- ..... الحصة الثانية ومبلغها اثنا عشر سهما من العشرين حانوتا بعمارة الفخر التوريزي .

٢٣- أنشأ المقر الزيني خشقدم المشار إليه وقفه هذا وجعل ربعه مصروفا فيما يعبر فيه

٢٤- وهو أن الناظر فيه والمتولى عليه يؤجر ذلك ما شاء منه لمدة ثلاث سنين كاملات فما دونها بأجرة المثل فما فوقها وأن يبدا من ريع

٢٥- جميع الموقوف أولا وآخرا بعمارة الرباط وما هو متعلق به وعمارة الموقوف جميعه الموصوف المحدود بكتاب الرق وما فيه بقاء عينه

٢٦- ودوام منفعته ولو أنفق في ذلك جميع المتحصل من الأجرة ثم ما فضل بعد ذلك من ريع جميع الموقوف المصوف المحدد

٢٧- فيه يصرف منه لشيخ الرباط شيخ الصوفية في كل سنة ستة أشخاص افلورية ذهبا ليكمل له بذلك في السنة عشرون افلوريا ولكل من

٢٨- الصوفية والبواب وعدلهم أحد عشر نفرا في السنة ثلاثة افلورية ليكمل لكل واحد منهم عشرة أفلورية ذهبا ولخادم الربعة

٢٩- الفراش بالرباط والميضأة ثلاثة افلورية في السنة ليكمل له بما قرر باطنه في السنة ثمانية أشخاص ذهبا افلوريا ولشاهد الوقف

٣٠- ليكمل له في السنة ستة افلورية ويصرف في ثمن ماء عذب بالصهريج والميضأة وزيت الوقود وثمن حلوى عند ختم شهر رمضان

٣١- كل سنة وفي ثمن شمع في شهر رمضان وجامكيه إمام ويبلغ خلف الإمام ما يراه الناظر زيادة على ما قدر لذلك في كتاب الوقف

٣٢- المسطر باطنه ويصرف من ريع جميع ذلك ومن ريع وقفه السابق بالقاهرة المحروسة والرزق بالبلاد المصرية والشامية ما مبلغه من الذهب

٣٣- أربعون افلوريا يشترى الناظر بذلك خادما طواشيا يقرره الناظر أو وكيل عنه للخدمة بالحرم الشريف النبوي على الحال به أفضل

٣٤- الصلاة والسلام والرحمة بعد تنجيز عتقه على جارى عادة أمثاله في ذلك ويصرف له في كل سنة من ريع جميع ذلك ومن ريع

٣٥- وقفه السابق بالقاهرة المحروسة والرزق بالبلاد المصرية والشامية ما مبلغه من الذهب الافلوري أربعون افلوريا على أنه يتعاطى

٣٦- الخدمة بالحرم الشريف المشار إليه فيه على ما جرت العادة به من الخدمة أسوة أمثاله فإذا توفى الخادم فللناظر أن يستبدل خادما

٣٧- من جميع الموقوف المشار إليه فيه ويصرف له المعلوم المشروح أعلاه ويصرف لرجل يجبى ريع الموقوف المذكور بمكة المشرفة

٣٨- خير دين أمين في كل سنة ما يراه الناظر ويؤدى إليه اجتهاده على الوجه الشرعي ويصرف للناظر على ذلك في كل سنة من الذهب

٣٩- الموصوف عشرة افلورية ثم ما فضل بعدما عين صرفه فيه يصرف للفقراء والمساكين أهل السنة والأرامل والأيتام وطلبة العلم

٤٠- العلم الشريف والفقراء الغرباء أهل الحاجة المقيمين بمكة المشرفة حاله الصرف على ما يراه الناظر ويؤدى إليه اجتهاده على الوجه الشرعي

٤١- فإن تعذر الصرف لمن عين له الصرف أولا وآخرا صرف ذلك للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا على ما يراه الناظر

٤٢- ويؤول إليه اجتهاده على الوجه الشرعي فإن عاد امكان الصرف إلى ما تعذر الصرف إليه أولا وآخرا عاد الصرف إليه وقدم على غير

٤٣- يجرى الحال في ذلك كذلك وجودا وعدما أبد الابدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

نص من الوثيقة
حجة رقم (١٠٥) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : الجمالي يوسف[١] ناظر الخواص الشريفة[٢].

تاريخ التصـرف: ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (١٥٧٢ سم × ٢٨ سم) .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها وأجزاء من هامشها ، وهي قطعتان ، وتشتمل على عدة وقفيات في تواريخ مختلفة .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- مدرسة بالقاهرة (خانقاه)
- جميع المسجد المعمور بذكر الله تعالى وجميع خان السبيل وحوض السبيل والبير الماء المعين بناحية الرحمانية بالبحيرة
- جميع المكان المستجد الإنشاء الكامل أرضا وبناءا الكاين ظاهر القاهرة المحروسة خارج باب الخرق بخط فم الخور ملاصقا لمسجد أرض هناك من قبيلة المشتمل على صهريج وسبيل وحوض وحانوت وطباق أربعة
- جميع المكان الكامل أرضا وبنا خلا الاستطراق وسهم واحد من أرض المكان من جملة أربعة وعشرين سهما الكاين ذلك داخل القاهرة المحروسة بخط البندقين بزقاق الكنسية التي هناك
- جميع المكان الكامل أرضا وبنا خلا قطعة الأرض المبنية المشتمل على طاحون وأربعة حوانيت وثلث طباق ظاهر القاهرة خارج باب الفتوح بخط سويقة اللبن المشتمل على حوانيت وطاحون
- جميع البنا ظاهر القاهرة فيما بين باب القنطرة وباب الشعرية المشتمل على أربعة حوانيت وفندق وثلاثة مخازن وثلاث طباق
- قطعة أرض بناحية طهرمس بالجيزية مساحتها ثلاثون فدانا
- قطعة أرض بناحية أبي صير بالبهنساوية
- قطعة أرض بناحية قرقشندة (قلشندة) من أعمال القليوبية
- حصة قدرها نصف عشر وثمن عشر من أراضي ناحية منيل بدر سلسيل بالدقهلية
- حصة قدرها النصف من أراضي ناحية بجاية بالدقهلية
- جميع أراضي ناحية التركمانية بالبحيرة
- جميع أراضي ناحية كتامة بالغربية
- حصة في أراضي شبرا قلوج بالغربية

(وجه الوثيقة)

- ..... أنه شرط أن يصرف
- من ريع الوقف المذكور أعلاه بعد ادخار ما شرط ادخاره في كل سنة من السنين العربية ما جملته من الذهب المعين المصري المختوم الظاهري المتعامل به يومئذ بالديار المصرية حرسها الله تعالى
- خمسون دينارا نصفها خمسة وعشرون دينارا أو ما يقوم مقام ذلك من النقود في ملء الفساقي بعرفه بالماء العذب وغيره في كلفة عوامل وعدة ورجال في اثناء السنة لتكون مملوءة بالمياه عند
- قدوم الحاج للوقف بعرفه يجهز الناظر على الوقف المبلغ المذكور ويرسله صحبة موثوق به ليسلمه لمن يعينه الناظر لمتولى صرف ذلك في المصرف المعين فيه ويكون الإرسال في زمن مع السفر
- وملء الفساقي المذكورة فإن تعذر ملأ الفساقي المذكورة يشتري بذلك ماء وينقل إلى عرفه ويسبل للحجاج يوم الوقوف بها بحيث يعم النفع به

السطور (من الهامش)

سطر ٢٨١- ..... ويصرف ذلك في جامكية
٢٨٢- قارئ مصحف وصحيح البخاري وتبخير الحجرة الشريفة
٢٨٣- وتعمير ثريا بابها وأجرة جمال لحمل المنقطعين
٢٨٤- من الحجاز الشريف والمحتاجين إليه ويصرف

.....

٣٢٧- ..... ويصرف لقارئ
٣٢٨- المصحف الشريف المنسوب لهذا الواقف
٣٢٩- الذي مقره مكة المشرفة في كل سنة اثنا عشر
٣٣٠- دينارا ذهبا ظاهريا ويصرف لقارئ المصحف
٣٣١- المنسوب للواقف المشار إليه أيضا الذي مقره
٣٣٢- بالمدينة الشريفة مدينة طيبة على صاحبها
٣٣٣- أفضل الصلاة والسلام كل سنة اثنا عشر دينارا
٣٣٤- يرسل الناظر معلوم القارئين المذكورين كل سنة
٣٣٥- صحبة الركب الشريف الموسمي على يد موثوق بأمانته
٣٣٦- وملآته ليوصل ذلك لهما على أن يقرأ كل منهما في
٣٣٧- ثواب ذلك للواقف المشار إليه ولوالدته
٣٣٨= ويهدي أيضا من ذلك عشرة أدرار بقدر ط
٣٣٩- وأخيه وأمواتهم وأموات المسلمين ويصرف أيضا
٣٤٠- من ريع جميع الموقوف المشار إليه في ثمن ماء عذب
٣٤١- لملأ الصهريج الكاين بالقاهرة المحروسة بسويقة الصاحب

.....

٣٥٩- ويصرف أيضا من ريع الوقف المذكور في كل سنة
٣٦٠- ثمن أربعمائة قميص خاما ترسل إلى مكة المشرفة
٣٦١- ومدينة طيبة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام
٣٦٢- صحبة الركب الموسمي كل سنة على يد موثوق به بالسوية
٣٦٣- بين الحرمين الشريفين المذكورين لكل حرم مايتا قميص
٣٦٤- وتفرق على فقراءه من المقيمين وغيرهم ويصرف منه أيضا
٣٦٥- ما يحتاج إليه في كلفة حمل ذلك ويصرف أيضا منه
٣٦٦- كل سنة ثمن ألفي راوية من الماء العذب زمن النيل

.....

٣٨٠- ويصرف أيضا في كل سنة ثمن خمس ماية رطل
٣٨١- بالمصرى زينا طيبا من الزيت المذكور يحمل في
٣٨٢- كل سنة إلى الحرم الشريف النبوي يستصبح فيه به
٣٨٣- ويصرف ما يحتاج إليه في كل سنة في ثمن ظروف
٣٨٤- وأجرة حمل ويصرف من مجموع الريع المذكور أعلاه
٣٨٥- في كلفة نقل الماء إلى السبيل الكائن ببندر
٣٨٦- الينبوع المعروف بانشاء مولانا المقر الأشرف
٣٨٧- الجمالي الواقف المشار إليه منه وملو الصهريج ويصرف
٣٨٨- في كل سنة ما يحتاج إليه بالغا ما بلغ بحيث يعم
٣٨٩- النفع بذلك للصادر والوارد ويصرف
٣٩٠- من الريع المذكور جامكية من يتولى تسبيل الماء
٣٩١- من الصهريج المذكور وتنظيفه ومشارفته عند ملئه
٣٩٢- وعمل مصالحه في كل سنة ما جملته من الذهب المصري
٣٩٣- المختوم الظاهري أربعة وعشرون دينارا ومن القمح
٣٩٤- الطيب السالم من عيب مثله ست أرداب بالكيل المصري

٣٩٨- والواردين إلى البندر المذكور ولمن يظهر احتياجه لذلك
٣٩٩- ويصرف أيضا من ذلك ثمن ألف رطل وخمس ماية
٤٠٠- رطل بالمصري بقسماط طيب سالم من عيب مثله
٤٠١- يفرق عليهم أيضا ويصرف أيضا من ريع الموقوف
٤٠٢- المذكور في كل سنة ثمن قنطارين بالقنطار المصري زيت
٤٠٣- طيب مستخرج من الزيتون برسم الاستصباح منه
٤٠٤- في قنديل معلق على الصهريج المذكور في إصلاح
٤٠٥- الدشيشة المذكورة أعلاه ويصرف منه أيضا
٤٠٦- أجرة من يتولى دس القمح فيه وطبخ الدشيشة المذكورة
٤٠٧- وثمن حطب في كل سنة عشرة دنانير ذهبا ظاهريا
٤٠٨- ويصرف منه أيضا ما يحتاج إليه في ثمن ماعون
٤٠٩- وأجرة حمل ذلك إلى البندر المذكور بالغا ما بلغ
٤١٠- ويصرف أيضا من ريع الموقوف المذكور فيه
٤١١- لمصالح السبيل الكاين بمنشأة الخانقاه الناصرية

.....

٤٤٥- ..... ويصرف في كل سنة (عشرون) مشطوبة في الأصل
٤٤٦- من الفلوس الجدد عشرون ألف درهم لرجلين ممن لم يحج حجة الإسلام يستعين بذلك على حجة الإسلام وعمرته في سنة قبض ذلك ويكون الآخذ لذلك ممن يظهر احتياجه إليه
٤٤٧- ويكون حسن السيرة والسريرة من أهل القرآن وطلب العلم الشريف وأرباب البيوت العاجزين عن القيام بتأدية الغرض المذكور ويقدم من يظهر احتياجه لذلك وشوقه إليه
٤٤٨- على غيره لكل رجل عشرة الآف درهم على أن يدعو للواقف المشار إليه فيه ولوالديه بالمغفرة في مواطن الإجابة بتلك الأماكن الشريفة وعند النبي ... ويبلغه
٤٤٩- السلام عن الواقف مادام حيا ومهما تعذر صرفه من الذهب والفلوس المشروط صرفها فيه يصرف من ريع الوقف ما يقوم مقامها من النقود ويصرف أيضا من ريع
٤٥٠- الوقف المذكور فيه من جامكية قارئ يقرأ في مصحف شريف بالروضة الشريفة تجاه قبر النبي ﷺ كل يوم ما تيسر له قراءته من القرآن العظيم ويهدي ثواب ذلك للنبي صلى الله
٤٥١- عليه وسلم ويدعو للواقف والناظر وأموات المسلمين في كل سنة من الذهب الظاهري المتعامل به يومئذ بالديار المصرية اثنا عشر دينارا وهي المشروطة أعلاه ويصرف منه أيضا
٤٥٢- لرجل من أهل الخير والدين له إلمام بقراءة الحديث الشريف النبوي يقرأ في الروضة الشريفة تجاه القبر الشريف كل سنة في شهر من رجب سنة الفرد وشعبان المرك وشهر رمضان
٤٥٣- المعظم صحيح الإمام العالم الحافظ أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله تعالى عنه ويهدى ثواب ذلك في الصحايف الشريفة ويدعو للواقف وللناظر وأموات المسلمين
٤٥٤- في كل سنة من الذهب الظاهري عشرون دينارا ويصرف منه أيضا في كل سنة من الذهب الظاهري الموصوف بأعاليه اثنا عشر دينارا في ثمن عود قاقلي طيب
٤٥٥- يبخر به في الروضة الشريفة والحجرة الشريفة في طول السنة وفي ثمن فحم وجامكية مبخر نقي الأثواب نصف المبلغ المذكور فيه في ثمن العود والفحم والنصف الآخر في
٤٥٦- جامكية المبخر ويصرف منه أيضا في كلفة تعمير ثريا سبعة قناديل بباب الحجرة الشريفة في كل ليلة من ليالي السنة من الذهب الظاهري ستة دنانير لمن يتولى غسل القناديل
٤٥٧- المذكورة وتنظيفها وتعميرها بالماء والزيت والقناديل ووقودها وطفيها على العادة في ذلك ويصرف منه أيضا في ثمن زيت طيب يستصبح به في الثريا
٤٥٨- المذكورة في كل ليلة رطل واحد بالمصري وما يحتاج إليه في ثمن ظروف لحمله وأجرة حمله وغير ذلك مما يحتاج إليه ويصرف من ريع الوقف المذكور أجرة عشرين جملا
٤٥٩- عرابا مرحلة بشقادف حطابي موطاه لحمل المنقطعين العاجزين عن الكرى ومن له احتياج إلى ذلك من عقبة إيلا إلى القاهرة المحروسة ومن ظهر استغناؤه عن ذلك
٤٦٠- استبدل به غيره ممن يظهر احتياجه إلى ذلك ويصرف من ذلك ما يحتاج إليه المنقطعون ومن يظهر حاله واحتياجه بالفقر والمسكنة ما يحتاج إليه يقوم به أوده في
٤٦١- ثمن بقسماط وماء عذب وفي ثمن ناربين للمنقطعين ومن يظهر احتياجه إلى ذلك وكى جامكية من يقوم بذلك يصرف في ذلك كل ما تدعو الحاجة إليه بالغا ما بلغ وما
٤٦٢- فضل بعد صرف المصارف المعينة وبعد ادخار ما عين المقر الأشرف الجمالي المشار إليه ادخاره برسم عمارة الموقوف المنسوب إليه ولمولانا المقام الشريف المشار إليه
٤٦٣- أعلاه خلد الله تعالى ملكه وعمل مصالحه

نص من وثيقة
حجة رقم (١٠٦) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن الشهابي أحمد بن الناصري العثماني[1].

تاريخ التصـرف: ١٠ من ذي القعدة سنة ٨١٥هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها ونهايتها. كتبت بعد وفاة الواقف، والتاريخ مأخوذ من أحد السجلات بظاهرها

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

(مفقود حاليا لفقد أول الوثيقة التي بها الأعيان الموقوفة)

(ما يخص الحرمين)

سطر ٢٧٤- ..... ويصرف من ريع الوقف المذكور

٢٧٥- لرجل من أهل الخير والدين عالم بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه يتصدر بالمسجد الحرام بمكة المكرمة شرفها الله وعظمها

٢٧٦- لاشغال من يأتي إليه ويشتغل عليه بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه في كل يوم من الايام الجارى العادة في الاشتغال بمكة المشرفة

٢٧٧- فيما بين طلوع الشمس إلى آذان الظهر على حسب ما تيسر له في كل شهر ستون درهما من الفضة النقرة معاملة القاهرة المحروسة ويصرف

٢٧٨- المذكور لرجل من أهل الخير والدين عالم بعلم الحديث على أن يقرأ صحيح البخاري حديث النبي ﷺ في الأشهر (الحرم)

٢٧٩- من رجب سنة وشعبان ورمضان في كل سنة بالمسجد الشريف بمكة المكرمة في كل سنة من الدراهم النقرة الفضة ثلاثمائة درهم ويصرف

٢٨٠- لأربعة أنفس من القراء الحافظين لكتاب الله العزيز يرتبهم الناظر بالحرم الشريف المكي على أنهم يقرأون مجتمعين في كل يوم بالمسجد (الحرام ويهدون)

٢٨١- ثواب ذلك للواقف المذكور ولوالديه وذريته ولجميع المسلمين في كل شهر ثلاثون درهما فضة نقرة معاملة القاهرة المحروسة لكل (واحد منهم)

٢٨٢- ليكون لجميعهم في كل شهر مائة وعشرون درهما ويصرف من ريع الوقف المذكور لرجل من أهل الخير والدين يرتبه الناظر

٢٨٣- لسقاية السبيل بالحرم المذكور في عشرة دوارق في كل يوم من أيام السنة من الدراهم النقرة ثلاثماية درهم يرسل

٢٨٤- ذلك الناظر إليهم في كل سنة صحبة أحد ممن يثق بخيره ودينه وأمانته ويصرف الناظر من ريع الوقف المذكور نظير المصارف

٢٨٥- المذكورة بمكة المشرفة لحرم سيدنا رسول الله ﷺ من المتصدر الشافعي وقارئ البخاري وقراء السبع والسقاية بالدوارق

٢٨٦- ويكون المتزل للسقاية بالمدينة النبوية من العين الزرقاء فإن تعذر فمن غيرها من العيون المستعملة المشهورة يرسل ذلك إليهم

٢٨٧- الناظر مع من يوثق بخيره ودينه وأمانته ويحضر قصة بوصول ذلك

(بعد انقراض الموقوف عليهم)

٣٨٧- ..... كان الفاضل من ريع الوقف المذكور .....

٣٨٨- صرف جميع المصارف المعينة أعلاه مصروفا إلى المجاورين بالحرمين الشريفين شرفهما (الله تعالى)

٣٨٩- وعظمهما حرم مكة المشرفة وحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ وفي مصالح (الحرمين)

٣٩٠- المشار إليهما فيه فإن تعذر الصرف إلى أحد الحرمين المذكورين بوجه من وجوه التعذر الشرعية صرف ذلك (إلى الحرم)

٣٩١- الآخر على الحكم المشروح أعلاه فإن تعذر الصرف إلى كليهما والعياذ بالله تعالى صرف ذلك إلى الفقراء والمساكين

٣٩٢- من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا

نص الوثيقة
حجة رقم (١٢٣) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف : عائشة بنت برجك بن عبدالله الأقبغاوى[١] وزوجها تاني بك بن عبدالله الإلياسي[٢] .

تاريخ التصـرف: ١٢ من جمادى الثاني سنة ٨٦٤هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها وجزء من هامشها ، وبها توثيق آخر مؤرخ في ١٣ من جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع أراضي ناحية حصة خلف بالدقهلية
- وحصة قدرها قيراط ونصف في أراضي ناحية در بحطهر من عمل القليوبية
- وحصة قدرها قيراط ونصف في أراضي ناحية الطوفله بالزيتون الغربية

(بعد انقراض العتقاء يصرف للحرمين ما يلي) :

- ..... صرف الناظر المذكور
- ما كان يصرف للعتقاء المذكورة أعلاه لرجل من أهل الخير حافظا لكتاب الله العزيز يكون مقيما بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والرحمة
- والرضوان في كل سنة من الفلوس الجدد المضروبة ألفا درهم وأربعمائة درهم أو ما يقوم مقامها من النقود على أن يقرأ تجاه الحجرة الشريفة النبوية
- في كل يوم نصف حزب من القرآن العظيم في مصحف شريف بعد صلاة الصبح ويختم دعائه بالصلاة على النبي محمد ﷺ وللرضى عن الصحابة أجمعين فإن تعذرت القراءة بعد الصبح قرأ القارئ
- في أي وقت تيسر له قراءته فيه وما فضل بعد ذلك يصرف لجهة الحرمين الشريفين نصفين بالسوية فيصرف من ذلك (لمستقر بالمكان المذكور فيه في كل سنة)
- من الفلوس الجدد المضروبة ثمانماية درهم أو ما يقوم مقامها من النقود وما فضل يصرف للحرمين المشار إليهما أعلاه فيوزع نصف للحرم المكي في (جامكية) المؤذنين
- والفراشين والوقادين ونصف للحرم المدني يصرف للفقراء والمساكين المجاورين بالحرم المدني من الفقهاء وغيرهم كل ذلك حسب ما يراه الناظر ويؤدى
- إليه اجتهاده من الزيادة والنقصان فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للآخر فإن تعذر والعياذ بالله تعالى صرف إلى الفقراء والمساكين
- أينما كانوا وحيث ما وجدوا

نص من وثيقة
حجة رقم (٢٧٤) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف الأمير صواب ابن عبدالله الخوارزمي الزمام المكي الناصري[1] .

تاريخ التصـرف: ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (٢٩٥,٥ سم × ٣٦ سم) .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

– جميع البنا القائم على الأرض المحتكرة دارا واسطبلا بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى زويلة بالقرب من سويقة العزى

(بعد وفاة الواقف)

٣٠– ..... فأما السدس أربعة أسهم من أربعة وعشرين سهما شايعا من

٣١– جميع الدار والاسطبل المذكورين فيه فإن ذلك يكون وقفا مصروفا ريعه لقارئ يقرأ ما تيسر قراءته من

٣٢– القرآن العظيم من صدره في أى وقت تيسر وأي مكان تيسر ويهدى ذلك للواقف المذكور ولجميع المسلمين

٣٣– واما السدس الثانى وهو أربعة أسهم شايعا ذلك فإن ذلك يكون وقفا مصروفا ريعه إلى الأزمة والخدام

٣٤– الفقراء البطالين المجاورين بحرم سيدنا رسول الله ﷺ يرسله الناظر إليهم في كل سنة صحبة الركب

٣٥– الشريف مع من يوثق به ممن يراه أهلا لذلك ليفرق ذلك بينهم على ما يراه ويصرف له أجرة مثله على حمله إن لم يجد

٣٦– متبرعا بذلك .....

(الباقي وهو الثلثان ستة عشر سهما وقفه على بعض الناس وذريتهم وعتقائهم وعند انقراضهم)

٥٥– ..... وقفا مصروفا ريعه على الفقراء الخدام البطالين المجاورين بحرم سيدنا رسول الله

٥٦– ﷺ مضافا إلى ما عين لهم بأعاليه يرسله الناظر إليهم فى كل سنة صحبة الركب الشريف مع من يراه أهلا

٥٧– لذلك ليفرق ذلك عليهم على ما شرح بأعاليه فإن لم يوجد حين ذاك أحد من الخدام المذكورين أو مات الموقوف عليهم

٥٨– أولا فى حياة الواقف عن غير ولد ولا ولد صرف ذلك على الفقراء والمساكين المجاورين بمدينة النبي

٥٩– ﷺ فإن تعذر الصرف إلى هذه الجهات المعينة كلها

نص من وثيقة
حجة رقم (٢٨٣) دار الوثائق القومية

المتصـــــــــرف ورد قان ابنة عبدالله عتيقة السيفي يشبك الدودار[1] .

تاريخ التصـرف: ١٢ من رمضان سنة ٩٢٠هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف . (٤٢٩ سم × ٢٨ سم) .

حال الوثيقـــة: بها تمزيق وثقوب ، وهي قطعة منفصلة (وبها تعديل في شروط الوقف) مؤرخ في ١٤ ذو القعدة ٩٢٦هـ .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

– جميع الحصة التى قدرها حصة كاملة وربع حصة شايعا ذلك فى أراضى ناحية تحسين بالدقهلية

(بعد انقراض الموقوف عليهم)

– ..... صرف ريع ذلك للحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة وحرم المدينة الشريفة على الحال بها أفضل السلام

– فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للآخر فإن تعذرا معا والعياذ بالله تعالى صرف للفقراء والمساكين

ب - نصوص من الوثائق المحفوظة بقسم المحفوظات والوثائق
(الدفتر خانة) بوزارة الأوقاف بالقاهرة

نص من وثيقة
حجة رقم (٧١٣ج) أوقاف

المتصـــــــــرف أحمد بن محمد بن النحاس[1] (أخو زين الدين عبدالرحيم بن النحاس) .

تاريخ التصـرف: ٣ من جمادى الآخرة سنة ٧٨٦هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- غير موجودة نظرا لفقد أول الوثيقة

(أوجه الصرف على الحرمين الشريفين)

- ..... ويصرف
- فى كل سنة فى ثمن شراء ملابس الناظر على هذا الوقف من الخام الأبيض والأزرق ما (مبلغه)
- من النقرة الجيدة ألف درهم واحد نقره يحمل ذلك إلى الحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة
- وحرم مدينة سيدنا رسول الله ﷺ على الحال بها أفضل الصلاة والسلام
- والرحمة يفرق بالحرمين المذكورين بالسوية على فقرائهما المقيمين بهما والوادين اليهما
- والأيتام الذين بهما والأرامل والمنقطعين بهما يجهز الناظر ذلك صحبة من يثق به من المتوجهين
- صحبة الركب الشريف ويصرف الناظر فى كلفة حمل ذلك إلى الحرمين المذكورين فى كل سنة
- خمسين درهما نقرة

نص من وثيقة
حجة رقم (٨٨٠ ق) أوقاف

المتصـــــــــرف : السلطان برسباى[1] .

تاريخ التصـرف: ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: مجلد ٤٢٧ ورقة .

حال الوثيقـــة: جيدة – وهي مجلد ، وعدد أوراقها مائتان وستة وعشرون ورقة ، جامع الأوقاف السلطان برسباي ، منقول من كتب وقفه المؤرخة في تواريخ مختلفة تمت مقابلتها في ٢ صفر ١٠٣٠هـ .

ص ١٧٦
الفصل الثالث فى ذكر المصارف المتعلقة بالحرمين الشريفين زادهما الله تعالى شرفا وتعظيما وتكريما

وهو أن الناظر فى هذا الوقف والمتولى عليه يستغله بوجه الاستغلال الشرعى ويبدأ من ريعه بعمارته ومرمته وما فيه بقاء عينه ودوان منفعته ويصرف ما فيه مصالح النواحى الموقوفة واصلاحها وصلاحها وبما يتعين صرفه شرعا ومهما فضل بعد ذلك يصرف فيما تعين فيه فيصرف من ريع ناحية الحمرا المقدم ذكرها وتحديدها ثمنماية قميص من الخام تحمل فى كل سنة إلى الفقراء المجاورين بالحرم الشريف المكى والفقراء المجاورين بالحرم الشريف النبوى زادهما الله تعالى

ص١٧٧

شرفا ومهابة ماهو لفقراء الحرم الشريف المكى خمسون قميصا من ذلك وما هو لفقراء الحرم الشريف النبوى على الحال به أفضل الصلاة والسلام خمسون قميصا ويصرف للفقير إلى الله تعالى شهاب الدين أحمد بن شمس الدين الخوارزمى الحنفى إمام الحنفية بالحرم الشريف المكى عن قراءته خمسة أحزاب من القرآن العظيم كل يوم بعد كل صلاة من الصلوات المفروضات حزب واحد فى المصحف الشريف بالحرم الشريف المكى المشار إليه ويختم قراءته بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ويهدى ثواب ذلك زيادة فى شرف النبي ﷺ ثم مثل ثوابه فى صحيفة السيدة الجليلة المرحومة خوند انجباى المدفونة بالبقيع الشريف جهو مولانا السلطان الواقف المشار إليه

ص١٧٨

مولانا السلطان الواقف المشار إليه ثم لذريتها ولجميع المسلمين فى كل سنه ما مبلغه من الذهب الأشرفى المصكوك بالصكة الإسلامية ربعة وعشرون دينارا أشرفيا ويصرف لمن يتولى هذه الوظيفة بعده ويقرأ ما عين قراءته على الحكم المعين فيه فى كل سنة نظير المبلغ المذكور ويصرف للفقير إلى الله تعالى الشيخ شرف الدين يحيى بن صالح عن قراءته بالمصحف الشريف بالحرم الشريف النبوى على الحال به أفضل الصلاة والسلام كالقراءة المقررة بالمصحف الشريف بالحرم الشريف المكى على الحكم المفصل فيها ويهدى ثوابه على الحكم المشروح فيها فى كل سنة من الذهب الأشرفية أربعة وعشرون دينارا له ثم لمن يتولى هذه الوظيفة بعده ويقرأ ما شرطت

ص١٧٩

قراءته أعلاه ويصرف لكل من خادمى المصحفين الشريفين المشار اليهما فيه فى كل سنة من الذهب الأشرفى اشخاص وما فضل بعد ذلك من ريع الناحية المذكورة يضاف لريع أوقاف الجامع الأشرفى الكاين برأس الحريرين المقدم ذكره ويصرف فيما يعين فيه فيصرف من ناحية أبو رجوان بالأعمال الجيزية المقدم ذكرها ريع جميع الحصة التى مبلغها الربع ستة أسهم من أربعة وعشرين سهما وهى الحصة الموقوفة منها على ما يعين فيما يذكر فيصرف لثمن ثلاثة اسهم من أربعة وعشرين سهما على مصالح البيمارستان الكاين بمكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما المعروف لواقفه تغمده الله تعالى برحمته ومصالح الصعفاء الذين يترلون من الفقراء المحتاجين على ما يراه الناظر على الموقف المذكور

ص١٨٠

والثمن الثانى على مصالح العين المعروفة بعين نازان (ربما بازان) وإجراء الماء منها إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها على ما يراه الناظر على ذلك ويؤدى اليه اجتهاده فى مثلها

نص من وثيقة
حجة رقم (٨٩٠ ق) أوقاف

المتصـــــــــرف السلطان قايتباي[1] .

تاريخ التصـرف: ١٥ من ذو الحجة سنة ٨٩٥هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف .

حال الوثيقـــة: نشرها د/ حسن نويصر في ملاحق رسالته للدكتوراه .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

الموقوف بناء ظاهر القاهره المحروسة بخط سويقة العزى

(أوجه الصرف على الحرمين الشريفين)
(عند انقضاء الذرية والموقوف عليهم)

- صرف ما كان يصرف لهم فى مصارف وقف مولانا وسيدنا الواقف
- المنوه باسمه الشريف أعلاه نصره الله تعالى وادام علاه المتعلق
- بسماط المدينة الشريفة مدينة طيبه المشرفه على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والدشيشة والبر والقربات بها وما مع ذلك

نص من وثيقة
حجة رقم (١١٤٣ ق) أوقاف

المتصـــــــــرف ايتمش بن عبدالله رأس نوبة الأمراء[١] الملكي الظاهري[٢] .

تاريخ التصـرف: ١٩ من محرم سنة ٨٥١هـ .

التصـــــــــرف: وقف .

شكل الوثيقـــة: ملف .

حال الوثيقـــة: فاقد أولها وممزقة .

المتصرف فيـــه: الأعيان الموقوفة :

- جميع الرزقة المعروفة بنمو وجزيرة الحجر ومغانمه بالبهانساوية
- حصة فى أراضى ناحية شبين الكوم بالغربية
- مكان بالقاهرة خارج بابى زويلة بخط سويقة العزى داخل درب يعرف بالبغاددة (سكن)

(أوجه الصرف على الحرمين الشريفين)

- وما يصرفه الناظر على هذا الوقف والمتولى عليه
- للحرمين الشريفين حرم مكة المشرفة والمدينة الشريفة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية الاكرام
- فى كل سنة من السنين سبعة آلاف درهم ومايتا درهم أو ما يقوم مقامها من النقود ما يصرف لحرم مكة المشرفة
- شرفها الله تعالى وعظمها من النقد ما يعدل ذلك من الفلوس ثلاثه الاف درهم ومايتا درهم على ما فصل فيه
- ما يصرف لقارئ المصحف الشريف بمكة المشرفه من النقد ما يعدل ذلك من الفلوس الجدد معامله تاريخيه بالديار المصرية
- فى كل سنة الف درهم ومايتا درهم أو ما يقوم مقامها من النقود على أن يقرأ فى كل يوم ما تيسر قراءته من القرآن
- العظيم ويهدى ثواب ذلك إلى النبى ﷺ والصحابة والتابعين ثم إلى الواقف المذكور وذريته
- وما يصرف برسم ملو الدوارق بحرم مكة المشرفه فى كل سنة من السنين من النقد ما يعدل ذلك من الفلوس
- الجدد معادله تاريخيه بالديار المصريه الف درهم واحدة ومايتا درهم أو ما يقوم مقامها من النقود وما يصرف
- لمن يتولى ملو الدوارق بالحرم الشريف المكى من النقد ما يعدل ذلك من الفلوس الف درهم ومايتا درهم
- أو ما يقوم مقامها من النقود ويسبل الماء العذب على عامة المسلمين بالحرم الشريف المكى وما يصرف للحرم الشريف
- المدنى على الحال به أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام من النقد ما يعدل ذلك من الفلوس الجدد معامله تاريخه

(١) رأس نوبة الأمراء هو كبير رؤس النواب ويقصد بها رئيس الأمراء أو كبيرهم، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٥٤٧.

- بالديار المصرية ثلاثه الاف درهم وستمائة درهم على ما يفصل فيه ما يصرف لقارئ المصحف الشريف بالحرم الشريف المدنى
- من النقد ما يعدل ذلك من الفلوس الجدد معامله تاريخه بالديار المصرية الف درهم ومايتا درهم أو ما يقوم مقامها من النقود
- على ان يقرأ فى كل يوم ما تيسر قراءته من القرآن العظيم ويهدى ثواب ذلك إلى النبي ﷺ ثم الى
- الصحابة والتابعين ثم إلى الواقف المشار أعلاه ولذريته وجميع المسلمين ويصرف لحامل المصحف الشريف بالمدينة الشريفة
- فى كل سنه من السنين من النقد ما يعدل ذلك من الفلوس الجدد معامله تاريخه بالديار المصرية الف درهم ومايتا درهم
- أو ما يقوم مقامها من النقود ويصرف لخازن المصحف الشريف النبوى فى كل سنه من السنين من النقود ما يعدل
- من الفلوس الجديد والموصوفه أعلاه الف درهم أو ما يقوم مقامها من النقود

وثيقة وقف السلطان قايتباى

نص الوثيقة على باب وكالته بباب النصر بالقاهرة

بسملة ... – أمر بإنشاء هذا السبيل مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين خلد الله ملكه بمحمد وآله وسلم وكان الفراغ من هذا السبيل المبارك السعيد في شهر رمضان المعظم قدره سنة أربع وثمانين وثمان مائة من الهجرة النبوية الحمد لله.

****

بسملة ... أمر بعمارة هذا المكان المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقابنا المقام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره وجعله وقفا مصروفا أجرته على جيران النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة يشترى به قمح وتعمل منه الدشيشة للمجاورين والواردين ابتغاء لوجه الله.

****

بسملة .. وعلى سيدنا محمد وافر الصلوات وأكمل التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين أمر مولانا المقام الشريف الأعظم والخاقان المنيف المعظم والسلطان الأعدل الأفخم الأكرم الملتجئ إلى ظل عرش الله الأورف مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين ناشر ألوية العدل في العالمين خادم حرمي الله ورسوله بلغه الله غاية سوله ونهاية مأموله وأدار بسعوده الأفلاك الدائرة وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة. بإنشاء هذه الوكالة المباركة السعيدة وما بباطنها وظاهرها وأعلاها من المساكن العديدة وقفا شرعيا وحبسا مرعيا صريحا مقصودا به العمل الصالح الذي لا انقطاع له ولا انبثاث كما أشار إليه الحديث في عدم انقطاع الثلاث مصروفا ريعه في أحسن القربات وأولى أنواع البر والمثوبات وهو إطعام الطعام لجيران النبي عليه الصلوة والسلام من الخبز والدشيشة والتوسعة في العيشة القاطنين في ذلك الحرم والواردين إلى ذلك المحل المنيف بحيث لا يصد عنه أحد من الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمنقطعين جاريا ذالك عليهم أبد الآبدين ودهر الداهرين حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الورثين تقبل الله ذلك منه قبولا جميلا وأثابه عليه ثوابا جزيلا بمحمد وآله وصحبه وسلم.

ملحق رقم (٦)

صور من اللوحات الوثائق

أ – دار الوثائق القوميه

ب – وزارة الأوقاف

أ. الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة : حجة وقف رقم (٦٦) دار الوثائق القومية

اسم المتصرف : السلطان الناصر خرج بن السلطان الظاهر برقوت

تاريخ التصرف : ٧ من محرم ٨١٢هـ

أ. الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة : حجة وقف رقم (٢٢٢) دار الوثائق القومية

اسم المتصرف : الزيني عبداللطيف منصور بدوي ، الزمام بالأدر الشريفة

تاريخ التصرف : ١١ من جمادى الأولى ٩٠٣هـ

ب. الوثائق المحفوظة بأرشيف (الدفترخانة) بوزارة الأوقاف

رقم الوثيقة (٧٤٩ ج أوقاف)

اسم المتصرف : أبو المحاسن يوسف

تاريخ التصرف : ٢٢ من جمادى الآخرة ٨٤٨هـ

حالة الوثيقة : فاقد أولها بها عدة وقفيات مؤرخ في ٢٨ من رجب ٨٥٠هـ

صورة من النقش على باب وكالة السلطان قيتباي ،
باب المنصور ، القاهرة ، ماكس فاين ، أدوات للكتابة العربية
المعهد الفرنسي ، القاهرة ، ١٩٠٣م .

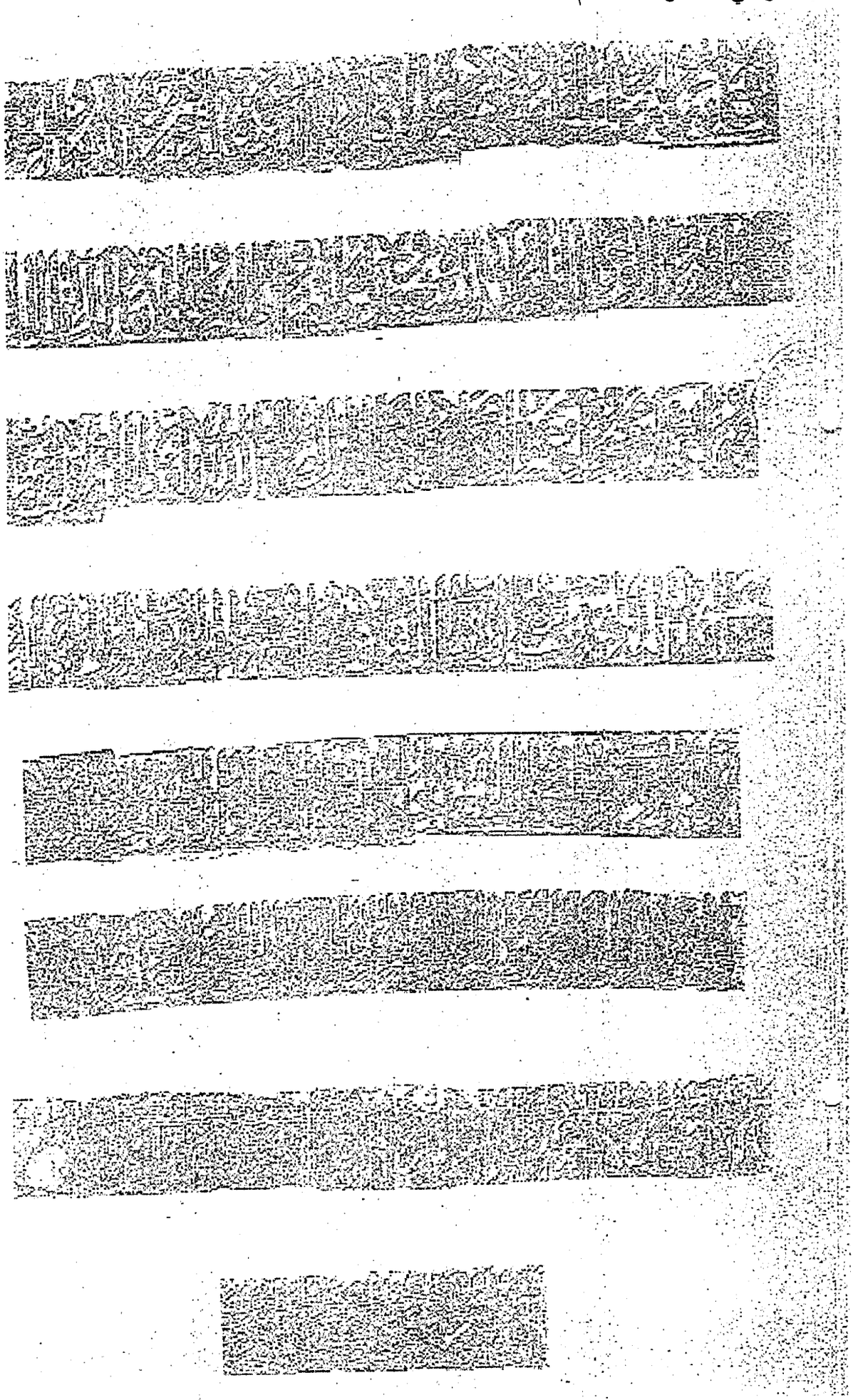

قائمة
المصادر والمراجع

أولا : الوثائق

أ - الوثائق المحفوظة بأرشيف دار الوثائق القومية

م	مكان الحفظ	اسم المتصرف	رقم الوثيقة	رقم المحفظة	تاريخ الوثيقة
١	دار الوثائق القومية	فخر الدين يعقوب ابن السلطان أبو بكر بن أيوب.	٨	٢	٥ محرم ٦٦٢هـ
٢	دار الوثائق القومية	بدر بن رزيك.	٩	٢	١٧ محرم ٦٦٥هـ
٣	دار الوثائق القومية	سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير خازندار	٢٠	٤	١٤ محرم ٧٠٧هـ
٤	دار الوثائق القومية	أردكين ابنة السيفي نوكيه السلاح دار المنصوري.	٢٦	٥	١٨ ربيع الآخر ٧١٧هـ
٥	دار الوثائق القومية	السيفي بهادر السعيدي أمير علم.	٢٩	٥	٢٣ صفر ٧٢٣هـ
٦	دار الوثائق القومية	السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون	٣٠	٥	١٠ جماد الآخرة ٧٢٤هـ
٧	دار الوثائق القومية	الطواشي جمال الدين محسن الإخميمي	٣٣	٥	٢٥ جماد الأولى ٧٤٤هـ
٨	دار الوثائق القومية	الصفوي جوهر.	٣٤	٥	٢٤ شعبان ٧٤٤هـ
٩	دار الوثائق القومية	جمال الدين محسن الإخميمي.	٣٨	٦	٢٩ رجب ٧٦٠هـ
١٠	دار الوثائق القومية	مسرور بن عبدالله الشبلي الجمدار الملكي الناصري.	٣٩	٦	١٤ شوال ٧٦٠هـ
١١	دار الوثائق القومية	السلطان حسن بن محمد قلاوون.	٤٢	٦	٢٦ ربيع الثاني ٧٦٢هـ
١٢	دار الوثائق القومية	الأمير مثقال.	٤٤	٧	٢٩ جمادى الآخرة ٧٦٦هـ
١٣	دار الوثائق القومية	محمد بن نور الدين الجزولي.	٤٥	٧	٣ شوال ٧٦٦هـ
١٤	دار الوثائق القومية	الجمالي عبدالله.	٤٦	٧	١٧ ذو القعدة ٧٦٧هـ
١٥	دار الوثائق القومية	خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان.	٤٧	٧	٢٥ ذو القعدة ٧٧١هـ
١٦	دار الوثائق القومية	السلطان الأشرف شعبان.	٤٩	٨	٣ جماد الآخرة ٧٧٧هـ
١٧	دار الوثائق القومية	شاهين بن عبدالله الحسني.	٦٢	١٠	٢٧ محرم ٨٠٨هـ
١٨	دار الوثائق القومية	جركس بن عبدالله القاسمي.	٦٤	١١	٢٢ ذو الحجة ٨٠٩هـ
١٩	دار الوثائق القومية	السلطان الناصر فرج بن برقوق.	٦٦	١١	٧ محرم ٨١٢هـ
٢٠	دار الوثائق القومية	عبداللطيف الصالحي المنصوري.	٧١	١٢	٢٧ شوال ٨١٨هـ
٢١	دار الوثائق القومية	السيفي اسنبغا الطياري.	٨٢	١٣	٢٠ جماد الآخرة ٨٣٣هـ
٢٢	دار الوثائق القومية	جوهر الالا.	٨٥	١٤	٢٣ رمضان ٨٣٤هـ
٢٣	دار الوثائق القومية	الزيني خشقدم زمام الآدر الشريفة.	٩٠	١٥	٤ ذو الحجة ٨٣٧هـ
٢٤	دار الوثائق القومية	الزيني عبد اللطيف القجاجقي.	١٠١	١٦	٧ محرم ٨٤٦هـ
٢٥	دار الوثائق القومية	الجمالي أبو المحاسن يوسف.	١٠٥	١٦	٢ ذو القعدة ٨٤٩هـ
٢٦	دار الوثائق القومية	جمال الدين أبو المحاسن.	١٠٦	١٧	١٠ ذو القعدة ٨١٥هـ

م	مكان الحفظ	اسم المتصرف	رقم الوثيقة	رقم المحفظة	تاريخ الوثيقة
٢٧	دار الوثائق القومية	السيفي تاني بك الجكمي.	١١٧	١٨	١٦ ربيع الأول ٨٦٢هـ
٢٨	دار الوثائق القومية	يشبك بن عبدالله الدويدار.	١٢١	٢٠	١٣ جمادى الأولى ٨٦٤هـ
٢٩	دار الوثائق القومية	عائشة ابنة برجك.	١٢٣	٢٠	١٢ جمادى الآخرة ٨٦٥هـ
٣٠	دار الوثائق القومية	الست بيرم ابنة السيفي قرقماس.	١٢٤	٢٠	١٥ شوال ٨٦٤هـ
٣١	دار الوثائق القومية	سودون بن عبدالله.	١٢٥ مكرر	٢٠	٢٩ ذو الحجة ٨٦٤هـ
٣٢	دار الوثائق القومية	السيفي دولات باي.	١٢٩	٢٠	٢٧ رمضان ٨٦٥هـ
٣٣	دار الوثائق القومية	أبو العباس الطياري.	١٣٢	٢١	٨ جمادى الأولى ٨٦٦هـ
٣٤	دار الوثائق القومية	خديجة بنت أحمد أرغون شاه.	١٣٣	٢١	٦ شوال ٨٦٦هـ
٣٥	دار الوثائق القومية	الشرفي يونس.	١٣٧	٢١	١٥ ذي الحجة ٨٦٧هـ
٣٦	دار الوثائق القومية	أركماس بن عبدالله.	١٣٨	٢٢	أول محرم ٨٦٨هـ
٣٧	دار الوثائق القومية	المصونة بركة أبنة شرف الدين.	١٤٠	٢٢	٢٣ ربيع الأول ٨٦٨هـ
٣٨	دار الوثائق القومية	العلائي علي الشهير بالعمري.	١٤١	٢٢	١٣ رمضان ٨٦٨هـ
٣٩	دار الوثائق القومية	عمر بن الغرسي خليل المشهور بالمشطوب	١٤٣	٢٢	٢٤ صفر ٨٦٩هـ
٤٠	دار الوثائق القومية	الخليفة المستنجد بالله المظفر والأمير أحمد الشهير بابن الخطابي.	١٤٥	٢٢	٢٠ رجب ٨٦٩هـ
٤١	دار الوثائق القومية	المصونة فاطمة زوجة الزيني شعبان.	١٥٠	٢٣	١٩ ذو القعدة ٨٧٠هـ
٤٢	دار الوثائق القومية	موسى بن عيسى بن أحمد.	١٥١	٢٣	١٤ ربيع الأول ٨٧١هـ
٤٣	دار الوثائق القومية	السيفي تغري بردي بن عبدالله الأحمدي	١٥٢	٢٣	٢٧ شعبان ٨٧١هـ
٤٤	دار الوثائق القومية	السيفي جاني بك.	١٥٣	٢٤	١٩ ذو الحجة ٨٧١هـ
٤٥	دار الوثائق القومية	أبو زكريا يحيى بن عبدالله رئيس المجبرين والجراحين.	١٥٤	٢٤	٢٢ ذو الحجة ٨٧١هـ
٤٦	دار الوثائق القومية	السيفي طوغان بن عبدالله.	١٥٥	٢٤	٨ محرم ٨٧٢هـ
٤٧	دار الوثائق القومية	تغري بردي بن عبدالله الزيني المحمودي	١٥٨	٢٤	١٠ ذو الحجة ٨٧٢هـ
٤٨	دار الوثائق القومية	الزيني سرور بن عبدالله الطواشي.	١٥٩	٢٤	٣ جمادى الآخرة ٨٧٣هـ
٤٩	دار الوثائق القومية	شمس الدين محمد الشهابي.	١٦٠	٢٤	١٠ رجب ٨٧٣هـ
٥٠	دار الوثائق القومية	السيفي تنم جرباس المحمدي الأتابكي.	١٦٢	٢٥	٢٤ شعبان ٨٧٣هـ
٥١	دار الوثائق القومية	فاطمة بنت العليمي سليمان أمير آخور الإسطبلات.	١٦٤	٢٥	١٢ شوال ٨٧٣هـ
٥٢	دار الوثائق القومية	فاطمة بنت شهاب الدين أحمد.	١٦٥	٢٥	٢٤ ربيع الأول ٨٧٤هـ
٥٣	دار الوثائق القومية	السيفي تغري بردي بن عبدالله الشمسي	١٧٢	٢٧	١١ ذو القعدة ٨٧٦هـ
٥٤	دار الوثائق القومية	أبو بكر بن مزهر الأنصاري.	١٧٥	٢٧	٨ صفر ٨٧٩هـ

م	مكان الحفظ	اسم المتصرف	رقم الوثيقة	رقم الحفظة	تاريخ الوثيقة
٥٥	دار الوثائق القومية	الأمير صارم الدين إبراهيم الخزعلي.	١٧٦	٢٧	١١ محرم ٨٨٠هـ
٥٦	دار الوثائق القومية	علاء الدين علي بن خاص بك.	١٨٠	٢٧	١١ جمادى الآخرة ٨٨٠هـ
٥٧	دار الوثائق القومية	السيفي جاني بك الظاهري وزوجته ناطلياس	١٨٢	٢٨	٨ شوال ٨٨١هـ
٥٨	دار الوثائق القومية	الناصري محمد بن الزيني.	١٨٣	٢٨	٢ ذو القعدة ٨٨١هـ
٥٩	دار الوثائق القومية	قراجا بن عبدالله الجمالي الخاصكي.	١٨٤	٢٨	٨ محرم ٨٨٢هـ
٦٠	دار الوثائق القومية	زين الدين عبدالرحمن بن محمد.	١٨٩	٢٨	٩ جمادى الأولى ٨٨٦هـ
٦١	دار الوثائق القومية	أبو الرحاب محمد الصالحي.	١٩١	٢٩	٢ جمادى الآخرة ٨٨٧هـ
٦٢	دار الوثائق القومية	زينب بوكالة زوجها السيفي جقمق.	١٩٢	٢٩	٧ رمضان ٨٨٧هـ
٦٣	دار الوثائق القومية	حليمة.	١٩٣	٢٩	٢٢ رمضان ٨٨٧هـ
٦٤	دار الوثائق القومية	الناصري محمد بن محمد المعروف بابن النحي	٢٠٧	٣٣	٢ رجب ٨٩٥هـ
٦٥	دار الوثائق القومية	السيفي طقشتمر.	٢١٢	٣٣	٦ ربيع الآخر ٨٩٥هـ
٦٦	دار الوثائق القومية	القاضي محمد الخزرجي الأنصاري.	٢١٣	٣٣	١٤ رمضان ٨٩٨هـ
٦٧	دار الوثائق القومية	الزيني فرج بن بردبك.	٢١٦	٣٤	١٨ جمادى الأول ٨٩٩هـ
٦٨	دار الوثائق القومية	الزيني عبداللطيف الزمام.	٢٢٢	٣٥	٢ و١١ جماد الأولى ٩٠٣هـ
٦٩	دار الوثائق القومية	شمس الدين محمد الدهان.	٢٢٣	٣٦	٢ جماد الآخرة ٩٠٣هـ
٧٠	دار الوثائق القومية	شهاب الدين البسطامي.	٢٢٤	٣٦	أول شعبان ٩٠٣هـ
٧١	دار الوثائق القومية	أبو العباس أحمد بن محمود.	٢٢٧	٣٦	١١ شعبان ٩٠٥هـ
٧٢	دار الوثائق القومية	(نقيب الأشراف) الشريف بدر الدين حسن	٢٣١	٣٦	٢٥ رمضان ٩٠٦هـ
٧٣	دار الوثائق القومية	السيفي طقطباي.	٢٣٦	٣٧	١ و٢ رجب ٩٠٨هـ
٧٤	دار الوثائق القومية	السيفي بكبردي.	٢٣٩	٣٩	١٧ رمضان ٩٠٨هـ
٧٥	دار الوثائق القومية	شمس الدين الأحمدي.	٢٤٢	٤٠	٢٠ شعبان ٩٠٩هـ
٧٦	دار الوثائق القومية	المصونة جان سوار.	٢٥٥	٤١	٢٧ ربيع الأول ٩١٢هـ
٧٧	دار الوثائق القومية	السيفي قرقماس بن علي باي.	٢٦٢	٤١	٢٩ رمضان ٩١٢هـ
٧٨	دار الوثائق القومية	ناصر الدين محمد اليساري.	٢٦٦	٤٢	٢٤ رمضان ٩١٤هـ
٧٩	دار الوثائق القومية	المصونة فاطمة المدعوة ستيتة.	٢٧٠	٤٢	٢٠ ذو الحجة ٨٩٧هـ
٨٠	دار الوثائق القومية	طراباي بن عبدالله بن جانم.	٢٧١	٤٢	أول محرم ٩١٧هـ
٨١	دار الوثائق القومية	السيفي طقطباي.	٢٧٢	٤٢	٢٧ محرم ٩١٧هـ
٨٢	دار الوثائق القومية	أم الحسن بنت أبي عبدالله البلقيني.	٢٧٣	٤٢	٣ صفر ٩١٧هـ
٨٣	دار الوثائق القومية	الأمير صواب ابن عبدالله.	٢٧٤	٤٢	٢٦ ربيع الآخر ٧١٧هـ
٨٤	دار الوثائق القومية	السيفي دولات باي.	٢٧٧	٤٣	٩ صفر ٩٠٨هـ
٨٥	دار الوثائق القومية	الناصر محمد بن السيفي أزبك.	٢٧٩	٤٣	١٩ صفر ٩٠٩هـ

٨٦	دار الوثائق القومية	ورد خان بنت عبدالله.	٢٨٣	٤٣	١٢ رمضان ٩٢٠هـ

م	مكان الحفظ	اسم المتصرف	رقم الوثيقة	رقم المحفظة	تاريخ الوثيقة
٨٧	دار الوثائق القومية	عز الدين محمد الزيني.	٢٨٢	٤٣	٢٠ جمادى الأولي ٩٢٠هـ
٨٨	دار الوثائق القومية	السيفي قايتباي بن عبدالله.	٢٨٤	٤٣	٢ صفر ٩٢٢هـ
٨٩	دار الوثائق القومية	السيفي برسباي دمرداش.	٢٨٥	٤٤	١١ ربيع الآخر ٩٢٢هـ
٩٠	دار الوثائق القومية	الجمالي يوسف الزردكاش.	٣١٢	٤٦	١٦ جماد أول ٩٤٩هـ
٩١	دار الوثائق القومية	السيفي بيبرس الخياط.	٣١٣	٤٧	٩١٦هـ
٩٢	دار الوثائق القومية	أبو السعود الجارحي.	٢٩٤	٤٤	٢٢ صفر ٩٢٨هـ

ب - الوثائق المحفوظة بأرشيف (الدفتر خانة) بوزارة الأوقاف

م	مكان الحفظ	اسم المتصرف	رقم الوثيقة	تاريخ الوثيقة
١	وزارة الأوقاف	السلطان فرج بن برقوق.	٦٨ ج	٢٦ ربيع الآخر ٨٠٤هـ
٢	وزارة الأوقاف	الأمير يشبك الدوادار.	٦٦ ج	٩ ربيع الآخر ٨٨٥هـ
٣	وزارة الأوقاف	السيفي جرباش بن عبدالله السلاح دار.	٦٢ ج	٢٤ جمادى الآخر ٧٦٨هـ
٤	وزارة الأوقاف	كزل ابنة اسندمر.	٥٦٠ ج	٥ رمضان ٨٣٨هـ
٥	وزارة الأوقاف	السلطان قايتباي.	٨٩٠ ج	١٥ ذو الحجة ٨٩٥هـ
٦	وزارة الأوقاف	السيفي اينال بن عبدالله السيفي.	٥٩٩ ج	١٥ ربيع الأول ٩١٨هـ
٧	وزارة الأوقاف	يحي بن السيفي طوغان الحسني.	٥٧١ ج	٢٨ شوال ٨٧٠هـ
٨	وزارة الأوقاف	الحاجة سلمى.	٦٠٣ ج	٩ رجب ٧٩٠هـ
٩	وزارة الأوقاف	السنيفي تغري بردي المحمودي.	٦٠٦ ج	١٥ ذو القعدة ٨٢٧هـ
١٠	وزارة الأوقاف	سلما وسليمان ولدي البدري حسن.	٤٩١ ق	١٨ صفر ٩٢١هـ
١١	وزارة الأوقاف	السيفي ايتمش الظاهري.	١١٤٣ق مكرر	٢ رجب ٧٩٠هـ
١٢	وزارة الأوقاف	السلطان برسباي.	٨٨٠ ق	١٦ جمادى الآخرة ٨٢٧هـ
١٣	وزارة الأوقاف	السيفي قجماس الإسحاقي.	٦٨٩ ج	٢٩ محرم ٨٨٦هـ
١٤	وزارة الأوقاف	قاني باي الراماح أمير آخور كبير.	١٠١٩ ق	١٠ رمضان ٩٠٨هـ
١٥	وزارة الأوقاف	السلطان الغوري.	٨٨٢ ق	٢٦ محرم ٩٠٩هـ
١٦	وزارة الأوقاف	المقر الأشرفي المؤتمني السابقي.	٧٨٤ ج	٦ رمضان ٩٠٣هـ
١٧	وزارة الأوقاف	السيفسيان جانم وقانصوه.	٧٧٧ ج	٢٢ جمادى الآخرة ٨٦٤هـ
١٨	وزارة الأوقاف	السيفي قجماس الإسحاقي.	٦٧٠ ج	١٨ جمادى الأول ٨٧٣هـ
١٩	وزارة الأوقاف	السيفي قجماس الإسحاقي.	٦٧٧ج مكرر	١٨ جمادى الأولي ٨٧٣هـ
٢٠	وزارة الأوقاف	السيفي قجماس الإسحاقي.	٦٧٩ ج	١١ ذو الحجة ٨٦٩هـ
٢١	وزارة الأوقاف	قرقجا الحسني أمير آخور كبير.	٧٤٨ ج	أول شعبان ٨٤٥هـ
٢٢	وزارة الأوقاف	الناصري محمد بن خليل بن خاص بك.	٧٥٨ ج	٢٣ شعبان ٩٠٣هـ
٢٣	وزارة الأوقاف	أبو المحاسن يوسف.	٧٤٩ ج	٢٢ جمادى الآخرة ٨٤٨هـ
٢٤	وزارة الأوقاف	قاني بك.	٧١٤ ج	٢٠ جمادى الآخرة ٨٧٤هـ
٢٥	وزارة الأوقاف	أحمد بن محمد النحاس.	٧١٣ ج	٣ جمادى الآخرة ٧٨٦هـ
٢٦	وزارة الأوقاف	سيف الدين قرقجا.	٩٢ ق	أول شعبان ٨٤٥هـ
٢٧	وزارة الأوقاف	خوند شيرين ابنة عبدالله.	٧١ ج	٧ شوال ٨٠٢هـ
٢٨	وزارة الأوقاف	الزيني عبدالباسط.	١٨٩ ج	٢١ محرم ٨٢٩هـ
٢٩	وزارة الأوقاف	السيفي خشكلدي بن عبدالله السيفي.	٥٥٩ ج	١٥ جمادى الآخرة ٨٩٨هـ
٣٠	وزارة الأوقاف	زينب بنت العلاء علي بن الجمال عبدالله.	٥٩٥ ق	٢٨ محرم ٨٧٠هـ
٣١	وزارة الأوقاف	شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبو الحسن علي.	٧٦١ ق	٢٥ شعبان ٨١٤هـ

م	مكان الحفظ	اسم المتصرف	رقم الوثيقة	تاريخ الوثيقة
٣٢	وزارة الأوقاف	الأمير أحمد بن السيفي أرغون شاه.	٨٩٨ ق	٢٦ رجب ٨٣٣هـ
٣٣	وزارة الأوقاف	ايتمش بن عبدالله.	١١٤٣ق مكرر	١٩ محرم ٨٥١هـ
٣٤	وزارة الأوقاف	قانصوه النوري.	٨٨٤ ق	محرم شعبان ٩٠هـ
٣٥	وزارة الأوقاف	طومان باي أمير داودار كبير.	٨٨٢	٢٨ شعبان ٩١٩هـ
٣٦	وزارة الأوقاف	السيفي قجماس الإسحاقي.	٧٦٩ ج	١١ ذو الحجة ٨٦٩هـ
٣٧	وزارة الأوقاف	تمر باي بن عبدالله المحمدي.	١٠١٨ ق	١٣ شعبان ٨٧٢هـ
٣٨	وزارة الأوقاف	زينب بنت العلاء علي الجمالي.	٥٩ ق	٢٨ محرم ٨٧٠هـ
٣٩	وزارة الأوقاف	السيفي طقطباي.	١٠٢٠ ج	٩١٢هـ
٤٠	وزارة الأوقاف	فاطمة بنت عبدالله.	٨٢ ق	٢٩ جمادى الآخر ٩٢١هـ

ج – الوثائق المستخرجة من دور أرشيف القاهرة عصر عثماني، والسجلات والوثائق السلطانية الخاصة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة

م	مكان الحفظ	اسم المادة	رقمها	تاريخها
١	دار الوثائق القومية القاهرة	دفتر إيرادات ومصاريف خزينة عامرة جمعت عن الأوقاف والصرر عن أول توت الواقف	دفتر رقم ٢١٠٦ ٢- ع- ٢٩ن رقم ٥٨٧٨	بدون تاريخ
٢	وزارة الأوقاف القاهرة	أرشيف وزارة الأوقاف حجة تشير إلى بيع حانوتين بخط البندقانيين ويصرف ريعها لوقف الدشيشة	/١٢٣٤ ٢/١٣١٠ ج	في ٢٨ من ذي القعدة عام ١١٨٣هـ
٣	وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة	من سجلات وقف السلطان قايتباي القديمة مجلد كبير لا توجد فيه إلا ثلاث صفحات مكتوبة من دفتر مسقفات السلطان قايتباي		عام ١٣٩٣هـ
٤	وزارة الأوقاف وكالة الوزارة لشؤون الدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة	سجل الكشوفات المستخرجة من سجل الوثائق والأوقاف السلطانية بوزارة الأوقاف دفتر مسقفات السلطان محمد قايتباي	نمرة ٢ صفحة ٣	مؤرخة في ٩ من رجب عام ١٣٤٣هـ
٥	وزارة الأوقاف وكالة الوزارة لشؤون الدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة	ضبط غلال وقف السلطان خشقدم	عدد ٣٤٧ ص ١٦٣	١٢٨٩هـ
٦	دار الوثائق القومية القاهرة	سجلات الروزنامه إرشيف دفتر الميزان وإرادات الكسوة الشريفة من أول توت	٢٣ج ع، ٢٢٠٤ حفظ نوعي ٩٩ عين ٣٠ مخزن تركي ١	١١٨٥هـ/١٧٧١م
٧	وزارة الأوقاف القاهرة	تسليم أمر الحج الشريف الصره من وقف صلاح الدين الأيوبي لخدام الحجرة النبوية الشريفة	/١٤١١/٦١٧ ٢/٤١٨ج	مؤرخة في ٢٦ من شوال سنة ١١٢٨هـ/١٧١٥م

ثانيا: المخطوطات:

١. **أحمد بن هارون، أبوبكر** (ت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)
روضة الأزهار في عجائب الأقطار ألف سنة ٩٢٢هـ، النسخة الكتانية، الرباط، رقم ٢٣٨١.

٢. **ابن أيبك الدوادار، أبو بكر بن عبدالله** (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م).
درر التيجان وغرر تواريخ الزمان، مخطوطة، القاهرة، معهد المخطوطات العربية ٤٤٠٩ تاريخ

٣. **البخاري، محمد عاقل** (ت قبل ٩هـ/١٥م) .
درر السلوك فيمن حكم مصر من النواب والملوك، مخطوطة، دار الكتب القومية، برقم ١١٥٢ تاريخ

٤. **ابن بهادر، محمد بن محمد.** (من علماء الثلث الأخير من القرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي)
فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط، دار الكتب، القاهرة، رقم ٢٣٩٩.

٥. **الحمزي، علي بن الحسين شقدم.**
نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة، مخطوطة مصورة، رقم ٢١١٧ – تاريخ – معهد إحياء المخطوطات العربية. القاهرة.

٦. **الخالدي، بهاء الدين محمد بن لطف الله** (ت قبل ٨٤١هـ/١٤٣٨م)
المقصد الرفيع المنشأ الهادي لصناعة الإنشاء، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية، ١٥٨٧ تاريخ.

٧. **الخالدي، بهاء الدين محمد بن لطف الله** (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٧م).
المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشا، مخطوطة مصورة، القاهرة، جامعة القاهرة، ٢١٨٦ تاريخ.

٨. **السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر** (ت٩١١/١٥٠٥)
الإنصاف في تمييز الأوقاف، مخطوطة بدار الكتب، رقم ٣٢ مجاميع، ٩٢ مجاميع، ميكروفيلم ٥٠٩٩، ٤٥٥٥، وتوجد نسختين بمكتبة الأزهر رقم ١٨٧ مجاميع، ٨٦٠ مجاميع (٤٢١١٣ الجوهري).

٩. **عبد الهادي الطاهره، محمد صالح.**
الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر، مخطوطة، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ٩٥٣، ط ٤ د، تاريخ.

١٠. **العجيمي، حسن بن علي** (ت ١١١٣هـ/١٧٠١م).
تاريخ مكة والمدينة والطائف، مخطوطة مصورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ٨، ٩٥٣ تاريخ.

١١. **أبو العز، عماد الدين إسماعيل** (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك، مخطوطة مصورة، وزارة الأوقاف – القاهرة، الخزانة الذكية ٥٤٧ تاريخ.

١٢. **غازي، عبدالله بن محمد** (ت ١٣٦٥هـ / ١٤١٣م).
إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام، مخطوطة مصورة، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٥١، ٩٥٣ أ ط ز تاريخ.

١٣. **الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد** (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م).
تحصيل المرام من أخبار البلد الحرام، مخطوطة مصورة، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٥١، ٩٥٣، ق م ن تاريخ.

١٤. **ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد** (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م).
الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مخطوطة مصورة، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز، ٧٥ تاريخ.

١٥. **ابن فهد، عبدالعزيز بن نجم الدين عمر** (ت ٩٢٢هـ/١٥١٧م).
بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مخطوطة مصورة، مركز البحث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، تاريخ.

١٦. **مؤلف مجهول.**
الجامع الظريف في حجة المقام الشريف، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٤٥، تاريخ.

١٧. **النابلسي، عبدالغني بن إسماعيل** (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م).
الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، مخطوطة مصورة، عرض أحمد بن عبدالمجيد هريدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانيا: المصادر:

١. **ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد** (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
الكامل في التاريخ، ١٢ جزء + فهارس، بيروت، ١٩٦٥م.

٢. **ابن الإخوة، محمد بن محمد القرشي** (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م).
معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد شعبان، وصديق عيسى، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣. **الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله** (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق ونشر أ. كوربللي وآخرين، نابلي، معهد الدراسات الشرقية، ١٩٦٥م ١٩٧٧م.

٤. **الأدفوي، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب** (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق أسعد محمد حسن، القاهرة، ١٩٦٦م.

٥. **ابن آدم القرشي، يحيى بن آدم بن سليمان الأموي** (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م).
كتاب الخراج، ليدن، ١٨٩٥ ١٨٩٦م.

٦. **الأزرقي، أبو الوليد محمد** (ت ٢٢٣هـ / ٨٣٧م).
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، جزءان، مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ.

٧. **الإسحاقي، محمد بن عبد المعطي** (ت١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م)
أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، القاهرة، المطبعة الميمنية، ١٣١٠هـ.

٨. **الأسدي، محمد بن محمد** (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م)
كتاب التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والنصيحة والتصرف، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٨م.

٩. **الإصطخري، أبو اسحاق** (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م).
المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، طبعة ليدن بريل، ط ٢، تحقيق دي جويه، ١٩٦٧م.

١٠. **ابن اياس، أبو البركات محمد بن أحمد** (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م).
بدائع الزهور في وقائع الدهور، من ج١ ٣ – ع بولاق ١٣١١هـ، جزءان ٤، ٥، ط ٢، نشر محمد مصطفى، القاهرة، الحلبي، ١٩٦٣م.
صفحات لم تنشر من بدائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥١م.

١١. **ابن أيبك الدوادار، أبو بكر بن عبدالله** (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م).
الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، ج ٦، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، ج ٧، تحقيق سعيد عبدالفتاح، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م.
الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية، ج٨، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء التاسع (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٢. **با مخرمة، أبو محمد عبدالله الطيب** (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م).
تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، ط٢، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
قلادة النحر، تحقيق محمد عبدالعال، القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م.

١٣. **البخاري، محمد بن إسماعيل** (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م).
هامش الفتح، ج٥، مطبعة الحلبي، القاهرة.

١٤. **ابن بطوطه، أبو عبدالله محمد** (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م).
تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار صادر، ١٩٦٤م.

١٥. **البلاذري، أحمد بن يحيى** (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).
أنساب الأشراف، ج١، تحقيق محمد حميد الله (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، الجزء الثالث، تحقيق محمد باقر، د.ط، دار التعاون، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٦. **البلوي، خالد بن عيسى**، توفي بعد سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م.
تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، المغرب، صندوق إحياء التراث الإسلامي، (د.ت).

١٧. **بيبرس المنصوري، ركن الدين** (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م).
مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى عام ٧٠٢هـ، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ط١، القاهرة الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
التحفة المملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ط١، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ج٩، تحقيق زبيدة عطا، القاهرة، (د.ت).

١٨. **التجيبي، القاسم بن يوسف السبتي** (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م).
مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبدالحفيظ منصور، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥م.

١٩. **ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف** (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء من ١ ١٢ طبع دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٩م ١٩٥٦م. وأجزاء ١٣ ١٦ (تراثنا) القاهرة، ١٩٧٠م، ج ٦، ٧ نشر Poppet طبع كاليفورنيا، ١٩٠٩م.
منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، طبع كاليفورنيا، نشرها وليام، ١٩٣٠م ١٩٤٢م.
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، جزآن، ج١ تحقيق محمد نجاتي، القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٦م، ج٢ تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د.ت).
الدليل الشافي على المنهل الصافي، جزءان، تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

٢٠. **ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد** (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م).
الرحلة (التذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)، بيروت، ١٩٦٤، طبعة أخرى، القاهرة، دار التحرير، ١٩٦٨م.

٢١. **الجزري، محمد بن محمد** (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م).
التمهيد في علم التجويد، تحقيق غانم قدوري حمد، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧م.

٢٢. **الجزيري، عبدالقادر بن محمد** (ت بعد سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٩م).
درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ، طبعة دار اليمامة، الرياض، تحقيق حمد الجاسر، جزآن، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٣. **سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز اوغلى** (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م).
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: مسفر بن سالم عريج الغامدي، جزآن، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٤. **ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد** (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا وآخرون، ١٨ جزء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٥. **ابن الجيعان، شرف الدين أبو البقاء يحيى علم الدين شاكر**، (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)..
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، نشر مورتيز، طبع بولاق، ١٣٩٦هـ.

٢٦. **ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري** (ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م).
المدخل : مدخل الشرع الشريف على المذاهب، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٢٩م.

٢٧. **حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني** (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٨. **ابن حبيب، الحسن بن عمر** (ت ٧٧٩هـ).
تذكرة النبيه في أيام المنصور وأبيه، تحقيق محمد محمد أمين، سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٩. **ابن حجر، الحافظ شهاب الدين بن العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٦م.
إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبس، ٣ أجزاء، القاهرة، ١٩٦٩م.
رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد، جزآن، القاهرة، ١٩٥٧م.
بلوغ المرام من أدلة الأحكام، نشر مكتبة النهضة، مكة المكرمة، ١٣٧٣هـ.
الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٢٣م.
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣ جزء، القاهرة، ١٣١٩هـ.

٣٠. **الحربي، أبو إسحاق إبراهيم** (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م).
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ.

٣١. **ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد** (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.

٣٢. **الحطاب، أبوعبد الله محمد بن محمد** (٩٠٢هـ/١٤٩٦م).
مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٣٣. **الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت** (٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
معجم البلدان، بيروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٣٤. **الحميري، محمد عبدالمنعم** (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، لبنان، ١٩٧٥م.

٣٥. **الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن العماد** (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٣٦. **ابن حوقل، أبو القاسم** (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٨م).
صورة الأرض، تحقيق ديجويه، ط٢، ليدن برل، ١٩٦٧م.

٣٧. **ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله** (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م).
المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٣٨. **الخزرجي، شمس الدين أبوالحسن** (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م).
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، جزءان، تحقيق محمد بسيوني عسل، القاهرة، ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

٣٩. **ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد** (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥هـ).
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
المقدمة، ط٤، بيروت، دار القلم، ١٩٨١م.

٤٠. **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد** (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، نشر محمد عبد الحميد، ٦ أجزاء، طبع القاهرة، ١٩٤٨م.

٤١. **ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد ايدمر العلائي** (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦هـ).
الانتصار لواسطة عقد الامصار، بولاق، القاهرة، ١٣٠٩هـ.

٤٢. **ابن دقيق العيد، تقي الدين أبوالفتح** (ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م).
إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٤٣. **الديار بكري، حسين بن محمد** (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م).
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، الأجزاء ٢، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر، ١٢٨٣هـ.

٤٤. **ابن الديبع، أبو الضياء عبد الرحمن** (ت ٩٤٣هـ/١٥٣٦م).
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد الأكوع، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

٤٥. **الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان** (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
العبر في خبر من عبر، تحقيق محمد السعيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
سير أعلام النبلاء، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٦م، وطبعة دائرة المطبوعات والنشر، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، الكويت، ١٩٦٠م.
أسماء الذين راموا الخلافة، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتب الجديدة، ١٩٧٨م.
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ج١ ٦، القاهرة، مكتبة المقدسي، ١٣٦٩هـ.
دول الإسلام، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٤هـ ١٣٦٥هـ.

٤٦. **ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر** (ت قبل ٣٥٨هـ / ٩٦٨م).
الأعلاق النفيسة، ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٤٧. **الرشيدي، أحمد** (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م).
حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمرة الحاج، تحقيق ليلى عبداللطيف، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٨. **زاده، طاش كبرى** (٩٨٦هـ/١٥٦٠م)
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٩. **الزبيدي، محمد مرتضى** (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م).
تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.

٥٠. **ابن زبيل، أحمد الرمال** (ت ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م).
آخرة المماليك أو تاريخ السلطان سليم، القاهرة، ١٢٧٨هـ.

٥١. **السبتي، أبو عبدالله محمد** (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م).
ملء الغيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق محمد الحبيب، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٥٢. **السبكي، تاج الدين عبدالوهاب** (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م).
معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد البخاري،ط٢، القاهرة، الخانجي، ١٤١٣هـ.

٥٣. **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن** (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م).
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الناشر أسعد طرابزوني، المدينة المنورة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ١٢ جزء، القاهرة، ١٣٥٥هـ.
التبر المسبوك في ذيل السلوك، بولاق، ١٨٩٦م.

٥٤. **السرخسي، أبوبكر محمد بن أحمد** (ت حوالي ٥٠٠هـ/١١٠٦م)
المبسوط، ٣٠ جزء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٣١هـ.

٥٥. **السلمي، عرام بن الاصبغ** (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م).
أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، تحقيق محمد صالح شناوي، ط١، بيروت، دار

الكتب العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٥٦. **السمهودي، نور الدين علي بن أحمد** (ت ٩١١هـ ١٥٠٥م).
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية.
خلاصة الوفاء في أخبار دار المصطفى، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٥٧. **السنجاري، علي بن تاج الدين** (ت ١١٢٥هـ / ١٧١٣م).
منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق ماجد زكريا، الجزء الثاني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٥٨. **السنوسي، أبو عبد الله محمد** (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
تكميل إكمال الأكمال، ج٤، ط١، ١٣٢٨هـ.

٥٩. **السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر** (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).
تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط١، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.
نظم العقبان في أعيان الأعيان، تحقيق فيليب حتى، بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٢٧م.
تاريخ الخلفاء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م.
ذيل طبقات الحافظ للذهبي، دمشق، مطبعة التوفيق، ١٣٤٧هـ.

٦٠. **الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس** (ت٢٠٤هـ/٨٢٠م).
الأم، ٧ أجزاء، بولاق، ١٣٢١هـ.

٦١. **أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل** (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٨م)
الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة، ١٨٧٠م.
ذيل الروضتين، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤م.

٦٢. **ابن شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري** (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م).
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، باريس، مطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م.

٦٣. **ابن الشحنة، عفيف الدين حسين** (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م).
البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد بن قايتباي ٩٠١٩٠٤هـ / ١٤٩٥١٤٩٩م، تحقيق عمر عبدالسلام، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٦٤. **ابن شداد، القاضي بهاء الدين** (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م).
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م.

٦٥. **الشيباني، أبوبكر أحمد بن عمرو** (ت٢٦١هـ/٨٧٤م).
كتاب أحكام الأوقاف، الأوقاف المصرية، ط١، ١٣٢٢م.

٦٦. **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك** (ت ٧٦٤هـ).

الوافي بالوفيات، تحقيق ر.س. ريدر بينغ، ط٢، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٦٧. **ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري** (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م).
إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م.

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، ٣ أجزاء، دار الكتب، ١٩٧٠م.

٦٨. **الطبري، علي عبدالقادر** (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م).
الإرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق وإشراف سعيد عبد الفتاح، أشرف أحمد الجمال، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، ودار الفكر، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، القاهرة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٦٩. **الطبري، محب الدين** (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م).
القرى لقاصد أم القرى، القاهرة، (د.ت).

٧٠. **الطرابلسي، برهان الدين إبراهيم** (ت٩٢٢هـ ١٥١٦م)
كتاب الاسعاف في أحكام الأوقاف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

٧١. **الطرطوشي، محمد بن الوليد الأندلسي،** (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م).
سرح الملوك، المطبعة الخيرية، الأسكندرية، ١٣٠٦هـ.

٧٢. **ابن طولون، شمس الدين محمد** (ت ٩١١/١٥٠٥م).
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

٧٣. **ابن ظهيرة، جمال الدين محمد** (ت ٩٨٦هـ /١٥٧٨م).
الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، مكة، ط٣، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٧٤. **ابن عابدين، محمد أمين** (ت١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)
رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (حاشية ابن عابدين)، ط٢، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، مطبعة الحلبي، القاهرة.

٧٥. **العباسي، أحمد بن عبد الحميد** (توفي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي).
عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب الأنصاري، صححه حمد الجاسر، مكة، ١٣٥٩هـ.

٧٦. **ابن عبد ربه، أحمد بن محمد** (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م).
العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، ٥ أجزاء، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

٧٧. **العبدري، أبو عبد الله محمد** (ت ٦٨٨هـ / ١٢٨٩ك).
الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، ١٩٦٨م.

٧٨. **ابن عبدالظاهر، محي الدين عبد الله** (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م).
تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م.

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ط ١، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية، تحقيق Exelmoperg، ١٩٠٢م.

٧٩. **ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي القرشي** (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م).
بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق محمد بسيوني عسل، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٣٣٢هـ.

٨٠. **ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة** (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م).
بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، ج٢، د.ط، دار البعث، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٨١. **العصامي، عبدالملك بن حسين** (ت ١١٠١هـ/١٤٠٦م).
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

٨٢. **العياشي، أبي سالم،** (ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م).
الرحلة العياشية، أو ماء الموائد، وضع فهارسة محمد صبحي، جزءان، الرباط، المغرب، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٨٣. **العيني، بدر الدين محمود** (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م).
السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة، دار الكتب.
كشف القناع المرني عن مهمات الأسامي والكني، تحقيق أحمد الخطيب، المدينة المنورة، كلية التربية، ١٤١٤هـ.
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج١ إلى ج٤، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ.
حوادث وتراجم من عام ٨١٥هـ ٨٢٤هـ، تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي القرموط، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ.

٨٤. **الغزي، نجم الدين محمد بن محمد** (ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م)
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م.

٨٥. **الفاكهي، أبو عبدالله محمد** (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥هـ).
أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ٦ أجزاء، مكة المكرمة، مكتبة النهضة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٨٦. **أبو الفدا، الملك المؤيد إسماعيل** (ت ٧٢٣هـ/١٣٣١م).
المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

٨٧. **ابن الفرات، محمد بن عبدالرحيم بن** (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م).
تاريخ الدول والملوك، المعروف بتاريخ ابن الفرات، المجلد الرابع إلى الخامس، نشر وتحقيق حسن محمد الشماع، البصرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٦٧م، المجلد السابع نشر قسطنطين زريق، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٣٩م، المجلد الثامن، نشر زريق ونجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٤٢م.

٨٨. **ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد** (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م).
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاهرة، ١٣٢٩م.

٨٩. **ابن فرحون، أبومحمد عبد الله بن محمد المالكي** (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م).
خصيحة المشاور وتعزية المجاور، قابل أصوله، حسين شكري، ط١، دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م.

٩٠. **الفاسي، تقي الدين محمد** (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م).
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، جزءان، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ٢-٧، تحقيق فؤاد سيد، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج٧، تحقيق محمود الطناحي، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق محمد مصطفى محمد، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩١. **ابن أبي الفضائل، المفضل** (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق أي بلوشيه، باريس، ١٩١١م، ١٩٣٢م.

٩٢. **ابن فهد، نجم الدين عمر** (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م).
إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الأجزاء ١، ٢، ٣ تحقيق فهيم شلتوت، ط١، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج٤ تحقيق عبدالكريم علي باز، ط١، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٩٣. **ابن فهد، عبدالعزيز بن عمر** (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م).
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ٤ أجزاء، تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٩٤. **الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب** (٨١٧هـ / ١٤١٤م).
القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، وهناك طبعة أخرى، عالم الكتب، بيروت، ٤ أجزاء.
المغانم المكابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، ط١، الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٩٥. **ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد** (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م).
تاريخ ابن قاضي شهبة حوادث ٧٨١هـ / ٨٠٠هـ، تحقيق عدنان درويش، الجزء الأول، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧م.

٩٦. **القرماني، أبوالعباس أحمد بن يوسف الدمشقي** (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م).
أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٩٠هـ، وطبعة بيروت، تحقيق فهمي سعد، دار الآفاق، ١٤٠١هـ.

٩٧. **القزويني، زكريا بن محمد** (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار بيروت، ١٩٧٩م.

٩٨. **القلصادي، أبو الحسن علي** (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م).

رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأحفان، الشركة التونسية للتوزيع، زيتونه، ١٩٧٨م.

٩٩. **القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس** (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٤ جزء، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٣٣١هـ / ١٩٣١م.

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٢م.
مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد، ٣ اجزاء، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٠م.

١٠٠. **ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن** (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م).
الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١٩٧١م، ط٢، ١٩٧٨م.

١٠١. **كبريت، محمد كبريت الحسيني المدني** (ت ١٠٧٠هـ).
الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق أحمد مسلم، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠٢. **الكتبي، أبو عبد الله محمد بن شاكر** (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٠٣. **ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الحافظ** (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
البداية والنهاية، ١٤ جزء، بيروت، ١٩٦٦م.

١٠٤. **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد** (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

١٠٥. **ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب** (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
تاريخ المستبصر، تحقيق لوفجرين، ط٢، بيروت، دار التنوير للطباعة، لوفجرين، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

١٠٦. **المراغي، زين الدين أبوبكر بن الحسين بن عمر** (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م).
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد، المطبعة العلمية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٠٧. **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين** (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبدالحميد، ٣ أجزاء، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٣هـ.

١٠٨. **مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج.**
صحيح مسلم، القاهرة، (د.ت).

١٠٩. **المطري، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن محمد** (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م).
التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق محمد الخيال، د.ط، منشورات الطربزوني، المدينة المنورة، ١٣٧٢هـ.

١١٠. **المقدسي، أبو عبدالله محمد** (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧م).
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٩٠٩م.

١١١. **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي** (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م).
السلوك لمعرفة الملوك، الأجزاء ١، ٢، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، ج٣، ٤، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م.
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ٢، بيروت، دار صادر.
إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد زيادة، جمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩م.
الذهب المسبوط بذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٥م.
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي، ٣ أجزاء، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
النقود الإسلامية، المسمى شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد السيد علي، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

١١٢. **ابن مماتي، الأسعد شرف الدين** (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).
كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، مطبعة مصر، ١٩٤٣م.

١١٣. **ابن منظور، جمال الدين محمد** (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، ١٥ جزء، بيروت، دار صادر.

١١٤. **ابن ميسر، محمد بن علي** (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م).
أخبار مصر، هنري ماسيه، المعهد الفرنسي، ١٩١٩م.

١١٥. **النابلسي، عثمان بن إبراهيم الصفدي** (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)
لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، ١٩٦٠م.

١١٦. **ابن النجار، محمد بن محمود** (ت ٦٤٨هـ/١٢٤٩م).
الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، الملحق الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (د.ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة. د.ت)

١١٧. **ناصر خسروا، القبادياني** (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م).
سفر نامه، تحقيق أحمد الدبلي، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١٨. **النهروالي، محمد بن أحمد** (٩٩٠هـ/١٥٨٢م).
الإعلام في أعلام بيت الله الحرام، اشراف سعيد عبد الفتاح، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية، مكة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
البرق اليماني في الفتح العثماني، القاهرة، الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٧م.

١١٩. **النووي، أبوزكريا يحيى بن شرف.**
شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية، القاهرة، د.ت.

١٢٠. **النويري، أحمد بن عبدالوهاب** (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، القاهرة، ١٩٢٣م.

١٢١. **ابن هشام، أبو محمد عبدالملك** (ت ٢١٣هـ ٢١٨هـ / ٨٢٨ ٨٣٣م).
سيرة النبي ﷺ، المعروفة بسيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١،

٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٣٧م.

١٢٢. **الهمداني، أبو بكر أحمد** (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م).
مختصر كتاب البلدان، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢٣. **ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم** (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م).
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١ ج ٣، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٣ ١٩٦٠م، ج٤، تحقيق حسنين ربيع، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٢م.

١٢٤. **ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر** (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
تاريخ ابن الوردي، القاهرة، ١٢٨٩م.

١٢٥. **اليافعي، عبدالله بن اسعد** (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م).
مرآة الجنان وعبرة اليقظآن في معرفة حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٤، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

١٢٦. **يحيى بن الحسين** (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م).
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، جزءان، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.

١٢٧. **اليعقوبي، أحمد بن واضح** (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٧م).
تاريخ اليعقوبي، جزءان، بيروت، دار صادر.
البلدان، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.

١٢٨. **اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى** (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م).
ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

رابعا: المراجع العربية:

١. **الباشا، حسن.** الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج١، ٢، ٣، دار النهضة، القاهرة.

٢. **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق**، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٣. **باقاسي، عائشة بنت عبد الله.** بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ.

٤. **البنتوني، محمد لبيب.** الرحلة الحجازية، القاهرة، ١٣٢٧هـ/١٣٢٩م.

٥. **البقلي، محمد قنديل.** التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة، ١٩٨٣م.

٦. **أباظة، فاروق.** عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٨٩هـ / ١٩١٨م.

٧. **إبراهيم، عبد الغفار.** أحكام الميراث والوصية والوقف في الفقه الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

٨. **إبراهيم، عبد اللطيف.** وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٩. **أحمد الزيلعي.** نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة، الدارة، العدد الثالث، الرياض، ١٤٠٩هـ.

١٠. **مكة وعلاقتها الخارجية**، ٣٠١ ٤٨٧هـ، جامعة الرياض، الرياض، ١٤٠١هـ.

١١. **حاكم السرين**، راجح بن قتادة ودوره في العلاقات المصرية اليمنية، مجلة العصور، المجلد الأول، الجزء الأول، لندن، دار المريخ للنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢. **أحمد، محمد عبد العال.** بنو رسول وبنو ظاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما، من ٦٢٨ ٨٢٨هـ/ ١٢٣٠ ١٥٢١م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ/١٩٨٥م.

١٣. **أمين، محمد محمد.** الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، من ٦٤٨ ٩٢٣هـ/١٢٥٠هـ ١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٤. **الأنصاري، عبد القدوس.** آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٥٣هـ.

١٥. **باسلامة، حسين عبدالله.** تاريخ الكعبة المعظمة، ط٢، جدة، تهامة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

١٦. **بك، أحمد عيسى.** تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م.

١٧. **بكر، سيد عبد المجيد.** الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط١، جدة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٨. **البلادي، عاتق بن غيث.** معجم معالم الحجاز، ط١، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٩. **البهوتي، منصور بن يونس.** كشاف القناع عن متن الإقناع، علق عليه، هلال مصيلحي، مكتبة النصر الحديثة.

٢٠. **حبيب، عزيز محمد.** المملكة العربية السعودية، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢١. **حته، محمد كامل.** لبيك اللهم لبيك، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٢. **الحجي، حياة ناصر.** السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، ط١، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٣. **حرب، جميل محمود حسين.** الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، تهامة، ١٤٠٥هـ.

٢٤. **الحلبي، محمد بن محمود بن النجا.** العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، تحقيق محمد أحمد الدهان، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٥. **الحلواني، سعيد بدر.** مصر والحجاز ونجد في القرن التاسع عشر، ط٢، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٦. **الجاسر ، حمد.** ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٢٧. **الدرعي المغربي،** منشورات دار الرفاعي، الرياض.

٢٨. **مقتطفات من رحلة العياشي، ماء الموائد،** ط١، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٢٩. **الدبس، يوسف.** تاريخ سوريا، ط٢، ١٩٨٤م.

٣٠. **دحلان، أحمد زيني** (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م). خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ.

٣١. **الدهمان، محمد أحمد.** معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٢. **راوه عبد الفتاح حسين راوه المكي.** تاريخ أمراء البلد الحرام عبر العصور الإسلامية، مكتبة المعارف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٣٣. **ربيع، حسنين.** وثائق الجنيره وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي، في دراسات الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٧٩م.

٣٤. **النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين،** القاهرة، ١٩٦٤م.

٣٥. **حجة تمليك وقف،** مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٦٠م.

٣٦. **رفعت، إبراهيم.** مرآة الحرمين، ط١، القاهرة، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

٣٧. **الريس، محمد ضياء الدين.** الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الانصار، ١٩٧٧م.

٣٨. **الزركلي، خير الدين.** الأعلام، دار المعلمين للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٩. الزيلعي، أحمد عمر. مكة وعلاقتها الخارجية، (ط١، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

٤٠. **سالم ، السيد عبدالعزيز** ، التاريخ والمؤرخون العرب ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨١م .

٤١. **السباعي، أحمد.** تاريخ مكة، ط٦، مطبوعات نادي مكة الثقافي، (د.ت).

٤٢. **سراج، محمد.** أحكام الوقف في الفقه والقانون، دار الثقافة، القاهرة، ١٤١٢هـ.

٤٣. **سرور، محمد جمال الدين.** دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

٤٤. **السعيد، عبد الله.** المستشفيات الإسلامية في العصر الأموي إلى العصر العثماني، دار الضيا، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٧٨م.

٤٥. **السليمان، حسين.** العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، جامعة القاهرة، ١٩٣٩م.

٤٦. **النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية في أواخر العصور الوسطى،** ١٢٥٠ ١٥١٧م، ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

٤٧. **سليم، محمود رزق.** الأشرف قانصوه الغوري، القاهرة، ١٩٦٣م.

٤٨. **شقير، نعوم بك.** تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، القاهرة، مطبعة المعارف بمصر، ١٩١٦م.

٤٩. **صالح، محمد أمين.** تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة سنمار البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠م.

٥٠. **طقوش، محمد سهيل.** تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥١. **عاشور، سعيد عبدالفتاح.** مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٥٢. **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك،** القاهرة، ١٩٦٢م.

٥٣. **الحركة الصليبية** ، جزآن، القاهرة، ١٩٦٣م.

٥٤. **الظاهر بيبرس** ، القاهرة، ١٩٦٣م.

٥٥. **العصر المماليكي في مصر والشام،** القاهرة، ١٩٦٥م.

٥٦. **الناصر صلاح الدين،** القاهرة، ١٩٦٥.

٥٧. **مصر في العصور الوسطى،** القاهرة، ١٩٧٠م.

٥٨. **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام،** القاهرة، ١٩٧٠م.

٥٩. **عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم.** الحجازيون في مصر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الحادية عشر، شوال، ١٤٠٥هـ.

٦٠. **عتيقي، محمد كل عبيد الله وآخرون.** المصطلحات الوقفية، الصندوق الوقفي للثقافة والفكر، ط١، الكويت، ١٤١٧هـ.

٦١. **عنان، محمد عبد الله.** تاريخ الجامع الأزهر، ط٢، القاهرة، ١٩٥٨م.

٦٢. **فارتيما.** رحلات فارتيما، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

٦٣. **فهمي، نعيم زكي.** طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

٦٤. **قاسم، حسن.** المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، ٦٣ أجزاء، القاهرة، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

٦٥. **القحطاني، راشد سعد.** أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦٦. **الكبيسي، محمد عبد الله.** أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٧هـ.

٦٧. **ماجد، عبدالمنعم.** طومان باي آخر السلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

٦٨. **مالكي، سليمان عبدالغني.** مرافق الحج، ط١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٧هـ.

٦٩. **المشيخ ، إبراهيم بن حمود .** تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، من خلال الدر الكمين لأبن فهد ، الطبعة الأولي ، القصيم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م .

٧٠. **متز، آدم.** الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٧١. **معروف، ناجي.** أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٥م.

٧٢. **المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية**، مطبعة مصر، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٧٣. **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية، ط٢٨.

٧٤. **المهندس، محمود فهمي.** البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، ط١، المطبعة الأميرية، ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م.

٧٥. **مورتيل، ريتشارد.** الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي (د.ط جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٧٦. **هايـــــــد.** تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطى، مراجعة وتقديم عز الدين فودة، جزءان، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.

٧٧. **ابن همام، كمال الدين محمد.** فتح القدير، ج٥، ط١، بولاق، مصر، ١٣١٦هـ.

٧٨. **الهيلة ، محمد الحبيب** ، التاريخ والمؤرخون بمكة المكرمة في القرن الثالث الهجري ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٩٩٤م .

٧٩. **لبيب، حجي.** التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، ١٩٥٢م.

٨٠. **يونس، عبد الحميد وآخر.** الأظهر، ط١، القاهرة، ١٩٤٦م.

خامسا: المراجع الأجنبية:

١. Ankawi, Abdullah
The Pilqrimage to Mecca in Mamiuk Times.
Arabian studies, london (١٩٦٨).

٢. Ashtor, E.
The Karimi Merchants.
Journal of the Royal Asiatic Sociy (١٩٥٦), pp ٤٥ - ٥٥.

٣. **A Social and Economic History Of the Near East in the Middle Aqes.**
London (١٩٦٦).

٤. Baloq, paul
Quelques dinars du debut de L,ere mamelouke bahrite.
Bulletin Egyptien, ٣٢ (١٩٥٠), pp ٢٣١ - ٢٤٣.

٥. De Gaury, G.
Rulers of Mecca.
London: George G. Harroop ١٩٥٠.

٦. Demembynes
La syrie, epoguedes mamelauks.
Paris ١٩٢٣.

Goitein, S.
٧. **.L Studies in Islamic History and Instituions.**
L.eiden (١٩٦٨).

Hoqarth, D.

٨. **Arabia.**
Oxford ١٩٢٢.

Lanepool, Stanley.
٩. **History of Egypt in the middle aqes.**
.London ١٩٠١.

Lapidus, lram.
١٠. **Muslim Cities in the Later Middle Aqes..**
.Cambridge, Mass: Harvard Univ. Press, ١٩٨٦.

Mortel, R.
١١. **Grand dawadar and governor of jeddah the Career of the Fifteenth Century mamluk maqnate Ganibak Al- Zahiri.**
.Brill Leiden (١٩٦٦), pp ١- ١٩.

١٢. **The Genealoqy of the Hassan. d Sharifs of Makkah..**
.King Saud University (١٩٨٥), pp ٢٢٣- ٢٣٩.

١٣. **Zydia Shi,ism and the Hasanid sharifs of Mecca.**
(١٩٨٧), pp ٤٥٦- ٤٦٧.

١٤. **The Mercantile Community of Mecca during the Late mamluk period.**
.Journal of the Royal Asiatic Society, Cambridge, (١٩٩٤), pp ١٥- ٣٥.

١٥. **Taxation in the amirate of Mecca during the medieval period.**
.King Saud University (١٩٩٥), pp ١- ١٦.

١٦. **Thedecline of Mamluk Civil bureacracy in the Fifteenth Century the**

career of abu Al- Khayr Al- Nahhas.
.Journal of Islamic studies (١٩٩٥), pp ١٧٣- ١٨٦.

١٧. **Aspects of mamluk relation with jedda during the Fifteenth Century: The Case of Timraz Al- Mu. Ayyadi.**
.King Saud University (١٩٩٥), pp ١- ١٢.

١٨. **Madrasas in Mecca during the Medieval period.**
.King Saud University (١٩٩٦), pp ١- ٣٤.

Muir, William.

١٩. **The mameluk or slave dynasty of Eqypt.**
.Amsterdam ١٩٦٨.

Peters, E.

٢٠. **Mecca a Literary of the muslim holy Land.**
.(١٩٩٤).

poliak,

٢١. **Feudalism in Eqypt, Syria, Palestine and Lebanon.**
.London ١٩٣٩.

٢٢. **Morcopolo: Travols vol, Tp. ١٠٧. (edby vole) London, ١٩٠٣.**

Degaury, Rulers of Maccan, p. ٩٣, Hogarth, Arabia,

٢٣. **Camp, History of Islam, Vol art, Egypt, and Syria, ١٩٦٣.**

٢٤. **Richard Mortel, Aspeces of mamluk relation, ١٩٠٥.**

٢٥. **Jacues, Jomier, Le mehmal etle, caravane Egyptienne,** des, pelarins, de laregre, le caire, ١٩٥٣.

٢٦. **S.O. Goitein, Amediterranean: Socety,** L, Economic foundation, letters and documents, an the India trade in medieval, Times" Islamic culture ٣٧ (١٩٦٣).

٢٧. **Canon, Ragibet Taher: L' acte et lewaqfd'** ungrand domaine Egytien, par levizir fatimide, talaib Ruzzik annales Islamdgogiques, Txix, ١٩٧٨.

٢٨. **Dozy Supplement aux dictionaries arabes,** ٢, Vols, leyde,

Lapidus (Ivamarvin): muslim cities in the latar middie ages harvard, ١٩٦٧.

سادسا: الرسائل العلمية:

١. **إبراهيم، عبد اللطيف.** دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر السلطان الغوري، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.

٢. **البدرشيني، أحمد هاشم.** مكة المكرمة والمدينة المنورة في رحلة ابن بطوطة، دراسة تاريخية وحضارية مقارنة في القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣. **الحربي، محمد حميدان العويضي.** نظم الحكم والإدارة في مكة في العهد العثماني، ٩٢٣- ١٢١٧هـ / ١٥١٧- ١٨٠٢م، رسالة ماجستير، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٤. **أحمد عبد الحميد خفاجي.** موقف مصر من الحجاز في عهد المماليك الجراكسة (٨٤٢ - ٩٢٣هـ/١٤٢٨ - ١٥١٧م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨م.

٥. **الراقد، محمد عبد المنعم السيد.** الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، رسالة علمية، إشراف أحمد الحته، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

٦. **الزهراني، عائض محمد عائض.** الحجاز في عهد الشريف حسن بن عجلان، رسالة ماجستير، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤١٣هـ.

٧. **الشهري، محمد هزاع.** عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، في الحضارة والنظم المالية، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. (لم تنشر).

٨. **الفعر، محمد فهد عبدالله.** تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٩. **الفعر، محمد فهد عبدالله.** الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثمان من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري، رسالة دكتوراه، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧م (لم تنشر).

١٠. **بشارى، منى.** المجاورة في مكة والمدينة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ.

١١. **Urainan, Mohammed, Abdel Qadir Al Taberi;** Nasha'at Al sulafa bi Munsheat al-Kwlafah (unpublishet Thesis, Submitted for degree of Doctor, of Philosophy, University of St, Andrews, Department of Arabic Studies, England ١٩٧٢)

سابعا: الدوريات العلمية:

١ - **إبراهيم، عبد اللطيف.** وثائق الوقف في الأماكن المقدسة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ومصادره، جامعة الرياض، ١٩٧٧م.

٢ - **الوثائق في خدمة الآثار**، كتاب المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية، ١٩٥٧م،

٣ - **وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسني**، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.

٤ - **التوثيقات الشرعية والإشهادات في ظهر وثيقة الغوري**، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ١٩، ١٩٥٧م.

٥ - **وثيقة وقف مسرور بن عبد الله الشبلي**، مجلة كلية الآداب، القاهرة، مجلد ١٩، ١٩٥٧م.

٦ - **مكتبة ديرسانت كاترين**، مجلة جامعة أم درمان، السودان، العدد الأول، ١٣٨٨م.

٧ - **من وثائق التاريخ العربي**، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الثاني، ١٩٧١م.

٨ - **إسكندر، توفيق.** نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس، ١٩٥٨م، ص٣٧ - ٤٦.

٩ - **باز، عبدالكريم علي.** المحمل اليمني في عهد بني رسول، العصور، المجلد السابع، الجزء الأول، لندن، دار المريخ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص٧- ١٨.

١٠ -**ربيع حسنين محمد.** وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص١٣١- ١٤٤.

١١ -**البحر الأحمر في العصر الأيوبي**، سمنار البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة أبحاث الاسبوع العلمي الثالث، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠م، ص١٠٥- ١٢٣.

١٢ -**رسلان، عبدالمنعم.** الأزنم خانا وبرجا، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، العدد الرابع، مكة، دار مكة المكرمة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

١٣ -**زيلعي، أحمد بن عمر.** حاكم السرين راجح بن قتادة ودورة في العلاقات المصرية اليمنية في مكة، العصور، المجلد الأول، الجزء الأول، لندن، دار المريخ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص٢١- ٢٩.

١٤ -**بنو حرام حكام حلى وعلاقاتهم الخارجية**، ق٤ - ق٩هـ / ١٠- ١٥م، مجلة كلية الآداب، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٠١- ١٢٢.

١٥ -**نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة**، الدارة، العدد الثالث، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٦٣ - ٨١.

١٦ -**أضواء جديدة على تاريخ الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين الأثري جنوب مكة المكرمة**، العصور، المجلد السادس، الجزء الأول، لندن، دار

المريخ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص١٦٩ - ١٨٩.

١٧ -**الأشراف الغوانم أمراء المخلاف السليماني وعلاقتهم ببني رسول في اليمن ٦٢٨-١٢٣٠هـ / ٨٠٣- ١٤٠١م**، العصور، المجلد السادس، الجزء الثاني، لندن، دار المريخ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص٢٦٥- ٢٩٧.

١٨ -**السيف، عبدالله محمد.** الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب، المجلد الثاني عشر العدد الثاني، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٨٥م، ص٣٢٥- ٣٤١.

١٩ -**صالح، محمد أمين.** تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، سمنار البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ابحاث الاسبوع العلمي الثالث، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠م، ص١٥٩- ١٧٨.

٢٠ -**الطاسان، محمد صالح.** الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد المماليك، العصور، المجلد الخامس الجزء الثاني، لندن، دار المريخ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٨٣ - ٣١٠.

٢١ -**القضاء في مكة في العهد المملوكي**، العصور، المجلد السادس، الجزء الثاني، لندن، دار المريخ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص٢٩٩ - ٣١٨.

٢٢ -**عمر إبراهيم علي محمد.** ديوان الخاص السلطاني زمن الناصر محمد بن قلاوون موارده ومصارفه، العصور، المجلد الرابع، الجزء الثاني، لندن، دار المريخ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص٥٠٥ - ٣٢٠.

٢٣ -**عنقاوي، عبدالله عقيل.** المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب، المجلد الثاني، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٧٢م، ص٣٢٣- ٣٣٨.

٢٤ -**كسوة الكعبة في العصر المملوكي**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد الخامس، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٩٨٥م، ص ١ - ٢٢.

٢٥ -**مكة في عهد الشريف قتادة الحسني**، مجلة كلية الآداب، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٨٥م، ص١٠٤ - ١٩٠.

٢٦ -**قاسم، عبده قاسم.** علاقات مصر بعالم البحر المتوسط في عصر المماليك الجراكسة، سمنار البحر الأحمر، في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الاسبوع العلمي الثالث، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠م، ص١٢٥ - ١٥٣.

٢٧ -**لبيب، حجي.** التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٥- ٥٣.

٢٨ -**مورتيل، ريتشارد.** مصادر التموين الغذائي لإمارة مكة، مجلة كلية الآداب، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٨٥م، ص١٩٣- ٢٠٩.

٢٩ -**حمد الجاسر.** ابن رشيد الأندلسي، رحلته، دراسة وتحقيق، مجلة العرب، ١٣٨٨هـ.

المكتب المركزي السوري للاحصاء.

٣٠ -**الدليل الهجائي للمدن والقرى والمزارع السورية**، دمشق، دار النهضة، ١٩٧٠م.

خريطة جنوب فلسطين، نادي دمشق العلمي، دمشق، ١٩٧٠م.

٣١ -**نادي دمشق العلمي**، دمشق، ١٩٧٠م.

٣٢ -**شكري، محمد أنور.** لوحان أثريان للسلطان قايتباي، والسلطان سليمان القانوني، مكة المكرمة، دار الثقافة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٣٣ -**الرشيد، ناصر سعد.** بنو فهد، مؤرخو مكة والتعريف بالمخطوط، النجم ابن فهد (أتحاف الورى بأخبار أم القرى) دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع **رقم الصفحة**

البسملة.....

الإهداء.....

المقدمة..... أ

أهمية البحث وأسباب اختياره..... ب

مصاعب البحث..... د

دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث..... هـ – ش

التمهيد..... ١ – ١٦

الفصـــل الأول:

اهتمام المماليك بالحرمين الشريفين..... ١٨

أولا : الاهتمامات السياسية للمماليك بالحرمين الشريفين..... ١٩

١ – أوضاع مكة المكرمة السياسية في العصر المملوكي..... ٢١

٢ – أوضاع المدينة المنورة السياسية في العصر المملوكي..... ٣١

ثانيا: الاهتمامات الدينية للمماليك بالحرمين الشريفين..... ٣٩

١ – طرق حج والمحمل زمن سلاطين المماليك..... ٤٠

أ – طريق ركب الحاج المصري..... ٤١

ب – طريق ركب الحاج الشامي..... ٤٧

ج – المحمل..... ٤٨

٢ – كسوة الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة. ٥٠

٣ – حجات السلاطين والأمراء ونساء السلاطين وكبار رجال الدولة المملوكية ٥٤

٤ – الأعطيات والصدقات على أهالي الحرمين الشريفين..... ٥٩

ثالثا : الاهتمامات الاقتصادية للمماليك بالحرمين الشريفين..... ٦٢

١ – أوقاف وصدقات السلاطين والأمراء والأعيان على الحرمين الشريفين. ٦٣

٢ – نفقات الحجاج في الحرمين الشريفين..... ٧٠

٣ – المكوس ومراسيم السلاطين في الحرمين الشريفين..... ٧٣

٤– ميناءا: جدة ، وينبع، ودورهما في إنعاش الحالة الاقتصادية في الحرمين الشريفين ٧٧

ميناء جدة:.....

أ – أهمية ميناء جدة الاقتصادية لإمارة مكة المكرمة..... ٧٧

الموضـــــوع	رقم الصفحة

ب – الوظائف الإدارية والمالية في ميناء جدة..... ٨١

ج – انهيار ميناء جدة اقتصاديا..... ٨٥

ميناء ينبع: ٨٦

أ – أهمية ميناء ينبع الاقتصادية لإمارة المدينة المنورة..... ٨٦

ب – الوظائف الإدارية والمالية في ميناء ينبع..... ٨٨

ج – انهيار ميناء ينبع اقتصاديا..... ٨٩

٥ – الأزمات الاقتصادية في الحرمين الشريفين..... ٩٠

رابعا: الاهتمامات الاجتماعية للمماليك بأوقاف الحرمين الشريفين..... ٩٢

المنشآت العامة في الحرمين الشريفين والإصلاحات التي تمت بهما: ٩٢

١– الإصلاحات في الحرمين الشريفين..... ٩٢

المنشآت الاجتماعية والعلمية في الحرمين الشريفين ٩٥

٢ – المدارس في الحرمين الشريفين..... ٩٥

أ – مدارس مكة المكرمة..... ٩٦

ب – مدارس المدينة المنورة..... ١٠١

٣ – الأربطة في الحرمين الشريفين..... ١٠٢

أ – أربطة مكة المكرمة..... ١٠٣

ب – أربطة المدينة المنورة..... ١٠٤

٤ – البيمارستان في الحرمين الشريفين ١٠٥

أ – البيمارستان في مكة المكرمة..... ١٠٦

ب – البيمارستان في المدينة المنورة..... ١٠٦

٥ – الخدمات المدنية في الحرمين الشريفين..... ١٠٧

أ – الخدمات في مكة المكرمة..... ١٠٧

ب – الخدمات في المدينة المنورة..... ١٠٩

الفصل الثاني :

أوقاف الحرمين الشريفين في مصر، وفي المدينتين المقدستين، مكة والمدينة..... ١١٠

أولا :الأوقاف على شئون الحرمين الشريفين..... ١١١

١ – أوقاف السلاطين..... ١١١

٢ – أوقاف الأمراء والأعيان ١١٥

الموضـــــوع	رقم الصفحة

ثانيا: الأوقاف على الأشراف وأهالي الحرمين الشريفين ١٢٣

١ – أوقاف السلاطين ١٢٣

٢ – أوقاف الأمراء والأعيان ١٢٨

ثالثا : الأوقاف على الخدمات العامة بالحرمين الشريفين ١٤٩

١ – أوقاف السلاطين ١٤٩

٢ – أوقاف الأمراء الأعيان ١٥١

الفصل الثالث:

التنظيمات الإدارية للوقف في الدولة المملوكية للمدينتين المقدستين ١٦١

أولا: الأوقاف العامة (الخيرية – الحكمية) ١٦٩

ثانيا: الأوقاف الخاصة (الأهلية – الذرية) ١٨٧

ثالثا: تنظيمات الوقف والإشراف عليه ١٩٤

رابعا: ديوان الأحباس ٢٠٧

خامسا: تدهور الأوقاف ٢١٠

الفصل الرابع:

أثر الأوقاف على الحياة العامة في المدينتين المقدستين ٢١٧

أولا : أثر الأوقاف على الحياة الدينية ٢١٧

أ – الشعور الديني ٢١٧

ب – الوظائف الدينية ٢٢٠

١ – القضاء في الحرمين الشريفين ٢٢٠

٢ – الخطابة في الحرمين الشريفين ٢٢٣

٣ – الإمامة في الحرمين الشريفين ٢٢٤

٤ – سدانة الكعبة المشرفة وخدام المسجد والحجرة النبوية الشريفة ٢٢٥

٥– الأذان في الحرمين الشريفين ٢٢٨

٦ – النظارة في الحرمين الشريفين ٢٣٠

٧ – ناظر العمارة في الحرمين الشريفين ٢٣١

٨ – السقاية في الحرمين الشريفين ٢٣٢

٩ – وظيفة الفراشة في الحرمين الشريفين ٢٣٥

١٠– وظيفة البوابين في الحرمين الشريفين ٢٣٦

١١– الوقادة في الحرمين الشريفين ٢٣٧

ج – النفقات الدينية (الإنفاق) ٢٣٨

الموضـــــوع	رقم الصفحة

ثانيا: أثر الأوقاف على الحياة الاجتماعية ٢٣٩

١ – توفير الحياة الكريمة لجميع طبقات المجتمع المكي والمدني ٢٣٩

أ – أمراء الحرمين الشريفين ٢٣٩

ب – طبقة العلماء و أرباب الوظائف بالحرمين الشريفين ٢٤٣

ج – طبقة الأهالي والمجاورين ٢٤٦

٢ – توفير الرعاية الصحية لأفراد المجتمع المكي والمدني ٢٥٠

أ – الرعاية الصحية ٢٥٠

ب – الوظائف الطبية ٢٥٢

٣ – توفير المياه في المدينتين المقدستين ٢٥٤

أ – توفير المياه داخل المدينتين المقدستين ٢٥٤

– مكة المكرمة ٢٥٤

– المدينة المنورة ٢٥٧

ب – توفير المياه خارج المدينتين المقدستين ٢٥٧

ثالثا: أثر الأوقاف على الحياة الاقتصادية: ٢٦١

أ – أثر الأوقاف في ازدهار الحياة الاقتصادية بالحرمين الشريفين. ٢٦١

ب – أثر الأوقاف في تخفيف أعباء الحياة والأزمات الاقتصادية على أهالي الحرمين الشريفين ٢٦٥

رابعا: أثر الأوقاف على الحياة العلمية : ٢٨٤

أثر الأوقاف في ازدهار الحياة العلمية في المدينتين المقدستين ٢٨٤

أ – كثرة العلماء بالمدينتين المقدستين ٢٨٩

ب – كثرة طلبة العلم بالمدينتين المقدستين ٢٩٥

ج – نشر العلم في مؤسساته بالمدينتين المقدستين ٣٠١

د – توافر خزائن الكتب والمكتبات بالمدينتين المقدستين ٣٢٠

الخاتمة : نتائج الدراسة ..... ٣٢٧ – ٣٣١

الملاحق ..... ٣٣٢ – ٤٢٣

قائمة المصادر والمراجع ..... ٤٢٤ – ٤٥٦

فهرس الموضوعات ..... ٤٥٧ – ٤٦٠